الفتوحات المكية

للشيخ الإمام خاتم الأولياء أبي بكر محيي الدين محمد بن علي
بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي المعروف بابن عربي
المتوفى سنة ٦٣٨ هـ

ضبطه وصححه ووضع فهارسه
أحمد شمس الدين

المجلد الثامن

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الفتوحات المكية

تأليف

الشيخ الإمام خاتم الأولياء أبي بكر محيي الدين
محمد بن عليّ بن محمّد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي
المعروف بابن عربي
المتوفى سنة ٦٣٨هـ

ضبطه وصححه ووضع فهارسه
أحمد شمس الدّين

الجزء الثامن

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحميد * حضرة الحمد

[نظم: البسيط]

أَنْتَ الحَمِيدُ اسْمُ مَفْعُولٍ لحامِدِنا ... وفَاعِلٌ ولِهذا أنتَ مَحْمُودُ
وحامِدٌ فإذا جئنا لِنَحْمِدَهُ ... هو الشَّهيدُ لنا والقلب مشهودُ
مِن غيرِ كَيْفٍ ولا كَمٍّ ولا شُبَهٍ ... وليس يأخذه حَصْرٌ وتَحْديدُ
إنِّي لأعْبُدُهُ بي لا به فأنا ... بالله أعْبُدُهُ والله مَعْبُودُ
إنِّي لأعْرِفُهُ إذا أُشَبِّهُهُ ... شَرْعاً وعَقْلاً فإطْلاقٌ وتَقْيِيدُ

يدعى صاحبها عبد الحميد وهو فعيل، فعم اسم الفاعل بالدلالة الوضعية واسم المفعول فهو الحامد والمحمود وإليه ترجع عواقب الثناء كلها، ومحمد ﷺ بيده لواء الحمد، فلآدم عليه السلام علم الأسماء، ولمحمد ﷺ علم الثناء بها والتلفظ بالمقام المحمود، فأعطي في القيامة لأجل المقام المحمود العمل بالعلم ولم يعط لغيره في ذلك الموطن فصحت له السيادة فقال «**آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي**» وما له لواء إلا الحمد وهو رجوع عواقب الثناء إلى الله وهو قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] لا لغيره، وما في العالم لفظ لا يدل على ثناء ألبتة أعني ثناءً جميلاً وأن مرجعه إلى الله، فإنه لا يخلو أن يثني المثني على الله أو على غير الله، فإذا حمد الله فحمد من هو أهل الحمد، وإذا حمد غير الله فما يحمده إلا بما يكون فيه من نعوت المحامد، وتلك النعوت مما منحه الله إياها وأوجده عليها إما في جبلته وإما في تخلقه فتكون مكتسبة له، وعلى كل وجه فهي من الله، فكان الحق معدن كل خير وجميل، فرجع عاقبة الثناء على المخلوق بتلك المحامد على من أوجدها وهو الله، فلا محمود إلا الله، وما من لفظ يكون له وجه إلى مذموم إلا وفيه وجه إلى محمود، فهو من حيث إنه محمود يرجع إلى الله ومن حيث ما هو مذموم لا حكم له لأن مستند الذم عدم فلا يجد متعلقاً فيذهب ويبقى الحمد لمن هو له، فلا يبقى لهذا اللفظ المعين، إلا وجه الحمد عند الكشف، ويذهب عنه وجه الذم أي ينكشف له أن لا وجه للذم.

ولقد أخبرني في هذا اليوم الذي قيدت فيه هذه الحضرة في هذا الكتاب صاحبنا سيف الدين ابن الأمير عزيز رحمه الله أنه رأى والي البلد يضرب إنساناً ضرباً مبرحاً فوقف في جملة الناس وهو يمقت الوالي في نفسه لضربه ذلك الشخص فأخذ عن نفسه فشاهد الوالي مثله واحداً من الجماعة ينظر إلى المضروب مثل ما تنظر إليه الجماعة والآمر بالضرب ليس الوالي فعذره وسري عنه وانصرف. وكان سبب هذه الحكاية أن الوالي جار عليه في حكومة فقلت

له: ارفعه إلى السلطان فقال لي: ما بيد الوالي شيء، ثم ذكر لي ما رأى وهكذا الأمر في نفسه، فهذا شخص قد كان مع الحجاب ينسب الجور إلى الوالي، فلما كشف الله عن بصره الغطاء زال كون ذلك جوراً عنده وقام عذر الجائر عنده فصار حمداً وثناء خير، وبرئت ساحة من أضيف الذم إليه فعادت عواقب الثناء إلى الله عز وجل، ألا تراه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥] وقد افتقر إلى مذموم ومحمود ودخل تحت مسمى الله ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ [فاطر:١٥] يقول الذي لا يفتقر ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] أي الذي ترجع إليه عواقب الثناء من الحامد والمحمود، وإن كان مذموماً بنسبة ما فهو محمود بنسبة أقوى لها الحكم فيه، فالحمد لله تملأ الميزان لأنه كل ما في الميزان فهو ثناء على الله وحمد لله، فما ملأ الميزان إلا الحمد، فالتسبيح حمد، وكذلك التهليل والتكبير والتمجيد والتعظيم والتوقير والتعزيز وأمثال ذلك كله حمد، فالحمد لله هو العام الذي لا أعم منه، وكل ذكر فهو جزء منه كالأعضاء للإنسان، والحمد كالإنسان بجملته: [الهزج]

فـقـد بَـانَ لـكَ الـحَـمْـدُ فـلا يَـحْـجُـبَـنـك الـذّمُّ
وقـد لاحَ لـك الـسِّـرُّ فـمـا غَـيَّـبَـهُ الـكَـتْـمُ

وحكم هذه الحضرة على ثلاثة أنحاء في التمام والكمال وأتمها واحد منها، وذلك حمد الحامد نفسه يتطرّق إليه الاحتمال فلا يكون له ذلك الكمال فيحتاج إلى قرينة حال وعلم يصدق الحامد فيما حمد به نفسه فإنه قد يصف واصف نفسه بما ليس هو عليه، وكذلك حكمه إذا حمده غيره يتطرّق أيضاً إليه الاحتمال حتى يستكشف عن ذلك فينقص عن درجة الإبانة والتحقيق، والحمد الثالث حمد الحمد وما في المحامد أصدق منه فإنه عين قيام الصفة به، فلا محمود إلا من حمده الحمد لا من حمد نفسه ولا من حمده غيره، فإذا كان عين الصفة عين الموصوف عين الواصف كان الحمد عين الحامد والمحمود وليس إلا الله فهو عين حمده سواء أضيف ذلك الحمد إليه أو إلى غيره: [الطويل]

فـمـا ثَـمَّ إلا الله فـاحْـمـدْ تَـقُـلْ حَـقًّـا ولا تَعْتَبِرْ في الحَمْد كَوناً ولا خَلْقَا
ورَاقِـبْ ثَـنَـاءَ الـحَـقِّ في كـل لـفـظَـةٍ فـإن لـه فـي كـل مَـحْـمَـدَةٍ مَـرْقَـى
فـمـن نـالَ هـذا الـعِـلْـمَ نـال مـكـانـةً تُـنَـزِّلُـهُ من ربّـه الـمَـنْـزِلَ الـصِّـدْقَـا
وسـابِـقْ إلـى هـذا الـمـقـام بِـعَـزْمَـةٍ مع السابقات الغُرِّ في حَمْدِهِ سَبْقَا
ولا بُـدّ مـن تـقـسـيـم رَبِّـكَ خَـلْـقَـهُ فلا بُدَّ من أتْقَى ولا بُدّ من أشْقَى
وقـد جـاء فـي نَـصِّ الـكـتـاب مُـسَـطَّـراً بـلـيـل وأعـلـى فـاعـتـبـر ذلـك الـنُّـطْـقَـا
فـإن كـتـابَ الله يـنـطـقُ بـالـذي قَدْ أوْدَعَهُ الرحمٰنُ في خَلْقِهِ حَقًّا
وقد وَضَحَ العِلْمُ الجَلِيُّ لذي حِجًى فإن شئت أن تَرْدَى وإن شئت أن تَرْقَا

والحمد لله المنعم المفضل، والحمد لله على كل حال فعم وخص، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المحصي * حضرة الإحصاء

[نظم: الوافر]

إذا أحْـصَـيْـتَ أمْـرَكَ فـي كـتـابٍ ... تـكـن أنـت الـذي تُـحْـصَـى وتُـحْـصِي
وقـلـتَ لأمِّـنـا مـهـلاً عـلـيـنـا ... وقـلـت لأخْـتِـنَـا بـالله قُـصِّـي
إذا مـا جِـئْـتِ يـا نَـفْـسـي إلـيـه ... فـقـولـي مـا تَـشَـائـي لـه وقُـصِّـي
مَـضَـى عَـنّـي ولـم أشْـهَـدْ سـواهُ ... فـقـلـت لـهِـمَّـتـي بـالله قُـصِّـي
وخُـصِّـي مـن تَـعَـبَّـدَهُ هَـواهُ ... ولا تَـكْـتُـمْـهُ مـا تَـدْريـه خُـصِّـي

يدعى صاحبها عبد المحصي، وهي حضرة الإحاطة أو أختها لا بل هي أختها لا عينها، قال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] وقال في الكتاب: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩] وهذا مقام كاتب صاحب الديوان كاتب الحضرة الإلٰهية، وهذا الكاتب هو الإمام المبين قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] فالديوان الإلٰهي الوجودي رأسه العقل الأول وهو القلم. وأما الإمام فهو الكتاب وهو اللوح المحفوظ، ثم تنزل الكتبة مراتبها في الديوان بأقلامها لكل كاتب قلم وهو قوله ﷺ لما ذكر حديث الإسراء فقال: «**حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ**»، فالقلم الأعلى الذي بيد رأس الديوان لا محو فيه كل أمر فيه ثابت، وهو الذي يرفع إلى الحق، والذي بأيدي الكتبة فيه ما يمحو الله وفيه ما يثبت على قدر ما تأتي به إليهم رسل الله من عند الله من رأس الديوان من إثبات ما شاء ومحو ما شاء، ثم ينقل إلى الدفتر الأعلى فيقابل باللوح المحفوظ فلا يغادر حرفاً فيعلمون عند ذلك أن الله قد أحاط بكل شيء علماً، إلا أن الفرق بين الإحصاء والإحاطة أن الإحاطة عامة الحكم في الموجود والمعدوم وفي كل معلوم، والإحصاء لا يكون إلا في الموجود، فما هو شيئية أحاط بكل شيء علماً شيئية أحصى كل شيء عدداً، فشيئية الإحصاء تدخل في شيئية الإحاطة، فكل موجود محصى وهو موجود فهو محصى، إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة لأنها داخلة في الوجود لدلالتها على موجود وهي أمهات كالدرج للفلك، ثم إنه لكل عين من أعيان الممكنات اسم إلٰهي خاص ينظر إليه هو يعطيه وجهه الخاص الذي يمتاز به عن غيره، والممكنات غير متناهية فالأسماء غير متناهية لأنها تحدث النسب بحدوث الممكن فهي هذه الأسماء من الأسماء المحصاة، كالذي يحوي عليه درج الفلك من الدقائق والثواني والثوالث إلى ما لا يتناهى، فلا يدخل ذلك الإحصاء وتحكم عليه الإحاطة بأنه لا يدخله الإحصاء، فكل محصى محاط به وما كل محاط به محصى، وكل ما يدخله الأجل يدخله الإحصاء مثل قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣١] فالشغل الإلٰهي لا ينتهي فإنه عند فراغه بانتهاء حكم الدنيا شرع في الشغل بنا في الآخرة، وحكم الآخرة لا نهاية له لأنها إلى غير أجل، فشغله بنا لا يقبل الفراغ وإن كان شأنه في الدنيا الذي يفرغ منه إنما هو بنا لكونه خلق الأشياء من أجلنا وهو ما لا بد لنا منه ومن أجله، لأن كل شيء يسبح بحمده لا بل من أجله لا بل من

أجلنا، لما نحن عليه من الجمعية والصورة، فالتسبيحة منا تسبيح العالم كله، فما أوجد الأشياء إلا من أجلنا، فبنا وقع الاكتفاء والواحد منا يكفي في ذلك، وإنما كثرت أشخاص هذا النوع الإنساني وإن كانت محصاة فإنها متناهية لكون الأسماء الإلٰهية كثيرة، فكانت الكثرة فينا لكثرتها، فإن النبي ﷺ يقول في دعائه: «**اللّٰهُمَّ إنّي أسألُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ**» الحديث، فكانت الكثرة فينا لكثرتها وهو قوله مما يزيد على ما ذكر في سؤاله ﷺ فكثرت لكثرة الأسماء أشخاص هذا النوع المقصود، فإن الأشياء المخلوقة من أجله إن لم يستعملها فيما خلقت له وإلا تبقى مهملة، وما في قوّة واحد من هذا النوع استعمال الكل، فكثر أشخاصه ليعمّ الاستعمال للأشياء التي خلقها له ولا بد من خلقها، فالممكن لا ينتفع إلا بالممكن، والحق واسطة بين الممكنين: [منهوك البسيط]

فـمـا لـنـا شُـغْـلٌ إلا بِـهِ ... ومـا لـه شَـأْنٌ إلا بـنـا
فـكـلّ مـا قـلـنـاه فـهـو لـه ... وكـل مـا يَـقْـضـي فـهـو لـنـا

وقد نبهنا على ما لا بد منه مما يختص بهذه الحضرة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المبدىء * حضرة البدء

[نظم: البسيط]

لـمـا بـدأتُ بـأمْـرٍ لـسـت أبْـدِيـهِ ... عـلـمـتُ أنّي عَـيْـنُ الـبَـدْءِ مِـنْ فِـيـهِ
فـكـنـتُ أشـهـدُهُ فـي كـل نـازلـةٍ ... وكـان يَـشْـهَـدُنـي إذ كـنـت أُخْـفِـيـهِ
سـألـتُ مـن هـو عَـيْـني أن يَـمُـنَّ عـلـى ... قـلـبي بـه وعـسـى الرحـمٰـن يَـشْـفِـيـهِ
مـمـا بـه فـلـه نـفـسٌ تُـنَـازِعُـنـي ... فـيـه وقـلـت لـعَـلَّ الله يَـكْـفِـيـهِ
هَـمِّـي وإن لـه دَيْـنـاً وأسـألُـهُ ... يَـقْـضـيـه عـنّـي فـإنّـي لا أُوَفّـيـهِ

يدعى صاحبها عبد المبدىء، وما للأبد أولية تعقل إلا بالرتبة والوجود، فإن له الرتبة الثانية ما له في الأولى قدم، فإنها رتبة الواجب الوجود لنفسه، والرتبة الثانية رتبة الواجب الوجود بغيره وهو الممكن، فالمتقدم من المخلوقين والمتأخر سواء في الرتبة فإنهم في الرتبة الثانية، فإذا نسبت الثانية إلى الأولى عقلت الابتداء، والحضرة الأولى هي التي أظهرتها، فهو المبدىء لها بلا شك، ولا يزال حكم البدء في كل عين عين من أعين الممكنات، فلا يزال المبدىء مبدئاً دائماً لأنه يحفظ الوجود علينا بما يوجده فينا لبقاء وجودنا مما لا يصح لنا بقاء إلا به، فهو تعالى في حق كل ما يوجده دائماً مبدىء له، وذلك الموجود ندعوه بالمبدىء، فكل اسم إلٰهي يسمى بالمبدىء لما له من الحكم فيما أوجده المبدىء الأوّل، وسيأتي حكم الحضرة الأوّلية في اسمه الأول إن شاء الله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المعيد * حضرة الإعادة

[نظم: البسيط]

إنّ الإعـادةَ مِـثْـلُ الـبَـدْءِ فـي الـصُّـوَرِ ... ولـيـس يَـلْـحَـقُـهـا شـيءٌ مـن الـغِـيَـرِ

بذا تزيدُ على الأولى فإن لها وقايةً تتّقي المذكورَ بالضَّررِ
لولا الإعادةُ ما كنّا على طلبٍ عند القيام من الأجداث والحُفَرِ
لأن أسماءه الحُسْنَى تطالبُنا بما أُتينا به في صادق الخَبَرِ
وما أنا مَلَكٌ تَعْنُو الوجوه لنا عند الظهور من الأملاك والبَشَرِ

يدعى صاحبها عبد المعيد، فإنه تعالى يبدىء ويعيد فالبدء والإعادة حكمان له فإنه ما أعاد شيئاً بعد ذهابه إلا أنه في إيجاده الأمثال عاد إلى الإيجاد هو تعالى فهو معيد لا أنه يعيد عين ما ذهب فإنه لا يكون لأنه أوسع من ذلك، فهو المعيد للحال الذي كان يوصف به، فما من موجود يوجده الحق إلا وقد فرغ من إيجاده، ثم ينظر ذلك الموجود إلى الله تعالى قد عاد إلى إيجاد عين أخرى هكذا دائماً أبداً، فهو المبدىء المعيد، المبدىء لكل شيء والمعيد لشأنه كالوالي الحكم في أمر ما إذا انتهى عين ذلك الحكم في المحكوم عليه فقد فرغ منه بالنظر إليه وعاد هو إلى الحكم في أمر آخر فحكم الإعادة فيه فافهم، بخلاف حكم المبدىء فهو يبدىء كل شيء خلقاً ثم يعيده أي يرجع الحكم إليه بأنه يخلق وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي يعيد الخلق أي يفعل في العين التي يريد إيجادها ما فعل فيمن أوجدها وليس إلا الإيجاد، فإن الخلق يريد به المخلوق في موضع مثل قوله: هذا خلق الله ويريد به الفعل في موضع مثل قوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الكهف: ٥١] وهنا يريد به الفعل بلا شك لأنه ليس لمخلوق فعل أصلاً فما فيه حقيقة من ذاته يشهد بها فعل الله لأن المخلوق لا فعل له، ولا يشهد من الله إلا ما هو عليه في نفسه وقد يرد الخلق ويراد به المخلوق كما قررنا لا الفعل، فلهذا جعلنا قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧] أنه يريد به هنا الفعل لا المخلوق، فإن عين المخلوق ما زالت من الوجود وأعني به الذات القائمة بنفسها، وإنما انتقلت من الدنيا إلى البرزخ كما تنتقل من البرزخ إلى الحشر إلى الجنة أو إلى النار وهي هي من حيث جوهرها لا أنها عدمت ثم وجدت فتكون الإعادة في حقها، فهو انتقال من وجود إلى وجود، من مقام إلى مقام، من دار إلى دار، لأن النشأة التي نخلق عليها في الآخرة ما تشبه نشأة الدنيا إلا في اسم النشاء، فنشأة الآخرة ابتداء، فلو عادت هذه النشأة لعاد حكمها معها لأن حكم كل نشأة لعينها وحكمها لا يعود فلا تعود، والجوهر عينه لا غيره موجود من حين خلقه الله لم ينعدم، فإن الله يحفظ عليه وجوده بما يخلق فيه مما به بقاؤه، فالإعادة إنما هي في كون الحق يعود إلى الإيجاد بالنظر إلى حكم ما فرغ من إيجاده من هذا المخلوق ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فما ذكر الله أعاده إلا أنه لو شاء لفعل كما قال، ثم إذا شاء أنشره لكنه لم يشأ، فكلما فرغ ابتداء فعاد إلى حكم الابتداء، هذا حكم إلٰهي لا يزول، فحكم الإعادة ما خرج حكمها عن الحق فحكمها فيه لا في الخلق الذي هو المخلوق، فالعالم بعد وجوده ينتقل في أحوال جديدة يخلقها الله له، فلا يزال الحق يخلق ويعود إلى الخلق فيخلق لا إلٰه إلا هو على كل شيء قدير بالإيجاد.

المحيي * حضرة الإحياء

[نظم: المديد]

إنـمـا الـمُـحْـيِـي الـذي يُـحْـيِـي — مـثـل نَـشْـرِ الـثَّـوْبِ مِـنْ طَـيِّ
فـإذا مـا قـيـل لـي تُـحْـيِـي — قـلـت رَبِّـي الـذي يُـحْـيِـي
وهـو مـولايَ ومُـسْـتَـنَـدي — ومـزيـلُ الـرّشْـدِ بـالـغَـيِّ
وإذا مـا جِـئْـتُ أسـألُـه — زادنـي لـيًّـا إلـى لَـيِّ
لـسـت فـي خَـيْـرٍ وفـي دَعَـةٍ — كـلّـمـا دُعِـيـتُ بـالـشَّـيِّ

يدعى صاحبها عبد المحيي، وهو الذي يعطي الحياة لكل شيء، فما ثم إلا حيّ لأنه ما ثم إلا من يسبح الله بحمده ولا يسبحه إلا حي سواء كان ميتاً أو غير ميت فإنه حيّ لأن الحياة للأشياء فيض من حياة الحق عليها فهي حية في حال ثبوتها، ولولا حياتها ما سمعت قوله: ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠] بالكلام الذي يليق بجلاله فكانت، وإنما كان محيياً لكون حياة الأشياء من فيض اسم الحي كنور الشمس من الشمس المنبسط على الأماكن، ولم تغب الأشياء عنه لا في حال ثبوتها ولا في حال وجودها، فالحياة لها في الحالتين مستصحبة ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] فإن الإله لا يكون من الآفلين والحي من أسمائه تعالى وليس الموت من أسمائه فهو يحيي ويميت، وليس الموت بإزالة الحياة منه في نفس الأمر وعند أهل الكشف ولكن الموت عزل الوالي وتولية وال لأنه لا يمكن أن يبقى العالم بلا وال يحفظ عليه مصالحه لئلا يفسد، فاستناد الموت إذا كان عبارة عن الانتقال والعزل يستند إلى حقيقة إلٰهية، وليس إلا فراغ الحق من شيء إلى شيء آخر فما له فيما فرغ منه من حكم في ذلك الوجه المفروغ منه، وليس إلا إيجاد عينه خاصة، وما بقي الشغل وعدم الفراغ إلا في إيجاد ما به بقاؤه في الوجود، فإلى هذه الحقيقة الإلٰهية مستند الموت في العالم، ألا ترى إلى الميت يُسأل ويجيب إيماناً وكشفاً وأنت يا محجوب تحكم عليه في هذه الحال عيناً أنه ميت، وكذا جاء أن الميت يُسأل في قبره وما أزال عنه اسم الموت السؤال فإن الانتقال موجود فلولا أنه حي في حال موته ما سئل فليس الموت بضد للحياة إن عقلت.

المميت * حضرة الموت

[نظم: البسيط]

يُـمِـيـتُ بـالـجَـهْـلِ أقـوامـاً وإنّـهـم — بـالـمـال والـجَـاهِ عـنـد الـخَـلْـق أحْـيَـاءُ
أصـبـحـتُ ذا عِـلَّـةٍ كُـبْـرَى أمـوتُ بـهـا — كـيـف الـشـفـاءُ وقـد اسْـتَـحْـكَـمَ الـدَّاءُ
لـو كـان لـي غَـرضٌ فـي غـيـر سَـيِّـدِنـا — مـا كـان لـي مَـرَضٌ تَـبْـغِـيـهِ أدْواءُ
الله رَبِّـي لا أَبْـغـي بـه بَـدَلاً — ولا يُـنَـهْـنِـهُـنـي جُـودٌ وإلْـقَـاءُ

يدعى صاحبها عبد المميت، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [النساء:

١٨] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الحج: ٦٦] وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٤] وقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] وقال ﷺ في الطائفة التي تدخل النار من أمته: «فَيُمِيتُهُمُ الله فِيهَا إِمَاتَةً» والموت عبارة عن الانتقال من منزل الدنيا إلى منزل الآخرة ما هو عبارة عن إزالة الحياة منه في نفس الأمر وإنما الله أخذ بأبصارنا فلا ندرك حياته، وقد ورد النص في الشهداء في سبيل الله أنهم أحياء يرزقون، ونهينا أن نقول فيهم أموات فالميت عندنا ينتقل وحياته باقية عليه لا تزول وإنما يزول الوالي وهو الروح عن هذا الملك الذي وكله الله بتدبيره أيام ولايته عليه، والميت عندنا يعلم من نفسه أنه حي، وإنما تحكم عليه بأنه ليس بحي جهلاً منك ووقوفك مع بصرك ومع حكمك في حاله قبل اتصافه بالموت من حركة ونطق وتصرف، وقد أصبح متصرّفاً فيه لا متصرّفاً، وهو تنبيه من الله لنا أن الأمر كذا هو التصرف فيه للحق لا لك في حال دعواك التصرف ثم إنه على الحقيقة متصرف هذا الميت بالحال لا بالقول، فلو لا تصرفه فيك ما غسلته، ولا كفنته وإن كان الشارع هو الذي أمرك وشرع لك، فهذا أعظم من تصرفه فيك وهو تصرفه فيمن شرع لك هذا، فهذا قد تصرف في الأحياء وهم لا يشعرون، وتصرف فيك وأنت لا تشعر، وتخيلت أنه ما بقي له فيك حكم وحكمه بموته أعظم من حكمه فيك بحياته أعني بعدم موته، فالموت انتقال خاص على وجه مخصوص، فمن كونه انتقالاً يستند إلى حقيقة إلٰهية خاصة ولا تشك أن له حكماً في الآخرة في جهنم، فإن الله تعالى يميت قوماً في جهنم أصابتهم النار بذنوبهم إماتة ثم يحييهم الله وهذا قبل ذبح الموت، فإن الموت لا بد أن يؤتى به إذا بقي أهل النار في النار الذين هم أهلها وأهل الجنة في الجنة وتغلق الأبواب، يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، وهذا مما يقوي الدلالة على أن المآل إلى الرحمة في العباد، وذلك الوقت هو انتهاء مدة الآلام فيضجع بين الجنة والنار ويراه أهل الجنة وأهل النار فيعرفونه، أما أهل الجنة فينعمون برؤيته حيث كان السبب في بقاء سعادتهم التي لا زوال لها عنهم، وأما أهل النار فينعمون برؤيته رجاء تخليصهم بوجوده مما هم فيه ويخرجهم كما أخرجهم من الدنيا، ولا علم بأن مدة الشقاء قد قرب انقضاؤها، ثم يأتي يحيى عليه السلام وبيده الشفرة فيذبحه بمرآى من الفريقين، فأهل الجنات يحيون وأهل النار لا يموتون فيها ولا يحيون، كما يقال في النائم ما هو بميت ولا حي فنعيمهم نعيم النائم في النار، والله قد جعل النوم سباتاً والراحة من الرحمة ما هي من الغضب فهو أشقى ما دام يصلى النار الكبرى ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣]فجاء بثم بعد حكم كونه يصلي النار كالشاة المصلية، فبين كونه يصلي وبين كونه لا يموت ولا يحيى قدر ما نعطيه حقيقة، ثم في اللسان التي للعطف فينتقل الحكم عليه بذبح الموت فراحته راحة النائم، فلا يموت ولا يحيى أي لا تزول هذه الراحة له مستصحبة، فاعلم ذلك فالموت في الدنيا تحفة المؤمن وحسرة الكافر وذبحه في الآخرة تحفة الفريقين، يقول بعض الأعراب من بني ضبة: [الرجز]

نَـحْـنُ بَـنـي ضَـبَّـةَ إِذْ جَـدَّ الـوَهَـلْ ... الـمَـوْتُ أَحْـلَـى عِـنْـدَنـا مِـن الـعَـسَـلْ

نـحـن بَـنُـو الـمَـوْتِ إذا الـمَـوْتُ نَـزَلْ لا عـارَ بـالـمَـوْتِ إذا حُـمَّ الأجَـلْ

يقول: يلتذ بالموت تلذذ آكل العسل، وهذه الإشارة فيها غنية لمن نظر واستبصر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الحي * حضرة الحياة

[نظم: البسيط]

إنّ الـحَـيـاةَ حـيـاةُ الـقَـلْـبِ لا الـجَـسَـدِ كَـذَاكَ أنْـزَلَـهُ الـرحـمٰـنُ فـي خَـلَـدي
والـنـاس لـيـس لـهـم سِـوى جُـسُـومِـهِـمُ فـإنـهـا عِـنْـدَهُـمُ عَـلِـيَّـةُ الـسَّـنَـدِ
فـيـهـلـكـون ولا عَـقْـلٌ يَـصُـدُّهُـمُ عنها ولو أنهم في الواضح الـجَـدَدِ
ولـيـس فـيـهـم رَشِـيـدٌ فـي تَـصَـرُّفـه ومـا هُـمُ مـن يَـبِـيـعُ الـغَـيَّ بـالـرَّشَـدِ
إن الـغِـوَايـةَ أصْـلٌ عـنـدهـم ولـذا تَـرَاهُـمُ عـن وجـود الـحَـقّ فـي حَـيَـدِ

يدعى صاحبها عبد الحي، وهو نعت إلٰهي يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال عز وجل: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١] ولما كانت القيومية من لوازم الحي استصحبها في الذكر مع الحي فكل معلوم حي، فإن المعلوم هو الذي أعطى العلم به للعالم به، ولو كان العدم فإنه لا يعطى إلا من الحياة صفته ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] لأنهم لا يبصرون، فالحياة للحي كنور الشمس للشمس: [الرجز]

فـكـل مـن يَـشْـهَـدُهُ تُـنَـوِّرُهْ تَـنْـويـرُهـا إيّـاه مـا تُـصَـوِّرُهْ
فـيـه وحُـكْـمُ الأمْـر مـا تُـقَـرِّرُهْ تـعـطـي الـذي تـعـطـي ومـا تُـكَـرِّرُهْ
وأنـهـا مـن لُـطْـفِـهـا مـا تـشـعُـرُهْ بـأنـهـا هـي الـتـي تُـبَـصِّـرُهْ

كذلك الحي بذاته يحيى به كل من يراه وما يغيب عنه شيء فكل شيء به حي.

القيوم * حضرة القيومية

[نظم: الوافر]

إلـى الـقَـيُّـوم لا أَبْـغـي سـواهُ قَـطَـعْـتُ مَـفَـاوزاً فـيـه وآلا
عـسـى أَحْـظَـى بـجُـودِ مـا أراهُ يـزولُ بـنـا فـيـنـتـقـلُ انْـتِـقَـالاَ
إذا مـا أَمَّـتِ الأفْـكـارُ ذاتـي يُـوَرِّثُـهـا تَـفَـكُّـرُهـا خَـيَـالا
ويُـعْـقِـبُـهـا إذا تـمـشـي إلـيـه بـلا فِـكْـرٍ وِصَـالاً واتِّـصَـالاَ

يدعى صاحبها عبد القيوم ولما كانت القيومية من نعوت الحي استصحبته فما تذكر إلا وهي معه، فهي القيوم على كل نفس بما كسبت، فكل معلوم حي فكل معلوم قيوم أي له قيومية وكذلك هو فإنه لولا أنه قيوم ما أعطى العالم علمه وبعلمه أعطى العالم خلقه لأنه لا يعطيه إلا علمه فيه، وعلمه فيه إنما كان منه، فلا بد أن يظهر في وجوده بخلقه من غير زيادة ولا نقصان ولا يكون إلا كذا ولذا قال موسى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [طه: ٥٠] فأخبر

بإحاطة علمه ولم يكن ذلك لفرعون مع دعواه الربوبية فعلم فرعون ما قالاه وسكت وتبين له أنه الحق، لكن حب الرياسة منعه من الاعتراف: [الرمل]

الـذي قَـامَ بـنـا فـي كَـوْنِـنَـا ... يـا خَـلـيـلـي إنـمـا قـامَ بـنـا
فـإذا حَـقَّـقْـتَ مـا فُـهْـتُ بـه ... فـاحْـكُـم أنْ شِـئْـتَ عـلـيـنا أو لَـنَـا
مـا ثَـنَـى الـجُـودُ عـلـيـنـا جُـودَهُ ... بـسـوانَـا فـقُـلِ الـجُـودُ أنـا
مـا نَـعِـمْـنَـا بـسـوانـا فـانـظـروا ... فـي كـلامـي تَـجِـدُوهُ بَـيِّـنَـا

فسرت القيومية بذاتها في كل شيء ولهذا قال لنا: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فلولا سريان القيومية فينا ما أمرنا وكذلك فعلنا قمنا له وبة فمنا شاهدت ذلك عياناً كما شهدته إيماناً، وإنما تعجبت ممن يقول بأن القيومية لا يتخلق بها وأنها من خصائص الحق، والقيومية بالكون أحق لأنها سارية فيه، وبها ظهرت الأسماء الإلٰهية، فبها أقام الكون الحق أن يقيمه، ولولا ذلك ما ظهر للخلق عين ولا حكم الألف قيوم الحروف وليس بحرف فهو مظهرها وهو لا يشبهها، فامتداده لذاته لا يتناهى، وامتداد حكمه بإيجاد الحرف غير متناه لأن في طريقه منازل الحروف بالقوّة والاستعداد، فإذا انتهى إلى منزل ما من منازلها وقف عنده ليرى أي حرف هو فبرز الحرف فسمي ذلك المكان مخرج ذلك الحرف فيعلمه وهو الذي أحدثه فهو مثل قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] فلولا القيومية السارية في النفس ما ظهرت الحروف، ولولا القيومية الظاهرة في الحروف بحكمها ما ظهرت الكلمات بتأليفها، وإنما جئنا بهذا ضرب مثال محقق واقع لوجود الكائنات عن نفس الحق فاعلم ذلك، وقد تقدم ذكره في باب النفس من هذا الكتاب، واعلم أنه في ليلة تقييدي هذا الوجه أريت في النوم ورقة زنجارية اللون جاءت إلي من الحق مكتوبة ظهراً أو بطناً بخط خفي لا يظهر لكل أحد فقرأته في النوم لضوء القمر فكان فيه نظماً ونثراً، واستيقظت قبل أن أتم قراءته فما رأيت أعجب منه ولا أغمض من معاينة لا يكاد يفهم، فكان مما عقلت من نظمه ما أذكره وكان في حق غيري كذا قرّر لي في النوم، وذكر لي الشخص الذي كان في حقه فعرفته وكأني في أرض الحجاز في برية ينبوع بين مكة والمدينة: [الطويل]

إذا دَلَّ أمْـرُ الله فـي كـل حَـالَـةٍ ... على العِزَّةِ العُظْمَى فما ينفعُ الجَحْدُ
وجـاء كـتـابُ الله يُـخْـبِـرُ أنّـه ... مـن الله تـحـقـيـقـاً فـذلـكُـمُ الـقَـصْـدُ
ولله عَـيْـنُ الأمْـرِ مـن قَـبْـلُ إذ أتـى ... إلـيّ بـمـا يـجـريـه فـيـه ومـن بَـعْـدُ
فـسـبـحـان مـن حَـيِـيَ الـفُـؤادُ بـذِكْـرِهِ ... فـكـان لـه الـشـكـرُ الـمُـنَـزَّهُ والـحَـمْـدُ
إذا كـان عـبـدي هـكـذا كـنـتُ عَـيْـنَـهُ ... وإن لـم يـكـن فـالـعَـبْـدُ عَـبْـدُك يـا عَـبْـدُ

وأما النثر فأنسيته لما استيقظت إلا أني أعرف أنه كان توقيع من الحق لي بأمور أنتفع بها، هذا جل الأمر وهي في خاطري مصوّرة من أسباب الدنيا يتسع فيها رزق الله ويشكر الله تعالى من كان ذلك على يده ويثبته، والله على ما نقول وكيل.

حضرة الوجدان * وهي حضرة كن

[نظم: البسيط]

إنّ الوُجُودَ بجُودِ الحَقِّ مُرتَبِطُ ... وكُلُّنا فيه مسرورٌ ومُغْتَبِطُ
إن الذي تُوجِدُ الأعيانَ هِمَّتُهُ ... هو الوجودُ الذي بالجُودِ يَرْتَبِطُ
لو أن ما عنده عندي لقلتُ به ... لكنني مُفْلِسٌ لذاك نَشْتَرِطُ
كشَرْطِ موسى عليه حين أرْسَلَهُ ... إلى جَبابِرَةٍ من ربِّهم قَنِطُوا
فجاء من عندهم صِفْرَ اليَدَيْنِ وما ... خابَتْ مقاصِدُهُ لكنهم قَسَطُوا

يدعى صاحبها عبد الواجد بالجيم وهو الذي لا يعتاص عليه شيء وهو الغني بالأشياء، فإذا طلب أمراً ما ولم يكن ذلك المطلوب أي لم يحصل فيكون تعويقه من قبله فإنه لا يعتاص عليه شيء، مثاله طلب من أبي جهل أن يؤمن بأحدية الله وبرسوله وبما جاء من عنده فلم يجبه إلى ما طلبه منه، فالظاهر من إبايته أنه ليس بواجد لما طلب منه، والمنع إنما كان منه إذ لم يعطه التوفيق ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩] فهو الواجد بكن إذا تعلقت الإرادة بكونه فما يعتاص عليه شيء يقول له كن، فلو قال للإيمان كن في محل أبي جهل وغيره ممن لم يؤمن وخاطبه بالإيمان لكان الإيمان في محل المخاطب أبي جهل وغيره، فكونه واجداً إنما هو بكن وما عدا كن فما هو من حضرة الوجدان، وكذلك عرضه عز وجلّ الأمانة على السموات والأرض والجبال أن يحملنها فأبين أن يحملنها من أجل الذم الذي كان من الله لمن حملها، وهو أن الله وصف حاملها بالظلم والجهل ببنية المبالغة فإن حاملها ظلوم لنفسه جهول بقدر الأمانة، وإذا تحقق العبد بهذه الحضرة لم يعتص عليه شيء من الممكنات وتحققه أن يكون الحق لسانه ليس غير ذلك فلا يريد شيئاً إلا كان فهو واجد لكل شيء، وكل من هذه حالته ووقع له توقف فيما يريد تكوينه ووجوده فقد اعتاص عليه فحاله فيه الحال الذي قال الله فيمن سبق في علمه أنه لا يؤمن بالله أن يؤمن بالله فهو وإن نطق بالله فهو مثل نطق الحق بالعبد كقوله: إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده. وقوله: إن الله عند لسان كل قائل في بعض محتملاته، فإذا قال الله على لسان من شاء من عباده وأمر فقد يقع المأمور به من المأمور وقد لا يقع، وإذا قال للمأمور به كن فإنه يقع ولا بد: [الطويل]

إذا قُلْتَ قال الله فالقَوْلُ صادقٌ ... وإن قُلْتَ قال الناسُ فالقَوْلُ للنَّاسِ
فلا تَدَّعي في القول أنك قائلٌ ... وكُنْ حاضراً بالله في صورة النَّاسِي
فإنك لا تَدْري بمن أنت قائلٌ ... وليس على من قال بالله من بَاسِ

فظهر القصور بالنيابة وهي الشركة، كذلك القائل بالحق إلا آمر به قد يقع المأمور به وقد لا يقع والحضرة واحدة، فإذا قال العبد المطاع بغير الحق فذلك يقع ولا بد لأنه مخلص للتوحيد وأنه لا يقول إذا قال أو يأمر إذا أمر من غير أن يقول بحق أو يأمر بحق إلا من حقيقته الذي هو عليها من كونه كان أصلاً في كون العالم به عالماً، فإذا أثر بذاته في العالم العلم ويكون العالم به يتنوّع في التعلق به لتنوّعه لنفسه فإنه لا يعتاص عليه شيء، فلو كان من

أحواله وقوع ذلك المأمور به لوقع كما وقع النطق به، فإنه لا ينطق من حيث ذاته إلا بما هو عليه، وصورة هذه المسألة وتحقيقها كقول الحق على لسان العبد افعل فيقع أو لا يقع، وذلك أن العبد من المحال أن ينطق من حيث نفسه نطق لسان ظاهر أو باطن، وإنما ينطق بالله كل ناطق فإن الله هو المنطق كما قالت الجلود: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] ناطق فيعطي الممكن بما هو عليه العلم لله، والتكوين في غير الله لا يكون إلا لله لا لغيره، والنطق من العبد والهم تكوين من الله فيه فلم ينطق ولم يهم إلا بالله فلا يتوحد به الممكن، وإذا أمر الله بتكوين على لسان عبده فقد يقع وقد لا يقع فلا ينطق العبد إلا بالاشتراك، فلهذا قد يقع وقد لا يقع ما يأمر به أو يريده، وكونه لو نطق به العبد بغير اشتراك لوقع إنما هو كقوله: ﴿لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ١٦] فجاء بحرف لو. وكذلك لو نطق العبد بنفسه وهو لا ينطق بنفسه وإنما ينطق بربه فالنطق للرب، وإذا كان النطق للرب على لسان العبد فقد يكون الأثر والتكوين عن ذلك القول وقد لا يكون فتدبر هذا الكلام فإنه يتداخل ويتفلت من الذهن إن لم تتصوّر الأصل تصوّراً محكماً لا يزال بين عينيك، واختصاره أن العبد لا ينطق أبداً إلا بالله، وأن الله إذا نطق على لسان العبد بالأمر فإنه لا يلزم وقوع ذلك المطلوب ولا بد، وإذا انفرد الحق دون العبد بالتكوين فإنه يقع، ولا بد والعبد لا ينفرد أبداً إلا بالتقدير وهو أن يقول فيه لو كما يقول في مشيئته الحق لو شاء وما شاء.

واعلم أن كل طالب إنما يطلب ما ليس عنده، فإن الحاصل لا يبتغى والحق لا يطلب من الممكن إلا تكوينه، وتكوينه ليس عنده، فإن الممكن في حال عدمه ليس بمكوّن، فالتكوين ليس بكائن في العين الثابتة الذي هو الشيء، فإذا أراده الحق قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فأراد الحق حصول التكوين في ذلك الشيء لأنه ليس الكون عند ذلك الشيء، فما أراد الكون لنفسه وإنما أراده للشيء الذي ليس عنده، فإنه تعالى موجود لنفسه فهو يريد الأشياء للأشياء لا لنفسه فإنها عنده، فإنه ما من شيء إلا عنده خزائنه، ولا تكون خزائن إلا بما يختزن فيها فالأشياء عنده مختزنة في حال ثبوتها، فإذا أراد تكوينها لها أنزلها من تلك الخزائن وأمرها أن تكون فتكتسي حلة الوجود فيظهر عينها لعينها ولم تزل ظاهرة لله في علمه أو لعلمه بها، فمن هنا يتحقق أن الله يطلب ما ليس عند الطالب وهو تكوين ما ليس بكائن في الحال، فهذا تحقيق الواجد بالجيم قال الراجز: أنشد والباغي بحب الوجدان. والوجود المطلوب بالذكر عند الطائفة الذي يكون عن الوجد من هذا الباب وهو ما يجده أهل الوجد في نفوسهم في حال وجدهم من العلم بالله.

الواحد الأحد * حضرة التوحيد

[نظم: البسيط]

وَحِّــدْ إلٰــهـكَ فـــالأفــعـــالُ لله ... ولا تَـكُـنْ فـيـه بـالسَّـاهـي ولا الـلاّهـي

واَحْذَرْ من الشِّرْكِ إن الشِّرْكَ مَنْقَصَةٌ ... يُـرْدِيـكَ سـلـطـانُـهـا فـإنّـهـا مـا هِـيْ

سوى الذي نعقله شيءٌ لا وُجُودَ لـه ... واثْبُتْ فبَيْتُك لا مُلْغَى ولا وَاهِ
لكنّ له لذّةً كُبْرى تَعُنُّ لها ... أعضاؤنا كلها كلَذَّة الباهِ
الله يعلم أنّي في الذي ذَكَرتْ ... أبياتُنا صادقٌ والله والله

يدعى صاحبه عبد الواحد بالحاء المهملة إذا أراد الاسم، وإذا أراد الصفة يقال له عبد الأحد. وأما الوحدانية فهي قيام الأحدية به أعني بالواحد فما هي الأحدية ولا الواحد كالجسماني ما هو الجسم، وإنما هو ما لا تظهر له عين إلا بقيامه بالجسم أو الجوهر وهو ما يقوم به من الصفات التي محلها الأجسام، وكذلك الروح والروحاني، فالوحدانية نسبة محققة بين الأحدية والواحد، وكون الشيء يسمى واحداً، قد يكون لعين ذاته فلا يكون مركباً وهو الشيء فإن تركب فليس بشيء وربما هو شيئان أو ما بلغ به التركيب حتى يكون أشياء، ومع هذا يقال فيه شيء من حيث أحدية المجموع والتركيب لا من حيث أحدية كل شيء في هذا المجموع، وقد يكون واحد العين مرتبته فإن الله واحد في ألوهيته فهو واحد المرتبة، ولهذا أمرنا أن نعلم أنه لا إلٰه إلا هو وما تعرض للذات جملة واحدة فإن أحدية الذات تعقل، ولكن هل في الوجود من هو واحد من جميع الوجوه أم لا؟ في ذلك وقفة، فإن الأحدية لكل شيء قديماً وحديثاً معقولة بلا شك لا يمتري فيها من له مسكة عقل ونظر صحيح، ثم إذا نظرت في هذا الواحد لا بد وأن تحكم عليه بنسبة ما أدناها الرتبة فإنه لا يخلو عن رتبة يكون عليها في الوجود، فإما أن يكون مؤثراً اسم فاعل أو مؤثراً فيه اسم مفعول أو المجموع أو لا واحداً منهما، فالمؤثر هو الفاعل والمؤثر فيه هو محل الانفعال فما في الوجود إلا المجموع، وما وقع من التقسيم العقلي إلا المجموع، فما ثم مستقل بالتأثير فإن القابل للأثر له أثر بالقبول في نفسه كما للقادر على التأثير فيه، ومن حيث إن المنفعل يطلب أن يفعل فيه ما هو طالب له ففعل المطلوب منه ما طلبه هذا الممكن فهو تأثير الممكن في الواجب الفاعل فإنه جعله أن يفعل ففعل كما قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦] فالسؤال والدعاء أثر الإجابة في المجيب، وإن لم يحدث في نفسه شيء لأنه ليس محلاً للحوادث، وإنما هذا الذي نثبته إنما هو أعيان النسب، وهذا الذي عبر عنه الشرع بالأسماء، فما من اسم إلا وله معنى ليس للآخر وذلك المعنى منسوب إلى ذات الحق وهو المسمى صفة عند أهل الكلام من النظار وهو المسمى نسبة عند المحققين، فما في الوجود واحد من جميع الوجود وما في الوجوه إلا واحد وأحد لا بد من ذلك، ثم تكون النسب بين الواحد والأحد بحسب معقولية تلك النسبة، فإن النسب متميزة بعضها عن بعض، أين الإرادة من القدرة من الكلام من الحياة من العلم؟ فاسم العليم يعطي ما لا يعطي القدير، والحكيم يعطي ما لا يعطي غيره من الأسماء، فاجعل ذلك كله نسباً أو اسماً أو صفات، والأولى أن تكون اسماً ولا بد لأن الشرع الإلٰهي ما ورد في حق الحق بالصفات ولا بالنسب وإنما ورد بالأسماء فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]وليست سوى هذه النسب وهل لها أعيان وجودية أم لا؟ ففيه خلاف بين أهل النظر، وأما عندنا فما فيها خلاف أنها نسب واسماً على حقائق معقولة غير وجودية، فالذات غير متكثرة

بها لأن الشيء لا يتكثر إلا بالأعيان الوجودية لا بالأحكام والإضافات والنسب، فما من شيء معلوم إلا وله أحدية بها يقال فيه أنه واحد، وأما قول أبي العتاهية: [السريع]

وفي كُلِّ شيءٍ له آيَةٌ ... تَدُلُّ على أنه واحدُ

فموجه مع التعري عن القرائن إلى أمور منها أن يكون الضمير في له، وفي أنه يعودان على الشيء المذكور فكأنه يقول وفي كل شيء آية لذلك الشيء أنه يدل على أن ذلك الشيء واحد في نفسه وليس كذلك إلا عينه خاصة، وقد يكون الضمير يعود على الله في له وفي أنه أي فيه دلالة على أن الذي أوجده واحد لا شريك له في إيجاد هذا الشيء وهو مقصود الشاعر بلا شك، وما هي تلك العلامة والدلالة؟ ومن هو العالم الذي تعطيه هذه الدلالة توحيد الموجد؟ فاعلم أن الدلالة هي أحدية كل عين سواء كانت أحدية الواحد أو أحدية الكثرة، فأحدية كل عين ممكنة تدل على أحدية عين الحق مع كثرة أسمائه، ودلالة كل اسم على معنى يغاير مدلول الآخر، فيحصل من هذا أحدية الحق في عينه وأحدية الكثرة من أسمائه، فكل شيء في الوجود قد دل على أن الحق واحد في أسمائه وفي ذاته فاعلم ذلك: [الطويل]

فما ثَمَّ تَوْحِيدٌ ولا ثَمَّ كَثْرَةٌ ... على غير ما قلناه فانْظُرْ تَرَ الحَقَّا

وقل بعد هذا ما تشاءُ وتَرْتضي ... وثَبِّتْ له الجَمْعَ المُحَقَّقَ والفَرْقَا

فما الأمر إلا بين خَلْقٍ وخالق ... فقل إن تشأ حَقّاً وقل إن تشأ خَلْقَا

الصمد * حضرة الصمدية

[نظم: البسيط]

ألجأتُ ظَهْري إلى رُكْني ومُسْتَنَدي ... إلى المُهَيْمِنِ رَبِّ الناس والصَّمَدِ

وقلت يا مُنْتَهَى الآمال أجمعها ... لك التَّحَكُّمُ في الأدْنَى وفي البَعَدِ

إني تلوتُ كتاباً فيه عَرَّفَني ... بأنني إن أمُتْ فيه فليس يدي

لو أن ما قَبَضَتْ كَفّي عليه لها ... مُلْكٌ لما نظرتْ عيني إلى أحَدِ

وكنت وارثَ علمٍ لا تُزايِلُني ... أحكامُه من علوم الكشف والرَّصَدِ

يدعى صاحبها عبدَ الصمد، هذه الحضرة استوفينا أكثر تفاصيلها في كتاب مواقع النجوم لنا في عضو القلب منه في التجلي الصمداني، فلنذكر في هذا الكتاب ما يليق به إن شاء الله فنقول: إن هذه الحضرة هي حضرة الالتجاء والاستناد التي لجأ إليها واستند كل فقير إلى أمر ما لعلمه أن ذلك الأمر الذي افتقر إليه في هذه الحضرة فغناها إنما هو بهذه الأمور الذي افتقر إليها بسببها، وهل لها الغنى النفسي الذي لقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] أم لا؟ فذلك لا يحتاج إليه في هذا الموضع، والذي تمس الحاجة إليه في هذه الحضرة معرفة كون هذه الأمور التي يفتقر الفقراء إليها بسببها هل لها وجود في خزائن عندها كما جاء: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١] فهي عين هذه الحضرة لا غير، إذا حققت الأمر فالحق من حيث إنه ما من شيء إلا عنده خزائنه هو الصمد، ولكن ليست

الخزائن إلا المعلومات الثابتة فإنها عنده ثابتة يعلمها ويراها ويرى ما فيها فيخرج منها ما شاء ويبقي ما شاء وهي مع كونها في خزائن فيتخيل فيها الحصر والتناهي وإنما هي غير متناهية، فأفقر الفقراء تلك الأشياء المختزنة فإنها تطلب الخروج من تلك الخزائن إلى الوجود حتى تراه ذوقاً بعينها، فإن الذي وجد منها ألقى فيه افتقار ما لم يوجد منها فافتقر نيابة عن الذي لم يوجد إلى الله أن يوجده لعين افتقاره فيه، فهو كالمعين لذلك المختزن في افتقاره إلى الوجود وهو ما يجده الإنسان في نفسه من الطلب لأمر ليس عنده ليكون عنده مما هو في تلك الخزائن.

واعلم أن الخزائن التي عند الحق على نوعين: نوع منها خزائن وجودية لمختزنات موجودة كشيء يكون عند زيد من جارية أو غلام أو فرس أو ثوب أو دار أو أي شيء كان فزيد خزانته وذلك الشيء هو المختزن وهما عند الله، فإن الأشياء كلها بيد الله فيفتقر عمرو إلى الله تعالى في ذلك الذي عند زيد أن يكون عنده كان ما كان فليلقي الله في قلب زيد أن يهب ذلك الشيء أو يبيعه أو يزهد فيه ويكرهه فيعطيه عمراً، فمثل هذا من خزائن الحق التي عنده، والعالم على هذا كله خزائن بعضه لبعضه وهو عين المختزن، والعالم خزانة مخزون وانتقال مختزن من خزانة إلى خزانة، فما أنزل منه شيء إلى غير خزانة فكله مخزون عنده فهو خزانته على الحقيقة التي لا يخرج شيء عنها، وما عدا الحق فإن المختزن يخرج عنها إلى خزانة أخرى، فالافتقار للخزائن من الخزائن إلى الخزائن والكل بيد الله وعنده، فهو الصمد الذي يلجأ إليه في الأمور ويعول عليه، وبهذه الحضرة يتعلق المتوكلون في حال توكلهم على ما توكلوا عليه، فمنهم المتوكل على الله، ومنهم المتوكل على الأسباب، غير أن الأسباب قد تخون من اعتمد عليها ولجأ إليها في أوقات، والحق تعالى لا يسلم من توكل عليه وفوّض أمره إليه: [مجزوء الرجز]

فكُلُّ كَوْنٍ صَمَدُ ... وكل عَيْنٍ أَحَدُ
مُنَكَّرٌ مُعَرَّفٌ ... فكله مُسْتَنِدُ
والحقُّ في قلوبنا ... مختزنٌ مُتَّحِدُ
يحكُمُ بالتأبيد في ... اختزانه الأَبَدُ
وما له من مُدَّةٍ ... يجمع فيها المُدَدُ
ومن وجودي كان لي ... إذا عَقِلْتَ المَدَدُ

وإذا علمت أن الخزائن عنده وأنت الخزائن فأنت عنده وقد وسعه قلبك فهو عندك وأنت عنده فأنت عندك، فلك من الصمدية قسط لأنه لا تكون المعرفة بالله الحادثة إلاَّ بك فيصمد إليك فيها إذ لا تظهر إلا بك، فأنت الصمد فيما لا يظهر إلا بك، ومن هذه الحضرة حصلت لك ولمن حصلت هذه المرتبة ولكن قف عند نهي ربك وتدبره لما قال لك على لسان رسوله في الشيء الذي تستتر به عند الصلاة في قبلتك أن تميل به نحو اليمين أو الشمال قليلاً ولا تصمد إليه صمداً، فهذا من الغيرة الإلٰهية أن يصمد إلى غيره صمداً، وفيه إثبات

للصمدية في الكون بوجه ما فذلك القدر الذي أشار إليه الشارع يكون حظ المؤمن من الصمدية، والجاهل يصمد إلى الأسباب صمداً ويجعل حكم الميل إلى اليمين والشمال لصمدية الحق عكس القضية، وإنما شرع النبي ﷺ في السترة الميل إلى اليمين أو الشمال ينبه على السبب القويّ باليمين وعلى السبب الضعيف بالشمال الخارج، فالخارج عن الله بالكلية هو صاحب اليمين، والذي لاح له بارقة من الحق ضعف اعتماده على السبب فجعله من الجانب الأضعف إذ لا بد من إثبات السبب ولا يصمد إلا إلى الله صمداً، فاعلم ذلك فقد نبهتك ونصحتك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

القادر القدير المقتدر * حضرة الاقتدار

[نظم: الرجز]

لـو أن مـن عـرَّفـنـي مِـقْـداري ... يـبـدو لـنـا مـا كـنـت بـالـمِـكْـثَـارِ
إنّ اقْـتِـدَاري فـي كَـيَـانِ الـبـاري ... أعـظـم عـنـدي مـن دُخُـول الـنَّـارِ
ولـو أتـى بـالـعَـسْـكـر الـجـرّارِ ... أتَـيْـتُـه بـه وبـالأبْـرارِ
فِـي عُـصْـبَـةٍ وسَـادَةٍ أخْـيَـارِ ... مـعـصـومـةٍ مـحـفـوظـةِ الآثـارِ
يَـمِـيـزُنـي عـنـد دخـول الـدارِ ... عـن الـعَـبـيـد الـصُّـمّ والأحْـرارِ

يدعى صاحبها عبد القادر وعبد القدير وعبد المقتدر. قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] وقال: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠] وقال: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] هذه الحضرة ما لها أثر سوى إعطاء الوجود لكل عين يريد الحق وجودها من الممكنات فيقول لها كن، وأخفى الاقتدار بقوله كن وجعله ستراً على الاقتدار فكان الممكن عن الاقتدار الإلٰهي من حيث لا يعلم الممكن وسارع إلى التكوّن فكان فظهر منه عند نفسه السمع والطاعة لمن قال له: ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠] فاكتسب الثناء من الله بالامتثال، فأوّل أمر كان من الممكن السمع والطاعة لله في تكوينه، فكل معصية تظهر منه فإنما هي عرض يعرض له وأصله السمع والطاعة كالغضب الذي يعرض والسبق للرحمة فإن لها السبق وللطاعة من الممكن السبق والنهاية، والخاتمة أبداً لها حكم السابقة والسبق للرحمة فلا بد من المال إلى الرحمة في كل ممكن عرض له الشقاء لأنه بالأصل طائع، وكذلك كل مولود إنما يولد على الفطرة والفطرة الإقرار لله تعالى بالعبودة فهي طاعة على طاعة، ولما لم يكن للممكن اقتدار أصلاً وإنما له القبول لم يكن فيه حقيقة يطلع بها على اقتدار الله عليه في تعلقه بإخراجه من حالة العدم إلى حالة الوجود لأنه لا فاعل إلا الله، والأشياء لا تشهد الله إلا من نفوسها ومما هي عليه وما هي على شيء من الاقتدار عند بعض النظار، فلا يمكن أن تشهد صدورها إلى الوجود كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] يريد حالة الإيجاد فليس للممكن اقتدار بوجه من الوجوه عند بعضهم كما قدمنا، فلهذا قلنا أخفى عز وجل اقتداره

وجاء بالقول بصيغة الأمر ليتصف الممكن بالسمع والطاعة، فلا تزال عين الحق تنظر إليه بالرحمة وتراعي منه هذا الأصل مع أن القول لا حكم له في المعدوم ولا سيما فيمن ليس له اقتدار بالأصالة فكيف يكون فأشبه صورة التكليف والفعل لله. ولما كان الممكن بحكم الأصل سامعاً مطيعاً للأمر بقي فيه سرّ امتثال الأمر، فإذا جاء الإنسان أمر الشيطان في لمته بالمخالفة، وما يقول له في أمره خالف وإنما يأمره أن يفعل ما تقدمه من الله النهي عنه، أو ينهاه عن وقوع ما تقدم له من الله الأمر بفعله فيغفل عما تقدمه من الله في ذلك، فيبادر لما أمره الشيطان به لأن حقيقته كما قلنا فطرت في أصل التكوين على الامتثال، كما أيضاً يقبل أمر الملك في الطاعة أو في مكارم الأخلاق. وأما حالته في التردد في الفعل أو الترك بين اللمتين فهو في ذلك الوقت تحت حكم التردد الإلٰهي الذي نسبه إلى نفسه وأنه مجلى الحق في حين تردّد كل متردّد في العالم فذلك عينه تردّد الحق حتى ينفذ ما شاء الله أن ينفذ من ذلك فيظهر حكمه في ذلك الفعل إما بالطاعة أو بالمعصية كما يريد العبد ويطلب من الله أمراً ما فلا يعطيه ويخالفه فيه، فهذه بتلك لتصح النسخة فإن من تمامها مقابلة الخلاف والوفاق فلو أجاب الحق كل ما يطلبه العبد منه لأجابه العبد في كل ما طلبه الحق منه، ولو أجاب العبد ربه في كل ما أمره به ونهاه لأجاب الحق عبده في كل خاطر يخطر له في تكون أمر، فلما لم يكن الأمر إلا هكذا وهو على الصورة فلا بد أن تقع المخالفة والموافقة من الجانبين، فما ظهر العبد في خلافه أمر الحق إلا بخلاف الحق ما دعاه فيه العبد فصحت المقابلة بين النسختين فصح الكتاب بالأم حيث ظهر بصورتها، ولو لم يكن كذلك لكان خطأ والصواب أولى، فوجود الخلاف من الممكن أصح في النسخة، ولا يثبت في الأم إلا ما هو حق، فالخلاف حق حيث كان، فانظر إلى هذا السرّ ما أعجبه وما أخفاه والله على كل شيء قدير، فالمقتدر حكمه حكم آخر ما هو حكم القادر، فالاقتدار حكم القادر في ظهور الأشياء بأيدي الأسباب، والأسباب هي المتصفة بكسب القدرة فهي مقتدرة أي متعملة في الاقتدار وليس إلا الحق تعالى، فهو المقتدر على كل ما يوجده عند سبب أو بسبب كيف شئت قل وهو قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ﴾ وما لا يوجده بسبب هو قوله والأمر ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ولهذا اصطلح أهل الله على ما قالوه من عالم الخلق والأمر، يريدون بعالم الخلق ما أوجده الله على أيدي الأسباب وهو قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ [يس: ٧١] وليست سوى أيدي الأسباب، فهذه إضافة تشريف لا بل تحقيق وعالم الأمر ما لم يوجد عند سبب، فالله القادر من حيث الأمر ومقتدر من حيث الخلق فهذا تفصيله، يقال: ضرب الأمير اللص وقطع الأمير يد السارق، وإنما وقع القطع من يد بعض الوزعة والأمر بالقطع من الأمير فنسب القطع إلى الأمير فهذا هو المقتدر، فإذا باشره بالضرب فهو القادر إذا لم تكن ثم آلة تقطع يده بها من حديدة أو غيرها فالله يخلق بالآلة فهو مقتدر، ويخلق بغير الآلة فهو قادر، فالقدرة أخفى من الاقتدار، على أن الاقتدار حالة القادر مثل التسمية حالة المسمي اسم فاعل فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المقدم * حضرة التقديم

[نظم : البسيط]

أنـا الـمُـقَـدِّمُ عـن عِـلْـم ومـعـرفـة بـمـن أُقَـدِّمُـهُ والله يَـغْـفِـرُ لـي
لـو أن مـا مَـلَـكَـتْ كَـفِّـي يَـكـون لـهـا مـلـكـاً لـمـا انْبَسَطَتْ يـداي فـي الـدُّوَلِ
عَـبْـد الـمُـقَـدّم أدْعُـوهُ ويـعـرفُـنـي إذا دعـوتُ بـه ولـيـس يَـظْـهَـرُ لـي
ولـسـت أفْـقِـدُهُ إذا يُـسـارِقُـنـي بـطَـرْفِـهِ وهـو لـي مـن أعْـظَـم الـحِـيَـلِ
الله سَـخَّـرَهُ فـيـمـا أُصَـرِّفُـهُ ولـسـت أُصَـرِّفُـهُ عـن رؤيـة الـجَـبَـلِ

يدعى صاحبها عبد المقدم من هذه الحضرة يثبت بالدليل ثبوت المرجح وهو الله، وذلك أن الممكنات بالنسبة إلى الايجاد، أو نسبة الايجاد إليها على السواء على كل واحد واحد منها، فإذا تقدّم أحد الممكنات على غيره بالوجود مع التسوية في النسبة دل أنه مرجح لأمر ما ليس لنفسه، فعلمنا أنه لا بد من مرجح وهو المقدم له على غيره من الممكنات، وهذا أشدّ في الدلالة من دلالة الأشعري بالزمان على هذا المطلوب فإنه يقول: ما من ممكن يوجد في زمان إلا ويجوز إيجاده قبل ذلك الزمان أو بعده، فما تكلم إلا فيما يدخل تحت حكم الزمان، والزمان عنده أيضاً موجود ولا يوجد في زمان فيخرج الزمان عن حكم هذه الدلالة. والذي ذهبنا إليه يدخل في حكمه كل ممكن من زمان وغير زمان مما له وجود فهو أتم في الدلالة. ثم إن الله تعالى بعد إبراز ما أبرزه من العالم عين للعالم مراتب وتلك المراتب نسبة كل من يقتضي حقيقته البروز بها والإنزال فيها نسبة واحدة، فإذا نالها شخص واحد من الأشخاص أشخاص هذا النوع وتقدم إليها وبها فإن الذي قدمه هو المقدم كالخلافة في النوع الإنساني ما من إنسان إلا وهو قابل لها فيقدم الحق من شاء فيها دون غيره فيتأخر الغير عنها في ذلك الزمان بلا شك، وكذلك في النبوّة والرسالة والأمارة وجميع المراتب على هذا الحد تجري، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المؤخر * حضرة التأخر

[نظم : الكامل]

أنـت الـمُـؤَخِّـرُ مـن تـشـاءُ لـحِـكْـمَـةٍ مـجـهـولـةٍ عـنـدي لـذاك تُـؤَخِّـرُهْ
لـو كـان أهْـلاً لـلـتـقـدُّم لـم تـكـن تُـبْـدِيـهِ وقـتـاً ثـم وقـتـاً تَـسْـتُـرُهْ
الله يـعـلـم أنـنـي مـن غـيـرة قـامـت بـنـا لا أسـتـطـيـع فـأَذْكُـرُهْ
لـو كـان لـلـكـون الـغـريـب مَـزِيَّـةٌ عـنـدي لـقُـمْـتُ بـشُـكْـرِهِ لا أكْـفُـرُهْ
لـكـنـه أخْـفـاه عـن أبـصـارنـا نُـورٌ لـه مـن قـام فـيـه يَـبْـهَـرُهْ

يدعى صاحبها عبد المؤخر، فإذا راعى الحق تأخر عبد ما عن بعض المراتب، فمن هذه الحضرة فيتقدم غيره فيها ولا يتقدم فيها هذا المؤخر عنها البتة، ثم إن هذا المقصود

بالتأخر إذا تعين أنه لا حكم له في التقدم فيها بقي من بقي فيقدم الحق فيها من شاء من الباقين فيكون بتقديمه إياه فيه مقدماً. ويتأخر من تأخر من الباقين بالتضمين لا بحكم القصد، فلا يكون مؤخراً إلا بالقصد ولا مقدماً إلا بالقصد، وكل من ما جاء من ذلك بحكم التضمين فما هو من هذه الحضرة من هذا الوجه، وهو منها من هذا الوجه الآخر الذي له التأخر لا بالحكم. فاجتمع المقصود مع غير المقصود في نفس التأخر والتقدم، فلهذا جاء المقدم والمؤخر في الأسماء الحسنى مزدوجاً.

الأول * حضرة الأولية

[نظم: الكامل]

سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ العِبَادَ لِذِكْرِهِ ... يوم العَرُوبَةِ فاصْطَفَاه الأوّلُ

خَتَمَ الإلٰهُ به وُجُودَ عِبَادِهِ ... شَرْعاً وعَقْلاً سادتي فتأوّلُوا

ما قلته فلقد أتيتُ بحِكْمَةٍ ... غرّاً جلاها المقام الأنْزَلُ

لما تَوَاضَعَ عن علوّ مكانه ... في ذاته أخفاه عنّا الأسْفَلُ

فهو المُهَيْمِنُ لا أشكّ وإنّه ... لهو الجَوَادُ على العباد المُفْضِلُ

يدعى صاحبها عبد الأوّل ويكنى غالباً أبو الوقت، لما حصل في النفوس من تقدم الزمان المسمى دهراً، الذي تفصله الأوقات، فكانت كنية عبد الأوّل أبا الوقت كما كانت كنية آدم أبو البشر، فالأوّل للأوقات أب لها كآدم لسائر الناس، فالحضرة الأولية بها ظهر كل أوّل من أشخاص كل نوع كآدم في نوع الإنسان وكجنة عدن من الجنات، وكالعقل الأوّل من الأرواح، وكالعرش من الأجسام، وكالماء من الأركان، وكالشكل المستدير من الأشكال، ثم ينزل الأمر إلى جزئيات العالم فيقال أوّل من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، وأوّل من رمى بسهم في سبيل الله سعد بن أبي وقاص، وأوّل شعر قيل في العالم الإنساني: [الوافر]

تَغَيَّرَتِ البلادُ ومَنْ عَلَيها ... فوَجْهُ الأرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيح

ويعزى هذا الشعر لآدم عليه السلام لما قتل قابيل أخاه هابيل فقال عليه السلام: «**مَا مِنْ قَتِيلٍ يُقْتَلُ ظُلْماً إلاّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ كِفْلٌ مِنَ الوِزْرِ لأنَّهُ أوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ ظُلْماً**»، ولنا جزء في الأوّليات وهو جزء بديع عملته بملطية من بلاد يونان أو بمكة والله أعلم، وأوّل بيت وضع للناس معبداً الكعبة، وأوّل اسم إلٰهي في الرتبة الاسم الحيّ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الآخر * حضرة الآخر

[نظم: السريع]

والله ما الأوّلُ والآخِرُ ... إلا لحِفْظِ العالم الدَّائِرِ

فإنه يَعْجَزُ عن حِفْظِهِ ... لِوَصْفِهِ المخلوق بالقاصِرِ

فكان بالآخر حِفْظاً له ... ليَلْتَقي الواحدُ بالآخَرِ

فأَمْرُنا دائرةٌ كلّه فالْتَحَقَ الأوّلُ بالآخِرِ
وإنّه جَلَّى لنا ذاتَهُ في صورة الباطن والظّاهرِ

يدعى صاحبها عبد الآخر وحده من الثاني الذي يلي الأوّل إلى ما تحته فهو المسمى بالآخر، لأن له حكم التأخر عن الأوّلية بلا شك، وإن استحق الأوّلية هذا المتأخر فما تأخر عن الأوّل إلا لأمر أيسره وأبينه الزمان، لأن وجود الأهلية فيه من جميع الوجوه فيعلم أن الحكم في تأخيره وتقدم غيره للزمان كخلافة أبي بكر وعمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عن جميعهم، فما منهم واحد إلا وهو مترشح للتقدم والخلافة مؤهل لها، فلم يبق حكم لتقدم بعضهم على بعض فيها عند الله لفضل يعلم تطلبه الخلافة فما كان إلا الزمان، فلما كان في علم الله أن أبا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي رضي الله عن جميعهم والكل له حرمة عند الله فجعل خلافة الجماعة كما وقع، فقدم من علم أن أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الأربعة، فما قدم من قدم منهم لكونه أكثر أهلية من المتأخر منهم في نظري والله أعلم. فالظاهر أنه من كون الآجال، فإنه لو بويع خليفتان قتل الآخر منهما للنص الوارد، فلو بايع الناس أحد الثلاثة دون أبي بكر ولا بد في علم الله أن يكون أبو بكر خليفة وخليفتان فلا يكون، فإن خلع أحد الثلاثة وولي أبو بكر كان عدم احترام في حق المخلوع ونسب الساعي في خلعه إلى أنه خلع من يستحقها ونسب إلى الهوى والظلم والتعدي في حقه، ولو لم يخلع لمات أبو بكر في أيامه دون أن يكون خليفة ولا بد له من الخلافة أن يليها في علم الله فلا بد من تقدمه لتقدم أجله قبل صاحبه، وكذلك تقدم عمر بن الخطاب وعثمان وعلي والحسن، فما تقدم من تقدم لكونه أحق بها من هؤلاء الباقين ولا تأخر من تأخر منهم عنها لعدم الأهلية، وما علم الناس ذلك إلا بعد أن بين الله ذلك بآجالهم وموتهم واحداً بعد آخر في خلافته أن التقدم إنما وقع بالآجال عندنا وفي نظرنا الظاهر أو بأمر آخر في علم الله لم نقف عليه، وحفظ الله المرتبة عليهم رضي الله عن جميعهم، فهذا من حكم التأخر والتقدم، ولله الأولية لأنه موجد كل شيء، ولله الآخرية فإنه قال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] وقال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤] وقال: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] فهو الآخر كما هو الأول، وما بين الأول والآخر تظهر مراتب الأسماء الإلٰهية كلها، فلا حكم للآخر إلا بالرجوع إليه في كل أمر فإذا كان الله الأول فالإنسان الكامل هو الآخر لأنه في الرتبة الثانية وهو الخليفة، وهو أيضاً الآخر بخلقه الطبيعي فإنه آخر المولدات لأن الله لما أراد به الخلافة والإمامة بدأ بإيجاد العالم وهيأه وسواه وعدله ورتبه مملكة قائمة، فلما استعد لقبول أن يكون مأموماً أنشأ الله جسم الإنسان الطبيعي ونفخ فيه من الروح الإلٰهي فخلقه على صورته لأجل الاستخلاف فظهر بجسمه فكان المسمى آدم فجعله في الأرض خليفة، وكان من أمره وحاله مع الملائكة ما ذكر الله في كتابه لنا، وجعل الإمامة في بنيه إلى يوم القيامة، فهو الآخر بالنسبة إلى الصورة الإلٰهية، والآخر أيضاً بالنسبة إلى الصورة الكونية الطبيعية، فهو آخر نفساً وجسماً، وهو الآخر برجوع أمر العالم إليه فهو

المقصود به عمرت الدنيا وقامت وإذا رحل عنها زالت الدنيا ومارت السماء وانتثرت النجوم وكورت الشمس وسيرت الجبال وعطلت العشار وسجرت البحار وذهبت الدار الدنيا بأسرها، وانتقلت العمارة إلى الدار الآخرة بانتقال الإنسان فعمرت الجنة والنار، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة والنار، فالاسم الأول للأولى وهي الدار الدنيا، والاسم الآخر للأخرى وهي الآخرة، وإنما قال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤] لأن الآخر ما وراءه مرمى فهو الغاية، فمن حصل في درجته فإنه لا ينتقل، فله الثبوت والبقاء والدوام، والأول ليس كذلك فإنه ينتقل في المراتب حتى ينتهي إلى الآخر وهو الغاية فيقف عنده فلهذا قال له: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٤، ٥] فأعطاه صفة البقاء والدوام والنعيم الدائم الذي لا انتقال عنه ولا زوال، فهذا ما أعطاه حكم هذه الحضرة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الظاهر * حضرة الظهور

[نظم: البسيط]

إنّ الظُّهورَ له شَرْطٌ يُؤَيِّدُهُ ... وليس يُظْهِرُهُ إلا الذي غَلَبَا

إن الفتاةَ التي في طَرْفِهَا حَوَرٌ ... تُفْني الدُّمُوعَ وتُذْكي قَلْبَنَا لَهَبَا

فإن أَتَوْكَ وقالوا إنها نَصَفٌ ... فإن أفْضَلَ نِصْفَيْها الذي ذَهَبَا

أَنْقَذْتُها وَرِقاً حتى أَفُوزَ بها ... فمانَعَتْ فلهذا صُغْتُهُ ذَهَبَا

لو أنها ظهرتْ لكل ذي بَصَرٍ ... أعْمَى سناها لهذا عينها احْتَجَبَا

يدعى صاحبها عبد الظاهر، ويلقب بالظاهر بأمر الله هذه الحضرة له تعالى لأنه الظاهر لنفسه لا لخلقه فلا يدركه سواه، أصلاً، والذي تعطينا هذه الحضرة ظهور أحكام أسمائه الحسنى وظهور أحكام أعياننا في وجود الحق وهو من وراء ما ظهر، فلا أعياننا تدرك رؤية، ولا عين الحق تدرك رؤية، ولا أعيان أسمائه تدرك رؤية، ونحن لا نشك أنا قد أدركنا أمراً ما رؤية وهو الذي تشهده الأبصار منا، فما ذلك إلا الأحكام التي لأعياننا ظهرت لنا في وجود الحق فكان مظهراً لها، فظهرت أعياننا ظهور الصور في المرائي ما هي عين الرائي لما فيها من حكم المجلى، ولا هي عين المجلى لما فيها مما يخالف حكم المجلى، وما ثم أمر ثالث من خارج يقع عليه الإدراك وقد وقع، فما هو هذا المدرك؟ ومن هو هذا المدرك؟ فمن العالم ومن الحق ومن الظاهر ومن المظهر ومن المظيهر، فإن كانت النسب فالنسب أمور عدمية إلا أن علة الرؤية استعداد المرئي لقبول الإدراك، فيرى المعدوم سلمنا أن المعدوم يرى فمن الرائي فإن كان نسبة أيضاً فكما هو مستعد أن يرى يكون مستعداً أن يرى وإن لم يكن نسبة وكان أمراً وجودياً، فكما هو الرائي هو المرئي لأن الذي نراه يرانا، فإذا قلنا إنه نسبة من حيث إنه مرئي لنا فنقول: إنه أمر وجودي من حيث إنه يرانا كما قلنا فينا من حيث إنا ندركه فالأمر واحد، فقد حرنا فينا، وفيه، فمن نحن ومن هو؟ وقد قال له بعضنا: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن

تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال عن نفسه: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] وخبره صدق. وقد أعلم أن بعض العالم يعلم أن الله يرى، ثم قال بآلة الاستدراك فعطف: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ ثم تجلى للجبل فاندك الجبل ولا أدري عن رؤية أو عن مقدمة رؤية لا بل عن مقدمة رؤية، وصعق موسى عن تلك المقدمة ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ﴾ أي رجعت إلى الحالة التي لم أكن سألتك فيها الرؤية ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي المصدقين بقولك: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ فإنه ما نزل هذا القول ابتداء إلا عليّ فأنا أول المؤمنين به، ثم يتبعني في الإيمان به من سمعه إلى يوم القيامة، فما ظهر لطالب الرؤية ولا للجبل لأنه لو رآه الجبل أو موسى لثبت ولم يندك ولا صعق فإنه تعالى الوجود فلا يعطي إلا الوجود لأن الخير كله بيديه والوجود هو الخير كله، فلما لم يكن مرئياً أثر الصعق والاندكاك وهي أحوال فناء والفناء شبيه بالعدم والحق لا يعدم عدم العين ولكن يكون عنه العدم الإضافي وهو الذهاب والانتقال فينقلك أو يذهبك من حال إلى حال مع وجود عينك في الحالين من مكان إلى مكان مع وجود عينك في كل واحد منهما وبينهما وهو قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ [النساء: ١٣٣] فالإتيان بصفة القدرة والذهاب بالإرادة من حيث ما هو ذهاب خاصة، وهذه التفاصيل في غير مفصل لا يكون وليس من شأن المفصل الوجود فإنا نفصل المعدوم إلى محال وإلى ممكن مع كونه معدوماً.

وبقي الكلام فيمن يفصله والكلام عليه مثل الكلام في الرائي والمرئيّ وقد تقدم، فماذا نقول أو ما نعول عليه؟ فرأينا أن نترك الأمر على حاله كان ما كان، إذ الأغراض حاصلة والإدراكات واقعة واللذات حاكمة والشهود دائم والنعيم به قائم، ودع يكون ما يكون من عدم أو وجود أو حق أو خلق بعد أنه لا ينقصنا شيء مما نحتاج إليه لا نبالي، ولو وقع الإخبار الإلٰهي لكان الكلام فيه والنظر على ما هو عليه الآن لا يزيد الأمر ولا ينقص، فإنه إذا ورد فلا بد من سمع يتعلق به ذلك الخطاب وفهم ومدلول ومتكلم وسامع وهذا عين ما كنا فيه فترك ذلك أولى، ونقول ما يقول كل قائل فإن الأمر كله عين واحدة في الحيرة في ذلك فكله صدق ما هو باطل فإنه واقع في الذهن وفي العين وفي جميع الإدراكات، فالجنوح إلى السلم أولى بالإنسان ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾ [الأنفال: ٦١] يعني في الاعتبار والإشارات هذه الخواطر التي أدتك إلى النظر فيما أنت مستغن عنه فأنزلهم الحق هنا منزلة الأعداء لأهل الإشارات ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾ وهو الصلح بأن يترك الأمر على ما هو عليه ولا يخاض فيه فإنك إنما تخوض فيه لكونه آية من الله عليه وقد قال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨] وليس إلا الاشتغال بما نأكل ونشرب وننكح ونتصرف فيه من الأعمال المشروعة التي تؤدي إلى السعادة الأخروية وما هذه الأمور؟ قلنا: لا ندري إنما نعمل كما أمرنا لنصل إلى ما قيل لنا فإنا ما كذبنا بل رأينا ما مضى كله حق لم يختل شيء منه كذلك ما بقي وقد جنحوا للسلم فأمرنا الله فقال لنبيه ﷺ ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١] فالعاقل يقول بالسمع والطاعة لأمر الله وهذه حالة معجلة وراحة: [المتقارب]

فـلـيس الـظُّـهُـورُ سِـوَى مـا ظَـهَـرْ وليس الـبُـطُـونُ سـوى مـا اسْـتَـتَـرْ
فـأيـن الـذهـابُ وأيـن الإيـابُ وأيـن الـقـرارُ وأيـن الـمَـفَـرْ
فـمِـنَّـا إلـيـه ومـنـه إلـيـنـا وكُـلٌّ بـحـكـم الـقَـضَـا والـقَـدَرْ
فـلا تَـبْـكِـيَـن عـلـى فـائـتٍ فـمـا فـات شـيءٌ ومـا سَـاءَ سَـرْ
فـمـا ثَـمَّ إلا مُـضـافٌ ومـا يُـضَـافُ إلـيـه فـجُـزْ واعْـتَـبِـرْ
وقـل مـا تـشـاءُ عـلـى مـن تـشـاءُ فـإن الـوُجُـودَ بـهـذا ظَـهَـرْ

والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباطن * حضرة البطون

[نظم: البسيط]

السِّـرُّ مـا بَـطَـنَـتْ فـيـه حَـقِـيـقَـتُـهُ والـجَـهْـرُ يُـظْـهِـرُهُ لـكـل ذي بَـصَـرِ
لـولا الـبُـطُـونُ ولـولا سِـرُّ حِـكْـمَـتِـهِ مـا فَـضَّـلَ الله مـخـلـوقـاً عـلـى الـبَـشَـرِ
ومـا يـفـضـلـه إلا سـلامـتُـهُ مـن الـنَّـقـائِـص والأوْهَـام والـغِـيَـرِ
لـو نـالَـهُ أَحَـدٌ مـن حـيـث نَـشْـأَتُـهُ لـنـالـه أهْـلُ جُـودِ الله بـالـفِـكَـرِ
لـولا مـبـاشـرةُ الـخَـلَّاق صُـورَتَـهُ لـم يَـدْرِ خَـلْـقٌ مـن الأمـلاك مـا خَـبَـرِي
عَـنَـتْ لـنـا أوْجُـهُ الأمـلاك سـاجـدة لـمـا حَـوَيْـنـا مـن الأرواح والـصُّـوَرِ
لـذا تُـقَـلِّـبُـنـا أحـوالُـهُ أبـداً فـي نَـفْـع أن كـان ذاك الأمْـرُ أو ضَـرَرِ

يدعى صاحبها عبد الباطن، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] فالبطون يختص بنا كما يختص به الظهور، وإن كان له البطون فليس هو باطن لنفسه ولا عن نفسه، كما أنه ليس ظاهراً لنا، فالبطون الذي وصف نفسه به إنما هو في حقنا، فلا يزال باطناً عن إدراكنا إياه حساً ومعنى فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ولا ندرك إلا الأمثال التي نهينا أن نضربها لله لجهلنا بالنسب التي بها هي أمثال. ولما كانت البطون محال التكوين والولادة وعنها ظهرت أعيان المولدات اتصف الحق بالباطن يقول إنه من كونه باطناً ظهر العالم عنه فنحن كنا مبطونين فيه، فخذ ذلك عقلاً لا وهماً، فإنك إن أخذته عقلاً قبله العلم الصحيح، وإن أخذته خيالاً ووهماً ردّ عليك قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص: ٣] ولا ينبغي للعاقل أن يشرع في أمر يمكن أن يردّ عليه مثل هذا، وإذا أخذته عقلاً دون تخيل وقعت على عين الأمر فإنه لا بدّ لنا من مستند نستند إليه في وجودنا لما أعطاه إمكاننا من وجود المرجح الذي رجح وجودنا على عدمنا، إلاّ أنه باطن عنا لعدم المناسبة بيننا، إذ نحن بعيننا وجملتنا وتفصيلنا محكوم علينا بالإمكان، فلو ناسبنا في أمر ما وذلك الأمر محكوم عليه بالإمكان لكان الحق محكوماً عليه بالإمكان وهو واجب لنفسه من حيث نفسه فارتفعت المناسبة، وإذا لم يناسبنا لم نناسبه فلنا الاستناد إليه لعدم المناسبة ومن وجه للمناسبة وله تعالى الغني عن العالم لأن محبته أن يعرف هي أنه لا يعرف فهذا حد معرفتنا به، إذ لو عرف لم يبطن وهو

الباطن الذي لا يظهر، كما أنه أيضاً في المأخذ الثاني أنه الباطن حيث هو في قلب عبده المؤمن الذي وسعه فهو باطن في العبد والعبد لا يشاهد باطنه فلا يشاهد ما هو مبطون فيه، فمن الوجهين ما نراه. ثم إنه إذا كان كما قال قوى العبد وسمعه وبصره والعبد يرى ببصره فيرى بربه ما يرى بصره ولا يرى شيئاً من قواه والحق جميع قواه فما يرى ربه وبهذا يفرق بين العلم والرؤية، فإنا نعلم بالإيمان ونوره في قلوبنا أنه قوانا ولا نشهد ذلك بصراً فنحن ندركه لا ندركه والأبصار لا تدركه، فإذا كان بصرنا فإنه في هذه الحالة لا يدرك نفسه لأنه في حجابنا إذ كان بصرنا، وإذا كان الأمر على هذا فبعيد أن ندركه، وأما قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فإن البصر إنما جاء ليدرك به لا أنه يدرك، ثم إنه في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ بضمير الغائب فالغيب غير مدرك بالبصر والشهود وهو الباطن، فإنه لو أدرك لم يكن غيباً ولا بطن ولكن يدرك الأبصار فإنه لا يلزم الغيبة من الطرفين ما يلزم من هو غائب عنك أن تكون غائباً عنه قد يكون ذلك وقد لا يكون، وفي مدلول هذه الآية أمر آخر وهو أنه يدرك تعالى نفسه بنفسه لأنه إذا كان بهويته بصر العبد ولا يقع الإدراك البصري إلاّ بالبصر وهو عين البصر المضاف إلى العباد وقال: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ وهو عين الأبصار فقد أدرك نفسه ولهذا قلنا إنه يظهر أو هو ظاهر لنفسه ولا يبطن عن نفسه ثم تمّم الآية وقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] من حيث إنه لا تدركه الأبصار، واللطيف المعنى من حيث إنه يدرك الأبصار أي دركه للأبصار دركه لنفسه لأنه عينها، وهذا غاية اللطف والرقة الخبير يشير إلى علم الذوق أي لا يعرف هذا إلاّ بالذوق لا ينفع فيه إقامة الدليل عليه إلاّ أن يكون الدليل عليه في نفس الدال وليس سوى ذوقه، فيرى هذا العبد الذي بصره الحق نفسه بالحق، ويرى الحق ببصره لأنه عين بصره فأدرك الأمرين: [مجزوء الرجز]

فكُلُّ من فيه بَطَنْ فإنه فيه قَطَنْ
وليس يدري قَوْلَنَا إلاّ شهيدٌ أو فَطِنْ
يرى الذي رأيْتُهُ بقَلْبِه رُؤيَةَ ظَنْ
فإنه هو الذي يراك من عَيْنِ الجُنَنْ
وأنت لا تُبْصِرُهُ إلاّ إذا لم تَكُنْ

وهي الإشارة بقوله ﷺ في الحديث الصحيح من كتاب مسلم: «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»: [المضارع]

فإن لم تَكُنْ تَرَهُ وإن كُنْتَ لم تَرَهُ
ومن كان حُكْمُهُ كما قلت أبْصَرَهُ
فذاتي له وِطَاءٌ وإن شِئْتَ مَنْظَرَهُ
إذا كان في وُجُودي فقد صَحّ أَقْبَرَهُ
وإن صَاحَبَ الوُجُودَ فقد جاء أَنْشَرَهُ

فقلوب العارفين مدافن الحق كما ظواهرهم مجاليه، وإنه في نفس قلوب عباده من

حيث إن قلوبهم محل العلم به، ثم إنهم لا يراعون حرمته ولا يقفون عند حدوده، فهو فيهم كالميت في قبره لا حكم له فيه بل الحكم للقبر فيه بكونه أكنه وستره عن أعين الناظرين، كذلك حكم الطبع إذا ظهر بخلاف الشرع، فإن الشرع ميت في حقّه في ذلك الزمان، وهكذا يظهر الحق في الرؤيا، ولقد رأيت رسول الله ﷺ في النوم ميتاً في موضع عاينته بالمسجد الجامع بإشبيلية فسألت عن ذلك الموضع فوجدته مغصوباً، فكان ذلك موت الشرع فيه حيث لم يتملك بوجه مشروع، فاستناد الموت والدفن إلى الحق في قلوب الغافلين فهو فيها كأنه لا فيها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

التواب * حضرة التوبة وهي الرجوع من المخالفة إلى الموافقة

[نظم: الوافر]

ألا إنَّ المَتَابَ هو الرُّجُوعُ ... فتُبْ تَرْجِعْ لِتَوْبَتِكَ الشُّؤونُ
إذا تابَعْتَ شخصاً في فلاةٍ ... فأنت لما تُتَابِعُهُ تَكُونُ
وإن كان الظّهور له بوَجْهٍ ... فمن وَجْهٍ يكونُ له الكُمُونُ
له منا التحرُّكُ في جهاتٍ ... ولي منه الإقامةُ والسُّكُونُ
وليس له سواي من مُعِينٍ ... إذا شاء المُؤيِّدُ والمُعِينُ

يدعى صاحبها عبد التواب، من هذه الحضرة تاب التائبون فله الرجعة الأولى، ثم تاب عليهم ليتوبوا فما رجع إليهم إلاّ ليرجعوا، وكل معلل عله الحق فإنه واقع، كما أنه كل ترج من الله واقع، فالرجعة الأولى من الله على العبد هي التي يعطيه الحق فيها الإنابة إليه، فإذا رجع العبد إليه بالتوبة رجع الحق إليه غير الرجوع الأوّل وهو الرجوع بالقبول، فإن الله لا يقبل معاصي عباده ويقبل التوبة والطاعات، وهذا من رحمته بعباده، فإنه لو قبل المعاصي لكانت عنده في حضرة المشاهدة كما هي الطاعات، فلا يشهد الحق من عباده إلاّ ما قبله ولا يقبل إلاّ الطاعات، فلا يرى من عباده إلاّ ما هو حسن محبوب عنده، ويعرض عن السيئات فلا يقبلها، فإن صاحب السيئة ما عملها على طريق القربة، ولو عملها على طريق القربة لكان جهلاً وافتراء على الله وكفراً صراحاً، فلا يقبلها حتى لا تكون عنده في موضع الشهود فيقع حساب العبد على ما أساء في الديوان الإلٰهي على أيدي الملائكة إذا أمر الحق بمحاسبته، وأمر الملائكة أصحاب الديوان أن يتجاوزوا عن المتجاوز، وأن الله طيب لا يقبل إلاّ طيباً، ولا بدّ لكل إنسان من أمر طيب يكون عليه، لأنه لا بدّ أن يكون على مكارم خلق بأي وجه كان، ومكارم الأخلاق كلها عند الله، فلا بدّ أن يكون لكل عبد عند الله شفيع، فإذا استوفى أهل ديوان المحاسبة ما بأيديهم في حق عبد من العباد وفعلوا فيه ما اقتضاه أمره معهم وفرغ من ذلك ورفع الأمر إلى الله راجعاً كما قال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] لا يجد العبد عند ربه إلاّ ما قبله منه، فشكره الله على ما عنده فأكرمه ونعّمه فيقول العبد: ربي أكرمني وما عنده علم بما قبل الله منه من طيب خلق كان عليه، وسواء كان في أي دار كان فإن له فيها

نعيماً مقيماً ما دام ذلك الطيب عند الله وهو لا يزال عند الله فلا يزال هذا العبد في نعيم في نفسه، وإن ظهر عند غيره أنه في عذاب فهو في نفسه في نعيم وهو المراد المعتبر في هذا الأمر، فإذا اتفق أن يؤخذ التائب فما يأخذه إلاّ الحكيم لا غيره من الأسماء، فإذا لم يؤاخذ فإنما يكون الحكم فيه للرحيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] بطائفة ﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠] بطائفة، والكل نواب الحق تعالى: [مجزوء الخفيف]

تَـــوْبَـــةُ الله أوّلاً ... تَـجْـعَـلُ الـعَـبْـدَ تـائِـبَـا
فـإذا تـاب عَـبْـدُهُ ... جـعـل الـحـقّ تـائـبـا
فـيـكـون الـعُـبَـيْـدُ عـن ... صـفـة الـحَـقّ نـائـبـا
لـم يـزل حـالُ كُـلِّ مَـنْ ... تَـابَ لـلـعَـفْـو طَـالَـبَـا
أعْـظَـمُ الـتَّـوْبِ أن يـ ... ـكـونَ عـن الـتَّـوْب راغـبـا
فـإذا كـنـت تـائـبـا ... كُـنْ عـن الـفـعـل جـانـبـا
تَـجِـدِ الـحَـقَّ فـي الـذي ... تَـبْـتَـغـي مـنـه وَاهِـبَـا

فالعبد الصحيح التوبة أن يتوب الله عليه لا ليتوب بل يجرم، وأنت تعفو تكرّماً، حتى لا يكون رجوعك بالمغفرة، على المذنب جزاء، فيكون هو الذي عاد على نفسه بالمغفرة منك، فأين المنة في الرجعة الثانية التي هي رجعة المغفرة إن لم تغفر من غير توبة من المذنب؟ فرجوع الله ينبغي أن يكون رجوع امتنان كالرجعة الأولى في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٧] ليتوبوا فهذه الأولى توبة امتنان، فإذا تاب عليهم بالمغفرة بعد توبتهم كانت هذه التوبة الإلٰهية جزاء لا يتخلص الامتنان الإلٰهي فيها إلاّ على بعد، وهو أن يرجع العبد في توبته إلى التوبة الأولى الإلٰهية التي جعلته أن يتوب، وتوبة الامتنان أيسر من توبة الجزاء وهي توبة الجواد الواهب المحسان الذي يعطي لينعم، لا لعلة موجبة عقلاً ولا شرعاً، وهذه إشارة كافية لمن أراد التخلق بأخلاق الكرم، فمن كرمه كتب على نفسه الرحمة، فالكريم المطلق من جازى على السيئة إحساناً فإن المحسن هو الذي أخذ الإحسان بإحسانه فلا يتبين فضل المحسن فإنه ما على المحسنين من سبيل، فافهم وتحقق عسى تلحق، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

العفو * حضرة العفو

[نظم: الطويل]

عَـفَـوْتَ عـن الـجـانـي ومـا زال عَـفْـوُنـا ... يَـسِـيـرُ بـنـا حـتـى أَنَـخْـنَـا بِـدَارِهِ
فـلـمـا أَنَـخْـنَـا قـال مـن ذا فـقـلـتُ مَـنْ ... حَـقِـيـقٌ عـلـى جـارٍ يـقـوم بـجَـارِهِ
فإن عَـجِـزَ الـمِـسْـكـيـنُ عـن حَـقّ جـاره ... فـلـم يـبـق إلاّ أن يـكـون بـدَارِهِ
ولـو أنـه مـن كـان فـالـحِـفْـظُ قـائـمٌ ... عـلـيـه بـه مـنـه لـبُـعْـدِ مَـزَارِهِ
فـأَنَّـى لـه كـالـبَـدْرِ عـنـد امـتـلائـه ... بـنُـور مـعـالـيـه وعـنـد سِـرَارِهِ

يدعى صاحبها عبد العفوّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠] هذه الحضرة تشبه حضرة الجلال لأنها تجمع الضدين وهذه تجمع بالدلالة بين القليل والكثير، هكذا هي في أصل وضع اللسان كالجليل يجمع بين العظيم والحقير، فالعفو الإلهي في جناب الحق كالقناعة وهي الاكتفاء بالموجود من غير مزيد، والكثير ما زاد على ما تدعو إليه الحاجة، فاتصاف الحضرة بالعفو أنها تعطي ما تقتضيه الحاجة لا بدّ من ذلك من كونه سخياً وحكيماً، ثم يزيد في العطاء من كونه منعماً مفضلاً غير محجور عليه، ولا تقضي عليه الحاجات بالاقتصار على ما يكون به الاكتفاء، فالعطاء للإنعام هو العطاء الحق عطاء الجود والمنة لا تحكم عليه العلل ولا يدخله ملل، فإنه قد ورد في الصحيح: «**إنَّ الله لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا فإذا تَرَكْتُمْ تَرَكَ**» فمن أعطي بعد سؤاله وبذل ماء وجهه فإنما أعطي جزاء، ومن أعطي ليشكر فقد أعطي لعلة يعود خيرها عليه، ومن أعطي بعد الشكر فقد أعطي جزاء وفاقاً، وهذه التقييدات كلها تعطيها حضرة العفو والإطلاق فيها من غير تقييد تعطيه أيضاً حضرة العفو فلذلك يطلق على القليل والكثير، ومنه إعفاء اللحية فاختلف الناس في إعفائها ما أراد الشرع بهذه اللفظة هل أراد تكثيرها بأن لا يقص منها كما يقص من الشارب؟ وإذا لم يقص منها كثرت، وقد يريد أن يأخذ منها قليلاً بكونه قال ذلك عند قوله: «**احفُوا الشَّارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى**» وإحفاء الشوارب استئصالها بالقص، فيحتمل إعفاء اللحية أن لا يستأصلها ويأخذ منها القليل، فمن فهم من هذا الحكم طلب الزينة الإلهية في قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٢] نظر في لحيته فإن كانت الزينة في توفيرها وأن لا يأخذ منها شيئاً تركها، وإن كانت الزينة أظهر في أن يأخذ منها قليلاً حتى تكون معتدلة تليق بالوجه وتزينه أخذ منها على هذا الحد، وقد ورد: «**أن النبي ﷺ كان يأخذ من طول اللحية لا من عرضها**» فتوجه معنى العفو بالقلة والكثرة على اللحية. وأما في المؤاخذة على الذنوب فقال: ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥] فيأخذ على القليل فيدل هذا العفو على أنه لا بدّ من المؤاخذة ولكن في قلة والقلة قد تكون بالزمان الصغير المدة، ثم يغفر الله ويجود بالإنعام ورفع الألم عن المذنب المسلم، وقد يكون بالحال فيقل عليه الآلام بالنظر إلى آلام هي أشد منها، أين قرصة البرغوث من لدغ الحية؟ ليس بين ألميهما نسبة وكل واحد منهما مؤلم لكن ثم ألم قليل وألم كثير، فأهل الاستحقاق وهم المجرمون المأمورون بأن يمتازوا وليس إلاّ أهل النار الذين هم أهلها وهم المشركون لا عن نظر، فيكون أخذهم بالعفو في الزمان لأن زمان العقاب محصور، فإذا ارتفع بقي عليهم حكم الزمان الذي لا نهاية لأبده، فزمان عذابهم قليل بالإضافة إلى حكم الزمان الذي يؤول إليه أمرهم فهو عفوّ عزّ وجلّ بما يعطي من قليل العذاب، وهو عفوّ بما يعطي من كثير المغفرة والتجاوز، فإنه عزّ وجلّ قد أمرنا بالعفو والتجاوز والصفح عمّن أساء إلينا وهو أولى بهذه الصفة منا، ولذلك كان أجر العافين على الله لكونه عفوّاً غفوراً، وما قرن مغفرته حين أطلقها بتوبة ولا عمل صالح بل قال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] فبالغ وما خصّ إسرافاً من

إسراف ولا داراً من دار، فلا بدّ من شمول الرحمة والمغفرة على من أسرف على نفسه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الرؤوف * حضرة الرأفة

[نظم: الطويل]

رَؤُوفٌ رَحيمٌ لا يكون مُؤاخِذاً ... عُبَيْداً أتاه راجياً مُتَلَهِّفَا
مِنَ اجْلِ ذُنُوبٍ قد أتاها بغَفْلَةٍ ... ولو كانت الأخرى أتى مُتَكَلِّفَا
فإن شئت عفواً لا تؤاخذه إنه ... أتى مُسْتجيراً سائلاً مُتَكَفِّفَا
وما جاء إلا من غنى سؤاله ... لذاك يراه سائلاً مُتَلَطِّفَا
فيَقْنَعُ منا باليسير لفَقْرنا ... فنَثْرَى له من كونه مُتَعَفِّفَا

هي لعبد الرؤوف، وصف الحق عبده محمداً ﷺ بأنه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] فقيده بالإيمان ولم يقيد الإيمان فهذا تقييد في إطلاق، فإنه قال في الإيمان إنه مؤمن صاحبه بالحق والباطل وهو قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦] وذكر ما ذكر فسمّاهم مؤمنين وما كانوا مؤمنين إلاّ بالباطل، فأمرهم أن يؤمنوا بالله وهو الحق ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل، فدلّ على أنه ما خاطب أهل الكتاب فقط فإنه أمرهم بالإيمان بالكتاب الذي أنزل من قبل ولا شك أنهم به مؤمنون أعني علماء أهل الكتاب، ثم قيّد الكفر هنا ولم يقيد الإيمان فقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦] فقيد في الذكر ما أمر به عبده أن يؤمن به وما تعرض في الذكر للكفر المطلق كما أطلق الإيمان ونعتهم به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وما كانوا مؤمنين إلاّ بالباطل، فإن المؤمن بالله لا يقال له آمن بالله فإنه به مؤمن وإن احتمل أن يؤمن به لقول هذا الرسول الخاص على طريق القربة، ولكن التحقيق في ذلك ما ذهبنا إليه ولا سيما والحق قد أطلق اسم الإيمان على من آمن بالباطل واسم الكفر على من كفر بالطاغوت.

واعلم أن الرأفة من القلوب مثل جبذ وجذب كذلك رأف ورفأ وهو من الإصلاح والالتئام، فالرأفة التئام الرحمة بالعباد ولذلك نهى عنها في إقامة الحدود لا كل الحدود، وإنما ذلك في حد الزاني والزانية إذا كانا بكرين إلاّ عند من يرى الجمع بين الحدين على الثيب، وأكثر العلماء على خلاف هذا القول، وليس المقصود إلاّ قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم﴾ يعني ولاة الأمر ﴿بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ ودين الله جزاؤه ثم قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ فخص لأنه ثم من يؤمن بالباطل ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [النور: ٢] يقول: إقامة الله حدوده في اليوم الآخر كأنه يقول لولاة الأمر: طهّروا عبادي في الدنيا قبل أن يفضحوا على رؤوس الأشهاد، ولذلك قال في هؤلاء: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] ينبّه أن أخذهم في الآخرة على رؤوس الأشهاد فتعظم الفضيحة، فإقامة الحدود في الدنيا أستر، فأمر الوالي بإقامة الحد نكالاً من الزاني كما هو نكال في حق السارق وبين ذلك فطهارته كما قال: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾

[البقرة: ١٢٥] كذلك إقامة الحد إذا لم يكن نكالاً فإنه طهارة وإن كان نكالاً فلا بدّ فيه من معقول الطهارة لأنه يسقط عنه في الآخرة بقدر ما أخذ به في الدنيا، فسقط عن الزاني النكال وما سقط عن السارق، فإن السارق قطعت يده وبقي مقيداً بما سرق لأنه مال الغير فقطع يده زجر وردع لما يستقبل، وبقي حق الغير عليه فلذلك جعله نكالاً، والنكل القيد فما زال من القيد مع قطع يده، وما تعرض في حد الزاني إلى شيء من ذلك، وقد ورد في الخبر: «أَنَّ مَا سُكِتَ عَنِ الحُكْمِ فِيهِ بِمَنْطُوقٍ فَهُوَ عَافِيَةٌ» أي دارس لا أثر له ولا مؤاخذة فيه، فإن الله قد بيّن للناس ما نزل إليهم من الأحكام في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

الوالي * حضرة الإمامة

[نظم: البسيط]

إن الإمام هو الوالي فلا تَكْنِني فإنني عالِمٌ بما بَدَا مِنِّي
هذا الذي قُلْتُهُ لكم أقولُ به في كل حال أكونُ فيه لا أَكْنِي

يدعى صاحبها عبد الوالي، وعبد الولي، وعبد الوالي هو الذي يلي الأمور بنفسه، فإن وليها غيره بأمره فليس بوال ولا إمام، وإنما الوالي والإمام هو المنصوب للولاية، وإنما سمّي والياً لأنه يوالي الأمر من غير إهمال لأمر ما ممّا له عليه ولاية، وإن لم يفعل فليس بوال وإنما هو حاكم هوى وقد قيل له: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] فأنفاس الوالي وحركاته وتصرّفاته عليه معدودة، والوالي لا يكون أبداً إلاّ في الخير لا بدّ من ذلك فإنه موجد على الدوام، فلا تراه أبداً إلاّ في فضل وإنعام وإقامة حد لتطهير والتطهير خير، فإن الوالي على الحقيقة هو الله، فإن المنصوب للولاية بحكم الله يحكم وبما أراه الله وهو الحق، وقد أخبر الرسول ﷺ في دعائه معلماً إيانا فقال: «**وَالخَيرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ**» فلا يوالي إلاّ الخير ولا يأمر إلاّ بالخير، ولا يكون عنه في العقوبة والمثوبة إلاّ الخير. ثم قال: «**وَالشَّرُّ لَيسَ إِلَيكَ**» فالوالي لا يوالي الشرّ بل لا يفعله أصلاً لأنه ليس إليه، فالوالي إذا كان من نصب الحق فالشرّ ليس إليه إلاّ إذا ترك ولاية الحق وحكم بالهوى فضل عن سبيل الله فله عذاب شديد بما نسي يوم الحساب، فيكون ديوان الحكم الإلهي يأخذه إذا حاسبه، فالشقيّ من تأخّر تطهيره إلى ذلك المقام الأخراوي، والسعيد من تقدم تطهيره في الدنيا إما بتوبة يتوبها وإما بإنصاف وأخذ منه في الدنيا حتى ينقلب إلى الآخرة وليس عليه حق، وربما يكون ممّن يمشي في الدار الدنيا وما عليه خطيئة لكثرة ما يبتليه الله به ممّا يقع له به الكفارة: [مجزوء الوافر]

فَوَالي الحَقِّ من وَالَى جَمِيعَ الخَيْرِ في نَسَقِ
فما يَنْفَكُّ عن طَبَقٍ بغير الحُكْمِ في طَبَقِ
له نُورٌ إذا يُفْضِي كنُور البَدْرِ في الغَسَقِ
إذا غَسَقَتْ مسائلُهُ أتى في الحكم كالفَلَقِ
فَجَلَّى عنك ظُلْمَتَها وما تَلْقَى من الحَرَقِ

وأيضاً: [السريع]

تَـعَـوَّذُوا بـالله رَبِّ الـفَـلَـقْ مـن شَـرّ دَيْـجُـورٍ إذا مـا غَـسَـقْ
فـإنـه آلَـى عـلـيـنـا كـمـا آلـى لـمـن قـد جـاءنـا بـالـشَّـفَـقْ
ولَـيْـلُـهُ الـمـظـلـمُ مـهـمـا وَسَـقْ والـقَـمَـر الـعـالـي إذا مـا اتَّـسَـقْ
لـتَـرْكَـبُـنَّ الـيـوم فـي ذاتـكـم عـنـد شـهـودي طَـبَـقـاً عـن طَـبَـقْ
فـالـحـمـد لله عـلـى مـا خَـلَـقْ وأَخْـلَـقَ الـخَـلْـقَ الـذي قـد خَـلَـقْ
أَوْجَـدَنَـا مـاءَ إلـى نُـطْـفَـةٍ مـكـنـونـةٍ فـي مُـضْـغـة مـن عَـلَـقْ
أَوْدَعَ فـيـهـا ولـديـهـا بـنـا جـمـيـع مـا اخـتـصّ بـنـا مـن عَـلَـقْ

وقد نصحتك أيها الوالي المتعالي، فلا تغل في الدين، ولا تقل على الله إلاَّ الحق ولا على الخلق إلاَّ الحق فإنك المطلوب بما أنت وال عليه وعنه: [مجزوء الرمل]

فـإذا وُلِّـيـت أمْـراً فَـلْـتَـقُـمْ فـيـه بـحَـقّ
إنـمـا الـوالـي بـحَـقٍّ هـو فـي مَـقْـعَـد صِـدْقِ
فـتـراه بـيـن حَـقّ حـاكـمـاً وبـيـن خَـلْـقِ
رُتْـبَـة يَـسْـمُـو إلـيـهـا كُـلُّ ذي عَـقْـل ونُـطْـقِ
هـو لـلـفـنـاء مُـفْـنٍ وهـو لـلـبـقـاء مُـبْـقِ
فـإذا أفـنـى فـنـاءً جـاء حـكـم الـضِّـدِّ يُـبْـقـي

قال الله تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ابتداء منه من غير طلب من إبراهيم عليه السلام ليكون معنا مسدداً وعلمنا أنه ليس بظالم قطعاً لأن الإمامة عهد من الله، وقال إبراهيم لربه تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ فقال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] فأمرنا الحق أن نتبع ملة إبراهيم لأن العصمة مقرونة بها، فإن رسول الله ﷺ قد نبّه على أنه من طلب الإمارة وكل إليها، ومن أعطيها من غير مسألة أعين عليها وبعث الله ملكاً يسدده، والملك معصوم من الخطأ في الأحكام المشروعة في عالم التكليف، فكان الخليل حنيفاً أي مائلاً إلى الحق مسلماً منقاداً إليه في كل أمر، فكان يوالي الخير حيثما كان، قالوا لي: الكامل من والى بين الأسماء الإلٰهية فيحكم بينها بالحق كما يحكم الوالي الكامل الولاية من البشر بين الملأ الأعلى إذ يختصمون، ولهذا أمروا بالسجود لآدم عليه السلام، فإن الاعتراض خصام في المعنى والخصم قوي، فلما أعطي الإمامة والخلافة وسجدت له الملائكة وعوقب من أساء الأدب عليه وتكبّر عليه بنشأته وأبان عن رتبة نفسه بأنها عين نشأته فجهل نفسه أوّلاً فكان بغيره أجهل، ولا شك أن هذا المقام يعطي الزهو والافتخار لعلوّ المرتبة، والزهو والفخر داء معضل وإن كان بالله تعالى، فأنزل الله لهذا الداء دواء شافياً، فأمر الإمام بالسجود للكعبة، فلما شرب هذا الدواء برىء من علة الزهو، وعلم أن الله يفعل ما يريد، وما تقدم على من تقدم عليه من الملائكة بالصفة التي أعطاه الله لعلوّ رتبته على الملائكة، وإنما كان ذلك تأديباً من الله لملائكته في اعتراضهم وهو على ما هو عليه من البشرية، كما أنه قد علم أنه ما سجد

للكعبة لكون هذا البيت أشرف منه وإنما كان دواء لعلة هذه الرتبة، فكان الله حفظ على آدم صحته قبل قيام العلة به فإنه من الطب حفظ الصحة وهو أن يحفظ المحل أن يقوم به مرض لأنه في منصب الاستعداد لقبول المرض، وقد علم أنه وإن سجد للبيت فإنه أتم من البيت في رتبته، فعلم أن الملائكة ما سجدت له لفضله عليهم وإنما سجدت لأمر الله، وما أمرها الله إلاّ عناية بها لما وقع منهم ممّا يوجب وهنهم، ولكن لما لم يقصدوا بذلك إلاّ الخير اعتنى الله بهم في سرعة تركيب الدواء لهم بما علمهم آدم من الأسماء وبما أمروا به من السجود له وكل له مقام معلوم، أمرت الملائكة بالسجود فامتثلت وبادرت فأثنى الله عليهم بقوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] ونهى آدم فعصى فلما غوى أي خاف قال الشاعر: [الطويل]

وَمَنْ يَغْوَ لا يقدم على الغَيِّ لائماً ... ثم اجْتَبَاهُ ربه فتابَ عليه وهَدَى[١]

الجامع * حضرة الجمع

[نظم: مجزوء الرجز]

إنما الجَمْعُ وُجُودٌ ... ليس في الجَمْعِ افْتِرَاقُ
إنما الفَرْقُ الذي ... فيه له بنا اتِّفاقُ
فله في الحُكْمِ فينا ... من وجودنا اشْتِقَاقُ
ولنا عليه حُكْمٌ ... قَيْدُهُ فيه انْطِلاقُ

يدعى صاحبها عبد الجامع، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩] فهو في نفسه جامع علمه العالم علمه بنفسه فخرج العالم على صورته فلذلك قلنا إن الحق عين الوجود. من هذه الحضرة جمع العالم كله على تسبيحه بحمده وعلى السجود له إلاّ كثير من الناس ممّن حق عليه العذاب، فسجد لله في صورة غير مشروعة فأخذ بذلك مع أنه ما سجد إلاّ لله في المعنى فافهم. ومن هذه الحضرة ظهر جنس الأجناس وهو المعلوم ثم المذكور ثم الشيء، فجنس الأجناس هو الجنس الأعمّ الذي لم يخرج عنه معلوم أصلاً لا خلق ولا حق ولا ممكن ولا واجب ولا محال، ثم انقسم الجنس الأعمّ إلى أنواع تلك الأنواع نوع لما فوقها وجنس لما تحتها من الأنواع إلى أن تنتهي إلى النوع الأخير الذي لا نوع بعده إلاّ بالصفات، وهنا تظهر أعيان الأشخاص، وكل ذلك جمع دون جمع من هذه الحضرة، وأقل الجموع اثنان فصاعداً ولم يكن الأمر جمعاً ما ظهر حكم كثرة الأسماء والصفات والنسب والإضافات والعدد، وإن كانت الأحدية تصحب كل جمع فلا بدّ من الجمع في الأحد، ولا بدّ من الأحد في الجمع فكل واحد بصاحبه. وقال تعالى من هذه الحضرة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] والمعية صحبة والصحبة جمع، وقال: ﴿مَا

---

(١) الشطر الثاني مختلّ والوزن الشطر الأول من الطويل.

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ وهو الواحد ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ إلى ما لا يتناهى ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] فإن كان واحداً فهو الثاني له لأنه معه فظهر الجمع به فهو الجامع، ثم ما زاد على واحد فهو مع ذلك المجموع من غير لفظه، أي لا يقال هو ثالث ثلاثة وإنما يقال ثالث اثنين ورابع ثلاثة وخامس أربعة لأنه ليس من جنس ما أضيف إليه بوجه من الوجوه لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ولما كانت هذه الحضرة لها الدوام في الجمعية ولا تعقل إلاَّ جامعة وما لها أثر إلاَّ الجمع وما تفرق إلاَّ لتجمع وقد علمت أن الدليل يضادّ المدلول وأن الدال وهو الناظر في الدليل إذا كان فيه ومعه مجتمعاً لا يكون مع المدلول، ودليلك على الحق نفسك والعالم كما قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي الدلالة علينا ﴿فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] وقال: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» جعلك دليلاً عليه فجمعك بك وفرقك عنه في حال جمعك بك، ثم قال لأبي يزيد: اترك نفسك وتعال ففرقك عنك لتجتمع به ولا تجتمع به حتى تنظر في الدليل به لا بك فتعلم أنك ما زلت مجتمعاً به في حال نظرك في الدليل فإنه سمعك وبصرك، فأنت وهو مجتمعان في حال طلبك إياه، فمن تطلب أو من يطلب فما برحت في عين الجمع به وهو الجامع لنفسه بك لمحبته فيك، وهذا من أعجب الأحوال الطلب في عين التحصيل: [مجزوء الخفيف]

إنـمـا الـحـالُ مَـلْـعَـبُ	ولـنـا فـيـه مَـذْهَـبُ
هـو مَـيْـدَانُـنـا الـذي	فـيـه نَـلْـهُـو ونَـلْـعَـبُ
وبـه نَـنْـكِـحُ الـعَـذَا	رَى ونَـسْـقـي ونَـشْـرَبُ
فـانْـظُـروا فـي صَـنِـيـعـه	واعْـجَـبُـوا مـنـه واعْـجَـبُـوا
مـا لـنـا فـيـه مَـطْـلَـبُ	ولـه فـيّ مَـطْـلَـبُ

لما كان الدوام لمعية الحق مع العالم لم يزل حكم الجمع في الوجود وفي العدم فإنه مع الممكن في حال عدمه كما هو معه في حال وجوده فأينما كنا فالله معنا، فالتوحيد معقول غير موجود، والجمع موجود ومعقول، وللرجال عليهن درجة وليست إلاَّ درجة الوجود لو أراد التوحيد ما أوجد العالم وهو يعلم أنه إذا أوجده أشرك به ثم أمره بتوحيده فما عاد عليه إلاَّ فعله، فقد كان ولا شيء معه يتصف بالوجود، فهو أوّل من سنّ الشرك لأنه أشرك معه العالم في الوجود، فما فتح العالم عينه ولا أبصر نفسه إلاَّ شريكاً في الوجود، فليس له في التوحيد ذوق فمن أين يعرفه؟ فلما قيل له وحد خالقك لم يفهم هذا الخطاب فكرر عليه وأكد وقيل له عن الواحد صدرت فقال: ما أدري ما تقول لا أعقل إلاَّ الاشتراك فإن صدوري عن ذات واحدة لا نسبة بيني وبينها لا يصحّ، فلا بدّ أن يكون مع نسبة علمية أو نسبة قادرية لا بدّ من ذلك، ثم إنه وإن كان قادراً فلا بدّ من الاشتراك الثاني وهو أن يكون لي من ذاتي القبول لاقتداره وتأثيره في وجودي، فما صدرت عن واحد وإنما صدرت عن ذات قادرة في شيء

قابل لأثر اقتداره أو في مذهب أصحاب العلل عن حكم علة وقبول معلول فلم أدر للوحدة طعماً في الوجود: [الطويل]

فقد رُمْتُ أن أخْلُو بتَوْحيد خالقي — فكان قَبُولي مانعاً ما أرُومُه
فيا ليت شعري هل يقام بمَشْهَدٍ — ويا ليت شعري هل أرى من يُقِيمُه
لقد رُمْتُ أمْراً لا سبيل لنَيْلِهِ — ويمنعُ عن تحصيل ذاك رُسُومُه

ألا تراه كيف نبّه على أن الأمر جمع وأنه جامع بقوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] وعلم أن نفسه شيء فخلق آدم على صورته فكان آدم زوجين، ثم خلق منه حواء لا من غيره ليعلمه بأصل خلقه ومن زوّجه ومن زوجه فما زاد بخلقه حواء منه على زوجيته بالصورة التي خلق عليها، وتلك الصورة الزوجية أظهرت حواء، فكانت أول مولد عن هذه الزوجية كما خلق آدم بيديه فكان عن زوجية يد الاقتدار ويد القبول وبهما ظهر آدم: [مخلع البسيط]

وكان فَرْداً فصار زَوْجَا — ماجَ به في المَخَاض مَوْجَا
كان حَضِيضاً بقَاعِ طَبْعٍ — فصار بالنَّفْخ فيه أوْجَا
أقامني سَيِّداً فجاءتْ — وُفُودُهُ لي فوجاً ففَوْجَا

فيا أيها الموحد أين تذهب وأنت توحد توحيدك يشهد بأنك أشركت، إذ لا يثبت توحيد إلاّ من موحد وموحد، فالجمع لا بدّ منه فالاشتراك لا بدّ منه، فما استند المشرك إلاّ لركن قوي، ولهذا كان مآله إلى الرحمة في دار تقتضي بذاتها الغضب حتى يظهر سلطان الرحمة الأقوى لأن دار النعيم معين قال الشاعر: أحلى من الأمن عند الخائف الوجل. فلا يعرف طعم الأمان ذوقاً من هو فيه مصاحب له، وإنما يعرف قدره من ورد عليه وهو في حال خوف فيجد طعمه لوروده، ولهذا نعيم الجنة يتجدد مع الأنفاس كما هو نعيم الدنيا إلاّ أنه في الآخرة يحسّ به من يتجدد عليه ويشاهد خلق الأمثال فيه وفي الدنيا لا يشاهد خلق الأمثال فيه ولا يحسّ به ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] فلذة أصحاب الجحيم عظيمة لمشاهدة الدار، وحكم الأمان من حكمها فيه ليس العجب من ورد في بستان وإنما العجب من ورد في قعر النيران إبراهيم الخليل عليه السلام في وسط النار يتنعم ويلتذ، ولو لم يكن عليه السلام إلاّ في حمايتها إياه من الوصول إليه فالأعداء يرونها في أعينهم ناراً تأجج وهو يجدها بأمر الله إياها برداً وسلاماً عليه، فأعداؤه ينظرون إليه ولا يقدرون على الهجوم عليه، انظر إلى الجنة محفوفة بالمكاره وهل جعل الله ذلك إلاّ ليتضاعف النعيم على أهلها فإن نعيم النجاة والفوز من أعظم النعم: [الطويل]

فما خُلِقَ الإنسانُ إلاّ ليَنْعَمَا — وما أُشْهِدَ الإنسانُ إلاّ ليَعْلَمَا
بأن وُجُودَ الحَقّ في الخَلْق مُودَعٌ — وهل كان هذا الوجودُ إلا تَكَرُّمَا
فيَنْعَمُ بالتعذيب فيها جماعةٌ — ولولا شُهُودُ الضِّدِّ ما كان مُسلما

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الغني * حضرة الغنى والإغناء

[نظم: الطويل]

ألا إنّـمـا الـمُـغْـنـي الـغَـنِـيُّ لـذاتِـهِ ... ومـا كـان فـيـه مـن جَـمِـيـلِ صِـفَـاتِـهِ
فـلـو أن عـيـن الـعَـبْـدِ كـان بـكَـوْنـه ... لـجـلـت مـعـالـيـه لِـكُـثْـرِ هِـبَـاتِـهِ
ولـكـنَّ عَـيْـنَ الـحَـقّ أفْـنَـتْ وجُـودَهـا ... فـلـلّـه مـا يُـبْـديـه مـن كَـلِـمَـاتِـهِ
أقـول وقـولـي صـادقٌ غَـيْـرُ كـاذب ... لـقـد رُمْـتُ أن أحْـظَـى بـسِـرِّ مـنـاتِـهِ
فـيـعـبُـدُنـي مـن كـان بـالـحـق عـارفـاً ... فـأَجْـزيـه بـالإحـسـان قـبـل وَفَـاتِـهِ

يدعى صاحبها عبد الغني وعبد المغني. قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨] وقال رسول الله ﷺ من هذه الحضرة: «لَيسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ لَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ» ترى التاجر عنده من المال ما يفي بعمره وعمر ألزامه لو عاش إلى انقضاء الدنيا وما عنده في نفسه من الغنى شيء بل هو من الفقر إلى غاية الحاجة، بحيث أن يرد بماله موارد الهلاك في طلب سدّ الخلة التي في نفسه عسى يستغني فما يستغني بل لا يزال في طلب الغنى الذي هو غنى النفس ولا يشعر. فاعلم أن أوّل درجة الغنى القناعة والاكتفاء بالموجود، فلا غنى إلا غنى النفس، ولا غنيّ إلاّ من أعطاه الله غنى النفس، فليس الغنى ما تراه من كثرة المال مع وجود طلب الزيادة من رب المال فالفقر حاكم عليه، فالإنسان فقير بالذات لأنه ممكن وهو غنيّ بالعرض لأنه غنيّ بالصورة وذلك أمر عرض له بالنسبة إليه وإن كان مقصوداً للحق، فللإنسان وجهان إذا كان كاملاً: وجه افتقار إلى الله ووجه غنى إلى العالم، فيستقبل العالم بالغنى عنه ويستقبل ربّه بالافتقار إليه، ولهذين الوجهين قيل إنه لا يكون عند الله وجيهاً لأنه لا يكون عند الله أبداً إلاّ فقيراً ذليلاً، ويكون عند العالم وجيهاً أي غنياً عزيزاً. وأما الإنسان الحيوان الذي لا معرفة له بربه فهو فقير إلى العالم أبداً، وإن كانت الغيرة الإلٰهية قد أزالت الافتقار إلى العالم من العالم بقولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] فمن ذاق طعم الغنى عن العالم وهو يراه عالماً لا بدّ من هذا الشرط فقد حصل على نصيب وافر من الغنى الإلٰهي إلاّ أنه محجوب عن المقام الأرفع في حقه لأن العالم مشهود له ولهذا اتصف بالغنى عنه، فلو كان الحق مشهوده وهو ناظر إلى العالم لاتصف بالفقر إلى الله وحاز المقام الأعلى في حقه وهو ملازمة الفقر إلى الله لأن في ذلك ملازمة ربه عزّ وجلّ. وأما الاستغناء فإنه يؤذن بالقرب المفرط وهو حجاب كالبعد المفرط، ومن وقف على سرّ وجود العالم من حيث إيجاد الله إياه عرف ما أشرنا إليه، فإذا كان العارف على قدر معلوم بين القرب والبعد حصل المطلوب وكان في ذلك الشرف التام للإنسان إذ كان الشرف لا يحصل إلاّ لأهل البرازخ الجامعين الطرفين قد علمنا إيماناً أن الله أقرب إلينا من حبل الوريد ولكن لا نبصره لهذا القرب المفرط، وقد علمنا إيماناً أنه على العرش استوى فلا نبصره لهذا البعد المفرط عادة أيضاً، فمن شاهد الحق ورآه فإنما يشاهده في معينه من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]

هذا حدّ رؤيته هنا، ولا يشاهد متى شوهد إلاّ من هذا المقام وبهذه الصفة لا بدّ من ذلك، فإذا أغناك فقد أبعدك في غاية القرب، وإذا أفقرك فقد قرّبك في غاية البعد: [مجزوء الوافر]

فـيـا مَـنْ قُـرْبُـهُ بُـعْـدٌ ... ويـا مـن بُـعْـدُهُ قُـرْبُ
أَقِـلْـنـي مـن هَـوَى نَـفْـسـي ... فـإنـي الـوَالِـهُ الـصَّـبُّ
وإنـي هـائـمٌ فـيـه ... قـد اسْـتَـعْـبَـدَنـي الـحُـبُّ
ولا مَـطْـلـب لـي إلاَّ الـ ... ـذي يَـرْضَـى بـه الـحِـبُّ
إذا أحْـبَـبْـتَ مَـحْـبُـوبـاً ... لـه الـنَّـخْـوةُ والـعُـجْـبُ
فـلا تَـعْـجَـبْ فـلا تُـحْـجَـبْ ... فـقـلـبـي لـلـهـوى قَـلْـبُ

ومن هذه الحضرة ظهر الغنى في العالم الذي يحوي على الفقر والخوف مع ما فيه من الزهو والفخر، أما ما فيه من الفقر فلطلب الزيادة، وأما ما فيه من الخوف فهو الفزع من تلف ما بيده والحوطة عليه، وأما ما فيه من الزهو والفخر فهو ما يشاهده من الطالبين رفده وسعي الناس في تحصيل مثل ما عنده، فمن هو بين غنى وفقر كيف يفتخر، فالفقر لا يتركه يفرح والغنى لا يتركه يحزن فقد تعرّى بهذين الحكمين من هاتين الصفتين، فأغنى الأغنياء من استغنى بالله عن الأغنياء بالله ولو لم يكن عنده قوت يومه مع أنه يحزن من جهة من كلفه الله النظر في تحصيل ما يقوم بهم ويقوّتهم من أهله، وما يهتم بذلك إلى متشرّع أديب عانق الأدب وعرف قدر ما شرع له من ذلك، فإن طريق الأدباء طريق خفية لا يشعر بها إلاّ الراسخون في العلم المحققون بحقائق الفهم عن الله، فكما أن الله ليس بغافل عمّا يحتاج إليه عباده كذلك أهل الله لا يغفلون عمّا قال لهم الحق احضروا معه ولا تغفلوا عنه، فترى الكامل حريصاً على طلب مؤنة أهله، فيتخيل المحجوب أن ذلك الحرص منه لضعف يقينه وكذلك في ادخاره وليس ذلك منه إلاّ ليوفي الأدب حقّه مع الله فيما حدّ له من الوقوف عنده، فالعالم من لا يطفىء نور علمه نور ورعه ولا يحول بينه وبين أدبه، فمن تعدّى حدود الله فقد ظلم نفسه، ومن ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ألا ترى إلى ما في هذه الحضرة من العجب أن المشاهد غنى الحق الذي هو صفته في غنى العالم، فلا يشهد إلاّ حقاً ولا يكون القبول والإقبال إلاّ على صفة حق، كيف يعتب على ذلك من هو بهذه المثابة؟ فقيل له: أما من استغنى فأنت له تصدّى، وقد علم تعالىٰ لما تصدّى ولمن تصدى فإن الله بكل شيء عليم: [مخلع البسيط]

فـمـا تَـصَـدَّى إلا بـحَـقٍّ ... ولا تَـصَـدَّى إلاَّ لـحَـقِّ
ومـا أتـاه لـعـتـاب لا ... لـكـونـه ظـاهـراً بـخَـلْـقِ
فـمـن تَـجَـلَّـى بـكـل مُـجْـلَـى ... حـاز بـمـجـلاه كـلَّ أُفْـقِ

فاحذر هذه الحضرة فإن فيها مكراً خفياً واستدراجاً لطيفاً، فإن الغني معظم في العموم حيث ظهر وفيمن ظهر، والخصوص ما لهم نظر إلاّ في الفقر فإنه شرفهم، فلا يبرحون في شهود دائم مع الله ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] وما راعى الحق في عتبه

لرسوله ﷺ إلاً جهل من جهل من الحاضرين أو من يبلغه ذلك من الناس بمن تصدّى له رسول الله ﷺ، فلو عرفوا الأمر الذي تصدّى له رسول الله ﷺ ما عاتبه ولا كان يصدر منهم ما صدر من الأنفة من مجالسته ﷺ الأعبد، فهل هذا إلاً من ذهولهم عن عبوديتهم للذي اتخذوه إلٰهاً، وما تلهى رسول الله ﷺ عن الأعمى إلاً لحبه في الفأل وما جاء الله تعالى بالأعمى إلاً لبيان حال مخبر رسول الله ﷺ بعمى هؤلاء الرؤساء وعلم بذلك رسول الله ﷺ ولكن وقف مع حرصه على إيمانهم والوفاء بالتبليغ الذي أمره الله به، ولأن صفة الفقر صفة نفس المخلوق، وقد علم ﷺ أنه الدليل فإن الدليل لا يجتمع هو والمدلول وهو دليل على غنى الحق وقد تجلّى في صورة هؤلاء الرؤساء، فلا بدّ من وقوع الإعراض عن الأعمىٰ والإقبال على أولئك الأغنياء، ومع هذا كله وقع العتاب جبراً للأعمىٰ وتعريفاً بجهل أولئك الأغنياء، فجبر الله قلب الأعمىٰ، وأنزل الأغنياء عما كان في نفوسهم من طلب العلو في الأرض فانكسروا لذلك ونزلوا عن كبريائهم بقدر ما حصل في نفوسهم من ذلك العتاب الإلٰهي وهذا القدر كاف.

المعطي المانع * حضرة العطاء والمنع

[نظم: مجزوء الخفيف]

حَضْرَةُ الْمَنْعِ والعَطَا حَضْرَةٌ ما لها غَطَا
فانْظُرِ الْمَنْعَ يا أخي تَجِدْهُ عَيْنَ العَطَا
فإذا كنتَ هكذا كنت في الحُكْم مُقْسِطَا
وإذا لم تَكُنْ كذا كنت في حُكْمِ مَنْ سَطَا
لا تكن كالذي مَضَى في هواه وفَرَّطَا

فمن علم أن الله هو المعطي لم يشكر غيره إلاً بأمره، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]: [مجزوء الوافر]

إذا ما قُلْتَ لم تُغْطَ فقد أُعْطِيتَ لم تُغْطَ
فلا تَكْذِبْ ولا تَجْحَدْ فإنك لم تَزَلْ تُعْطَى
فلا تكْفُرْ وقُمْ واشْكُرْ لمن أعطى الذي أعْطَى
متى ما لم يَقُلْ هذا عُبَيْدُ الله قد أَخْطَا

يقال لصاحبها عبد المعطي، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ﴾ [فاطر: ٢]: [مجزوء الوافر]

إذا أعْطَى فلا مَانِع وإن يَمْنَعْ فلا مُعْطي
فيا نفسي بجودِ الله مهما جئته حُطِّي
وأَسْرِعْ عندما يَدْعُو كَ للإتيان لا تُبْطِي
ولا تَفْزَعْ إلى أمْرِ أتى بالغَتِّ والغَطِّ

فتَفَرَقَ منه لا تفعلْ — فإن الجدَّ في الخطِّ
وكن بالحَقّ مربوطاً — فإن الخير في الرَّبْطِ
ولا تَضْبُطْ على أمْر — فإن البُخلَ في الضَّبْطِ
وكن للشَّرْط مطلوباً — فلا تَقْعُدْ عن الشَّرْطِ
وكن خَطًّا ولا تَبْرَحْ — مع الرحمٰن في الخَطِّ
ولا تَرْكَنْ إلى سطح — ولا تَنْظُرْهُ في النَّقْطِ
تكن بالحَقّ موصوفاً — بلا قُرْبِ ولا شَحْطِ
ولا تعرفه في قَبْضٍ — ولا تجهله في البَسْطِ
وإن عايَنْتَهُ بَحْراً — فلا تَبْرَحْ من الشَّطِّ
وقُلْ يا منتهى سرّي — لقد وَفَّيْتَني قِسْطي
إذا أنزلتَ أزواجاً — بدخ العُود بالقَطِّ
عسى يأتيك ما تَهْوَى — من الأخبار في القِسْطِ

يدعى صاحبها أيضاً بوجه عبد المانع. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢] اعلم أن حضرة المنع أنت، فإن الجود الإلٰهي مطلق، فالمنع عدم القبول لأنه لا يلائم المزاج، فلا يقبله الطبع ولا تخلو عن قبول، فقد قبلت من العطاء ما أعطاه استعدادك، فإن تألمت بما حصل لك فما كان إلاّ قبولك، وإن تنعمت فما كان إلاّ قبولك، ومن قبل المفيض المعطي لا ألم ولا نعيم بل وجود جود صرف خالص محض، فإن قلت: قد وصف نفسه بالإمساك وهو المنع لا غير قلنا: لما وصف نفسه بالإمساك في تلك الحال هل بقيت بلا أعطية؟ فإنه يقول: لا بل كنت على أعطية من الله فإن الجود الإلٰهي يأبى ذلك فلهذا لم تقبل لما في المحل ممّا قبلت. فإن قلت: فقد منع ما تعلّق به غرضي حين إمساكه عني كما يمسك المطر. قلنا: ما أمسك شيئاً عن إرساله إلاّ وإمساكه عطاء من وجه لا يعرفه صاحب ذلك الغرض، فقد أعطاه الغرض وأمسك عنه الغيث ليستسقيه فيقام في عبادة ذاتية من افتقار فأعطاه ما هو الأولى به وهذا عطاء الكرم، فلا تنظر إلى جهلك وراقب علمه بالمصالح فيك، فتعرف أن إمساكه عطاء، فمن مسكه عطاء كيف تنظره مانعاً ولا تنظره معطياً، وما تسمى بالمانع إلاّ لكونك جعلته مانعاً حيث لم تنل منه غرضك فما منع إلا لمصلحة. فإن قلت: فالجاهل به قد منعه العلم به قلنا: هنا غلط كبير فإن العلم بالله محال فلم يبق العلم به إلاّ الجهل به، وهذا علم العلماء بالله، وما عدا هؤلاء من أصحاب النظر فكل واحد منهم يزعم أنه قد علم ربه وما هو إلاّ علم ربه، فما منهم من يقول إن الله منعني العلم به بل هو فارح مسرور بعقيدته وأنه عند نفسه عالمٌ بربه وكذلك هو، فذلك حظه من علمه بربه، فما في الوجود من هو ممنوع العلم بالله لا الجاهل به ولا العالم ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١] يعلم لمن يصلي ومن يسبح، فما ثم من يقول: إن الله ما وهبني العلم به إلاّ أنه يطلب الزيادة ولا يكون ذلك منعاً فإن الحال لا

يعطي إلاّ المزيد لكون استحالة ما لا يتناهى أن يدخل في الوجود، ومريد العلم بالله لا يتناهى، فهو في كل نفس يهب من العلم به ما يشعر به، وما لا يشعر به يقول: إن الله أبقى عليّ ذلك العلم به الذي كان عندي، فلا يزال التكوين دائماً لا ينقطع، فهو لكل ما لم يحصل في الوجود مانع عند هذا الشخص حيث يرى الإمكان في تحصيله في الزمان الذي لم يحصل له وما ذاك إلاّ لجهله بالأمر، فإن الأمور لا تنظر من حيث إمكانها فقط بل تنظر من حيث إمكانها ومن حيث اقتضاء علم المرجح فيها من التقدم والتأخر وما في الوجود فراغ، إذ لو كان ثم فراغ لصحّ المنع حقيقة فما ثم إلا عطاء في عين منع ومنع في عين عطاء ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]: [مجزوء الرجز]

مَنْ مَنْعُهُ عَطَا ... فذلك الجَوَادْ
وكَشْفُهُ غَطَا ... فإنَّه المُرَادْ
وذَاتُهُ وِطَا ... وليس بالمِهَادْ
فلا يريد شيئاً ... نَعَمْ ولا يُرَادْ
والأمْرُ مُشْتَمِرْ ... يجري على السَّدَادْ
صِرَاطُهُ قَوِيمْ ... يَهْدي إلى الرَّشَادْ

فحضرة المنع تعطي المنع بعطاء العين فالمنع تبع، فإن المحل إذا كان في اللون أبيض فقد أعطاه البياض، وعين إعطاء البياض منع ما يضاده من الألوان، لكن ليس متعلق الإرادة إلاّ إيجاد عين البياض فامتنع ضده بحكم التبع، وهكذا كل ضد في العين: [مخلع البسيط]

فالنَّفْيُ أصْلٌ في كل كَوْنٍ ... وذلك المَنْعُ إنْ عَقَلْتَا
وما له في الوجود حَظٌ ... فما حُرِمْتَ وما مُنِعْتَا
أحكام سَلْبٍ قامت بعَيْنٍ ... من غير عَيْنٍ إذا نُسِبْتَا
مثل العزيز الغَنِيِّ فاعلَمْ ... فإنك الحَبْرُ إن عَلِمْتَا

الضار * حضرة الضرر

[نظم: الطويل]

إذا كان إضْراري وضَرِّي بمؤنسي ... فلا زال ضَرِّي مؤنسي ومُصَاحبي
لقد أَنِسَتْ نفسي به حين جاءني ... فللّه من خِلٍّ وَفِيٍّ وصَاحبِ
أسيرُ به تِيهاً وعُجْباً ونَخْوَةً ... لذلك قد هانتْ عليَّ مطالبي
يطالبُني في كل وقت بدَيْنِهِ ... ففِزْتُ به إذ كان حِبِّي مُطَالبي
ولما وَسِعْتُ الكل ضاقتْ برَحْبِها ... عَلَيَّ نواحي الأرض من كل جانبِ

يدعى صاحبها عبد الضار، فهو والإنسان الكامل ضرتان لأنه ما نازعه أحد في سورته إلاّ من أوجده على صورته، فأوّل ضار كان هو حيث ضرّ نفسه، ولهذا لم يدع أحد الألوهة ممّن ادعيت فيه إلاّ الإنسان، وهذا ضرر معنوي بين الصورتين ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ فضره ﴿إِذْ

رَمَيۡتَ﴾ [الأنفال: ١٧] فتضرر، فإن نفى أضرّ بصاحبه، وإن أثبت أضرّ بنفسه، ولا بدّ من نفي وإثبات فلا بدّ من الضرر، فهو الضار للصورتين لأحدية الصورة، فإنه إذا نزل فيها أحدهما ارتحل الآخر حكماً، فإن ظلم نفسه أضرّ بها، وإن ظلم لنفسه أضرّ بمثله و﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورىٰ: ١١] إلاّ هو، وهذه حضرة سرّها دقيق لأنها بين الحق والإنسان الكامل، فكل ضرر في الكون فليس إلاّ منع الغرض أن يكون وهو عرض بالنظر إلى هذا الأصل وهو محقق في هذه العين قد نبّه الشارع على أن الأولى والآخرة ضرتان إن أسخطت الواحدة أرضيت الأخرى، والذات الأولى معلومة، والذات الأخرى أيضاً معلومة ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ﴾ فإنها عين كونك ﴿مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٤] لأنها تفنيك بظهورها وتردّك إلى حكم العدم والآخرة لا تفني الأولى ولكن تندرج الأولى فيها إذا كان الظهور للآخرة، فالأولى لا تمييز فيها فتجمع بين الضدين والآخرة ليست كذلك فبهذا تميزت عن الأولى ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ: ٧] فيلتذ المعذب بالعذاب القائم به في الدنيا لأنه على صورة الأولى في الجمع بين الضدين وفي الآخرة ما له هذا الحكم ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾، ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] فأنت الآخرة فعينك خير لك فإنك لا التذاذ لك إلاّ بوجودك فما يلتذ شيء بشيء إلاّ بما يقوم به، وكذلك لا يتألم إلاّ بما يقوم به: [المنسرح]

فحَضْرَةُ النَّفْعِ حَضْرَةُ الضَّرَرِ في كل عَيْنٍ عَيْنٍ من البَشَرِ
لو رُفِعَ الضَّرُّ لم يكن بَشَرٌ ولا بَدَى الاشْتِراكُ في الصُّوَرِ

فالبعل هو الذي يعطي كل ضرّة حقها من نفسه، وإن أضرّ ذلك الحق بالأخرى فلعدم إنصافها في ذلك، وليس البعل هنا بين الصورتين إلاّ ما قرّرناه من حقيقة الحقائق المعقولة التي لها الحدوث في الحادث والقدم في القديم، ويظهر ذلك بالاشتراك في الأسماء، فسمّاك بما سمّى به نفسه وما سمّاك، ولكن الحقيقة الكلية جمعت بين الحق والخلق، فأنت العالم وهو العالم لكن أنت حادث فنسبة العلم إليك حادثة، وهو قديم فنسبة العلم إليه قديم، والعلم واحد في عينه، وقد اتصف بصفة من كان نعتاً له فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

النافع * حضرة النفع

[نظم: البسيط]

إنّي انْتَفَعْتُ بمن تأتي مَنَائِحُهُ فَقْراً إليّ به والنّافعُ اللّهُ
لولا وُجُودي ولولا سِرُّ حِكْمَتِهِ ما قلتُ في كل شيء جاءني ما هُوْ
لله قوم إذا حَلّوا بساحته وفي مساحته بربِّهم تَاهُوا
أفْنَاهُمُ عنهم كَوْني وطالبُهُمْ أغْنَاهُمُ عن وجودي المالُ والجَاهُ
والله لولا وجودُ الحقّ في خَلَدي ما كنت أرْقُبُهُ لولاه لولاهُ

يدعى صاحبها عبد النافع، هذه الحضرة قد يكون نفعها عين إزالة الضرر خاصة، وقد

يكون نفعها بأمر زائد على إزالة الضرر وتحقيق الأمر في النفع وصول صاحب الغرض إلى نيل غرضه والغرض إرادة، فالغرض لا متعلق له أبداً إلاّ بالمعدوم حكماً أو عيناً. أما قولي حكماً من أجل تعلق الغرض بإعدام أمر ما وهو إلحاق ذلك الأمر الوجودي بالعدم، فحكم الإعدام فيه في حال وجوده غير محكوم عليه به، فإذا حكم عليه به فلا يحكم عليه به حتى يلحق ذلك الأمر الوجودي بالعدم فلهذا قلنا حكماً، فإن تعلق الغرض بإيجاد أمر ما فإن المراد معدوم بلا شك عيناً، فإذا وجد زال الغرض بالإيجاد وتعلق بدوام ذلك الموجود إن كان مراداً له فالفرار من كل أمر مهلك نفع عند الخائف لينجو ممّا يحذر منه ويخاف، فإذا وقع النفع وهو عين النجاة والفوز تفرّغ المحل منه وقامت به أغراض في إيجاد ما يكون له بوجوده منفعة أي شيء كان فتعطيه إياه هذه الحضرة: [الخفيف]

حَضْرَةُ النَّفْعِ حَضْرَةُ الجُودِ ... لَيْلَةَ الصَّفْحِ بالمُنَى عُودي
فنعيمُ المُحِبِّ ليس سوى ... ما يراه من كل مَشْهُودِ
رؤيةٌ تَنْعَمُ النفوسُ بها ... كان حَدّاً أوْ غَيْرَ مَحْدُودِ

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

النور * حضرة النور

[نظم: البسيط]

النُّورُ نُورانِ نُورُ العِلْمِ والعَمَلِ ... ونُورُ مُوجِدِنَا الموصوفِ بالأزَلِ
طلبتُ شخصاً عسى أحْظَى برؤيتهِ ... من حضرتي صاعداً لعِلَّةِ العِلَلِ
ولم أُعَرِّجْ على كَوْنٍ أمرُّ به ... حُبّاً ولا كان ذاك الكون في أمَلي
حتى مررتُ بشخص لست أعرفه ... فلم يزل مُؤنسي فيه ولم يَزَلِ
فقلت ما ذا فقالوا الحَقّ قلت لهم ... هذا الذي كنت أبْغيه مَعَ النِّحَلِ

يدعى صاحبها عبد النور، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥] وقال في معرض الامتنان: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وما يمشي إلاّ بنفسه فعين نفسه قد يكون عين نوره، وليس وجوده سوى الوجود الحق وهو النور فهو يمشي في الناس بربه وهم لا يشعرون كما قال: «**إذا أحبَّ الله عَبْداً كانَ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ**» وذكر في هذا الخبر جميع قواه وأعضائه إلى أن قال: «**وَرِجْلَهُ الَّتي يَسْعَى بِهَا**» وما مشى في الناس إلاّ برجله في حال مشيه بربه فهو الحق ليس غيره، فأزال بنوره ظلمة الكون الحادث، فإنه ما حدث شيء لأن عين الممكن ما زال في شيئية ثبوته ماله وجود، وإنما ذلك حكم عينه في الوجود الحق فقال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩] فهو قوله فيمن لا يعلم ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] ليس بخارج منها وهو ما بقي من الممكنات في شيئية ثبوتها لا حكم لها في الوجود الحق، ولا بدّ أن يبقى منها ما لا حكم له في الوجود الحق لأن الأمر لا نهاية فيه فلا يفرغ، فكل عين ظهر لها حكم في الوجود الحق،

فإن ثم عيناً ما ظهر لها حكم في الوجود الحق فهي في الظلمات حتى تظهر فيبقى غيرها كذلك من لا يعلم حتى يعلم فيلحق بأصحاب النور ولا بدّ أن يبقى من لا يعلم، فنور الوجود ينفر ظلمة العدم، ونور العلم ينفر ظلمة الجهل.

ثم لتعلم أن الأنوار وإن اجتمعت في الإضاءة والتنفير فإن لها درجات في الفضيلة، كما أن لها أعياناً محسوسة كنور الشمس والقمر والنجم والسراج والنار والبرق وكل نور محسوس أو منور وأعياناً معقولة كنور العلم ونور الكشف، وهذه أنوار البصائر والأبصار، وهذه الأنوار المحسوسة والمعنوية على طبقات يفضل بعضها بعضاً فنقول: عالم وأعلم ومدرك وأدرك، كما تقول في المحسوس: نير وأنور؛ أين نور الشمس من نور السراج؟ كما أيضاً يتفاضلون في الإحراق فإن الإضاءة محرقة مذهبة على قدر قوّة النور وضعفه، وقد ورد حديث السبحات المحرقة والسبحات الأنوار الوجهية هنا نقول إنه بالحجب قيل هذا العالم فإذا ارتفعت الحجب لاحت سبحات الوجه فذهب اسم العالم، وقيل هذا هو الحق وهذا لا يرتفع عموماً فلا يرتفع اسم العالم لكن قد يرتفع خصوصاً في حق قوم ولكن لا يرتفع دائماً في البشر لما هو عليه من جمعية الوجود، وما ارتفع إلاَّ في حق العالين وهم المهيمون الكروبيون وهذا يكون في البشر في أوقات: [الطويل]

إذا كان عَيْنَ العَبْدِ فالعَبْدُ باطنٌ   وإن كان سَمْعَ الحَقّ فالحَقُّ سامعُ
فما الأمر إلاَّ بين فَرْضٍ ونَفْلِهِ   وأنت وعَيْنُ الحَقّ للكل جامعُ
فحَقٌّ وخَلْقٌ لا يزال مؤبّداً   فمُعْطٍ وُجُودَ العَيْنِ وقتاً ومَانِعُ
إذا كان عَيْنَ العَبْدِ فاللَّيْلُ حالك   وإن كان عَيْنَ الحَقّ فالنورُ ساطعُ
فما أنت إلاَّ بين شرق ومغربٍ   فشَمْسُكَ في غرب وبَدْرُكَ طالعُ

وأما النور الذي على النور فهو النور المجعول على النور الذاتي، فالنور على النور هو قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥] وهو أحد النورين، والنور الواحد من النورين مجعول بجعل الله على النور الآخر فهو حاكم عليه، والنور المجعول عليه هذا النور متلبس به مندرج فيه، فلا حكم إلاَّ للنور المجعول وهو الظاهر، وهذا حكم نور الشرع على نور العقل: [الوافر]

فليس له سوى التَّسْليم فيهِ   وليس له سوى ما يَصْطَفيهِ
فإن أَوَّلْتَهُ لم تَحْظَ منه   بعلم في القيامة تَرْتَضِيهِ

فتحشر في ظلمة جهلك ما لك نور تمشي به، ولا يسعى بين يديك فترى أين تضع قدميك ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] ولكن جعلناه يعني الشرع الموحي به نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وهو قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] جعلنا الله من أهل الأنوار المجعولة آمين.

الهادي * حضرة الهدي والهدى

[نظم: مجزوء الخفيف]

حَضْرَةُ الهَدْيِ والهُدَى حضرةٌ كلُّها هُدَى
تَرَكَتْني بنُورها حالكَ اللَّوْنِ أسْوَدَا
وهو فَخْري ومَذْهَبِي أنْ أراني مُسَوَّدا
لستُ أبغي من سَيِّدي تَرْكَ حالي كذا سُدَى
ما لنا المُدَّةُ التي تنقضي بل لنا ابْتِدَا
أنا للكل إذْ بَدَا نُورُ عيني لما بَدَا
لم يَنَلْها سوى الذي كان حَقّاً مُوَحِّدَا
فإذا ما انْتَهَى به أمْرُهُ فيه أَلْحَدَا

يدعى صاحبها عبد الهادي. قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ لما ذكر له الأنبياء عليهم السلام: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] وهدى الأنبياء عليهم السلام وهو ما كانوا عليه من الأمور المقرّبة إلى الله، وفي الدعاء المأثور سؤاله ﷺ: هدى الأنبياء وعيشة السعداء وهدى الله هو الهدى أي بيان الله هو البيان، وما لله لسان بيان فينا إلاّ ما جاءت به الرسل من عند الله، فبيان الله هو البيان لا ما يبيّنه العقل ببرهانه في زعمه، وليس البيان إلاّ ما لا يتطرّق إليه الاحتمال، وذلك لا يكون إلاّ بالكشف الصحيح أو الخبر الصريح، فمن حكم عقله ونظره وبرهانه على شرعه فما نصح نفسه، وما أعظم ما تكون حسرته في الدار الآخرة إذا انكشف الغطاء ورأى محسوساً ما كان تأوّله معنى فحرمه الله لذة العلم به في الدار الآخرة بل تتضاعف حسرته وألمه، فإنه يشهد هنالك جهله الذي حكم عليه في الدنيا بصرف ذلك الظاهر إلى المعنى ونفي ما دلّ عليه بظاهره، فحسرة الجهل أعظم الحسرات لأنه ينكشف له في الموضع الذي لا يحمد فيه ولا يعود عليه منه لذة يلتذ بها، بل هو كمن يعلم أن بلاء واقع به فهو يتألم بهذا العلم غاية التألم، فما كل علم تقع عنده لذة ولا يقوم بصاحبه التذاذ، فحضرة الهدى تعطي التوفيق وهو الأخذ والمشي بهدي الأنبياء، وتعطي البيان وهو شرح ما جاء به الحق عن كشف لا عن تأويل، فيفرق بين ضرب الأمثال فإنها محل التأويل إذ الأمثال لا تراد لعينها وإن كان لها وجود وإنما تراد لغيرها فهي موضوعة للتأويل، ولا تضرب إلاّ لعالم بها، فإن المقصود منه حصول العلم في من ضربت في حقّه، فينزل المضروب عليه المثل منزلة المثل للنسبة لا بدّ من ذلك فلا بدّ للمثل به أن يكون له وجود في الذهن فاعلم ذلك: [الوافر]

فَهَدْيُ الحَقِّ هَدْيُ الأنبياء وذاك هو الطريقُ المُسْتَقِيمُ
عليه الرَّبُّ والأكوان طُرّا فما في الكَوْن إلاَّ مُسْتَقِيمُ
فَشَخْصٌ جاهلٌ فَظٌّ غليظٌ وشخصٌ عالمٌ لَيْثٌ رَحِيمُ

وكل له مقام معلوم، وليس المطلوب إلاّ السعادة ولا سعادة أعظم من الفوز والنجاة

ممّا يؤدي إلى نقص الجد ولو كنت به ملتذاً، وإن ذوقك الحسرة لما يفوتك هنا تجدها وفي القيامة، وأما في الجنة فيذهب الله بها عنك ولكن تعلم من هو أعلى منك قدر ما فاتك، وترزق أنت القناعة بحالك وما أنت فيه والرضا، فلا أدنى همّة ممّن يعلم أن هناك مثل هذا، ولا يرغب في تحصيل العالي من الدرجات، هذا رسول الله ﷺ قد سأل أمته أن يسألوا الله له في الوسيلة طلباً للأعلى لعلوّ همته، ألا تراه عند موته ﷺ كيف قال لما خيّر الرفيق الأعلى فقيده بالأعلى وإن علم المحروم في الجنة ما فاته فلا يكترث له لعدم ذوقه، وكل من تعلقت همته في الدنيا بطلب الأعلى ولم يحصل ذلك ذوقاً في الدنيا ولا كشف له فيه فإنه يوم القيامة يناله ولا بدّ، ويكون فيه كالذائق له هنا لا فرق، وما بين الشخصين إلاّ ما عجل له هنا من ذلك، فالمحروم كل المحروم من لا يعلق همته هنا بتحصيل المعالي من الأمور، ولكن لا بدّ مع التمني من بذل المجهود، وأما إن تمنى مع الكسل والتثبط فما هو ذلك الذي أشرنا إليه:

[مجزوء الخفيف]

حَضْرَةُ الهَدْيِ والهُدَى ... تَرَكَتْ أمْرَنَا سُدَى
قالتِ الأمْرُ كُلُّهُ ... لإلٰهٍ تَفَرَّدا
ليس المُمَجَّد عِزَّةً ... وامتناعاً وسُؤدَدا
بوُجُودي من وُجُودِهْ ... في وُجُودي تَوَحَّدا
وبعيني وكَوْنِهِ ... قد بدا منه ما بدا
فيه كنت لم أكنْ ... بكياني مُوَحِّدا
فإذا ما تَمَجَّدَا ... فبكوني تَمَجَّدَا

فإنه لا يحمد ولا يمجد إلاّ بأسمائه، ولا تعقل مدلولات أسمائه إلاّ بنا، فلو زلنا نحن ذهناً ووجوداً لما كان ثم ثناء ولا مثن، ولا مثنى عليه، فبي وبه كان الأمر وكمل، ومع هذا فهو غنيّ عن العالمين إذا لم يطلب كمال الأمر فهو الكامل لنفسه وعينه وكونه لأنه واجب الوجود لنفسه لا تعلق له بالعالم لذاته، وإنما كان التعلق من حيث أعيان الممكنات لأنها تطلب نسباً تظهر بها عينها، وما ثم موجود تستند إليه هذه النسب إلاّ واحد وهو الله الواجب الوجود لنفسه تعالىٰ، فافتقرت إليه إضافات النسب، وافتقرت الممكنات إلى النسب فافتقرت إليه، فهي أشدّ فقراً من النسب، فصحّ غناه عن العالم لذاته وعينه، ولذلك تقول في التقسيم العقلي: إن الوجود طلب الكمال والمعرفة طلبت الكمال ولم تجد من بيده مطلوبها إلاّ الحق سبحانه فافتقرت إليه في ذلك، فأوجد الحادث الذي هو عين الممكن فكمل الوجود أي كمل أقسام الوجود في العقل، وكذلك تعرف إلى العالم فعرفوه بمعرفة حادثة فكملت المعرفة به في التقسيم العقلي، وكل معرفة وعلم بقدر العالم والعارف إلاّ أنه في الجملة لم يبق كمال إلا ظهر فيه بإحسان الله ورحمته بالسائل في ذلك، ولما ظهر العالم من البرّ الرحيم لم يعرف غير الإحسان والرحمة فهو على صورة الإحسان والرحمة، فهو مفطور على أن لا يكون منه إلاّ إحسان ورحمة ولكن بقي متعلقها فيرحم ويحسّن لنفسه أوّلاً ولا يبالي كان في ذلك إحسان

للغير أو لم يكن، فإن الأصل على هذا خرج حيث أحب أن يعرف، فخلق الخلق فتعرف إليهم فعرّفوه، وقد علم أن منهم من يتألم ولكن ما راعى إلاّ العلم به لا من يتألم منهم، فالنعيم وجود والعذاب فقد ذلك النعيم لا أنه أمر وجودي، فالعالم كله بر رحيم بنفسه لا بدّ من ذلك فإنه من الجود صدر: [مجزوء الرمل]

لـيـس فـي الـعـالَـم إلاّ ... مـن هـو الـبَـرُّ الـرَّحِـيـمْ
فـإذا مـا كـنـت عَـبْـ ... ـداً فـنَـعِـيـمـهُ الـمُـقِـيـمْ
وإذا مـا كُـنْـتَ رَبّـاً ... فـعـذابُـه الألـيـمْ
وصـراطـي بـيـن هٰـذَ ... يْـنِ صِـراطٌ مُـسْـتَـقِـيـمْ
ذاك هَـدْيُ الأنْـبِـيَـاء ... وهُـدَى الله الـقَـويـمْ
فـنَـعِـيـمُـهُ وُجُـو ... دٌ وعـذابُـهُ عَـدِيـمْ
فـانْـظُـروا فـيـمـا ذَكَـرْ ... نَـا فـهـو الـعـلـيـمُ الـحَـكِـيـمْ

فالهدى التبياني ابتلاء وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] وقوله ﷺ: «**ما ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدَى كَانُوا عَلَيْهِ إلاّ أُوتُوا الجَدَلَ**» وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] والهدى التوفيقي وهو الذي يعطي السعادة لمن قام به وهو قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] وقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وهذا هو هدى الأنبياء، فالهدى التوفيقي هدى الأنبياء عليهم السلام ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وهو الذي يعطي سعادة العباد ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨] والهدى بمعنى البيان قد يعطي السعادة وقد لا يعطيها إلاّ أنه يعطي العلم ولا بدّ فاعلم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

البديع * حضرة الإبداع

[الرمل]

حَـضْـرَةُ الإبْـداع لا مِـثْـلَ لـهـا ... فـتَـعَـالَـتْ حـيـث عَـزَّتْ أن تُـنَـالْ
كـلـمـا قـلـت لـهـا هـادي مـنـي ... فـاحْـذَرِ الـرَّمْـيَ بـهـا قـبـل الـزَّوَالْ
فـأجـابَـتْـنـي جـوابـاً شـافـيـاً ... لـيـس هـذا مـن مـقـالات الـرِّجـالْ
إنـمـا الله إلٰـهٌ واحـدٌ ... ذو كـمـالٍ لـجـمـالٍ وجَـلالْ
كـلـمـا نَـطَّـقَـنـي الـذِّكْـرُ بـه ... قـلـت مـاذا قـال لـي الـسِّـحْـرُ الـحَـلالْ

يدعى صاحبها عبد البديع، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٠١] وهو ما علا وما سفل، وأنت المميز للعالي والسافل لأنك صاحب الجهات فهو بديع كل شيء، وليس الإبداع سوى الوجه الخاص الذي له في كل شيء وبه يمتاز عن سائر الأشياء فهو على غير مثال وجودي إلاّ أنه على مثال نفسه وعينه من حيث إنه ما ظهر عينه في الوجود إلاّ بحكم عينه في الثبوت من غير زيادة ولا نقصان، فمن جعل العلم تصوّر المعلوم فلا بدّ للمعلوم من

صورة في نفس العالم، وأما نحن فلا نقول إن العلم تصوّر المعلوم على ما قاله صاحب هذا النظر، وإنما العلم درك ذات المطلوب على ما هي عليه في نفسه وجوداً كان أو عدماً، ونفياً أو إثباتاً، وإحالة أو جوازاً أو وجوباً ليس غير ذلك، وإنما يتصوّر العالم المعلوم إذا كان العالم ممّن له خيال وتخيّل، وما كل عالم يتصوّر ولا كل معلوم يتصوّر إلاّ أن الخيال له قوّة وسلطان فيعمّ جميع المعلومات ويحكم عليها ويجسدها كلها، وهو من الضعف بحيث لا يستطيع أن ينقل المحسوس إلى المعنى كما ينقل المعنى إلى الصورة الحسية، ومن ضعفه أنه لا يستقل بنفسه، فلا بدّ أن يكون حكمه بين اثنين بين متخيل اسم مفعول ومتخيل اسم فاعل معاً، فالابتداع على الحقيقة إنشاء ما لا مثل له بالمجموع وبهذا قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧] فمجموع ما ابتدعوه من العبادة ما كان الحق شرع ذلك لهم، فلا بديع من المخلوقات إلاّ من له تخيّل وقد يبتدع المعاني ولا بدّ أن تنزل في صورة ماديّة وهي الألفاظ التي بها يعبر عنها فيقال: قد اخترع فلان معنى لم يسبق إليه، وكذلك أرباب الهندسة لهم في الإبداع اليد الطولى، ولا يشترط في المبتدع أنه لا مثل له على الإطلاق، إنما يشترط فيه أنه لا مثل له عند من ابتدعه، ولو جاء بمثله خلق كثير كل واحد منهم قد اخترع ذلك الأمر في نفسه ثم أظهره فهو مبتدع بلا شك وإن كان له مثل، ولكن عند هذا الذي ابتدعه لا سبيل إلاّ ابتداع الحق تعالىٰ فإنه قال عن نفسه: إنه ﴿بَدِيعُ﴾ أي خلق ما لا مثل له في مرتبة من مراتب الوجود لأنه عالم بطريق الإحاطة بكل ما دخل في كل مرتبة من مراتب الوجود، ولذلك قال في خلقة الإنسان: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] لأن الذكر له تعالىٰ وهو للمذكور منا مرتبة من مراتب الوجود بخلاف المعلوم. ومراتب الوجود أربعة: عيني وذهني ورقمي ولفظي، فالعيني معلوم، واللفظي راجع إلى قول القائل في ذكره ما ذكره فللشيء وجود في ذكر من ذكره فلم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً فحدث الإنسان لما حدث ذكره مثل قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فوصف الذكر بالحدوث وإن كان كلامه قديماً ولكن الذكر هنا هو التكلم به لا عين الكلام، فالكلام موصوف بالقدم لأنه راجع إلى ذات المتكلم إذا أردت كلام الله والمتكلم به ما هو عين الكلام، وقد يكون المتكلم به معنى وقد يكون غير معنى، ثم إنه ذلك المعنى قد يكون قديماً وقد يكون حادثاً، فالمتكلم به أيضاً لا يلزم قدمه ولا حدوثه إلاّ من حيث إسماع المخاطب فإنه سمع أمراً لم يكن سمعه قبل ذلك فقد حدث عنده كما حدث الضيف عند صاحب المنزل وإن كان موجوداً قبل ذلك، ولكن في مثل هذا تجوز وهو قولك حدث عندنا اليوم ضيف وأنت تريد عين الشخص وما حدث الشخص وإنما حدث كونه ضيفاً عندك، وضيفيته عندك لا شك أنها حدثت لأنها لم تكن قبل قدومه عليك، فعلى الحقيقة إتيان الذكر على من أتى عليه هو حادث بلا شك، لأن ذلك الإتيان الخاص لم يكن موصوفاً بالوجود، وإن كان الآتي أقدم من إتيانه لا من حيث إتيانه بل من حيث عينه، فأصل كل ما سوى الله مبتدع والله هو الذي ابتدعه، ولكن من الأشياء ما لها أمثال، ومنها ما ليس لها أمثال أعني وجودية، هكذا بحكم العين لا الوجود في

نفسه فما في الوجود إلاّ مبتدع وفي الشهود أمثال، والعلم يقتضي الوجه الخاص في كل موجود ومعلوم حتى يتميز به عن غيره فكله مبتدع وإن وقع الاشتراك في التعبير عنه، كما تقول في الحركة تقول إنها حركة في كل متحرك فيتخيل أنها أمثال وليست على الحقيقة أمثال لأن الحركة من حيث عينها واحدة أي حقيقة واحدة حكمها في كل متحرك فهي عينها في كل متحرك بذاتها فلا مثل لها فهي مبتدعة مهما ظهر حكمها، وهكذا جميع المعاني التي توجب الأحكام من أكوان وألوان فافهم، فإن لم تعرف كون الحق بديعاً على ما ذكرته لك فما هو بديع من جميع الوجوه لأن الجوهر القابل جوهر واحد من حيث حدّه وحقيقته ولا تتعدد حقيقته بالكثرة، والمعنى الموجب لها حكماً ما لا يتعدد من حيث حقيقته فهو بحقيقته في كل محكوم عليه بحكمه فما ثم مثل، فالبياض في كل أبيض والحركة في كل متحرك فافهم ذلك، فكل ما في الوجود مبتدع لله فهو البديع.

وانظر في قوله تعالىٰ تجده ينبّه على هذا الحكم أعني حكم الابتداع ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١] من باب الإشارة أي لا يعلم له مثال، وما ثم إلاّ العالم وهو المخاطب بهذا وهو كل ما سوى الله، فعلمنا أن الله ينشىء كل مُنشأ فيما لا يعلم إلاّ إن أعلمه الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢] أنها كانت على غير مثال سبق كما هو الأمر في نفسه، وكذلك قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] وبدأنا على غير مثال فيعيدنا على غير مثال، فإن الصورة لا تشبه الصورة ولا المزاج المزاج، وقد وردت الأخبار الإلٰهية بذلك على ألسنة الأنبياء عليهم السلام وهم الرسل، وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق وإنما هو ما ظهر في الوجود الحق، إذ لو كان عين الحق ما صح كونه بديعاً كما تحدث صورة المرئي في المرآة ينظر الناظر فيها فهو بذلك النظر كأنه أبدعها مع كونه لا تعمل له في أسبابها ولا يدري ما يحدث فيها، ولكن بمجرد النظر في المرآة ظهرت صور هذا أعطاه الحال، فما لك في ذلك من التعمّل إلاّ قصدك النظر في المرآة ونظرك فيها مثل قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ وهو قصدك النظر ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ وهو بمنزلة النظر ﴿فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وهو بمنزلة الصورة التي تدركها عند نظرك في المرآة ثم إن تلك الصورة ما هي عينك لحكم صفة المرآة فيها من الكبر والصغر والطول والعرض ولا حكم لصورة المرآة فيك فما هي عينك ولا عين ما ظهر ممّن ليست أنت من الموجودات الموازية لنظرك في المرآة، ولا تلك الصورة غيرك لمالك فيها من الحكم، فإنك لا تشك أنك رأيت وجهك ورأيت كل ما في وجهك ظهر لك بنظرك في المرآة من حيث عين ذلك لا من حيث ما طرأ عليه من صفة المرآة، فما هو المرئيّ غيرك ولا عينك، كذلك الأمر في وجود العالم والحق أي شيء جعلت مرآة أعني حضرة الأعيان الثابتة أو وجود الحق. فإما أن تكون الأعيان الثابتة لله مظاهر فهو حكم المرآة في صورة الرائي فهو عينه وهو الموصوف بحكم المرآة فهو الظاهر في المظاهر بصورة المظاهر، أو يكون الوجود الحق هو عين المرآة فترى الأعيان الثابتة من وجود الحق ما يقابلها منه، فترى صورتها في تلك المرآة ويترائى بعضها لبعض ولا ترى ما ترى من حيث ما هي

المرآة عليه، وإنما ترى ما ترى من حيث ما هي عليه من غير زيادة ولا نقصان، كما لا يشك الناظر وجهه في المرآة أن وجهه رأى وبما للمرآة في ذلك من الحكم يعلم أن وجهه ما رأى فهكذا الأمر، فانسب بعد ذلك ما شئت كيف شئت: [البسيط]

فـالـكُـلُّ مُـبْـتَـدَعٌ فـي عَـيْـنِ مُـوجِـدِهِ   والـحَـقُّ مُـبْـتَـدِعٌ لـمـا بـدا فَـظَـهَـرْ
فـالـعـيـنُ ثـابـتـةٌ والـذات ثـابـتـةٌ   وكَـوْن إبـداعـه لـمـا أتـى فـنَـظَـرْ
فـمـا بَـدَتْ صُـوَرٌ إلاّ لـهـا صُـوَرٌ   مـنـهـا ومنـه فـبـالـمـجـمـوع كـان أثَـرْ

الوارث * حضرة الورث

[نظم: الطويل]

أنـا وارثٌ والـحَـقُّ وارثُ مـا عـنـدي   مـن الـحُـبِّ والـشَّـوْق الـمُـبَـرِّح والـوُدِّ
عـهـدت الـذي قـد هِـمْـتُ فـيـه وإنـنـي   مُـقـيـمٌ عـلـى مـا تـعـلـمـون من الـعَـهْـدِ
إذا ما تَراءَى البرقُ من جانب الحِمَى   وقـد زادنـي مَـسْـرَاهُ وَجْـداً إلـى وَجْـدِ
أقـول لـه أهـلاً وسـهـلاً ومـرحـبـاً   بمـن قـد أتـى من غيـر قَـصْـدٍ ولا وَعْـدِ
فـيـذهـب بـالأبـصـار عـنـد خُـفُـوقـه   فـيـا لـيـت شِـعْـري مـن يـقـوم لـه بَـعْـدي

يدعى صاحبها عبد الوارث، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: ٤٠] فورثها ليورثها من يشاء من عباده فهو في هذه المسألة كالموصي فهو مورث لا وارث، وما هو وارث إلاّ إذا مات من عليها فإنه قد وقعت الفرقة بين المالك والمملوك فهو الوارث لهما فهو قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: ٤٠] ولم يقل ومن فيها لأن الميت من حيث جسمه فيها لا عليها، فإذا نزهت الحق عن خلقه الأشياء لنفسه وإنما خلقها بعضها لبعضها فقد فارقها من هذا الوجه وفارقته وتميز عنها وتميزت عنه فراقاً ما فيه اجتماع، فأنت وارث والحق موروث منه وهو قوله: ﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وهو الذي أطلعه الله على هذا العلم الذي فرّق به بين الخالق والمخلوق، فخلق الخلق للخلق لا لنفسه، فإن المنافع إنما تعود من الخلق على الخلق والله هو النافع الموجد للمنافع وإن كان خلقنا لنعبده، فمعناه لنعلم أنا عبيد له فإنا في حال عدمنا لا نعلم ذلك لأنه ما ثم وجود يعلم فهو سبحانه الحيّ الذي لا يموت، مع أنه يتميز عن خلقه بما هو عليه من صفات الجلال والكبرياء الذي لا نعقله إلاّ منا، فما نعلم إلاّ جلال الحادثات وكبريائها لا غير، ولا تنسب إليه ما نحن عليه ممّا حمده الحق أو ذمه فينا فإن ذلك كله محدث والمحدثات لا نصفه بها، وإنما نصفه بإيجادها، وما أوجده لا يقوم به، فالكبرياء والجلال الذي ننسبه إليه غير معلوم لنا، فإنه لا يقبل جلالنا ولا كبرياءنا، وجميع ما نحن عليه من الصفات وصف نفسه بها ثم نزّه نفسه عنها فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ وهي المنع ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] فأخذنا هذه الصفات التي كنا نصفه بها بعد تنزيهه عنها بحكم الورث لأنه قد وصف نفسه بها ووصفناه بها فقام التنزيه بعد ذلك مقام الورث لنا فهو يرثنا بالموت ونحن نرثه بالتنزيه: [السريع]

فكُلُّ وَصْفٍ فعلينا يَعُودْ ... من كُلِّ ما أَظْهَرَهُ في الوُجُودْ
فالجُودُ لله على خَلْقِهِ ... ونحن من إحسانه في مَزِيدْ
فنحن بالحَقِّ كما هو بنا ... فإنه المَوْلَى ونحن العَبِيدْ
وإن في ذلك ذِكْرَى لمن ... كان له قَلْبٌ وكان الشَّهِيدْ

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الصبور * حضرة الصبر

[نظم: الكامل]

عَبْدُ الصَّبُورِ هو الذي لا يَصْبِرُ ... إلا به فهو الذي لا يَضْجَرُ
يشكي إليه ويشتكي بالحال في ... صَمْتٍ فتُبْصِرُهُ به يَتَضَرَّرُ

* * *

[نظم: المجتث]

حَبَسْتُ نَفْسي لرَبِّي ... وإنني لَصَبُورُ
وإنَّ رَبِّي بحالي ... كما عَلِمْتَ خَبِيرُ
فإنْ أقُلْ فيه قَوْلاً ... فالقَوْلُ صِدْقٌ وزورُ
وإنني لَصَدُوقٌ ... فيما أقول بَصِيرُ
ما لي إليه دَلِيلٌ ... ما لي عليه نَصِيرُ

عبد الصبور، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] فوصف نفسه بأنه يؤذى ولم يؤاخذ على أذاه في الوقت من أذاه فوصف نفسه بالصبور، لكنه ذكر لنا من يؤذيه وبما ذا يؤذيه لنرفع عنه ذلك مع بقاء اسم الصبور عليه ليعلمنا أنا إذا شكونا إليه ما نزل بنا من البلاء من اسم ما من الأسماء أن تلك الشكوى إليه لا تقدح في نسبة الصبر إلينا، فنحن مع هذه الشكوى إليه في رفع البلاء عنا صابرون كما هو صابر مع تعريفنا وإعلامه إيانا بمن يؤذيه وبما يؤذيه لننتصر له وندفع عنه ذلك وهو الصبور، ومع هذا التعريف فنحن الصابرون مع الشكوى إليه، فلا أرفع ممّن يدفع عن الله أذى ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] فمن كان عدواً لله فهو عدوّ للمؤمن، وقد ورد في الخبر: «**لَيسَ مِنْ أَحَدٍ أَصْبَرَ عَلَى أَذَى مِنَ الله**» لكونه قادراً على الأخذ وما يأخذ ويمهل باسمه الحليم وعلى الحقيقة فما صبر على أحد وإنما صبر على نفسه أعني على حكم اسم من أسمائه، لأن الأذى إنما وقع بالنطق، وما أنطق من نطق بما يقع به الأذى إلاّ الذي أنطق كل شيء وهو الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٖ﴾ [فصلت: ٢١] والجلود عدل، فإن الله قبل شهادتهم على من أقامها عليهم، وقال المنطقون: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ [البقرة: ١١٦] وأمثال ذلك، وكذبوا الله وشتموه وسبّوه مختارين ذلك مع علمنا بأنهم مجبورون في اختيارهم منطقون بما أراده لا بما رضيه، إلاّ أن الدقيقة الخفية أن الله نطقهم أي أعطاهم قوّة النطق التي بها نطقوا وبقي عين ما

نطقوا به وما قالت الجلود إلاّ أنها منطقة ما تعرضت بالاعتراف إلى ما نطقت به، فإن ذلك إذا وقع بالاختيار دون الاضطرار والكره نسب إلى من وقع منه نسبة صحيحة: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣] أي بيّنا له وخلقنا له الإرادة في محله، والتعلق نسبة لا تتصف بالوجود فتكون مخلوقة لأحد فتعلقت بأمر ما متعين ممّا فيه أذى لله ورسوله، وممّا يسمّى به شاكراً أو كفوراً فهو تعلق خاص مع كون الناطق غافلاً عن استحضار هذه النسب كلها وردها إلى الله بحكم الأصل فإنه لو استحضرها ما نطق بها إذ لا ينطق بها إلاّ جاهل أو غافل.

ثم إنه من الحجة البالغة لله في هذا أنه ما وقع في الوجود من ممكن من الممكنات إلاّ ما سبق بوقوعه العلم الإلٰهي فلا بدّ من وقوعه، وما علم الله معلوماً من المعلومات إلاّ بما هو عليه ذلك المعلوم في نفسه، فإن العلم يتبع المعلوم ما يتبع الوجود الحادث يعني حدوث الوجود يتبع العلم والعلم يتبع المعلوم، وهذا المعلوم الممكن في حال عدمه وشيئية ثبوته على هذا الحكم الذي ظهر به في وجوده، فما أعطى العلم لله إلاّ المعلوم فيقول له الحق: هذا منك لا مني لولم يكن في عينك الثبوتية على ما علمتك به ما علمتك ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] فلو شاء لكنه لم يشأ ولا تحدث له عزّ وجلّ مشيئة لأنه ليس بمحل للحوادث مع أن المشيئة تابعة للعلم فهي تابع التابع، فلهذا الأمر الذي قررناه بقول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧] وقال في الصحيح: «**شَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ، وَكَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ ذٰلِكَ**» وذكر الحديث. فقوله: «**ولم يَكُنْ يَنْبَغِي له ذلك**» لما له عليه تعالىٰ من فضل إخراجه من الشر الذي هو العدم إلى الخير الذي بيده تعالىٰ وهو الوجود، والله يقول في مكارم الأخلاق: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن: ٦٠]. فأحكام الأسماء الحسنى لذاتها وتعيين تلك الأحكام بكذا دون كذا مع جواز كذا لما أعطاه الممكن المعلوم من نفسه، فمن هنا نسب الأذى إلى المخلوق واتصف الحق بالصبر على أذى العبد، وعرف أهل الاعتناء من المؤمنين بذلك صورة الشاكي بهم ليدفعوا عنه ذلك الأذى فيكون لهم من الله أعظم الجزاء كما قررناه قبل، فهذه حضرة عجيبة فقد ذكرنا مائة حضرة، كما اشترطنا على أن الحضرات الإلٰهية تكاد لا تنحصر لأنها نسب، وقد ذكر منها أن لله ثلاثمائة خلق هذه التي ذكرنا من تلك الثلاث مائة وكل اسم إلٰهي فهو حضرة، ومن أسمائه ما نعلم ومنها ما لا نعلم، ومنها ما نجوز إطلاق ما نعلم عليه ومنها ما لا نجوزه لما يقتضي في العرف من سوء الأدب فسكتنا عنه أدباً مع الله، لكن جاء في القرآن من ذلك شيء بطريق التضمن، وأسماء الأفعال التي ما بنى منها أسماء كثيرة، وجاء أسماء أشياء نسب إليها حكم ما هو لله ولم يتسم الله بها، ونسب ذلك الحكم إليها مثل قوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] والواقي إنما هو الله، والسربال هنا نائب علق به الذكر في الحكم ونسب الوقاية إليه وليس الواقي إلاّ الله، ولكن ما يطلق على الله اسم السربال بل كل ما يفتقر إليه هو اسم من أسمائه تعالىٰ لأنه قال: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] ولما كان الله يحب الوتر لأنه وتر وجئنا بمائة حضرة فجئنا بالشفعية أوترناها بحضرة الحضرات لتكون مائة وواحدة فإن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن ونحن أهل القرآن فإنه علينا أنزل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الحضرات الجامعة للأسماء الحسنى

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] فاعلم أن أسماء الله منها معارف كالأسماء المعروفة وهي الظواهر، ومنها مضمرات مثل كاف الخطاب وتائه تاء المتكلم ويائه وضمير الغائب وضمير التثنية من ذلك وضمير الجمع مثل: ﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾ [الإنسان: ٢٣] ونون الضمير في الجمع مثل: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ [الإنسان: ٢٣] وكلمة أنا وأنت وهو، ومنها أسماء تدل عليها الأفعال ولم يبن منها أسماء مثل: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] ومثل: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] ومنها أسماء النيابة هي لله، ولكن نابوا عن الله منابه مثل قولنا: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] وكل فعل منسوب إلى كون ما من الممكنات إنما ذلك المسمّى نائب فيه عن الله لأن الأفعال كلها لله سواء تعلق بذلك الفعل ذم أو حمد، فلا حكم لذلك التعلّق بالتأثير فيما يعطيه العلم الصحيح، فكل ما ينسب إلى المخلوق من الأفعال فهو فيه نائب عن الله، فإن وقع محموداً نسب إلى الله لأجل المدح فإن الله يحب أن يمدح، كذا ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ وإن تعلق به ذمّ لم ننسبه إلى الله أو لحق به عيب مثل المحمود قول الخليل: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] وقال في المرض إذا مرضت ولم يقل أمرضني وما أمرضه إلاّ الله فمرض كما أنه شفاه، وكذلك: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] فكنى العالم العدل الأديب عن نفسه إرادة العيب. وقال في المحمود: فأراد ربك في حق اليتيمين، وقال في موضع الحمد والذمّ: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ [الكهف: ٨١] بنون الجمع لما فيه من تضمن الذمّ في قتل الغلام بغير نفس، ولما فيه من تضمن الحمد في حق ما عصم الله بقتله أبويه فقال: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ وما أفرد ولا عين، هكذا حال الأدباء ثم قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ يعني ما فعل ﴿عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] بل الأمر كله لله، فإذا كنى الحق عن نفسه بضمير الجمع فلأسمائه لما في ذلك المذكور من حكم أسماء متعددة، وإذا ثنى فلذاته ونسبة اسم خاص، وإذا أفرد فلاسم خاص أو ذات وهي المسمّى إذا كنى بتنزيه فليس إلاّ الذات، وإذا كنى بفعل فليس إلاّ الاسم على ما قررناه، وانحصر فيما ذكرناه جميع أسماء الله لا بطريق التعيين فإنه فيها ما ينبغي أن يعين وما ينبغي أن لا يعين، وقد جاء من المعين مثل الفالق والجاعل ولم يجىء المستهزىء والساخر وهو الذي يستهزىء بمن شاء من عباده ويكيد ويسخر ممّن شاء من عباده حيث ذكره ولا يسمّى بشيء من ذلك ولا بأسماء النواب ونوابه لا يأخذهم حصر، ولكن انظر إلى كل فعل منسوب إلى كون من الأكوان فذلك المسمّى هو نائب عن الله في ذلك الفعل كآدم والرسل خلفاء الله على عباده ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] فلننبه من ذلك على يسير يكون خاتمة هذا الباب لنفيد المؤمنين بما فيه سعادتهم، لأن السعادة كلها في العلم بالله تعالىٰ فنقول: إن من الأفعال ما علّق الله الذمّ بفاعله والغضب عليه واللعنة وأمثال ذلك، ومن الأفعال ما علّق الله المدح والحمد بفاعله كالمغفرة والشكر والإيمان والتوبة والتطهير والإحسان وقد وصف نفسه بأنه يحب المتصفين بهذا كله، كما أنه لا يحب الموصوفين بالأفعال التي علّق الذم بفاعلها مع

قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] والأمر كله لله. وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فأخبر أنه يحب الشاكرين والمحسنين والصابرين والتوّابين والمتطهرين والذين اتقوا ولا يحب المسرفين ويغفر لهم، ولا يحب المفسدين ولا الظالمين، وما جاء في القرآن من صفة من لا يحبه عزّ وجلّ، فالأدب من العلماء بالله أن تكون مع الله في جميع القرآن، وما صحّ عندك أنه قول الله في خبر وارد صحيح، فما نسب إلى نفسه بالإجمال نسبناه مجملاً لا نفصله، وما نسبه مفصلاً نسبناه إليه مفصلاً وعيناه بتفصيل ما فصل فيه لا نزيد عليه، وما أطلق لنا التصرّف فيه تصرفنا فيه لنكون عبيداً واقفين عند حدود سيدنا ومراسمه: [السريع]

فـإنَّـه الـرَّبُّ ونـحـن الـعَـبِـيـد فـنَـبْـتَـغـي بـالـشُّـكْـرِ مـنـه الـمَـزِيـدْ
لـكَـوْنِـنَـا بـالـفَـقْـر فـي فَـاقَـةٍ أوّلـهـا حـالُ حُـصُـولِ الـوُجُـودْ
وبـعـد ذا اسْـتِـمْـرَارُهُ دائـمـاً إلـى مـقـامـات الـفَـنَـا فـي الـشُّـهُـودْ
لأنـه سـبـحـانـه فـاعـلٌ يـفـعـلُ فـي أعـيـانـنـا مـا يُـريـدْ
ولا يُـريـدُ الـحَـقُّ إلاّ الـذي أعـطـاه فـي الـتَّـحْـقِـيـقِ حَـالَ الـعَـبِـيـدْ
ومـا يـزيـدُ الله فـي عِـلْـمِـهِ فـجُـودُهُـمْ مـنـهـم عـلـيـهـم يَـعُـودْ
ونَـنْـسُـبُ الـجُـودَ إلـيـه لـمـا لـه مـن الـخَـيْـر الـذي لا يَـبِـيـدْ
فـكـلُّ خَـيْـرنـا لـنـا حـادثٌ نَـعـيـمـنـا مـنـا فـمـا نَـسْـتَـزِيـدْ
بـنـا نَـعِـمْـنـا لا بـه فـانـظـروا فـي قـولـنـا فـنـحـن عَـيْـنُ الـحُـدُودْ

فما نعمنا إلاّ بحادث، فبنا نعمنا لأنه يستحيل تنعمنا به، ويستحيل قيام الحوادث به، فتنعمه وابتهاجه بذاته وكماله فإنه الغنيّ عن العالمين، فما رأى راء سوى نفسه لا رؤية علم ولا رؤية حسّ، فانظر ماذا ترى وانظر من ذا يرى، وانظر ما يحصل عن كل رؤية في نفس الرائي، فإن اقتضى ذلك الحاصل حكم رضى رضي، وإن اقتضى حكم سخط وغضب سخط وغضب كان ذلك الرائي من كان ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله فقد أسخطوا الله وأغضبوه فعاد وبال ذلك الغضب على من أغضبه، فلولا شهود ما أغضبه ما غضب وما أسخطه ما سخط وما أرضاه ما رضي، فإن الأصل التعري والتنزيه عن الصفات، ولا سيما في الله إذا كان أبو يزيد يقول: لا صفة لي فالحق أولى أن يطلق عن التقييد بالصفات لغناه عن العالم لأن الصفات إنما تطلب الأكوان، فلو كان في الحق ما يطلب العالم لم يصحّ كونه غنياً عمّا هو له طالب.

واعلم أن هذه الحضرة الجامعة للحضرات تتضمن ملك الله وليس ملك الله سوى الممكنات وهي أعياننا فنحن ملكه وبناء كان ملكاً وهو القائل: ﴿لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧] وقول رسول الله ﷺ في الثناء على الله: «**إنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ**» فجاء بلفظة «شيء» وهي تنطلق على الأعيان الثابتة والوجودية، فما وجد منها فهو متناه، وما لم يوجد فلا يوصف بالتناهي. ثم انظر في الخبر الإلٰهي الثابت الصحيح قوله: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ**» وما له آخر لأن الأمر لا يتناهى فلا يظهر الآخر إلاّ فيما وجد ثم يوجد آخر فيزول عن ذلك حكم الآخر وينتقل إلى هذا الذي وجد هكذا إلى ما لا يتناهى، وقد يتناهى الأمر في نوع خاص

كالإنسان، فإن أشخاص هذا النوع متناهية لا أشخاص العالم، ولا يتناهى أيضاً خلق أشخاص النوع الإنساني بوجه آخر لا يعثر عليه كل أحد وهو في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] فعين كل شخص يتجدد في كل نفس لا بدّ من ذلك، فلا يزال الحق فاعلاً في الممكنات الوجود، ويدل على ذلك اختلاف الأحكام على الأعيان في كل حال، فلا بدّ أن تكون تلك العين التي لها هذه الحال الخاص ليست تلك العين التي كان لها ذلك الحال الذي شوهد مضيه وزواله فيما شوهد من ذلك، ثم قال: «وَإِنسَكُمْ وَجِنَّكُمْ» وهو ما تبصرون وما لا تبصرون، وجاء بلو وهي كلمة امتناع لامتناع أي لو وقع هذا لكان الحكم فيه كما قرّره ثم قال: «**كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذٰلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً**» وهو الصحيح لأن ذلك عين ملكه فما زاد شيء في ملكه بل يقبل الزيادة ملك الوجود، وهو إنما أراد ملك الثبوت فالنقص والزيادة في الوجود ثم قال: «**وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذٰلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً**» وكيف ينقص منه والكل عين ملكه. ثم قال: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ سَأَلُوا فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذٰلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً**» لأن المعطى والمعطى إياه ما هو سوى عين ملكه، فما خرج شيء عن ملكه إلاّ أن ملكه منه ما هو موصوف بالوجود ومنه ما هو موصوف بالثبوت، فالثبوت والوجود منه لا بدّ أن يكون متناهياً، والثابت لا نهاية له وما لا نهاية له لا يتصف بالنقص لأن الذي حصل منه في الوجود ما هو نقص في الثبوت لأنه في الثبوت بعينه في حال وجوده إلاّ أن الله كساه حلة الوجود بنفسه، فالوجود لله الحق وهو على ثبوته ما نقص ولا زاد، فما كسي منه حلة الوجود كأنه تعين وتخصّص وحده ممّا لا يتناهى حد المخيط إذا غمسته في اليمّ، فانظر ما يتعلق به، فإنا نعلم أن المثال صحيح فإنا نعلم أن من الأعيان الثابتة ما يتصف بالوجود، كما نعلم أن المخيط قد تعلق به من اليمّ في الغمس، ونسبة ما تعلق من الماء بالمخيط من اليمّ ما هو في الدرجة مثل ما اكتسى من الأعيان الثابتة حلة الوجود لأن اليمّ محصور يأخذه العدد والتناهي لوجوده والأعيان الثابتة لا نهاية لها وما لا يتناهى لا يأخذه حد ولا يحصيه عدد مع صحة المثال بلا شك، وهكذا مثل الخضر لموسىٰ بنقر الطائر في البحر بمنقاره وهو على حرف السفينة فقال له الخضر: تدري ما يقول هذا الطائر؟ وكان الخضر قد أعطي منطق الطير فكان نقره كلاماً عند الخضر لا علم لموسىٰ بذلك، وكان الخضر قد ذكر لموسىٰ عليه السلام أنه على علم علمه الله لا يعلمه موسىٰ، وموسىٰ على علم علمه الله لا يعلمه خضر مع العلم الكثير الذي كان عند كل واحد منهما فقال: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلاّ بقدر ما نقر هذا الطائر، ومعلوم أنه قد حصل شيئاً من الماء في نقره، كذلك حصل بما علمه موسىٰ والخضر من العلم شركه مع الله في ذلك القدر، فعلمنا من علم الله شيئاً مما يعلمه الله فحقق ما حصل لك وما بقي ولم يحصل لك فوقع التشبيه الصحيح من جهة ما حصل لا من جهة ما لم يحصل، لأن الذي لم يحصل من اليمّ متناه، والذي لم يحصل من العلم لموسىٰ والخضر غير متناه، فلذلك جاء ضرب المثل من جهة ما حصل

خاصة، فإنا لا نشك في أنه حصل شيء في نفس الأمر إلاَّ أن حصول المعاني في النفوس بأي نوع كان حصولها لا يتصف من حصلت منه، ومن كان موصوفاً بها أنه نقص منه بقدر ما حصل عند المتعلم منه بل هو عنده كما هو عند من حصل له، وإنما لما ظهر ذلك المعنى في محلين كأنه وقع فيه الاشتراك. وفي المثال المحسوس ما يؤيّد هذا وهو أخذ النور من السراج بالفتائل فتتقد به فتائل لا تتناهى ولا ينتقص منه شيء وإنما حصل ذلك باستعداد القابل أن يقبل، واستعداد المأخوذ منه أن لا يمتنع، والسراج سراج على حاله وقد ملأ العالم سرجاً كذلك العلم والتعلم، فإذا كان المحسوس بهذه السعة وعلى هذه الحقيقة فما ظنك بالمعاني؟ ثم لتعلم أن لنا أحكاماً في حضرة الحق تضاف إليها بها من موالاة وعبادة وسؤال وغير ذلك ممّا لا يحصى كثرة إذا تتبع الإنسان أحوال نفسه مع ربه، ولهذا وصف نفسه بأن له أسماء وأخلاقاً وهي معلومة عند علماء الرسوم ألفاظها ومعانيها، وعند أهل الله الاتصاف بها حتى أطلق عليهم منها أعيان أسمائها كما قال عن نبيه ﷺ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ووصف نفسه بأنه أحسن الخالقين وخير الشاكرين وخير الناصرين، وكل ذلك اتصف به أهل الله على السنة المشروعة والطريقة الإلٰهية الموضوعة، فاتخذوا ذلك قربة إلى الله، فالله يجعلنا من أهله، فإنا من هذه الأهلية إلٰهية والبناه، ومن كونه مجيباً لما يطلبه منه عباده حين ينادونه سألناه، ومن كونه نزل إلينا في ألطافه الخفية وسأل منا أموراً وردت بها الأخبار الإلٰهية بالسنة الشرائع بادرنا إلى ذلك وقبلناه، ومن كونه إذا تقربنا إليه بنوافل الخيرات وأحبنا فكان سمعنا وبصرنا وجميع قوانا بهويته كنا، ومن كونه خلقنا دون جميع صور العالم على صورته وما بقي اسم ورد إلاَّ وظهرنا به حتى أضيف إلينا وسعناه، ومن كونه أعطانا الانفعال عنا والتأثير في الأكوان علمنا ما حصل لنا من ذلك منه وحققناه. ومن استنادنا إلى ذات موجدة لها غنى عنا ولنا إليها افتقار ذاتي لإمكاننا عرفناه، ومن كون هذا الأمر الذي استندنا إليه له نسبة إلينا بها ظهرت أعياننا بما نحن عليه من جميع ما يقوم بنا ونتصف به علمناه، وبتجليه في صورة كل شيء من العالم في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥] خشعنا له وشهدناه، ومن اسمه الظاهر في المظاهر فلا فاعل في الكون إلاَّ هو رأيناه، ومن كونه يطلب آثار عباده وما يكون منهم وإن كان ذلك خلقاً له كما قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] طالعناه، ومن كونه وصف نفسه بصفات المحدثات تنزلاً لنا آمنا بذلك القول إذ نسبه إلى نفسه واعتقدناه، ومن كونه أوحى إلى رسوله ﷺ أن يقول لنا: «**اعْبُدِ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ**» وَ«**إِنَّ الله فِي قِبْلَةِ المُصَلِّي إِذَا هُوَ نَاجَاهُ**» تخيلناه. ومن قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ﴾ [النور: ٣٥] شبهناه. ومن كونه قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١١٥] ومع هذا أمرنا باستقبال جهة خاصة سمّاها القبلة جعل نفسه لنا فيها فقال عليه السلام: «**إِنَّ الله فِي قِبْلَةِ المُصَلِّي**» وأمرنا باحترامها وأن نستقبلها في مجالسنا وأداء صلواتنا وأن لا نستقبلها بغائط ولا بول فإن اضطررنا

إلى هذه القاذورات انحرفنا عنها قليلاً قدر الطاقة واستغفرنا الله مثلناه. ومن كونه قال له رسول الله ﷺ عند سفره عن أهله: «**أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ**» وأمرنا أن نتخذه وكيلاً وكلناه. ومن كونه أقرب إلينا من حبل الوريد ولكن لا نبصره كبرناه. ومن كونه أمرنا أن نعظم شعائر الله لدلالتها عليه وحرمات الله عظمناه. وعن ملابسته إيانا في حركاتنا وسكناتنا مع شهودنا إياه فيها أجللناه. ومن أمره إيانا في الإهلال بالحج بتوحيده نفينا الشريك عنه تعالىٰ وأثبتناه. وبتهليله في قولنا: لا إلٰه إلاّ الله هللناه. ومن دعائه بأمره لنبيه ﷺ في قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧] الآيات لبيناه. ومن كونه ظهر فينا بنا وإلينا عنا وكان أقرب إلينا منا كما أخبرنا آمنا بذلك كله ثم قال: إنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] صدقناه ونزهناه. وبقوله: قال الله في غير موضع من كتابه ووعده ووعيده وتجاوزه عن سيئاتنا في خطابه وإضافة الكلام إليه صدقناه. ومن كونه أمرنا أن نعلمه ونصب الأدلة لنا محررة على الوصول إلى العلم به والبحث عنه لنتبين أنه الحق في قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] لنستدل بما ذكره عليه طلبناه. ولما علمنا أنه ما طلبنا ولا طلب منا أن نطلبه إلاّ ولا بدّ أن نجده إما بالوصول إليه أو بالعجز عن ذلك وعلى كلا الأمرين فوجدناه. فلما ظفرنا به في زعمنا وأردنا أن نقرّه على ما وجدناه تحول سبحانه لنا في غير الصورة التي ظفرنا به فيها ففقدناه ومن قوله: ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل: ٢٠] علمنا بتقييد القرض بالحسن أنه يريد أن نرى النعمة منه وأنها نعمته فعلى هذا الحد من المعرفة بالإنعام والنعم أقرضناه. ولما ظهر لنا سبحانه عند صور المتجلي في صور العالم لنحكم عليه بما تعطيه حقائق ما ظهر فيها من الصور وقد ظهر في صور تقتضي الملل وأخبر ﷺ أن الله لا يمل حتى تملوا فأشار أن ملل الإنسان ملله فأثبته للإنسان ونفاه ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] ومع هذا التعريف مللناه. وبما أطلعنا عليه من أسراره في عباده واطلع على أسرار عباده بما أطلعوه عليه من ذلك من هذه النسبة لا من كونه عالماً بها من غير نسبة اطلاعنا إياه عليها كاشفناه. ومن كونه غيوراً كما ذكره رسول الله ﷺ في حديث الغيرة في خبر سعد: «**إِنَّ اللهَ غَيُورٌ وَمِنْ غَيْرَتِهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ**» سترناه. ومن قوله: ﴿تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١٣] ومن كونه من ورائنا محيطاً حجبناه. ومن كونه أنزل نفسه منا منزلة السرّ وأخفى مع شدّة ظهوره بكونه صورة كل شيء وقال: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣] علمنا أنه يريد الإخفاء فأخفيناه. ومن كونه يقول في نزوله: هل من داع دعوناه، وهل من تائب ومن سائل ومن مستغفر وأمثال هذا نازلناه. ومن كونه أعلمنا أنه معنا أينما كنا بطريق الشهود والحفظ صاحبناه. ومن كونه أظهرنا بكل صورة ظهر بها لا نزيده عليها في الحال الذي يظهر به في عباده وافقناه. ومن كونه صادق القول فقال: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٦٧] مع علمه بأن العالم منا يعلم أنه هوية كل شيء نسيناه. ومن كونه أنزل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص] نسباً له عند قول اليهود لمحمد ﷺ: انسب لنا ربك فنسبناه. ومن كونه سمّى نفسه لنا بأسماء تطلب معانيها

تقوم به ما هي عين ذاته من حيث ما يفهم منها مع اختلافها وصفناه. ومن كونه سمّى نفسه بأسماء لا يفهم منها معان تقوم به بل يفهم منها نسب وإضافات كالأول والآخر والظاهر والباطن والغنيّ والعليّ وأمثال ذلك نعتناه ومن قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فنبّه على العلة وحدناه. ومن كونه في عماء وعلى عرش استوى وجعلنا على أحوال نطلب بها نزول الذكر إلينا وهو كلامه والصفة لا تفارق الموصوف فإذا نحن لضعفنا نزلناه فإذا نزل إلينا لما طلبناه له بقلوبنا أنزلناه. ولما أنزلناه في آنية مخصوصة معينة عينها سبحانه لنفسه حصرناه. وباستمرار بقائه بالأين الذي أنزلناه به مع الأنات وصفنا بأنا مسكناه. ومن كونه حياً وسمّى نفسه المحيي وجعلنا بلداً ميتاً دعوناه إلى إحيائه وسقيناه. ولما عرضنا هذه الصفات التي نسبنا إليه مع ما تقرر عندنا من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] و﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] وكل تسبيح ورد عن الله تعالىٰ وعن رسوله ﷺ أنكرناه. ولما أيَّهَ بنا من مكان قريب وبعيد لحكمة يريد ظهورها فينا أجبناه. وبما استعمله منا في ابتلائنا أعلمناه. ومن كونه عند عبده في لسانه إذا مرض وقلبه والتجائه واضطراره إليه عدناه. وباستسقاء الظمآن الذي تخيل السراب ماء فلما جاءه لم يجده شيئاً سقيناه. وباستطعام الجائع أطعمناه. وإلى كل ملمة ونازلة مهمة ليرفعها عن الضعفاء دعوناه وبقولنا في دعائنا إياه عن أمره اغفر لنا وارحمنا وانصرنا أمرناه وبقولنا: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦] نهيناه. وبقولنا إنه لن يعيدنا كما بدأنا كذبناه. وبقولنا إن له صاحبة وولداً شتمناه. وبتكذيبه وشتمه آذيناه. وباستفهامه إيانا عن أمور يعلمها أخبرناه. وبتلاوتنا كلامه العزيز بالنهار حدثناه. وبه في ظلام الليل سامرناه. وفي الصلاة عندما نقول ويقول ناجيناه. وعند سفرنا في أهلنا استخلفناه. وعند طلبه منا نصرة دينه نصرناه. وإذا لم نطلب سواه شاهداً وغائباً واعتمدنا عليه في كل حال حصلناه. وبمحاسبتنا نفوسنا وهو السريع الحساب سابقناه. وبأسمائنا التي أدخلتنا عليه وأعطتنا الحظوة لديه كالخاشع والدليد والفقير قابلناه وبكونه سمعنا سمعناه وبصرنا أبصرناه ورأيناه. وبما أوجدنا له بلام العلة عبدناه. وفي اعتمارنا الذي شرع لنا زرناه. وفي بيته الذي أذن فينا بالحج إليه قصدناه وأملناه. ولنيل جميع أغراضنا أردناه، وذلك لما نسب إلى نفسه من الأسماء الحسنى دون غيرها من الأسماء وإن كانت أسماء له في الحقيقة إلاَّ أنه عراها عن النعت بالحسنى.

فهو عزّ وجلّ الله من حيث هويته وذاته: الرحمٰن بعموم رحمته التي وسعت كل شيء الرحيم بما أوجب على نفسه للتائبين من عباده، الرب بما أوجده من المصالح لخلقه الملك بنسبة ملك السموات والأرض إليه فإنه رب كل شيء ومليكه القدوس بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] وتنزيهه عن كل ما وصف به، السلام بسلامته من كل ما نسب إليه ممّا كره من عباده أن ينسبوه إليه المؤمن بما صدق عباده وبما أعطاهم من الأمان إذا وفوا بعهده. المهيمن على عباده بما هم فيه من جيمع أحوالهم ممّا لهم وعليهم. العزيز لغلبه من غالبه إذ

هو الذي لا يغالب وامتناعه في علو قدسه أن يقاوم الجبار بما جبر عليه عباده في اضطرارهم واختيارهم فهم في قبضته. المتكبر لما حصل في النفوس الضعيفة من نزوله إليهم في خفيّ ألطافه لمن تقرب بالحد والمقدار من شبر وذراع وباع وهرولة وتبشيش وفرح وتعجب وضحك وأمثال ذلك الخالق بالتقدير والإيجاد. البارىء بما أوجده من مولدات الأركان. المصوّر بما فتح في الهباء من الصور وفي أعين المتجلي لهم من صور التجلي المنسوبة إليه ما نكر منها وما عرف وما أحيط بها وما لم يدخل تحت إحاطة. الغفار بمن ستر من عباده المؤمنين. الغافر بنسبة اليسير إليه. الغفور بما أسدل من الستور من أكوان وغير أكوان. القهار من نازعه من عباده بجهالة ولم يتب. الوهاب بما أنعم به من العطاء لينعم لا جزاء ولا ليشكر به ويذكر الكريم المعطي عباده ما سألوه منه. الجواد المعطي قبل السؤال ليشكروه فيزيدهم ويذكروه فيثيبهم. السخي بإعطاء كل شيء خلقه وتوفيته حقه. الرزاق بما أعطى من الأرزاق لكل متغذ من معدن ونبات وحيوان وإنسان من غير اشتراط كفر ولا إيمان. الفتاح بما فتح من أبواب النعم والعقاب والعذاب. العليم بكثرة معلوماته. العالم بأحدية نفسه. العلاّم بالغيب فهو تعلق خاص والغيب لا يتناهى والشهادة متناهية إذا كان الوجود سبب الشهود والرؤية كما يراه بعض النظار، وعلى كل حال فالشهادة خصوص، فإن من يقول: إن العلة في الرؤية استعداد المرئي فما ثم مشهود إلاّ الحق وما وجد من الممكنات وما لم يوجد، وبقي المحال معلوماً غيباً لم يدخل تحت الرؤية ولا الشهادة. القابض بكون الأشياء في قبضته والأرض جميعاً قبضته وكون الصدقة تقع بيد الرحمٰن فيقبضها. الباسط بما بسطه من الرزق الذي لا يعطى البغي بسطه وهو القدر المعلوم وأنه تعالىٰ يقبض ما شاء من ذلك لما فيه من الابتلاء والمصلحة. ويبسط ما شاء من ذلك لما فيه من الابتلاء والمصلحة الرفع من كونه تعالىٰ بيده الميزان يخفض القسط ويرفعه فيرفع ليؤتي الملك من يشاء ويعزّ من يشاء ويغني من يشاء الخافض لينزع الملك ممّن يشاء ويذلّ من يشاء ويفقر من يشاء بيده الخير وهو الميزان فيوفي الحقوق من يستحقها، وفي هذه الحال لا يكون معاملة الامتنان فإن استيفاء الحقوق من بعض الامتنان أعمّ في التعلّق. المعزّ المذلّ فأعزّ بطاعته وأذلّ بمخالفته وفي الدنيا أعزّ بما أتى من المال من أتاه وبما أعطى من اليقين لأهله وبما أنعم به من الرياسة والولاية والتحكم في العالم بإمضاء الكلمة والقهر، وبما أذل به الجبارين والمتكبرين، وبما أذلّ به في الدنيا بعض المؤمنين ليعزّهم في الآخرة ويذلّ من أورثهم الذلة في الدنيا لإيمانهم وطاعتهم. السميع دعاء عباده إذا دعوه في مهماتهم فأجابهم من اسمه السميع فإنه تعالىٰ ذكر في حدّ السمع فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١] ومعلوم أنهم سمعوا دعوة الحق بآذانهم ولكن ما أجابوا ما دعوا إليه، وهكذا يعامل الحق عباده من كونه سميعاً. البصير بأمور عباده كما قال لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] فقال لهما: ﴿لَا تَخَافَآ﴾ [طه: ٤٦] فإذا أعطى بصره الأمان فذلك معنى البصير لا أنه يشهده ويراه فقط فإنه يراه حقيقة سواء نصره أو خذله أو اعتنى به أو أهمله. الحكم بما يفصل به من الحكم يوم القيامة

بين عباده، وبما أنزل في الدنيا من الأحكام المشروعة والنواميس الوضعية الحكمية كل ذلك من الاسم الحكم العدل بحكمه بالحق وإقامة الملة الحنيفية ﴿قَلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الأنبياء: ١١٢] فهو ميل إليه إذ قد جعل للهوى حكماً من اتبعه ضلّ عن سبيل الله. اللطيف بعباده فإنه يوصل إليهم العافية مندرجة في الأدوية الكريهة فأخفى من ضرب المثل في الأدوية المؤلمة المتضمنة الشفاء والراحة لا يكون فإنه لا أثر لها في وقت الاستعمال مع علمنا بأنها في نفس استعمال ذلك الدواء ولا نحس بها للطافتها، ومن باب لطفه سريانه في أفعال الموجودات وهو قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] ولا نرى الأعمال إلاّ من المخلوقين، ونعلم أن العامل لتلك الأعمال إنما هو الله، فلولا لطفه لشوهد الخبير بما اختبر به عباده، ومن اختباره قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ [محمد: ٣١] فنرى هل ننسب إليه حدوث العلم أم لا؟ فانظر أيضاً هذا اللطف ولذلك قرن الخبير باللطيف فقال: ﴿ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] الحليم هو الذي أمهل وما أهمل. ولم يسارع بالمؤاخذة لمن عمل سوءاً بجهالة مع تمكنه أن لا يجهل وأن يسأل وينظر حتى يعلم العظيم في قلوب العارفين به. الشكور لطلب الزيادة من عباده ممّا شكرهم عليه وذكرهم به من عملهم بطاعته والوقوف عند حدوده ورسومه وأوامره ونواهيه وهو يقول: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧] فبذلك يعامل عباده، فطلب منهم بكونه شكوراً أن يبالغوا فيما شكرهم عليه العلي في شأنه وذاته عمّا يليق بسمات الحدوث وصفات المحدثات. الكبير بما نصبه المشركون من الآلهة ولهذا قال الخليل في معرض الحجة على قومه مع اعتقاده الصحيح، إن الله هو الذي كسر الأصنام المتخذة آلهة حتى جعلها جذاذاً مع دعوى عابديها بقولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فنسبوا الكبر له تعالىٰ على آلهتهم فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾ وهنا الوقف ويبتدىء ﴿هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣] فلو نطقوا لاعترفوا بأنهم عبيد وأن الله هو الكبير العليّ العظيم الحفيظ الحفيظ بكونه ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: ٥٤] فاحتاط بالأشياء ليحفظ عليها وجودها فإنها قابلة للعدم كما هي قابلة للوجود، فمن شاء سبحانه أن يوجده فأوجده حفظ عليه وجوده، ومن لم يشأ أن يوجد وشاء أن يبقيه في العدم حفظ عليه العدم فلا يوجد ما دام يحفظ عليه العدم، فإما أن يحفظه دائماً أو إلى أجل مسمّى. المقيت بما قدر في الأرض من الأقوات وبما أوحى في السماء من الأمور، فهو سبحانه يعطي قوت كل متقوّت على مقدار معلوم. الحسيب إذا عدّد عليك نعمه ليريك منته عليك لما كفرت بها فلم يؤاخذك لحلمه وكرمه وبما هو كافيك عن كل شيء لا إله إلاّ هو العليم الحكيم الجليل لكونه عزّ فلم تدركه الأبصار ولا البصائر، فعلا ونزل بحيث أنه مع عباده أينما كانوا كما يليق بجلاله إلى أن بلغ في نزوله أن قال لعبده: «**مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي وَجِعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي وَظَمِئْتُ فَلَمْ تَسْقِنِي**» فأنزل نفسه من عباده منزلة عباده من عباده فهذا من حكم هذا الاسم الإلهي. الرقيب لما هو عليه من لزوم الحفظ لخلقه فإن ذلك لا يثقله وليعلم عباده أنه إذا راقبهم يستحيون منه فلا يراهم حيث نهاهم ولا يفقدهم حيث أمرهم. المجيب من دعاه لقربه وسماعه دعا عباده كما

أخبر عن نفسه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] فوصف نفسه بأنه متكلم إذ المجيب من كان ذا إجابة وهي التلبية. الواسع العطاء بما بسط من الرحمة التي وسعت كل شيء وهي مخلوقة فرحم بها كل شيء وبها أزال غضبه عن عباده فانظر فهنا سر عجيب في قوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] الحكيم بإنزال كل شيء منزلته. وجعله في مرتبته ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] وقد قال عن نفسه إن بيده الخير وقال ﷺ له: «**وَالخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ**» فلم يبق منه شيئاً: «**وَالشَّرُّ لَيسَ إِلَيْكَ**». الودود الثابت حبّه في عباده فلا يؤثر فيما سبق لهم من المحبة معاصيهم فإنها ما نزلت بهم إلاّ بحكم القضاء والقدر السابق لا للطرد والبعد ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] فسبقت المغفرة للمحبين اسم المفعول. المجيد لما له من الشرف على كل موصوف بالشرف فإن شرف العالم بما هو منسوب إلى الله أنه خلقه وفعله فما هو شرفه بنفسه، فالشريف على الحقيقة من شرفه بذاته وليس إلاّ الله الباعث عموماً وخصوصاً، فالعموم بما بعث من الممكنات إلى الوجود من العدم وهو بعث لم يشعر به كل أحد إلا من قال: بأن للممكنات أعياناً ثبوتية وإن لم يعثر على ما أشرنا إليه القائل بهذا. ولما كان الوجود عين الحق فما بعثهم إلاّ الله بهذا الاسم خاصة، ثم خصوص البعث في الأحوال كبعث الرسل والبعث من الدنيا إلى البرزخ نوماً وموتاً ومن البرزخ إلى القيامة وكل بعث في العالم في حال وعين فمن الاسم الباعث فهو من أعجب اسم تسمّى الحق به تعريفاً لعباده. الشهيد لنفسه بأنه لا إله إلاّ هو ولعباده بما فيه الخير والسعادة لهم بما جاؤوا به من طاعة الله وطاعة رسوله وبما كانوا عليه من مكارم الأخلاق، وشهيد عليهم بما كانوا فيه من المخالفات والمعاصي وسفساف الأخلاق ليريهم منة الله وكرمه بهم حيث غفر لهم وعفا عنهم وكان مآلهم عنده إلى شمول الرحمة ودخولهم في سعتها إذ كانوا من جملة الأشياء، وأن تلك الأشياء المسماة مخالفة لم يبرزها الله من العدم إلى الوجود إلاّ برحمته فهي مخلوقة من الرحمة، وكان المحل الذي قامت به سبباً لوجودها لأنها لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بنفس المخالف، وقد علمت أنها مخلوقة من الرحمة ومسبحة بحمد خالقها فهي تستغفر للمحل الذي قامت به حتى ظهر وجود عينها لعلمها بأنها لا تقوم بنفسها الحق الوجود الذي﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ وهو العدم ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢] فمن بين يديه من قوله: لما خلقت بيديّ، ومن خلفه لقول رسول الله ﷺ: «**لَيسَ وَرَاءَ الله مَرْمَى**» فنسب إليه الوراء وهو الخلف فهو وجود حق لا عن عدم ولا يعقبه عدم بخلاف الخلق فإنه عن عدم ويعقبه العدم من حيث لا يشعر به، فإن الوجود والإيجاد لا ينقطع، فما ثم في العالم من العالم إلاّ وجود وشهود دنيا وآخرة من غير انتهاء ولا انقطاع، فأعيان تظهر فتبصر الوكيل الذي وكله عباده على النظر في مصالحهم، فكان من النظر في مصالحهم أن أمرهم بالإنفاق على حد معين فاستخلفهم فيه بعدما اتخذوه وكيلاً فالأموال له بوجه فاستخلفهم فيها، والأموال لهم بوجه فوكلوه في النظر فيها فهي لهم بما لهم فيها من المنفعة وهي له بما هي

غنيه من تسبيحه بحمده، فمن اعتبر التسبيح قال: إن الله ما خلق العالم إلاّ لعبادته، ومن رعى المنفعة قال: إن الله ما خلق العالم إلاّ لينفع بعضه بعضاً أوّل المنفعة فيهم للإيجاد فأوجد المحال لينتفع بالوجود من لا يقوم من الموجودات إلاّ بمحل وأوجد من لا قيام له بنفسه لينتفع به من لا يستغني عن قيام الحوادث به ولا يعرى عنها، فوجود كل واحد منهما موقوف على صاحبه من وجه لا يدخله الدور فيستحيل الوقوع. القويّ المتين: هو ذو القوّة لما في بعض الممكنات أو فيها مطلقاً من العزّة وهي عدم القبول للأضداد فكان من القوّة خلق عالم الخيال ليظهر فيه الجمع فين الأضداد لأن الحسّ والعقل يمتنع عندهما الجمع بين الضدين والخيال لا يمتنع عنده ذلك، فما ظهر سلطان القوي ولا قوته إلاّ في خلق القوّة المتخيلة وعالم الخيال فإنه أقرب في الدلالة على الحق فإن الحق هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، قيل لأبي سعيد الخراز: بم عرفت الله؟ قال: بجمعه بين الضدين ثم تلى هذه الآية، وإن لم تكن من عين واحدة وإلاّ فما فيها فائدة فإن النسب لا تنكر، فإن الشخص الواحد قد تكثر نسبه فيكون أباً وابناً وعماً وخالاً وأمثال ذلك وهو هو لا غيره، فما حاز الصورة على الحقيقة إلاّ الخيال، وهذا ما لا يسع أحداً إنكاره، فإنه يجده في نفسه ويبصره في منامه فيرى ما هو محال الوجود موجوداً، فتنبه لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]. الوليّ: هو الناصر من نصره فنصرته مجازاة ومن آمن به فقد نصره، فالمؤمن يأخذ نصر الله من طريق الوجوب فإنه قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] مثل وجوب الرحمة عليه سوءاً قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وأين هذا من اتساعها؟ فنصرة الله تشبه رحمة الوجوب وتفارق رحمة الامتنان الواسعة فإنه ما رأينا فيما أخبرنا به تعالىٰ نصرة مطلقة وإنما رأيناها مقيدة إما بالإيمان وإما بقوله: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] وهنا سرّ من أسرار الله تعالىٰ في ظهور المشركين على المؤمنين في أوقات فتدبره تعثر عليه إن شاء الله فما ورد حتى نؤمن به إلاّ أن الإيمان إذا قوي في صاحبه بما كان فله النصر على الأضعف والميزان يخرج ذلك. وقولي هذا ما كان لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [العنكبوت: ٥٢] فسمّاهم مؤمنين ولكن تحقق في إيمانهم بالباطل أنهم ما آمنوا به من كونه باطلاً، وإنما آمنوا به من كونهم اعتقدوا فيه ما اعتقد أهل الحق في الحق، فمن هنا نسب الإيمان إليهم وبما هو في نفس الأمر على غير ما اعتقدوه سمّاه الحق لنا باطلاً لا من حيث ما توهموه. الحميد: بما هو حامد بلسان كل حامد وبنفسه وبما هو محمود بكل ما هو مثنى عليه وعلى نفسه، فإن عواقب الثناء عليه تعود. المحصي: كل شيء عدداً من حروف وأعيان وجودية، إذ كان التناهي لا يدخل إلاّ في الموجودات فيأخذه الإحصاء فهذه الشيئية شيئية الوجود، وفي قوله: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٨]. المبدىء: هو الذي ابتدأ الخلق بالإيجاد في الرتبة الثانية وكل ما ظهر من العالم ويظهر فهو فيها، وما ثم رتبة ثالثة فهي الآخر والأولى للحق فهو الأوّل فالخلق من حيث وجوده لا يكون في الأوّل أبداً، وإنما له الآخر والحق معه في الآخر فإنه مع العالم أينما كانوا

وقد تسمى بالآخر فاعلم. المعيد: عين الفعل من حيث ما هو خالق وفاعل وجاعل وعامل، فهو إذا خلق شيئاً وفرغ خلقه عاد إلى خلق آخر لأنه ليس في العالم شيء يتكرّر وإنما هي أمثال تحدث وهي الخلق الجديد وأعيان توجد. المحيي: بالوجود كل عين ثابتة لها حكم قبول الإيجاد فأوجدها الحق في وجوده. المميت: في الزمان الثاني فما زاد من زمان وجودها فمفارقتها وانتقالها لحال الوجود الذي كان لها موت، وقد يرجع إلى حكمها من الثبوت الذي كان لها فمن المحال وجودها بعد ذلك حتى تفرغ وهي لا تفرغ لعدم التناهي فيها فافهم.

وفي تقييدي هذا الباب في هذه المسألة سمعت منشداً ينشد من زاوية البيت لا أرى له شخصاً لكني أسمع الصوت ولا أدري لمن يخاطب بذلك الكلام وهو: [المجتث]

أَوْصِ فإنَّكَ رَائِخْ ... لِمَنْزِلٍ أَنْتَ رَابِخْ
فيه لأنك ممّن ... له قَبُولُ النَّصائِخْ
قد صَاحَ في جانب الـ ... ـدار لِلْمَنِيَّةِ صَائِخْ
وقد دعاكَ إليه ... فلا تُجِبْ بالنَّوائخْ
وقد أتاك رسولٌ ... منه بِخَيْرِ المَنَائِخْ
لقاء ربّك فيها ... وفيه كل المصالخْ

فهو بالنسبة إلى رؤية الله قريب، وقد يكون بالنسبة إلينا بعيد مثل قوله في المعارج: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ ـ ٧]. الحيّ: لنفسه لتحقيق ما نسب إليه ممّا لا يتصف به إلاّ من شرطه أن يكون حياً. القيوم: لقيامه على كل نفس بما كسبت. الواجد: بالجيم لما طلب فلحق فلا يفوته هارب كما لا يلحقه في الحقيقة طالب معرفته. الواحد: من حيث ألوهته فلا إلٰه إلاّ هو. الصمد: الذي يلجأ إليه في الأمور، ولهذا اتخذناه وكيلاً. القادر: هو النافذ الاقتدار في القوابل الذي يريد فيها ظهور الاقتدار لا غير. المقتدر: بما عملت أيدينا فالاقتدار له والعمل يظهر من أيدينا، فكل يد في العالم لها عمل فهي يد الله فإن الاقتدار لله فهو تعالىٰ قادر لنفسه مقتدر بنا. المقدم المؤخر من شاء لما شاء ومن شاء عمّا شاء. الأوّل الآخر بالوجوب وبرجوع الأمر كله إليه. الظاهر الباطن لنفسه ظهر فما زال ظاهراً وعن خلقه بطن فما يزال باطناً فلا يعرف أبداً. البرّ بإحسانه ونعمه وآلائه التي أنعم بها على عباده. التوّاب لرجوعه على عباده ليتوبوا ورجوعه بالجزاء على توبتهم. المنتقم ممّن عصاه تطهيراً له من ذلك في الدنيا بإقامة الحدود وما يقوم بالعالم من الآلام فإنها كلها انتقام وجزاء خفي لا يشعر به كل أحد حتى إيلام الرضيع جزاء العفوّ لما في العطاء من التفاضل في القلة والكثرة وأنواع الأعطيات على اختلافها لا بدّ أن يدخلها القلة والكثرة فلا بدّ أن يعمها. العفو فإنه لا بدّ من الأضداد كالجليل. الرؤوف بما ظهر في العباد من الصلاح والأصلح لأنه من المقلوب وهو ضرب من الشفقة. الوالي لنفسه على كل من ولي عليه فولى على الأعيان الثابتة فأثر فيها الإيجاد وولى على الموجودات فقدم من شاء وأخّر من شاء وحكم فعدل وأعطى فأفضل. المتعالي على من أراد علوّاً في الأرض وادّعى له ما ليس له بحق. المقسط: هو ما

أعطى بحكم التقسيط وهو قوله: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعۡلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] وهو التقسيط. الجامع: بوجوده لكل موجود فيه. الغنيّ عن العالمين بهم. المغني: من أعطاه صفة الغنى بأن أوقفه على أن علمه بالعالم تابع للمعلوم فما أعطاه من نفسه شيئاً فاستغنى عن الأثر منه فيه لعلمه بأنه لا يوجد فيه إلاً ما كان عليه. البديع: الذي لم يزل في خلقه على الدوام بديعاً لأنه يخلق الأمثال وغير الأمثال ولا بدّ من وجه به يتميز المثل عن مثله فهو البديع من ذلك الوجه. الضارّ النافع: بما لا يوافق الغرض وبما يوافقه. النور: لما ظهر من أعيان العالم وإزالة ظلمة نسبة الأفعال إلى العالم. الهادي: بما أبانه للعلماء به ممّا هو الأمر عليه في نفسه. المانع: لإمكان إرسال ما مسكه وما وقع الإمساك إلاً لحكمة اقتضاها علمه في خلقه. الباقي: حيث لا يقبل الزوال كما قبلته أعيان الموجودات بعد وجودها فله دوام الوجود ودوام الإيجاد. الوارث: لما خلفناه عند انتقالنا إلى البرزخ خاصة. الرشيد: بما أرشد إليه عباده في تعريفه إياهم بأنه تعالىٰ على صراط مستقيم في أخذه بناصية كل دابة فما ثم إلاً من هو على ذلك الصراط والاستقامة مآلها إلى الرحمة، فما أنعم الله على عباده بنعمة أعظم من كونه آخذاً بناصية كل دابة فما ثم إلاً من مشى به على الصراط المستقيم. الصبور على ما أوذي به في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧] فما عجل لهم في العقوبة مع اقتداره على ذلك، وإنما أخّر ذلك ليكون منه ما يكون على أيدينا من رفع ذلك عنه بالانتقام منهم فيحمدنا على ذلك، فإنه ما عرفنا به مع اتصافه بالصبور إلاً لندفع ذلك عنه ونكشفه، فهذا بعض ما أعطته حضرة الحضرات من هذا الباب فإنه باب الأسماء، وأما الكنايات فنقول فيها لفظاً جامعاً وهو إذا جاءت في كلام الرسول عن الله تعالىٰ أو في كتاب الله فلننظر القصة والضمير ونحكم على تلك الكناية بما يعطيه الحال في القصة المذكورة لا يزاد في ذلك ولا ينقص منه والباب يتسع المجال فيه فلنقتصر منه على ما ذكرنا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.
انتهى السفر الثالث والثلاثون.

بسم الله الرحمن الرحيم

[السفر الرابع والثلاثون]

الباب التاسع والخمسون وخمسمائة
في معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة

[نظم: مجزوء الخفيف]

لله فـــي خَـــلْـــقِـــهِ نَـــذِيـــرُ ... يُـعْـلِـمُـهُـمْ أنـه الـبَـشِـيـرُ
وهـــو الـــسِّـــراجُ الـــذي ســـَ ... ـنَـاهُ يَـبْـهَـرُ أَلْـبَـابَـنَـا الـمُـنِـيـرُ
فـي كـل عَـصْـرٍ لـه شُـخَـيْـصٌ ... تـجـري بـأنـفـاسـه الـدُّهُـورُ
عَـيَّـنَـهُ فـي الـوجـود فَـرْداً ... الـواحـدُ الـعـالـمُ الـبـصـيـرُ

يـا واحـداً مَـجْـدُهُ تـعـالـىٰ ... لـيـس لـه فـي الـوَرَى نَـظِـيـرُ
لـيـس لأنـواره ظـهـورٌ ... إلاَّ بـنـا إذ لـنـا الـظُّـهُـورُ
فـنـحـن مَـجْـلَـى لـكـلّ شـيء ... يـظـهـر فـي عـيـنـه الأمُـورُ

اعلم أيّدنا الله وإياك بروح القدس أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب، هو الباب الجامع لفنون الأنوار الساطعة، والبروق اللامعة، والأحوال الحاكمة، والمقامات الراسخة، والمعارف اللدنية، والعلوم الإلٰهية، والمنازل المشهودة، والمعاملات الأقدسية، والأذكار المنتجة، والمخاطبات المبهجة، والنفثات الروحية، والقابلات الروعية، وكل ما يعطيه الكشف ويشهد له الحق الصرف، ضمنت هذا الباب جميع ما يتعلق بأبواب هذا الكتاب ممّا لا بدّ من التنبيه عليه مرتباً من الباب إلى آخره، فمن ذلك سرّ الإمام المبين وما يتعلق بالباب الأوّل: [الكامل]

إن الإمـامَ هـو الـمُـبَـيِّـنُ شَـرْعَ مَـنْ ... شَـرَعَ الأمُـورَ مُـبَـيِّـنـاً لـعَـبِـيـدِهِ
مـنـهـا الـذي فـي حـقّـهـم تَـذْرُونَـهُ ... وكـذاك مـا يـخـتـصُّ فـي تَـوْحـيـدِهِ

الإمام المبين هو الصادق الذي لا يمين مجلى ما أحاط به العلم، وتشكل فيه الكيف والكم، وحلّت به الأعراض وفعل بالإرادات والأغراض، وانفعلت له الأوعية المراض، النور الباهر، وجوهر الجواهر، يقبل الإضافات الكونية والاستنادات العينية، والأوضاع الحكمية، والمكانات الحكمية، رفيع المكانة كثير الاستكانة، علم في رأسه نار، عبرة لأولي الأبصار، يملي جميع ما سطر، وما هو بمسيطر ما له وجود إلا بما يحمله، ولا يفصل إلاّ بما يقبله، هو المحصي لما علم وجهل وفصل وأجمل، لكل صورة فيه عين، وله في كل صورة كون، يمدّ ويستمد، ويعدّ له ويعدّ، منه ظهرنا، وإياه نهينا وأمرنا، ومن ذلك سرّ الظرف، الموضع في الحرف ممّا يتعلق بالباب الثاني، الظرف وعاء، والحرف وطاء، تختلف صورته، وتحكم سورته، هو معنى المعاني، المظهر لاختلاف الأشكال والمباني، يحوي الله وجوده، ويغني عن شهود الحق شهوده، منازله معدودة، وآثاره مشهودة وكلماته محدودة، وآياته بالنظر مقصودة، أعطى مقاليد البيان، فأفصح وأبان، فمنه نثر ومنه نظم، ومنه أمر ومنه حكم، وفيه حق وفيه خلق، ففيه عدل وفيه ظلم، له التلفظ والرقم، وله التوهم لا الوهم، لا وجود له إلاّ به، فأنبته أبان للآذان ما ستره الجنان، نطق عن الغيب بما لا شك فيه ولا ريب، يشهده الإيمان والعيان، صحفاً مكرمة، مرفوعة مطهرة، بأيدي سفرة، كرام بررة، هو ابن الإمام، لا بل أبوه الذي له الكمال والتمام، إذا أسهب ذهب وإذا أوجز أعجز، فيصح المقال، كثير القيل والقال، تختلف أشكاله ومعارجه، وتخفى على المتبع آثاره ومدارجه، كاين باين، راحل قاطن، استوطن الخيال، وافترش الكتاب، واستوطأ اللسان، ومن ذلك سر التنزيه النزيه، وهو ما يتعلق بالباب الثالث: [الوافر]

تَـنَـزَّهْـنَـا عـن الـتَّـنْـزِيـهِ لـمّـا ... رأيـنـاه يـدلُّ عـلـى الـشَّـبِـيـهِ
وقـلـنـا ذاك حَـظُّ الـحَـقِّ مـنَّـا ... بـعـلـم الـواحـد الـفَـرْدِ الـنَّـبِـيـهِ

التنزيه تحديد المنزه، والتشبيه تثنية المشبه، فيا ولي تنبه وتفكر فيمن نزّه وشبه، هل حاد عن سواء السبيل؟ أو هل هو من علمه في ظل ظليل في خير مستقر وأحسن مقيل، المنزّه يخلى والمشبه يحلى ويحلى، والذي بينهما لا يخلى ولا يحلى بل يقول: هو عين ما بطن وظهر، وأبدر واستسرّ، فهو القمر والشمس، والعالم له كالجسد للنفس، فما ثم إلاّ جمع، ما في الكون صدع، إن لم يكن الأمر كذلك، فما ثم شيء هنالك، والأمر موجود، لا بل وجود، والحكم مشهود، لا بل شهود، وبالمنسب صحّ النسب، ولولا المسبب، ما ظهر حكم السبب، فإن قلت ليس كمثله شيء، زال الظل والفيء، والظل ممدود بالنص، فعليك بالبحث والفحص، ومن ذلك سر البدء اللطيف، وما جاء فيه من التعريف، من الباب الرابع أن العالم علامة، بدؤه ممّن فهو علامة، على ما استتر عين حتى يظهره كون، رأينا رسوماً ظاهره وربوعاً داثره، قد كانت قبل ذلك عامره، وناهيه وآمره، فسألناها ما وراءك يا عصام، فقالت ما يكون به الاعتصام، فقلت ما ثم إلاّ الله وحبله، وما لا يسع أحداً جهله، فقال: لولا الكثائف، ما علمت اللطائف، ولولا آثارها، ما ظهر منارها، فمن خبت ناره انهدّ مناره، له حضرة القدس، وما ينم به إلاّ الحسّ لولا الحسّ، بشهود الأثر ما عرف للطيف خبر، النفس عمياً للقرب المفرط وما تشهده الحواس، وهي الصماء عن إدراك الوسواس، وهي الخرسا فلا تفصح، والعجما فلا تعقل فتوضح: [الكامل]

سَرَى اللَّطِيفُ من اللَّطِيفِ فَنَاسَبَهْ ... وبَـدَا لـه مـنـه الـخـلافُ فَـعَـاتَـبَـهْ
وتَـوَجَّـهَـتْ مـنـه عـلـيـه حُـقُـوقُـهُ ... فدعاه للقاضي العليم فَطَالَبَهْ
نـادى عـلـيـه مُـجَـرِّسـاً هـذا جـزاء ... من عَامَلَ الجِنْسَ البَعِيدَ وصاحبَهْ
لِـيَـتُـوبَ مـن سـمـع الـنِّـدَا فـيَـرْعَـوي ... عـنـه ويـعـلـم أنـه إن جَـانَـبَـهْ
تَـظْـفَـرْ يـداه بـكـل خَـيْـرٍ شـامـلٍ ... فـاسْـتَـعْـمَـل الإرسالَ فيه وكَـاتَـبَـهْ

هو اللطيف في أسمائه الحسنى، وبها ظهر الملأ الأعلى والأدنى، لما تجاورت تحاورت، ولما تكاثرت تسامرت، فرأت أنفسها على حقائق، ما لها طرائق، سماؤها ما لها من فروج، ومع هذا فلها نزول وعروج، فطلبت أرضاً تنبت فيها كل زوج بهيج، فقالت المفتاح في النكاح، ولا بدّ من ثلاثة: ولي وشاهدي عدل لهذا القضاء الفصل، فقال العليم: لا بدّ من ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فهذا أيها الولي الشاهدان والولي، فهذا كان أول تركيب الأدلة، وبعد هذا عرضت الشبه المضلة، ومن ذلك سرّ كن والبسملة، فيمن علله من الباب الخامس، قال الحلاج وإن لم يكن من أهل الاحتجاج: بسم الله منك بمنزلة كن منه، فخذ التكوين عنه، فمن تقوى جاشه، واستدار عرشه، وتمهد فرشه، كرسول الله ﷺ قال كن ولم يبسمل، فكان ولم يحوقل، فمن ذاق ضاق، وإذا التفت الساق بالساق، فإلى ربك المساق، فإليه ترجع الأمور، إذ كان منه الصدور: [مجزوء الخفيف]

لا تُـبَـسْـمِـلْ وقُـلْ بِـكُـنْ ... مـثـل مـا قـالـه يَـكُـنْ
فـإلـيـه رُجُـوعُـنـا ... لا إلـيـنـا فـكُـنْ تَـكُـنْ

ومن ذلك سرّ الروح وتشبيهه بيوح من الباب السادس: [البسيط]

الـرُّوحُ مـن عَـالَـم الأمْـرِ الـذي تَـدْري كـمثـل مـا نَـصَّ لي في مُحْكَـمِ الـذِّكْرِ
وإن ربّـي بـذاك الـقَـدْرِ عَـرَّفَـنـي وكـان تَـعْـريـفُـهُ حَـقّـاً عـلـى قَـدْري

أشرقت أرض الأجسام بالنفوس، كما أشرقت الأرض بأنوار الشموس، وإنما لم نفرد العين لأنها ما أشرقت إلاَّ بما حصل فيها من نور الكون، وإن كان الأصل ذلك الواحد فليس ما صدر عنه بأمر زائد، فعددته الأماكن لما أنزل نفسه فيها منزلة الساكن، فللحقيقة رقائق يعبر عنها بالخلائق، ومن ذلك سرّ الكيف والكم وما لهما من الحكم من الباب السابع: [البسيط]

الكَـيْـفُ والـكَـمُّ مـجـهـولان قد عُـلِـمَـا وقـد فَـهِـمْـتُ لـمـاذا جـاءنـي بـهـمـا
فـهـمـا يُـبَـلِّـغُـنـا عِـلْـمـاً بـأن لـه فـيـنـا الـتَّـحَـكُّـمَ فـانْـظُـرْهُ بـه لـهـمـا

هو البيت المعمور بالقوي والذي كان عليه الاستوا محل الظهور المشرق بالنور كلمة الحق ومقعد الصدق، معدن الأرفاق ومظهر الأوفاق، محل البركات ومعين السكنات والحركات، به عرفت المقادير والأوزان وبه سمّي الثقلان، له من الأسماء المتين، وهو الذي أبان النور المبين، حكم في النور بالقسمة، وظهرت بوجوده الظلالات والظلمة، منه تتفجر ينابيع الحكم، وتبرز جوامع الكلم، يحوي على رموز النصائح وكنوز المصالح، الشهادة سخافته، والغيب كثافته، يستر للغيرة حتى لا يرى راء غيره، يتقلب في جميع الأحوال، ويقبل بذاته التصريف في جميع الأعمال، ومن ذلك سرّ ظهور الأجساد بالطريق المعتاد من الباب الثامن: [البسيط]

تَـجَـسُّـدُ الـرُّوح لـلأبْـصـار تَـخْـيِـيـلُ فـلا تَـقِـفْ فـيـه إن الأمْـرَ تَـضْـلِـيـلُ
قـام الـدلـيـلُ بـه عـنـدي مـشـاهـدةً لـمـا تَـنَـزَّلَ روحُ الـوَحْـي جِـبْـرِيـلُ

البرزخ ما قابل الطرفين بذاته، وأبدى لذي عينين من عجائب آياته، ما يدل على قوته، ويستدل به على كرمه وفتوته، فهو القلب الحوّل، والذي في كل صورة يتحوّل، عوّلت عليه الأكابر حين جهلته الأصاغر، فله المضاء في الحكم، وله القدم الراسخة في الكيف والكم، سريع الاستحالة يعرف العارفون حاله، بيده مقاليد الأمور، وإليه مسانيد الغرور، له النسب الإلهي الشريف، والمنصب الكياني المنيف، تلطف في كثافته، وتكثف في لطافته، يجرحه العقل ببرهانه، ويعدله الشرع بقوّة سلطانه، يحكم في كل موجود، ويدل على صحة حكمه بما يعطيه الشهود، ويعترف به الجاهل بقدره والعالم، ولا يقدر على ردّ حكمه حاكم، ومن ذلك سرّ المارج في الوالج من الباب التاسع: [البسيط]

الـنـارُ كـالـنُّـور فـي الإحـراق قد شَـهِـدَا لـذلـك الأمْـرُ مـا مـولاي قـد عـبـدا
فـالـكـلُّ دَانَ بـه والـكـلُّ دَانَ لـه لـه الـتَّـحَـكُّـمُ فـيـنـا كـلـمـا وَرَدَا

أوّل جواد كبا حين أمر فأبى، وأوّل من قدح في النهي من نهي وما انتهى، سنّ الخلاف في الائتلاف، فأظهر النقيض ليعرف الحبيب من البغيض، امتثل الأمر فيما يشقيه وحلّ به ما كان يتقيه، يحالف الردى ويخالف الهدى ولا يترك سدى، ومع اتصافه بالخوف لا يبرح في

معاملته بالحيف، فإذا جنح منهم من جنح إلى ربه طائعاً وكان لباب سعادته قارعاً، لم يحسن أحد يقرع قرعه وكان الحق بصره وسمعه، إن سمع أنصت وإن أسمع أبهت، ومن ذلك سرّ النور في الخفاء والظهور من الباب العاشر: [البسيط]

الشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ الشَّمْسُ مُخرِقَةٌ   بنُورها فهي نُورٌ حُكْمُهُ نَارُ
وليس يعبُدُها إلاَّ أخٌ عَمُّهُ   نَدْبٌ جَلِيدٌ له في القَلْبِ آثَارُ

أشرقت الأنوار حين شرقت، وتميزت بها الأعيان فافترقت، فأغنت الإشارات عن العبارات، فمنها من هيم فتهيم، ومنا من حكم فتحكم، فلكل عين مقام معلوم وحدّ مرسوم، فمنه مرموز ومنه مفهوم، يحلقون نفوسهم كما يشاؤون، وفي أي صورة شاؤوها يتحوّلون، هم الحدادون والحجاب، ولهم الظهور والحجاب، إن هذا لشيء عجاب، يكثرون التكبير، ويحفون بالسرير، لهم المقام الأشمخ ومنزلهم بين الله والعلماء منا في البرزخ، فأصحاب النسب منهم عند أرباب الفكر هم الخلفاء من البشر، يعلم ذلك من تحقق بالنظر، واعتمد على ما جاء به الكشف والخبر، في مجاري العبر، والعقول من حيث أدلتها قاصرة عن درك هذا العلم لطموس عين الفهم، ومن ذلك سرّ الافتتاح بالنكاح من الباب الأحد عشر: [مجزوء الرمل]

أنا في الوُجُودِ بابٌ   وعليه منه قُفْلُ
فأنا بَغْلٌ بوَجْهِ   وبوَجْهٍ أنا أَهْلُ

القول من القائل في السامع نكاح، فعين المقول عين ما تكون من السامع فظهر ظهور المصباح، التوجه سبب القول والتكوين على التعيين في المحل الظاهر، لنزول الباطن إلى الظاهر، وهذا نكاح بين المعنى والحسّ والأمر المركب والنفس، ليجمع بين الكثيف واللطيف، ويكون به التمييز والتعريف، وإن خالف تركيب المعاني تركيب الحروف فهو كخلاف المعرفة والمعروف، ثم ينزل الأمر النكاحي من مقام الافتتاح إلى مقام الأرواح، ومن المنازل الرفيعة إلى ما يظهر من نكاح الطبيعة، ومن بيوت الأملاك إلى نكاح الأفلاك لوجود الأملاك، ومن حركات الأزمان إلى نكاح الأركان، ومن حركات الأركان إلى ظهور المولدات التي أخرها جسم الإنسان، ثم تظهر في الأشخاص بين مباض ومناص، فالنكاح ثابت مستقرّ ودائم مستمرّ، ومن ذلك سرّ الدور المستدير والاستواء على السرير من الباب الاثني عشر: [الخفيف]

اسْتَوَيْنَا على السرير لأمْرِ   هو دَوْرٌ والدَّوْرُ عَمَّ كِيَانَهْ
فاستدارتْ بنا الأمورُ وحارتْ   حين حُزْنَا جَنَابَهُ وجِنَانَهْ

الدهر حول قلب، ولهذا يتنوّع في الصور ويتقلب، لولا استدارة الزمان، ما ظهرت الأعيان، ولولا الملوان ما كان الحدثان، بتكرار الفصول يدوم حكم الأصول، وبه ظهور الأنعام هنا وفي دار السلام، إنما دار السرير ليحيط بالكائنات علم التفصيل والتدبير، فيباشر الأمور بذاته ويهبها ما يناسبها من هباته، فإن الخزائن لديه وفي يديه، فلولا الإحاطة والدور ما

تمكن، ولا كان له ما سكن، فلا نفوذ للمحاط به فانتبه، ومن قال بالحور في الدور تعوذ من الحور بعد الكور، ولا يقول بالحور إلاّ من لا علم له بالتسيير، ولا يعرف قبيلاً من دبير الأمر إمام، والقول بالقهقرى خلف من الكلام، ومن ذلك سرّ الفرش وحملة العرش من الباب الثالث عشر: [مجزوء الرمل]

أنــا فــي الــفَــرْشِ وُجُــودٌ وَوُجُــودُ الــفَــرْش عَــرْشــي
إذا مــا كــنــتُ إمــامــاً كــانــت الأكــوانُ فَــرْشــي

أرواح وصور متكؤون على سرر، وأعدية ومراتب لها طرق ومذاهب، فالأرواح والصور بين ملائكة وبشر، البشر لمباشرة اليدين والملائكة للتردد بين العين والعين، من لا أين إلى أين، ومن أين إلى لا أين، ومن أين إلى أين، ومن لا أين إلى لا أين، فبين من وإلى، ظهر الملآن الأسفل والأعلى، فالعرش حامل محمول، والأمر فاصل مفصول، والعالم فاضل مفضول، والفرش مهاد موضوع، ومباح غير ممنوع، يحكم فيه الطبع، وإن قيّده الشرع، ولولا العين ما ظهر للتقييد حكم في الكون، فلو زالت الحدود لزال التقييد، ولا سبيل إلى زوالها فإن بقاها عين كمالها، بها صحّت المناضلة وبانت المفاضلة، العرش لمن استوى عليه، والأمر منه بدا ثم يعود إليه، من غير رجوع على عقبه بل هو على مذهبه ما ثم غايه فيرجع ولا لإحاطته نهاية فيتصدع، وليس وراء الله مرمى وهو الأوّل عند البصير والأعمى، فالكل يقول بالابتداء وافترقوا في إثبات الانتهاء، فمنهم ومنهم وكل ذلك منقول عنهم، ومن ذلك سرّ النبوّتين وما لهما من العين من الباب الرابع عشر لما انقطع أنباء التشريع، بقي الأنباء الرفيع فإنه يعمّ الجميع، هو ميراث الأولياء من الأنبياء، فلهم اللمحات والأنفاس والنفحات، الاجتهاد شرع حادث، وبه تسمى الحارث بالحارث، الاجتهاد شرع مأذون فيه لإمام يصطفيه لا يزال البعث ما بقي الورث، وهذا المال الموروث لا ينقص بالإنفاق، بل سوقه أبداً في نفاق، فمثله كمثل المصباح الذي لا يعقبه صباح، للشمس ظهور في السورتين بالصورتين، فهي بالقمر نور وبذاتها ضياء، وبحالتيها يتعين الصباح والمساء، فتخفي نفسها بنفسها، إذا أطلعت القمر نهاراً فهي الداعيه سرّاً وجهاراً، ولبعث الكون بالليل إلا ليلي الداج ثبت للشمس اسم السراج، فنبوّة الوارث قمريه، ونبوّة النبيّ والرسول شمسيه، فاجتمعتا في النبوّة وفاز القمر بالفتوة: [البسيط]

فالشمسُ طالعةٌ باللَّيْلِ في القَمَرِ مع الغُروبِ وما لِلْعَيْنِ من خَبَرِ
عَجِبْتُ من صورة تُعْطيك في صُوَرٍ ما عندها مثل نُورِ العَيْنِ بالبَصَرِ
فطاعةُ الرُسْلِ من طاعات مُرْسِلِهِمْ وما لِعَيْنِ رسولِ الله من أثَرِ
إن قال قال به لا بالهَوَى فلذا يعصي الإله الذي يَعْصيه فادَّكِرِ

ومن ذلك سرّ إطفاء النبراس بالأنفاس من الباب ١٥: لما كان القائل له مزاج الانفعال كان للنفس الإطفاء والإشعال، فإن أطفأ أمات، وإن أشعل أحيا، فهو الذي أضحك وأبكى فينسب الفعل إليه، والقابل لا يعوّل عليه، وذلك لعدم الإنصاف، في تحقيق الأوصاف، مع علمنا بأن

الاشتراك معقول في الأصول للقابل الإعانة، ولا يطلب منه الاستعانة، فهو المجهول المعلوم عليه صاحب الذوق يحوم، وحكمه في المحدث والقديم يظهر ذلك في إجابة السائل وهذا معنى قولنا القابل: لولا نفس الرحمن ما ظهرت الأعيان، ولولا قبول الأعيان ما اتصفت بالكيان، ولا كان ما كان، الصبح إذا تنفس أذهب الليل الذي كان عسعس: [الوافر]

فلولا اللَّيْلُ ما كان النَّهَارُ ولولا النُّورُ ما وُجِدَ النِّفَارُ

نفرت الظلم لأكوانها لا لأعيانها فإن العين لا تذهب وإن اختلفت عليها الأحوال فسجود الظلال بالغدوّ والآصال، سجود شكر واعتصام من استدراج إلهيّ ومكر ومن ذلك سرّ الأوتاد والأبدال، وتشبيههم بالجبال من الباب ١٧ أرواح الأبدال أعيان الأملاك من نيرات السبعة الأفلاك، وقطعهم فلك البروج، ما يتصفون به في المقامات من العروج، وحلولهم بالمنازل ما يستقبلونه في النوازل، ولذلك قسم عليهم الوجود بالنحوس والسعود، فعزل وولاية وإملاق وكفاية والأوتاد مسكنة لكونها متمكنة فلها الرسوخ والشموخ، ومع هذه العزّة والمنع وقوّة الردع والدفع، فلا بدّ من صيرورتها عهناً منفوشاً وهبا منبثاً مفروشاً، فتلحق بالأرض لاندكاكها، وتؤثر فيها حركات أفلاكها، من أعجب علوم الرجال ما لم يسمّ فاعله مثل رجّ الأرض وبسّ الجبال، وهما دليلان على وقوع الواقعة التي ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة، أوّل علم حصل للعالم بالله علم السماع بالإيقاع من الله فقال ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠] لمعدوم لم يكن، فظهر عين الأوزان في الميزان وليس سوى الإنسان، فظهر بصورة الحق ونزل عند مليك مقتدر في مقعد صدق، وكانت الإمامة علامة والخلافة ضيافة، فبعلم الأسماء حاز ملك الأرض والسماء، وبجوامع الكلم أحاط علماً بالحكم، فهو الحكيم المحيط بما يستحقه المركب والبسيط، فساح في الانفساح وصال بالاتصال، فأخذ الوجد في الإيجاد وتحرّك عن موطن ثبوته لأعين الأشهاد، وما ثم إشهاد إلاّ الأسماء التي تكونت أحكامها عنه وظهرت آثارها به منه، فبالسماع كان الوجود وبالوجود كان الشهود: [الوافر]

فلولا الصَّيْدُ ما نَفَرَ الغَزَالُ ولولا الصَّدُّ ما عَذُبَ الوِصَالُ
ولولا الشرعُ ما ظهرت قُيُودٌ ولولا الفِطْرُ ما ارْتُقِبَ الهلالُ
ولولا الجُوعُ ما ذَبُلَتْ شِفَاهٌ ولولا الصومُ ما كان الوِصَالُ
ولولا الكونُ ما انفطرتْ سماءٌ ولولا العينُ ما دُكَّتْ جِبَالُ
ولولا ما أبان الرُّشْدُ غَيّاً لما عُرِفَتْ هدايةٌ أَوْ ضَلالُ
ولا كان النعيمُ بكل شيء ولا حُكْمُ الجَلالِ ولا الجَمَالُ
أرى شخصاً له بَصَرٌ حَدِيدٌ له الأَمْرُ المُطاعُ له التَّنزالُ
وآخَرَ ما له بَصَرٌ ويَرْمي ولا قَوْسٌ لديه ولا نِبَالُ
فسبحان العليم بكل أَمْرٍ له العلمُ المحيطُ له الجَلالُ
إذا نَظَرَتْ إليه عيونُ قَوْمٍ بلا جَفْنٍ بدا لَهُمُ الكمالُ
فوقتاً لا يَرَوْنَ سوى نفوسٍ مُبَعَّدَةٍ وغايتُها اتِّصالُ

ومن ذلك سرّ من منح ليربح فلنفسه سعى فكان لما أعطى وعا من الباب السابع عشر: [مجزوء الوافر]

إذا مــا كُـنْـتَ مَـيْـدَانَـا ... فَـجُـلْ فـيـه إذا كـانـا
فـإنـي لـسـتُ أَنْـفِـيـهِ ... لـذا سُـمِّـيـتُ إنْـسَـانَـا

لما انتقل العلم إليه بقوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] سكت العارف لما سمع ذلك وما تكلم، وتأوّل عالم النظر هذا القول حذراً من جاهل يتوهم ومرض قلب المشكك وتألم وسرّ به العالم بالله ألهمهم ولكنه ما تكلم بل تكتم وقال مثل ما قاله الظاهري: الله أعلم فالإلٰهي علم والمحدث سلم، فاحمد الله الذي علمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً، فثابر على شكره والزم، فإذا رأيت من يفرّق بين الحد والذمّ قل له لا تتقدم فتندم فإن جدارك تهدم، وظهر المعمى فآمن من كان بالأمس قد أسلم، فإذا المعطي عين الآخذ فعلى نفسه تكرم، فهذه شعائر الله من عظمها عظم فعظم، ومن اهتضمها اهتضم، فأين أصحاب الهمم وأهل الجود والكرم يوضحون المبهم ويفتحون ما طبع عليه وختم؟ فتبرز مخدرات الغيوب والظلم ذوات الثنايا الغر واللمم، فيأخذ بهم ذات اليمين على الطريق الأمم لينظر سائر الأمم ما خصّت به أمة، من أوتي جوامع الكلم وفنون الحكم محمد بن عبد الله ﷺ فبه بدىء الأمر وختم فكان نبياً وآدم بين الماء والطين ما خمرت طينته وما علم، وأخّرت طينته ﷺ إلى أن جاءت دورة الميزان الذي عدل حين حكم، فهو واضع الشرائع ورافعها روحاً ونفساً وعقلاً وحساً، خط ذلك كله في اللوح المحفوظ القلم، ومن ذلك سرّ التعبد في التهجد من الباب ١٨ إذا بان الصبح لذي عينين وكنا ممّن أماتنا الله تعالىٰ اثنتين وأحياناً اثنتين ظهر في غيوبنا ما اعترفنا به من ذنوبنا، فكان تهجدنا محدوداً وقرآننا مشهوداً، وطلع الآفل في النوافل، وعمرت الفرائض المرابض، فقربناها ضحايا ومطوناها مطايا، فربحت تجارة الأوراد وظهر الرشاد والإرشاد في حرق الأدب المعتاد فقعدنا بالحق في مقعد الصدق بنعت القائم على كل نفس بما كسبت والعالم بما اكتسبت، فعندما طلع فجرها سعى بين يديها نورها يتلوه أجرها، فحاز الأجر كثيفها واستنار بالنور لطيفها: [الوافر]

بِـنَـعْـتِـكَ لا بِـنَـعْـتـي كـان وِرْدِي ... فَمَـجْـدُكَ في الـتَّـهَـجُّـدِ عَـيْـنُ مَـجْـدي
عَـهِـدْتُـكَ إذْ أخَـذْتَ عـلـيّ عـهـداً ... وَفَـيْـتُ بـه فـأَوْفِ لـي بـعَـهْـدي
وَعَـدْتَ كـمـا وعـدت وقُـلْـتَ عَـنّـي ... بـأنّـي صـادقٌ فـي كـل وَعْـدي
وأنـت الـصـادقُ الـحَـقُّ الـذي ... لـم يَـزَلْ فـي جَـدِّه يـعـلـو بـجَـدّي
بـجَـدِّي قـد عَـلِـمْـتُ عُـلُـوَّ جَـدِّي ... لـمـن حَـمْـدَ الإلٰـهَ بـعَـيْـنِ حَـمْـدي
فـقـل لـلـحـامـديـن بـنـا أَفِـيـقُـوا ... فـحَـمْـدُ الـحَـقِّ فـي تـقـيـيـد حَـدِّ
فـفـي الإطـلاق تـقـيـيـدٌ نَـزِيـهٌ ... ومـا الإطـلاقُ فـي حَـدِّي تَـعَـدِّ

ومن ذلك سرّ الجزر والإمداد في العلم المستفاد من الباب ١٩: من الأمور ما يأخذه الحد، ومنها ما لا يحد، والجزر والمد أثران من الطبيعة يأخذهما الحد والعلم المستفاد

للعليم يعمّ الحديث والقديم، فإن عاندت فافهم قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] وبما حكم به الحق على نفسه فاحكم، ولا تنفرد بعقلك دون نقلك، فإن التقليد في التقييد قيد الخليفة بالنظر في عباده حين أهبطه إلى مهاده فقيده حين قلده ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ١٢] وبيده ميزان الرفع والخفض، ومع كونه مالك الملك فهو ملك الملك يأتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] وما جزر بعد المدّ فإنه تنبيه على أن الزيادة نقص في الحدّ، فما جزر إلاّ ليكشف ما ستر علم الحق بنا قد يكون معلوماً لنا، وأما علمه بنفسه فلا يعلم لعلوّ قدسه وهو قوله ﷺ: «**وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**» فَإنِّي لَسْتُ مِنْ جنسك فأنت الجنس الذي لا يتنوّع لما يعطيه الحمى إلاّ منع، ولولا تجليه في صور الآلهة ما تنعمت به النفوس الفاكهة، ومن هنا قلت أنت الجنس وهو الأصل الذي يرجع إليه والأس.

ومن ذلك سرّ النافلة والفرض في تعلّق العلم بالطول والعرض من الباب ٢٠: من كان علته عيسىٰ فلا يوسى، فإنه الخالق المحيي، والمخلوق الذي يحيي، عرض العالم في طبيعته، وطوله في روحه وشريعته، وهذا النور من الصيهور والديهور المنسوب إلى الحسين بن منصور، لم أر متحداً رتق وفتق وبربه نطق وأقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق وركب طبقاً عن طبق مثله فإنه نور في غسق، منزلة الحق لديه منزلة موسىٰ من التابوت، ولذلك كان يقول باللاهوت والناسوت، وأين هو ممّن يقول العين واحدة ويحيل الصفة الزائدة؟ وأين فاران من الطور؟ وأين النار من النور؟ العرض محدود، والطول ظل ممدود، والفرض والنفل شاهد ومشهود، ومن ذلك سرّ التوالج والتخالج من الباب الأحد والعشرين، التوالج نكاح والتخالج ولادة في عالم الملكوت والشهادة من توالج الليل والنهار ظهرت خلج الأعصار فتميزت الأيام والأعوام والشهور وجمع الدهر بالدهور، لولا حكم الشمس ما ظهر في عالم الأركان ذو نفس ونفس، تعددت المنازل بالنوازل، لا بل النوازل عينت المنازل، فاتبعها العدد وما بالدار من أحد، فإن وقع استثناء في هذا النفي فهو منقطع وهذا أمر لا يندفع.

ومن ذلك سرّ المنازل والنازل من الباب ٢٢: للمنزل الأين وللمنزلة العين، فالأمر والشأن في المكانة والمكان والنازل من معناه في منزلته وفي منزله من حيث صورته للقرآن سور هي منازله وله آيات هي دلائله، وفيه كلمات هي صوره، وله حروف هي جواهره ودرره، فالحرف ظرف لمن هي منعوتة بقاصرة الطرف والكلمات في الكلام كالمقصورات في الخيام، فلا تعجز لمفهوم الإشارات، ولا تعجز عن مدلول العبارات، فما وقع الإعجاز إلاّ بتقديسه عن المجاز، فكله صدق ومدلول كلمه حق والأمر ما به خفاء، وإن كان في نسبة المناسبة للطلب بالإتيان بسور مثله جفا فما أرسل رسول إلاّ بلسان قومه فتأمّل، ومن الله المعونة فاسأل.

ومن ذلك سرّ الصون وطلب العون من الباب ٢٣: الصون حفظ في الأولياء عصمة في الرسل والأنبياء، فكان من تعبيره فيما عن الله يبلغه أنه يقذف بالحق على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق والآخر في أثره لاحق، فإن التكليف وإن كان حقاً فإنه زائل كما أنه عرض مائل، فللدنيا حكم ليس لأختها: والأمّ لا تنكح على بنتها بل البنت إذا لم تكن في الحجر فهي في بعض المذاهب حلال، وإن نكحت أمها بالشرع لذي حجر طلب الإعانة دعوى من صاحب بلوى إنما تسدل الأستار والكلل من أجل المقل، إياك والنظر فقد يكذب الخبر الخبر، الاستعانة بالصبر حيرة بين التخيير والجبر، والاستعانة بالله تؤذن بالاشتباه، ومن اتبع المتشابه فقد ضلّ وزاغ ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [النور: ٥٤] ومن لزم المحكم فقد تحكم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، فإنه الكفيل.

ومن ذلك سرّ الاشتراك بين الشرائع من حكم الزوابع من الباب ٢٤: اعلم أن الزوابع تكون بحكم الشرائع والطبائع ولذلك تعلو وتسفل وتترقى وتنزل، ومع أنه كل وصف من هذين كياني وهو نعت إلٰهي فالعلوّ ما يشك فيه الدليل المعقول والنزول ثبت بخبر الشرع المنقول، فصاحب الخلافة والإمامة مسكنه بين نجد وتهامة، فله المجد الشامخ بتحصيله علم البرازخ، فله التمييز والنقد ولله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله لفرح إمامهم وسيدهم وعلامهم وعلم السياسة لأصحاب الرياسة، فكل رئيس مدبّر سؤوس على قدر ما هو عليه المرؤوس ما كنا خير أمة أخرجت للناس إلاّ وكان نبينا ﷺ سيد ولد آدم من غير شك ولا التباس فهو بنا ونحن به فانتبه.

ومن ذلك سرّ اختصاص أنواع الإنعام بالأيام من الباب ٢٥: كل حليم أوّاه إذا ذكرته بأيام الله نهجت به منهج الانتباه، ولا ينتبه إلاّ النائم ولا يوقظه إلاّ من هو على كل نفس بما كسبت قائم، إنما نابت الأيام مناب النعم لأنها الآتية بأنواع الكرم، الزمان حافظ إذ كان له الاحتواء وبه يكون الانحراف والاستواء، ولما عنده من السعة حاز الفصون الأربعة، فالزمان يحكم في الأركان يتعاقب الملوان الموجبان الحدثان، فصور تحدث وتمرّ وأحوال تسوء وتسرّ، فأدوار تدور ونجوم تطلع وتغور، وأيام وجمع وسنون وشهور، يعين تصريفها حوادث الدهور، فاليوم ليل ونهار، والشهر محق وإبدار، والسنة تكرار، والجمعة سبعة أدوار، وحكم الطرائق في الساعات والدرجات والدقائق وما زاد عليها من ثوان وثوالث، فما زاد فهي رقائق تمد الحقائق.

ومن ذلك سرّ الرموز والكنوز من الباب ٢٦: رموز النصائح كنوز المصالح، فالناصح لما فتقه الدهر ناصح، والعمل بالمصالح شيمة كل عبد صالح، ألا تراه كيف أقام الجدار؟ فإن من مصالح الأيتام الصغار، ولم يطلب على ذلك أجراً بل قال: ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠] فلما أخبره انقاد الكليم إليه وعوّل فيما أنكره عليه، فأنصف العبد المرحوم واعترف وقال لصاحبه كل واحد منا على علم لا يعلمه الآخر، وهنا وقف فلما علم فضله عليه سلم الأمور أجمعها إليه.

ومن ذلك سرّ سجود الظلال بالغدوّ والآصال من الباب ٢٧: أنفت الظلال من السجود للشمس لما هي عليه من شرف النفس فاستدبرتها في هذه الأوقات وامتدت ساجدة لمن بيده ملكوت الأرض والسموات، حين سجد لها من يزعم أنه من أهل التمكين، وتعبدت من يدعي العقل الرصين، ولما رأت الظلال طلب استشراف الشمس عليها لتنظر إليها تقلصت وانقبضت تطلب أصلها لتبين فضلها فلم تر لها الشمس عيناً تستعبده بنورها لسرعة نفورها، ولولا عناية الأصل ما صحّ لها هذا الفضل.

ومن ذلك سرّ التكييف في المشتى والمصيف من الباب ٢٨: لا يعلم الرب في الحافرة إلاّ من عرف الأول والآخرة من كان ظاهره مصيفاً فباطنه مشتى، فيجمع ما بين أين ومتى، ومن كان ظاهره مشتى فباطنه مصيف فليتقنع في الحالين بالنصيف، وهما من أحوال التكييف الكيف حال الأجسام ومحال الأوهام، يعمّ الكثائف وله في البسائط لطائف، وزمان الاعتدال ماله من زوال.

ومن ذلك سرّ تنزيه أهل البيت عن الموت من الباب ٢٩: قدوس سبوح رب الملائكة والروح يذهب الأرجاس ويقي شرّ الوسواس الخناس، وموت الجهل أشر موت وقد عصم الله منه أهل البيت، فلا يقدرهم حق قدرهم إلاّ من أطلعه الله على أمرهم، ومن اطلع عليه استند في الحال إليه، فهو أعظم مستند وأوثق ركن قصد، فاستمسك بحبهم للعقبى، فإنه ما سأل عليه السلام منا إلاّ المودة في القربى.

ومن ذلك سرّ الراكب والفارس والقائم والجالس من الباب ٣٠: للراكب القفر، وللفارس الكر والفر، وللقائم الإنفاق، وللجالس الإرفاق، فمن ركب لم يعطب، ومن تفرس لم ينكب، ومن قام نام، ومن جلس بئس، فيا أهل الركاب عملكم في تباب، يا خيل الله اركبي واسلكي سبيل مذهبي، ويا قائمين على النفوس بالرزق المعنوي والمحسوس تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، ويا جلساء الحق في مقعد الصدق احذروا من المكر وتواصوا بالشكر، ما أباح الله نكاح الأربع إلاّ لحيازتها المقام الأوسع، ولولا السعة التي في الأربعة ما ضمّت العشرة الموصوفة بالكمال لمن اعتبره تلك عشرة كاملة في الأيام المتواصلة ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع، وقطع كل فجّ العشرة أوّل العقود ومنها تتركب الحدود، الراكب يرى ما لا يراه الفارس، والقائم يشهد ما لا يشهده الجالس، شأن الأمير الاستواء على السرير، والخادم بين يديه قائم فهو السيد وإن قام بين يديه، فإن أموره مصروفة إليه، وهما يصرفان الركاب والخيل تأويباً بالنهار وآساداً بالليل، فافتكروا واعتبروا.

ومن ذلك سرّ الأصول في الفصول من الباب الأحد والثلاثين: لولا الفصول المقوّمة ما نارت البيوت المظلمة، لولا الفصول ما أبانت الحدود الأصول، بالفصول المقسمة ظهرت المرحمة والمشأمة، بالفصل تميز الرب من المربوب، وبه اتصل المحب بالمحبوب، فبالفصل علم المحب أنه هالك والمحبوب مالك، لا يرد الفصل إلاّ على وصل، فهو عنوانه وبه قام ميزانه، الفصل خلاء محدود والمفصول ملاء مشهود، وهو يحل محل الوصل،

فالوصل خلا مثله ومثل المماثل شكله، فالفصل والوصل ضربان هما من الله نعمتان.

ومن ذلك سرّ تدبير الإكسير من الباب ٣٢: الأكسير سلطان يقلب الأعيان حكمه حكم الزمان، لكنه أسرع في الحدثان، ومع سلطانه فهو في حكم القابل، وإلى ما يقبله بالفعل مايل، فالعجز والقصور سار في جميع الأمور، وعدم الاستقلال يقطع بالآمال، لولا المرض ما كان التدبير ولا نزل الأمير عن السرير، ولا لحق الذهب بالقزدير، ولا قام عطارد مقام الأكسير بالأكسير، ولا ذهب النحاس بالذهب، ولو لم ترجع المعادن إلى أصل واحد ما سميت بالناقص والزائد، وأصل اعتلال الأبدان بالزيادة والنقصان، والطبيب الماهر هو المدبر الأكاسر، لا يزال من أجل الفضة والذهب يتلو سورة أبي لهب تبت يداه وما كسب، فهو يسعى في إقامة الميزان واعتدال الأوزان، ويحافظ على إقامة نشأة الإنسان في شهر نيسان، فإنه شباب الدهر، وأوان الثمر والزهر، ومسرح النواظر في النواضر، فاعلم وإذا علمت فالزم، وإذا لزمت فتكتم.

ومن ذلك سرّ النية في الموحدين والتنويه من الباب ٣٣: لما لم يصحّ وجود العين الحادث المعرض للحوادث إلاّ بوجود الاثنين والثالث وذلك تركيب المقدمات لظهور المولدات بنكاح محسوس ومعقول على وجه وشرط معقول ومنقول فوافق العقل النقل وساعد الطبع السمع، ألا ترى الأمر موقوفاً على اقتدارنا؟ فذو قبول كما حكمت به براهين العقول، فمن نظر في توقف الاثنين على الثالث قال بالتوحيد في وجود عين الحادث، ومن نظر إلى هذين قال مع وجود الزائد بالاثنين ورأوا الأمر بين ظلمة ونور وغم وسرور، وقال في الكلام الذي لا يدخله ريب ولا مين: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] وما ثم غير هذين، فالإله واحد والقائل بغير هذا يضرب في حديد بارد.

ومن ذلك سرّ أنفاس الجلاس من الباب ٣٤: من جلس رأس وهو قولهم من ثبت نبت الجليس أنيس الذاكرون الله الله جليسهم، وإذا كان جليسهم فهو بالذكر أنيسهم، ومن جالسك فقد جالسته فأنتم جلساء الحق وذلك هو مقعد الصدق ثم يفترق الجلوس، فإما أن تجلس إليه، وإما أن يجلس إليك، فإن جلس إليك كان في مقام حتى نعلم فإن فهمت فالزم، وإن جلست إليه أفادك ظرائف الحكم وأتاك جوامع الكلم، فقد يستفيد المفيد ويفيد المستفيد، أهل المجالس والجلوس هم المقدمون، والرؤوس كل من جلس خدم وكل من قام ندم، لولا قيام الجدار ما انهدم، ولولا إقامة النشأة الإنسانية إلى أرذل العمر ما سمّى الهدم، القائم متعرض لهبوب الأنفاس، والمتحرك في قيامه متصف بالذاهب والخناس، فتعوّذوا برب الناس من شر الوسواس.

ومن ذلك سرّ الجرس واتخاذ الحرس من الباب ٣٥: الجرس كلام مجمل، والحرس باب مقفل، فمن فصل مجمله وفتح مقفله أطلع على الأمر العجاب والتحق بذوي الألباب وعرف ما صانه القشر من اللباب، فعظم الحجاب والحجاب الإجمال حكمة وفصل الخطاب قسمة لإزالة غمّه في أمور مهمة محجوبة بليال مدلهمة، والحرس عصمه فهم أعظم نعمه

لإزالة نقمه، صلصلة الجرس عين جمجمة الفرس. ومن ذلك سرّ تمهيد موسىٰ لعيسىٰ من الباب ٣٦: التوراة أوّل جيل آمن بالإنجيل، وأوّل نور ظهر بالزبور موسىٰ خرج في طلب النار فورى زناد الأقدار فجاء بالتوراة وهو يحمد الآثار، موسىٰ حيي بعيسىٰ لأنه روح عيسىٰ كلمة من كلّم موسىٰ فأشبه نور يوح ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وسلم على عيسىٰ تسليماً، وما سلّم عليه إلاّ به ليتنبه، ويسلم على ابن خالته بنفسه لتتميز رتبة يومه من أمسه، فيرتفع اللبس باليوم الذي بين الغد والأمس، كل متقدم من الرسل بشير وفي أمته نذير، يعلم بالآتي ويحرض على صحبة المواتي، ما نشأ الخلاف إلاّ من عدم الإنصاف، وما ثم إلاّ خلف لأن الذي خلف من سلف خلف لم يكن لرسول الله ﷺ خلف لأنه أنصف.

ومن ذلك سرّ حال الأتباع في الاتباع من الباب ٣٧: لولا حكم الاتباع ما سمّوا بالأتباع أتباع الرسل هم المتحققون بالسبل من سلك سوى سبيله حمد في فعله وقيله الأمر صادق وصديق فلا بدّ من تابع ومتبوع، هذا هو التحقيق حقيق على أن لا أقول على الله إلاّ الحق فإني بالله أسمع وأبصر وأنطق فالزم تعلم.

ومن ذلك سرّ ما لا ينال إلاّ بالكشف الصرف من الباب ٣٨: وليس إلاّ علم التجلي والتداني والتدلي، وكذلك ما ينتجه التحلي بالأسماء من علوم الأنباء، وكل علم موقوف على الحسّ فما فيه لبس، وما ينتجه الفكر فلا يعوّل عليه، فإن النكر يسارع إليه. وأما قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧] فقد أثبت لك ما رأيت ودلّ قوله ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] على أمر يستوي فيه البصير والأعمى، قيد الله أيدي الأكوان وإن اختلفت الأعيان فعد عن النظر في الصور فإنها محال الغير وقل رب زدني علماً لتحدث حكماً.

ومن ذلك سرّ العزل والولاية في الضلالة والهداية من الباب ٣٩: يتضمن العزل الولاية تضمن الضلال الهداية الهدى إلى الضلال هدى، فإياك أن تجعل الضلالة سدى، الضلالة حيرة ولو لم تكن ذاتية لأوجبتها الغيرة، لو لم تكن الضلالة انتهك حماه وكان إدراكه في عماه، لا عزل إلاّ من ولاية، ولا ضلال إلاّ بعد هداية ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] وهذا من العلم المخزون المصون، من أضلّه الله على علم فهو صاحب فهم، والله الوالي من اسمه المتعالي.

ومن ذلك سرّ المجاورة والمحاورة من الباب ٤٠: المحاورة لا تعقل من غير مجاورة، المحاورة مراجعة الحديث في القديم والحديث، الجار أحق بصقبه من صاحب نسبه، فإنكم بالأصل من أولي الأرحام ومن أهل الالتئام والالتحام، لا يشترط في الجوار الجنس فإنه علم في لبس الله جار عبده بالمعية وإن انتفت المثلية، والعبد جار الله في حرمه ومطلع على حرمه، وهي أعيان كلمات الله التي لا تنفد ولا تبعد فتبعد.

ومن ذلك سرّ النهار والليل والحرمان والنيل من الباب الأحد والأربعين: النهار معاش والليل لباس، فالنيل وجدان والحرمان إفلاس فقد ارتفع الالتباس، النهار حركة والليل سكون، والمحروم من الخلق من يقول للشيء كن فيكون، فظهر المنازع بالتكوين وحصل

التعيين في الكثرة لوجود التلوين، فما جنى على التوحيد إلاّ الكون، وما نازعه إلاّ وجود العين، فصاحب اللوا من يرى الحق عين السوى.

ومن ذلك سرّ الفتوة المختصة بالنبوّة من الباب ٤٢: الفتى لا يعرف أين ومتى أينه دائم مستقر وزمانه حال مستمر التحم أزله بأبده، فلا أوّل ولا انقضاء لأمده لا يعرف الأجل المسمّى، ولا يقول بفك المعمى الملوان بحكم الفتيان تصرفهما أحوالهم فأعمالهما أعمالهم من عتى ما تفتى ولا سمّي بفتى غاية الفتى، الخلة لما سدّ الخلة غار بالرقباء فقطعهم جذاذاً واتخذ الكبير ملاذاً، ثم أحالهم على ما أوحى لهم.

ومن ذلك سرّ إلحاق الشبه بالشبه من الباب ٤٣: لولا الشبه ما كانت الشبه فالظلال أمثال، وأي أمثال من أعجب الأمر في الظل مع المثل أنّ النور يصوّره وهو ينفره والجسم يقرّره ويثبته، لأنه منبته في لسان الأمّة، من أشبه أباه ما ظلم أمه، أسماؤه الحسنى أسماؤنا فعلى الشبه قام بناؤنا، وأحكامنا أحكامه فنحن بكل وجه شعائره وأعلامه، فتعظيمنا إياها من تقوى القلوب، وفتح الغيوب.

ومن ذلك سرّ التصرف في الفنون من شأن أهل الجنون من الباب ٤٤: الفنون أعيان الشؤون والشؤون هوية المحتد ربانية المشهد من أعجب ما ورد أنه لم يلد وعنه ظهرت الأعداد فله أحدية العدد، وما بالدار من أحد، الجنون ستور، فقل ألا إلى الله تصير الأمور.

ومن ذلك سرّ التكرار في الأدوار من الباب ٤٥: تكرر الملوان بالاسم لا بالأعيان، ودار الفلك فحدث الجديدان، أطت السماء وحق لها أن تئط فإن الأمر فيها منضغط، كيف لا يسمع لها صوت وهي تخاف الفوت، لعلمها بأنها تمور موراً، وتسير الجبال سيراً، يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، قلوب يومئذ واجفة، ونفوس تالفة، وعقول خائفة، وأسرار على حالها عاكفة، وهت السماء فهي واهية، حين أصبحت على عروشها خاوية، لو بقي ساكنها ما خربت مساكنها، فالدور أظهر الكور.

ومن ذلك سر القليل والكثير في التيسير والتعسير من الباب ٤٦: من تعبدته الإضافات فهو صاحب آفات، من كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة، إنّ مع العسر يسراً، وقد كان الرطب بلحاً وبسراً، مرقوم في الكتاب، كثير من الناس سجد وكثير حق عليه العذاب، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً، مع كونه أقوم قيلاً ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] وسبح بحمد ربك بكرة وأصيلا وقم الليل، فإنّ لك في النهار سبحاً طويلاً، إخراج ما في اليد هو الكثير وإن قل، فاعرف معنى الكثر والقل سبق درهم ألفاً لكونه ما وجد ألفاً.

ومن ذلك سر السافل والعالي، والمتسافل والمتعالي من الباب ٤٧: العالي صاحب الروح، والسافل له إليه طرف جموح، والمتوسط ذو طرفين له إلى كل طرف جنوح، المتسافل يشهد لصاحبه بالسمو، والمتعالي يشهد للمتصف به بالمقام الدني للدنو الحاصل لا يبتغى، وما سفل إلا من طغى ما بلغ الماء الربى حتى زاد السيل وطمى، يا أهل الكتاب، لا

تغلوا في دينكم غير الحق، ولا تقولوا على الله إلا الحق، ما عنده علم ولا فتوة، من الحق العبود بالبنوة، أين الأبناء من العبيد؟ وأين الأنس من الوحيد؟

ومن ذلك سرّ الأزل في العلل من الباب ٤٨ : لو كان علة لساوقه المعلول في الوجود وقد تأخر، فثبت الاسم المقدّم والمؤخر، لو اقتضى وجود العالم لذاته، لم يتأخر عنه شيء من محدثاته، ولو لم يصح أن يصدر عنه إلا واحد، لبطلت النسب والشواهد، من جعل للصادر مع أحديته نسباً، فقد أثبت أحكاماً ونسباً، والصادر موجود معلوم، والنسب أمر معدوم، والعدم لا يقوم بالوجود، فإن البراهين تبطله والحدود، والكثرة معقولة، وما ثم علة إلا وهي معلولة.

ومن ذلك سرّ وجود النفس في العسس من الباب ٤٩ : بالعسس يطيب المنام، وبالنفس تزول الآلام، إن أضيف إلى غير الرحمن فهو بهتان عن الرحمن، ظهر حكمه فزال عن المكروب غمه، من قبل اليمن جاء، وبعد تنفيذ حكمه فاء، وإليه يرجع الأمر كله لأنه ظله، لا ينقبض الظل إلا إلى من صدر عنه، فإنه ما ظهر عينه إلا منه، فالفرع لا يستبد، فإنه إلى أصله يستند، في الفروع يظهر التفصيل وتشهد له الأصول في قضية العقول.

ومن ذلك سرّ الحيرة والقصور فيما يحوي عليه الخيام والقصور من الباب ٥٠ : الخيمة والقصر يؤذن بالقهر والقسر، لولا الحيرة ما وجد العجز، ولا ظهر سلطان العزّ، وبالقصور علم بحدوث الأمور، القصور يلزم الطرفين لعدم الاستقلال بإيجاد العين، لولا القبول والاقتدار، وتكوير الليل والنهار بالإقبال والإدبار، ما ظهرت أعيان ولا عدمت أكوان، فسبحان المتفضل بالدهور والأمور.

ومن ذلك سرّ الهرب من الحرب من الباب الأحد والخمسين: من مال متحيزاً إلى فئة أو متحرفا لقتال فما مال، فالهرب من الحرب وهو من الخداع في الفزاع، كن قاراً ولا تتبع فاراً، لا تضطره إلى ضيق فيأتيك من تكرهه من فوق، كل يجري في قربه إلى أجل فلا تقل بجل، إذا نزل القدر عمي البصر نزول الحمام يقيد الأقدام، لا جناح لمن غلبه الأمر المتاح، من راح استراح إلى مقرّ الأرواح، من فتح له باب السماء استظلّ بسدرة الانتهاء، الشهيد حيّ وإنجازه ليّ.

ومن ذلك سرّ عبادة الهوى لماذا تهوى من الباب ٥٢ : لا احتجار على الهوى، ولهذا يهوى بالهوى، يجتنب الهوى، وحق الهوى إن الهوى سبب الهوى، ولولا الهوى في القلب ما عبد الهوى، بالهوى يتبع الحق، والهوى يقعدك مقعد الصدق، الهوى ملاذ، وفي العبادة به التذاذ، وهو معاذ لمن به عاذ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١-٢] فبهوي النجم وقع القسم بعدما طلع ونجم مواقع النجوم، قسم لو تعلمون عظيم، فلولا علوّ قدره ما عظم من أمره.

ومن ذلك سرّ الإشارات وإلحاقها بالعبارات من الباب ٥٣ : الإشارة إيماء جاءت بها الأنبياء، فأشارت إليه متكلة عليه فبرأتها شهادته ممّا قيل، وتلى ذلك في كل جيل، في قرآن

وزبور وتوراة وإنجيل، الإشارة حرام، إلاً لمن لزم الصيام، الإشارات عبارات خفية وهو مذهب الصوفية، الإشارة نداء على رأس البعد، وبوح بعين العلة في كل ملة، لولا طلب الكتمان ما كانت الإشارة بالأجفان هي دلالة على المين وساعية، في بين البين، ولذلك لم يكن ينبغي لنبي أن يكون له خائنة عين ولهذا دلّت على المين.

ومن ذلك سرّ الشياطين في السلاطين من الباب ٥٤: السلطان ظل وصحبته ذلّ، والشيطنة بعد والظل لا يتبين حتى يمتد إذا امتد عن أصله بعد، وإذا فاء إليه بعد السلطان راع وداع «وَكُلُّكُمْ رَاعٍ» فالكل أمثال، والأمثال أضداد، والمضادة عناد، فثبت أن الشياطين سلاطين، الشيطان رجيم، بذوات الأذناب من النجوم قعدت الشهب على النقب فرمتها من قبل وعن جنب الأمر الكبار في حرق النار بالنار.

ومن ذلك سرّ تتبع التنوّع من الباب ٥٥: تنوّعات العالم في الحق الشؤون وهي ما يظهر من الفنون، الظن رجم بالغيب والعلم ما فيه شك ولا ريب، الظن أكذب الحديث في القديم والحديث الأنواع تفاصيل الجنس من غير نزاع، ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لبطلت السنة والفرض، تنوّعت الأسماء فتنوّعت الأسباب، والكل نسب والنسب في تباب، التنوّع افتراق لما ضمته الحقاق، وقد لحق بالمحاق من قال إن هذا إلاً اختلاف، التتبع تجسّس، وقد نهي عن التجسّس.

ومن ذلك سرّ الإلهام والوحي في المنام من الباب ٥٦: الدقائق أعوام في حال المنام، وعلوم النظر أوهام، عند علوم الإلهام القائل عن الإلهام ما يخطىء، والحكم به لا يبطىء، عظم محن النفوس وبلواها، في ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨] فمن نهى النفس عن هواها بهواها فقد أمن غائلتها ومنتهاها، لولا إلهام النحل ما وجد العسل في زمان المحل، بالإلهام طلب المرعى وجمع فأوعى، المبشرات نبوات ورسالات، فاستدرك بعد أن عمّم فقال لكن المبشرات، فخصص وتمّم، فسبحان من خصّه بالحكم وجوامع الكلم.

ومن ذلك سرّ الزمان والمكان من الباب ٥٧: المكان نسبة في موجود والزمان نسبة في محدود وإن لم يكن له وجود، المكان يحدّ بالجلاس والزمان يعد بالأنفاس، الأمكان يحكم والمكان في الزمان والمكان الزمان، له أصل يرجع إليه، وهو الاسم الإلٰهي الدهر الذي يعوّل عليه، ظهر المكان بالاستواء، وظهر الزمان بالنزول إلى السماء، وقد كان قبل الاستواء له ظهور في العماء، الأينية للمتمكن، والحال والفرق ظاهر بين الأماكن، والمحال الحال بحيث المحل، والمتمكن عن المكان منتقل، الزمان ظرف لمظروف كالمعاني مع الحروف، وليس المكان بظرف فلا يشبه الحرف ظرف، المكان تجوز في عبارة الإنسان، الزمان محصور في القسمة بالآن، وما من شرطه وجود الأعيان، وإذا لم يعقل المكان إلاً بالساكن فهو من المساكن.

ومن ذلك سرّ المنصور والناصر من الأفلاك والعناصر من الباب ٥٨: ما استعيذ بالله من الحور بعد الكور إلاً لتأثير الدور، ماثم حور بل ثم استدارة لا دور، ما في العالم تكرار مع وجود الأدوار، كل ذلك إقبال وذهاب، ما ثم رجوع ولا إياب، السبب الأوّل: خير

الناصرين، والسبب الأخير: خير المنصورين. الأفلاك ذكور، والعناصر محال التكوين والظهور، وقد كانت الأفلاك أمهات لما ظهر فيها من المولدات، الفاعلات أملاك والمنفعلات أفلاك، والانفعالات أعراس وأملاك، لولا الالتحام ما ظهر هذا النظام، قد يكون المنفعل ناصر الفاعلة فيه بقبوله، وبلوغ سؤله ومأموله، لولا الأمر المطاع ما كان الاجتماع، فما ظهرت أشباح ولا أرواح إلاّ بنكاح.

ومن ذلك سرّ اختصاص النصب بالغضب من الباب ٥٩: الغضب نصب النفس في كل جنس نصب الأبدان من همم النفوس في المعقول والمحسوس، من تأثّر تعثر، وما ثم من لا يتأثر، إلاّ ببلوغ المراد تميز الرب من العباد، فالرب بالغ أمره وإن جهل العبد قدره، والعبد عبد القهر بحكم الدهر، من حكم عليك فهو إليك، فوله إن شئت، أو فاعزله ونزّه نفسه إن شئت، أو مثله في التنزيه عين التشبيه، فأين الراحة التي أعطتها المعرفة؟ وأين الوجود من هذه الصفة؟ الظالم هو الحاكم في أكثر المواطن، والحكم في الظاهر إنما هو للباطن، فلولا الأنفاس ما تحركت الحواس.

ومن ذلك سرّ امتياز الفرق عند إلجام العرق من الباب الستين: إذا كان يوم العرض ووقع الطلب بإقامة السنة والفرض، وذهلت كل مرضعة عمّا أرضعت، وزهدت كل نفس فيما جمعت، وألجم الناس العرق وامتازت الفرق، واستقصيت الحقوق، وحوسب الإنسان على ما اختزنه في الصندوق، زال الريب والمين وبان الصبح لذي عينين، وندم من أعرض وتولى وفاز بالتجلي السعادى كل قلب بالأسماء الإلٰهية الحسنى تحلّى، في الموطن الذي إليه حين دنى تدلى، فرأى في النزلة الأولى والأخرى من آيات ربه الكبرى، فرفع ميزان العدل في قبة الفصل، ففاز بالثقل أهل الفضل، فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية ومن خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية، ولا تمتاز الفرق إلاّ بالحدود، فمنهم النازل بمنازل النحوس، ومنهم النازل بمنازل السعود.

ومن ذلك سرّ المقام الشامخ في البرازخ من الباب الأحد والستين: البرزخ بين بين وهو مقام بين هذين، فما هو أحدهما بل هو مجموع الاثنين، فله العزّ الشامخ، والمجد الباذخ، والمقام الراسخ، وعلم البرازخ، له من القيامة الأعراف ومن الأسماء الاتصاف، فقد حاز مقام الإنصاف، فما هوعين الاسم ولا عين المسمّى، ولا يعرف هويته إلاّ من يفك المعمى، وقد استوى فيه البصير والأعمى، هو الظل بين الأنوار والظلم، والحد الفاصل بين الوجود والعدم، وإليه ينتهي الطريق الأمم، وهو حدّ الوقفة بين المقامين لمن فهم، له من الأزمنة الحال اللازم، فهو الوجود الدائم البرزخ، جامع الطرفين والساحة بين العلمين، له ما بين النقطة والمحيط، وليس بمركب ولا بسيط، حظه من الأحكام المباح، ولهذا كان له الاختيار والسراح، لم يتقيد بمحظور، ولا واجب، ولا مكروه ولا مندوب إليه في جميع المذاهب.

ومن ذلك سرّ النشر والحشر من الباب ٦٢: النشر ضد الطي وبه يتبين الرشد من الغيّ، النشر ظهور فهو نور على نور، الحشر جمع ما فيه صدع بالحشر يقع الازدحام وبه

يكون الالتحام، لولا الحشر ما زوجت النفوس بأبدانها ولا أقيمت المآدب بميدانها، قبور الأرواح أجسامها وقبور الأجسام أزامها، ففي سجن الأشباح سراح الأرواح، فلها الرواح والارتياح في الانفساح، وإن تقيدت بصور جسدية فإن لها التقليبات الأبدية، وما لها نعت إلاً الأحدية، وإن كانت لا تنفك عن صورة فإنها في أعزّ سورة، فإذا بعثت الأجسام من قبورها وحصل للعرض عليها ما في صدروها، صدق الخبر الخبر وما بقي للريب في ذلك من أثر، فمن حار فاز وليس للبازي إلاً ما حاز، فاعبر ولا تعمر فإن الدنيا نهر، وبحر يحكم فيها مد وجزر، والإنسان على نهرها جسر.

ومن ذلك سرّ المقامة والكرامة من الباب ٦٣: النار دار انتقال من حال إلى حال، والحكم في عاقبتها للرحمة والنعمة وإزالة الكرب والغمة، فلذلك لم توصف بدار مقامه لعدم هذه العلامة، وسمّيت منزل الكرامة دار المقامة، لأنها مقيمة على العهد فلا تقبل الضد المقامة، نشأة الآخرة لأنها عين لحافرة، ما هي كرة خاسرة بل هي رابحة تاجرة، سوقها نفاق، وعذابها نفاق، فالصورة عذاب مقيم والحسّ في غاية النعيم، فإن نعيم الأمشاج فيما يلائم المزاج.

ومن ذلك سرّ الشرع المنافر والموافق للطبع من الباب ٦٤: الشرع لا يتوقف على منافر أو موافق إذا تصرف له الحكم فيما ساء وسرّ ونفع وضرّ، منزلته الحكم في الأعيان لا في الأكوان، الصلاة خمس ما بين جهر وهمس، بني الإسلام على خمس لإزالة اللبس، فالتوحيد إمام فله الإمام، والصلاة نور، والصبر ضياء، والصدقة برهان، والحج إعلام بالمناسك الكرام وحرمات في حلال وحرام، الشرع زائل والطبع ليس براحل، محل الشرع الدار الدنيا، ومحل الطبع الآخرة والأولى، يرتفع الحكم التكليفي في الآخرة، ولا يرتفع الطبع من الحافرة، للشرع منازل الأحكام، وللطبع البقاء والدوام، جاءت الشرائع بحشر الأجساد، وثبتت بخرق المعتاد، أينما كانت الأجساد فلا بدّ من كون وفساد، وبهذا ورد الشرع وجاء السمع، وقبله الطبع ووافق عليه الجمع، والإيمان به واجب، وإن الله خلقهم من طين لازب.

ومن ذلك سر الشهادتين والجمع بين الكلمتين من الباب ٦٥: العين طريق والعلم تحقيق لولا فضل العلم على العين ما كان شهادة خزيمة بمنزلة شهادة رجلين، ما تنظر إلاً لتعلم، كما أنك لا تخاطب إلاً لتفهم، ولا تخاطب إلاً لتفهم الشهادة حضور ونور على نور الشهادة على الخبر أقوى في الحكم من شهادة البصر، يثبت ذلك شهادة خزيمة للنبي عليه السلام المنقولة عنه في الأحكام، لولا التلبس الداخل على البصر ما شهد الصحابة في جبريل عليه السلام أنه من البشر وليس من البشر، فلو استعملهُم العلم وكانوا بحكم الفهم، لتفكروا فيما أبصروا حيث سألوا عمّا جهلوا، فكانوا يقولون: إن لم يكن هذا المشهود روحاً تجسد وإلاً فهو دحية كما يشهد، ولو ظهر في أماكن مختلفة في زمان واحد وتعدد فلا يقدح ذلك في دحييته فإنه في كل صورة بهويته، وتلك الصور لهويته كالأعضاء لعين الإنسان وهو واحد مع

كثرة الأعضاء التي في الأكوان، فمن وقف عندما قلناه حينئذٍ يعرف ما يرى إذا رآه، وبهذا يجمع بين الكلمتين ويتلفظ بالشهادتين، لأنه من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن هويته سمعه وبصره وجميع قواه.

ومن ذلك سرّ تقديس الجوهر النفيس من الباب ٦٦: الجوهر الأصل وعنه يكون بالفصل، القدوس عين بصر المحبوب من خلف حجاب الغيوب، فإذا أنصف الإنسان فرق بين الإيمان والعيان، ولا سيما فيمن كان الحق قواه من الأكوان، فالتصديق بالخبر فوق الحكم بما يشهده البصر إلاَّ إذا نظر واعتبر.

ومن ذلك سرّ المقاولة والمحاولة من الباب ٦٧: لولا القول ما ظهرت الأعيان ولا كان ما كان، فصل الخطاب من المقال وسلطانه في قلت وقال. المحاولة في التفهيم لأرباب التعليم، كما هي في التفهم وطلب التعلم من المحاولة ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ومن المقاولة: «**قَسمتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي**» فإليّ وعليّ المحاولة لا يظهر عنها عين إلاَّ في كون المقاولة من المحاولة، المقاولة تأخر ومسابقة، والمحاولة في الوجود مساوقة، المقاولة نسب والمحاولة سبب، المقاولة منها مناوحة ومنها مكافحة، القول يطلب السمع ويؤذن بالجمع له الأثر في السامع وهو يقرب الشاسع، وفي بعض المواطن تغني الإشارة عن العبارة.

ومن ذلك الحجب المنيعة عن أحكام الطبيعة من الباب ٦٨: لا يقول بالحجب المنيعة عن أحكام الطبيعة إلاَّ أصحاب خرق العوائد أهل الأنوار والمشاهد العاملون على أسرار الشرع وما شعروا أن ذلك من أحكام الطبع، فإن العادة حجاب فيا ليت شعري ما وراء هذا الباب من عرف أن الطبيعة بالرتبة فوق الجنة عرف أن لله في جعلها هناك الطول والمنة، لولا ما هي فوقها في المنزلة لكانت الإعادة في الأجسام يوم القيامة من المسائل المشكلة، من وقف مع اللوح والقلم انحجب عن الطبيعة والتزم، ومن جالس الأرواح المهيمة غابت عنه أمور الأجسام المحكمة، من هيأ روحه لترويح النفس لم يدر ما صلصلة الجرس، حكم لطبيعة تحت النفس، وأكثر النظار من ذلك في لبس، من المحال أن يمنع الإنسان عن العلم بالطبيعة مانع وهو للعالم برنامج جامع، كيف يجهل الشيء نفسه ويزعم أنه يعرف أصله وأسه، كيف يخرج عن جنسه من تقيد بيومه وأمسه.

ومن ذلك سرّ كشف الغطاء بالعطاء من الباب ٦٩: الشكر سبب مزيد الآلاء وتضاعف النعماء وعصمة من تأثير الأسماء بالأسواء، بالجود ظهر الوجود، والكرم سبب ارتفاع الهمم، وبالإيثار تحمد الآثار، وبالعطاء يكون كشف الغطاء، وبالهبات تمحى السيئات، الأنعام من الأنعام تحمل الأثقال والرحال وعليها تمتطي الرجال إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاَّ بشق الأنفس مع نزولها عن المقام الأقدس، ومن أعجب ما يكون أن الوضوء من أكل لحومها مسنون لشربها من بئر شطون العطاء يرد الوعر وطاء، الرفاده أعظم عباده، الرجعة في الهبة مثلبه وإمضاؤها منقبه، والمواهب من أحمد مناقب، الواهب الجود جود وهو لأهل الوجود،

أعطى كل شيء خلقه حين أعطى المركب وسقه، من أسهره وعد النيل طال عليه الليل، في كشف الغطاء ارتفاع الضرر واحتداد البصر، فتوهب قدر ما يرى، وليس هذا حديث يفترى، إن كل الصيد في جوف الفرى وبهذا المثل جرى، يشهد للمؤذن مدى صوته، ولكن بعد موته، زكاة الخبوب في الحبوب، وزكاة الأعيان في الحيوان وزكاة عموم الطلب في الفضة والذهب، عمّت العطايا والعدات جميع المولدات، أعطت الشمس الذهب ولولا غروبها ما ذهب، ومن أعطاك مالك فما خيّب آمالك، وقد أعطاك ما أوجبت المروءة عليه فاصرف النظر فيه وإليه، ومن أعطاك ماله فقد جاد وأنعم وهو ما زاد على الحاجة، فاعلم الأرزاق إرفاق بالقصد لا بالاتفاق، الإنفاق يزيل الإملاق، لا ينزل الساري عن ظهر البراق حتى يجوز السبع الطباق، ولا يعطى والإرفاق إلاّ لمعرفته بالرزاق.

ومن ذلك سرّ العهد في الزيارة والقصد من الباب الموفي ٧٠: لولا قصد الزيارة ما جاءت الرسل ولا مهدت السبل، ولا بدّ من رسالة ورسول فلا بدّ من سبيل، وهو صاحب العهد والعقد، فللّه الأمر من قبل ومن بعد، ما جاء من جاء من عند المالك ليعرف ما هنالك، وهنالك مجهول غير معقول بل أحالته بعض العقول، ولا يوجد في منقول، ولكن رد النقل ما دلّ على إحالته العقل، فثبت المقر وجعل إليه المفر، كلا لا وزر إلى ربك المستقر، عين المناسك للناسك وكثرها لالتماسك، وأوضح المسالك للسالك، وأمر كل قاصد إليه وآت بتعظيم الشعائر والحرمات، وجعل البدن من شعائر الله عند كل حليم أوّاه، ولم يكن المقصود منها إلاّ أنتم بقوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] وما كثر تعالىٰ المناسك إلاّ لالتماسك، فإنه أمرك بمعرفته والاتصاف بصفته، فللّه حجّ إلى عبده لصدق وعده، وجعل فيه مناسك معدودة وشرائع محدودة فقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] من الأحوال كما أمركم أن تكونوا معه فيما شرع لكم من الأعمال، وأمركم برمي الجمرة لترجعوا إلى التوحيد من الكثرة في عين الكثرة، وجعلها في أربعة أيام لكل طبيعة يوم لتحوز درجة الكمال والتمام، وجعلها محصورة في السبعين لأنها الأغلب في انتهاء عمر الأمة المحمدية من الستين، واختصها بسبعة في عشرة ليقوم من ضربها السبعون، فكانت السبعة لها عشراً لكونها عشراً، وجعل ذلك في ثلاثة أماكن بمنى لما حازته النشأة الإنسانية من حسّ وعقل وخيال فبلغت المنى، فإن قيدها العقل والحسّ أطلقها الخيال لما في قوته من الانفعال، فهو أشبه شيء بالصورة، وله من السور أعظم سورة، ثم شرع الحلق لظهور الحق بذهاب الخلق، فإنه شعور مجمل، فأزالته بوضوح العلم أجمل، وشرع الوقوف بجمع حتى لا يدخل القرب صدع، وجعل الوقوف بعرفة لأن الوقوف عند المعرفة، وجعل لوفده أيام منى مأدبه لما ناله في طريقه من المشقة والمسغبه، فإنه بالأصالة مسكين ذو متربة، وكان طواف الصدر لما صدر، وطواف القدوم للورود، والوداع لرحلة الوفود.

ومن ذلك السرّ العدد المكسور لاستخراج خفايا الأمور من الباب الأحد والسبعين ٧١: العدد المكسر هو المعدود، ولا سيما إن اتصف بالوجود وأخذته الحدود، العدد له أحدية

الكثرة التي لا نهاية لها يوقف عندها، وأما استخراج خفيات الأمور بالعدد المكسور فذلك من حيث المعدود الداخل في الوجود وما يدخله من التقسيم وهو عين العدد المفهوم، وبه يخرج ما خفي من العلم بالله المنزّه عن الأشباه ولا أخفى من العلم به فانتبه إن كنت تنتبه. وإنما قلنا في المعدود الحاصل في الوجود إنه عين العدد المكسور لأنا اقتطعناه ممّا لا ينتهي من الممكنات، وعبرنا عن هذا القدر بالمحدثات، فهو جزء من كل لا إحاطة فيه ولا حصر ولا إحصاء، ولو بالغت في الاستقصاء، وما يحصى منه إلاّ الموجود وهو المعدود.

ومن ذلك سرّ الرجعة من منزل الرفعة من الباب ٧٢: من علامات صدق التوجه إلى الله الفرار عن الخلق، ومن علامات صدق الفرار عن الخلق وجود الحق، ومن كمال وجود الحق الرجوع إلى الخلق إما بالإرشاد وإما بكونه عين الحق، فسمه خلقاً بوجه وحقاً بوجه كما يقوله أهل الوجه، فإن الوجه له البقاء وهو الذات التي لها الاعتلاء، وقد جاء الإعلام في أصدق القول والكلام: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] و﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٢٦، ٢٧] ولكن هنا سرّ من حيث ما هو عليها ولديها، فما كل كل في كل موضع ترد فيه يعطى الحصر، فإنه قد تأتي ويراد بها القصر، مثل قوله في الريح العقيم: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢] وقد مرت على الأرض وما جعلتها كالرميم مع كونها أتت عليها، وما جعل الحق الحكم في الأرض إليها.

ومن ذلك ما خفي في الصدور من علوم الصدور من الباب ٧٣: الحق المعتقد في القلب هو إشارة إلى القلب فاقلب تجد ما ثبت في المعتقد فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] ومن لم يثبت له ظل كيف يكون له فيء والقلب في الصدور وهو الرجوع لا واحد الصدور، فإنا عن الحق صدرنا من كوننا عنده في الخزائن كما أعلمنا فعلمنا، فهو صدور لم يتقدمه ورود كما هو في بعض الأمور، فمن قال إن الصدور بعد الورود فما عنده علم بحقائق الوجود، فلولا ما نحن ثابتين في العدم ما صحّ أن تحوي علينا خزائن الكرم، فلها في العدم شيئية غير مرئية، فقوله: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فذلك إذا لم يكن مأموراً فقيده بالذكر في محكم الذكر.

ومن ذلك سرّ ما في الجهاد من الصلاح والفساد من الباب ٧٤: ما تفسد في الوجود صورة إلاّ وعين فسادها أيضاً ظهور صوره، فما تزال في الصور في حال النفع والضرر، فالجهاد صلاح وفساد لأن فيه حزاً لرؤوس، ومفارقة الحسّ المحسوس، فالشهيد يشبه الميت فيما اتصف به من الفوت، ولذلك يورث ماله وينكح عياله، فطلاق الشهيد يشبه تطليق الحاكم على الغائب وإن كان حياً إذا أبعد في المذاهب، وقد ثبت عن سيد البشر: «**لاَ إِضْرَارَ وَلاَ ضَرَرَ**» وقد علم أن الشهيد هو سعيد بدار الخلود وإن حصل تحت الصعيد، ولا سبيل إلى رجعته ولا إنزاله من رفعته، مع كونه حياً يفرح ويرزق وما هو عند أهله ولا طلق وهذه حالة الأموات والشهداء ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ـ ١٧٠] وهم عندنا رفات وما لنا إلاّ ما نراه، ولكل امرىء ما نواه، ولا نحكم إلاّ بما شهدناه فاستمع تنتفع.

ومن ذلك ترك العناد لترك السداد من الباب ٧٥: ترك العناد أحق لما فيه من موافقة الحق موافقة إرادة لا عادة، إذا قعد المعاند مقعد صدق فقد حصل في مقطع حق، إن لم يعاند أهل الحق أهل الباطل فجيده ليس بحال بل هو عاطل، فتارك العناد هو تارك السداد، تقابلت الأسماء إذا لم يكن الاسم المسمّى، إذا كانت اليد بالنواصي أنزلت العصم من الصياصي، ولم تفنها ما عندها من الصياصي، العناد من المحق في بعض المواطن سداد ومن المبطل فساد، الأوّل ليس بمعاند حتى يعاند فيعاند، فإن صمت كان كمثل من بهت والباهت مقطوع الحجة دارس المحجة، القيام لله نعت الحليم الأوّاه لولا قيامه ما رمي في النار، ولا انخرقت العادة في الأبصار، هي نار في أعين الأنام، وهي على الخليل برد وسلام، فهو عندهم في عذاب مقيم، وهو في نفسه في جنة النعيم، لما هبت عليه الأنفاس كان كأنه في ديماس.

ومن ذلك ما في الخلوة من الجلوة من الباب ٧٦: لا خلوة في الوجود لأنه لا بدّ من شاهد ومشهود في خلوة الأسرار جلوة الجبار، وفي خلوة الأشباح جلوة الملازمين من الأرواح، لا بدّ لك من مكان تعمره، فهو يبصرك وإن كنت لا تبصره، الخلوة إضافة ونسب، ولا بدّ فيها من جلوة سبب، أين الخلوه والوجوه سافره والأعين ناظرة مسافره؟ الناس سفر وإن أقاموا، ومقيمون وإن هاموا، فإن سافرت وحدك فأنت شيطان، وإن سافرت مع القرين فأنتما شيطانان، وإن سافرت مع القرين والملك فما للشيطان عليك سلطان، الثلاثة ركب، وانتقال من البعد إلى القرب، فما كل خلوة مشهودة، ولا كل جلوة تكون محمودة، معدومة كانت أو موجودة.

ومن ذلك سرّ ما في الجلوة من الخلوة من الباب ٧٧: الخلوة بالخاء المعجمة جلوة بالجيم مع الحق في مقعد صدق، أين يذهب العبيد ممّن هو إليهم أقرب من حبل الوريد، فالخلوة به لا عنه، فله في كل شيء كنه، فالخلوة مطلقة لا تصحّ، ومن ادّعاها فما أسرع ما يفتضح ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] فأين الخلوة؟ ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢] لولا طلب الجلوة ما شرع أحد في اتخاذ الخلوة، الخلوة أرضها معبده، وأحوالها مقيده، والجلوة مطلوبة لذاتها مشهودة بسمائها.

ومن ذلك سرّ الاعتزال في السواحل والجبال من الباب ٧٨: الاعتزال في السواحل والجبال من صفات الرجال يطلب ذلك للاعتبار في الآثار، فإن الله أنزل الجبال منزلة الأوتاد، فسكن بها المهاد لما ماد، فيأخذ بهمته وطلبه الأعلى والأنفس من الأمور التي ندب إليها شموخها، ويأخذ بثبوته على ما أمر بالإقامة عليه من طاعة ربّه رسوخها، ويأخذ من تجلّى الحق له في سرّه اندكاكها، ويأخذ من قوته في دين الله وغيرته لله ملاكها، ويأخذ فيما ندبه الله إليه من اللين لمن هو تحت حكمه والهين من غير ضعف ولا وهن تصييرها لهول ذلك اليوم المنتظر كالعهن، ويأخذ من البحار اتساعها لأخلاقه وقبولها تأثير الأهواء بالتموّج لطيب أعراقه، فيكون مع كل اسم إلهي بحكمه على قدر معرفته به وعلمه، فتقوم له الأسماء مقام

الأهواء، فإذا سكنت عنه سكن لعلمه أن لله ما سكن، والله من حيث هويته جامع لمسمّى المضار والمنافع، فإنه سبحانه الضار والنافع، ويأخذ لحال مجاهدته تسجيرها، ومن تسجيرها تسعيرها، فلهذا وأمثاله طلب الاعتزال في السواحل والجبال.

ومن ذلك سرّ الاعتزال مع تدبير الأهل والمال من الباب ٧٩: الاعتزال بالأجسام من الأوهام بالمعنى للمحب المعنى، فلو خلا شيء عن الحق مع نفي الاشتباه ما صدق ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وهو القول الصدق والكلام الحق، فليس من رجاله إلاَّ من اعتزل بتدبير أهله وماله، فهو مع الله على كل حال في الأهل والمال، فمن قال التبرّر في الترك فهو صاحب إفك، فمن اعتزل لينفرد بنفسه فما هو مع ربه يستحقه جلال الله في قدسه، ولا يفرق صاحب هذا الحال بين عقله وحسّه، وما طلب الحق من مساكنه أعظم من باطنه.

ومن ذلك سرّ القرار في الديار من الباب ٨٠: القرار للخلق نظير الاستواء للحق، واعلم أنه لا يصحّ الجوار ولا يقبل الجوار إلاَّ بعمارة الديار فلا يثبت الجار إلاَّ بالدار، قالت العارفة المشهود لها بالكمال ﴿ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١] دار المآل، فقدمت الجار على الدار، لما علمت أن بالدار يصحّ الجوار، والعرش سقف الجنة وهو محل الاستواء، وقعر الجنة سقف النار التي هي محل البلاء، فالجنة على جهنم كالمرجل على النار لأهل الاعتبار، فالرجل كل الرجل من ثبت في منزله عند منزله من عرف عموم إحسان البرّ استقرّ لا بدّ لك من منزل، فلا تكن عن أوّل منزل بمعزل، وأوّل منازلك علم خالقك بك، ولا تزل في هذا المنزل مع انتقالك وفي رحلك وارتحالك، فاسترح إن شئت أو اتعب فإنك في علمه تتقلب، ما فرّ موسىٰ من لقاء ربه مع علمه أنه يلقاه بموته، وإنما فرّ لعلمه بما يزيده من العلم بالله بإقامته في بيته، ففراره قراره.

ومن ذلك سرّ الانتزاح عن الأوطان ومهاجرة الإخوان من الباب الواحد والثمانين: حواسك أوطانك وقواك إخوانك، فهب الأوطان للقطان واهجر الإخوان بالرحمٰن فإنه تعالىٰ القاطن بقوله: «**وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ**» ولا ينزل إلاَّ بالموقع النظيف النقي، وقال: «**كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ**» فهويته عين قواك لمن نظر فيه واعتبره، فتعين على العارف أن ينتزح عن الأوطان، وعلى الواقف أن يهجر الإخوان، وأين الله من الحدثان؟ كن مع الله في أحوالك تحمد عاقبة مآلك، وإياك أن تنازع إذا علمت أنك الجامع، فإن المفاصلة موجودة وهي لعينك مشهودة.

ومن ذلك سرّ الجنن عن البلايا والمحن من الباب ٨٢: الجنن صوارف وأقواها العوارف وأضعفها المعارف، من كان ذا معروف شاهد المعروف، من تحصن خلف جنته رأى جنته في جثته أعظم البلايا والمحن وقوع الفتن، وأي فتنة أعظم عند الرجال من فتنة الولد والمال؟ الولد مجهلة مخبنة مبخلة والمال مالك وصاحبه بكل وجه، وإن فاز هلك إن أمسكه هلكه وإن جاد به تركه، البخيل يذمه البخل، والكريم يضر به البذل، وقد جبل بخلقه من نطفة أمشاج على الفاقة والاحتياج، وقال زهير بن أبي سلمى: «لا بدّ أن يطيع العوالي من يعصي أطراف الزجاج»: [الطويل]

ومَنْ يَغْصِ أطْرَافَ الزُّجَاجِ فإنَّه يُطيع العوالي ركبت كل لَهْذم

من تعرّض للفتن فقد أخذ بحظ وافر من المحن، لا يمتحن بالدليل إلاّ صاحب الدعوى، فمن ادّعى فقد عرض نفسه للبلوى ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩] فقلنا بالجراءة على الخطايا ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠] فحلت الرزايا بحلول البلايا، يقول ابن السيد البطليوسي رضي الله عنه في بعض منظومه: [المجتث]

ارْجُ الإلٰه وخَفْهُ هذا الصِّراطُ القَويمْ
قد قال رَبُّكَ في الحِجْرِ والإلٰه كَريمْ
نَبِّئْ عِبادِيَ أنّي أنا الغفورُ الرَّحيمْ
وقال إنّ عذابي هو العذابُ الأليمْ
فالقَلْبُ بين رجاءٍ وبين خَوْفٍ بَهيمْ

ومن ذلك سرّ الحجاب والحجاب والوقوف خلف الباب من الباب ٨٣: الحجاب والحجاب رحمة والدليل إحراق السبحات والحجاب نقمه، والبرهان ما جاء في أصحاب الدركات، وليس الوقوف خلف الباب بحجاب إذا كان الباب يستحيل إلى من يكون خلفه الوصول والإقامة لديه والنزول، فيكون الباب عين المطلوب فإنه المحبوب، فإذا وصلت إليه حصلت بين يديه، فمن ساعده شاهده.

ومن ذلك سرّ الحدود والعقود من الباب ٨٤: الحدود أظهرت المحدود، والعقود أسرت المعقود، وما ثم إلاّ حدّ وعقد في رب وعبد، فحد الرب في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فتميز، وحد العبد في الظل والفيء قد تبرز، فالحد المجهول معقول، والحد الموجود مشهود، تنوعت الحدود الإلٰهية بالعماء والاستواء، والنزول والمعية، فلم ينحصر الأمر ولم ينضبط، ولهذا يحار العالم فيه ويختبط، فمن سلم فقد سلم، ومن آمن فقد أسلم.

ومن ذلك سرّ التقوى في البلوى من الباب ٨٥: الارتقاء في الاتقاء في دار الفناء لا في دار البقاء، من اتقى الله في موطن التكليف على كل حال حاز درجة الكمال عند الارتحال، الأمر بلوى فاستعن عليه بالتقوى، لا تقوى إلاّ بالله ولا تقوى إلاّ من الله، فمنه الحذر وبه يتقى الضرر، قد استعاذ به منه من أخذنا طريق نجاتنا عنه، فيه يلاذ ومنه يستعاذ، فأنت الداء والدواء، ومحرش الأعداء على الأوداء، حكم التقى في يوم اللقا، إذا تراء الجمعان، واجتمع في الصورة الفريقان، فإنها خلافة عامّة، يظهر سرّها يوم الطامة، فلأي معنى الواحدة تنجو والأخرى لا ترجو، فالجبابرة والأنبياء في الأرض خلفاء.

ومن ذلك سرّ الأحكام في الأنام من الباب ٨٦: الأحكام في النيام من الأنام، والحكم في القائمين من المنام، لولا الحكم ما ظهرت الحكم، ولا ميزت النقم من النعم، لولا الشروع في الأحكام ما التذّ أحد بمنام، ولا انتصب في العالم إمام، فبالحكم انضبط وكان النظام وارتبط، وحصل الأمان في النفوس، وأمن في الغالب التعدّي على المحسوس، فحدثت الأسفار إلى الأمصار، وكان الرجل أمناً في رحلته عن أهله وماله عليهم بهذا

الاعتبار، وهذا حكم أعطاه الوضع ولو لم يرد به الشرع، فلا بدّ من ناموس الأمان النفوس وأولاه ما شرع، وفيه النجاة لمن اتبع.

ومن ذلك سرّ الطالع والأفل في الفرائض والنوافل من الباب ٨٧: إذا طلع منك وافل فيك فهذا القدر من العلم به يكفيك، فهو الظاهر بطلوعه والباطن بأفوله، فقف إن أردت السعادة والعلم عند قيله، إنما لم يحب الخليل الآفل لأنه رآه يطلب السافل، وهمته في العلو لطلب الدنو، فإنه بذاته يسفل وبحقيقته يأفل، ولما كان أفوله من خارج افتقر الخليل إلى معارج، حتى لا يفقد النجم فلا يحال بينه وبين العلم، والمعارج رحلة وقد علم أن الأمر ما فيه نقله، فإن نسبة الأينيات إليه على السواء في الاستواء وفي غير الاستواء، جعل الله في النوافل عينك كونه، وجعل في الفرائض كونك عينه، فبك يبصرك في الفرض، وبه تبصر في النفل فالأمر ذرية بعضها من بعض: [مخلع البسيط]

ما هو عَنْكَ بل أنتَ عَنْهُ فأنتَ منه ما أنتَ مِنْهُ

ومن ذلك سرّ اجتناب الشبهة في كل وجهه من الباب ٨٨: حقيقة الشبهة أن يكون لها إلى كل وجه وجهة، والشيء لا يزول عن حقيقته ولا يعدل عن طريقته، لأنه لو زال عن حقيقته لزال العلم وطمس عين الفهم وبطل الحكم، وزالت الثقة بالمقه المتشابه محكم لمن علم فحكم، من أشبهك فقد أشبهته، ومن باهتك فقد بهته، لكل وجهة هو موليها، فما ثم شبهة أنت وغيرك متواليها، العالم شبهة بالتخلي، ولهذا أشبهته في التجلي، ألا ترى اختلاف الصور عليه عند النظر إليه، لا بل هو يختلف على الصور، وهو العلي عن الغير، الكل عين واحدة فلا اختلاف، وما ثم عدد فيكون الائتلاف، فحقيقة الشبه في الشبه.

ومن ذلك سرّ تناول الشهوات في المتشابهات من الباب ٨٩: لا سلوة عن الشهوة فإنها من حقيقة النشأة هنا، وفي الفيئة في المتشابهات الميل إلى جميع الجهات، ما العجب من كون العالم على الصورة وإنما العجب ممّن يراه برزخاً في السورة، والبرزخ بين طرفين وما ثم سوى عينين، أنت ومن أنت عنه والكل جميعاً منه، عندنا لا يثبت البرزخ إلاّ في العين الموجود لأنه بين الأعين الثابتة المعدومة وبين الوجود، فمن راعى هذا المقام الأشمخ ثبت عنده أن العالم في حال وجوده برزخ، فلو رفع العالم عن الوجود لزال البرزخ المحدود، تشابهت الأمور بالأمثال تشابه الأجسام الكثيفة بالظلال ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥] وظلالهم بالغدوّ والآصال.

ومن ذلك سرّ ما اختار الرجال في ترك الحلال من الباب ٩٠: المحرم محل إذا كان في الحل والحلال حرام إذا كان في الحرام ما ترك الرجال الحلال إلاّ لدخوله تحت الأحكام، إلاّ ما لا بدّ منه لإقامة هذه الأجسام الحلال بين والحرام بين وما بينهما قد عينهما، فلو ارتفع البين لزلت الأحكام من العين، إذا حققت الأصول فليس الزهد إلاّ في الفضول، وأما ما تدعو الحاجة إليه فذلك المعول عليه لا يصحّ عنه تجريد، فإن غذاء الموحد في التوحيد، كتغذي

الوجود بالموجود، والحد بالمحدود، والعدد بالمعدود، والشهود بالمشهود، فالسبب لا يرتفع والنسب لا تندفع.

ومن ذلك سرّ من لم يقل بالانتزاح عن المباح من الباب ٩١: ليس من الصلاح الانتزاح عن المباح، فبه قوّتك وما يفوّتك هو نصيبك من الأحكام والناس عنه نيام، نفى عنه الأجر والوزر وما عندنا حكم ينتفى عن المؤمن به الأجر، فلو تعطلت الأجور لالتبست الأمور، ما ثم ما يلتبس فالتمس ولا تبتئس فتفتلس، لو صحّ في الوجود اللبس لصحّ بالصورة بين اليوم والأمس، وأما كون العبيد في لبس من خلق جديد فما هو لمن بصره حديد، فإذا كشف الغطاء وجاء العطاء، تسرّحت الحواس وارتفع الالتباس، وتخلص النص وزال البحث والفحص، فالمباح أتمّ حكم شرع للإنسان وعليه جميع الحيوان، ألا ترى أن لهم الكشف التام في اليقظة والمنام؟ ولهم الكتم بما هم عليه في الإبانة من الحكم.

ومن ذلك سرّ العطاء بكشف الغطاء من الباب ٩٢: كل جزء من العالم فقير إلى العظيم الحقير، فالكل عبيد النعم، ومن المنعم الأمان من حلول النقم، فما منهم إلاّ من يقرع باب الكرم الإلٰهي والجود الربانيّ، فمنهم من يكون له كشف الغطا عين العطا، ومنهم من يكون له بقاء الغطاء عين العطاء، فمن الناس من يكون هو هدي البصر، ومنهم من هو خفاشيّ النظر، فإن الأمر إضافي والحكم في الأشياء نسبي، أين حال قوله ﷺ في رؤية ربه: «**نورٌ أنّى أَرَاهُ**» وبين قوله في رؤية ربه: «**تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيلَةَ البَدْرِ**» وليس المرئي سواه، فأثبتها لنا ونفاها عنه لما علم منه، ولم يقل نرى بالنون وفيه سرّ مصون.

ومن ذلك إيثار السكوت وملازمة البيوت من الباب ٩٣: السكوت حلية الأبدال، وملازمة البيوت ضرب من الخلوات والاعتزال، السكوت من المحال، فلا بدّ من نطق على كل حال، وليس من شرط البيان حركة اللسان، فإن لسان الحال أفصح، وميزانها في الإبانة عن نفس صاحبها أرجح، وملازمة البيوت عين النطق بلسان الحق، ومن سكت بكت، وربما رمي بالخرس، وقام له مقام الجرس، فظهر سرّه، وإن جهل أمره، وصار حديثاً بين الناس، ووقع في النفوس منه التباس، وكثرت فيه المقالات، وتطرّقت إليه الاحتمالات، ففتح بصمته أبواب الألسنة، وعمر بملازمة بيته جميع الأمكنة، فإن له في كل محفل ذكراً، فقد جاء شيئاً إمراً، لو لم يكن في السكوت وملازمة البيوت، إلاّ اتصاف صاحبه بصفة غير إلٰهية، مضاف إلى ذلك ما تحيله الماهية، فإن النطق من حدّه فكيف يقول بفقده.

ومن ذلك سرّ ما في القول من الطول من الباب ٩٤: لو لم يكن في القول من الطول إلاّ وجود الإنشاء وترجيح الإفشاء، وتحقيق الملك والزيادة في الملك، القول تكوين وتعيين، وبيان ما هو الأمر عليه فكيف يترك ولا ينظر إليه، ما شرف موسى عليه السلام إلاّ بما نسب إليه من الكلام بالكلام، وجد العالم فظهر على أتم نظام، وكل قول بحسب حقيقة القائل، فمنه الدائم ومنه الزائل، فمن قول لا يكون إلاّ بحرف، وهو على الحقيقة لمعنى القول كظرف، ومن قول لا حرف فيه فيزول فقد أبنت عن الأصول.

ومن ذلك سرّ قيام الليل لجزيل النيل من الباب ٩٥ : قيام هذه الأجسام أوجب اسم ذي الجلال والإكرام، فالتزم الجلال والإكرام، التزم الألف واللام، فكان الجلال للتنزيه عن التشبيه، وكان الإكرام للتنويه به في نفي التشبيه بالشبيه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] مع أنه ظل وفيء، فجعله مثلاً لا يماثل ومفصولاً لا يفاضل، فليل هذه النشأة جسمه الطبيعيّ ونهاره ما نفخ فيه الروح العقليّ، فكان أعدل الفتائل لقبول كرم الشمائل، فله الألطاف الخفية وجزيل الأعطية المنزّهة عن الكمية، لها فتح الباب والعطاء بغير حساب، النشأة الإنسانية بجميعها ليل وفي الثلث الآخر منها يكون النزول الإلٰهي لينيله أجزل النيل، ولم يكن الثلث الأخير إلاّ الروح المنفوخ الذي له الثبات والرسوخ والعلو على الثلثين والشموخ، فالثلث الأوّل هيكله الترابيّ، والثلث الثاني روحه الحيوانيّ، والثلث الأخير به كان إنساناً وجعل الباقي له أعواناً.

ومن ذلك سرّ تعشق القوم بالنوم من الباب ٩٦ : الخيال عين الكمال لولاه ما فضل الإنسان على سائر الحيوان به جال وصال. وافتخر وطال، وبه قال ما قال من سبحاني وإنني أنا الله، وبه كان الحليم الأوّاه فله الشتات، والجمع بين أضداد الصفات، حكم على المحال والواجب بما شاءه من المذاهب، يخرق فيهما العادة ويلحقهما بعالم الشهادة فيجسدهما في عين الناظر ويلحق الأوّل في الحكم بالآخر، لا يثبت على حال وله الثبوت على تقلب الأحوال، فله من آي القرآن ما جاء في سورة الرحمٰن من أنه تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٢٩، ٣٠] ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فإنا من جملة نعمائك.

ومن ذلك سرّ الحذر من القدر لاتقاء الضرر من الباب ٩٧ : سرّ القدر وساطة الحق بين المؤثر والمؤثر فيه والأثر، فينسب الأثر إليه وهو ما أوجده إلاّ على ما كان عليه، ولا شيء منه في يديه ما حكم فيه إلاّ بما أعطاه من ذاته في ذاته، وفي جميع أحواله وأسمائه وصفاته، والذي يختص بالموجود أعطى الوجود والشهود، وهي نسب لا أعيان وتكوينات لا أكوان، والعين هي العين لا أمر زائد فالشأن واحد، فمن سرّ القدر كان العالم سمع الحق والبصر، وهذا العلم هو الذي يعطيه إقامة الفرائض المشروعة الواجبة المسموعة، كما أعطت النوافل أن يكون الحق سمعك وبصرك، فحقق فيما أبديته لك نظرك، فإنك إذا علمت حكمت ونسبت ونصبت، وكنت أنت أنت، وصاحب هذا العلم لا يقول قط أنا الله وحاشاه من هذا حاشاه بل يقول: أنا العبد على كل حال، والله الممتن عليّ بالإيجاد وهو المتعال.

ومن ذلك سرّ الأمان من الإيمان من الباب ٩٨ : أخوة الإيمان، تعطي الأمان، والإيمان يمان، فذهب الحرمان، لا تخيفوا النفوس بعد أمنها إن كنتم عقلاء، ولا تتخذوا إيمانكم دخلاً بينكم إن كنتم أمناء، الإيمان برزخ بين إسلام وإحسان، فله من الإسلام ما يطلبه عالم الأجسام ومحلّ الانقسام، وله من الإحسان ما يشهد به المحسان، فمن آمن فقد أسلم وأحسن، ومن جمع بين الطرفين فاز بالحسنيين، بالإيمان ثبت النسب بينك وبين الرحمٰن، فهو المؤمن بك ولك، وإن أقامك فيما يناقض أملك، لولا أسماء الحذر، ما كان

للأمان أثر، قيدت الأسماء بالحسنى لدلالتها على المسمّى الأسنى، فإن نظر العالم إلى تشتّت مبانيها، واختلاف معانيها، وفيما ذا تتحد، وبماذا تنفرد، بأخوة الإيمان ترث، فلا تأسف على إخوة النسب ولا تكترث، المؤمن أخو المؤمن لا يسلمه وما ترك فهو يتسلمه، الإيمان والإحسان أخوان، والإسلام بينهما نسب رابط، فلا تغالط الإسلام صراط قويم، والإيمان خلق كريم عظيم، والإحسان شهود القديم، لولا الإحسان ما عرف صورته الإنسان، فإن الإيمان تقليد، والعلم في شاهد ومشهود، إذا صحّ الانقياد كانت علامته خرق المعتاد، المؤمن من أمن جاره بوائقه، والمحسن من قطع منه علائقه، والمسلم من حقق عوائقه، وجعلها إلى مطلوبه طرائقه، فسلك فيها سواء السبيل، ولم يجنح إلى تأويل، فعرس في أحسن مقيل، في خفض عيش وظل ظليل، في سدر مخضود، وطلح منضود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة.

ومن ذلك سرّ الأمل مع توقّع الأجل من الباب ٩٩: من مال إلى الآمال اخترمته الآجال، لله رجال أعطاهم التعريف طرح التسويف، فأزال عنهم الحذر والخوف، السين وسوف، تعبدهم الحال في زمان الحال، ليس بالمواتي من اشتغل بالماضي والآتي، إذا علم صاحب الأمل، أن كل شيء يجري إلى أجل، اجتهد في العمل، فإذا انقضى العدد، وانتهت المدد، وطال الأمد، وجاء الرحيل، ووقف الداعي على رأس السبيل، لم يحز قصب السبق إلاّ المضمر المهزول في الحق، إنما لم يصحّ الأمل في السبب الأول ولا كان من صفات الأزل، لأنه ما ثم ما يؤمل، فإنّ العين مشهود، والكل في حقّه موجود، وإن كان لعينه يتصف بأنه مفقود، فلم يبق للأمل متعلق، ولم تكن له عين تتحقق، والإنسان الكامل مخلوق على الصورة، فمن أين اتصف بالأمل وليس له في الأزل سورة؟ لقد نبهت على سرّ غفل عنه العلماء ولم تعثر عليه الحكماء، واسمع الجواب من فصل الخطاب، اعلم أن الله كان ولا شيء معه في كونه من حيث عينه، فليس لمخلوق عين في ذلك الكون، مع تعلّق العلم من العليم، أن ثم حادثاً يتميز عن القديم، يتأخر كونه تأخر وجود كتأخر الزمان عن الزمان في غير زمان محدود، فذلك القدر المعقول، الذي تضبطه الأوهام وتحيله العقول منه كان في المخلوق الأمل، وهو الذي أحدث الأجل، فأظهر الاسم الأول بالاسم الآخر عين الأمل بتأخّر العمل، وحكم العلم بكونه في عينه فأراد فقال ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠] فكان فظهرت الأعيان، وفي حال الإرادة لم يتصف العين بالكون، فالإرادة أثبتت عين الأمل لمن نظر وتأمّل.

ومن ذلك سرّ إجابة الدعاء لا رغبة في العطاء، من الباب الموفي مائة: لب إذ دعاك الحق إليه، لا رغبة فيما في يديه، فإنك إن أجبته لذلك فأنت هالك، وكنت لمن أجبت وأخطأت وما أصبت، واستعبدك الطمع واسترقك، وأنت تعلم أن الله لا بدّ أن يوفيك حقك، فمن كان عبداً لغير الله فما عبد إلا هواه وأخذ به العدو عن طريق هداه التلبية تولية، فلا تلب إلاّ الداعي فإنك لما عنده الواعي، ما اختزن الأشياء إلاّ لك، فقصر أملك، وخلص لله

عملك، ومن علم أنه لا بدّ من يومه فلا يعجل عن قومه، من عناية الله بالرسول المبجل، تخليص الاستقبال في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] حتى لا يعجل.

ومن ذلك سرّ العلم المستقرّ في النفس بالحكم من الباب الأحد ومائة: العلم حاكم فإن لم يعمل العالم بعلمه فليس بعالم العلم لا يمهل ولا يهمل، العلم أوجب الحكم لما علم الخضر حكم، ولما لم يعلم ذلك صاحبه اعترض عليه ونسي ما كان قد ألزمه فالتزم لما علم آدم الأسماء علم وتبرز في صدر الخلافة وتقدم العلم بالأسماء كان العلامة على حصول الإمامة: [البسيط]

العِلْمُ يَحْكُمُ والأقدارُ جَارِيةٌ ... وكُلُّ شيءٍ له حَدٌّ ومِقْدَارُ
إلاَّ العُلُوم التي لا حَدَّ يَحْصُرُها ... لكن لها في قلوبِ الخَلْقِ آثارُ
فحَدُّها ما لها في القلب من أثَرٍ ... وعَيْنُها فيه أنْجَادٌ وأغْوارُ
فلو تُحَدُّ بحَدِّ الفوز نَاقَضَهُ ... حَدٌّ لنَجْدٍ ففي التحديد إضْرَارُ

افهم قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] فتعلم إن كنت ذا فهم من أعطاه العلم من علم الشيء قبل كونه فما علمه من حيث كونه، وإنما علمه من حيث عينه، من أين علم أن العين يكون، وليس في العدم مكون، هذا القدر من العلم أعطاه جوده وحكم به وجوده.

ومن ذلك سرّ تغيّر العلم لتغيّر الحكم من الباب ١٠٢: أعطى علم التحقيق وعلم الرسوم أن العلم يتغير بتغير المعلوم، ولا يتغير المعلوم إلاَّ بالعلم، فقل لنا كيف الحكم، هذه مسألة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول، فكيف أقول منهج الأدلة أن العلة لا تكون معلولة لمن هي علة، ما أتى على من أتى من الالتباس إلاَّ من إلحاق الغائب بالشاهد في القياس، فمن فساد النظر حكمك على الغائب حكمك على من حضر، لكل مقام مقال وأين الواجب من الممكن والمحال، وأين الحال من المحال، لكل عين حدّ عند كل أحد، فلا تغرنك الأمثال فإنها عين الإضلال.

ومن ذلك سرّ شكوى الحق بالخلق من الباب ١٠٣: أخبرنا الحق المالك في بعض المناسك والمسالك فقال وأطال: شتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، ثم شرح وأوضح وأعطى المفتاح لمن شاء أن يفتح، من فتح حصل جزيل المنح، فعرف العلي ما أودى به لينصره الوليّ ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧] كما أنكم إن ذكرتموه بذكركم، فما ذكر إلاَّ لينصر فينصر، فمن تأسّى بالحق أصاب، ومن ترك الاقتداء به خاب، ننصره في الدنيا لينصرنا في العقبى، وقد ينصرنا هنا رحمة منه بنا لعدم صبرنا، وهو سبحانه الصبور، مدهر الدهور، الذي لا يمهل ولا يعجل، ومع هذا طلب النصر منا في الدنيا واستعجل، وذلك لحكمة الوفاء بالجزاء.

ومن ذلك سرّ شكوى الخلق بالحق من الباب ١٠٤: خاطب أحكم الحاكمين: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وأخبر عن هذا الشاكي في نص الكتاب: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤٤] فمن اشتكى إلى غير مشتكى فقد حاد عن الطريق

وعرج عن مناهج التحقيق، الخلق مشتكى الحق والحق مشتكى الخلق، من شكى إلى جنسه فما شكىَ إلاّ إلى نفسه، ومن شكى ما قام به من الأذى إلى نفسه، فقد هذى ما شكى الحق من عباده إلاّ إلى من خلقه على صورته وأنزله في سورته، ولولا اقتداره على دفع الأذى ما جرى منه مثل ذا.

ومن ذلك سرّ مراعاة الحق في النطق من الباب ١٠٥: لا نقل نحن إياه لقوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] أنت الترجمان والمتكلم الرحمٰن، تقيد كلام الله بالأمكنة بكونه في المصاحف والألسنة، الحروف ظروف والصفة عين الموصوف، فإذا نطقت فاعلم بمن تنطق فعليك بالصدق ومن كذب صدق، فلا تعدل وراع الحق من عباد الله من يكون الحق لسانه وبيانه، ومن عباده من لا يعلم ذلك فينزه ولا يشبه فيكذب الحق في ذلك، وهو في ظنّه أنه على الحق ينبّه، التنزيه تحديد فلا تقل بالتجريد، وقل بالحيرة فإنها أقرب حدّ في الغيرة، العجز نعت المثنى فإن قال فلا يثنى، فإنه لا بدّ أن يقف ويعترف، فليقف في أول قدم فإنه أولى بالقدم، وإن مشى ندم ولم يجد له في توجهه موضع قدم، فلا يحصل النسب إلاّ لمن عرف النسب.

ومن ذلك سرّ أين كونك إذ هو عينك من الباب ١٠٦: أبنية العما للجهلاء وأبنية السماء للعلماء، وفا العما لسيد النباء وكيانه فاء، السما للسوداء المنعوتة بالخرساء، فنابت منها الإشارة مناب العبارة، فاجتمع الجاهل والعالم في تعيين هذه المعالم، ولكن للرب المضاف الذي ما فيه خلاف. وأما ظرفية استواء العرش، وظرفية أحوال أصحاب الفرش، فالواحدة للرحمٰن، والأخرى لعالم الإنسان، فهذه أربعة لمن صفته أمعة، وإنما كانت أربعة لإقامة السلطان على مسالك الشيطان، فجعل وجهه في كل وجهة ليعصم من شاء ويحفظ من شاء، فإن الحق مع بعض عباده بالولاية وعناية، وبالكلاة والرعاية، فله تعالىٰ عين في كل أين، ولذلك قال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] فجمع، والقول الحق إذا جاء صدع، فكل مدبّر عينه وكل عامل يده وكونه، فالله في السماء وفي الأرض، وبيده ميزان الرفع والخفض، يعلم سرّكم وجهركم ويعلم ما تكسبون ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وكذلك أكثرهم لا يؤمنون، فلنا أينيات الأكوان في الأحوال والظروف، وله أينيات الكلمات والحروف، فهو المجهول المعروف والمنزّه الموصوف، حكمت العقول بأدلتها عليه، أنا به وإليه، فإليه يرجع الأمر كله، إذ كل ما في الكون ظلّه، فالكل بالمجموع مثال، ومن حيث الكثرة أمثال، فلم يسجد له إلاّ الظلال في الغدوّ والآصال، ولها التقلص والامتداد لأنها من كثايف الأجساد، فعبر عنها بالعباد فمنهم المتكبرون والعباد فمن تعبد أشبه ظلّه ومن تكبر أشبه أصله، والرجوع إلى الفروع أولى من الوصول إلى الأصول، فتحقق تكن من أهل الحق.

ومن ذلك سرّ قطع الأمل بمشاهدة الأجل من الباب ١٠٧: إذا أراد الله بعبده أن يقطع أمله يشهده أجله، اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، فيبذل جهده ويزهد فيما عنده ويقدّم ما ينبغي أن يقدم تخلقاً بالاسم الإلٰهيّ المقدم، وينبغي أن يؤخر

ما ينبغي أن يؤخر تحققاً بالاسم الإلٰهي المؤخر، فيحكم في نفسه لنفسه، ويندم في يومه على ما فرط فيه في أمسه، ليجبر بذلك ما فاته، ويحيىٔ منه بالندم ما أماته، فإذا أقامه من قبره فذلك زمان نشره وأوان حشره، فيبدل الله سيئاته حسنات، وينقل من أسافل دركاته إلى أعالي الدرجات، حتى يودّ لو أنه أتى بقراب الأرض خطايا، أو لو حمل ذنوب البرايا، لما يعاينه من حسن التحويل وجميل صور التبديل، فيفوز بالحسنيين، وهنالك يعلم ما أخفى له فيه من قرّة عين، ففاز في الدنيا باتباع الهوى وفي الآخرة بجنة المأوى، فمن الناس من إذا حرم رحم وجوزي جزاء من عصم، فجزاء بعض المذنبين أعظم من جزاء المحسنين، ولا سيما أهل الكبائر المنتظرين حلول الدوائر فيبدو لهم من الله من الخير ما لم يكونوا يحتسبون و﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الحديد: ٢١] وأكثر الناس لا يشعرون، فحسّنوا ظنكم برب هذه صفته، وحقّقوا رجاءكم بمعروف هذه معرفته، مفاتيح الكرم في معالي الهمم، لكل نفس ما أملت، وستجزى يوم القيامة بما عملت لكن ممّا يسرّها لا ممّا يسوءها ويضرّها ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨] فعلمت الفجور فاجتنبته، وعلمت التقوى فلزمته، فاتقت الله بالله اتقاء الأمثال والأشباه.

ومن ذلك سرّ ما توعر من المسالك على السالك من الباب ١٠٨: الأخذ بالعزائم نعت الرجل الحازم أولو العزم من الرسل هم الذين لقوا الشدائد في تمهيد السبل، ما جنح إلى الرخص من كان هجيره آخر القصص، التخلّق بالأسماء الإلٰهية على الإطلاق من أصعب الأخلاق، لما فيها من الخلاف والوفاق، إياك أن يظهر مثل هذا عنك إلاّ حتى تعلم معنى قوله عليه السلام: «**أعوذُ بكَ مِنكَ**» فمن استعاذ وبمن لاذ وعاذ الكبرياء حدث في أهل الحدث والحدث مزيل الطهارة ويكفيك هذه الإشارة، طهارة الحدث الفطرة وهو ما شهد به لله في أولّ مرة فإن حشر وبعث في الحافرة فما هي كرة خاسره، ولا سلعة بايره، لما كان الشرك هو العارض والدار الآخرة مزيلة للعوارض لذلك لم يظهر فيها شرك، ولا وقع فيها إفك، مواقف القيامة شدائد، لحضور المشهود عليه والشاهد، فمن كان في الدنيا حسابه فرح به أحبابه، وحمد ذهابه وإيابه، وفتحت له بالخيرات والخيرات أبوابه، وأجزل له ثوابه، من سلك هنا ما توعر تيسر له في آخرته ما تعسر، إن مع العسر في الدنيا يسراً فيها، ثم إن مع العسر في الدنيا يسراً في الآخرة لمن فهم معانيها بما يعاينها، ما أثقل الظهر سوى الوزر، فلا تضف إلى أثقالك أثقالاً، وكن لرحى ما يراد منك ثقالاً، هنا تحط الأثقال، أثقال الأفعال والأقوال، وهنا تباشر الأزبال، وتدبر الأثقال، احذر من الابتداع بسبب الاتباع، ولا تفرح بالاتباع وكن مثل صاحب الصواع، فإنك لا ينفعك توبتك ولا يزول عنك حويتك، واقتصر على ما شرع واتبع ولا تبتدع، وكن مع الله في كل حال تحمد العاقبة والمآل.

ومن ذلك سرّ المطابقة والموافقة من الباب ١٠٩: المطابقة مشاكلة والموافقة مماثلة، كل يعمل على شاكلته بقدر سورته. اعلم أن أرباب النهى هم الذين يوافقون الحق فيما أمر به ونهى، موافقة الأمثال من شأن الرجال، وقد ثبتت المثلية بكاف التشبيه وهو التنزيه عن

التنزيه، وقد ورد الخبر بالصورة والخلافة في السورة، فالكل هم النواب وهم الحجاب، وهم عين الحجاب، الواقفون عند الباب للصادر والوارد والوافد، والقاصد لهم الرفادة والسدانة والسقاية، وهم أهل الكلاءة والرعاية، إليهم ترفع النوب، منهم تعرف القرب، وبهم تفرّج الكرب، ما لهم علم إلاّ بمن طابقهم، ولا يشهدهم إلاّ من وافقهم، بأيديهم مفاتيح الكرم، وإليهم ترفع الهمم، هم الظاهرون بصورة الحق والملجأ العاصم لجميع الخلق، لهم الحيرة والغيرة، هم العواصم من القواصم، ولهم الدواهي والنواهي، فلكل قاصمة عاصمة، ولكل داهية ناهية، يتصرفون في جميع الأشياء تصرف الأفعال في الأسماء، ما بين نصب وخفض ورفع وعطاء ومنع، أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركبن طبقاً عن طبق، فما ثم إلاّ تغير أحوال في أفعال وأقوال، تطابق المال والولد في زينة الحياة الدنيا، وتميزت مراتبهم في العدوة القصوى، وافق شنّ طبقه، ولهذا ضمّه واعتنقه، فلق الحب عن أمثاله فلم يظهر سوى أشكاله، فمن بذر حنطة حصد حنطة كانت له فيها غبطة ومن بذر ما بذر حصد مثل الذي بذر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] وإنما هي أعمالكم تردّ عليكم، ولا يبرز لكم إلاّ ما عملتم بيديكم، فلا تلوموا إلاّ أنفسكم، وانقطعوا إلى من أنسكم.

ومن ذلك سرّ الاغتباط والارتباط من الباب ١١٠: من ألزم نفسه الحال فهو شديد المحال، من اغتبط بأمر سعى في تحصيله ونظر في تفصيله، ومن ارتبط فقد اغتبط الرباط ملازمه، والملازمة في الإلهيات مقاومة، المغتبط مسرور والمرتبط محجور، لما دخلت الحضرة الندسية والمقامات القدسية، ونزلت بفتائها وأحطت علماً بما أمكن من أسمائها، تلقاني الاسم الجامع للمضارّ والمنافع، فأهل ورحب وسهل وبذل وأوسع وجاد وما منع، فكان ممّا جاد به على المملوك نظم السلوك في مسامرة الملوك، فاتخذته سجيراً واتخذني سميراً، فجرى بنا السمر والليل قد أقمر، إلى حديث النزول الإلٰهيّ في الثلث الباقي من الليل الإنساني، وسؤاله عباده التائبين والداعين المستغفرين ليجود عليهم بالمنح وأنواع الطرف والملح، فكان أحد الداعين الواعين شخصاً ضخم الدسيعة من العلماء بالطبيعة ممّن ثبتت قدمه في العلم بها ورسخ وكان له المقام الأشمخ، فسأل ربه أين الطبيعة من النفس ومن المقام العقلي الأقدس؟ فقال: هي عين النفس فيمن تنفس، لها الاسم الرحمٰن الذي له الاستواء على الأكوان، هو الآتي من قبل اليمن ولكن إلى من، وإن كنا نعرف إتيانه ممّن فالكرب تطلبه والمسرات تعقبه، وهي التي تذهب به وتذهبه، فيه ترويح القلوب وتنفيس الكروب، إن لجّ حجّ، وإن حجّ عجّ وثجّ، وإن اعتمر أعمر، وإن أملى شغل، وإن أخلى أغفل، وإن أحرم أحرم، وإن وقف بعرفات أحيا العظام النخرات، وإن نام بالمزدلفة ألف النفوس المختلفة، وإن أضحى بمنى بلغ بالرمي المنى، وإن أفاض آض، وهو راض في الانبساط والانقباض.

ومن ذلك سرّ الاعتدال وبال من الباب الأحد عشر ومائة: لا يكون من الاعتدال إلاّ

دوام الحال والاعتدال لا يقبل التكوين ولا التغيير ولا القليل ولا الكثير، انظر في وجود الخلق تجده عن إرادة الحق، والإرادة انحراف بلا خلاف، لأنها تعين المتعلق عندما يعلم ما قلته ويتحقق، جنة النعيم لأصحاب العلوم، وجنه الفردوس لأرباب الفهوم، وجنة المأوى لأهل التقوى، وجنة عدن للقائمين بالوزن، وجنة الخلد للمقيمين على الودّ، وجنة المقامة لأهل الكرامة، وجنة الروية لأصحاب البغية، وكلها منازل تجديد الإنعام بأبدع ترتيب وأحسن نظام، الشهوة تطلب المشتهى، فإليها الانتهاء وهو المنتهى، أين الاعتدال والأصل ميال؟ فما ثم إلاَّ ميل عن ميل لطلب جزيل النيل، لو كان ثم اعتدال ما مال التنزيه ميل، والتشبيه ميل والاعتدال بين هذين ولا يصحّ في العين، وإذا لم يكن الاعتدال من صفاتها كان العدل من سماتها، والعدل من العدول فانظر فيما أقول، لو كان ثم اعتدال لكان في الوقفه، ولا مالت من الميزان كفه، من قال بالاستواء والزوال قال بالانحراف والاعتدال، وكل حركة جمعت الثلاثة الأحكام عند أرباب العقول والأفهام، فعين الشروق عين الغروب، وعين الاستواء عند العلماء بترحيل الشمس في منازل درج السماء، وهو عن كل حيّز منتقل، إما متعال وإما منسفل، فما ثم سكون ولكن حركه، وفي الحركة الزيادة والبركه، فللّه ما سكن في الليل والنهار، وما ثم ساكن في الأغيار، لا في البصائر ولا في الأبصار، ألا تراه قد جعله عبرة للأبصار عند أهل الاستبصار؟ فانظر واعتبر.

ومن ذلك سرّ الفصل في العدل من الباب ١١٢ : الحق في الاعتدال، فمن جار أو عدل فقد مال، فإن مال لك فقد أفضل وآتى في ذلك بالنعت الأنفس، وإن مال عليك فقد أبخس، العدل في الأحكام لا يكون محموداً إلاَّ من الحكام، والعدل هنا من الاعتدال لا من الميل فإن ذلك إفضال. ورد في الخبر عن سيد البشر فيمن انقطع أحد شراك نعليه أن ينزع الأخرى ليقيم التساوي بين قدميه، وقال فيمن خصّ أحد أولاده دون الباقين بما خصّه به من المال لا أشهد على جور لعدم المساواة والاعتدال، فسمّاه جوراً وإن كان خيراً، ثم قال: ألست تحبّ أن يكونوا لك في البرّ على السواء؟ فما لك تعدل عن محجة الاهتداء، فاعدل بين أولادك، بطارفك وتلادك، فالأحكام للمواطن التي تملك، وما لا يملك منها إذا وقع فيها الجور فإن صاحبه لا يهلك القسمة بين الأرواح في النفقة والنكاح على السواء وما يقع به الالتذاذ من طريق الأشباح، القسمة في الوداد خارجة عن مقدور العباد، فلا حرج ولا جناح في جور الأرواح، الودّ للمناسبة فزالت فيه المعاتبة، لا يقال: لِمَ لَمْ تحبني؟ ويقال: لِمَ لا تقربني قربة الأجساد؟ مقدور عليه في المعتاد، وقرب الفؤاد لا يكون إلاَّ بحكم الوداد، ولما كانت المحبة تعطي وجود النسبة بين المحب والمحبوب فرح المحبون لله لا المتحابون في الله لحصول المطلوب. ثم إنه قد ورد في الخبر الصدق والنبأ الحق أنه يحب أتباعه وما يتبعه إلاَّ من أطاعه، واتباع الرسول اتباع الإلٰه لأنه قال عزّ وجلّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١] فصلوا عليه وسلموا تسليماً، فإن الله يصلي عليه وينظر إليه.

ومن ذلك الأملاك اشتراك من الباب ١١٣: اشترك الزوجان في الالتحام فإنه نظام لا يفرح إلاّ بنظام التوالد، فإن لم يكن فالأولى التباعد، فإن التباعد فيه تنزيه والانتظام فيه تشبيه، وإنما حمدناه فيمن تولد عنه به وقررناه، فمن كان الحق سمعه وبصره فإن ولادة هذا الانتظام ما أشهده وبصره، الأعراس لأصحاب الأنفاس، بالاشتراك كان الملاك، وبه ظهرت الأملاك، وله دارت بحركاتها الأفلاك، من أعجب علوم المنح حركة المستدير الذي ما يزول عن مكانه ولا يبرح، فهو الراحل القاطن والمتحرك الساكن، وموضع الغلط في حركة الوسط، فإنه لا بدّ من ثابت يكون عليه الدور والكور والحور، فللّه ما سكن وهو له نعم السكن ولنا ما تحرك وبه نتملك، وعين الأذى في ملك فلان كذا، ولا مالك إلاّ ما لا يملك، وليس إلاّ مالك الملك، وأما من قال بملك الملك فبنسبة تبعد عن الدرك، وقد نطّق بها الترمذيّ الحكيم في معرض التعليم، فمالك الملك أصل وملك الملك فصل، وأين الفرع الذي هو الفصل من الأصل؟ وأين الفرض من النفل؟ توحيد الموحد إشراك وهو عين الإشراك، من قال أنه وحد فقد الحد الأحدية لا تكون بتوحيد أحد، فإنه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] عجباً في تنزيهه عن الصاحبة والولد، وعنه تولد في العالم ما تولد، من ذي روح وجسم وجسد، ثم إن ولادة البراهين الصحاح والكلمات الفصاح عن نكاح عقول وشرائع ما فيه حرج ولا جناح، وما تولد عن نكاح الشبه في العقول والأشباح فهو سفاح، وهذا الباب مقفل، وقد رميت إليك بالمفتاح، وما أزلته من يد الفتاح، فاحذر من القدر المتاح.

ومن ذلك السراح انفساح من الباب ١١٤: لما دعى الله الأرواح من هياكلها بمشاكلها حنت إلى ذلك الدعا وهانت عليها مفارقة الوعا، فكان لها الانفساح بالسراح من أقفاص الأشباح، فمن الناس من أفتاه النظر في عينها بالمنازل الرفيعة فقال بتجردها عن حكم الطبيعة، ومن الناس من وقف مع ما خلقت له من الآثار الوضعية فقال ببقاء تدبيرها وساعدته الأدلة الشرعية، فوصفها بالنعيم المحسوس وأثبت لها النظر الأول صفة السبوح القدوس. ومن قال بالإعادة في الأمرين انقسموا إلى قسمين، وكل قسم قائل فيما ذهب إليه وعول عليه أن فيه السعادة، فمنهم من قال في الإعادة رجوعها إلى النفس الكلية بالكلية، ومنهم من قال في الإعادة هي إعادتها إلى الأجساد في يوم المعاد على رؤوس الأشهاد، والكامل من قال بالمجموع وأن ذلك معنى الرجوع، فهي محبوسة في الصور الذي هو قرن من نور، والنور ليس من عالم الشقاء، وإن شقي بالعرض فحكمه السعادة والبقاء، فمن أراد معرفة الانتقال بعد الموت فليعتبر في النوم فإنه مذهب القوم، وبه يقول سهل بن عبد الله كل عليم أواه فلم يبرح صاحب تدبير ومالكه إكسير، تتنوع عليها الحالات ويظهر بالفعل في جميع المقالات، فصور تخلع وصور تبدو ثم ترفع، ويقظة النائم من نومه مثل بعث الميت بعد موته لمشاهدة يومه، فيبعثر ما في القبور ليحصل ما في الصدور، والأمر بين ورود وصدور، وإن ربهم بهم يومئذ لخبير، وهو على كل شيء قدير، فنفذ اقتداره في الحشر، وبذا حكم علمه في النشر،

وأنزل العرش في الفرش فوسعه وقد كان ضاق عنه، فأين ذلك الضيق من هذه السعة؟ فصار الأمر حكمه حكم الإمّعة، فاعتبر واستبصر.

ومن ذلك اسوداد الوجوه من الحق المكروه من الباب ١١٥: تظهر العناية الإلهية بالمقرب الوَجِيهِ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون وأما الذين اسودت وجوههم يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ولم يكن لهم إيمان تقدم إلاّ إيمان الذر زمان الأخذ من الظهر، فنسي ذلك العقد لما قدم العهد، ولولا البيان والإيمان ما أقرّ به الإنسان، وأما من أشهده الله حال خلقته بيدي فهو يقول في ذلك العهد كأنه الآن في أذّ فى النميمة والغيبة وإفشاء السرّ وما شاكل هذا كله حق مكروه، وهو يؤدي إلى اسوداد الوجوه، لما علم الحق تعالىٰ أن كل شيء إليه منسوب وهو لكل عالم بالله محبوب، وأن كل ما أدركه العيان، وحكم عليه بالعبارة اللسان، وأشير إليه واعتمد عليه، فهو محدث مخلوق تتوجه عليه الحقوق وأنه تعالىٰ ما أبدى إلاّ ما علم، وما علم إلاّ ما أعطاه المعلوم في حال ثبوته، من أحواله وصفاته ونعوته، ناط به الذم والحمد، وأخذ علينا في إنزال كل شيء منزلته الذمة والعهد، فما حسن وحمد فمنا، وما قبح وذم فهو ما خرج عنا، فإيانا نعلم وفينا نتكلم، ولو كانت نسبتنا إليه حقاً، ما ذمّ أحد خلقاً ولو ذمّه لكفر، ولو كان ما استتر فهو تعالىٰ المعروف، بأنه غير معروف والموصوف بأنه ليس بموصوف، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصافات] العارف مسوّد الوجه في الدنيا والآخرة، ومبيض وجه الوجه في النشأة في الحافرة، اسوداد السياده، لما كان عليه من العباده، وبهذا مدح سبحانه عباده، وجه الشيء كونه وذاته وعينه، ووجهه ما يقابل به من استقبله ولو كان أمله.

ومن ذلك سرّ الاكتفاء بالموجود في الوجود من الباب ١١٦: لما دعا الله الأرواح من هياكلها بمشاكلها اكتفت في الشهود بهذا القدر من الوجود والقناعة مال لا ينفد وسلطانها لا يبعد، من اكتفى اشتفى ولو كان على شَفَا، ما سوى الوجود عدم، ولو حكم عليه بالقدم، إنما وقع الاكتفاء بالموجود لعلمه بأنه ما ثم سواه في الوجود، فإن الإنسان مجبول على الطمع، فلا يقال فيه يوماً أنه قنع، وأنه يعلم أن ثم أمراً يمكن أن يجوزه إليه ويحصله لديه، وإنما علم بالحال أن ذلك محال فقنع بما وجد وقال: ما ثم إلاّ ما شهد، ألا تراه إذا فتح الحق عينه ببصره وفتق سمعه إلى صدق خبره يطمع ويطمع ويجمع ولا يقنع، ومن هنا أمره الحق أمراً حتماً أن يقول: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] فمن قنع جهل وأساء الأدب فلا يزهد في الطلب، فإن الله ما أراد منك في هذا الأمر إلاّ دوام الافتقار ووجود الاضطرار، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧، ٨] ولا تقطع المعاملة وعليك باستعمال المراسلة في طلب المواصلة، مواصلة لا أمد لانقضائها ولا راد لقضائها، فاليدان مبسوطتان واليدان مقبوضتان، قبضت ما أعطاها الخلق وانبسطت بما يجود به الحق، فلا يقبض الحق من العباد إلاّ بما به عليهم جاد، فمنه بدا الجود وإليه يعود، فالمزيد فيما يقبضه العبيد وما بيد مخلوق

سوى مخلوق، فيا من يطلب القديم أنت عديم، لا يقبل الحق إلاَّ الحق ولا يهب الخلق إلاَّ الخلق، فالزم عملك وقصر أملك وقل له تعالى: إنما نحن بك ولك خلقتنا لنعبدك فطلبنا منك أن نشهدك فعلى قدر ما سألنا من الشهادة ينقصنا من العبادة وعلى الله قصد السبيل، وهو الدال والمدلول والدليل.

ومن ذلك المثابرة على الجمع لما يقع به النفع من الباب ١١٧: ما أثر الحرص في القدر إلاَّ لكونه من القدر، وكم حريص لم يحصل على طائل لعدم القابل، العطاء عام والنفع خاص، وتدبّر قوله: ﴿فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣] عمّ التنادي وما عمّت الإجابة لما لم تقع هنا الإنابة الملازمة ملائمة، وهي من حكم الطبع وإن جهلت من قصرت همته عن طلب المزيد فليس من العبيد، لا تستكثر ما يهبك الحق، ولو وهبك كل ما دخل في الوجود، فإنه قليل بالنظر إلى ما بقي في خزائن الجود، إياك والزهد في المواهب فإنه سوء أدب مع الواهب، فإنه ما وهبك إلاَّ ما خلقه لك وخذه من حيث ما فيه من وجهه تعثر على كنهه.

ومن ذلك سرّ الاعتماد في العباد من الباب ١١٨: لما كانت العبودية تطلب بذاتها الربوبية كان الاعتماد منها عليها حقيقة وخليقة، ولجهلهم بحكمه ومعرفتهم بعلمه وتوفيته لرزقه في خلقه، وطلبه منهم ما لا يقدرون على أدائه إلاَّ به من واجب حقه، وعلموا أن الوجوب في الحقيقة مضاف إليه وأن الأمور كلها في يديه اعتمدوا واعتمادهم منه عليه، فعلموا أن الحق لله وضلّ عنهم ما كانوا يفترون، فعلموا أنهم كانوا من الذين لا يعلمون، فلو ارتفعت الحاجات وزالت الفاقات وانعدمت الشهوات، وذهبت الأغراض والإرادات، لبطلت الحكمة وتراكمت الظلمة، وطمست الأنوار وتهتكت الأستار، ولاحت الأسرار وزال كل شيء عنده بمقدار، فذهب الاعتبار، وهذا لا يرتفع ولا يندفع، فلا بدّ من الاعتماد في العباد.

ومن ذلك سرّ الاعتياد المعتاد من الباب ١١٩: ما ثم عين تعاد فأين المعتاد؟ الآثار دارسة والأعين مطموسة لا بل طامسة، فقالت للشبه وقوّة الشبه مع فقد الأعيان ووجود الأمثال هذا هو عين الذي كان، فلو قالت هذا هو عين هذا لعلمت أن هذا ما هو هذا لأنها أشارت إلى اثنين، ولا يخفى مثل هذا على ذي عينين ما حجب الرجال إلاَّ وجود الأمثال، ولهذا نفى الحق المثلية عن نفسه تنزيهاً لقدسه، وكلما تصوّرته أو مثلته أو تخيلته فهو هالك وإن الله بخلاف ذلك، هذا عقد الجماعة إلى قيام الساعة وعندنا هو ذلك فما ثم هالك.

ومن ذلك سرّ المزيد في تحميد الوجود من الباب الموفي عشرين ومائة: يا راقد كل طالب فاقد، أوامر الحق مسموعة مطاعه إلى قيام الساعه، لكن الأوامر الخفيه لا الأوامر الجليه، فإن شرعه عن أمره وما قدره كل سامع حق قدره، فلما جهل قدره عصى نهيه وأمره، الحمد بملأ الميزان وما ملأه سوى سابغ النعم والإحسان، فعين الشكر عين النعم، ومن النعم دفع النقم، كم نعمة لله أخفاها شدة ظهورها واستصحاب كرورها على المنعم عليه ومرورها وهم في غفلة معرضون ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] بل لا يشعرون بل لا يشكرون الفضل في البذل، والبذل في الفضل وفي الأصل من الفضل، كيف يصحّ المزيد

وقد أعطى كل شيء خلقه ووفاه حقّه فلا يتسع للزائد، فلماذا طولب بالشكر والمحامد والخلق لله ليس له، فمن كبره وهلّله وهذا كله مخلوق وهو على العبد من أوجب الحقوق، فما عمل أحد إلاَّ ما أهلّ له ممّن كبره أو هلّله، وما هو إلاَّ من حيث إنه محل لظهوره وفتيلة لسراجه ونوره.

ومن ذلك وقوف التائه مع التافه من الباب الأحد والعشرين ومائة: متاع الدنيا قليل، وكل ما فيها أبناء سبيل، فما من قبيل ولا جيل إلاَّ وهو مملوك للقطمير والنقير والفتيل، فالكل تائه ولهذا قنعوا بالتافه، فمنهم الشكور والكفور، ومنهم الراغب والزاهد، ومنهم المعترف والمعاند الجاحد، لم يحصل له أمان الغرفه إلاَّ من قنع في شربه بالغرفه، فمن اغترف نال الدرجات، ومن شرب ليرتوي عمر الدركات، فما ارتوى من شرب، وروي من اغترف غرفة بيده وطرب، مع أن القرائن أقوم قيلاً وهو الحاوي على كل شيء أوتيناه وأهدى سبيلاً، وما أوتينا من العلم إلاَّ قليلاً لما جرى نهر البلوى بين العدوتين الدنيا والقصوى، وكان الاضطرار وقع الابتلاء والاختبار، لما كان الظمأ اختبر الإنسان بالماء، ومن الماء جعل الله كل شيء حيّ في ظلمة ونور وفي والحياة نعيم في الحديث، والقديم، فمن أهل العدوة الدنيا من لا يموت ولا يحيى، ومن أهل القصوى من كانت نجاته في الدعوى التافه والعظيم سيان في النعيم، ليس في الكثرة زياده إلاَّ في عالم الشهاده، وأما في عالم الغيب فما في المساواة فيه ريب، المعنى لا ينقسم إذا قسم ما قسم، لا يقبل الانقسام إلاَّ عالم الأجسام، من رضي بالقليل عاش في ظل ظليل، في خير مستقر وأحسن مقيل، وما ثم كثير فكل ما في الوجود يسير، هذا وما ثم منع ولا عمّ النفع النفع، وقف على نيل الغرض، والغرض قد يكون سبباً في وجود المرض، من لم يأته غرضه طال في الدنيا مرضه، لذلك قال رضي الله عنهم ورضوا عنه: فالرضى منا ومنه.

ومن ذلك الرضى بالدون هجا، والهجا جفا من الباب الثاني والعشرين ومائة: لا يرضى بالحقير إلاَّ من لا يعرف قبيلاً من دبير، اعتناء الحق بالنقير، دليل على أنه كبير، لا يخفى على ذي عينين أن لله عناية بكل ما في الكون، إخراج الشيء من العدم إلى الوجود دليل على أنه في منازل السعود من أعطاه الحق صفته فقد منحه علمه ومعرفته، هجا الكون ثنا، ومدحه هجا، من طلب من الحق الوفا فقد ناط به الجفا، وليس برب جاف بلا خلاف، الوفا مع كلمه من شيمه، صفات الحق لا تستعار وعلى الاتصاف بها المدار، لا تصل إليه إلاَّ بالاعتماد عليه، والاعتماد عليه محال لأنك ما أنت مغاير له بحال، إذا كان الكل منه فما معنى رضي الله عنهم ورضوا عنه متعلق الرضى القليل، فإن الإنعام لا يتناهى بالبرهان الواضح والدليل، فلا بدّ من الرضى بذا حكم الدليل وقضى، وبهذا المعنى رضاه سبحانه عنك بما أعطيته منك على أنك ما أعطيته إلاَّ ما خلقه فيك وهذا القدر يكفيك، وهو يعلم أن الاستطاعة فوق ما أعطيته، والأمر كما بلوته الدون ما دون وما ثم إلاَّ دون، لا يلتفت العارف لما يخاطبه به الواقف، فإن الواقف محجور عليه بما ينتقل إليه، والمحجور خطابه محصور، والعارض متصرّف في كل

وجهه لكونه يشاهد وجهه، ومن عرف الوجه فهو الكامل بكل وجه، لا تنظر الأبصار إلاّ إليه، ولا تعتمد البصائر إلاّ عليه، فكل ما في العلم لديه وحاضر بين يديه، يحيط به إحاطة الأفلاك بالأملاك، ويحكم عليه حكم الملاك في الأملاك، لا يحب الله الجهر بالسوء من القول، وما كل فريضة تقتضي العول، لا ينكح الأمة إلاّ من لا يستطيع الطول، والله وليّ التوفيق وهو بالفضل حقيق.

ومن ذلك سرّ تيسير العسير من الباب ١٢٣ : الخلق في الإعسار وإن كان ذا يسار، فإن يسار الحق ما هو عين الخلق، فمنه أخذ وإياه أعطى، ولا يعرف هذا إلاّ بعد كشف الغطاء، الجواد قديم والجود محدث، فلا تتحدث التحدث بالنعم شكر، وليست سواك في الخلق وإن كانت بيد الحق، لما كان بيده الإيجاد ومنع وقتاً وجاد، قلنا بالعسر المعتاد العسر إفلاس، ولا يكون إلاّ لأهل الحاجة من الحيوان والناس، كل متحرك بالإراده فهو يطلب خرق العاده والنبات والجماد لا يقولان بالمعتاد الحاجة بالحال، فلهذا يستغنى به عن السؤال، لسان الحال أفصح ووزنه أرجح، لسان الحال لمن عدا أهل المنطق، فاظهر بصفتهم ولا تنطق، ما حال بينك وبين حقك إلاّ عجلتك بنطقك، الرزق مقسوم ومنزل بقدر معلوم، لا ينقص ولا يزيد، سؤال العبيد، طلب المزيد، في الجبله في كل مله، كيف لا يظهر بالافتقار من حكم عليه الاضطرار وبقي الحكم للأقدار، فكل شيء عنده بمقدار، إن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة، وما جعله يتأخر إلاّ القضاء المقدر، فهو القاضي بالتأخير في تيسير العسير، إذا قام اليسر بالعسر ظهر عين الإعسار، وإن لم يقم به فليس إلاّ اليسار، ما في العالم عسر لو زالت الأغراض وكله يسر، فائن الأمراض، لو كانت العلة في الأزل لكان المعلول لم يزل، فلا معلول ولا علة، فقد تظهر الشبه في صور الأدلة، البراهين لا تخطىء في نفس الأمر، وإن أخطأ المبرهن عليه فذلك راجع إليه، وأما البرهان فقوي السلطان ولا يعرف الدليل إلاّ بالدليل، فما إلى علمه من سبيل، من علمت به معلوماً وجهلته فما علمته فإنك لا تعلم ما علمت به فانتبه.

ومن ذلك سرّ الموت الأبيض وبنا ما تقوض من الباب ١٢٤ : من قوض ما طنب أوجز وما أطنب الجوع بئس الضجيع الجوع ممنوع الجوع حمى منيع، لو بقي المتغذي نفساً واحداً دون غذا، لم يكن من يقال فيه ماذا، ما هو إلاّ انتقال من حال إلى حال، سرّ الموت كرباته، وكشفه حسراته، فأبيضه ألم حسّي، وأحمره ألم نفسي، وأسوده مرض عقلي، وأخضره مثل زهر النبات لما فيه من الشتات، فتفرق به بين المثلين ويباعد بين الشكلين، فإذا انقلب الألم لذة استلذّه الموت للمؤمن تحفه، والنعش له محفه، ينقله من العدوة الدنيا إلى العدوة القصوى، حيث لا فتنة ولا بلوى، فينزله أحسن منزل في أخصب منزل منزل لذة ونعيم، ويسقى من عين مزاجها من تسنيم، فهو نهر أعلى ينزل من العلى إلى عين أدنى، له علو المرتبة كعلو الكعبة، وإن كانت في تهامة فالحج إليها على شرفها علامة، أقرب ما يكون العبد من ربه في حال السجود، وأين النزول من الصعود؟ فعلمنا أن نعت السجود بالأعلى أولى،

من مات فقد قامت قيامته وإن خفيت بالأرض قامته، لو بقي الجدار أرضاً ما اتصف بالهدم، ولو لم يكن الشيخ شاباً ما نعت بالهرم، جبل الخلق على الحركة، فانتقل في الأطوار، وحكمت عليه بمرورها الأعصار، الزمان زمانه وما بيده أمانه، ومن يحوي عليهم هم أهل الأمانات، ولهم فيها علامات، فمن عرف علامته أخذ أمانته، ولو رام أخذ ما ليس له ما أعطاه استعداده ولا قبله، وما مات أحد إلاَّ بحلول أجله، وما قبض إلاَّ دون أمله، ليس بخاسر ولا مغبون، من كان أمله المنون، فإن فيه اللقاء الإلٰهيّ، والبقاء الكياني.

ومن ذلك سرّ الموت وما فيه من الفوت من الباب ١٢٥ : الفوت في الموت لكل ميت الدار الدنيا محل بلوغ الأمل ما لم يخترمه الأجل، هي مزرعة الآخرة فأين الزارع؟ وفيها تكتسب المنافع الحصاد في القبور والبيدر في الحشر والنشور، والاختزان في الدار الحيوان، ذبح الموت أعظم حسرة وذبحه لتنقطع الكرَّة، من كانت تجارته بايرة، فكرته خاسرة إذا ردّ في الحافرة، أين الرد في الحافرة من قوله: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١] ونبّه عليها بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢] فإنها كانت على غير مثال، وكذا يكون في المال، عجباً من موت يذبح في صورة كبش أملح، وهو الذبح العظيم الجليل، فدا ابن إبراهيم الخليل، وذبحه بين الجنة والنار، عبرة في برزخيته لأهل الاعتبار، هو علامة الخلود في النحوس والسعود في هبوط وصعود، وكل إلى الله راجع لأنه الاسم الجامع، في ذبحه عزل ملكه ونزوله من منصته وفلكه، هذا قد ثبت عزله وانتقض غزله، فما يكون عمله من الأعمال، وقد انتهت مدته بانتهاء الآجال، من فارق وطنه فقد فارق سكنه، لولا القطان ما كانت الأوطان: [البسيط]

القَلْبُ بَيْتٌ وإنّ العِلْمَ يَسْكُنُهُ ... بالعِلْم يَحْيَى فلا تَطْلُبْ سوى العِلْمِ
ما ثَمَّ عِلْمٌ يكون الحَقُّ يَمْنَحُهُ ... إلاَّ الكَتاب لمن قد خُصَّ بالفَهْمِ
فيه فتبدو علومٌ كلها عَجَبٌ ... لكل قلبٍ سليم حائزِ الحكَمِ
أو سابقٍ أو إمامٍ ظَلَّ مقتصداً ... يرجو النجاةَ فما يَنْفَكُّ عن وَهَمِ
إن النجاة لتأتي القَوْمَ طائعةً ... وتأتي قوماً إذا جاءت على الرَّغْمِ

إن لله رجالاً يقودهم بالسلاسل إلى الجنة ركباناً ورجالاً لعناية سبقت، وكلمة حقّت وصدقت، ماتت قلوبهم في صدورهم عند صدورهم جهلاً، ومع هذا يقال لهم إذا سعدوا: أهلاً وسهلاً بلا تعب، ولا نصب، ولا جدال، ولا شغب، أين هؤلاء ممّن ينطلق إلى ظل ذي ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب، أتاهم الرزق من حيث لم يحتسبوا، ودعاهم الحق فبادروا فما حجبوا.

ومن ذلك سرّ الفتن في السرّ والعلن من الباب ١٢٦ : أين القوة والناصر يوم تبلى السرائر؟ يقول الله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠] ثم أقسم بالجمع ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق] بليت في القيامة السرائر، كما بليت بالجهاد الظواهر، ليتميز الصابر من غير الصابر، بالمسبار والسابر، من أعجب ما

في البلايا والفتن، وما تنطوي عليه من الرزايا والمحن، ما جاء في الكتاب المحكم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] وهو العالم بما يكون منهم فأفهم من يعلم، وإذا فهمت فاكتم، فإذا علمت فافهم وإذا فهمت فاكتم، وإذا كتمت فالزم وتأخر ولا تتقدم، فإذا قدمت فاحذر أن ترى في الحشر تندم، إذا سئلت فقل لا أعلم ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] وما ثم العالم في أوقات يتجاهل وعن الجاهل يتغافل، وعن الانتهاض في المؤاخذة يتكاسل، وفي مثل هذا يقع التفاضل، والله ليس بغافل فإنه معنا في جميع المحافل، فأين تذهبون إن هو إلاّ ذكر للعالمين، ولتعلمن نبأه بعد حين، العلن ما انتشر، والسرّ ما ظهر، وما هو أخفى من السر ما لا يعلم من الأمر، وما هو إلاّ العلم بالله، وهذا منزل الحائر الأوّاه، ما تأوّه حتى توله وما توله حتى تأله، حار عقله وما أفاده، نقله تقابلت الأقوال وتضادت الصور والأحوال، فآية تشبيه تقابلها آية تنزيه، وقد يجمع الحكم بهما آية واحدة لمن أراد الفائدة مثل قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] فهي آية تحوي على التنزيه والتشبيه، عند كل مقرّب وجيه، وذي فطنة نبيه، فإن انتهى إلى السميع البصير فقد سقط على الخبير، الفتنة اختبار في البصائر والأبصار، الأمر ما بين محسوس ومعقول، أعطته بالوجود دلائل العقول، وإن شئت ما بين موهوم وهو المتخيل وهو أمر ما عليه معوّل: [البسيط]

فـالأمْـرُ مـا بـيـن مَـوْهُـومٍ ومَـعْـقُـولِ كـالأجْـرِ مـا بـيـن مَـوْهُـوبٍ ومَـنْـقُـولِ
فـإنـنـي لـسـت فـي أسـمـاءِ مُـنْـشِـئِـهِ إلاّ كـصـاحـب وَجْـهٍ فـيـه مَـقْـبُـولِ
وقـائـلٍ لـيـس فـي إدراكـه مَـلَـلٌ ولا وَحَـقِّ الـهَـوَى مـا هُـوْ بِـمَـمْـلُـولِ

فالبصر للعبرة والبصرة للحيرة، إذ كانت ما ترى غيره لما تحققت به من الغيرة، إذا منحت بالشهود وحصلت من طريق الوجد الوجود، فإن فانها هذا المقام فإن رؤياها أضغاث أحلام، حيل بينها وبين المبشرات فنقول بالفرقان لا بالقرآن في السور والآيات، وهذا القدر كاف إذ هو دواء شاف.

ومن ذلك سرّ تنوّع الإرادة وحكم العادة من الباب ١٢٧: تنوّعت الإرادة لتنوّع المراد، وحكم بالعادة في خرق المعتاد، ليس العجب من عبد العليم إلاّ تنوّع إرادة القديم، ربط بمشيئته لو وهي تو إذا تنوع الواحد فليس بواحد، ولا بدّ من أمر زائد، بل أمور كثيرة وهذا لمن يفهم شعيره، دقت عن الفهم لما ينطوي عليه من العلم، لو شاء الله كذا وما يشاء، ولو شاء لصحّ المشاء، ولو حرف امتناع لامتناع، فكيف يستطاع ما لا يستطاع، إذا صحّ التنوّع ظهر الجنس وهذا خلاف ما يقتضيه القدس، وما يعطيه دليل العقل في النفس، حقيقة الإرادة ما استقرّ في العادة، وإن جاء خرق المعتاد فهو أيضاً للإرادة مراد، فلا تنظره من حيث الشخص وعليك فيه بالبحث والفحص، تعثر على الظاهر فيه لا بل على النص، أهل الاعتبار هم أهل الاستبصار، لكن لا بدّ من حكم الأغيار، لولا النهر ما امتازت أحكام العدوتين، ولا حكم بالفرقتين، الأرض واحده ما ثم عين زائده، جاء النهر ففصل وإن كان لم يقطع فما وصل، لكنه ستر حين جرى وما هذا حديث يفترى، بل هو أبين من الغزاله على من ناله،

يعرفه أهل الرفع والخفض فإنه ما استقرّ إلاّ على الأرض، فالأرض من تحته في اتصال والعين تشهد حقيقة الانفصال، فلا بدّ من عبور ولهذا قلنا بتنوّع الأمور، أعطت جرية الماء الأرض حكماً لم تكن عليه، وما استند هذا الحكم إلاّ إليه، فلو ارتفعت الأنواء وذهب الماء لزال البين وظهر البين، وصدق ما حكم به العلم العين، فقف مع الإرادة وإن تنوّعت، ولا تبرح من العادة وإن تصدّعت.

ومن ذلك ما ينتجه التجلي في الأكوان في كل زمان من الباب ١٢٨: للتجلي الإلٰهي في الأكوان أحكام بحسب الأزمان، فتنوّع الأشكال لتنوّع الأحوال، كثر الحق بالصور وظهر بالزمان الغير، من أسماء الزمان الدهر فنطقت الغيرة بأن الله هو الدهر، وما ثم إلاّ من يفتقر إليه ولهذا حكمنا بأنه عين العالم وإن كان لديه، تجلّى في صورة الفلك فدار وفي صورة الشمس فأنار، وفي صورة الليل فأظلم وفي العالي والسافل فأنجد وأتهم، وما تجلى إلاّ إلى عينه فما أدركته عين سوى كونه، فأدرك نفسه بنفسه فهو لعقله كما هو لحسّه مع ثبوت قدسه، أعطى الحدثان من الحكم ما لم يثبت في العلم، فإن دليل العقول قد يخالف ما صحّ عندها من المنقول، فالويل العقلي إن قبلته، والويل الإلٰهي إن لم تقبله وتركته، ثم إنه لا يقبل إلاّ بالإيمان وإن لم يشهد له العيان، فارتفاع الريب في العلم بالغيب براءة من العيب، وما في القلب من الشوب، إياك واتباع المتشابه أيها الواله، فما يتبعه إلاّ الزائغ، وما يترك تأويله إلاّ لعاقل البالغ، فإن جاءه من ربه ذلك الشفا فهو المعبر عنه بالمصطفى، والمصطفون عند أولي الألباب ثلاثة بنص الكتاب: ظالم لنفسه في أبناء جنسه، والثاني: مقتصد وعليه المعتمد، فإنه حكيم الوقت بعيد من المقت، والثالث: سابق بالخيرات إلى الخيرات، ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٧٠، ٧١] ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، وكيف وفي نعمائك نتقلب، فاعلم والزم.

ومن ذلك سرّ الإقناع وما يقع به من الانتفاع من الباب ١٢٩: الإقناع ارتفاع، وبه يقع الانتفاع، من أقنع هنا خضع، ولا يقنع في الآخرة إلاّ من خشع، خاشعين من الذل إلى واهب الكل، ينظرون من طرف خفيّ إلى إله قاهر عليّ، فلو راقبوه في دنياهم آمنوه في أخراهم، أقنع الأكياس رؤوسهم في الدنيا مع الاتصاف بالخشوع الذي يناقض القنوع، فأعزّهم الله في العقبى، وأورث خشوعهم أبناء الأولى، من ارتفع سقط وهنا وقع الغلط، وجهل السقط، اقنع رأسك أيها الإنسان، وانظر إلى الجنان، والحاكم الرحمٰن يصلح بين الأخوان ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] فإن الله يصلح بين عباده، في يوم إشهاده على رؤوس أشهاده، فما يرى الخير إلاّ من أمن الضير، قد يكون في الآخرة الإقناع للأعزه، ولمن ظهر بأحسن بزه، وقد يكون للظالم الجائر، الواله الحائر، وبالسمات يفرق بين الأشخاص يوم التنادي ولات حين مناص، تعوّذوا بالله من هول ذاك المقام، فإن فيه تسفيه الأحلام، ولو سفه العقل من كان يؤمن بالنقل، فالعقل ما عنده سفه، ولكن تنبه في الإنسان حاكم على صورته وهو الهوى، ومن أجله وقعت البلوى، وإليه يرجع السفه، ودع عنك كلام من موّه العقل عن

السفاهة منزّه، وما هو بعاقل حتى يتنبه، لكن العاقل قد يغفل عن استعمال عقله لاستحكامه في نقله، ومن حكم عليه هواه مشى في رضاه، والعقل محجوب في بيته إلى وقته، فإذا احتدّ البصر، وانكشف الغطاء، وجاء العطاء، استدعى هناك صاحب الهوى عقله وترك نقله، فوعزّة العزيز ما نفعه، وتركه لمن صرعه، حاصداً ما زرعه.

ومن ذلك سرّ الموت الأحمر بالمقام الأخضر من الباب ١٣٠: ذبح النفوس أعظم في الألم من الذبح المحسوس، مخالفة الآراء أعظم في الشدّة من مقابلة الأعداء، مجانبة الأغراض غاية الأمراض، من فاز بمخالفة النفس سكن حظيرة القدس، من نهى النفس عن الهوى كانت جنة المأوى، لا ينهاها إلاّ من خاف مقام ربه، وخاف عقوبة ذنبه، والتزم الوفاء وتميز في أهل الصفاء، وقام بما كلف فقبل وما عنف، ولقد رأيت هذه الليلة في واقعتي ما شيب سالفتي، وقد نظمت ما رأيته، وفي هذا الباب كتبته، وفي النوم قلته: [السريع]

لا بُـدَّ مـن خَـوْفٍ ومـن شِـدَّهْ … لا بـدّ مـن جـورٍ ومـن عَـسْـفِ
فـي حـلـب مـن حـكـم جـائـر … فـي حـكـمـه يـمـشـي إلـى خَـلْـفِ
يـنـزل مـن قـلـعـتـهـا راجـلاً … مـن غـيـر نُـسْـكٍ لا ولا عَـطْـفِ
كـأنـه الـحَـجَّـاجُ فـي حُـكْـمِـهِ … يَـحْـكُـمُ بـالـقَـهْـر وبـالـعُـنْـفِ
يَـجُـورُ فـي الـخـلـق بـأحـكـامـه … يـفـرّق الإلْـفَ مـن الإلْـفِ
قـد نَـزَعَ الـرحـمْـنُ مـن قـلـبـه … رَحْـمَـتَـهُ وقَـدْرُ ذا يـكـفـي
فـي صـورة الـحَـجَّـاج أبْـصَـرْتُـهُ … لا بـل هـو الـحَـجَّـاجُ فـاسْـتَـكْـفِ
بـالـواحـد الـرَّحْـمْـنِ مـن شَـرِّهِ … مـا خَـابَ مـن بـالله يَـسْـتَـكْـفـي

لكن عسى الله أن يجعل سطوته على أهل العناد من أهل الإلحاد، وكانت عليه غفارة حمراء وهو يتمايل تمايل سكرى، فأرجو لكونه فاضلاً أن يكون عادلاً، فإنه نزل راجلاً وبيده عصاه، يستعين بها على من خالف أمر الله تعالىٰ وعصاه، جعله الله تأويلاً صادقاً، ولسان حق ناطقاً، فتعوّذنا حين انتبهنا من شر ما رأينا كما أمرنا ﷺ ونقلنا، وتحوّلنا كما علم.

ومن ذلك الاضطرار افتقار من الباب الأحد والثلاثين ومائة: الاضطرار صفة المخلوق فارتفعت عنه الحقوق، له الحق لا عليه فلا يلتفت إليه، الالتفات إلى من بيده أزمة الأمور ويعلم ما في الصدور، وبيده مقاليد السموات والأرض وميزان الرفع والخفض، فيؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء فيعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ولم يضف الشرّ إليه وهو الحكيم الخبير و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] لا يبدّل القول لديه فحكم به عليه، فلا يعرف المضطرّ إلاّ من أطعم القانع والمعتر، اضطرار لا إجبار والمخلوق جبر في اختبار، المخلوق مجبور في اختياره مختار في حال اضطراره، لولا التردّد ما ظهر الاضطرار، وإن لم يحكم على صاحبه افتقار، ما كل اضطرار يكون معه الافتقار، الإفتقار يطلب المستند وما قال بخلاف ذلك أحد، والمضطرّ في حكمه مع ما سبق في علمه، فلا يحكم حكم إذا عدل وما ظلم إلاّ بما علم، ولا سيما مع

ارتفاع التهم، من العلم صفته فالعدل شيمته، فحكمه بالعلم حكم المضطرّ في الحكم، ما في الكون إلاّ العلم، لكن بقي الفهم، إذا علم الجائر أنه جائر، فليس بجاهل ولا غافل، ما حكم إلاّ بما وجد، ولا أمضى إلاّ ما شهد، وما بقي إلاّ أن يعتقد أنه الحكم الإلٰهي، أو لا يعتقد بهذا تميزت النحل وافترقت الملل، فمن ناظر إلى الحكم الإلٰهي في الأصول، ومن ناظر إلى الحكم الإلٰهي في الشرع المنقول، وكل واحد وقف مع دليله على سواء سبيله، وفرّق بين عقده وقيله، فمن قائل بمقيله، ومن قائل برحيله، فالناس بين حال ومرتحل ومنفصل، وآخر في انفصاله متصل.

ومن ذلك السيادة عبادة من الباب ١٣٢: السيد خادم فهو في العبادة قائم ففرق بين السادات والعبيد من يقول بالمراد والمريد، السيد أحق باسم العبودة من الغير لأن بيده جميع الخير، له النفوذ والقصد، والأمر من قبل ومن بعد، يحكم في عبده لعبده، فهو يحكم عبده، لو حكم لنفسه لبقي في قدسه، وأين السيادة مع العبادة؟ [مجزوء الخفيف]

كُلَّما قلتُ سَيِّدي ... قال لي أنت مَالِكي
سَدَّ والله كَوْنُ عَبْدي ... عَلَيَّ مَسَالكي
ما لنا عنه صارفٌ ... في جميع المَدارِكِ
لستُ في عينه ولا ... فِعْلِهِ بالمُشَارِكِ
فهو المالكُ الذي ... ليس يُدْعَى بالمالكي
وأنا الخادمُ الذي ... يعتني بالمَمَالِكِ
قلت يا رَبِّ عِصْمَةٌ ... من سبيل المَهَالك
قال سمعاً فأنت عندي ... مِنَ أهلِ الأرائك
في سُرُورٍ وغِبْطَةٍ ... لا من أهلِ الدَّرائك

لا تكن من الملوك فإن الملك مملوك، وحصلت شمسه في الدلوك، واغترّ السالك بالسلوك، لانتظامه في أهل الأقراط والسلوك، من ملكت يمينه فقد عرق جبينه، من صحّت سيادته صحّ تعبه وكثر والله نصبه، هم لازم وغمّ دائم لأنه حاكم، لا يحكم في عبده إلاّ بحاله، فهو الضعيف في شدّة محاله، لين في عنف وقوّة في ضعف، ولو ترك خدمة عبده انعزل وكان ممّن عصى المرتبة فزل، فما خدم سيد سوى نفسه لو خدم أبناء جنسه.

ومن ذلك سرّ الدعابة صلابة من الباب ١٣٣: إذا مزحت فقلّل ولا تعلّل، من التزم الحق في مزحه سعى في فلاحه، ما أصاب علياً رضي الله عنه ما أصابه إلاّ من الدعابة، لذا قال له أبو هريرة وقد رجم على كعبه بالحصبا وما تأبى: لذا أخّروك وما أمروك، فإن صحّت الرواية ففي هذا كفاية، مازح العجوز وذا التغيّر ولا تقل إلاّ الخير، ما فعل بعيرك الشارد من أحسن مزاح العوائد، فأجابه ذلك الإنسان فقال قيده يا رسول الله الإيمان وقال يا أبا عمير، ما فعل النغير بعطف وتبسم، وما حجبه المنصب عن التلطف بالصغير والتهمم، وقال: إن العجز لا يدخلن الجنة يعرفها بما لله عليها من المنة، لردّه عليها شبابها وخلعه سبحانه عليها

جلبابها، فإن لم يكن المزاح هكذا وإلاً فهو أذى، والأذى من الكريم محال، ولا سبيل إلى هذا القول بحال، لولا صلابة الدين ما كان من المازحين، لأنه يذهب بالهيبة والوقار عند المطموسي الأبصار، ألا تنظر إلى رب العباد في قصة هناد، حين أخرجه واستدرجه، إلى أن قال له: أتهزأ بي وأنت رب العالمين؟ فأضحكه وهذا القول كان المقصود من الله به ولهذا ما أهلكه بل أعطاه وخوّله وملكه، فسرت هذه الحقيقة في كل طريقة، وظهرت في كل شيمة وخليقة، فعمّت الوجود وحكمت على الشاهد والمشهود، فلو لم تكن من جملة النعم ما صحّ بها النعيم، ولا اتصف بها النبي الكريم، ولا ظهر حكمها في المحدث والقديم، ولكن يا أيها الإنسان لا تقل بالتطفيف في الميزان ولا بالخسران، بل اعتدل ولا تنحرف، وعند مقامك فقف ولا تنصرف.

ومن ذلك سرّ الرخاوة غشاوة من الباب ١٣٤: إذا استرخت الطبقة الصلبة التي في البصر حصل الضرر، فالرخاوة غشاوة كما أنك لا تفرط في القساوة، واسكن من القرى ساوه، فإن السعادة فيما ساواه لا فيمن ناواه، ولا تقل المثلان ضدان، فإن لكل مقام مقالاً، ولكل علم رجالاً، ولكل مشرب حالاً، فإما ملحاً أجاجاً وإما عذباً زلالاً، الشدة والرخا هما في الريح زعزع ورخا، فالزعزع عقيم والرخا كريم، تسعى في صلاح البال وهي محمودة في المال، تجري بأمر من أمرها رخاء حيث أصاب لا يعقبها مصاب، الرخاوة في الدين من الدين، ولهذا امتن الله عليه أن جعل نبيه من أهل اللين فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[آل عمران: ١٥٩] وبهذا فضلهم ولو كان فظاً غليظاً في فعله وقوله لا نفضوا من حوله، فهم مع العفو واللين لا يقبلون، فكيف مع الشدة والفظاظة لن يزالوا مدبرين، لا تكن حلواً فتشترط ولا مراً فتقعى، فتكون شبيهاً بالأفعى، يتّقى ضيرها مع أنه يرجى خيرها، فإنها من عقاقير الترياق الذي يرد النفس ولو بلغت التراق، وقيل من راق والتفت الساق بالساق، فانظر إلى هذا الخير وما تحوى عليه من الضير، فما قام خيرها بشرها ولا ذهب حلوها بمرّها، بل لكل حال مكان وزمان وإخوان، وماض ومستقبل وآن وإنفاق من إمكان، كالسماع في الحكم عند أولي الفهم، فيحتاج سماع الألحان إلى مكان وزمان وإمكان وإخوان، فهذه أربعة أركان، والمكان ما يشهد فيه اللطف، والإمكان ما يجود به الكف، والإخوان ما يكون منهم في أمان، والزمان ما تأمن فيه السلطان، فأمانك زمانك، والله الموفق وهذا دعاء المحقق، فإياك وعجلة المحقحق.

ومن ذلك سرّ الإحياء في الحيّ والوفاء في الليّ من الباب ١٣٥: الغيث غوث فيه نشر الرحمة من وليّ النعمة، لا يقنط من رحمة الله إلاً من ضلّ عن الطريق وتاه، بالماء حياة الأحياء لما فيه من سرّ الإحياء، جعل الله من الماء كل شيء حيّ فكان عرشه على الماء قبل الاستواء، ثم استوى عليه وأضاف وأحاط به إليه، فهو بكل شيء محيط من مركب وبسيط، بعلم وجيز وبسيط ووسيط، استوى عليه اسم الرحمن، وعمّ حكمه الإنس والجان، فظاهر ومستور من خلف كلة وستور، وعروس تجلى في أرفع منصبة وأحسن مجلى، ولولا لولا ما

ظهر الأولى ولا نزل ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٤-٣٦] فمن نظر واهتدى، وباع الضلالة بالهدى، عجل بالفدى من أجل تحكم الأعدا.

ومن ذلك سرّ من استحيى من الأموات والأحياء من الباب ١٣٦: من استحيى أمات وما أحيى لا يحيى إلاّ الحيا، فإنه من صفات الأحياء، ولكن لمن كان له حياء، إن الله لا يستحي من الحق وذلك ليس من صفات الخلق من لا يكون إلاّ ما يريد لا يستحي من العبيد، فإن استحى في حال ما فلطلب الاسم المسمّى وهو المحيي كما هو العلي، الحيا في الأموات من أعجب السمات، بالحيا قصر الطرف، وبه استتر المعنى بالحرف، الحيا حبس المقصورات في الخيام لئلا تدركهن أبصار الأنام، ولولا الاسم الغيور ما اتخذت الأبنية والقصور، لولا التكليف ما ظهر فضل العفيف، القوّة مخصوصة باللطيف فكيف يحجبه الكثيف، لولا قوّة الأرواح ما تحرّكت الأشباح، ولولا حركة الأشباح ما وصلت إلى آمالها الأرواح، فما كل سراح فيه انفساح.

ومن ذلك سرّ الرفق رفيق من الباب ١٣٧: صحبة الرفيق الأعلى أولى: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤] الرفيق بعبده أرفق وهو عليه أشفق، أرق الناس أفئدة اليمنيون وهم السادة العلماء الأميون، اختار الرفيق من أبان الطريق، وهو بالفضل حقيق خير فاختار ورحل عنا وسار ليلحق بالمتقدم السابق، ويلتحق به المتأخر اللاحق، فلعلمه بأنه لا بدّ من الاجتماع اختار الخروج من الضيق إلى الاتساع، ألا ترى نداه في الظلمات ولم يكن من الأموات، وإنما خاف الفوات، أن لا إله إلاّ أنت كنت حيث كنت، فاستجاب له فنجاه من الغم، وقذفه الحوت من بطنه على ساحل اليم، فأنبت عليه اليقطين لنعمته ولنفور الذباب عن حوزته، فهذا العزل الرقيق من إشفاق الرفيق.

ومن ذلك سرّ الاستحقاق يردّ الاسترقاق من الباب ١٣٨: الحرّ إذا كان من أهل الكرم تسترقه النعم، وعلى مثل هذا عمل أصحاب الهمم، الإنسان عبد الإحسان لا بل عبد المحسان، من تعبدته العلل ففي مشيته قزل، من ذاق طعم العبوديه تألم بالحريه، الحرية محال والعبودة رأس المال، على كل حال، الرب رب والعبد عبد وإن اشتركا في العهد، لا تقل بئس الخطيب من أجل الضمير، فقد جمع بينهما محمد ﷺ وهو السراج المنير، فبه اقتدينا فاهتدينا ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ولا سيما إذا ثبت أنه ما في الوجود إلاّ الله العين، وإن تكثرت في الشهود فهي أحدية في الوجود، ضرب الواحد في الواحد ضرب الشيء في نفسه فما يعطي غير جنسه، فإن ضربته في غير عينه فما يزيد ما أضفته إليه في كونه.

ومن ذلك سرّ ذكر الحادث أمن من الحوادث من الباب ١٣٩: ذكر المخلوق ما يصحّ قدمه ولو ثبت لاستحال عدمه، فالحادث لا يخلو عن الحوادث، لو حلّ بالحادث الذكر القديم، لصحّ قول أهل التجسيم القديم، لا يحلّ ولا يكون محلاً ولو كان محلاً لكان محلاً، لا يوصف بغبر وصفه وهل يعرف المسك إلاّ من عرفه، أو يضم المعنى سوى حرفه، ذكر

القرآن أمان ويجب به الإيمان، أنه كلام الرحمٰن مع تقطيع حروفه في اللسان، ونظم حروفه فيما رقمه باليراع البنان، فحدثت الألواح والأقلام وما حدث الكلام، وحكمت على العقول الأوهام بما عجزت عن إدراكه الأفهام، ولو نيل بالإلهام لكان العالم به هو العلاّم.

ومن ذلك سرّ ذكر القديم مزاجه من تسنيم من الباب ١٤٠ : الذكر القديم ذكر الحق وإن حكى ما نطق به الخلق، كما أن ذكر الحادث ما نطق به لسان الخلق، وإن تكلم بالقرآن الحق، من وقف مع المعنى ما تعنى، إذا كان الحق لسان العبد فالذكر قديم، ومزاجه بالعبد من تسنيم، لأنه العلي الأعلى والنزول بالعبد أولى، هو العين الذي يشرب بها المقرّب وبها في كل صورة يتقلب، الشارب حقيق في شربه من الرحيق، فإن كان الرحيق المختوم الذي مزاجه من تسنيم فهو ظهور المحدث بصفة القديم، فبه يتكلم وعنه يترجم، فقل ما تشاء وما تشاء إلاّ ما يشاء، فله المنة والطول وبه القوّة والحول، الفريضة إذا عالت مالت، لا يعرف الحق إلاّ من كان قواه، ولا يكون قواه إلاّ من قواه، بالذوق تعرف نسبة التحت إلى الله تعالىٰ والفوق مع تنزّهه عن الجهات وما تقضي به الشبهات.

ومن ذلك سرّ الاعتبار في الاستبصار من الأبصار من الباب الأحد والأربعين ومائة: لولا الحواس ما ثبت القياس، ولولا البصر ما صدق من اعتبر، الاعتبار جواز من أين إلى أين وانتقال من عين إلى عين، ومن كون إلى كون، وعدم لا من عدم، إلى كون الاعتبار تعجب من الاقتدار، بالفلك المدار ظهرت الدهور والأعصار، وبالشمس ظهر الليل والنهار من خفايا الأمور، والمد والجزر في الأنهار والبحور، أمن القمر مدّه وجزره أم من غير ذلك؟ فكيف أمره؟ هو عبد مأمور مثل سائر الأمور، مدّه ماذّ الظلّ ونزله منزل الوبل والطلّ، لا شك أن الأمور معلولة والكيفية من الله مجهولة، والنفوس على طلب العلم به مجبولة، انفرد بعلم العلل، فأصل الأبد من الأزل.

ومن ذلك سرّ الأفكار متعلق الأغيار من الباب ١٤٢ : حلّت المثلات بأهل التفكّر في المحدثات، لا بدّ من وجه جامع بين الدليل والمدلول في قضايا العقول، وإذا لم يدرك بالدليل فما إلى معرفته من سبيل، وقد دعانا إلى معرفته وما دعانا إلاّ بصفته، فلا بدّ من صفة تتعلق بها المعرفة، وما ثم في العقل إلاّ صفة تنزيه، وفي النقل ما ثم إلاّ مثل ذلك مع صفة تشبيه، فعلى ما هو المعول على الآخر أو الأوّل الأول لا يتبدل والآخر في كل صورة يتحوّل، فكما أنه ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨] كذلك في أي صورة ركبته في المعتقد، فيظهر فيها وما عتبك فله التجلي بالجيم ولك التحلي بالحاء المهملة بصفة القديم، فبالأفكار تبدو عيون الأغيار، وبالأذكار تذهب الآثار وتطمس الأنوار.

ومن ذلك الفتى لا يقول متى من الباب ١٤٣ : الفتى ابن الوقت مخافة المقت، لا يتقيد بالزمان كما لا يحصره المكان، لا تصحب من إذا قلت له باسم الله قال لك أين تذهب؟ ليس للفتى من الزمان إلاّ الآن لا يتقيد بما هو عدم بل له الوجود الأدوم، زمان الحال لا ينقال لا فتى إلاّ علي لأنه الوصي والولي، الفتيان رؤساء المكانة والأمكان لهم الحجة والسلطان،

والدليل والبرهان، عليهم قام عماد الأمر، وهم على قدم حذيفة في علم السرّ، لهم التمييز والنقد وهم أهل الحل والعقد، لا ناقض لما أبرموه ولا مبرم لما نقضوه، ولا مطنب لما قرضوه، ولا مقوض لما طنبوه، إن أوجزوا أعجزوا، وإن أسهبوا أتعبوا، إليهم الاستناد وعليهم الاعتماد.

ومن ذلك ما عتى من زعم أنه فتى من الباب ١٤٤ : هو صاحب الفتوح ما عنده جموح، سهل الهوى والانقياد ومع هذا فهو مع من زاد بزاد، وبغير زاد، الفتى هو الكليم وأين رتبة كلام الحق إياه من اتباعه الخضر بطلب التعليم، انظر إلى هذا الإنصاف وما يختصّ به من الأوصاف ما تجبر ولا عتى، ولهذا صحّ له اسم الفتى، الفتى من لا يزال للعلم طالباً ومن الجهل هارباً، لولا ما شاهد في الكلام ألسنة الأنام ما كلم ولا اتبع مخلوقاً ليتعلم، هو عرف ما هنالك فتعشق بذلك، قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٦ ـ ٦٨] أي لم تذق خطاب الحق بلساني، ولا رأيته في كياني.

ومن ذلك إدراك الغرر من النظر من الباب ١٤٥ : الفراسة رياسة، ما حار وما ظلم من تفرس وحكم، يستخرج خفايا الأسرار بما عنده من الأنوار، يعرف الماء في الماء ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ليس بقائف بل هو العارف، وليس بعارف ولا زاجر وإن أتى بالزواجر، يعرف الأوّل من كل شيء، فيكشف بها كل خبء، يفور من بصره النور ولا يبور، هو بالإيمان مشروط وبحكمه مربوط، يمدّه المؤمن بما شاء من أسمائه عند أنبائه، فلا يبطىء ولا يخطىء، له النفوذ والمضاء، وله الحكم والقضاء، وله الإمساك إن شاء ولا مضاء، فإن شاء لم يقض وإن شاء قضى بما يكون وهو كائن وما قد مضى، نوره لا يحتاج إلى مدد، ولا انقضاء مدد، ولا استبصار بأحد، سورته من القرآن: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص] فِعْلُ سورة الإخلاص ما له مناص.

ومن ذلك الخلق تحقق لا تخلق من الباب ١٤٦ : مكارم الأخلاق أدلة على كرم الأعراق، التصوّف خلق والمعرفة تحقق، الصوفي رباني والعارف وحداني، والعالم إلٰهيّ والواقف طالب والحكيم ناصب، الخلق العظيم عند الكظيم، الغصن إذا حركته الريح مال، والإناء إذا زاد على وسعه سال، الإناء بما فيه ينضح، وعلى ظاهره يرشح، فلا يفرح الإنسان حتى يرى ما به ينصح، من نصح فقد أفصح ودلّ على المقام الأرجح، إذا وزنت فأرجح وإذا وليت فأسجح: [الوافر]

مُـعَـاوِيَ إنـنـا بَـشَـرٌ فـأَسْـجِـحْ فـلـسـنـا بـالـجِـبَـالِ ولا الـحـدِيـدِ

السماحة ملاحة، بها يظهر جمال الإنسان في معاملة الأعيان من الأكوان، من صرف خلقه مع ربه فقد علم من في قلبه وقلبه.

ومن ذلك: لولا الأعيان ما ظهر الغيران من الباب ١٤٧ : الغيور سريع النفور، فيخطىء

أكثر ممّا يصيب، وهو من شأن في كل يوم عصيب، لما حاز جميع الأسماء ظهر منه الاعتداء لا يحتمل المزيد وإن كان من جملة العبيد، يفنى ويبيد إذا سمع تشبيه القرب الإلٰهيّ منه بحبل الوريد، مقامه الوحده وإن طالت المده، ينفر من صفات الحق لعلمه بأنه خلق، لا يقول بالامتزاج وإن كان خلقه من نطفة أمشاج، لا يقول بالنتاج وهو النمام كالزجاج، تميل به الأرواح في هبوبها لتدنيه من محبوبها، فيأبى الميل وهي تغلبه فتحكم عليه بما لا يقتضيه منصبه ولا يعطيه مذهبه، فلا يزال لمجاري الأقدار في حال اضطرار لا اختيار، وربك يخلق ما يشاء ويختار، فترى الغيران يحار، عجبت وقد علم أن الحق أغير منه فكيف لا يأخذ عنه ومن غيرته حرم الفواحش وهي من الحقائق الدواهش، فلا تجمعه بين الشكلين ولا بقوله في رضاه بأخذ الميلين، فرق بين النكاح والسفاح حتى تتميز الأرواح، وجعل حكم هذا المفتاح في انضمام الأشباح، والزنى لا بدّ منه وقد قال لصاحبه: استتر به وصنه، وهو يعلم به ويراه وقدره وقضا به ومع ذلك نهاه، وإن استتر عن أبناء جنسه فما استتر عمّن هو أدنى إليه من نفسه ونفسه، وهو خالق الحركات المنهي وقوعها إليه يرجع جميعها، ثم يفرح بتوبة عبده منها فكيف لا ينزّه محل عبده عنها، فلا يخلق إلاّ ما يسره وإن كانت المعاصي لا تضرّه، كما أن الطاعات ما تنفعه ومع هذا العلم فلا أرى العالم إلاّ يفرّقه ويجمعه.

ومن ذلك شهود الغير لا خير ولا مير من الباب ١٤٨: ما عنده خير ولا مير، من ترك الغير الغير ما له مستند إلاّ إليه فلا يزال نصب عينيه، لقد افترى من قال إن الله لم يقل: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] يا ليت شعري بعد نفسه لمن يرى، هل يرى إلاّ الغير الذي أصله خير، فإن الحق أصله ومنه كان فصله، فأوجده على صورته وحياه بسورته، أشدّ ما ظهر من الصدق حكم الخلق على الحق، فلا يحكم عليه إلاّ بما يعطيه، ولا يقضي فيه إلاّ ما يقتضيه، فيمضيه بحكمه يتصرّف وإليه محبة، تعرف أهل الاستبصار يعلمون أنه ما قام بالخلق افتقار، ولا يتصف باضطرار ولا باختيار، بل هو على ما هو عليه، ويقبل من كرمه ما أضيف إليه، فأبت الأسماء إلاّ التصرّف، وأبت الأعيان من الخلق إلاّ التظرّف، فمكنتها من التصريف في أعيانها، وتخيّلت أنها جادت عليها بأكوانها، وما علمت بأن الجود كان على نفسها بظهور عقلها وحسّها، فلولا كرم الخلق ما انفعل للحق، ولما كان ذا أصل كريم يحكم فيه الحكيم، إيثاراً له على ذاته ليظهر فيها حكم صفاته أو سماته، فهو أصل الجود حيث انفعل للوجود، حتى اتصف بأنه موجود، فظهر فيه الاقتدار ووصف بالافتقار والاضطرار، فقبل هذا الوصف تظرفاً وطلب من الحق تعرفاً، لما رأى حاجة الأسماء إليه وتعولها عليه، والأمر عند أهل النظر الفكري بعكس ما ذكرناه وما بيناه حين سردناه، وليس التحقيق الحق إلاّ فيما أشرنا إليه وأوردناه، وهذا أنفس علم يكون وهو الذي قيل به للشيء كن فكان، يكون به كل مكون.

ومن ذلك ما هي أسباب التولي الإلٰهيّ من الباب ١٤٩: نحن أسبابه وإهابه ومنا أعداؤه وأحبابه، فمن خرج مضطرّاً وكان وجهه مكفهراً، فهو العدو المبين وهو الذي إذا حدث يمين، ومن خرج طيب النفس مطيعاً حاز الأمر جميعاً، فهو البلد الأمين والمخلوق في أحسن

تقويم، والظاهر بصورة القديم، فهذا سبب حصول العالم في القبضتين وخلق الدارين وتعيين النجدين، فإما شاكراً وإما كفوراً، وإما ساخطاً متضجراً، وإما راضياً صبوراً، فتولّى الله العالم إظهاراً لملكه وانخراطاً في سلكه، وتولاه بأسمائه الحسنى وأحلّه منه المحل الأسنى، وجعل قربه منه قاب قوسين أو أدنى، هذا غاية قرب الخلق من الحق، وجعل قربه من العبيد أقرب من حبل الوريد، وهذا غاية قرب الحق من الخلق، فالأمر بين قربين، وما جعل الله لرجل في جوفه من قلبين، لكنه جعل لكل قلب وجهين، لأنه خلق من كل زوجين اثنين، فبنى الجمع على الشفع، فلم يكن وتريته سوى وترية الكثير، وبهذا نطق الكتاب المنير، فما شهد عليه سواه وما انتهك أحد من المخلوقين حماه، ولا ينبغي ذلك فكل شيء سوى وجهه هالك، وما ثم سوى حتى نقول بالسوا العين واحدة والأحكام ناقصة وزائدة، فاطلب على ما أشرت إليه تحصل على الفائدة، فهذه أسرار لا بل هي أنوار ما عليها غبار، وإن عميت عنها الأبصار، وتعالت عن مدارك الاعتبار وحكم الأغيار، وإليه الإشارة بنعم عقبى الدار، وأنت الدار وعليك المدار.

ومن ذلك ولاية البشر عين الضرر من الباب ١٥٠: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] يؤمن به من كل خيفة، أعطاه التقليد ومكّنه من الإقليد فتحكم به في القريب والبعيد، وجعله عين الوجود وأكرمه بالسجود، فهو الروح المطهر والإمام المدبر، شفع الواحد عينه وحكم بالكثرة كونه، وإن كان كل جزء من العالم مثله في الدلالة، ولكنه ليس بظل فلهذا انفراد بالخلافة وتميز بالرسالة، فشرع ما شرع واتبع واتبع، فهو واسطة العقد وحامل الأمانة والعهد، حكم فقهر حين تحكم في البشر، فظهر النفع والضرر، فأوّل من تضرّر هو كما ذكر، ثم إنه لم يقتصر حتى آذى الحق وسبّه وأعطاه قلبه وعلم أنه ربه فأحبه، ولما حسده وغبطه أغضبه وأسخطه، ثم بعد ذلك هداه وأرضاه واجتباه، فلولا قوّة الصورة ما عتى، ولا لرجوعه إلى الحق سمّي فتى، فظهر بالجود في إزالة الغرض وأزال بزواله المرض، وقام الأمر على ساق وحصل القمر في اتساق، ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٩، ٣٠] إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، فإن السلطان ناطق خالق والقرآن ناطق صامت، فحكمه حكم المائت، لا يخاف ولا يرجى ولا يطرد ولا يزجى، وما استند الصديقون إليه، ولا عول المؤمنون عليه، إلاّ لصدق ما لديه، فالقرآن أحق بالتعظيم من السلطان، لأنه الكلام المجيد الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] لا رادّ لأمره، ولا معقب لحكمه، يصدق في نطقه، ويعطي الشيء واجب حقه، فهو النور، والسلطان قد يجور.

ومن ذلك نصرة الملك في حركة الفلك من الباب الواحد والخمسين ومائة: حركات الأفلاك مخاض لولادة الأملاك، أطت السماء وحق لها أن تئط، وغطّت وحقيق لها أن تغط، ما فيها قيد فتر ولا موضع شبر، إلاّ وفيه ملك ساجد لربه حامد، فهم في الأفلاك كما هي في بطون الأمهات الأجنة، ولهذا سمّوا بالجنة، فهم المسبحون في بطون الأمهات إلى أن يحيي

الله من أمات، فعند ذلك تقع لهم الولادة، والخروج إلى عالم الشهادة، وقد أشبه بعضهم بعض الحيوان ممّا ليس بإنسان فولد ورجع إلى بطن أمه إلى يومه، وتميز بهذا القدر عن قومه كجبريل وغيره بما أنزلهم به من خيره وضيره، ولا تلد إلاً عن انشقاق، وذهاب عين بالإنفاق، فتبدل الأرض ولا تبدل السماء إلاً أنه ينكشف الغطاء.

ومن ذلك الأخبار في الأخبار من الباب ١٥٢: الأخبار تعرب عن الأسرار والأخبار تشهد للمؤمن بالإيمان والبهتان والدليل خبر الهدهد فيما أخبر به سليمان قال: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٢٧] فإن شهد له العيان أو الضرورة من الجنان وقع الإيمان، وإن كذبه ألحقه بالبهتان، فالأخبار محك ومعيار تشهد لها الآثار الصادقة والأنوار الشارقة، لو كان مطلق الإيمان يعطي السعادة لكان المؤمن بالباطل في أكبر عبادة، فمن آمن بالباطل أنه باطل فهو حَالٍ غير عاطل، فله السعد الأعمّ والعلم الوافر الأتمّ، فإنه لا يلزم من العلم بشيء الإيمان به والعلم بكل شيء، ألا تراه قد زاد في ذلك حكماً بأمره ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وما زاده إلاً التعلق بما هو عليه ذلك المعلوم والتحقق.

ومن ذلك خبر الإنسان كلام الرحمٰن من الباب ١٥٣: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أين ينزل من الإنسان؟ هل في النفس أو في الجنان؟ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ وهو الفرقان: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ليجمع له بين ما يثبت على حال واحدة وبين ما يقبل الزيادة والنقصان ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ وهما ما ظهر وما قام على ساق فعلى حكمت بذلك القدمان ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ في البنيان لما لها من الولاية والحكم في الأكوان فهي السقف المرفوع على الأركان ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ للنقصان والرجحان ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ لكم بالرجحان وعليكم بالنقصان ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ وهو الاعتدال مثل لسان الميزان والكفتان ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ وهو الموزون من الأعيان ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ من أجل المشي والمنام ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ لحصول المنافع ودفع الآلام ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ وهو ما يقوت الإنسان والحيوان ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أيها الإنس والجان وقد غمركما الإنعام والإحسان ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ فالإنسان ما يفخر إلاً بالجان، وبما في الجان من الضلال كان الصلصال، وهو الثناء الذميم على من خلق في أحسن تقويم، فيبقى الإنسان على التقديس، ويأخذ صلصاله إبليس، فيرجع أصله إليه ويجور وباله عليه، والجياد على أعراقها تجري ونجومها في أفلاكها تسبح وتسري ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ في ظاهر النشأتين ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ في باطن الصورتين ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١ ـ ١٨] يا هذان.

ومن ذلك سرّ المفتاح في أخبار الأرواح من الباب ١٥٤: تنزلت الأرواح بتوقيعات السراح من الفتاح إلى أخواتها من الأرواح المحبوسة في هذه الأشباح، فمن استعجل تسرح بفكره وعقله، ومنهم من تسرّح بكشفه لما عمل على ما ثبت عنده في نقله، وما عدا هذين من الثقلين بقي رهين المحبسين، حتى يأتي قابض الأرواح بالمفتاح، ولهذا انطلقت الألسنة

الفصاح، أنه من باب استراح، وهيهات أين الاستراحة وأنى تعقل الراحة؟ وهو ينتقل إلى حبس الصور الذي هو قرن من نور، لأنه نفر ظلام الأجسام بالأجساد وزال عنها بسرعة التقليب في الصور البقاء على الأمر المعتاد، فلا يزال في الصور حبيساً لأنه لا يزال رئيساً مدبراً سؤوساً، فإن كان من السعداء أو الورثة من العلماء أو الأنبياء فلهم السراح التام في عين الأجساد والأجسام مثل ما يراه الإنسان في المنام، فيرى نفسه وهو عين واحدة في أمكنة متعددة، والعقول تحيل أن يكون الجسم في مكانين فكيف بهذين؟ الخيال قد حكم به، فانتبه إذا كان المخلوق في قوته الإمكان فيما أحاله دليل عقل الإنسان، فما ظنك بخالق هذا الخلق وهو الواحد الحق؟ ألا تراه يتجلّى في الصور فيعرف وينكر، وهو هو ليس سواه والذي يراه يطلب أن يراه، فلو عرف معرفته ما طلب رؤيته فإنه لم يشهد إلاَّ هو، ولو علم أنه هو لم يقل بعد ذلك ما هو هو، ما رأيت وأنت فيما تمنيت واشتهيت.

ومن ذلك توجيه الرسل لإيضاح السبل من الباب ١٥٥: جاءت الرسل بهداية السبل، وثم سبل لا تظهر إلاَّ بالجهاد إلى عين الفؤاد، إن كان الجهاد عن رؤية فقد بلغت المنية، فإن الله مع المحسنين كما هو مع المتقين، إن رأينا وجهه فله في كل شيء وجهه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ والمتوقى يباشروا فيه ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] فهو صاحب العين الباقية، الإحسان عيان وفي منزل كأنه عيان، وليس إلاَّ الخيال فتعمل في تحصيل هذه الخلال ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فبلغنا أملنا وتمّم بمشاهدته عملنا، وقسم عليه الصلاة والسلام سبيله على ثلاثة أقسام: إحسان وإيمان وإسلام، والمعلم السائل والمخاطب القائل، فعلمه في السرّ ما يقول في الجهر نزل به على قلبه من عند ربه فبدأ بالإسلام، وقرن به عمل الأجسام، من تلفظ بشهادتين وصلاة وزكاة وحج وصيام وثنى بالإيمان وهو ما يشهد به الجنان من التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشرّه والبعث الآخر إلى الدار الحيوان، وثلث بالإحسان وهو إنزال المعنى الروحاني منزلة المحسوس في العيان، وليس إلاَّ عالم الخيال الحاكم بالوجوب والوجود في الممكن والمحال، وفي كل ما يحققه إذا أجابه يصدقه والحاضر يتعجب من تصديق بلا برهان، وذهل عن العلم الضروري الذي في الإنسان وما علم الحاضر من السائل كما لم يعلم ما أتى به من المسائل، فأعلم الرسول من هو السائل والمسؤول، وأنهم المقصودون بذلك السؤال في صورة الخيال.

ومن ذلك فضل البشر على سائر الصور من الباب ١٥٦: بالصورة علا وفضل، وبها نزل وسفل، إذا جار وما عدل، فحاز المقام الأدنى في الآخرة والأولى، فالعالي يقول: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] والأعلى يقال له: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] العالي يقول: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه: ٢٥، ٢٦] والأعلى تقرّر عليه النعم: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣﴾ [الشرح] العالي يدعو: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ والأعلى يقال له ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ يعني في المقربين، والأسفل في أسفل سافلين، بالطين والماء المهين، وإن تساووا في النشأة العنصرية

بالقرار المكين، والتنقل في الأطوار والانحصار خلف الأسوار، بالكل والبعض والإبرام والنقض، والتقويض والبناء والقالة بالثناء، فمحمد ومذمّم ومؤخّر ومقدم، وما فضل القديم إلاّ المخلوق في أحسن تقويم، فهو العالم لا بل هو العلاّم، مصباح الظلام، معين الأيام، الإمام ابن الإمام، المؤتى جوامع الكلم وجميع الأسماء والكلام، فأفصح وأبان، لما علمه البيان، ووضع له الميزان، فأدخله في الأوزان، وزان وما شان، لما ظهرت للملأ الأعلى طيلته جهلت قيمته، ونظر إلى الأضداد فقال بالفساد، وغاب عن القبضة البيضاء وحميد الثناء، بما أعطي من علم الأسماء، ولم يكن الملأ الأعلى سمع بالصورة التي أعطته السورة، فحمل الخلافة على من تقدم من القطان في تلك الأوطان فلو علم أنه خليفة الحق لأذعن وسلم وما اعترض ولا نطق، ثم ظهر في بنيه ما قاله من المقاله.

ومن ذلك نزول الأملاك من الأفلاك في الأحلاك من الباب ١٥٧: إنما جعلت النجوم مصابيح لما بيدها من المفاتيح، فكل مصباح مفتاح ولكل مفتاح اسم إلٰهيّ فتاح، إنما تفتح المغالق لإظهار ما وراءها من الحقائق، والأنوار تظهر للأبصار ما سترته الأحلاك، وهو ما في الأمر من الاشتراك، فلذلك قلنا: إن المصباح المفتاح، فإذا تنزلت الأملاك على قلوب النساك، أوحت إليها ما أوحت، وأمطرت أنواءها بعدما أصحت، فمنها ما أمست ومنها ما أضحت، ولا يحوز المجد الشامخ إلاّ أصحاب البرازخ، وهم ما بين المساء والصباح من عالم الأجساد والأرواح، فالليل زمان النيل والنهار زمان جر الذيل، لا يظهر حكم الخيلاء إلا في الصباح والمساء، حركات محدودة وأنفاس معدودة، وصدور منشرحة منسرحة وأبواب مفتحة، لا يعرف ما تحوي عليه إلاّ القائم بين يديه، فإذا وهبه ما لديه عول عليه، فلا يدخله فيه ريب وكان ممّن قيل فيه أنه يعلم الغيب، الأملاك ذو الأبناء وهم تلامذة أوّل الآباء، أين المنزلة من المنزلة؟ فالبنون ما عندهم من العلم إلاّ ما نقل إليهم الملأ الأعلى ممّا استفاده من أبيهم بقدر الفهم، فالملأ الأعلى وسائط، وبيننا وبين أبينا روابط، فبضاعتنا ردّت إلينا وبها نزلوا علينا، فما في أيدينا سوى مال أبينا، وللملأ الأعلى أجر أداء الأمانة والتنزّه عن الخيانة، فإنهم من أولي العصمة، وممّن اكتسب من أبينا الرحمة، أين ذلك الانقباض وفظاظة الاعتراض؟ من هذا اللطف الخفي والإبلاغ من المبلغ الحفي، والحمد لله المنعم المفضل، والشكر للمحسان المجمل.

ومن ذلك ترك الأغيار من الأغيار من الباب ١٥٨: التروك وإن كانت عدماً فهي نعوت فالزم السكوت، الأمر بالشيء نهي عن ضده وهو ترك، وهذا شرك الترك على جهة القربة من صفات الأحبة في الترك، ملك المتروك فأنت من الملوك وإن كنت المملوك، من ترك الغير فقد رأى أنه غير وما لغير عين فقد شهد على نفسه بأنه جاهل بالكون، وإذا ثبت أن ثم الجاهل ثبت أن الغير حاصل لا بدّ من حلّ وعقد، فلا بد من رب وعبد، فقد ثبت الجمع وتعين الشفع، لا يترك الأغيار إلاّ الأغيار، وأما الحق فلا يترك الخلق، لو تركه من كان يحفظه ويقوم به ويلحظه، فمن التخلق بأسماء الحق الاشتغال بالله وبالخلق، لو تركت الأغيار لتركت

التكليف الذي وردت به الأخبار، ولو تركته لكنت معانداً، وعاصياً أمر المكلف أو جاحداً، ما كلفت إلاّ ما تقدر على خلقه، فخلق الخلق أوجب الثبوت في حقّه، لأن الخلق الإلٰهيّ اختيار وخلق المكلف ما كلف به اضطرار، وهذا فيه ما فيه لناظر يستوفيه.

ومن ذلك النصرة شهرة من الباب ١٥٩: النصرة عناد فهو إلحاد، نصرة القوي محال فانظر في هذا الحال: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] وهو القوي له المتين بكم، وأنتم الأقوياء به في مذهبكم، ما عندكم متانة فأنتم أهل أمانة، وإن لم تنصروه يخذلكم، وإن خذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده، فنصرته من جملة ما أخذه عليكم من عهده، فيا أهل العهود أوفوا بالعقود، ما أمركم بنصره إلاّ ولكم اشتراك في أمره، فمن قال لا قدرة لي ويعني الاقتدار فقد ردّ الأخبار، وكان ممّن نكث والحق تكليف الحق بالعبث، لما طلب النصرة من خلقه وجعلها من واجب حقّه، أثبت أن له أعداء، وأن لديه أولياء وأوداء، فأحالنا علينا بما أوجده لدينا، فقلنا مستند هذا التقابل أين؟ فوجدناه في أسماء العين، فما من اسم الإلٰه حكم وفي أسمائه التقابل، وما في أسمائه تماثل، لكن فيها خلاف فلا بدّ فيها من الائتلاف، فالناصر محاصر ومحاصر، فأنت تطلبه بالنصر في عين ما طلبكم فيه من النصر، فتعين من هذا الفرض أنكم كذرية بعضها من بعض، فما انفرد أحد بالقوّة والاقتدار فانظر نزول الواحد القهار، في لا حول ولا قوّة إلا بالله، وفي طلبه النصرة ثبوت الاشتباه.

ومن ذلك نصرة البشر تستدعي الغير من الباب ١٦٠: ما أوجدك إلاّ لتنصره على من خلق لمن نظر فيه، وتحقق قبولك لاقتداره نصرته، وبك ثبتت إمرته، أقوى النصرة النصرة من المعدوم، فإن فيها معونة الحيّ القيوم، من انتصر بالعدم أثبت أن ماله في القوّة تلك القدم، نصرة العبد بالحق أحق لتعقلها بموجود فهي أوفق وأليق، إذا قلنا: ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فقد طلبنا النصرة من موجود هو رب العالمين، لكن هنا نكته لمن كان له لفته، من نصرك بما أحدثه فما نصرك إلاّ بك وعليك، فكل شيء مستند إليك، وله القوّة والحول ومنه المنة والطول، فإذا كلفت فاثبت، وإذا خوطبت وأنت تعلم بما خوطبت فاسكت، فقد حار أهل الاعتبار في رفع هذه الأستار.

ومن ذلك نصرة الملك حركة الفلك من الباب الواحد والستين ومائة: بوجود المدد الملكي وظهور الأثر الفلكي، كانت النصرة ورجعت على الأعداء الكره، أقدم حيزوم لنصرة دين الحيّ القيوم، ولما فيه من تقوية القلوب عند أهل الإيمان بالغيوب، وما كان عند أهل الغيب إيماناً كان لأهل الشرك عياناً، وذلك الشهود خذلهم ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧] قتلهم بالملك للأمر الذي أوحاه في السماء وأودعه حركة الفلك، فما انحجب عن المؤمن لإهانته، كما أنه ما كشفه المشرك لمكانته، لكن ليثبت ارتياعه، ويتحقق انصداعه واندفاعه، فخذله الله بالكشف وهو من النصر الإلهيّ الصرف، نصر به عباده المؤمنين على التعيين، فإنه أوجب سبحانه على نفسه نصرتهم فردّ عليهم لهم كرتهم فانهزموا أجمعين ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] والمؤمن الإلٰه الحق، وقد نصره الخلق.

ومن ذلك أصدق المقال ما كان بالحال من الباب ١٦٢ : أصدق المحامد حمد الصفة عند أهل المعرفة، كل وصف منهم ولهذا يحتاج إلى دليل حتى يعلم، ووصف الصفة هو العلم المحكم، فهذا هو حمد الحال على كل لسان ومقال، من أثنى على نفسه بالكرم توقف السامع فيه حتى يتكرم، فإذا كان العطاء ارتفع الغطاء، الأحوال مواهب من الواهب، فمن وهبك ما يستحقه عليك فهو عنده أمانة ردّها إليك، ومن وهبك ما تستحقه فقد جار في الهبة إن رأيت أنها عارية لديك، فارفع الستر عسى ينكشف لك الأمر، انظر إلى هذا الخلاف أين طلب الوكالة من الإنفاق بحكم الاستخلاف، هو الآمر بقوله: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٩] وأمر، وهو القائل: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: ٧] فظهر كما أنه بالوكالة استتر، فعلى ماذا نعوّل وماذا نؤمل؟ تجاذبتني قوى الأضداد لما قام بينها من العناد، وما حصل في التعب إلاّ أهل الإيمان من العباد، فإنه أوجب عليهم الإيمان بكل ما ورد ممّا شهد وما لم يشهد، فما زلنا في حكم الأحوال في الآن والمآل، الحال له الوجود الدائم وهو الحكم الثابت اللازم، وما عدا الحال فهو عدم، وما له في الوجود قدم.

ومن ذلك خبر الإنسان أخبار الرحمٰن من الباب ١٦٣ : إن الله عند لسان كل قائل وهو القائل، فانتبه لقوله: «**كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ**» وما تكلم إلاّ القائل في الشاهد وهو الإنسان وفي الإيمان الرحمٰن، فمن كذب العيان كان قوي الإيمان، ومن تردّد في إيمانه تردّد في عيانه، فلا إيمان عنده ولا عيان، فما هو صاحب مكان ولا إمكان ومن صدق العيان وسلم الإيمان كان في أمان، ومن قال إن الأمر سيان وما هما ضدان، فهو صاحب كشف أو برهان، اللسان ترجمان الجنان، وكذلك البنان، والكل الإنسان، والجنان متسع الرحمٰن وهو له بمنزلة المكان، فما وسع الربّ إلاّ القلب فأنت ترجمان الحق إلى جميع الخلق، فأين الكذب وما ثم ناطق إلاّ الحق الخالق، نطق الكتاب نطقه وهو خلقه لا خلقه هو الذكر المحدّث لما حدث، وقد كان له الوجود وعين المخاطب مفقود.

ومن ذلك أخبار الأرواح استرواح من الباب ١٦٤ : الروح واسطة وهو بين الرسول البشري والمرسل رابطه، يوحي به إليه إذا نزل بالوحي عليه، وقد أمر بالأدب معه حتى يجمعه، لأنه ما عجل به حتى كشفه، وما نطق به حتى عرفه، فقيل له في هذا الأمر اكتم السرّ حتى لا يعلم الملك ما جيء به عليك ولك، فتأدب وبالأدب تتقرب، فأهل البساط أدباء، وأهل الأسرار أمناء، فمن قال من الرجال اقعد على البساط وإياك والانبساط فما عنده خبر بما هو الأمر عليه، ولا حضر يوماً في بساط الحق بين يديه ليحصل ما لديه، البساط الإلٰهي له الهيبة بالذات فأين الالتفات؟ ما هو محل الزلات ولا حلول الآفات، ولا عنده منع وهات، إنما هو سكون وخمود، وتحصيل وجود الأرزاق فيه أذواق الشهود بمنزلة الخدود، وهو عن نفسه في حالة المفقود، لولا الشاهد والمشهود وحكم اليوم الموعود، ما قتله أصحاب الأخدود بالنار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، فأين نضج الجلود؟

ومن ذلك الترسل توسل من الباب ١٦٥ : من فتح باب المراسلة فقد أراد المواصلة،

فمن أتى قدسه فلا يلومن إلاّ نفسه، كيف يرجع بالملائمة على نفسه والمرسل ليس من جنسه، والأنس لا يقع إلاّ بالجنس، فالسؤال إنما هو في الأنس بالرسول لأنه من جنس المرسل إليه، ولذلك يعتمد عليه ويشتاق إليه إذا لم يره لديه، إذا كان الرسول حسن الصورة فذلك إشارة إلى المرسل إليه وتعريف بجمال المكانة والسورة، فحصلت البشرى للرسول وإدراك البغية بنزول جبريل عليه في صورة دحية صورة الرسول تنبىء عن صورة المرسل عند من أرسل إليه، ولهذا يعلم ذلك إذا حضر الرسول بين يديه فيعمل بحسب ما يرى، وما هذا حديث يفترى، أين صورة مالك من صورة رضوان؟ وأين النار من الجنان؟ أين السهل من الحزن؟ وأين إمساك الغيب من إرسال المزن؟ وأين الفرح من الحزن؟ وشتان بين القبح والحسن، فالعبارة بالحال أفصح من المقال، ولكن متى يا فتى ذا كان المرسل حكيماً وكان المرسل إليه عليماً؟ فما كل مرسل حكيم، ولا كل مرسل إليه عليم.

ومن ذلك الإبلاغ عن نفث الروح في الروع من الباب السادس والستين ومائة: النفث في الروع من الروح من وحي القدوس السبوح، من تلك الحضرة وروده وفيها تعين وجوده، وهو عين الإلهام ما هو مثل وحي الكلام، ولا وحي الإشارة والعبارة، وما ثم إلاّ ملهم وهو الخاطر، الخاطر من السحاب الماطر، فلا يعوّل إلاّ على الخاطر الأول، فإنه الحق المبين، والصادق الذي لا يمين، وبمثل هذا الخاطر يحكم الزاجر، ولهذا يصيب ولا يخطىء، ويمضي ما يقول ولا يبطىء، إذا استبطأ الزاجر عند السؤال فما هو من أولئك الرجال، حال السؤال حال ما يحكم به المسؤول فيكون ما يقول، إن وقع منه التواني إلى الزمن الثاني، فسد حاله ولم يصدق مقاله، وإن صدق فذلك أمر اتفق، والأوفاق ما لها ذلك التحقيق، عند العلماء بهذا الطريق، والنفث لا يكون له مكث، فحلوله انتقاله ووروده زواله.

ومن ذلك نزول الملك على الملك من الباب ١٦٧: ليس الملك إلاّ من خدمه الملك، الملك لا ينزل معلِّماً وإنما ينزل معلَّماً، فإن الرحمٰن علم القرآن، وهو البري من الاشتراك، فقد علمت لم تنزلت الأملاك، يقول الرسول: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠] وما ينزل به الملك على ما تعرض بالذكر لمن يوحي وهو الملك، لأنه الملك، والملك لا يفتقر ولهذا لا يحتقر، هو المؤيد المنصور، والذي تدور عليه الأمور فله الظهور، وإن غفل عن طلب ذلك فإنه المطلوب لأنه المالك تقصده الأسماء كما يقصده الأبناء، فكل اسم إلٰهيّ عليه وافد، وكل خبر كوني عليه وارد، فيقف على ما في الملك من الآثار، ويعلن له بما فيه من الأسرار، فهو نور الأنوار والفلك المدار، الذي عليه المدار، تخلق بالواحد القهار، الوارد في الأخبار: «**إذا بُويع لخليفتين فاقتلوا الآخِرَ منهما**» للمنازعة التي جرت بينهما.

ومن ذلك سرّ البنوّة بين الصديقية والنبوّة من الباب ١٦٨: الولد قطعة من الكبد، قد كان سارياً فيه، فلهذا كان سر أبيه، فهو في المنزل الأقرب المعنوي بين الصديق والنبيّ، فهو الوليّ ما هو صديق ولا نبيّ، دليله في البشر مسألة موسىٰ وخضر، جاء في الآي من السور، فمن علم ما علم، وحكم من المقام الذي منه حكم، علم صاحب القدم، قال له الكليم:

علمني، وقال له الحبيب: استغفر لي، انظر إلى هذه التكملة المحمدية وتنبيهها على هذه المنزلة العلية مع كونه بعث عامة فأكبر الطوام هذه الطامة، فمن هنا يعلم أن الحجاب المنيع والستر الرفيع قد لا يكون في التشريع، قد فضل الرسل بعضهم على بعض مع الاشتراك فيما شرعوه من السنة والفرض، فما يكون الفضل إلاَّ عن أمر زائد لا يعرفه إلاَّ الختم أو الفرد أو الإمام الواحد، وهو عن غير هؤلاء محجوب مع أنه لكل شخص مطلوب، ومن خرج عن هؤلاء لا يهتدون بمناره ولا يصطلون بناره ولا يبصرون بأنواره، بل ينكرونه إذا سمعوه ولا يحصلونه فيما جمعوه، فإن عين لهم رموا به وجه من عينه ويقولون هذا من تزيين الشيطان الذي زينه.

ومن ذلك المحتاج من خوصم فحاج من الباب ١٦٩: من احتجّ عليك بما سبق، فقد حاجك بحق، ومع هذا فهي حجة لا تنفع قائلها، ولا تعصم حاملها، ومع كونها ما نفعت سمعت، وقيل بها وإن عدل في الشرع عن مذهبها فإنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ولكن أكثر الناس لا يشعرون فإن مثل هذه المسألة تكون إشعاراً فلا يأتي الآتي بها جهاراً، ولو جهر بها كانت علماً، وأبدت حكماً، ونفحت فهماً، وأورثت في الفؤاد كلماً، يتنصر جرحه ولا يندمل، وبه يتأمل كل متأمل، ستره مسدل وبابه مقفل، ومعربه معجم، وموضحه مبهم، دونه تطير البهم وتخر القمم، لما يؤديّ إليه من درس الطريق الأمم الذي أجمع على صحته الأمم، وإن كان الصراط المستقيم الذي عليه الرب الكريم يتضمن الخير والشرّ، والنفع والضرّ والفاجر والبرّ ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] وهو البرّ الرحيم.

ومن ذلك من تغنى استغنى من الباب ١٧٠: ليس منا من لم يكن بالقرآن يتغنى، من حيره تحييراً لقد حاز مقاماً كبيراً، نعم العبد من قام به كابن أمّ عبد أصغى إليه الرسول لما وجد عنده السول، فحمده على ذلك وأثنى، بما كان به في ليله يتغنى، فطوبى له من عبد متهجد، في محرابه لربه يتعبد، يتلو كلامه، ويخاف آثامه، وينادي علامه، أعداد الهول يوم القيامة، الحبر العلامه، من جعل الحق أمامه، كنيف وقد ملى علماً، وحشي حكمة وحكماً، وغفر له بدعوة رسول الله ﷺ مغفرة عزماً، أمرنا بأخذ القرآن عنه، لما عرف الأمر منزلته منه، فما لنا لا نكون ذلك الشخص، حتى يشملنا هذا النص، وإن كان قد فقد قائله، فما فقد حامله وقابله، فكل شخص من هذه الأمة، إذا كان له مثل تلك الهمة، كان المخاطب بذلك الحمد، فليبذلوا في ذلك الجهد، حتى يفوزوا بهذا الجد، فعليكم بالتعرّض لنفحات جوده، ليخصكم بما خصّ به أهل العناية من عبيده.

ومن ذلك من تكلف ما تصوّف، من الباب الأحد والسبعين ومائة: التكلف، إذا كان من طريق البنية، فلا يؤثر في البغية، فإن كان من طريق القلب ففيه استهانة بالرب، وهو أولى بالإيثار عند المقرّبين والأبرار، في قيام الليل وصيام النهار من الأغيار، فمن عبد الله بالتكلف فما هو من أهل التصوّف، التصوّف خلق وغير الصوفي في التخلق، والعالم بالله في التحقق،

فله الخلق من جهة صفاته، وله التحقق من شهود ذاته، إذا كان الرسول ﷺ من رآه فقد رآه وهو هو ليس سواه، فما ظنك برب العزّة ومذلّ الأعزة؟ ومن أسمائه العزيز الكريم الحكيم، وما حاز الصورة إلا من خلق في أحسن تقويم، فأيّ دخول هنا للشيطان الرجيم، فإن تجلى الشيطان في الصورة صحّت المقالة المذكورة، وهي أنه عين كل موجود إذ كان هو نفس الوجود، فحكمه خارج عن حكم النبيّ للمقام العلي، وهذا هو القول الذي عليه يعوّل، ودع عنك من تأوّل المعلوم أن رحمته وسعت الموجود والمعدوم.

ومن ذلك التلفيق من التحقيق من الباب ١٧٢ : التلفيق ضم عين إلى عين لإيجاد صورة في الكون، لولا ما لفق الأركان، ما ظهر المعدن والنبات والحيوان، ثم ضم الرحمٰن الحق إلى الحيوانية النطق، فكان منه الإنسان، الكامل منه والناقص، الإنسان الحيوان وهذا من تلفيق الرحمٰن، فأقامه أمامه وأعطاه الخلافة والإمامه، وصيّره الحبر والعلامه، خصّه بالأسماء وأنزله إلى الأرض من السماء، وقد كان أنبته من الأرض نباتاً، وجعل من نشأته أحياء وأمواتاً، فما أحسّ منه فهو الحيّ وما لم يحسّ منه فهو الميت، وهذا نعت هذا البيت، عمره بالقوى وأسكنه العقل والهوى، ثم قال له لا تتبع الهوى فهوى ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢] وما تركه سدى. فأغاظ الله به الأعداء، وأفرح به الملائكة والأوداء، فتلقى من ربه الكلمات، وكانت له من أعظم الهبات، فتحقق بحقائق المحبة، ورجع إلى ما كان عليه من المنزلة والقربة، وهذا حكم سار في الذريّة، أعطته هذه البنية، فما ثم إلاّ من همّ ولمّ، وإن كان الموجود الأتم، فاعلم إن كنت تعلم.

ومن ذلك الحكمة نعمة من الباب ١٧٣ : من أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وكان الله به لطيفاً خبيراً، لطيفاً من حيث إنه علمه من حيث لم يعلم، فعلم وما علم أن الله هو المعلم، والحجب له في علمه وتعلمه، وحجبه عن ذلك بقلمه، فظهر له في صورة القلم، وقال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣] فاختبره فكان خبيراً، وكان الله على كل شيء قديراً، فمن سأل الحكمة فقد سأل النعمة، ومن أعطى الحكمة فقد أوتي الرحمة، فإن سرمد العذاب بعد ذلك هذا المالك فما هو ممّن عمّت وجوده الرحمة، ولا كان عند أهل الكشف والوجود من أهل الحكمة، فإن قال بالرجوع إليها وحكم بذلك عليهم وعليها، فذلك الحكيم العليم المسمّى بالرؤوف الرحيم، وهو الشديد العقاب لأنه لشدته في ذلك أعقب أهل النار حسن المآب.

ومن ذلك الكيميا تقدير عند الخبير من الباب ١٧٤ : الكم تقدير موجود ومتوهم، فمن فاز به نال قلب الأعيان، وتحكم كما يشاء في الأكوان، في عالم الأرواح والأبدان، فهو صاحب الإكسير الذي حاز علم التدبير والتقدير، بكلمة ينير الأجسام المظلمة، انظر إلى كلمة «كن» في الوجود، كيف ألحقت المعدوم بالموجود، ولا تتوجه هذه الكلمة على الموجود بالعدم، فإنه ليس لها في الردّ إلى العدم قدم، لأنها كلمة وجودية تطلبها الربوبية والعبودية، لحصول الأعيان في الأكوان، ولهذا يقال فيمن عدم قد كان، فالعدم لمن انعدم نفسي

والوجود كرم إلٰهيّ امتناني، فالذي ذهب إليه بعض أهل الكلام في هذه الأقسام من انعدام العرض لنفسه لا الأجسام ليكون الخالق خالقاً على الدوام، وأما أهل الحسبان فقالوا بتجدّد جميع الأعيان في كل زمان، وما خصّوا عيناً من عين ولا كوناً من كون، ومن علم أن المتحيزات كلها قامت من الأعراض جمع بين المذاهب والأغراض.

ومن ذلك سرّ الطلب من الأدب من الباب ١٧٥ : لا يتأدّب مع الله حق الأدب إلاّ من تحقق بالطلب، ما أوجدك إلاّ لتسأل فأنت الفقير الأذل، فتسأله العزّة والغنى لتحوز عموم الثنا، فكل ما يثنى عليك به فهو الثناء المحمود، فأنت الذليل الفقير الفقيد، وأنت العزيز الغني الحميد، فما ثم هجا بالنظر إليك، وما هنا جفا جفاه الحق عليك، فإنه تعالىٰ كما قال عن نفسه: لست برب جاف، وهذا القول كاف، ولا يليق بالجناب الإلٰهيّ من الثناء الأمثل العزيز الحميد، لا بكل ما يثنى به على العبيد، فالعبد له عموم الثناء بما يحمد وما يذمّ به من جميع الأسماء، وللحق من هذا الثناء الخصوص، بذا وردت النصوص، القالة أن يد الله مغلولة قالة معلولة، ومن قال إنه فقير فهو الكفور، وهذا في العبد ثناء حميد، فهو أكمل في الوجود، ثم إنه قد يذمّ بما به يحمد على حسب ما يعتقده القائل، ويقصد كالبخل بالدين والمال والحرص على طلب الفاني، والعلم والعمل الذي يستعذبه في المآل، فتأمل ما أنعم الله به وتفضل.

ومن ذلك الندب أدب من الباب ١٧٦ : الندب أثر، والأدب في سلوك الأثر، من اتبع هواه ما بلغ مناه، لا بدّ أن يبلغ ما تمناه ولو اتبع هواه، فإن رحمة الله واسعة وهي للكل جامعة، لا تحكم عليها دار، ولا يختص بها قرار من قرار، الموجودات كلها أبناؤها فكيف يقوض بناؤها؟ فما ثم إلاّ إحسانها وآلاؤها، هي الأم أدرجت نعماءها في تأديبها أبناءها، فعقوبتها أدب لا يشعر به من الأبناء إلاّ العلماء، فكن في أمان لعموم الإيمان، فإنه قد ورد الإيمان بالحق كما ورد بالباطل، فجيد كل مؤمن حال غير عاطل ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين، فإنك إذا تيقنت علمت بمن آمنت، فالأدب جماع الخير لاشتقاقه من المأدبة، وأعظم المتنعمين بها ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٥ ـ ١٦].

ومن ذلك أعزّ الأحباب الأصحاب من الباب ١٧٧ : قيل: من أحب الناس إليك وأعزهم لديك؟ قال: أخي إذا كان صاحبي وصديقي، وكان في كل ما أنا فيه رفيقي: [الوافر]

صديقي من يُقاسِمُني هُمُومي ... ويَرمي بالعَداوة من رَماني

أصحاب النبيّ عليه الصلاة والسلام فازوا بالمقام العلي هنا وفي دار السلام، أعلى درجات القربة التحقق في الإيمان بالصحبة، لا يبلغ أحدنا مُدَّ أحدهم ولا نصيفه ولا يصلح أن يكون وصيفه، نحن الإخوان فلنا الأمان، وهم الأصحاب فهم الأحباب، فمن رأى الصحبة عين الأتباع من أهل الحقائق ألحق اللاحق بالسابق، فغاية السابق تعجيل الرؤية لحصول البغية، ولكن ما لها بالسعادة استقلال، فيما أعطاه الدليل وصححه السبيل، وكم شخص رآه

وشقي والذي تمناه بعدم اتباعه ما لقي، فما أعطته رؤيته وقد فاتته بغيته، فما ثم إلاّ الاقتداء وما يسعدك إلاّ الاهتداء، فتعجل النعيم الصاحب فهو أقرب الأقارب.

ومن ذلك أعزّ الأقارب المقارب من الباب ١٧٨: للمقارب الحنان من الرحمٰن لأن المقارب من الأقارب، ما تعلقنا بهذا السبب إلاّ لما أثبته الرحمٰن من النسب، فلما جعل تعالىٰ بيننا وبينه نسبا وأعلمنا أنه التقوى اتخذناه سببا، فأتقيناه به منه كما أخبر ﷺ عنه فقال: **«وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»** فقلنا له: أخذنا هذا عنك، فهو صاحب الحجة والآتي إلينا بالمحجة، له المحجة البيضا والحجة الغرّا، أمته المتطهرون وهم الغرّ المحجلون، تحجيلهم دليلهم، لو كان لغيرهم هذا النعت المخصوص من الطهور ما اختصّت هذه الأمة المحمدية بهذا النور، فإنه قال ﷺ: **«ما تُعرَفُ هٰذِهِ الأمّةُ المُحَمَّدِيَّةُ مِنْ سَائِرِ الأمَمِ إلاّ بِهِ»** فانتبه فوردت الأخبار المنصوصة بطهارة هذه الأعضاء المخصوصة، فأسبغناها طهوراً فجعل لنا بذلك غرراً وألبسها نوراً، فكان لهم بذلك التمييز والتعريف المقام الشريف والتشريف، فمن أسبغ طهوره تمّم الله له نوره، ومن ثنى وثلث فرح بذلك أكثر من صاحب الواحدة إذا تحنث، فصاحب الواحدة هو المقارب، وصاحب الاثنين والثلاثة من غير زيادة معدود في الأقارب، وإنما ظهر الرسول ﷺ بجميع الصور لبعثته إلى جميع البشر، ومنهم الرابح والخاسر المغبون، والعالي في ذلك والدون.

ومن ذلك قول العارف: «من وحد ألحد» من الباب ١٧٩: إنما قيل: «من وحّد ألحد» من أجل «مَنْ» فإنها تطلب العدد، يؤيد هذا التعريض كونها قد تأتي للتبعيض، ولا نشك أنه كلمة حق من قول في مقعد صدق، فإنه من وحد مال إلى الحق وتوحد، إذ الملحد هو المائل في لغة القائل، فإذا ألحد العبد ومال بلغ ما أمله من الآمال، وفي الكلام المقبول: من ألحد فقد أخلد إلاّ أنه لما ألحد فهو لما قصد الإلحاد اللغوي لا بدّ منه ولا محيص لمخلوق عنه، ألا ترى إلى أصحاب الأعراف لما لم يبلغوا في هذا الاتصاف حدّ الإنصاف، كيف وقفوا بين الجنة والنار، فلا هم مع الأشرار ولا مع المصطفين الأخيار، فكانوا يخلصون إلى دار القرار أو إلى دار البوار، فلولا التلبيس ما حصلوا بين نعم وبئس، فنعم عقبى الدار للأبرار، وبئس عقبى الدار للفجار، اعتدلت كفتا ميزانهم فهذا كان من شأنهم، فلولا ما تفضل الحق عليهم فيما كلف الخلق به يوم القيامة من السجود إليه ما برحوا عليه، فلما سجدوا فيمن سجد رجحت كفة حسناته فسعد، فانفك من أسر السور ولحق بدار السرور.

ومن ذلك من أشرك ملك من الباب ١٨٠: الشرك في الألوهة مذموم وصاحبه محروم، والشرك في نعت العبيد بين ذميم وحميد، والمتصف به بين مرحوم ومحروم، فما ثم اسم لغير الحق عند من علم الأمر وتحقق، فأسماء الخلق أسماء الحق فماذا تخلق بما هو تحقق، والله ما افتريت عليه، ولا نسبت شيئاً إليه، ولا وصفته بوصف ولا أدرجت معناه في حرف، فهو سمّى نفسه لنا بما سمّاها، فجميع الأسماء إلى ربك منتهاها، ففرح وتبشبش وغضب وما بشّ ومل وتعجب وذهب مع عبيده كل مذهب وهو القديم وأنا المحدث فما ثم اسم حدث.

ومن ذلك من رحل حلّ من الباب الأحد والثمانين ومائة: عمّ الوجود وجوده، فمنه وفيه يرحل ويحلّ عبيده، فرحلة من يصطفيه إنما هي منه وإليه، وفيه الرب الكريم على الصراط المستقيم، فأثبت أمراً هو عليه وما ثم سواه، فانظر من يصل إليه، إنما جعل يده بناصيتك ابتغاء عافيتك، وهذا من كرمه وسابقة قدمه، فما ثم إلاّ مستقيم وعلى منهج قويم، لكونه بيد الكريم فلقد فزت بحظ عظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] ذكره بالحجة وأبان له عن المحجة، ليقول كرمك غرني والكريم لا يضرّني، وهو الغيور على اسمه والمبقي في قلب عبده رسمه لسابق علمه.

ومن ذلك من حلّ لم يرحل من الباب ١٨٢: الحال المرتحل من يكرّر تلاوة ما أنزل، فانتهاؤه عين ابتدائه وبهذا حاز جميع أسمائه، فما حلّ إلاّ رحل وما رحل إلاّ حلّ، فرحيله حلوله وحلوله رحيله والكل سبيله، ولا يصحّ ذلك إلاّ في الحروف فإنها ظروف، فمن تكرّر له المعنى في تلاوته فما تلاه حق تلاوته، وكان دليلاً على جهالته، ومن زادته تلاوته علماً وأفادته في كل مرة حكماً، فهو التالي لمن هو في وجوده له تالي. ثم انظر في اعتنائه بعبده حين أعلمه بأنه في تلاوته عند مناجاته على قدمه فيقول العبد: **«الحمد لله رب العالمين»** فيقول الله: **«حَمدني عَبْدي»**، فجعل نفسه لعبده تالياً إذا أقام عبده لكلامه عزّ وجلّ تالياً، وقسم الأمر بينه وبينه ليميز من كونه فإن ثم من يقول بأحدية الكون في العين فلهذا فصل ليتبين ويتعين.

ومن ذلك ما ينكشف من الساق عند الفراق من الباب ١٨٣: كشف الساق كما يؤذن بالشدة كذلك يؤذن بسرعة انقضاء المدّة، مع كل زعزع رخاء وعند انتهاء الشدائد يكون الرخاء، من عزّ هان ومن افتقر استدان، إهانته تركه زهداً لا بل ترك طلبه قصداً، من استدان من غير حاجة مهمة فهو ناقص الهمة، من حكمت عليه معرفته فقد تنقصه همته، مع غناه عن القرض وقد أقامه سبق العلم مقام الفرض، فدخل تحت حكمه لقوّة سلطان سابق علمه ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١] والفرض شيء وهو خازنه، فلا بدّ من ظهور أثره في بشره جاء ذلك في خبره، كشفت الحرب عن ساقها وعقدت عليها أزرة أطواقها، فاشتدّ اللزام وكانت نزال لما عظم القيام، وجاء ربك في ظلل من الغمام، والملائكة للفصل والقضاء والنقض والإبرام، وعظم الخطب واشتدّ الكرب، وماج الجمع بحكم الصدع ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] ثم إلى النعيم المصير.

ومن ذلك العلم والمعرفة بالذات والصفة من الباب ١٨٤: المعروف الذات والمعلوم الصفات، من عرف نفسه عرف ربه، ما وسع القلب ربه حتى علم قلبه، العلم ما علم بالعلامه، فالعالم علامه، فلا تعلم ذات إلا مقيدة وإن أطلقت، هكذا عرفت الأشياء وحققت، فالإطلاق تقييد في الأرباب والعبيد، والتحديد لباس وفي التحديد الالتباس، فاحذر من اللبس فإنه من أخفى ما يكون في النفس، أين علم المريد والناس في لبس من خلق جديد، الخلق مع الأنفاس وهو فيها في خلع ولباس، ولا يشعر بذلك إلا قليل من الناس،

المعرفة أحدية المحتد والعلم ثنوي المشهد، ا لعلم يتعلق بالإلٰه، والمعرفة تتعلق بالرب وتنفي الاشتباه، بالمعرفة يزول الاشتراك وفيها يقع الارتباك، الذات مجهوله فلا تقل فيها علة ولا معلوله، ولا يصح أن تكون لحق محققه، ولا لشرط مشروطه، ولا لدليل مدلوله، وجه الدليل يربط الدليل بالمدلول، والذات لا ترتبط، وقد خاب من اشترط ووقع في الغلط.

ومن ذلك مراتب الأحبة في منزل المحبة من الباب ١٨٥ : الأحباب أرباب والمحبوب خلف الباب، المحب رب دعوى فهو صاحب بلوى، لولا دعوى المحبة ما وقع التكليف، ولولا المحبة ما طلبنا الجزاء من اللطيف، المحبوب إن شاء وصل وإن شاء هجر، فإذا ادّعى محبة محبه اختبر، فالمحب في الاختبار والحبيب مصان من الأغيار، ولهذا لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، للأحبة منزل في المحبة، فحبيب جنيب وحبيب قريب، فالمحب إذا كان ذا جنابه فما هو من القرابه، وإذا لمن يكن جنيباً كان قريباً، قرب الحبيب بالاشتراك في الصفة، وجنابته في عدم الاشتراك فيها كما أعطت المعرفة، تقرّب إليّ بما ليس لي لما طلب القرب الوليّ، والذي ليس له الذلة والافتقار فهو الغنيّ العزيز الجبار، والمتكبر خلف باب الدار، انظر إلى ما أعطاه الاشتراك والدعوى من البلوى هو في النزوح بالجسم الصوري والعقل والروح، ولهذا لا يتجلى لمن هذه صفته إلاّ القدوس السبوح، فالنزيه للعين لا يقول بالاشتراك في الكون.

ومن ذلك إيضاح السبيل في إلحاق محمد بالخليل من الباب ١٨٦ : اللهمّ صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم في العالمين، لمن هو في هذه الحال من الأبرار ومن المقربين، أين هذه العلامة من قوله: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» وأنه يفتح باب الشفاعة دون الجماعة للجماعة، ومن الجماعة الخليل بذلك المقام المحمود الجليل، كان لآدم السجود ولمحمد المقام المحمود، بمحضر الشهود، يا ليت شعري هل تقوم الخُلَّةُ بكون رسالة محمد التي تعمّ كل ملّة؟ وبما أوتي من جوامع مناهج الأدلة، ولا ينال الخَلَّةَ إلاّ من سدّ الخَلَّة، محمد صاحب الوسيلة في جنته، وما نالها إلاّ بدعاء أمته، وأين أمته منه في الفضيلة؟ ومع هذا بدعائهم نال الوسيلة، والمدعو له أرفع من الداع، فلتكن لما أورده من الصلاة على محمد كالصلاة على إبراهيم الحافظ الواعي، ونحن المؤمنون العالمون بسيادته وخصوصية عبادته، وأين المقام المحمود من مقام السجود؟ سجد المقرّبون والأبرار لبناء قائم من التراب والأحجار، فالمجد الطريف والتليد فيمن اختصّ بالمقام الحميد.

ومن ذلك الشوق والاشتياق للعشاق من الباب ١٨٧ : الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق يهيج بالانتقاء، لا يعرف الاشتياق إلاّ العشاق، من سكن باللقاء قلقه فما هو عاشق عند أرباب الحقائق، من قام بثيابه الحريق كيف يسكن؟ وهل مثل هذا يتمكن؟ للنار التهاب وملكة فلا بدّ من الحركة، والحركة قلق فمن سكن ما عشق، كيف يصحّ السكون وهل في العشق كمون، هو كله ظهور ومقامه نشور، العاشق ما هو بحكمه وإنما هو تحت حكم سلطان عشقه، ولا بحكم من أحبه هكذا تقتضي المحبة، فما حبّ محبّ إلاّ نفسه، أو ما عشق عاشق إلاّ معناه

أو حسّه، لذلك العشاق يتألمون بالفراق، ويطلبون لذة التلاق، فهم في حظوظ نفوسهم يسعون، وهم في العشاق الأعلون، فإنهم العلماء بالأمور، وبالذي خباه الحق خلف الستور، فلا منة لمحب على محبوبه فإنه مع مطلوبه به، وما له مطلوب ولا عنده محبوب ومرغوب، سوى ما تقرّ به عينه ويبتهج به كونه، ولو أراد المحب ما يريده المحبوب من الهجر هلك بين الإرادة والأمر، وما صحّ دعواه في المحبة ولا كان من الأحبة، ففكر تعثر.

ومن ذلك الاحترام والاحتشام من الباب ١٨٨: لا تقع منفعة من غير محترم فاحترم، ولا تنفع هبة إلاّ من محتشم عندك فاحتشم، فمن قام بالخدمة وطرح الحرمة والحشمة، فقد خاب وما نجح، وخسر وما ربح، الخادم في الإذلال لا في الإدلال، ما للخادم وللدلال وماله وللسؤال، إن لم يكن الخادم كالميت بين يدي الغاسل لم يحل من مخدومه بطائل، إذا دخل الخادم على مخدومه واعترض ففي قلبه مرض، ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] وهم لا يشعرون ولا يعلمون، من رمى حرمته قلبك فما هو ربك، فجنب خدمته وصحبته حتى تجد حرمته، فإذا وجدتها فارجع إليه، هكذا أجمع أهل الله فيما عوّلوا عليه، ذكر ذلك القشيري في رسالته في احترام الشيخ ومواصلته بالحرمة تنال الرغائب في جميع المذاهب، من حسن ظنّه بحجر انتفع به في مذهبه.

ومن ذلك الإيقاع للسماع من الباب ١٨٩: الإيقاع أوزان والله وضع الميزان، الوجود كله موزون فلا تكن المحروم المغبون، وما ننزله إلاّ بقدر معلوم وهو عين الوزن المفهوم، له الاسم الحكيم في الحديث والقديم، فالميزان حاكم وبه ظهرت المقاسم، ومن جملتها الإيقاع للسماع، فلهذا هي حركة السامع فلكيه إذا كانت صادقة عن فناء ملكيه، فإن كانت نفسيه فليست بقدسيه، وعلامتها الإشارة بالأكمام والمشي إلى خلف وإلى قدام، والتمايل من جانب إلى جانب والتصرّف بين راجع وذاهب، ومن هذه حاله فما سمع ولا أثر فيه الموقع بما وقع، فمثل هذا أجمع الشيوخ على حرمانه بين إخوانه، فمن ادّعى سماع الإيقاع في الأسماع وماله وجود فهو من أهل الحجاب والمحجوب مطرود، هل ظهر عن «كن» إلاّ الوجود؟ وهذا سار في كل موجود، ولذلك قرن الإعدام بالمشيئة فلا تبع بالنسيئة.

ومن ذلك ما هو السماع الذي عليه الإجماع من الباب ١٩٠: السماع الذي عليه الإجماع ما كان عن الإيقاع الإلهيّ والقول الرباني، فلا ينحصر في النغمات المعهودة في العرف فإن ذلك الجهل الصرف، الكون كله سماع ولكن عند صاحب الأسماع، من قام به الطرش لم يفرح يوماً بالدهش، ولا كان عنه كون ولا ظهر منه عين، ما أشبه الليلة بالبارحه عند صاحب السماع بالقلب والجارحه، أنت الليلة وهو البارحة، فأين من له لفقد مثل هذا نفس نائحه، فعذبها عدم النسب، وشغلها بتقييد اللهو والطرب عن هذا النسب، فإن النسب هو القربى في الإلهيين والرّبانيين، فالسماع المطلق لمن تحقق بالحق، فإنه ما خصّ بكن كوناً من كون، ولا توجهت على عين دون عين، فالكل قد سمع بما قد صدع، فمن قيد السماع بالأوزان والتلحينات المقسمة بالميزان، فهو صاحب جزء لا صاحب كل وهو على مولاه

كل، مولاه أوّل زاهد فيه ولهذا لا يصطفيه، كيف يقيد المطلق من ادّعى أنه بالحق تحقق، من سرى في الوجود تقييده صحّ إيمانه وعلمه وكشف وتجريده وتوحيده.

ومن ذلك كرامة الله بأوليائه في أسمائه من الباب الأحد والتسعين ومائة: من تصرف في أسمائه كان من أوليائه، الأسماء بحكم العبيد، ولهذا صحّ التخلق بها في الوجود، لا بل التحقق المقصود من فك المعمى لم ينظر الأسماء من حيث دلالتها على المسمّى، فإن ذلك لا يتخلق به بل يتحقق به المتنبه للأسماء دلالتان ولها تعلقان: التعلق الواحد دلالتها على المسمّى الواحد الذي يجتمع فيه الأسماء كلها من غير أمر زائد، والدلالة المطلوبة ما تتميز به الأسماء من المعاني كما تميزت بالألفاظ والمباني، فالمباني كالعالم والعليم والعلاّم، والألفاظ مثل هذا، وكالخالق والقادر في الأحكام، فانظر في هذه الأقسام فإذا علمتها فأنت الإمام المقدم على جميع الأنام والملائكة الكرام، هذا علم أبيك فاجعله قوتك فإنه لن يفوتك، فكل كرامة لا تتصل بالقيامة فما هي كرامة، واحذر من الاستدراج في المزاج.

ومن ذلك ما للأنام من الإكرام من الباب ١٩٢: الإكرام الإلٰهي في الأنام الرؤية والمشاهدة والكلام، الرؤية هي المنية، والمشاهدة رؤية الشاهد وهي ترجع إلى العقائد، فهي تعرف وتنكر والرؤية لا يدخلها إنكار فتبصر، والكلام ما أثر ولا يدخله انقسام، فإذا دخله الانقسام فهو القول وفيه المنة الإلٰهية والطول، القرآن كله قال الله وما فيه تكلم الله وإن كان قد ورد فيه ذكر الكلام ولكن تشريفاً لموسىٰ عليه السلام، ولو جاء بالكلام ما كفر به أحد لأنه من الكلم فيؤثر فيمن أنكره وجحد، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] كيف سلك به نهجاً قويماً؟ فأثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه، فإذا أثر القول فما هو لذاته بل هو من الامتنان الإلٰهيّ والطول، ففرّق بين القول والكلام، تكن من أهل الجلال والإكرام، كما تفرّق بين الوحي والإلهام، وبين ما يأتي في اليقظة والمنام.

ومن ذلك من رأى السعادة في العادة من الباب ١٩٣: حكمة العادة في علم الشهادة إثبات الإعادة أن الإيمان بها يعطي السعادة، العادة عود الحق إلى الخلق، وإن اختلفت الصور ففيه إثبات الغير، فلا تجريح فإنه العلم الصحيح، لا تكرار في الوجود وإن خفي في الشهود، فذلك لوجود الأمثال ولا يعرفه إلاّ الرجال، لو تكرّر لضاق الطاق ولم يصحّ الاسم الواسع بالاتفاق، وبطل كون الممكنات لا تتناهى، ولم يثبت ما كان به تباهى، من قال بالرجعة بعدما طلق فما طلق، وكان صاحب شبهة فيما نطق أنه به تحقق، وإن لم يكن كذلك فهو أخرق، وكلامنا مع العاقل العارف بهذه المعاقل، فإنه عن العلم بمثل ما ذكرناه ليس بغافل، الطلاق الرجعي رحمة بالجاهل الغبي، ولو قلنا في الرجال بالرجعة في الطلاق، خرقنا في ذلك ما جاء به أهل الله من الاتفاق، فإنه نكاح جديد ولذلك يحتاج إلى شهود أو ما يقوم مقام الشهود، من حركة لا تصحّ إلاّ من مالك غير مطلق وكذا هو عند كل محقق، فمذهب أهل الأسرار لا تكرار مع ثبوت العادة والإيمان بالإعادة، ولكن كما شرحناه وبيناه للناظر وأوضحناه، وبه عند كل ذي إذن أفصحناه، فإذا علمت فتصرف في العبارات كيف شئت، فما

يعلم كما بدأكم تعودون إلاَّ من علم وننشئكم فيما لا تعلمون، فمن آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً والجاهل الظالم نفسه صدقاً.

ومن ذلك الإعجاز في الصدق والإيجاز من الباب ١٩٤ : أريت في الواقعة الجامعة حقيقة الإعجاز في النطق بالصدق، فاصدق في نطقك تكن المعجز فأسهب بعد ذلك أو أوجز، فإن الغاية في الإعجاز المبالغة في الإسهاب والإيجاز، فما من آية إلاَّ هي أكبر من أختها وإن تولدت عنها وقامت لها مقام بنتها، فقد يكون في الشاهد الولد أعظم في القدر من الوالد، وأما في الغائب فهو غير صائب إلاَّ في موضع واحد وهو ما تولد عندك من معرفتك بربك عند معرفتك بنفسك وإن كان ليس من جنسك، فذلك العلم لهذا العلم كالولد وهو أعظم قدراً من الوالد عند كل أحد، وما سوى هذا وأمثاله في الغائب فليس بصائب، فلا تقس الغائب على الشاهد في كل موطن فإنه مذهب فاسد، يرحم الله أبا حنيفة ووقاه من كل خيفة، حيث لم ير الحكم على الغائب وهو عندي من أسد المذاهب، وأحوط من جميع الجوانب.

ومن ذلك رتبة وحي المنام من الكلام من الباب ١٩٥ : النبوّة في المبشرات مخبوءة، فمن لا مبشرة له لا نبوّة له وإن لم تكن نبوّة مكملة، وإن كانت بالمقام الرفيع وهو التشريع، ولكن إذا تحقق الرائي لديه من يوحي بذلك إليه حينئذٍ يعول عليه فإن أوحى به الرسول فله أن يقتصر بذلك على نفسه ويقول، فإن تحقق عند السامع حقّه وثبت عنده صدقه تعين في ذلك اتباعه وحرم عليه قِرَاعُه، فإن كان ناسخاً لحكم ثبت بخبر الواحد فالأخذ به معين عند الواجد، وبقي النظر والتكملة في المقلد له، فإن كانت العدالة على السواء فصاحب الرؤيا أولى بمحجة الاهتداء، فحكم وحي المنام بشرائطه حكم اليقظان بالدليل النقلي والبرهان، وهو بمنزلة الصاحب في السماع والتابع إياه بمنزلة الأتباع، فإن كان الموحي بذلك الحق تعالىٰ أو الملك إليه فتناوله بحسب الصورة التي نزل بها عليه، ولا يتخذ ذلك شرعاً يتعبده وإن كان يحمده، وهذه فائدة سرجها متوقدة من شجرة مباركة من تشاجر الأسماء ويكفيك هذا الإيماء، فاعمل بحسبه واعلم قدر منصبه.

ومن ذلك نظم السلوك في مسامرة الملوك من الباب ١٩٦ : الذي يختاره الملك لمسامرته ويصطفيه بسامره بالاسم الذي يتجلى له الملك فيه، فهو بحكم تجليه في تحليه، فيتنوّع السمر كما تتنوّع في العقود الدرر، وعلى هذه الصورة يكون الخبر والحديث، فتارة في القديم وتارة في الحديث، فإذا كان السمر في تدبير الملك كان بحكمه وتحت سلطان اسمه فيتخيل في الملك أنه مخدوم وهو بما يحتاج الرعايا إليه عليه محكوم، وإن لم يكن كذلك فليس بملك ولا مالك، وقد يكون السمر في شأن المنازع وتعيين المدافع، وما يصرفه في ملكه في صبيحة ليلته من المضار والمنافع، فاختصاص المسامرة بالاسم الضار والاسم النافع، فما له حديث إلاَّ في الحدوث، لا يصحّ من النديم الحديث في القديم، ولهذا قال في كلامه تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] مع علمنا بقدمه وهو عين كلمه، فكثره ووحده وقسمه وأفرده، وأنزله وأحدثه وناجى به المسامر وحدثه، فمن

المسامرين المستغفرون، ومنهم التائبون الحامدون الراكعون الساجدون، فلا يزالون في هذا رغبة في المثوبة والأجر حتى ينصدع الفجر، ولذا يبكر بالصبح ويغلس في أوّل ما يتنفس.

ومن ذلك المسافر منافر من الباب ١٩٧: السفر قطعة من العذاب لما يتضمنه من فراق الأحباب، فالمسافر منافر في سفر الأكوان والنزوح عن الأوطان، الرحمن ينزل كل ليلة من عرشه إلى سمائه بجميع أسمائه، وفي القيامة ينزل بعرشه إلى فرشه، وقد قيل في السفر للمسافر خمس فوائد: [الطويل]

تَـفَـرُّجُ هَـمٍّ واكْـتِـسَـابُ مَـعِـيشَـةٍ ... وعِـلْـمٌ وآدابٌ وصُـحْـبَـةُ مَـاجِـدِ

لا هم إلاَّ هم الوحيد لما هو عليه من التفريد، ففي وجود الخلق مؤانسة الحق، واكتساب المعيشة ما يأتي إليه به الأرسال من أعمال العمال، وعلم في سرّ قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] فافهم. وآداب ما يأتون به من جميع الخير طلباً لحسن المآب، وصحبة ماجد مثل الداعي والسائل والمستغفر والتائب وهو القاصد، فصحّ ما نظمه الشاعر في السفر للمسافر، فالسفر صفة الحق ولا يطلق إلاَّ على الخلق، فهو في الحق نزول وفي الخلق عروج ورحيل.

ومن ذلك الثلاثة نفر في السفر من الباب ١٩٨: الحق والملك والغمام اثنان الله ثالثهما والسلام، فالركب المحفوظ بعين الله ملحوظ، الواحد شيطان لبعده عن الجماعة، والاثنان شيطانان لعدم الناصر وتوقع ما تقوم به الشناعة، والثلاثة نفر وهم أهل الأمان غالباً في السفر، التثليث من أجل المحدث والمحدث والحديث، ما كفر القائل بالثلاثة وإنما كفر بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] فلو قال: ثالث اثنين لأصاب الحق وأزال المين: «**ما ظنُّكَ باثْنَين الله ثالثهما؟**» يريد أن الله عزّ وجلّ حافظهما يعني في الغار في زمان هجرة الدار من أصعب أحوال الإنسان فراق الأوطان، فمن كان وطنه العدم في القدم كانت غربته الوجود، وإن حصل له فيه الشهود، فهو يحن إلى وطنه ويغيب عند شهود سكنه، والفناء حال من أحوال العدم عند من فهم الامور وعلم، فما يطلب أهل الله إلا لأجل الفناء عن الوجود، وأما بعض العبيد فلما فيه من الجود كما أن منزل الحق التوحيد فيفنيهم عند الشهود لحصول التفريد، والله على ما نقول شهيد. وقد قال أهل اللسان إنه الآن على ما عليه كان نعني من التنزيه ونفي التشبيه.

ومن ذلك الحالُ ما حلّ وحالَ من الباب ١٩٩: الحال ما حال فالوجود كله حال، لا يصحّ الثبات على شأن واحد لما تطلبه المحدثات من الزوائد، فالأمر شؤون فلا يزال يقول لكل شيء كن فيكون، ثم إنه عندما يكون يستحيل فتظهر وفي وطنها تقيل، ما لها قوّة على فراق السكن ولا النزوح عن الوطن، فترجع إلى العدم في الزمن الثاني من غير تواني، فهو يخلق وهي تنفق؛ الوجود كله تعب، ولذا قال له: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨] فما فرغ إلاَّ اشتغل، ولا انقضى عمل إلاَّ استعمل، وكان في العدم صاحب راحه لأنه في موطن الاستراحه، إذا كان الرحمٰن ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] فما ظنك بالأكوان ما قال بأن العدم هو الشرّ إلاَّ من جهل الأمر إنما ذلك العدم الذي ما فيه عين ولا

يجوز على المتصف به كون وليس إلا المحال فذلك العدم هو الشرّ المحض على كل حال، وأما العدم الذي يتضمن الأعيان فذلك عدم الإمكان فهي أعيان تشهد وتشهد فهي الشاهد والمشهود في حال العدم والوجود، فإلى الأحوال هو المآل إليه، حن الإنسان ومال، ومن هنا يثبت شرف الذوق والحال.

ومن ذلك مقام المنزلة في البسملة من الباب الموفي مائتين: المكانة أمانة فلا تجرحها بالخيانة، فإن الله أمر بأدائها إلى أهلها، فقبولها عرض وأداؤها فرض، وما يقبلها إلاّ من جهلها، والقابل لها بطريق الجبر مضطرّ، فعذره مقبول وليس بالظلوم الجهول، والقابل لها بالاختيار مدخل نفسه تحت حكم الاضطرار فيعود مملوكاً وقد كان مالكاً وكان ناجياً فعاد هالكاً، قال رسول الله ﷺ في الإمامه أنها ندامة يوم القيامه، وذلك الأمير المختار لا من أخذها بحكم الاضطرار، فمن أعطيها أعين عليها ومن طلبها وكّله الله إليها، وإن كانت منزلتها رفيعه فحجبها منيعه، فإن وليت فاستقل ولا تشتغل، فإن جبرت ولا بدّ فاحفظ العهد وأوف بالعقد، فالعالم برتبتها إذا وليها حذر لأن مقامها خطر، فإياك وإياها وتحفظ من منتهاها.

ومن ذلك المكانة أمانة من الباب الواحد ومائتين: إنما يصحب صاحبها الملل ويقوم به الكسل، لما فيها من مراعاة الحقوق وهو أمر يصعب على المخلوق، فاعتزل عن صحبة ما يورث الملل، والملل سببه الجهالة بالخلق الجديد ولذة المزيد، فالملول جهول وفيه أقول: [البسيط]

أُوصِيكَ أُوصِيكَ لا تَصْحَبْ أخا مَلَلِ ... ولا تَقُلْ إنه من نَعْتِ ذي الأَزَلِ
لأن ذلك أَمْرٌ ليس يَعْرِفُهُ ... إلاّ الذي لم يَقُلْ في الحَقّ بالعِلَلِ
وإنّ ذلك أمْرٌ ليس يجهله ... إلاّ الذي قال خَلْقُ الخَلْقِ بالحِيَلِ
إن الملالةَ لا تُعطيك صُورَتَها ... إلاّ المَلامَ فكُنْ منها على وَجَلِ
فما يَمَلُّ جوادٌ من جَدًى أبداً ... إن الكريم على الإنعام ذو جِيَلِ
إن كان وَاجِدَ مالٍ فهو يَبْذُلُهُ ... وما أرى لك في الإفلاس من مَلَلِ
ليس الملالةُ في النُّعْمَى إذا وَرَدَتْ ... إن الملالةَ في الإفلاس تظهرُ لي
فكل جُودٍ فإفلاسٌ يُحَقِّقُهُ ... فَقْدُ الجَوادِ له فانْظُرْهُ في مَهَلِ
لو كانَ يُعْطِيكَ ما تحتاجُ راحَتُه ... إليه لاتَّصَفَ المعلومُ بالبَخَلِ
إن الكريم الذي يعطيك حاجَتَهُ ... وذا مقالٌ أنا منه على خَجَلِ
الحَقُّ مُرٌّ ولا يَحْلُو لذائقه ... إلاّ إذا كان ذا حُكْم على الدُّوَلِ

ومن ذلك الشطح من الفتح من الباب ٢٠٢: من شطح عن فنا شطَح، وهذا من أعظم المنح، إلاّ أنه يلتبس على السامع، فلا يعرف الجامع من غير الجامع، ولهذا الالتباس جعله نقصاً بعض الناس، من باب سدّ الذريعة لما فيها بالنظر إلى المخلوق من الألفاظ الشنيعة، التي لا تجيزها لهم الشريعة، فمن تقوى في هذا الفتح، وعلم من نفسه أنه ليس بشاطح، لم يظهر عليه شيء من الشطح، فلا يظهر الشطح، من صاحب هذا الوصف، إلاّ إذا كان في

حاله ضعف، إلاّ أن نبين ذلك عند الواصل والسالك، ألا ترى إلى ما قال صاحب القوّة والتمكين في إنفاذ الأمر: «**أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ**» فانظر إلى أدبه في تحليه، كيف تأدب مع أبيه، وما ذكر غير إخوته، فالأديب من أخذ بأسوته، فإن ربه أدّبه، ومن أدّبه الحق أنزل الناس منازلهم لما تحقق.

ومن ذلك الطالع ضليع لا ظالع من الباب ٢٠٣: الطالع يتأخر لأنه به تعثر، والضليع تقدم ليكون في الصف المقدم، ألا ترى المسمّى بالأوّل كيف رغب في الصف الأوّل، وحكم فيه بالاقتراع لما فيه من الاعتلاء والارتفاع، فالظالع يدافع المنازع، فهو علم في رأسه نار لما يأتي به من الأخبار، فيستفهمه من ورد عليه لينظر فيما أتى به إليه، كان طالع موسىٰ الجبل وطالع الخليل النور الذي أفل، فأعقب ذلك الأفول الحق كما أعقب اندكاك الجبل الصعق، فما أصعق الكليم إلاّ الذي دكّ الجبل العظيم، فما أفاق الكليم من صعقته إلاّ لما بقي عليه من أداء نبوته، وإن كان الإنسان أقوى من الجبال ولا سيما إذا كان من الأبدال، وقد صحّ ذلك بالخبر النبويّ عن الله العليّ، ولكن قد ثبت عنه في الكتاب المكنون، أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فدخل تحت هذا المقال ما في الأرض من الجبال، فسلم تسلم وافهم الأمر واكتم.

ومن ذلك الإياب ذهاب من الباب ٢٠٤: الذهاب إليه إحالة منه عليه، من أمرك في يديه فأنت لديه، ما برحنا منه حتى نسأل عنه، هو المشهود في كل عين والشاهد كل كون، فهو الشاهد والمشهود لأنه عين الوجود، فمن عرفه سمّاه وما وصفه، ما ورد خبر بالصفات لما فيها من الآفات، ألا ترى إلى من جعله موصوفاً كيف يقول: إن لم يكن كذلك كان مؤوفاً، وما علم أن الذات إذا قام كمالها على الوصف فإنه حكم عليها بالنقص الخالص الصرف، من لم يكن كماله لذاته افتقر بالدليل في الكمال إلى صفاته، وصفاته ما هي عينه فقد جهل القائل أن الصفة كونه، فأين تذهبون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٣] أيها الناس وقد أذهبهم بما وقع بهم من الالتباس.

ومن ذلك التنفيس تقديس من الباب ٢٠٥: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧ ـ ١٨] إنه للرحمٰن الناصر، الذي ليس في نصره بقاصر، الناصر المؤتمن الآتي من قبل اليمن، نصر بالصبا لما فيها من الميل والحنان، وهو النفس الذي في الإنسان، لذلك ورد في الأخبار أنه كناية عن الأنصار، في الهبوب إلى المحبوب تنفس المكروب، ما ثم إلاّ تنفيس لذلك هو تقديس، وإن كان يتضمن في الكرب فإنه من جملة القرب، والحقيقة تعطي ذلك لاختلاف الأغراض، وما في القلوب من الأمراض، مصائب قوم عند قوم فوائد، فكل ما زاد عليه فهو من الزوائد، لا يعرف الزائد إلاّ الواحد، وأما واحد الكثرة فلا يعرف بالزائد لأن عين كثرته واحد.

ومن ذلك الأسرار في الإصرار من الباب ٢٠٦: الإصرار الإقامة والأسرار مكتمة إلى يوم القيامة، لولا حضور الأغيار ما كانت الأسرار، السرّ ما بينك وبينه وما هو أخفى ما يستر

عنك عينه، فلا يعلم الأخفى إلاَّ الله الواحد، والسرّ يعلمه الزائد، وما زاد فهو إعلان وزال عن درجة الكتمان، لا تودع سرّاً، إلاَّ من كان مصراً، فإنه يقيم على الود، ويفي بالعهد، ويصدق في الوعد، ويستوي عنده القبل والبعد، لأنه في الآن وهو حقيقة الزمان، من أعجب ما يعتقده أهل التوحيد، وصفه بالقريب البعيد، قريب ممّن هو بعيد عمّن هو أقرب من حبل الوريد إلى جميع العبيد، ومع هذا يقال للإنسان هل امتلأت؟ فيقول: هل من مزيد؟ مَنْ جهنم طبيعته عصمته شريعته.

ومن ذلك الاتصال ليس من مقامات الرجال من الباب ٢٠٧: [السريع]

كُـلُّ اتِّـصَـالٍ مُـعْـلَـمٌ بـانْـفِـصَـالْ ... ولـيـس هـذا مـن مَـقَـامِ الـرِّجَـالْ

وأيضاً: [السريع]

مـا شَــفَــعَ الــوَاحِــدَ إلاَّ الــذي ... أثْـبَـتَ بـالأغْـيـار عَـيْـنَ الـكَـمَـالْ
مـن لـم يَـكُـنْ فـي ذاتـه كـامـلاً ... فـمـا لـه عـن نَـقْـصِـهِ مـن زَوَالْ
وكـل مـن يَـكْـمُـلُ مـن غـيـره ... فـذاتـه تـشـبـه ذات الـظّـلالْ
يَـفْـتَـقِـرُ الـظـلُّ إلـى نُـورِهِ ... وجِـسْـمِـهِ الأكْـثَـفِ فـي كـل حَـالْ
وأيـن عَـيْـنُ الـجـسـم حـتـى يـرى ... عـيـنـي لـه ظِـلاً وهـذا مُـحَـالْ
فـاعـتـبـروا مـا قـلـتُـه إنـنـي ... مـا قـلـتُـه إلاَّ لـضَـرْبِ الـمِـثَـالْ
مـا كُـلُّ عِـلْـم عـنـد أهـل الـحِـجَـى ... يُـدْرَى بـه يـدخـلُ تـحـت الـمَـقَـالْ

إنما يتصل الأجنبيّ وما يقول به إلاَّ الغبي، نفى الكتاب المنزل المثلية وإنما الأعمال بالنية، فانظر إذا ما ورد أيّ شيء قصد.

ومن ذلك التفصيل في الإجمال جمال من الباب ٢٠٨: من فصل بينك وبينه أثبت عينك وعينه، ألا تراه تعالىٰ قد أثبت عينك وفصل كونك بقوله، إن كنت تنتبه: كنت سمعه الذي يسمع به، فأثبتك بإعادة الضمير إليك ليدل عليك، وما قال بالاتحاد إلاَّ أهل الإلحاد، وأما القائلون بالحلول فهم من أهل التفصيل، فإنهم أثبتوا حالاً ومحلاً وعيّنوا حراماً وحلاً، فمن فصل فنعم ما فعل، ومن وصل فقد شهد على نفسه أنه فصل، لأن الشيء لا يصل نفسه بنفسه إلا إذا كان الشيء أشياء وكان ذا أجزاء، وإنما الواحد كيف يصحّ فيه انقسام، وما ثم على عينه أمر زائد فالفصل لأهل الوصل.

ومن ذلك من راضه فقد أغاضه من الباب ٢٠٩: يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي، فغيض الماء وارتفعت الأنواء، وقضي الأمر وظهر في النجاة السر، واستوت سفينة نوح عندما أقلعت السماء وشرقت يوح، على جوديّ الجود لتتم كلمة الوجود، بوالد ومولود إلى اليوم الموعود، فإنه لو انقطع الأصل لانقطع النسل، التواصل سبب التناسل، فإن كان عن نكاح فهو مع المطهرين من الأرواح، وإن كان عن سفاح فهو ممّن قصد بإيجاده الصلاح، وإن كان الكل عباده في عالم الغيب والشهادة، فكل قد علم صلاته وتسبيحه وإن لم نفقه تسبيحه، فإني مؤمن بأن كل عين مسبح بحمده في كل كون.

ومن ذلك التحلية صفة أهل الألوية من الباب ٢١٠: التخلق بمكارم الأخلاق دليل على كرم الأعراق، التحلية طواعية ما تحلّى من أدبر وتولى، من خصّ بالتحلي فهو دليل على صحة التحلي، المشاركة في الصفات دليل على تباين الذوات، بالشرك عرف الملك والملك زال الإفك بالشرك، التوحيد في الإلٰه من حيث ما هو إلٰه لا من حيث الأسماء فإنها للعبيد والإماء، بها يكون التحقق وهي المراد بالتخلق، قد قال في الكتاب الحكيم عن رسوله الكريم: إنه﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال سبحانه عن نفسه في كلامه القديم: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩] فقد عرفنا بأنه وصف نفسه بما وصفنا، فلولا صحة القبول منا ما أخبر بذلك عنا، وخبره صدق وقوله حق، فبمثل هذا الاشتراك كان الأملاك، وما من ذرة في الكون إلاّ ولها نصيب من هذه العين.

ومن ذلك المِنَصَّة لمن عرف ما نصه من الباب الأحد عشر ومائتين: الخلق مجلى الحق، فإذا نظرت فاعلم من تنظر كما علمت من ينظر، فإن نظرت في كونه بعينه فاحذر من بينه، وإن نظرت بغير عينه فقد فزت بعظيم بينه فبينه فصله ووصله ولهذا دلّ عليه عينه، على هذا وقع الاصطلاح عند الشرّاح، فهو من الأضداد كالجون في البياض والسواد وكالقرء في الطهر والحيض المعتاد، المنصات للأعراس والملوك فهي للتفرقة بين المالك والمملوك، نظم السلوك في السلوك، والتعب والراحة في الدلوك، والميل في الجور والعدل.

ومن ذلك الانفراد لأهل الوداد من الباب الثاني عشر ومائتين: الخلوة بالمحبوب هو المطلوب، والانفراد معه غاية الدعة والخروج من الضيق إلى السعة، لا يفرح بهذا الانفراد إلاّ أهل المحبة والوداد، ما هو منفرد من هو بحبيبه متّحد: [الرمل]

رُوحُـــهُ رُوحِـــي ورُوحِـــي رُوحُـــهُ إنْ يَـشَـــأْ شِـئْـتُ وإنْ شِـئْـتُ يَـشَـا

توحدت الإرادة بين الأحباب، وإن تعدّدت الأعيان فإلى واحد المآب، الأمر عند أهل التحقيق في صادق وصديق، الصادقان يفترقان لأنهما مثلان والمثلان ضدان، والضد مدافع فلا تنازع، دخلت على بعض الشيوخ من أهل العناية والرسوخ بمدينة فاس فأفادني هذه المسألة وقال: احذر من الالتباس.

ومن ذلك ليس من الملة من قال بالعلة من الباب ٢١٣: الحق عند أهل الملة لا يصحّ أن يكون لنا علة لأنه قد كان ولا أنا فلماذا تتعنى؟ من كان علة لم يفارق معلوله كما لا يفارق الدليل مدلوله، لو فارقه ما كان دليلاً ولا كان الآخر عليلاً، الشفا من أحكام العلل في الأزل، ما قال بالعلة إلاّ من جهل ما تعطيه الأدلة، الأمر المحكم المربوط في معرفة الشرط والمشروط، عليه اعتمد أهل التحقيق في هذا الطريق، القول بالعلة معلول بواضح الدليل، أحكام الحق في عباده لا تعلل، وهو المقصود بالهمم والمؤمل، لو صحّ أن يؤمل مؤمل سواه ما ثبت أنه الإلٰه وقد ثبت أنه الإلٰه فلا يؤمل سواه، كما أنه عزّ وجلّ قد أمل من عباده ما أمل، فهو يريد الآخرة الآجلة ونحن نريد الدنيا العاجلة.

ومن ذلك من أغيظ انزعج ومن خوصم احتجّ من الباب ٢١٤: ما ظهر الشتاء والقيظ

إلاَّ بنفس جهنم من الغيظ، أكل بعضها بعضاً، فأقرضها الله فينا قرضاً، فأصاب المؤمن هنا من حرورها وزمهريرها ما يحول في القيامة بينه وبين سعيرها، فجازت من أقرضها في الدنيا بالخمود عنه عند جوازه على الصراط إلى محل السرور والاغتباط، نارها لا يقاوم نور المؤمن وهو الشاهد العدل المهيمن، حاج آدم موسىٰ وهو داء الأيوسى، الرجوع إلى القضاء والقدر منازعة البشر، الأدباء الأعلام يثبتون القضايا والأحكام، ويعتقدون القضا ويحاسبون أنفسهم بما مضى، ويخافون من الآتي أن يكون ممّن لا يواتي، فيطلبون الصون ويسألون من الله العون.

ومن ذلك المشاهدة مكابدة من الباب ٢١٥ : المشاهدة رؤية الشاهد لا أمر زائد، فارتفعت الفائدة عن أهل المشاهدة، فعليك بطلب الرؤية في كل معتقد كما ينبغي لك أن تكون مؤمناً بكل ما ورد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦] فإن له الأمر من بعد ومن قبل، فالمشاهد لا يزال في الدنيا يكابد، فإذا حصل في الآخرة بين يديه ردُّ ما جاء به إليه، فأنكره في تجليه وجهله في تدليه، وتعوّذ به منه وهو لا يشعر أنه يأخذ عنه، عصمنا الله من هذه الجهالة وجعلنا ممّن عرف شؤونه وأحواله، فميز تحوّله حين جهله من جهله.

ومن ذلك المكاشفة مواصفة من الباب ٢١٦ : من كشف عرف، ومن اتصف وقف، الشهود تقليد والكشف علم صرف، من اعتقد شهد معتقده، ومن علم عرف مصدره ومورده، ليس الصدور والورود من صفة أهل الشهود، هو مخصوص من العلماء من الرسل والأنبياء والأولياء، لولا الكشف ما علم الوليّ مقام المشرع النبيّ، مع عدم الذوق لتخصيص النبيّ بالفوق، لا يلزم من الإيمان القول بالجهة فلا يلزم الشبهة، الجهة ما وردت والفوقية الإلٰهية قد ثبتت، كشف ما نزل بالخلق بيد الحق، فالله الكاشف وأنت المكاشف، له تعالىٰ العمل ولك التعمّل، فاحذر أن تعمل في غير معمل، وأن تطمع في غير مطمع، وكن ممّن عرف فجمع.

ومن ذلك اللوائح منائح من الباب ٢١٧ : من لاحت له بارقة من مطالبه فقد أبصر بنورها جميع مذاهبه، فهو يعلم كيف يتصرّف، وبمن تعرّف، فإن شاء تصرّف وإن شاء لم يتصرّف، على أن أهل التصوّف هم أرباب التشوّف، فهم يطمعون في كل مطمع وينزعون فيه كل منزع، هم أهل المنح وهم أهل الطرف والآداب والملح، أثنى رسول الله ﷺ على أصحاب المنيحة وجعلها من أفضل مديحه، لما فيها من الخير والرحمة والشفقة على الغير، ولا سيما إن كان من أهل الفاقة والاحتياج ومن تعبدته الحواج، اللوائح كشوف من المعروف، منح من شاء من عباده ما شاء من إرفاده هي من سني الهبات، وهي واهبة ما ستراه الجهل من العلوم النافعة من خاف البيات.

ومن ذلك التلوين تمكين من الباب ٢١٨ : التلوين شأن المحدثات وتنوّعهم في صور الكائنات، هي آثار الحق في عالم الخلق، التلوين خلق جديد فلا يزال في مزيد، التلوين دليل واضح على التمكين، نزل في سورة الرحمٰن أنه عزّ وجلّ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩]

والشؤون لا تنحصر فلا تقتصر، واليوم مقداره النفس فراقب الصبح إذا تنفس بما تنفس، واحذر من الليل إذا عسعس، فإنه فيه أبلس من أبلس، في الثلث الآخر من الليل البركه لوجود الحركه، الحركة تكوين فهي تلوين، ومع السكون لا يكون كن فيكون، له ما سكن في الليل والنهار وما أحسنه في الاعتبار، لأن ما تحرّك فيه مشاركة الأغيار، الدعوى حركة فهي هلكة، والسكون سلب فهو قرب وقلب، ولا تلوين إلاّ بالحركات فلهذا يحوي على جميع البركات، لا تصغ إلى قول من قال وفصل كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل، من تخلق فقد تحقق.

ومن ذلك الغيرة حيرة من الباب ٢١٩: من غار حار، الغيرة ضيق وصاحبها متصف بالاشتياق والشوق، من فهم من الفوق الجهة فهو صاحب شبهة، الشوق يسكن باللقاء والاشتياق يهيج بالالتقاء، الغيرة به منوطة وعن غيره مسقوطة، من لم يعرف أن ثمّ غَيْرَهُ لم يتصف بالغيرة، ولا جعل الغيرة حيرة، كيف يغار من يحار، لا تثبت قدم لصاحب الحيرة مع إيمانه بالغيرة، بالغيرة تثبت الحدود وبها وقع التحجير في الوجود، من غار على الله فهو جاهل بالله، فهو الغيور الذي لا يغار عليه، فإن الحصر عليه محال ولا يثبت لديه، من غار عليه فقد حده ومن حده جعل عينه ضده أو ندّه، من غيرته حرم الفواحش فسلم ولا تناقش.

ومن ذلك الحرّ حرّ وإن مسّه الضرّ، والعبد عبد ولو مشى على الدُّرّ من الباب ٢٢٠: ما في الوجود حرّ دون تقييد فالكل عبيد، من تقيد بطلب الحقوق فهو مخلوق، ولكن بوجه مخصوص دلّت عليه النصوص، إن الله لا يملّ حتى تملوا، فارحلوا إن شئتم أو فحلوا، قيد نفسه في عقدكم فقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] وفي هذا إشارة تفسدها العبارة، العبودية فينا حقيقة، والحريّة فينا لا تعطيها الطريقة، أين الحريّة مع الطلب؟ فالمحروم من حرم الأدب الذي قيل فيه إنه حرّ، ما غضب حتى مسّه الضرّ، من اتصف بالتأذي فحكمه حكم المتغذي، من كان المدح أحب إليه فقد عرفنا ما هو عليه، توسط النهر من قال إن الله هو الدهر، ليس في أمان ولا من أهل الإيمان من اعتقد أن الدهر الذي ذكره الشرع هو الزمان.

ومن ذلك تلطيف الكثيف من الباب الأحد والعشرين ومائتين: من تلطف التحق وانتقل من رتبة الباطل إلى رتبة الحق بالحق، لولا الكثيف والنور ما وجد الظل، وقد وجد فتعين المثل، عن المثل انتفت المماثلة، فانظر من الذي ماثله النور من الصفات، والظلّ على صورة الذات، ولا يكون المثل في الظلّ إلاّ بالشكل، من نظر إلى ظلّه عرف أن حكمه في الحركة والسكون من أصله، فتحرّك بحركته لا بتحريكه، لأنه لا يقبل التحريك في سلوكه، إن تعددت الأنوار تعددت صور الظلال فكثرت الأغيار، فلكل نور ظل من الجسم الواحد هكذا تراه في الشاهد، كلما كثف الجسم تحقق الظل، وأصل كل وابل الطلّ، كلما قرب النور من الجسم الكثيف عظم الظلّ فلم يتحقق المثل، وكلما بعد صغر فحقر.

ومن ذلك فتح الأبواب لأهل الحجاب من الباب ٢٢٢: العمى حجاب فإنه فائدة في فتح الباب، إنما تفتح الأبواب إذا كانت عين الحجاب، حينئذٍ ينفع فتحها ويتنفس صبحها، ولا فاتح إلاّ الله فلا تعتمد في فتحها على سواه، يتعلق الخوف بما خلف الباب والباب سبب

من جملة الأسباب، قد يفتح الباب بالعذاب، وقد يفتح ببركة سماوية يحصل بها الاستعذاب، والباب واحد ما ثم أمر زائد ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥] لا عمى إلاّ عمى القلوب التي في الصدور، ولكن في الصدور، وأما الورود فشاهد ومشهود، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، ما جار القائل في قوله وما اعتدى، كما نحن اليوم كذلك نكون غداً، هذا قول العارف الزاهد المسمّى بعبد الفرد لا بعبد الواحد.

ومن ذلك الإمامة علامة من الباب ٢٢٣: الإمامة علامة وهي برزخ بين العطب والسلامة، فمن عدل غنم ومن جار ما سلم، من أقسط نجا ومن قسط كان على رجا، صاحب البيعة في نعمة المنعة، فلا يوصل إليه ولا يقدر عليه، فهو المنصور والواقف على السور، فإذا عزل سئل، وإذا سئل نصر أو خذل، وما دام في سلطانه فلا سبيل إلى خذلانه، فالقائم بالحق إذا نطق صدق، والقائم بالسيف وإن عدل فهو صاحب حيف، لأن الأصل معلول فصاحبه مخذول، ولا يقوم بالسيف المسلول إلاّ الرسول، فلا تفرح بالترهات وهيهات هيهات، الأصل الفاسد يحرم الفوائد، المقتصد يستبد، والظالم حاكم، والسابق لاحق يفوز بالسبق لأنه سبق ومن سعد لم يبعد.

ومن ذلك الطلول الدوارس رسوم الأوانس من الباب ٢٢٤: عفت الديار وطمست الآثار، برحيل الأحباب إلى حسن المآب، أثر الحبائب جوار الواهب، وتخلف العاشق يكابد المضايق، يقطع العلائق وطرح العوائق، فما ينفك من عائق إلاّ يظهر لعينه عابق، ما دام في محل الأنفاس ومحبس الالتباس، فإذا دعاه الجليل إلى الرحيل جاء سراحه واتقد مصباحه، فظهر له الحجاب المستور بهذا النور فلحق بالأحباب، وقيل له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فاز بمطلوبه من اتصل بمحبوبه، ولقد نجا من إلى الله التجا، فعمرت الديار بسكانها ولحق بالوجوب عين إمكانها فبقي محب ومحبوب وزال طالب ومطلوب.

ومن ذلك القابض عارض من الباب ٢٢٥: ما خرج عن الملك شيء حتى يحكم فيه القبض، وإنما يقال ذلك بالفرض السموات والأرض جميعاً فرضته ومن فيهما، وهما بالدليل الواضح قبضته، فما تتصرّف فيه الأفعال بماض ومستقبل وحال بل هو القابض لا بالحكم العارض، ما خرج شيء عنه فالكل به وإليه ومنه الطيّ ليّ، ومطل الغنيّ ظلم والاستناد إليه غنم، لا يقال مطل فيمن كان أداؤه إلى أجل، ولو كان أغنى الناس وهنا وقع الالتباس، الحق له الغنى ومن أقرضه بلغ المنى، ودع اللجاج فما هو محتاج، أنت من جملة خزائنه فما خرج الشيء عن معادنه، فما أعطى إلاّ من خزانته لما أعطته حقيقة مكانته، وحصلت أنت على الأجر إن فهمت الأمر.

ومن ذلك الباسط قاسط من الباب ٢٢٦: المقسط والقاسط استويا في العدول على ما تعطيه الأصول، فإن كل واحد منهما مائل فهو عادل، ولذا سمّي القاسط جائراً ولم يكن للعادل مغايراً، فالصفة واحده فكيف حرم الفائده، بأن الصبح لذي عينين لما هداه النجدين،

وأقيم المكلف في الوسط، فمنهم من أقسط ومنهم من قسط، فالمقسط أخذ ذات اليمين فارتفع إلى عليين، والقاسط أخذ ذات الشمال فنزل إلى سجين، فما عدل بكل واحد سوى طريقه، وطريقه ما خرج عن حكم تحقيقه، فالطريق ساقة وقادة إما إلى شقاء وإما إلى سعادة، فاعرف الطريق واختر الرفيق تنج من عذاب الحريق.

ومن ذلك الفناء في الفناء من الباب ٢٢٧: أكرم العرب أنتنهم عَذِرَة إذا كان له ما يجود به وإلاّ كانت المعذرة، ما يكثر الورّاد إلاّ على أرباب الأرفاد الأجواد، البخيل بابه مغلق والجواد جوده مطلق، إذا فنى الكريم عن جوده في حال جوده فهو الدليل على صحة وجده ووجوده، لا تقل في الجواد أنه بخل إذا منع من سئل، منع الجواد الناصح عطاء، وكشف الجاهل بالأمر غطاء، فإن الجواد العالم عطاؤه نعمه ومنعه لحكمه، فلا يتهم رب الكرم، كيف يتهم الفاني أنه بخيل بالفاني، وهو إذا آمن باللقاء فما جعل أعطيته إلاّ في خزانة البقاء، من نقل ماله من خزانته إلى خزانته كيف يقال بعلوّ منزلته في الجود ومكانته، فما حزن من ماله اختزن فلا كريم إلاّ القديم.

ومن ذلك الباقي يلاقي من الباب ٢٢٨: عظمت بالكرم مكانتي وما خرج شيء من خزانتي، لو لم يكن إلاّ الثناء فما ثم بيع ولا شراء، لا يقال في التاجر إلاّ بار وفاجر، ولا يوصف بالكرم فما في الوجود إلاّ تاجر لمن فهم، ما شيء أحب إلى الله من أن يمدح وما يمدح إلاّ بما منح، فما جاد الكريم إلاّ على ذاته بما يحمده من صفاته، وانتفع العير بالعوض بحكم العرض، وإن سعى الكريم في إيصال الراحة للمعطي ونفعه فلجهله بعطائه ومنعه، فمن كرم وجاد وتخيّل أن له فضلاً على العباد فما جاد، فإن الإحسان تبطله المنة مع طلب الامتنان، والمنة أذى فاعلم ذا.

ومن ذلك الجامع واسع من الباب ٢٢٩: لو لم يكن في الجامع اتساع ما كان جامعاً بالإجماع، قلب المؤمن جامع للواسع، فغاية اتساعه على مقداره، واتساعه على قدر أنواره، فتجول الأبصار على قدر ما تكشف له الأنوار، ويكون السرور على قدر ما يحصل لك من الكشف بذلك النور ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] فقد عمّ الرفع والخفض، فصاحب البصر الحديد يدرك به ما يريد، ولهذا إرادة المحدث قاصره ودائرته ضيقة متقاصره، ألا تراه ألبسه على ما قلناه في الخبر " «**فيها ما لا عَينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بشر**»، وهي جنة محصورة والأمور فيها مقصورة، فكيف بمن لا يأخذه حصر ولا يسعه قصر؟ كيف ينضبط شانه أو يحدّ مكانه من مكانه؟ عينه جهل ولو عرف كونه.

ومن ذلك الطارق مفارق من الباب ٢٣٠: الطارق هو الآتي ليلاً يبتغي نيلاً، الصائد نهاراً وليلاً تفاؤلاً باسمهما ليجمع بينهما، فيقطع النهار صياماً والليل قياماً، فما قصدهما بالذكر دون سائر الطير، إلاّ لما يكون فيهما من الخير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٢] ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧] ثم أتمّوا الصيام إلى الليل تحصلوا على

جزيل النيل، النهار معاش والليل رياش، فليكن قوتك في معاشك الله ورياشك زينة الله، كذا قال سهل وهو للسيادة أهل، قيل له: ما القوت؟ قال: الله، قيل له: إنما سألناك عن الغذاء، قال: الله، قيل له: الذي يقوم به هذه البنية؟ قال: ما لكم ولها داع الدار إلى بانيها إن شاء عمرها وإن شاء خربها، وما تقوم إلاّ بالله، فالعارف يقول في هذا الغذا ألغ ذا.

ومن ذلك الحكيم له التحكيم من الباب الأحد والثلاثين ومائتين: يعلم ما تعطيه المواطن في الظواهر والبواطن، لأنه الثابت القاطن، يعطي كل ذي حق حقّه اقتداء بربه الذي أعطى كل شيء خلقه، فالعارف بسرّه وقلبه من تأسّى بربه، العدل من شيمه، والقبول والإقبال من كرمه، لا يتعدّى الحكيم ما رتبه القديم العليم، من عرف الحكم تحكّم، ومن يعرف الحكم حكم، هو القاضي وإن لم يلي، وهو النبيّ وإن دعي بالولي، إشارة الوليّ في اللفظ لي، ومن كان له فقد بلغ أمله، فما حكم به الوليّ في الخلق أمضاه الحق، وإن ردّه الحاكم الجائر فقد ردّ كلام الواحد القاهر، فلا يلتف إلى ردّه فإنه من صدق وعده، وهو لا يخلف الميعاد فلا بدّ من ردّ أهل الإلحاد العقد الصحيح أن كل ما سوى الله ريح، كان بعض مشايخنا يقول من باب الإشارة: فسخّرنا له الريح، الريح تهب ولا تثبت فاثبت.

ومن ذلك الفوائد في الزوائد من الباب ٢٣٢: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] تزدد حكماً، من علم يرجع إليه فتوكل في تحصيله عليه، إنما سميت بالزوائد لأنه ما زاد على الواحد فهو زائد، وكل زائد واحد فما زاد عليه سوى نفسه، فقل بالشخص لا بنوعه وجنسه، فإن راعيت أحدية الكثرة فقد نبهناك على ذلك غير مرة، زوائد الحروف عشرة كالمقولات الجامعة بين العلل والمعلومات وقد أودعناها باب النفس بفتح الفاء من هذا الكتاب بين إيجاز وإسهاب، وحروف الزوائد أسلمني وتاه، فانظر ما أحسن هذا الجمع بالله ما أحس ما جمع ولقد قال فصدع، تاه المعروف والعارف فأين المعارف؟ تاه المعروف من التيه وتيه العارف بحيرته فيه، أسلم العارف لنفسه فأراد أن يلحقه بجنسه فلما تحقق علم أنه ما يلحق فأسلمه بأن قال: لا أحصي ثناء عليك فهذه بضاعتك رددناها إليك.

ومن ذلك الإرادة مستفادة من الباب ٢٣٣: الإرادة صفة اختصاص فلها المباص والمناص، ولهذا وصف نفسه بالمقدم والمؤخر، وتسمى بالأوّل والآخر، وقد كان ولا شيء معه فهو السابق، وهو الذي يصلي علينا فهو اللاحق، فالمنحة الإلٰهية والإفادة لا تكون إلاّ لأهل الإرادة، والقائل في حدّ الإرادة بترك ما عليه العادة جهل من قائله، فإنه ما ثمّ عادة لأنها من الإعادة وما في الوجود إعادة، من أغاليط النفس القول برجوع الشمس وما رجعت ولا نزلت ولا ارتفعت، هي في فلكها سابحة غادية رائحة، غدوّها ورواحها حكم البصر وما يعطيه في الكرّة النظر، قرأ ابن مسعود: «والشمس تجري لا مستقرّ لها»، وقرأ غيره: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ [يسٓ: ٣٨] وكل ذلك صحيح لمن تأمل، فيا أيها الطالب تأمل: [مجزوء الرجز]

لـهـا قَـرَارٌ مـا لـهـا ... يـا لـيـت شِـعْـري مـا لـهـا
لا شَـكَّ أن رَبَّـنـا ... بـذلـكـم أوْحَـى لـهـا

لـــو عـــرفـــوا مَـــقَـــرَّهـــا ما زُلْـــزِلُـــوا زِلْـــزَالَـــهـــا
أخْـــرَجَـــتِ الـــشـــمْـــسُ لـــنـــا مـــن أرْضِـــهـــا أثْـــقَـــالَـــهـــا
مـــن كُـــل نُـــورٍ حَـــسَـــنٍ جَـــرَّتْ بـــه أذيـــالـــهـــا
تـــيـــهـــاً وعـــجـــبـــاً ولـــذا قـــد قـــيـــل أيـــضـــاً مـــا لـــهـــا
مـــا قـــال شَـــخْـــصٌ مـــا لـــهـــا حـــتـــى رأى مَـــقَـــالَـــهـــا
فـــيـــا لـــهـــا مـــن قَـــالَـــةٍ قـــد قـــالـــهـــا مـــن قـــالـــهـــا
رأيـــت فـــيـــهـــا هَـــدْيَـــهـــا كـــمـــا رأت ضـــلالـــهـــا
ضَـــلالُـــهـــا حَـــيْـــرَتُـــهـــا فـــلا تـــقـــولـــوا مـــا لـــهـــا

ومن ذلك المراد منقاد من الباب ٢٣٤ : من كان سهل القياد خيف عليه الفساد، وأمن من العناد، وما وثق به السيد ولا العباد، كل من أخذ بزمامه قاده، إما إلى شقاوة أو سعاده، فمن طرفه طموح فهو اللين الجموح، ما يسعد المنقاد إلاَّ بالإنفاق، فما الانقياد من مكارم الأخلاق، وإنما قيل في المراد منقاد في طريق العارفين والعباد، لأن قائدهم الحق وهو القائد المشفق، فهانت عليه التكاليف وتصرّف بالتذاذ في جميع التصاريف، فسلك الطريق بلذة مستلذة، فالمراد منقاد لما به يراد، فمن أغاليط القوم ما رفعوه عن المراد من اللوم، حيث كان سهل الانقياد فألحقوه بالأجواد، فحكم العلم تغنم وتسلم.

ومن ذلك المريد من يجد في القرآن ما يريد من الباب ٢٣٥ : كان شيخنا أبو مدين يقول: المريد من يجد في القرآن كل ما يريد، ولقد صدق في قوله الشيخ العارف لأن الله يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] فقد حوى جميع المعارف، وأحاط بما في العلم الإلٰهيّ من المواقف، وإن لم تتناهى فقد أحاط علماً بها وبأنها لا تتناهى، فاسترسل عليها علمه وأظهرها عن التتالي حكمه، إلى غير أمد بل لأبد الأبد، فالمريد المكين من يقول لما يريد: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فمن لم يكن له هذا المقام فما هو مريد والسلام، من كانت إرادته قاصرة وهمته متقاصرة، لا يتميز عن سائر العبيد فهذا معنى المريد، فإن احتجبت بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فما أصبت، العلام من ينتقل من مقام إلى مقام، ذلك حكم الدار، وأين دار البوار من دار القرار؟.

ومن ذلك من أهمّه نفوذ الهمة من الباب ٢٣٦ : صاحب الهمة لا تنفذ له همّة، لأن همّه فيما أهمّه، هو بحكم الدار فلا يزال يبحث عن الآثار، ويتلقى الركبان ويسأل عمّا كان، ويعرف أن لنفوذ الهمّة داراً تختص بها، وهنا يعتصم بحبلها وسببها، إذا كانت الهمّة عاليه لا يظهر لها أثر في الفانيه، فإنها تفنى بفنائها وترحل عن فنائها، وتعلّقت بالباقية وتعمّلت الأسباب الواقيه، فمشهوده اللمة وفيها يصرف حكم الهمّة، فلا يزال يسعى في نجاته ويرقي في كل نفس في درجاته، إلى أن ينتهي في الترقي إلى الواحد العليّ، وليس بعد الواحد بما يعطيه الطريق الأمم إلاَّ الثاني أو العدم، والعدم محال والثاني ضلال، فما بقي الشاهد إلاَّ الواحد، فعليه اعتكف وعنه لا تنصرف.

ومن ذلك الاغتراب تباب من الباب ٢٣٧: الغربة مفتاح الكرب ولولاها ما كانت القرب، القريب هو الغريب وهو الحبيب، ولا يقال في الحبيب إنه غريب، هو للمحب عينه وذاته وأسماؤه وصفاته، لا نظر له إليه فإنه ليس شيئاً زائداً عليه، ما هو عنه بمعزل وما هو له بمنزل، قيل لقيس ليلى: من أنت؟ قال: ليلى، قيل له: من ليلى؟ قال: ليلى، فما ظهر له عين في هذا البين، فما بقي اغتراب فإنه في تباب، فقد عينه وزال كونه، العشاق لا يتصفون بالشوق، والاشتياق الشوق إلى غائب، وما ثم غائب من كان الحق سمعه كيف يطلبه؟ ومن كان لسانه كيف يعتبه؟ فأين تذهبون وما ثم أين عند من تحقق بالعين؟.

ومن ذلك الشاكر ماكر من الباب ٢٣٨: كيف يمدح بالشكر من شكره عين المكر؟ من أوصل حقاً إلى مستحقه فقد أدى إليه واجب حقه، فعلى ما وقع الشكر ولا فضل لعدم البذل، فلو صح البذل لثبت الفضل، ولو ثبت الفضل لتعين الشكر، ولو تعين الشكر لزال المكر، فلا بذل فلا فضل، فمن شكر مكر، لذا قرن الله الزيادة بالشكر لما فيها من المكر، فناط به الزياده وخاطب بذلكم عباده فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] وما قال لأنقصنكم، فالشكر للمزيد في حق الحق والعبيد، فإذا شكر الحق زاد العبد في عمله، وإذا شكر العبد زاده الحق فوق أمله بقول الله يخاطب عباده: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وهي جزاء الشكر فلا تأمن المكر.

ومن ذلك الغرام اصطلام من الباب ٢٣٩: نار المحبة لا تخمد، ودمعها لا ينفد، وقلقه لا يبعد، وحرقه لا يبرد، في التراب ينام وإن كان صاحب اصطلام، فإن الغرام رغام، الذلّة بالمحب صاحب الغرام منوطة، والمسكنة به مشروطة، ونفسه أبداً مقبوضة غير مبسوطة، وعقده براحات الأماني أنشوطة، يسرع إليها الانحلال، وهي وإن كانت مقيمة في زوال، فهي كالظل إذا فاء وكالقاصر المشية إذا شاء، الاصطلام نار لها اضطرام، تشعلها الأهواء إلاّ أنه تطفئها بتواليها الأنواء، فتحلقها بالرغام فلذلك حكمنا بالاصطلام على المنعوت بين المحبين بالغرام.

ومن ذلك الراغب طالب من الباب ٢٤٠: كم بين الرغبة عنه والرغبة فيه، عبد مصطفى عبد لا يصطفيه، عناية أزلية بسعادة أبدية، وخذلان سبق وكل ذلك حق، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، فجمع بين المطرود والمجتبى، ومن أطاع ومن أبى، في عبودية القصاص لا في عبودة الاختصاص، عبد يصلح الله بينه وبين خصمه فيسعده، وعبد يأمر به إلى النار بعدله وحكمه فيبعده، مع القول بعدم الاستحقاق ومفارقة الوفاق، وكلاهما عاصيان وما هما سيان، يا ليت شعري لم كان ذلك عاص ناج وعاص هالك عبدان لمالك واحد، وما ثمّ أمر زائد، إن كان لعمارة الدار فلماذا يخرج بالشفاعة ولا يبقى مع الجماعة؟ ما ذاك إلاّ لما قيل في بعض الأشعار: ماء ونار ما التقيا إلاّ لأمر كبار.

ومن ذلك قول العلاّم: «لا رهبانية في الإسلام» من الباب الأحد والأربعين ومائتين: الراهب يترك بحكم الحق وما انقطع إليه، ولم يكفره بل سلم له ما هو عليه، ما ذاك إلاّ

لإنفراده وانتزاحه عن عباده، فأنبأنا هذا الدليل الواضح أن التكليف شرع للمصالح، فلو دخل مع الجماعة في العمل لألحقه في الحكم بمن أسر وقتل، فلا تتعرّضوا لأصحاب الصوامع فإن نفوسهم سوامع، ترى أعينهم عند السمع تفيض من الدمع، ما لهم علم بما هم عليه الناس من الالتباس، تجنبوا الحيف وتدرّعوا بالخوف، وتركوا نجداً واستوطنوا الخيف، لمعرفتهم بضعفهم وعدم قوّتهم، فاختاروا السهل من الأرض، وقالوا هذا هو الفرض، فإن الحق أمر في الدين بالرفق، فمن رفق بنفسه فقد وفاها ما عين الحق لها، وما جار عليها وما خذلها، فمن وهب سلم وما عطب.

ومن ذلك التوصل توسل من الباب ٢٤٢: الفضيلة عند من ابتغى إلى الله الوسيلة في التعمّل، وإن لم يعمل تحصيل ما لديه مع كونه ما وصل إليه، ما تحصل نتيجة العمل لمن لم يعمل إلاّ لمن اجتهد ولم يكسل، وأما مع الكسل فما وصل ولا توصل، ابذل المجهود وما عليك أن لا تتصف بالوجود، أنت الواجد وإن لم تعرف عند الذائق المنصف، لما لم يعمل جهل الميزان فجهل ما وجده لعدم معرفة الأوزان، وما علم ما حصل له بذل المجهود من الوجود، فهو علم ذوق لا يؤكل إلاّ من فوق، ولو أكل من تحت رجله لوزنه من العمل بمثله، فعلم قدره وعرف أمره، فالتعمّل من إقامة الكتب وبه تحصل الرتب.

ومن ذلك الوجد فقد من الباب ٢٤٣: الوجد فجأة فتح الباب، فإن كان عن تواجد فهو حجاب، من لم يجد لم يجد لا بل من لم يجد لم يجد، دليل الكرم البذل وبرهان العدل إعطاء الفضل، وهو الأتمّ عند أصحاب الهمم، فما أعطى الله إلاّ الفضل الذي قال فيه: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] ولهذه الآثار استحال عليه الإيثار، فعطاء الله كله فضل وهو أعلى البذل، من آثر على نفسه فهو الخاسر وإن نجا، فإنه ترك الأولى عندما وقع إليه الالتجاء لو كان مؤمناً لعلم أنه قد باع نفسه من الله والمبيوع لمن اشتراه، وحق الله أحق من حق الخلق، لكن الدعوى أوقعته في هذه البلوى، فسميّ مؤثراً وميّز مؤثراً، والجار أحق بصقبه والصدقة مضاعفة في رحمه ونسبه.

ومن ذلك من شهد وجد من الباب ٢٤٤: ما حصل على الوجود إلاّ من زهد في الموجود، من رأى للكون عيناً مستقلة فهو صاحب علة وليس بصاحب نحلة، ما قال بالعلل إلاّ القائل بأن العالم لم يزل، فأنى للعالم بالقدم، وما له في الوجوب النفسيّ الوجوديّ قدم، إنما له الرتبة الثانية وهي الباقية الفانية، لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم، والعدم ممكن بل واقع عند العالم الجامع، لكن أكثر العبيد في لبس من خلق جديد، فما عرف تجدّد الأعيان إلاّ أهل الحسبان، وأثبت ذلك الأشعريّ في العرض، وتخيّل الفيلسوف فيه أنه صاحب مرض، فجهله بسواد الزنجيّ وصفرة الذهب، وذهب به مثل هذا المذهب.

ومن ذلك من عنت فقد وقت من الباب ٢٤٥: الوقت سيف ومنه الخوف كل الخوف، زمانك حالك وفي إقامتك ارتحالك: [الطويل]

فَسَيْرُكَ يا هذا كَسَيْرِ سفينةٍ بِقَوْمٍ قُعُودٍ والقِلاعُ تَطِيرُ

المسافر بمركبه جاهل بمذهبه، رحله ريح بالمكان الفسيح، رأسه في الماء ورجلاه في الهواء، فمشيه مقلوب وهو المطلوب، لولا قلبه ما مشى ولولا قلبه ما وشى، إلاّ لراحة قلبه وما علم ما احتقبه من ذنبه، لو كتم العبد سراً ما قيل له لقد جئت شيئاً إمراً، ولا جئت شيئاً نكراً، ولا أقام لذلك عذراً، حتى قال: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢] فلو ترك السرّ مخزوناً ما كان الكليم مفتوناً إن هي إلاّ فتنتك عن ذوق مع شدة الشوق.

ومن ذلك لا تهب لما تغلب من الباب ٢٤٦: من هابك غلبته ومن استضعفك قوّيته، الهيبة خيبة ولا تكون إلاّ مع الغيبة، الظهور للحضور ما طاب من هاب، ومن هاب لم يلتذ بوصال الأحباب، بل هو في عذاب، جمعه كفرقه وحقّه في حقّه لا تهاب خوفاً من الذهاب، لو كان للمهابة حكم ما تجلّى، ولا رؤي عبد بأسمائه تحلّى، ولا قيل في عبد إنه بربه تخلّى، ولا دنا ولا تدلى، ولا نزل إلى قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾ [النجم: ٢٩] ما ثمّ سوى عينك فلا تكن جاهلاً بكونك، لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق، فقد الحق الخلق بالحق، قال: أين هذا التعالي وما ثمّ أعلى من الله المتعالي، فالنزول علوّ والبعد دنوّ.

ومن ذلك الأنس في اليأس من الباب ٢٤٧: العذاب الحاضر تعلق الخاطر، من يئس استراح وخرج من القيد وراح الأنس بالمشاكل والمشاكل مماثل، والمثل ضد والضدية بعد، والأنس بالقرب فما ثمّ أنس ليس في الأنس خير لما فيه من إثبات الغير، من أنس بنفسه فقد جعلها أجنبية، وهذا غاية النفس الأبية، ومن تغرب عن نفسه جهل في جنسه واستوحش في أنسه، الأنس بالأنس لا يكون إلاّ لمغبون والكتاب المكنون لا يمسّه إلاّ المطهرون، وما ثمّ إلاّ الجنة وهم منا في أجنة، فهم أهل الكمون وعما نالهم كالبطون، هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض بأبيكم وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ببنيكم فأين التزكية مع هذه التخلية؟.

ومن ذلك من جلّ ملّ من الباب ٢٤٨: الاستبلال لا يرد إلاّ على الاعتلال، ومن قال بالحلول فهو معلول، وهو مرض لا دواء لدائه، ولا طبيب يسعى في شفائه، مريض الكون إذا بلّ أعلّ، فإن الحدوث له لازم به وقائم، فمرضه دائم لا يزال على فراشه ملقى، ومن سهام نوائب زمانه غير موقى، فلا يزال غرضاً مائلاً وهدفاً نائلاً، فهو الصحيح العليل والكثيب المهيل، علته صحيحه وألسن عباراتها بالحال عنها فصيحه، فإن كان الحق قواه فقد برىء من علته وقوّاه فإن الحق سمعه فانجبر صدعه وإنه بصره فقد نفذ نظره، وإنه لسانه فقد فهم بيانه، وإنه رجله فقد استقام ميله، وإنه يده فما يطلب من يعضده، فمن عرف هذه النحل فقد برىء من جميع العلل، فالله شفاؤه وهو داؤه، فالمتكبر مقصوم ومن كان الحق صفته فهو معصوم.

ومن ذلك من تجمّل استعمل من الباب ٢٤٩: المتجمل مؤتمن ولهذا يغتبن، يظهر الجمال وإن كان كاسف البال، التجمّل مروّة ولا يكون إلاّ من أهل الفتوّة، من ألحق البنوة بالنبوّة فقد ضاعف الله سموّه، العلوّ زيادة في الواجب في أصحّ المذاهب، الهيبة من آثار الجمال على كل حال، الجمال محبوب وهو أعزّ مصحوب، من صحبه الجمال لم يزل في اعتلال، من زاد شهوده في غلبته زاد في علته، إن الله جميل يحب الجمال، فلا تضربوا لله

الأمثال، وإنما ضرب الله تعالىٰ لنفسه الأمثال لأنه يعلم ونحن لا نعلم، ومن أعلمه الله فليكتم لئلا يجرأ فيأثم، فاستعذ بالله من المغرم والمأثم كما استعاذ به من ثمّ.

ومن ذلك ما مال من اتصف بالكمال من الباب ٢٥٠: الكمال في البرزخ وهو المقام الأشمخ، لو مال ما تصف بالاعتدال، مرج البحرين بينهما برزخ لا يبغيان، ومن البغي ما هو طغيان، من بغى طغى من بغي عليه لينصرّنه الله ولو بعد حين، فاعبد ربّك حتى يأتيك اليقين، فإذا أتاك جاء النصر فترمي الباغي بشرر كالقصر، كأنها جمالات صفر فتخرج من المكان الأضيق إلى المنزل الأفيح، والشذى الأعطر الأفوح، فعطر النادي ذلك الشذا، وقال المنادي: من ذا؟ فقال: هذا الذي بغي عليه قد نزل الحق إليه فأكرمه بنزوله وشرّف محله بحلوله فوسعه، وقد ضاق عنه المتسع وكان الفضاء الأوسع، فعملنا من خفيّ حكمته أنّ قلب المؤمن أوسع من رحمته، مع أنه من الأشياء التي وسعته، ومن الأمور التي جمعته، فما وسعه إلاّ بها وكماله بسببها.

ومن ذلك من طاب غاب من الباب الأحد والخمسين ومائتين ٢٥١: من سمع طاب ومن طاب غاب، والغائب آيب، فإنه في أوبته إلى ربه ذاهب، فإنه تركه في الأهل خليفة شفقة عليهم وحذراً وخيفة، وما خاف عليهم إلاّ منه لأنه ما يصدر شيء إلاّ عنه، إذا كان السيد راعي الغنم فما جار وما ظلم، وما ينال منها إلاّ ما يقوته وقوته ما يفوته، قوته آثار أسمائه في عباده وبها عمارة بلاده، فحراثة وزراعة وتجارة وبضاعة لذلك وصف باليدين وأظهر في الكون النجدين، فالواحدة بائعة والأخرى مبتاعة، إلى قيام الساعة، ولكلّ يد طريق هذا هو التحقيق، فإن حكم المشتري ما هو حكم البائع، وهذا ما لا شك فيه من غير مانع ولا منازع، آيبون تائبون وهو التوّاب وإليه المآب.

ومن ذلك من حضر نظر من الباب ٢٥٢: الحضور أين وما ثم سوى عين، عين لا يحصرها ظرف ولا يسعها حرف، نزل لها بذاتها عليها وما يخرج منها، وينزل يعرج إليها، وهذه عبارات تطلب الأينية وتثبت البينية، وهذا هو بعينه اعتقاد الثنوية، وأنت تقول: الأمر واحد وقد كذبك الشاهد، فالعروج والنزول يطلب الطريق، وليس هذا في الإلٰهيات منهج التحقيق، وقد ورد فلا بدّ من معرفة ما قصد، فإن القول الإلٰهيّ حق وكلامه صدق، ولا بدّ من أذن واعية لهذه الداعية، وما خاطب بها إلاّ الحاضر فهو الناظر، فإن كان السامع غير القائل فلا بدّ أن يصيب ويخطىء، وإن كان عين القائل فصوابه يسرع ولا يبطىء، بل كلامه عين جوابه فهو المتكلم السامع في أحبابه.

ومن ذلك من فكر سكر من الباب ٢٥٣: الفكرة سكرة إلاّ أن شرابها ممزوج وخلقها مخدوج، وليس الخداج إلاّ من المزاج، وهذا شراب الأبرار ومعاطاة الفجار، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً، وتفجيرهم إياها عين المزاج لمن كان بما قلته خبيراً، فلو جرت من غير تفجير من كونه على كل شيء قدير، لكان شراب المقربين الآتي من تسنيم على البار المنعم بالتنعيم، فبين المقرّب والبار ما بين الأعين والآثار، الآثار تدل والعين تشهد ولا تمل،

الباب قد فتح والواهب قد منح، والأمر قد شرح، فظهرت خفايا الأمور في شرح الصدور، انشرحت معانيها وهي ما حصل الحق فيها، فلاحت المخبآت عند رفع الكلل، وهي ما ظهر في العالم من النحل في الاعتقادات والملل فانظر واستر.

ومن ذلك من نحا صحا من الباب ٢٥٤ : لا يزهد في فكرته إلاَّ من صحا من سكرته، ما كل شراب مسكر ولا كل قول منكر، وما كل مزاج يشكر ولا كل سامع ينكر، الإنكار من ضيق العطن فكن اللبيب الفطن، وسع كل شيء علماً وضع لكل نازلة حكماً، فإن الله كذا شرع فاتبع فقد أصاب من اتبع، من تأسّى بالحق أصاب على أنه مصاب، حيث رآه غيراً واعتقد شراً وخيراً، فتلى فرقاناً لا قرآناً، فمن قرأ استبرأ، ومن تلا الفرقان فهو صاحب نظر في برهان، فلا بدّ من الحيرة لأنه أثبت غيره، ومن هنا اتصف من اتصف بالغيرة ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] يخاطب مؤمناً وإيماناً، ما أيه إلاَّ بالمؤمن والناس والمؤتين ما أيه بأصحاب العين. انتهى السفر الرابع والثلاثون يتلوه الخامس والثلاثون.

[السفر الخامس والثلاثون]

ومن ذلك من جاء من فوق فهو صاحب ذوق من الباب ٢٥٥ : هو القاهر فوق عباده حكم عرشه في مهاده، فلا يعرف علم الفوق إلاَّ بالذوق، وهو لمن أقام الكتب وميّز الرتب، وأما من أقامها وما ميّز أعلامها أكل من تحت رجله ممّا تيقن أنه من رجله وهذا حال الورعين المطيعين، يأكلون من كسب أيديهم، ولهذا لا يكتسبون من العلم إلاَّ ما سمعوه في ناديهم، فيعمل بعضهم بعضاً، ويقرضون الله قرضاً، وهؤلاء أتباع الرسل وأصحاب السبل. وأما الرسل فهم أصحاب الأطواق ولهم الأذواق، فهم على بصيرة ومن اتبعهم مثلهم في دعواهم فهم على أحسن سيرة، فهم في جنات ونهر، أي في ستر وسعة لما عندهم من الدعة، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، في حضرة منيعة لا يصل إليها أهل الاكتساب بل هي مختصة بالأحباب.

ومن ذلك من شرب طرب من الباب ٢٥٦ : لا يطرب الشارب إلاَّ إذا شرب خمراً، وإذا شرب خمراً فقد جاء شيئاً إمراً، لأنه يخامر العقول فيحول بينها وبين الأفكار فيجعل العواقب في الأخبار، فيبدي الأسرار برفع الأستار، فحرمت في الدنيا لعظم شأنها وقوّة سلطانها، وهي لذّة للشاربين حيث كانت، ولهذا عزت وما هانت، في الدنيا محرمة وفي الآخرة مكرمة، هي ألذ أنهار الجنان ولها مقام الإحسان، عطاؤها أجزل العطا، ولهذا يقول من أصابه حكمها وما أخطا: [مجزوء الكامل]

فإذا سَكِرْتُ فإنّني ... رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّرِيرِ

وهو صادق، وإذا فارقه حكمها وعفا عنه رسمها يقول أيضاً ويصدق وقال الحق: [مجزوء الكامل]

وإذا صَحَوْتُ فإنني ... رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعِيرِ

وهذا المقام أعلى لأنه رب الحيوان فتفطن لهذا الميزان.

ومن ذلك من ارتوى غوى من الباب ٢٥٧: من ارتوى غوى ومن غوى هوى، ألا تراه أهبط وفي يديه سقط؟ فاستدرك الغلط حين هبط، فتلقى من ربه ما تلقاه من الكلمات فتاب ففاز بحسن المآب، لأنه ما يقصد انتهاك الحرمة ولا الخروج من النور إلى الظلمة، مخالفة العارف تحفة ولو ساقت إليه حتفه، فصاحب التحف من الآمنين في الغرف، فإن من شرف العلم أن يعطى العالم كل مرتبة ما لها من الحكم، ومن علم السرّ أن لا يقطع العالم به على ربه عزّ وجل بأمر، فإن قطع وحكم فقد جهل وظلم، مع أنه ما عصي إلاّ بعلمه ولا خولف إلاّ بحكمه لا يقول ذلك العاصي وإن اعتقده، وكان ممّن اطلع عليه وشهده، وكذلك حكم من أطاعه إلى قيام الساعه فالعلماء هم الحكام والحكماء، لا يتعدون بالسلعة قيمتها ولا بكل نشأة شيمتها لولا ذلك الارتواء ما كانت الأنبياء، ولا فرق في الأحكام بين الأعداء والأولياء، ولا عرفت المراتب ولا شرعت المذاهب، ولا كانت التكاليف ولا حكمت التصاريف، ولا كان أجل مسمّى ولا تميز البصير من الأعمى.

ومن ذلك من لم يرتو من مائه لم يكن من أنبيائه من الباب ٢٥٨: من شرب من الماء حيي حياة العلماء، ومن شرب اللبن تميز في رجال اليمن، ومن شرب العسل المصفّى كان في وحيه ممّن وفّى ومن شرب الخمر لم يكتم الأمر، الخمر للسماح، واللبن للإفصاح، والماء لحياة الأرواح، والعسل علم أصحاب الجناح، فهو العلم الصراح، قد علم كل أناس مشربهم وحققوا مذهبهم، جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الخلق ما يشاء، وواضع في المعارج سبلا فلها النقص والمشا، لو شرب الخمر لضلّت الأمة وغوت بإظهار ما عليه حوت، والدنيا دار حجاب فلا بدّ من غلق الباب، ولا بدّ من الحجاب وهم الرسل أولو الألباب، فبعثة الرسل لتعيين السبل، وإقامة الخلفاء في الأرض من القرض، ليشوقوا النفوس المحجوبة بما وصفوه وما شرعوه من الأمور المطلوبة.

ومن ذلك من محي رسمه زال اسمه من الباب ٢٥٩: صنعت الترياقات لرفع ضرر السموم وسكنت الأهوا لبقاء السموم، وعيّنت الأحكام لبقاء الرسوم، فهي عصمة للأرواح إلى أن توفّى تدبير هذه الأشباح، فإذا فرغ قبولها وحصل لها من رسولها سؤلها، وانقضى زمان التدبير وانكسر وعاء الإكسير، ووقع الاشتياق إلى لقاء الغياب ومشاهدة الأحباب، جاء الموت بما فيه من تلافيه، فأخلى البلد وفرّق بين الروح والجسد، وردّ كل شيء إلى أصله وجمع بينه وبين أقاربه وأهله، فألحق الجسم مع أترابه بترابه، وعرج بالروح المشبه في الإضاءة بيوح فألحقه بالروح المضاف إليه ونزل به عليه، وتلك حضرة قدسه ومجلس أنسه، فقبله وقبله وبادر إليه عند قدومه واستقبله، فالسعيد أعطاه أمله والشقيّ تركه وخذله.

ومن ذلك من أعطي الثبات أمن البيات من الباب ٢٦٠: من لم يخف البيات أصبح في الأموات، يا أيها الأصفياء ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] لا تلقوا إليهم بالمودّة وأعطوا لكل ذي عهد منهم عهده، اثبت على دينك واحذر منهم أن يؤثروا في يقينك، من دان

بالصليب لحق بأهل القليب، لا تشرك بالله أحداً واتخذ التوحيد سنداً، ما للحريد فديد لعدم السامع من الوجود، كيف له بالصوت وقد اتصف بالموت، ينسب إلى الميت الكلام كنسبته إلى النيام، يقول ويقال له، وما يسمع اليقظان إلى جنبه زجله، وتحصل الفوائد، ويمشي حكمه في الغائب والشاهد بهذا جرت العوائد، ولا صوت يسمع ولا حروف تؤلف وتجمع، وقد أصم المنادي أذان أهل الندى في النادي، فالثابت الجنان من آمن بما يكذبه العيان.

ومن ذلك الستر في الوتر من الباب ٢٦١: العقل معقول بمن عقله فهو ستر، لأنه لا يقدر على السراح قيد فتر، هو رابط مربوط بالكون والهوى، في السراح يشاهد العين الهوى، يضلّ من اتبعه عن سبيل الله لا عن الله، لأنه من جملة الملكوت فهو بيد الله، ولو لم يكن الأمر هكذا للحق به الأذى، لولا طلبه السيد بالستر ما تقيد بالوتر، وهو في الوجود عين كل موجود، ألا ترى إلى صاحب الشرع كيف تعدّى بوتره من الواحد إلى الجمع؟ ألا ترى إلى الحق يشفع الأوتار ويوتر الأشفاع بالإجماع؟ للهوى السراح والسماح وله لكل باب مفتاح، وهو الذي يتولى فتحه فتسمّى بالفتاح، سلطانه في الدنيا والآخرة ولكن ظهوره في الحافرة، فما هي لأهل السعادة كرة خاسرة ولا تجارة بايرة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١] وليست الشهوة سوى الهوى، ومن هوى فقد هوى، لهذا قيل في العاشق ما عليه من سبيل وإن ضلّ عن السبيل.

ومن ذلك المقام الأجلى في المجلى من الباب ٢٦٢: في المجلى تذهب العقول والألباب وهو للأولياء العارفين والأحباب: [الطويل]

وحَقِّ الهَوَى إنّ الهَوَى سَبَبُ الهَوَى ... ولولا الهَوَى في القَلْب ما عُبِدَ الهَوَى

وما ثم غيره فالأمر أمره، العقل محتاج إليه وخديم بين يديه، له التصريف والاستقامة والتحريف، عمّ حكمه لما عظم علمه، فضل عليه العقل بالنظر الفكري والنقل ما حجبه عن القلوب إلاّ اسمه وما ثم إلاّ قضاؤه وحكمه: [البسيط]

ما سُمِّيَ العَقْلُ إلاَّ من تَعَقُّلِهِ ... ولا الهَوَى بالهَوَى إلاَّ من اللَّدَدِ
إن الهَوَى صِفَةٌ والحَقُّ يعلَمُها ... يَضلُّ عن منهج التشريع في حِيَدِ
هو الإرادة لا أكْنِي فتجهله ... لولاه ما رُمِيَ الشَّيْطان بالحَسَدِ
والعقل ينزلُ عن هذا المقام فما ... له به قَدَمٌ فانْظُرْهُ يا سَنَدي
له النُّفُوذُ ولا يدري به أحَدٌ ... له التَّحَكُّمُ في الأرواح والجَسَدِ
هو الذي خافَتِ الألبابُ سَطْوَتَهُ ... هو الأمينُ الذي قد خُصَّ بالبَلَدِ

ومن ذلك من محق هلاله صحّ نواله من الباب ٢٦٣: ليس لأهل الجنان عقل يعرف إنما هو هوى وشهوة يتصرف، العقل في أهل النار مقيله، وبه يكثر حزن الساكن بها وعويله لما ساء سبيله، العقل من صفات الخلق ولهذا لم يتصف به الحق، ولولا ما حصر الشرع في الدنيا تصرف الشهوة ما كان للعقل جلوة، فما عرف حقيقة العقل غير سهل فعين ماله من الأهل، قيّد المكلف بالتكليف عن التصريف، فإذا ارتفع التحجير بقي البشير وزال النذير،

وتأخّر العقل لتأخر النقل، إذا محق الهلال فأنت الظلال، وفي محاقه عين كماله في حضرة إقباله، كما كان كماله في إبداره لادباره، فالأمر بين الحق والخلق مناصفه، والوثيقة التي بيننا وبينه وثيقه مواصفة، فما له فليس لنا وما ليس له فهو لنا.

ومن ذلك من بدر فقد أبدر من الباب ٢٦٤: الأبدار ثلاث ليال ولهذا كفر من قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] من الضلال، فإنه ما ثم على الأحدية زائد وكذلك الأبدار واحد، واحتجب بالاثنين في رأي العين كما حجبنا الله عن معرفته باليدين، وما أشبه ذلك ممّا وردت به الشرائع من غير ريب ولا مين، فبدار بدار إلى ليلة الأبدار وهي ليلة السرار، ذلك هو الإبدار النافع والنور الساطع، حيث لم تغيره الأركان بما تعطيه من البخار والدخان، فإن حالة البدر في ليلة أربع عشرة من الشهر، معرض للآفات ولهذا هو زمان الكسوفات، فهو المؤوف بالكسوف، وقد يحجب في سراره من اناره ومنحه أنواره، خدمة تتقدم بين يديه حتى لا تصل عين إليه، تقديساً له وتنزيهاً وتشريفاً للخادم الذي أهله لهذه الرتبة وتنويهاً.

ومن ذلك المسامرة محاضرة من الباب ٢٦٥: رعى النجوم مسامرة الحيّ القيوم بما يعطيه من العلوم، ما أحسن السمر في ليالي القمر، على الكثبان العفر، مع كل ذي رداء غمر، ليس بنكس ولا غمر، ولا يبيت لأحد على غمر، كانت المسامرة في المشاورة بما يظهر في النهار من الآثار لاستعداد الكون وما هي عليه من العطاء العين، ألا ترى إلى الحق نزوله سرى إلى السماء التي تلي الورى؟ فيسامرهم بالسؤال والنوال، ويسامرونه بالأذكار والاستغفار وسني الأعمال، فيقول ويقولون، ويسمع ويسمعون، فيجيب ويجيبون، فلا يزال على هذا الأمر إلى أن ينصدع الفجر فينقضي السمر، ويظهر عند الصباح ما قرّر من الخبر بالأثر.

ومن ذلك من برق لمع وسطع من الباب ٢٦٦: البارقة اللموع في النزوع من نزل إليه سطعت أنواره عليه، الصحيح من المذهب أن برقه خلب، ولهذا قال عبد الله: لا يعرف الله إلاّ الله، علمنا به أنه لا يعلم فالزم الأدب وافهم، إياك والنظر وغلطات الفكر، لا تتعد بالعقل حدّه وقف عنده، تفز بالعلم الذي لا يحصل في القلب منه شيء وبالظل الذي ما له فيء، إذا حمي الجوّ كثرت البروق وتوالى الخفوق، ولا رعد يسبح بحمده ولا غيث ينزل من بعده، إنما هي لوامع تسطع تنزل ثم ترفع، لحكمة جلاها من تولاها ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ لما أنارها وما محاها﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ بما ابتلاها وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾في مجلاها ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ فأسرها وما أفشاها ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ بما عناها ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ لما أدار رحاها﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ بما من ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ١ ـ ٨] وبهذه النسبة إليها قواها.

ومن ذلك ما هجم من عصم من الباب ٢٦٧: الهجوم أقدام ولا يكون من علام، المخدوم له الهجوم والخادم محكوم عليه وحاكم، فجآت الحق لا تطيقها الخلق، فلماذا وردت من العليم الحكيم؟ وقد سميت بالبواده والهجوم، فلولا ما ثم حامل لها ما سواها الحق ولا عدلها، إذا جاءته بغتة يتخيل أنها فلته فيعطيها منه لفته، ثم يعرض عنها بعدما أخذ

ما جاءته به منها ما هو أعرض بل هي عبرت حين خطرت، ما كان ذهابها حتى أمطر سحابها فامتلأت الإضاء، وزالت السحب وانجلت البيضاء، فحدثت الأرض أخبارها ورفعت أستارها وباحت بأسرارها وزهت أزهارها بأنوارها، فلولا ما كان الزهر في الزهر والنوّار في الأنوار ما ظهر شيء ممّا وقعت عليه الأبصار.

ومن ذلك من قرب أشرب من الباب ٢٦٨: العاشق المحب من أشرب في قلبه الحبّ، عشق العشق هو الحبّ الصدق، يقول العاشق المجنون لمعشوقه على التعيين: إليك عني وتباعدي مني فإن حبك شغلني عنك وأنت مني وأنا منك، فوقف مع الألطف وزهد في الأكثف لأنه عرف ما كثف فوقف وما انحرف، من شهد ملك الملك عرف من حصل في الملك، من طلبت منه الثبات فقد قيدته لا بل قد تعبدته، إلاّ أن يكون الثبات على التلوين فذلك التمكين، ووافقت ما أنزله في سورة الرحمٰن ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] والشؤون ألوان، أقرب ما اتصف به الحق في العبيد كونه أقرب من حبل الوريد، فهو أقرب إليك من نفسك مع أنه ليس من جنسك، وإن كان في جنسك فقد قيد نفسه وضيق حبسه.

ومن ذلك ما كل من بعد بعد من الباب ٢٦٩: البعد بالحدود علم الشهود وهو أسنى العلوم وأعظم إحاطة بالمعلوم، فلا تتخيل أن كل بعد هلاك كما تخيله بعض النساك ليس الهلاك إلاّ في القرب ولهذا يفنيك، وانظر ما قلته لك في تجليك، التحلية حجاب وهي أعظم القرب، عند الأحباب تخلى ولا تتحلى: [مخلع البسيط]

لـمـا دَنَـا إلـيـه تَـدَلَّـى — فـكـان قَـابَ قَـوْسَـيْـنِ أو أَدْنَـى
والـشَّـفْـع فـيـه مـا جـاء إلاَّ — لـلـعُـرْفِ إذ تَـضَـمَّـنَ مَـعْـنَـى
ألا تـراه قـال أو أدْنَـى — لـذاك قـلـتـه فـتَـأَنَّـى
مـن غَـشَّـنَـا فـمـا هـو مِـنَّـا — فـالأمْـرُ كـلّـه لـيـس مِـنَّـا
فـنـحـن لـيـس نـحـن وكـنّـا — لـذاك أخـبـر الـحَـقُّ عَـنَّـا
ربّ الـسـمـاع مـن يَـتَـغَـنَّـى — يـقـولـه إذا يـغـنَّـى
ذاك الـسـمـاع يـصـغـي إلـيـه — مـن جـاءه الـذي يَـتَـمَـنَّـى

ومن ذلك سدّ الذريعة من أحكام الشريعة من الباب ٢٧٠: من قال بسدّ الذرائع في الشرائع ترك الأعلى ورأى ذلك الترك أولى، فما هو للشارع منازع، ولكن لما فهم المراد جنح إلى الاقتصاد فإنه علم أن الله بالمرصاد، والمخلوق ضعيف ولولا المصالح ما شرع التكليف، فخذ منه ما استطعت ولا يلزمك العمل بكل ما جمعت، فإن الله ما كلف نفساً إلاّ ما أتاها، وجعل بها بعد عسر يسراً حين تولاها، وشرع في أحكامه المباح وجعله سبباً للنفوس في السراح والاستروواح إلى الانفساح، ما قال في الدين برفع الحرج إلاّ رحمة بالأعرج، وعلى منهج الرسول ﷺ درج دين الله يسر فما يمازجه عسر، بعث بالحنيفة السمحا والسنة الفيحا، فمن ضيق على هذه الأمّة حشر يوم القيامة مع أهل الظلمة.

ومن ذلك الحقيقة في كل طريقة من الباب الأحد والسبعين ومائتين ٢٧١: في الكلام

القديم والقرآن الحكيم: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] جاء به الرؤوف الرحيم، الخبير بما هناك العليم، فمع الحق مشى من مشى، وما تشاؤون إلاً أن يشا، فالسعادة كاملة والرحمة شاملة، فإن أهل الاستقامة في الاستقامة هم أهل السلامة في القيامة، وأما الماشي في الاستقامه بغير استقامه فهو المنحاز عن دار الكرامة، والكل في دار المقامة إليه يرجع الأمر كله، وكيف يرجع إليه وهو فعله؟ ما العجب إلاً كيف قيل يرجع إليه من هو لديه، ولم يزل في يديه ستور مسدله وأبوب مقفله، وأمور مبهمه وعبارات مبهمه، هي شبهات من أكثر الجهات.

ومن ذلك ما كل سحاب خطر أمطر من الباب ٢٧٢: ما قصر الجهام حين أثر فالتحق بأهل المآثر، ما جاد إلاً على رحمه بما أعطاه من كرمه، بخارها عاد عليها وتحلّل شوقاً فنزل إليها الأمطار دموع العشاق من شدّة الأشواق لألم الفراق، فلما تلاقى أضحك بأزهاره جزاء بكاء وابل مدراره، فأمات وأحيا من أضحك وأبكى نفعت الشكوى ومقاساة البلوى، ثم إنه أظهر من الثمر ما هو أنفع من الزهر، فحسن الهيئة وأقام النشأة، وكان التغذي وزال التأذي وبدا كل أمر مريج، ووقع النكاح بين كل زوج بهيج، فتوّج الآكام وآزر الأهضام، فالشكر لله على هذا الإنعام.

ومن ذلك من ورد تعبد من الباب ٢٧٣: من جاء إليك فقد أوجب القيام بحقّه عليك، فإنه ضيف نازل فإما قاطن وإما راحل، وعلى كل حال فلا بد من النظر في حقه وأمره على حدّ ميزانه في الوجود وقدره ولا شكّ أن المؤمن قد جعله الله له سكناً واتخذ قلبه وطناً، فوفد عليه ونزل إليه فوسعه، وما حين ضاق عنه الأرض والسماء وجعله سميه واتخذه وليه ونعته بالإيمان وهو صفة الرحمٰن، وأنبأه بما يكون وما كان، فتعين على المؤمن القيام بفرضه لما حلّ بأرضه، فاجعله ممّن تلقى كريماً خبيراً بقدره عليماً؛ وأنبهك بشيمة أهل الفضائل، أن الكرامة على قدر المنزل عليه لا على قدر النازل، وفي العموم على قدر النازل لا على قدر المنزل عليه، فإنه لا يعرف ما عند النازل ويعرف ما لديه، ولا يحجبنك قول من قال: «**أَنْزِلُوا النَاسَ مَنَازِلَهُم**» لما كنت بهم ولهم، فلو عاملنا الحق بهذه المعاملة لم يصحّ بيننا وبينه مواصلة.

ومن ذلك الوارد شاهد من الباب ٢٧٤: إنما شهد الوارد لشهود ما لديك حين ورد عليك، فيما شهد شهد وهو مسموع القول فقابله بالفضل وكثرة البذل وجزيل النيل والطول، فإنه لسان صدق في الأوّلين والآخرين، وهو عند السامعين من أصدق القائلين، فيقلد حين يشهد، فإن شهد عنده الحق فما يتمكن له أن يشهد إلاً بحق وأقعد ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ [القمر: ٥٥] لأنه يعلم منه أنه يعلم فلا يتمكن له أن يحيد في شهادته عن علمه، أو يكتم إن كان عامر قلبك علمك بربك، فهو يتلقاه ويبادر إليه حين يلقاه ومنه ورد وعليه وفد، فما عليك لوم في ذلك اليوم، الصدقة تقع في يد الرحمٰن والسائل الإنسان.

ومن ذلك من تنفس استراح كالصباح من الباب ٢٧٥: النفس وإن كانت لها المنزلة

الرفيعة فهي مقيدة بين الروح الكل والطبيعة، ولذا كان المزاج ذا أمشاج فما لها سراح ولا انفساح، فإذا نسب إليها الانفساح والمجال فما هو إلاّ حصولها في حضرة الخيال، فتنقلب في الصور كما يدركها البصر فيما يعطيه النظر، مثل ما تتنوّع الخواطر عليه في هذه الدار مع كونه تحت إحاطة هذه الأسوار، فأنى للنفوس بالسراح ومنتهى أعمالها إلى الصراح، فلا تتعدى في الانتها سدرة المنتهى، فهي بحيث عملها لا بحيث أملها إلى يوم البعث، عند ذلك تعلم ما حصل لها في الروع من النفث علم شهود ووجود، فإن الأمر هناك مشهود، فما وقع به هنا الإيمان حصله هناك عن العيان، ويجد الفرق بين الأمرين، فإن الصباح لا يخفى على ذي عينين فإنه يميز البين من البين: [الوافر]

ولكن للعَيَانِ لَطِيفُ مَعْنَى　　　لذا سأَلَ المُعَايَنَةَ الكَلِيمُ

ومن ذلك إشراق يوح هو الروح من الباب ٢٧٦: في الشكل المثلث يعرف من ثلث وبما يحدث من رمي الشمس شعاعها على الجسم الصقيل يقع التمثيل، فلا شيء أشبه بالروح ممّا أعطته يوح، هذا أثر خلق في خلق فما ظنك بأثر الحق، ما حصل الإنسان الكامل الإمامة حتى كان علامة، وأعطى العلامة وكان الحق أمامه، ولا يكون مثله حتى يكون وجهاً كله، فكله أمام فهو الأمام، لا خلف يحدّه فقد انعدم ضدّه ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] صفة الحليم الأواه، ما سمّي بالخليل إلاّ بسلوكه سواء السبيل، ولا قال في تمثيله: المرء على دين خليله، إلاّ لصورته وقيامه في سورته.

ومن ذلك مراتب اليقين تبين في التلقين من الباب ٢٧٧: لليقين مراتب في جميع المذاهب، فمن أقيم في علمه كان تحت سلطان حكمه، ومن أقيم في عينه أتى عليه من بينه، ومن أقيم في حقّه فقد تميز في خلقه، ولكل حق حقيقة أعطته الطريقة، فحقيقة الحق الشهود فالحق هو الإيمان في الوجود، فما كان غيباً صار عيناً، وما فرض مقدراً عاد كوناً، والحق حق فلا بدّ له من حقيقة، والخلق حق فلا بدّ له من دقيقة، فحقيقة حق الحق أنت، ودقيقة حق الخلق من عنه بنت، فالعالم بين تنزيه وتشبيه والحق بين تشبيه وتنزيه، والبراءة في سورة براءة والتنزيه في سورة الشورىٰ، ولهذا شرع للإمام أن يجعل ما يريد إنفاذه في ملكه بين أصحابه شورىٰ، خلافة عثمان كانت عن المشورة فلذا وقعت تلك الصورة، فلو كانت عن تولية الماضي ما وقع التقاضي، ولا حكمت فيه الأغراض بما قام بها من الأمراض.

ومن ذلك خطاب الأئمة والأقطاب من الباب ٢٧٨: لا بدّ للسالك حيث كان من المسالك، من الرب الإلٰه المالك، إذا تميز في الممالك، فإن أبق بالشرود وتخيل أنه غاية الوجود، فما هو الوالي لهذا التعالي، فانحط من أحسن تقويم ونزل عن المقام الكريم، إلى أسفل سافلين مع النازلين، فعندما نظر إلى عليين عرف رتبة العالين، فندم على ما فرط وترجّى له العودة ما لم يقنط، فإن قنط عند الأسف فقد هلك وتلف، الهبوط والسعود للمتردّدين بين النزول والصعود، وما نتنزل إلى قلبك إلاّ بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك، وما كان ربك نسياً وقد رفعك مكاناً علياً، فاسكن فإنك صاحب كن.

ومن ذلك من عظيم السرى تنفح العيس في البرى من الباب ٢٧٩: من درى ما في السرى من جزيل المنح تمنّى أنه لم يصح سؤال إلٰهيّ امتناني، من عليّ رفيع الدجات إلى المتقلبين في الدركات، فإن الجنة حفّت بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات، فكل واحدة حفّت بالأخرى، جاءت بذلك الرسل تترى، فانبهم الأمر وخفي السر، رأى بعد أهل الحديثه، وقد أوصل إلى نجم الدين بن شاي الموصلي حديثه، أن معروف الكرخي في وسط النار، وما علم أنه يتنعم فيها نعيم الأبرار، فهاله ذلك وتخيل فيه أنه هالك، مع ما عنده من تعظيمه بين القوم وتنزيهه عمّا يستحق من اللوم، فكان معروف عين الجنة والنار التي رآها المكاشف عليه كالجنة، وهي المجاهدات التي كان عليها في حياته، فإن المكاره من نعوت العارف وصفاته، فهو الخاشع في الأولى والمحروم هو الخاشع في الأخرى، فتستعار الصفات وتنقلب الآفات، فربما رأى أو سمع، وسرى عنه بما به وعليه اطلع.

ومن ذلك التنزيه تمويه من الباب ٢٨٠: [البسيط]

إن الـوُجُـودَ لأكْـوَانٌ وأشْـبَـاهُ فـلا إلٰـه لـنـا فـي الـكَـوْنِ إلاّ هُـوْ
جـلّ الإلٰـهُ فـمـا يَـحْـظَـى بـه أحَـدٌ فـلـم يَـقُـلْ عـارفٌ بـربِّـهِ مـا هُـوْ
لله قـوم إذا حَـفُّـوا بـحَـضْـرَتـه يَـبْـغُـون وصـلـتـهـم بـذاتـه تَـاهُـوا
قـد مَـوَّهَ الـقـومُ بـالـتـنـزيـه وهـو هُـمُ فـي كـل حـال فـعَـيْـنُ الـقَـوْمِ عَـيْـنَـاهُ
والله مـا ولـد الـرحـمٰـنُ مـن ولَـدٍ ومـا لـه والـدٌ مـا ثَـمَّ إلاّ هُـوْ
وكـل مـا فـي الـوجـود الـكَـوْن مـن وَلَـدٍ ووالـد هـو فـي تـحـقـيـقـنـا مـا هـو
دلـيـلُـنـا مـا رَمَـى بـالـرَّمْـلِ حـيـن رَمَـى مُـحَـمَّـدٌ وهـو قـولـي مـا هـو إلاّ هـو
فـالـحـمـد لله لا أبـغـي بـه بَـدَلاً لأنـه لـيـس فـي الأكـوان إلاّ هـو

ومن ذلك الهوى أهوى من الباب الأحد والثمانين ومائتين: لولا الهوى ما هوى من هوى به كان الابتلا، فإما إلى نزول وإما إلى اعتلا، وإما إلى نجاة وإما إلى شقاء. ليس العجب ممّن عرف وإنما العجب ممّن وقف، أو ناداه الحق فتوقف، ما أيه بأحد إلاّ ورد، ولا ورد إلاّ منح، ولا منح إلاّ ليبتلى فيفضح، وذلك أنه ادّعى المكلف ما ليس له، وفصل ما كان له أن يوصله، كلفه الحق ما كلفه وعرفه ما عرفه، ولا يغنيه بعد تقرير البلوى تبرؤه من الدعوى، ما قويت أمراسه وبقيت عليه أنفاسه، فإذا جاء الأجل المسمّى وفك العمى وأبصر الأعمى، جاء التعريف وزال التكليف وبقي التصريف، وانتقل في صورة مثاليه إلى حضرة خياليه، أبصر فيها ما قدم، فإما أن يفرح أو يهتم، وكان ما كان فلا بدّ أن يندم، وكيف لا يندم والجدار قد تهدم، وقتل الغلام صاحب السكينة والرتبة المكينة، لما خرق السفينة، ندم الواحد كيف لم يبذل الاستطاعة، وندم الآخر على تفريطه ومفارقة الجماعة، فأهواه في الهاوية ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ [القارعة: ١٠ ـ ١١] يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾ [الحاقة] وأما الذي لم يبذل الاستطاعة ولكنه مع الجماعة فيقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩] إني

ظننت أني ملاق حسابيه، قال الرقيب وهو القول العجيب: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة] فإذا النداء من سميع الدعاء ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] يعني أيام الصوم وهو مذهب القوم.

ومن ذلك فك المعمى والأجل المسمّى من الباب ٢٨٢: من فرّق بين الفاتح والناصر والظهير فقد عرف حقائق مراتب الأمور، الناصر بما قذفه من رعبه في قلبه وبالدبور، والصبا على من تمرد وأبى، والظهير معين والفاتح يبين، فإذا استعين أعان فهو المستعان، وإذا فتح أوضح وأعطى جزيل المنح، الفاتح صاحب الرحمة ومسبغ النعمة، والناصر قاذف في قلب العارف ما شاء من العوارف في المعارف، والظهير خبير بمن هو له نصير، فإذا شاهد الوفود، وتعمّر الوجود، وتحقق العابد والمعبود، وتبين المسود، والمسود طلب الستر بالتنزيه فأسدل الحجب بالتشبيه، فعنه كان الصدور بما قرر في الصدور، وإليه كان الورود في طلب المزيد.

ومن ذلك عبادة الوثن قمن من الباب ٢٨٣: جقيق على الخلق أن لا يعبدوا إلاّ ما اعتقدوه من الحق، فما عبد إلاّ مخلوق، ولهذا توجهت عليه الحقوق ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] فالكل من عندكم، والدليل الله أكبر إلى تحوله في الصور، فلولا تحقق العلامة في يوم القيامة، ما عرف أحد علامة، فيوم النشور هو المعروف المنكور، كل معتقد مخالف من خالفه وموافق من وافقه، فما ثم إلاّ عابد وثن وهو الحافظ له والمؤتمن، فانظر ما أعجب هذا الأمر، وما أوضح هذا السرّ، كيف عاد المحفوظ حافظاً وأضحى لمعتقد غيره لافظاً، وهو هو لا غيره وقد جهل أمره، فوقع التبري، وحصل التعرّي، وتجرّد اللابس، وعتب السايس، فهو الفقير البائس.

ومن ذلك حوض مورود ومقام محمود من الباب ٢٨٤: العلوم محصورة في الإجمال غير متناهية التفصيل عند الرجال، وما عند الله مجمل فالكل مفصل، وما ثم كل فعلى التفصيل التوكل، الشاربون يقسمون المشروب، فيتعدد وهو واحد، فما هو من العدد الأواني معاني المعاني، فالحروف ظروف وهو المعروف، حرف جاء لمعنى فثبت أنه معنى، قاله صاحب العربية الخائض في المسائل النحوية، وفصل بينها وبين حروف الهجا، وجعلها أدوات لما هي عليه من الالتجا، فتجمع بين الأحداث والأعيان الظاهرة في الأكوان.

ومن ذلك قهر الأيتام أخلاق اللّئام من الباب ٢٨٥: الجدار مائل فلا تقهر اليتيم، ولا تنهر السائل، فإنه إن وقع الجدار ظهر كنز الأيتام الصغار، فتحكمت فيه يد الأغيار وبقي الأيتام الصغار، من الفقر في ذلة وصغار، لا تباح الأسرار إلاّ للأمناء الكبار، القادرين على الاكتساب والرافعين للحجاب، أهل الاستقلال بجمع الأموال، وعلى الأعراف رجال اتسع لهم المجال، فإذا جمع فأوعى، وأعطى فما وعى، ودعى وما أجاب الداعي، وإن سمع الدعاء فكر في نفسه أنه ما ألحق المال حين اكتنزه برمسه، وما بكى في يومه، لما فاته في أمسه، إلاّ لفقر حكم عليه مع الكثر الذي في يديه، فعلم أن الغنى ما هو كثرة العرض، وإنما هو في النفس لمن فهم الغرض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة، والنشأة هي عينها،

ولهذا قيل في الحافرة وهو قولهم بأخبار الحق المبين، وقول الله: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦١، ٦٢].

ومن ذلك التألف من التصرّف من الباب ٢٨٦: [مجزوء الخفيف]

أُلْـفَـةُ الـعَـبْـدِ بـالإلْـهِ هـي الأُلْـفَـةُ الَّـتـي
مـا لـهـا غـيـر وِجْـهَـتِـي وبـهـا كَـوْنُ قُـوَّتـي
فـانـظُـروا فِـيَّ تُـبْـصِـرُوا حـكـمـةَ الـحَـقّ حِـكْـمَـتـي
لا تَـقُـلْ بـاتِّـحـادنـا فـتـكـذبـك نَـشْـأَتـي
أنـا إن كـنـتُ بَـيْـتَـهُ فـهـو بـالـشَّـرْعِ قِـبْـلَـتـي

التألف وصال، ولا يكون إلاّ بالتناسب، في جميع المذاهب، وقد أحضرنا لديه، وجمعنا في الصلاة عليه، فأكلمه به وبي، فيردّ عليّ بي، فأقول ليس هذا مذهبي، فيقول ما ثم إلاّ ما سمعت، فلا يغرّنك كونك جمعت، ثم قال ارحل، ولا تكن ممّن أقام وحلّ، فإنه ما ثم إقامه لا هنا ولا في القيامة.

ومن ذلك الاعتبار لأولي الأبصار من الباب ٢٨٧: الجنف والحيف في الكم والكيف، لا يكون إلاّ لمن سكن الخيف، من سكن خيف منى بلغ المنى، لا تسكن إلاّ السهل إن أردت أن تكون من الأهل، لا تدخل بين الله وبين عباده، ولا تسع عنده في خراب بلاده، هم على كل حال عباده، وقلوبهم بلاده، ما وسعه سواها، وما حوته ولا حواها، ولكن نكت تسمع، وعلوم مفترقة تجمع، قل كما قال العبد الصالح، صاحب العقل الراجح ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] انظر في هذا الأدب النبويّ، أين هو ممّا نسب إليه من النعت البنويّ، أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، حتى أكون من الكاذبين، هو عين روح الله وكلمته، ونفخ روحه وابن أمته، ما بينه وبين ربه سوى النسب العام، الموجود لأهل الخصوص من الأنام، وهو التقوى لا أمر زائد في غير واحد.

ومن ذلك ما لي وللوالي من الباب ٢٨٨: لا تقل ما لي وللوالي، إذا دعيت إليه لا تبالي، هو الحكم الفاصل المنصف العادل، فإن خفت من الإنصاف فعليك بالاعتراف وطلب العفو من الخصم، في مجلس الحكم، فإنه ألدّ الخصام فاستغن بالعاصم بإعصام، فيكون الحاكم بينكما واسطة خير وواقية ضير، فقد ورد عن الرسول مالك الإمامة، أن الله يصلح بين عباده يوم القيامة، ولهذا قلنا ما شرع الله الشرائع إلاّ للمصالح والمنافع، من سعى في الصلح بين الكفر والإيمان فهو ساع بين العصاة والرحمٰن، لا سيما إن وقع النزاع في العقائد وانتهوا في ذلك إلى إثبات الزائد، المسمّى شريكاً والمتخذ مليكاً، فإن أريت أن الشريك ما هو ثم وأن أمره عدم، وفرقت بين ما يستحقه الحدوث والقدم كنت من أهل الكرم والهمم.

ومن ذلك الضيق في التحقيق من الباب ٢٨٩: أعظم الاتصال دخول الظلال في الظلال، إذا كثرت الأنوار وتعددت، طلب كل نور ظلاً فتمددت، وهذا من خفي الأسرار أعني امتداد الظلال عن كثرة الأنوار، لهذا اختلفت الأسماء، وكان لكل اسم مسمّى مع أحدية

العين والكون، وهو الذي دعا من دعا إلى القول بالشريك في التمليك: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وهو المقام الأسنى، فقد أتى بالاسمين، وأتى بلا تتخذوا إلٰهين اثنين، مع اختلاف المعنى في الأسماء الحسنىٰ، فأثبت ونفى وأمرض وشفى، فمنا من سلم ومنا من هو على شفا، فمن لزم الحق فقد لزم الصبر، ولا يكون هذا إلاّ لمن عرف الأمر، الكل في عين التلف، من جهل ومن عرف، وما نجا إلاّ من وقف، فالناجي من سمع ولم يتكلم وأجاب إلى ما دعي إليه فذلك الذي لا يندم.

ومن ذلك من زار الصامت زاره من الباب ٢٩٠: وعظنا الصامت فما أصغينا إليه، وتحبب إلينا الصامت فاعتكفنا عليه، فملك أزمة القلوب وأعمانا عن إدراك الغيوب، ووعظنا الناطق بما نطق به من الحقائق، فآمنا به وعرجنا عن مذهبه، فسمعنا وعصينا وأمرنا ونهينا، كأنا ولاة الأمر وأرباب الردّ الغمر، ونسينا أمره إيانا ونهيه وأرشد السامع وغيه، فحجبنا بحب التقدّم والرياسة عن تمشية ما تقتضيها السياسه، فإذا جاء الموت وتيقنا بالفوت، طلبنا حسن المآب بالمتاب، فلم تقبل توبه ولا غفرت حوبه، ومتنا على ما كنا عليه، وحشرنا على ما عليه متنا، كما نصبح على ما عليه بتنا، تركت فيكم واعظين: صامت وناطق، فالصامت الموت والناطق القرآن، هكذا قال صاحب الحق الترجمان.

ومن ذلك النقص والرجحان في الميزان من الباب ٢٩١: اغتنم حياة لست فيها بهالك، وداراً أنت فيها مالك، ميزانك فيها موضوع، وكلامك مسموع، وأذنك واعيه، ومواعظك داعيه، وأنفاسك باقيه، وأعمالك الخيرات واقيه، فنور بيتك المظلم وأوضح سرك المبهم، ما دامت أركان بيتك غير واهية، قبل أن تحصل في الهاوية، إن تفرّقت همومك أعرض عنك قيومك، وإن وهنت قواك أمدك به وقواك، وأعلمك أنه ما جنى عليك سواك، فلا تغفل عن نفسك فقد اطلع لك بارقة من شمسك، وقد جعل النهار معاشاً والأعمال رياشاً، فعليك بالاشتغال والتزيّن بأحسن الأعمال، واحذر من زينة الدنيا والشيطان، وعليك بزينة الله المنصوص عليها في القرآن.

ومن ذلك أطلق الغارة من أثاره من الباب ٢٩٢: ظهر في الإنسان الضدّان ففيه الأولياء كما فيه الأعداء، فلا تزال السياسات تسنّ والغارات تشنّ، فهم بين قتيل وأسير وحسن مآب وبئس مصير، كشفت الحرب فيه عن ساقها وظهرت الفتن في جميع آفاقها، فآفات ترد ورزايا تعد، تصرّفاته محدوده وأنفاسه عليه معدودة، عليه رقيب عتيد وسائق وشهيد، لم يزل مذ خلقه الله في التوكيل، وشرع له أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل، لينقلب بنعمة من الله ورضوان إلى دار الحيوان، لم يمسسه سوء ولا بوس، ويلقاه عند وروده عليه السبوح القدّوس، ويتلقاه عمله بوجه طلق غير عبوس، فأتم تنزيهه وتطهيره وأعاد عليه تعزيره وتوقيره، فهو يجني ثمرة عمله في رياض أهله.

ومن ذلك الدليل في حركة الثقيل من الباب ٢٩٣: الأمر جليل من أجل حركة الثقيل، لا يتحرّك إلاّ عن أمر مهم وخطب ملم، كزلزلة الساعة المذهلة عن الرضاعة مع الحب

المفرط في الولد، ولا يلوي أحد على أحد، وقد ذهب بعض الأوائل أن العالم أبداً نازل يطلب بنزوله من أوجده حين وحده، والحق لا ينتهي إليه، فمن أوّل حركة كان ينبغي أن يعتكف عليه، لأنه جلّ أن تسطع إليه المسافات المحققة فكيف المتوهمة؟ رسوم معلمة، وأسرار مكتمة، بيوت مظلمة وألسنة غير مفهمة، لأن الخيال يخيل العلم به والمقال، فأين تذهبون أو ماذا تطلبون؟ يقول العارف لأبي يزيد: الذي تطلبه تركته ببسطام فدله على المقام، فإن العبد يسار به في حال إقامته إما إلى دار إهانته وإما إلى دار كرامته.

ومن ذلك عدم الكون في ظهور العين من الباب ٢٩٤: شقت الكاف غزالة السماء وذلك بعد صلاة العشاء، وأنا في حال فناء، وما نقص جرمها، والكاف ماربا جسمها، فقلت صدق من سقط على الخبير في إيراد الكبير على الصغير، من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع، وهذا المقام الذي هو للأضداد جامع نص عليه ذو النون فوافقته، وإن لم أكن قبل هذا عقلته، فشكرت الله على شهوده وما منحه العبد من العلم بوجوده فهو العين الطالعة في كاف الكون، لذلك قلنا في أعيان الممكنات إنها مظاهر الأسماء الإلٰهيات، ولثبوت الكاف في حال الطلوع قلنا بثبوت أعيان المحدثات، فلولا التوجهات ما ظهرت الكائنات، ما ألذها من مسألة عند من شهدها ووجدها.

ومن ذلك ما شاهد قدر المنزلة إلاّ من أرسله من الباب ٢٩٥: العبد محل التحلي، والليل زمان التجلي، وما ثم إلاّ هيكلك فهو ليله المظلم، فنوره يجليه وصيره الرداء المعلم تحليه، ولما نزل إلى فرشه والملائكة حافون من حول عرشه، سجد له القلب إلى الأبد وما رفع رأسه بعدما سجد، لذلك جعل السجود قربه، وخصّ به من أحبه، والمتكبر ساجد وإن تكبر كما هو واحد، وإن تكثر فإن رتبته تعطيه، فلا تحجب بما تراه من تعاطيه، تلك أغاليط النفوس والحجاب المحسوس، فلما انفجر عمود صبح الروح وهو رسول يوح، أزال التهم ونفر الظلم، وتجلّى الكيف والكم، وكم تجلى له من مثل هذا وهو لا يعلم لما جبنت السريرة وأعمى الله البصيرة، وجهلت الصورة وضرب الحق سوره على السورة، فلما وقع الالتباس تفاضل الناس.

ومن ذلك الحكم في اللوح والقلم من الباب ٢٩٦: طلب اللوح من علته من يشفيه، فشفاه القلم بما أودعه فيه فهو ميدان العلوم ومحل الرسوم، العلوم فيه مفصلة وقد كانت في القلم مجملة، وما فصلها القلم ولا كان ممّن علم، وإنما اليمين حركته لتفصيل المجمل وفتح الباب المقفل، فليس من نعوت الكمال أن يكون في علم الله إجمال، والإجمال في المعاني محال، ومحل الإجمال الألفاظ والأقوال، فإذا جعل قول عبده قوله اتصف عند ذلك بالإجمال وكان من نعوت الكمال، فلكل مقام مقال، ولكل علم رجال، فكمال العارف علمه بتفصيل المعارف، ومن أجمل فما هو من الكمل، إلاّ أن يقصد ذلك لقرينة حال فله في ذلك مجال، فهو مفصل عنده في حال إجماله وهو عين كماله.

ومن ذلك علم النبيّ الأميّ من الباب ٢٩٧: رسول الوارث النبيّ ورسول النبيّ الروح

الملكي، ولأهل الاختصاص الوحي الإلٰهيّ من الوجه الخاص وهو في العموم لكن لا تبلغه الفهوم، فما من شخص إلاَّ والحق يخاطبه به منه، ويحدث به عنه فيقول: خطر لي كذا ولا يدري من أين لجهله بالعين، وما فاز أهل الله إلاَّ بشهوده لا بوجوده، العلم كله واحد، وإن اختلفت المآخذ وتنوّعت المقاصد، علم الحق من شاء من عباده من لدنه علماً وآتاه رحمة من عنده فأعطته الرحمة حكماً، فتوسط الثبج وتحكم في المهج، فأنكر عليه التابع فحل ما ربط وأزال ما اشترط، فجهل منصبه ولم يعرف نسبه، نعم علم ما به حيي لكن نسي فنسي، فمنازل الأفراد في خرق المعتاد، فأمورهم خارجة عن أحكام الرسل وحائدة عمّا شرعوه من السبل، وهم في السبل كالخضر وموسىٰ الكليم، وقول هود عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

ومن ذلك غلق الصدور في الصدور من الباب ٢٩٨: لولا الصدور ما عميت القلوب التي في الصدور، ويحق لها أن تعمى لأنها مأمورة بفك المعمى وقيدت بالأجل المسمّى، كانت في حضرة سارحة والأمور عندها واضحة، أعطاها ذلك الورود على الوجود، فقال لها الحق: بضاعتك ردّت إليك، وما نزل إلاَّ بك عليك، هذه منحك التي أعطيتنيها وعلومك التي خولتنيها، فما أعماك سواك وأنا المنزّه عن هذا وذاك، أنا الغني عن عينك وأنت الفقير إليّ في كونك، فلما صدرت عني بكونك ولم تشهدني في عينك، عميت في صدورك عمّن أوجدك ولو أشهدك، فإن شهود الحق لا ينضبط مع أنه مع العالم مرتبط، وهذه المسألة من أغمض المسائل على السائل، لا بظهوره في كوني ولا بغناه عن عيني فعلى ما تعول فيه.

ومن ذلك يبدي الأسرار صدر النهار من الباب ٢٩٩: صدور المجالس حيث كان الرؤساء، والرئيس الكبير من تحكم بأحوالها عليه الجلساء، فهو وإن كان معدن النفوس الرئيس المرؤوس، ألا ترى إلى الحق ما له تصرّف إلاَّ في شؤون الخلق، فيؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، فيتخيل أن المشيئة هنا ضميرها الرحمٰن وما ضميرها إلاَّ من وهو عين الأكوان، لأنا قد قرّرنا فيما مضى أن الذي كانوا عليه في ثبوتهم هو عين القضاء، فالكون أعطاه العزل والولاية والعزّ والذلّ والرشد والغواية، فحكم عليه بما أعطاه فما قسط ولا جار فإنه نعم الحاكم والجار، للحاكم التقاضي والحكم للماضي، في الخصم للخصم لا للقاضي، فالخصم في التحيّق عين القاضي فافهم.

ومن ذلك النيل لأهل الليل من الباب ٣٠٠: ما ظهرت قدرة الحيّ القيوم إلاَّ في إنشاء الجسوم، وما ثم إلاَّ رسم فما ثم إلاَّ جسم، لكن الأجسام مختلفة النظام، فمنها الأرواح اللطائف ومنها الأشباح الكثائف، وما عدا الحق الذي هو المنهاج فهو امتزاج وأمشاج، والصفات والأعراض توابع لهذا الجسم الجامع، فإنه مركب والمركب مركب، ومن أراد العلم بصورة الحال فليحقق علم الخيال، فيه ظهرت القدرة وهو الذي أنار بدره، فلا ينقلب إلاَّ في الصور ولا يظهر إلاَّ في مقام البشر، ولست أعني بالبشر الأناسي فإني كنت أشهد على نفسي بإفلاسي، وأنا عالم زماني لعلمي بالأواني، فما ثم إلاَّ وعاء وآنية ملآ فتدبر تتبصر.

ومن ذلك الهمس في مراعاة الشمس من الباب ٣٠١: خشعت الأصوات للرحمٰن، فلا تسمع إلاَّ همساً لما ﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] و ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥] ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ المبين ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] فإنه ما جاء بالكلام إلاَّ للإفهام، فإذا خالج السامع القارىء في قراءته فقد شهد من الفهم ببراءته، وأساء الأدب فأسخط الله فغضب، ومن غضب الله عليه فقد عطب، يقول ﷺ: «**أَيُّكُمْ خَالَجَنِيهَا**» و«**مَا لِي أُنَازَعُ القُرْآنَ**» وأي برهان أعظم من هذا البرهان؟ الرسول حاز الآداب، وجاء بالكتاب، وخاطب أُولي الألباب، وما خصّ أعداء من أحباب، بل عمّ الخطاب، فمنا من أصاب، ومنا المصاب، كل من علم ما لم يعلم فهو ملهم، فالوحي شامل ينزل على الناقص والكامل، أيسره اللّمة وما هم به ممّا أهمه.

ومن ذلك الجنين في كبد إلى أن يولد من الباب ٣٠٢: الجنين في ظلمة غمّه ما دام في بطن أمّه، يتحكم فيه من طعن في أبيه خدمة وأقامه حرمة، ليجبر بذلك صدع ما وقع منه فيعفو من بغى عليه عنه، ومع أنه في المقام الأوسع فما أودع فيه سوى أربع، لأنه مركب من أربع، فأودعه الرزق والأجل والرتبة والعمل، كل قسم لواحد من أخلاطه أقامه لفسطاطه، فلما علم الجنين أنه محل كل زوج بهيج وأنه في أمر مريج، أراد الخروج بطلب الصعود والعروج، فأخرجه على الفطرة التي كان عليها أوّل مرّة، من قبل أن يقذف في الرحم لما عصم ورحم، فجعل له عينين ولساناً وشفتين وهداه النجدين، وعرف لما خلق وانتهض تابعاً من تقدّم فلحق، فإما شاكراً فله منزل السرور، وإما كفوراً فله سوء المصير والثبور.

ومن ذلك القسم بالأمم من الباب ٣٠٣: لولا أن الشرف عمّ وإليه ترجع الأمم، ما أقسم الحق بالوجود والعدم، فأقسم بما تبصرون وما لا تبصرون، إظهاراً لعلوّ مرتبة المقسم به ولكن لا تشعرون، فالأشقياء سعداء وإن كانوا بعداء، فهو البعيد القريب والجنيب الحبيب، فالشقيّ شقيّ في بطن أمه لما هو عليه من غمّه، والسعيد سعيد في بطن أمه لما خصّه به من علمه، فلقد رأيت من شمت أمه وهو في بطنها حين عطست وحمدت، فعندما سمعت ذلك التشميت من جوفها سرت فسجدت، فهذا واحد ممّن خصّه الله بعلمه في بطن أمه، فمن احتجّ بقوله: ﴿أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨] فذلك مثل من ردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً، وما يلزم العالم حضوره دائماً مع علمه، فهكذا حال الجنين إذا خرج من بطن أمه.

ومن ذلك استعارة الصفات وأين هي آفات من الباب ٣٠٤: لا يقتحم المكاره إلاَّ الشجاع الفاره، ولا يعرف منزلتها إلاَّ من جنى ثمرتها، ما عند العارف ما يكره فلا تموّه الحق لا يرضى لعباده الكفر، وهذا عين الغفر في إسبال الستور الجهل بالأمور، الأبصار تخرق الأستار، ولهذا شرع الاعتبار ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [النور: ٤٤] والستر مسدل والباب مقفل والعطاء مسبل، فما نفع حجاب ولا منع باب، بصر الاعتبار لا يقف له شيء من

الأستار، تظن أنك في حجاب عن أعين الأحباب، فما ترى من الأستار والحجاب، وأنت منظور إليك محاط بما في يديك، فالزم شأنك واحفظ عليك لسانك.

ومن ذلك تنزيه الأسماء من غير تعرّض للمسمّى من الباب ٣٠٥: تجلى العظيم في الركوع لأنه برزخ الجميع، وتجلى العلي في السجود لما يعطيه من التمييز والحدود، ما هو العلى وإنما هو الأعلى، والأمر مفاضلة والمفاضلة أولى، أعطت ذلك الصورة الحاكمة والنشأة القائمة، بالأسماء تعدّدت النعم لأنها حضرة الكرم، إذا كان الحق يصلى فمن المتجلى، قسمت الصلاة بيني وبين عبدي لعهده وعهدي، فما يقول إلاَّ قلت ولا يسأل إلاَّ أجبت، العبد قبلة الحق والحق في قبلة العبد، الصلاة حكم واحد في الغائب والشاهد، الصوم له والصلاة مقسومة، والحج أذكاره المعلومة، يأخذ الصدقة فيربيها رحمة بمن ولدها لقيامه فيها، فإن قلب كل إنسان حيث جعل ماله، فإذا نظر إليه فلا يقل ما له، فمن نظر إلى صدقته نظر إلى ربّه بحقيقته، فهو للعارف العابد شهادة في كل عبادة.

ومن ذلك الآتي ليلاً يبتغي نيلاً من الباب ٣٠٦: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته من عباده اختصّهم بكلامه لمناجاته، حتى لا ينطقون إلاَّ بما نطق فلا يتكلمون إلاَّ بحق قديم ظهر بصورة محدث لما حدث، فلا يأتيهم تعالىٰ إلاَّ في الثلث الباقي من الليل ليمنحهم جزيل العطايا فيما يخصهم به من النيل، وقد نهى أن يأتي المسافر أهله ليلاً وأن يجر للكرم إن فعله على ذلك ذيلاً، فطلبنا في ذلك على الحكمة الغريبة، فعرض بامتشاط الشعثة واستحداد المغيبة، وأعرض عمّا سبق إليه الأوهام الحديثة من الأفعال الخبيثة، ومن فهم ذلك من النفوس الأفاضل المنزهين عن الرذائل، قال ابتغاء الستر وإبقاء لجميل الذكر، ولذلك نطق رسول الله ﷺ فأمر: «**مَنْ بُلِيَ منكم بهذه القاذورة فليستتر**».

ومن ذلك الوجود في الشاهد والمشهود من الباب ٣٠٧: لا يعرف الوجود إلاَّ أهل الشهود، العين تثبت العين، العجب كل العجب عند أهل العلم والأدب، رؤية الحق في القدم أعياناً أحوالهم العدم، يميزهم بأعيانهم في تلك الحال لا تفصيل حدود بل تفصيل رؤية الموجود، فإذا أبرزهم إلى وجودهم تميزوا في الأعيان بحدودهم، انظر وحقق ما أنبهك عليه واستر أوجد الله في عالم الدنيا الكشف والرؤيا، فيرى الأمور التي لا وجود لها في عينها قبل كونها، ويرى الساعة في مجلاها، ويرى الحق يحكم فيها بين عباده حين جلاها، وما ثم ساعة وجدت ولا حالة ممّا رآها شهدت، فتوجد بعد ذلك في مرآها كما رآها، فإن تفطنت فقد رميت بك على الطريق وهذا منهج التحقيق، فاسلك عليه وكن مطرقاً بين يديه.

ومن ذلك الخروج عن الطباق بالأطباق من الباب ٣٠٨: الأحوال التي عليها الخلق هي عين شؤون الحق، ومن أحوالهم أعيانهم فمن شؤونهم أكوانهم، فما لك لا تؤمن بما ترى وتعلم أن الله يرى، يراك في حال عدمك، وثبوت قدمك، أنت لنفسك وهو لنفسه، ما أنت معه كبدره مع شمسه، وأنت معه كذلك نبّه عليه بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ ففكر فيما قال لك تعرف من هلك، هل هلك من البدر إلاَّ نوره لا عينه وبقيت ذاته وكونه، وموقع

الشبهة في قوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] فقد كان ذا نور فأظلم واستترت الأشياء حين أعتم، فقال مع علمه بالخبر خسف القمر، وعين القمر هو الظاهر في الكسوفين والمتجلي في الوجودين فالعيد الظاهر وهو المظاهر.

ومن ذلك علم الرتب بالكتب من الباب ٣٠٩: لكل ملك حجاب ولكل منزل باب، ولكل أجل كتاب، وما ثم إلاَّ من له أجل، فنسأل الله أن يعرفك بالأمر ولا تعجل، فإن الله يجيبك ما لم تقل لم يجب، فاعمل كما يجب إذا دعاك فأجب، وإذا سقاك فطب، فإنه ما يدعوك إلاَّ ليشقيك، ولا يفنيك إلاَّ ليبقيك، ما الأمر الهائل الذي لا يتحقق إلا بقاء الخلق عند رؤية الحق، على الخبير سقطت وعند ابن بجدتها حططت، لهذا أخبرنا أنه كان سمعنا وبصرنا وما عرفنا ذلك إلاَّ بعد قربنا فتحببنا إليه بما شرع فأحبنا، فما رآه سواه فلذلك لا تفنى عين تراه، بالكتب عرفت الرتب، كتاب في الحبس وكتاب في حظيرة القدس، لحكم الديوان أوان ولله قوم لا يذكرون.

ومن ذلك علم الإنشاء ومساواة الأجزاء من الباب ٣١٠: قال لي بعض الفقراء وما أنصفني: إن بعض الرجال قيل له في المعرفة فقال أما أنا فعرفته، وما بقي إلاَّ أن يعرفني، وعسر هذا الكلام على أكثر أهل الأفهام من السادات الأعلام، وأراد مني الجواب وفتح هذه الأبواب، فلم أفتح له لذلك باباً ولا رفعت له حجاباً، وما علم أن لكل معتقد رباً في قلبه أوجده فاعتقده، وهم أصحاب العلامة يوم القيامة، فما اعتقدوا إلاَّ ما نحتوا، ولذلك لما تجلّى لهم في غير تلك الصورة بهتوا، فهم عرفوا ما اعتقدوه، والذي اعتقدوه ما عرفهم لأنهم أوجدوه، والأمر الجامع أن المصنوع لا يعرف الصانع، الدار لا تعرف من بناها ولا من عدلها وسواها، فاعلم ذلك.

ومن ذلك السبل بأيدي الرسل من الباب ٣١١: السبل المشروعة الحكم فيها مجموعة، فمن احترمها وأقامها أعطته ما فيها وأتحفته بمعانيها، فكان علامة الزمان، مجهولاً في الأكوان، معلوماً للواحد الرحمٰن، على أن الرسل لما طرقت السبل وسهلت حزنها وذلك صعبها وأزالت غمّها وحزنها، أخبرت أن دين الله يسر فلا تجعلوه في عسر، فما كلف الله نفساً إلاَّ ما آتاها، وما شرع لها إلاَّ ما واتاها، فإنه العالم بالمصالح والمنافع والدوا الناجع، فمن استعمل ما شرع اندفع عنه الضر وانتفع، فذهب الله بالشرائع كل مذهب لمن عرف كيف يذهب، فما من قالة إلاَّ وللشرع فيها مقالة إما بتقرير أو إزالة، فما فرّط في الكتاب من شيء حين أنزله، ولا كتم رسول ما به الحق عزّ وجلّ أرسله.

ومن ذلك من بادر من الخلق إلى تعظيم صفة الحق من الباب ٣١٢: صفات الحق في الخلق منتشرة ولا يعرفها إلاَّ الرسل والورثة البررة، ولما عرفتها اجتمعت وبمعرفتها انتفع بنا وانتفعت، فأرى من الشخص ما لا يراه من نفسه، وإن كنت من جنسه فما أنا من جنسه، ما يعلم الإنسان ما أخفى له فيه من قرّة أعين وهو أوضح ما يراه وأبين، ولكن لجهله بما هو لا يعلم أنه هو، فينكره إذا رآه ويحمله محملاً ما هو له حين يراه، وللحق مكر في خلقه خفي إلاَّ

لمن هو به حفي، فمن علم الخبير تأديب الصغير بالكبير، فأدب الأمة بتأديب رسولها، لتبلغ باستعمال ذلك الأدب إلى تحصيل سؤلها، فيخاطب الرسول والمراد من أرسل إليه فابحث عليه.

ومن ذلك من سعد بالجزاء السوائي ما بعد من الباب ٣١٣: يوم الدين يوم الدنيا والآخرة، فلا اختصاص له بيوم عند القوم أقام لهم الحق في ذلك دليلاً، لما جهلوا ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا، فأخبر أنه جزاء ما هو ابتداء، فما ابتليت البرية وهي برية، وهذه مسألة صعبة المرتقى لا تنال إلاّ بالإلقاء، اختلفت فيه طائفتان كبيرتان فمنعت واحدة ما أجازته أخرى، والرسل بما اختلفت فيه تترى، ولا تحقق واحد ما جاء به الرسول ولا يسلك فيه سواء السبيل، بل ينصر ما قام في غرضه وهو عين مرضه، إلاّ الطبقة العليا فإنهم علموا الأمور في الدنيا فلم يتعدّوا بالأمر رتبته وأنزلوه منزلته، فما رأوا في الدنيا أمراً مؤلماً إلاّ كان جزاء ما كان ابتداء.

ومن ذلك نزاع الملأ الأعلى في الأولى من الباب ٣١٤: تختلف المقاصد والمقصود واحد، فالطبيب يقصد نفع المريض بما يؤلمه، فيرتب له الأمر المؤلم ويحكمه، فإذا تألم طبيب برى عند نفسه من غير شيء جناه، فيسأل الحق عن ذلك فيقول جزاء بما قدمت يداه، فيقول ما قصدت إلاّ نفعه بما أمرته به من استعمال الأدوية المؤلمة، يقال له وكذلك ما قصدنا بالجزاء المؤلم إلاّ نفعك بما لك من الأجر في ذلك، فالأمور عند الله محكمة ألست قد ألمته؟ فخذ جزاء ما فعلته، والقصد القصد فلا سبيل إلى الردّ، لما نبهت الشريعة باختصام الملأ الأعلى علمنا أنه من عالم الطبيعة، فإن أردت أن ترفعه عنها وتنزله منزلتها منها فقل لاختلاف الأسماء وهذا أوضح ما يكون من الإيماء.

ومن ذلك تتابع الرسل وإنشاء المثل من الباب ٣١٥: الآجال المحدودة جعلت الرسل تترى بالتكاليف والبشرى، فلولا انتهاء الأجل لاكتفي بواحد في الشاهد، وما اختلفت السبل من الرسل إلاّ لاختلاف الدول، ولهذا ظهر في الوجود النحل والملل، فمنها ما هي عن روح ملكي، ومنها ما هي عن دور فلكي، حكم به الطالع فظهر به المبتدع الشارع، ولا يقصد المصالح إلاّ ذو عقل راجح، فاعتبرها الحق فأكرم من رعاها وألحقها بالشريعة التي استرعاها، فساوتها في الجزاء لمن قام بها دلالة على مساواتها في مذهبها، فقال ﷺ: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا**» فلما سنّت الرسل أن تسنّ فما سنّ إلاّ مؤتمن، فما نسخ الشرع إلاّ الشرع فاسمع.

ومن ذلك إهمال الإنسان دون الحيوان من الباب ٣١٦: ما أهمل من أهمل من الأناسي إلاّ لجهله بمنزلته وتصرّفه في غير مرتبته، فلو أعطى نفسه حقّها كما أعطاها ربها خلقها لكان إمام العالمين، ولذلك لما قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال له: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] فالمعاني إذا كانت مبهمة كالطرق المظلمة، لا يعرف الماشي فيها في أي مهواة يهوي ومع هذا يسير ولا يلوي، فإذا سقط عند ذلك يعلم أنه فرط، والسيد الإمام العارف العلام يقول الأمام

الأمام، وفي يده سراجه وفي رأسه تاجه، يشهد له الحق بالخلافة والأمن من كل عاهة وآفة، والله المعافي وهو الشافي.

ومن ذلك اطلاع الرسول على ما أتى به جبريل من الباب ٣١٧: الاطلاع على الغيوب من شأن أصحاب الأحوال والقلوب، وأما صاحب اللب والمقام فهو الأمر الذي لا يرام، والشخص الذي لا يضام، فله الثبوت فلا يتحوّل والصور التي لا تتبدّل، فصاحب المقام أديب بأدب ربه، متفرج في تنوّعات خواطره في قلبه، فإن ضاق محله عن حمله وأرادت النفس أن تعرف أنها من أهله، وهي الشديدة المحال ظهرت في صورة الحال، وقد يكون ذلك عن أمر إلٰهي لسر كياني، يريد الحق إمضاه في وجوده ليتحقق بعض رجال الله بشهوده، وأعظم تحف الملك الاطلاع على ما يأتي به الملك، هكذا هو عند الجماعة، وبضاعتنا غير هذه البضاعة، والكشف الأتم ما يشهده من وراء هذا الجسم المظلم، فإن الملك يكون صورته رسالته ما لم يتجسد، فإن تجسد انبهم الأمر على من يشهد.

ومن ذلك من هاله الحصول في الهالة من الباب ٣١٨: في الهالة حصر النيرين لذي عينين، وعنهما حدثت وبأشعتهما وجدت، فما حصرهما غيرهما كدودة القز وصاحب دولة العزّ، هو من عزّه في حمى فاستوى في إدراكه البصير والأعمى، لأنه لا يتجلى فيرى، ولو تجلّى لمنع من الوصول إليه المقام الأحمى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] فعمرت الأشعة الرفع والخفض، فحدثت الهالة في انتهاء الخلا، وفي داخل الهالة كان وجود الملأ، فهو من حيث الهالة المحيط وهو معنا أينما كنا في مركب وبسيط، فما خرجنا عنه، وكل ما في السموات وما في الأرض خلقه جميعاً منه، فانظر ما أحكم هذه الأمور ورد الإعجاز على الصدور، واتل قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورىٰ: ٥٣].

ومن ذلك من بلي بالأشد في تحري الأسد من الباب ٣١٩: أصدق القول ما جاء في الكتب المنزلة والصحف المطهرة المرسلة، ومع تنزيهها الذي لا يبلغه تنزيه، نزلت إلى التشبيه الذي لا يماثله تشبيه، فنزلت آياته بلسان رسوله، وبلغ رسوله بلسان قومه، وما ذكر صورة ما جاء به الملك وهل هو أمر ثالث ليس مثلهما أو هو مشترك؟ وعلى كل حال فالمسألة فيها إشكال، لأن العبارات لحننا والكلام لله ليس لنا، فما هو المنزل والمعاني لا تنزل إن كانت العبارات فما هو القول الإلٰهيّ وإن كان القول فما هو اللفظ الكياني وهو اللفظ بلا ريب، فأين الشهادة والغيب، إن كان دليلاً فكيف هو أقوم قيلاً، وما ثم قيل إلاّ هذا القيل، وهو معلوم عند علماء الرسوم فتحقق ولا تنطق.

ومن ذلك العصمة في الإلقاء باللقاء من الباب ٣٢٠: هو الحافظ بالحرس فهو الملحوظ في العسس، لأن الحليم الأوّاه لا يعلم حافظاً سواه، لكن يعطيه الأدب أن لا يظهر من النسب، سوى نسب التقوى وفيه رائحة الحراسة والحفظ الأقوى، فقد صرّح وإن لم يتكلم، وقد أبهم فيما أعلم وما أوهم، ولما أقام العصمة مقام الحرس لم يجنح إلى العسس، وطالما كان يقول من يحرسنا الليلة مع علمه بأن المقدور كائن والحارس ليس بمانع ما قدّر

ولا صائن، لكن طلب المعبود بذل المجهود، وهو يفعل ما يشاء وهذا من الأمور التي شاء، وما يشاء إلا ما علم وما علم إلاّ ما أعطاه الذي هو ثم.

ومن ذلك كيف للخلق بردّ دعوة الحق من الباب ٣٢١: صورته ردّت عليه، وبضاعته ردّت إليه، وما أشبه ذلك بالصدى، إذا ظهر بدا، فتخيل الصيت أنه غيره وما هو إلاّ عينه وأمره، وما هو الصدى في كل مكان، كذلك ما هذا الإدراك لكل إنسان، بل ذلك عن استعداد خاص غيره منه في مناص، وإن كان من أهل المباص، الحق وإن كان واحداً فالاعتقادات تنوّعه وتفرّقه وتجمعه وتصوره وتصنعه، وهو في نفسه لا يتبدل وفي عينه لا يتحوّل، ولكن هكذا يبصره بالعضو الباصر في هذه المناظر فيحصره الأين ويحدّه الإنقلاب من عين إلى عين، فلا يحار فيه إلاّ النبيه، ولا يتفطن إلى هذا التنبيه إلاّ من جمع بين التنزيه والتشبيه، وأما من نزّه فقط أو من شبّه فقط فهو صاحب غلط، وهو كصورة خيال بين العقل والحسّ، وما للخيال محل إلاّ النفس، فإنها البرزخ الجامع للفجور والتقوى المانع.

ومن ذلك الذاهب في جميع المذاهب من الباب ٣٢٢: من ذهب في كل مذهب لم يبال في أي طريق ينهب، من شرد عن كناسه فقد تعرّى عن لباسه، ومن فارق خيسه فقد عرّض بنفسه النفيسة أن تتحكم فيها النفوس الخسيسة، الأسد لا يبرح من أجمته لعلوّ همّته، قد تعشق بمقام تقديسه بتعريسه في خيسه، تتردّد إليه أوباش السباع، وهم أهل الدفاع والنزاع، ألا ترى إلى المتناظرين في مجلس الملك يتنازعون في الكلام، ومقدم الجماعة الذي هو الإمام ساكت في مقامه، وهم يتفقهون بنزاعهم في عين كلامه، فإن تكلم بكلمة فهي الفصل لأنه الأصل، فإن نازعه الحديث أحد القوم أساء الأدب فاستوجب الأدب.

ومن ذلك تواتر النقلة وتضاعف الحملة من الباب ٣٢٣: إذا اجتمع أهل النحل والملل وجاء الحق في الظلل للقضاء الفصل، وليس إلاّ ردّ الفرع إلى الأصل، هنالك تظهر العلل، وما يحمد وما يذمّ من الجدل، وأرباب الدولة مصطفون والوزعة حافون: [البسيط]

كأنما الطَّيْرُ منهم فوق أرؤُسِهِمْ لا خَوْفَ ظُلْمٍ ولكن خَوْفَ إجْلالِ

هم أهل الهيبة لا الغيبة، وأصحاب الوجود لا الخيبة، وتطاير الكتب فتتميز الرتب، فمنهم الآخذ بيمينه لقوّة يقينه ومنهم الآخذ بشماله لإهماله، ومنهم الآخذ من وراء ظهره لجهله بأمره، لأنهم حين أتاهم به الرسول نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً في الدنيا فبئس ما يشترون في الأخرى، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون، باعوا العالي بالدون، وابتاعوا الحقير بالعظيم فهم المغبونون.

ومن ذلك علم ما كتب وكيف رتب من الباب ٣٢٤: الكتابة للعليم والترتيب للحكيم، ما رتبت الحكمة حتى حققت علمه، فلما علمت علمه في خلقه رتبته على وفقه، ومن وقف مع هذا النظر الأوّل حار في افعل ولا تفعل، وإن كان الأمر والنهي من جملة ما أعطته الحكمة فعلم فلا يرى له أثر فيما سبق من الحكم الذي حكم، وهذا هو السرّ المبهم الذي لا يعلم، ولو قدرنا أنه علم كتم، أين الاضطرار من الاختيار؟ وأين الاقتصار من الاقتدار؟ وأين

التدبير من نفوذ الأقدار؟ ماء ونار ما التقيا إلاَّ لأمر كبار، علم في رأسه نار يعرفه المقربون ويجهله الأبرار، لو انجلى الغبار لعرف الإنسان هل تحته فرس أو حمار.

ومن ذلك ملك الملك في الملك من الباب ٣٢٥: خادم القوم سيدهم فهم الملوك، فلولا الأسماء ما كان السيد المملوك، وإذا كانت الأسماء لها الحكم فقد ارتفع الظلم المسمّى بحكم اسمه فانتبه فإنه يجيب إذا دعي به، فانظر ما أعجب مرتبة الاسم، وما أعطى من الأثر في الرسم، لا يجيب الحق إلاَّ من دعاه ولا يدعى إلاَّ بأسمائه وهي علم أوليائه وأنبيائه، السيد يستخدم العبد بمقاله، والعبد يستخدم السيد بحاله، ولسان الحال أفصح من لسان المقال، لأن الأحكام التي تتضمنها الأقوال إنما تعرف بقرائن الأحوال، فإن الاصطلاح قد لا يكون له في كل باب مفتاح، ولا سيما النصوص وبهذا العلم يتميز العموم من الخصوص، فللَّه رجال كالعرائس على الكراسي يأكلون من حيث لا يعلمون.

ومن ذلك مقاومة الخلق الحق من الباب ٣٢٦: المقاومة تكون بالمحمود فيحمدون، وتكون بالمذموم فيذمون، فقوم يقاومونه بالصبر وإن قالوا مسّنا الضرّ، وقوم يقاومونه بالرضى والتسليم لما به قضى، والسعيد من العبيد من كان مع الله كما يريد، فإن أراد منه النزاع نازع، وإن أراد منه المدافعة دافع، فهو بحيث يراد منه لا بحيث ما يصدر عنه، أجرأتهم عليه الأحوال وما جاءت به في رسالاتها الأرسال، لولا الفرح الإلٰهي ما تاه التائب، ولولا التبشيش الرباني لزم المسجد وما كان يتصف بالآتي والذاهب، الفاعل منفعل ولكن للمنفعل.

ومن ذلك الإطلاق تقييد في السيد والمسود من الباب ٣٢٧: ما دام الروح في الجسد فهو ميت في قبره رقد، فمنهم النائم نومة العروس ومنهم النائم نوم المحبوس، وكل واحد من هذين مقيد مع أن أحدهما مخذول والآخر مؤيد، فإذا جيء به في موته إلى حشره وبعثر ما في قبره، عاد إلى أصله ووصل ما كان من فصله، ولذلك قال: من تعينت كرامته وثبتت رسالته عندما دلّت عليه علامته من مات فقد قامت قيامته، وهذه قيامة صغرى وسأحدث لك من القيامة الكبرى ذكراً، وذلك إذا زوّجت النفوس بأبدانها لكونها ما زال عنها بالموت حكم إمكانها، وكان الطلاق رجعياً والحكم حكماً شرعياً، فتلك القيامة الكبرى الآخرة فهي كالردّ في الحافرة، وما هي في الحكم كالحافرة، ومن توهم ذلك قال: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢] إنما أشبهتها في عدم المثل ولكن ما زالت عن الشكل.

ومن ذلك فتنة المال والولد في كل أحد من الباب ٣٢٨: لولا إمالة المال ما تميز الرجال، ولولا أن الولد قطعة من الكبد ما علم أنه من سكان البلد، ما خلقه الله في كبد إلاَّ ليشفق عليه كل أحد، فمن أشفق فقد وافق ما ندب إليه الحق، ومن لم يقل بالوفاق عدم الإشفاق، وما يلزم من ثبوت العلة ظهور سلطانها في كل ملة، فإنه ما خلقنا إلاَّ لعبادته، ومنا من خذله الله فلم يقل بسيادته، ومنا من لم يفرده بالسيادة ولا أخلص له العبادة، مع ثبوت العله وما أثبتتها كل نحله، فليست المحن بعين زائدة على الفتن هي عينها وكونها، فالاستكثار

من المال هو الداء العضال، من وقف مع إلحاق المتمني بالمتصدق الغنيّ عرف الأمر فلم يطلب الكثر.

ومن ذلك المنافق موافق من الباب ٣٢٩: إنما وافق المنافق لما تعطيه الحقائق هو ذو وجهين، لما رأى الأمر اثنين، وخلق من كل شيء زوجين، والعالم على الصورة فأين تذهبون أين؟ لم يقف على العين إلاّ ذو عينين الواقف بين النجدين، إذا اتصف الناظر الخبير بالنظر في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] تحقق عند ذلك وتبين ما أخفى له في هذه الآية من قرة عين، فجمع بين التنزيه والتشبيه وهو مقام المقرب الوجيه، فالسوق نفاق فما أصاب إلاّ أهل النفاق: [البسيط]

يـومـاً يَـمَـانٍ إذا أبْـصَـرْتَ ذا يَـمَـنٍ وإن لاقَـيْـتَ مَـعَـدِّيّـاً فـعَـدْنَـانـي

وهو معكم أينما كنتم، مع اختلاف العقائد وهذه كثرة الواحد، فما جمعه إلاّ الإمّعة فلا يكون إمّعة إلاّ صاحب هذه السعة.

ومن ذلك إجابة النداء في الصباح والمساء من الباب ٣٣٠: لما أراد الحق من عباده المناجاة في مساجد الجماعات، أمر بإعلان الأذان لأصحاب السمع والآذان، فمن لم يكن له أذن واعية ما سمع وإن سمع داعية، هنالك يظهر الاعتناء بمن اعتنى به ممّن لم يعتن، فمن أجاب الداعي فهو صاحب السمع الواعي، وما للأحدية في النداء أثر ولا في شجرتها ثمر، فالله أكبر مفاضلة، ولا إله إلاّ الله مفاضلة، والرسالة مفاصلة عن مواصلة، والحيعلتان مقابلة، والندا يؤذن بالبعد والأذان دليل على عدم عموم الرشد، فإن رعاة الأوقات عارفون بالميقات، فما شرع الأذان إلاّ لمن شغلته الأكوان، وما ثم إلاّ مشتغل لأنه بالأصالة منفعل.

ومن ذلك التجارة محل الربح والخسارة من الباب ٣٣١: تجار الأسفار أهل تمحيص واختيار، ومن أجلهم شرع الصلاة في الأسفار، وتجار الإقامة لهم الدعة والكرامة، هم تلامذة المسافرين فيما يتعرّفونه منهم ويأخذونه عنهم، فمن ربحت تجارته فهو المهتدي، ومن خسرت تجارته وبارت فهو المعتدي، من كان سفره إليه وكان نزوله عليه فلا يحيط أحد علماً بما حصل له من الأرباح لديه، المجاهد تاجر وقد ينصر الله دينه بالرجل الفاجر، فهو كالعدة ما هو في الفضل كمن أعدّه العدد لا تنعم بالأرباح وإنما هي للمستعدين كالمفتاح، به يتوصل إلى فتح الباب وهو حظه من الاكتساب، رخت المجاهد مساعد، وأما التاجر المقيم فهو الذي لا يريم، قد لزم الدكان وقال بالمكان، وما تيسر ممّا كان من الإمكان، وبالاستكانة حصل المكانة.

ومن ذلك عند الامتحان يعزّ المرء أو يهان من الباب ٣٣٢: [الخفيف]

وإذا مـا خُـلِّـي الـجَـبَـانُ بـأرْضٍ طَـلَـبَ الـطَّـعْـنَ وَحْـدَهُ والـنِّـزَالاَ

إذا اجتمعت الأقران كان الامتحان، هنالك يتقدم الشجاع ويتأخر الجبان، فالمتقدم يكرم والمتأخر يهان، إلاّ من انحاز إلى فئة أو كان متحرّفاً لقتال، فإنه من أبطال الرجال، ومن أهل المكر المشروع والاحتيال، والحرب خدعة وإن أساء في الحال السمعة، فإن العاقبة

تسفر عن مراده بما قصده في جهاده، وعلى قدر دعوى الإيمان يكون الامتحان، فالمؤمن ما هو في أمان إلاَّ في الدار الحيوان، وأما في هذه الدار فهو في محل الاختبار، فإما إلى دار القرار وإما إلى دار البوار، ما هي منزل الشقاء دار القرار.

ومن ذلك الإيثار ليس من صفات علماء الأسرار من الباب ٣٣٣: ما هو لك فما تقدر على دفعه، وما ليس لك فما لك استطاعة على منعه، فأين الإيثار والأمر أمانه، فأدّها إلى أهلها قبل أن تسلبها وتوصف بالخيانة، فأعطها عن رضى قلبك تفز برضا ربك، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا: [البسيط]

لله قَوْمٌ وُجُودُ الحَقّ عَيْنُهُمُ ... هُمُ الأَحْيَاءُ إن عاشوا وإن ماتوا
هم الأَعَزُّ لا يدرون أنّهُمُ ... هُمُ ولا ما هُمْ إلاَّ إذا ماتوا
لله دَرُّهُمُ من سادةٍ سَلَفُوا ... وخَلّفونا على الآثار إذ ماتوا
لا يأخذ القَوْمَ نَوْمٌ لا ولا سِنَةٌ ... ولا يَؤُودُهُم حِفْظٌ ولو ماتوا
رايتهم وسَوَادُ اللّيل يستُرُهم ... عن العيون قياماً كلما ماتوا
فكيف بالشمس لو أبدت محاسِنَهُم ... أقْسَمْتَ بالله أن القَوْمَ ما ماتوا
وكُنْتَ تصدقُ أن الله أخبرنا ... عن مثلهم أنهم والله ما ماتوا
أحياء لم يعرفوا مَوْتاً وما قُتِلُوا ... في مَعْرَكٍ وذوو رزق وقد ماتوا
فلو تراهم سُكَارَى في مَحَارِبِهِمْ ... لقلتَ إنهُمُ الأحيَا وإن ماتوا
الله كَرَّمَهُم الله شَرَّفَهُمْ ... الله يُحْييهم به إذا ماتوا
لقد رأيتهم كشفاً وقد بُعِثوا ... من بعد ما قُبِروا من بعد ما ماتوا

ومن ذلك تجلّي الحق في كل آية للعارفين من أهل الولاية من الباب ٣٣٤: ظهور الحق في كل صورة دليل على علوّ السورة، وبرهان على عموم الصورة عند من عرف سوره، ما تميّز الرجال إلاَّ بالأحوال في الأعمال، من قام برجله فزل فعن سعادته قد انعزل، السابق بالخيرات هو الساعي وهو صاحب السمع الواعي، وأما المقتصد فهو ما زاد على زاده على قدر اجتهاده، وأما الظالم فهو المحكوم عليه ما هو الحاكم، والكتاب قد شمل الجميع وإن كان فيهم الأرفع والرفيع، فالكل وارث فإنه حارث، وأصحاب السهام متفاضلون فمنهم المقلون ومنهم المكثرون، ومن قال إن الفرائض قد تعول فما عنده خبر بما يقول، فإنه من عمل بموجب القول لم يقل بالعول.

ومن ذلك الاستخلاف خلاف من الباب ٣٣٥: القول بالنيابة ممّا سبقت به الكتابة، لولا الكتاب ما كان النواب، ليس العجب ممّن ساء سبيلاً مع كونه أقام على ذلك دليلاً، وإنما العجب ممّن اتخذ مستخلفه وكيلاً، فلولا الأمر الربانيّ لردّه الأدب الكياني، ما أجهل الناس بمواطن الأدب وهو الذي أدّاهم إلى العطب، الحكم للمواطن في الظاهر والباطن، فقد يكون ترك الأدب أدباً والقول بترك السبب سبباً، الأسباب موضوعة بالوضع الإلهي فما لها من رافع، ومن قال برفعها فإن عذاب ربه به واقع، لأنه لدعواه في رفعه يبتلى، وبالابتلاء تحصل

له الدرجات العلى، ولا يقدر على رفع الابتلاء لأنه مخاطب بالعمل المشروع والاقتداء، فقد قال بالسبب في رفع السبب.

ومن ذلك القلوب مساقط أنوار علوم الأسرار من الباب ٣٣٦: الوقائع للأولياء والوحي للأنبياء، وقد يكون المثل للرسل وغير الرسل، الملائكة لا تزال تنزل بالتنزيل على قلوب أهل الجمع والتفصيل، ولكن لا تشرع إلاَّ لنبيّ أو رسول مضى زمن الرسالة والنبوّة وبقي الوحي فتوة، فإن ورد بحكم متصوّر فإنما هو إخبار بشرع قد تقرر، فليعول الولي عليه وليستند في العمل به إليه، وإن وهنت روايته في الظاهر فهو الصحيح، وإن ورد ضعف الصحيح في الظاهر فالعمل ممّن ورد عليه به عمل في ريح ويجني العامل به ممّن ليست له هذه المنزلة جبره، ويسعد الله به غيره، فلا يكن ممّن شقي بعدما لقي.

ومن ذلك الإنسان مخلوق على صورة الرحمٰن من الباب ٣٣٧: إنما يرحم الله من عباده الرحماء، فارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمٰن وهي الصورة التي خلق عليها الإنسان، فمن وصلها وصل وهو عين وصلها، ومن قطعها قطع وهو عين فصلها، فالرحمٰن لها فاصل والإنسان لها واصل، فإن الشجنة قطعة فانظر في هذه المحنة، أين التخلق بأخلاق الله عند المتعطش الأوّاه؟ فمن قطعها تخلق ومن وصلها عمل بما شرعه الحق، فاقطعها عنك تكن متخلقاً، وصلها به تكن متحققاً، فإنه كذا فعل وبهذا الوحي علينا نزل، فإن لم تتخلق بها على هذا الحد فما وفيت بالعقد، فكما هي شجنة منه هي شجنة منك، فخذ ما قطع عنه ليأخذ ما قطعت عنك، هذا هو السحر الحلال لا ما تقوله ربات الحجال، هم في الأجنة ما ولدوا وفي الأكنة ما شهدوا.

ومن ذلك السرار يشفع الأبدار من الباب ٣٣٨: الهلال وتري المحتد، شفعي المشهد، والقمر بالنص له الصورة والمقدار بالزيادة والنقص، لأنه وإن لم يرجع على معراجه فهو على منهاجه، فما من دور إلاَّ وهو حور لا كور، والسرار يشفع الأبدار من غير الوجه الذي تدركه الأبصار، فيسمه الحق سمة المحق، من كان ذا وجهين فبذاته صير نفسه اثنين، فهو البرزخ لنفسه كالميت في رمسه، ميت عند السميع البصير حيّ عند منكر ونكير، هو المتكلم الصامت كما هو الحيّ المائت، فما أنار إلاَّ أظلم وما أسفر إلاَّ أعتم، صورة الحق مع خلقه طلوع الشمس في البدر من أفقه.

ومن ذلك تكرار الرؤية لحصول المنية من الباب ٣٣٩: لما انسحبت الحدود على الأمثال قيل بتكرر الأشكال، وهي مسألة فيها إشكال، هل هذا الأمر المدرك بالبصر في الزمن الثاني المتصوّر؟ هل هو ذلك العين المقرّر ما برح أو زال ثم عاد فتكرّر؟ أو هذا مثل الماضي حدث فتصوّر؟ فإن كان مثل رجوع الشمس فما فيه لبس، فإن الشمس لا مستقر لها عند من علمها وما جهلها، ولها مستقر يراه عين المؤمن في الإيمان بالخبر ولها بهتة، ولهذا تطلع من المغرب بغتة، مع كونها ما سكنت عن حركتها ولكن حيل بينها وبين بركتها، فلم ينفع

بطلوعها إيمان ولا عمل ولحق أهل الاجتهاد بأهل الكسل، فترى ربك مراراً ولا تعقل تكراراً، وذهبت المثل باندراس السبل.

ومن ذلك الأرض مهاد موضوع والسماء سقف مرفوع من الباب ٣٤٠: لولا الأنوار ما طلب الاستظلال، ولا ظهرت من الكثائف الظلال، فهو نكاح موجود وعرس مشهود، وكتاب معقود، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، فلا بدّ من قرش في عرش، فهي المهاد الموضوع، وأنت السقف المرفوع، بينكما عمد قائم عليه اعتماد السبع الشداد، لكنه عن البصر محجوب فهو ملحق بالغيوب، ألم تسمع قول من أوجد عينها فأقامها بغير عمد ترونها، فما نفى العمد لكن ما يراه كل أحد، فلا بدّ لها من ماسك وما هو إلاّ المالك، فمن أزالها بذهابه فهو عمدها المستور في إهابه، وليس إلاّ الإنسان الكامل وهو الأمر الشامل، الذي إذا قال الله ناب بذلك القول عن جميع الأفواه فهو المنظور إليه والمعول عليه.

ومن ذلك ركن الرياح مسرح ذوات الجناح من الباب ٣٤١: إن الريح كان عند الله وجيهاً والله يزجي السحاب والعين تشهد أن الريح يزجيها: [البسيط]

إنّ السَّحَابَ التي الرحمٰنُ يُزْجِيهَا ... العَيْنُ تَشْهَدُ أنّ الرِّيحَ تُزْجِيهَا

فمن النائب فهو الصاحب، فاجعل النائب من أردت إن شئت من غاب وإن شئت، من وجدت بالريح كان النصر والدمار فاختلفت الآثار، والعين واحدة صالحة فاسدة تطفي السراج وتشعل النار، والهبوب واحد من عين واحد، واختلفت الآثار ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣] ما ذاك إلاّ لاختلاف استعداد المحل، ومن عرف ذلك عرف اختلاف الملل في النحل، فلكل ملة نحلة، كلاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، فأنزل نفسه منزلة الأهواء، فأمد النار بالاشتعال والسراج بالانطفاء، لتنظر في حقائق الأشياء، فمن نظر في حقائقها عاش عيشة السعداء، فكن من الأمناء، فلا تدع شيئاً من هذه الأسرار الإلٰهية إلاّ لأهلها بطريق الإيماء، فإن الله أقدر على ظهورها ولكن حجبها بنورها.

ومن ذلك علم المركب والبسيط في المحاط والمحيط من الباب ٣٤٢: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] عند من رزقه الله فهماً، فلا تعمّ الإحاطة كل شيء إلاّ إذا كانت معنى، وهذا القول انقلوه عنا، فإن زالت عن هذه المنزلة فقد زالت تلك التكملة، فهي إحاطة فيما أحاطت به، وهذا الأمر مرتبة، لا يحيط البسيط بالمركب لأن البسيط لا يتركب: [الكامل]

إن البَسِيطَ إلى البَسِيطِ بَسِيطُ ... فهو المُحَاطُ ولو تراهُ يُحِيطُ

هو المحاط لأن القلب وسعه، وهو المحيط لاستوائه وهو الإمَّعَة، لكن منعت الحقيقة أن يقال مثال هذا المقال، فكل شيء لا يخرج عن حقيقته ولا يعدل به العالم عن طريقته، ما في الوجود إلاّ التركيب، هكذا شهده أهل الفطنة والتهذيب، ما عقلت ذاتاً إلاّ لعينها، وما عقلتها لعينها إلاّ من حيث كونها، فإنها لذاتها آله فلا بدّ من على من ليثبت سواه والسوى، يطلب زيادة حكم على العين فلا بدّ من التركب في الكون لمعقولية الاثنين، وتحقق الشيئين، وهذا لا يخفى على ذي عينين.

ومن ذلك علم التحجير في الأدب مع السراج المنير من الباب ٣٤٣: إذا كانت السور تملى والآيات تتلى فاستمع وأنصت لعلك ترحم بالفهم فترتجع، فاعلم فالرجوع إنك تعلم، فإن خالجته فيها حرّمت عليك معانيها، فالزم بيتك، وجهّز ميتك، وفكّر في موتك، واخفض من صوتك، فإن البررة الكرام لا يحبون رفع الصوت بالكلام، لأن الجهر ظهور وهم أهل وتر وغيب مع أنهم نور، فهل خفاؤهم لشدة ظهورهم أو هو لسدل ستورهم؟: [الرمل]

أخبروني أخبروني حَقِّقُوا ... وإلى عَيْنِ طَريقي طَرِّقُوا
فإذا كنتم كما قلتُ لكم ... فاعلموا أنكم لم تَمْرُقُوا
ثم حُزْتُمْ قَصَبَ السَّبْقِ لكم ... وكذا السابق من لا يُسْبَقُ

ذكر الله كشف الغطاء عن البصر، فما هو ذلك الغطاء الذي إذا زال جاء مثل هذا العطاء القرين صاحب في الشاهد والغائب، فمن عرف قدر صاحبه فقد قام بواجبه، والقرين عند أهل المعرفة لا بدّ أن تكون على صفة، فاعتبرها في صحبته وحذار من غدرته، وقد يغدر الصاحب في بعض المذاهب، رسول الله ﷺ قبل من الذي أتى إليه مسلماً إسلامه وصحبته وما قبل غدرته ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] لمن سمع القول فاتبع أحسنه.

ومن ذلك من افتتح بالمنح من الباب ٣٤٤: المنحة مردودة إلاّ منحة الحق فإنه ما ثم على من ترد لأنه ما يشبه الخلق لا يقبل المنافع وهو النافع، فتح الغيوب على ضروب، فالكل في كل زمان ونفس في مزيد، لكن بعض العالم في لبس من خلق جديد، المبايعة تشهد بالمنازعة، فإن مبناها على السمع والطاعة، وموافقة الجماعة، ومن شذّ شذّ إلى النار بذا جاءت الأخبار، من عرف قدر الإمام لم يقع فيه وإن جار بملام أتركه، ومن استخلفه فإن أمنه أمنه، وإن خوفه خوفه، من عرف قدر السلطان لم يعصه، وإن عصى الله فيه لم يستقصه، انظره مجبوراً مسيراً لا تنظره مختاراً مخيراً، واسترح عليه واستند إليه، فهو الظلّ من آوى إليه لم يلحقه ذل.

ومن ذلك علم الأسرار في الأنهار والبحار من الباب ٣٤٥: علم الاستنباط لأهل البساط علم الأحوال لمن شهد الأهوال، العلم السهل لمن كان من الأهل، علم الإنتاج لأصحاب المعراج، وعلم الأسماء والرسوم لمن جمع هذه العلوم، وقد انحصر أصحابها في السبعة من العدد وهم الأبدال عند كل أحد، فمنهم المنفرد بعلم واحد، ومنهم الجامع من غير أمر زائد، ومنهم الجامع بين اثنين لذي عينين، ومنهم الفائز بالثلاث وهو صاحب الميراث، الحائز جميع المال فله الكمال، وما ورث الله إلاّ الكتاب لذوي الألباب، فهم ورثة النبيّ لا ورثة الوليّ، فإنه لا يورث إلاّ الميت الراحل عن البيت، والحق لا يفارق فتدبر هذه الحقائق.

ومن ذلك في الكثبان تسامر الخلان من الباب ٣٤٦: أصحاب الحذر ما لهم هذا السمر لأصحاب السمر الغيوب، وإن انكشفت للقبائل والشعوب، فإن القبائل لهم فيها الباع المتسع

الطائل، وأما الشعوب فريحهم دون ريح القبائل، في الهبوب لا يبلغ الأعاجم مع اعتلائها في سمائها مبلغ الأعراب، دليلنا الخيول العراب، الإعجام إبهام، والإعراب إبانة الكلام، ما منع المعارض إلاَّ من العربي لا من الأعجمي، اختصّ الإعجاز بالقرآن، وإن كانت الكتب المنزلة كلام الرحمٰن، لكن البيان والشرف والامتنان، والمجد العظيم الشان إنما ظهر في اللسان عند البيان.

ومن ذلك المنزلة الرفيعة في التزام الشريعة من الباب ٣٤٧: لا تتبع إلاَّ ما نزل به الروح عليك، وجاء به الملك أو الإلقاء إليك، وإن كنت ولياً فإنك وارث نبياً، فما يجيء إلى تركيبك إلاَّ بحظك من الورث ونصيبك، فانظر ما سهمك وما هو قسمك؟ فذلك علمك، فلا تشرع حكماً وقل رب زدني علماً. ثم اعلم أيها الولي الأكرم، أنك وإن ورثت علماً موسوياً أو عيسوياً أو غيرهما ممّن كان من الرجال بينهما، فإنما ورثت علماً محمدياً ساويت فيه ذلك النبيّ لعموم رسالة محمد، الحائز المقام المحمود العليّ إليه ترجع عواقب الثناء، فهو صاحب جوامع الكلم المسماة بتلك الأسماء، فلآدم الأسماء ولمحمد الاسم والمسمّى والجامع لهما لا شك أنه صاحب المقام الأسمى وحجاب العزّة الأحمى.

ومن ذلك علم الانتكاس والانعكاس في النور والنحاس من الباب ٣٤٨: الكواكب الثوابت بيوت مظلمة وكذلك السيارة، وما عادت نجوماً نيرات إلاَّ بأنوار مستعارة، وتكفيك إن كنت عاقلاً هذه الإشارة، ألا ترى إلى ما نجم من ذوات الأذناب في ركن النار لرجم الأشرار، ولم تزل نجوماً وما كانت رجوماً، حتى جاء صاحب البعث العام إلى جميع الأنام، من الإنس والجان ولهذا قال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣١] فلو ابتغى الربح باستراقه رشداً ما وجد له شهاباً رصداً، فحيل بينه وبين السمع لما نواه من عدم النفع، فصاروا جهلا وقد كانوا علما، فإذا طمست النجوم علم عند ذلك ما فات الناس من العلوم، فإذا انفطرت السماء ويحق لها أن تنفطر، انكدرت النجوم بما ترميهم به من الشرر.

ومن ذلك منزلة من وهب الفضة والذهب من الباب ٣٤٩: لا يخفى على ذي عينين الفرق بين الذهب واللجين، أين الإنسان الحيوان من الإنسان المخلوق على صورة الرحمٰن، هو النسخة الكاملة والمدينة الفاضلة، الذهب لا ظل له فـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] والفضة على نصيب من الظلّ لما فيها من الطل وما لظلها فيء، فالنور الخالص للعين والممتزج للجين، الذهب نور على نور، واللجين فار التنور، وليس سوى تنفس الصباح وتبسم فالق الإصباح، إن كان الحق فما خلقه إلاَّ بشمسه، وإن كان الشمس فالحق على عزّته في قدسه، ومن قدسه أن يكون فالقاً كما كان لأرضه وسمواته فاتقاً، فالرتق لها من ذاتها والفتق عرض لها من صفاتها، إذ لو لم يكن لها قبول الفتق ما حكم به الفاتق على الرتق، والفاتق الفالق بلسان الحقائق.

ومن ذلك من فصل ما وصل من الباب ٣٥٠: حكمة التفصيل لظهور وجه الدليل، إذ في جبلة كل ملة طلب الأدلة، لأنهم لم يكونوا ثم كانوا، ووجدوا في نفوسهم افتقاراً خضعوا

له واستكانوا، فقالوا من أو إلى من لا بدّ على أعياننا من زائد، ولا بدّ أن يكون له حكم الواحد، وإن اتصف بالكثرة وطريق النسب فهي غير مؤثرة في ذات هذا النسب، فهو الواحد الكثير لأنه الحيّ العليم القدير، ومع أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فهو ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فحكم على نفسه بحكم الجماعة وإن كان العقل يحكم فيه بالشناعة، فالرجوع أولى إلى قوله، ولا يصرفنك عنه صارف استشناعه وهوله، فإنه لو أثر في نزاهته وقدسه ما نسب ذلك إلى نفسه، فالذي هو عندنا تشبيه هو عند الله تنزيه، من نزول وفرح واستواء، وكينونة في سماء، وعرش وعماء.

ومن ذلك المشاورة محاورة من الباب ٣٥١: المشاورة وإن دلّت على عدم الاستقلال بجودة النظر فهي من جودة النظر، وإن نبهت على ضعف الرائي فهي من الرائي، عرض الإنسان ما يريد فعله على الآراء دليل على عقله التام ليقف على تخالف الأهواء، فيعلم مع أحدية مطلوبه أنه وإن تفرد فله وجوه تتعدد، وأي شيء أدل على أحدية الحق من مشاورة الخلق، لا يطلع على مراتب العقول إلاّ أصحاب المشاورة ولا سيما في المسامرة، فإنها أجمع للهم والذكر، وأقدح لزناد الفكر، ومن هنا تعرف ما يحصل لأهل الليل من جزيل النيل، في نزول الحق من عرشه إلى سمائه في الثلث الباقي من الليل، تهمماً بعباده من أولياءه، ليهبهم من آلائه ونعمه، ما يقتضيه عموم جوده وكرمه.

ومن ذلك المؤمن من لا يفضح الكاذب ويصدّق المؤمن من الباب ٣٥٢: الكذب وجود فإنه عن شهود، محله النفس وإن لم يكن من مدركات الحسّ، وعلى الحقيقة فإنه محسوس في مقام التقديس، والحسّ أشرف من العقل لما فيه من الإطلاق فله السراح بالاستحقاق، وإنه المحيط بما تعطيه الأوهام وإن أحالته الأحلام، والعقول قاصرة عن نسبة الوجود إلى هذه الأعيان المتخيلة الحاصرة، وما سمّي الصدق إلاّ لصلابته في تنوّره لأنه ينكر ويغالط نفسه فيما نواه صاحبه من طريق وهمه وخياله في تصوّره، فلا يقدر على جحد ما أدرك ويقضى عليه في حال وجوده بالعدم، فما أعظمه من مهلك فهذه مسألة ضلّ بها كثير واهتدى بها كثير، وما ضلّ به إلاّ الفاسقون، ولكن أكثر الناس لا يشعرون.

ومن ذلك الجمرات جماعات من الباب ٣٥٣: الجمرة قد تكون جماعة الأموات، والزمرة لا تكون إلاّ جماعة لها أصوات، ما حصل المنى في جمرات منى إلاّ لكونها حازت مقام التحصيب، فأفادت أهل النظر والتهذيب، فكبر عند كل رمية لما رآه بلا مرية، فما حصب إلاّ من له وجود وإن له لم تدركه عين الشهود، لكن أدركوه بالإيمان فقام لهم، مقام العيان، وأدركه الجاهل ومن ورثه بعينه في عين كونه فكانت أسماء إلٰهية، أذهبت أسماء وأنباء مسموعة. أعدمت أنباء اشتركت جمرات منى، وجمرات الزمان في التثليث والتسبيع، لاجتماعهما في المقام الرفيع، فالجمرة الدنيا لأصحاب النسب الإلٰهيّ ديناً ودنيا، وأهل الجمرة الوسطى للمحافظين على الصلاة الوسطى، وجمرة العقبة لها الانفراد والتقدّم بالمرتبة.

ومن ذلك الجواد ذو جواد من الباب ٣٥٤: لا تقل وصلت فما ثم نهاية، ولا لم أصل فإنه عماية، ليس وراء الله مرمى وهنالك يستوي البصير والأعمى، الناظر إليه ينتهي ويقف وصاحب الكشف فيه يكشف ويعترف، لا يشكو الجواد إلاّ الجواد فإن الجود يخلي الخزائن لما تطلبه الكوائن، والمحدث في الدنيا محصور وبالمشيئة الإلٰهية مقهور، فعلى قدر ما يعطي يهب، وإن قيل له اذهب ذهب، لا تخلي المخازن ما دامت المعادن والمعادن عماله والعاملون أصحاب أجر وعماله فإما همة وإما مال ما هنالك آمال، هذه أحوال الرجال، أهل الاتصال في الانفصال، وأهل الانفصال في الاتصال.

ومن ذلك تسوية الصفوف مألوف من الباب ٣٥٥: تسوية الصفوف من تمام الصلاة، والإمداد بالمألوف من كمال الصلاة، فلا يناجيه إلاّ راجيه، ولا يهابه إلاّ إهابه، أنت إهابه ما لم تدبغ، فإذا دبغت فأنت الرسول المبلغ، إما رسول وراثه بتحصيلك ميراثه، وإما رسول مستقل جاءه بيانه، وليس هذا زمانه، فإن باب التشريع قد ضاع مفتاحه وقيد سراحه، فصباحه لا ينبلج وبابه لا ينفرج، وإن خوطب به الكامل الجامع الشامل فهو تعريف بما ثبت وإعلام بما عنه سكت، عليك بالصفوف الأول فمنها تشاهد الأزل، وإياك أن تتأخر فتؤخر وأنت ذو وراء فما ترى، ولا يشهد المحيط إلاّ البسيط، فإن كنت وجهاً كلك فأنت أنت فصل حيث شئت فصل.

ومن ذلك تعشير القرآن في الجنان من الباب ٣٥٦: هذا لسان كما جاء أخذناه وأوردناه كما سمعناه، قال الآتي المواتي: إذا خاطبك الحق بلسان لا تعرفه فقف وقل: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وقال الفرقان نتيجة العامل بالقرآن العظيم وتختلف نتائج القرآن باختلاف نعوته، فالقرآن المطلق يعطي ما لا يعطيه القرآن المقيد، وقد قيد الله قرآنه بالعظمة والمجد والكرم وقال: إذا خوطبت بالرسالة فقف حتى تعلم عمّن أنت رسول فإن الرسالة والنبوّة قد انقطعت بوجود رسالة رسول الله ﷺ وبما أنت رسول ولمن أرسلت وما حظك منها.

ومن ذلك رسالة الأرواح في الأرواح من الباب ٣٥٧: قال: رسالة الأرواح لا تزال دائمة، فإن بيدها مفاتيح نفحات الجود الإلٰهيّ، فمن تعرّض لتلك النفحات أعطته مفاتيحها فنال منها على قدر تعرّضه، وقال: إذا تعرّضت إلى الله تعرّض إليه تعرّضك لجود مطلق وإياك أن تبخله فإن جميع الممكنات في يديه وهي لا تتناهى وأنت لا تطلب إلاّ متناهياً، وقال: لا تعجب من نعت الجواد بالعطاء وإنما العجب ممّن نعته بالإمساك، وقال: ما خلق الله أعجب من الدنيا فمن اعتبرها رأى الأمر على ما هو عليه. وقال: كل ما في الدنيا عجب وأعجب ما فيها وصف الحق بما لا يليق به، وما أطلق الألسنة عليه بذلك إلاّ هو، كما أطلق ألسنة أخرى بتنزيهه عن ذلك، وضرب الناس بعضهم ببعض إلى يوم كشف الغطاء.

ومن ذلك الغرامة شهامة من الباب ٣٥٨: [البسيط]

إذا يُخَصُّ الذي يُوحَى إليه بما ... أَتَى به الوَحْيُ من عِلْمٍ ومن خَبَرِ
من غير معرفةٍ منه بذاك ولا ... يدري به أحَدٌ من سائر البَشَرِ

فـلا يـعـرفـه ولْـيَـلْـزَمْ شَـرائـطَـهُ بـالاتِّـبَـاع الـذي قـد جـاء فـي الأثَـرِ
هـذا هـو الأدَبُ الـمـخـتـارُ جـاء بـه رَسُـولُ رَبِّـكَ فـي الآيـات والـسُّـوَرِ
فـي مـثـل طٰـهَ وفـي مـثـل الـقـيـامـةِ لا تَـعْـدِلْ بـه أدبـاً إن كـنـت ذا نَـظَـرِ
هـذي وَصِـيَّـتُـنـا فـالْـزَمْ طـريـقَـتَـهـا فـإنـمـا أنـت فـي الـدنـيـا عـلـى سَـفَـرِ

وقال: أنت مأمور بأن تعمل شكراً والشكر صفته، والزيادة مقرونة بالشكر منه إليك بالنص، وفيه تنبيه بما يطلبه منك من الزيادة فيما شكرك عليه، فإياك أن تغفل عن هذا القدر، وكن مع الله كما أنت مع نفسك.

ومن ذلك الأعراب سادات الأحزاب من الباب ٣٥٩: قال: الأحزاب شعوب وقبائل، فكن من أهل القبائل فإنهم أكرم أحزاب، ونبيك عربي، وقال: لا تحجم فيحجم عليك كما قال ﷺ: «**لا تُوكِ فَيُوكَى عَلَيْكِ**» يأمر بالجود. وقال: «**إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاء الدِّمَن**» وَهِيَ الجَارِيَةُ الحَسْنَاءُ فِي المَنْبتِ السُّوءِ، فإن الله يقول يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وهو ما يزينه الشيطان من الأعمال، وإن كان لها وجه إلى الحق فالمعدن خبيث، جاء إبليس إلى عيسىٰ عليه السلام فقال له: قل لا إلٰه إلاّ الله فهذه كلمة حق من معدن خبيث، فقال له عيسىٰ عليه السلام: يا ملعون أقولها لا لقولك وأمرك، فما قال لا إلٰه إلاّ الله التي أمره بها إبليس فهذه جارية حسناء في منبت سوء.

ومن ذلك علم الظاهر والتأويل في الحديث والتنزيل من الباب ٣٦٠: قال: ما عصى آدم إلاّ بالتأويل، وما عصى إبليس إلاّ بالأخذ بالظاهر، فما كل قياس يصيب ولا كل ظاهر يخطىء، وقال: إن قست تعديت الحدود، وإن وقفت مع الظاهر فاتك علم كبير، فقف مع الظاهر في التكليف وقس فيما عداه تحصل على علم كبير، وفائدة عظمى، وتخفف عن هذه الأمة، فإن ذلك أعني التخفيف عنها مقصود نبيها ﷺ فيها. وقال: الظاهر مظاهر فتلزمه الكفارة قبل الوطء. وقال: لو أخذوا بالظاهر في كتابهم ما نبذوه وراء ظهورهم، فما أضرّ بهم إلاّ التأويل فاحذر من غائبته. وقال: الخطب عظيم، والأمر مشكل، والمكلف مخاطب بألسنة مختلفة مع البيان الشافي، ولكن العيب والسقم من الفهم السقيم.

من ذلك من أوتي جوامع الكلم فقد أعطي الحكم من الباب ٣٦١: وقال: إذا أيه الله بأحد في كتابه فكن أنت ذلك المؤيه به، فإن أخبر فافهم واعتبر فإنه ما أيه بك إلاّ لما سمعت، وإن أمرك أو نهاك فامتثل، وما ثم قسم رابع إنما هو خبر أو أمر أو نهي. وقال: أنزله في خطابه إياك منزلة الأم من الشفقة فتلقى منه بالقبول ما يورده عليك، فإنه ما خاطبك إلاّ لينفعك. وقال: لا تجعل زمامك إلاّ بيد ربك فإن له كما قال يدين فكما أنه قد أخبرك أن يده بناصيتك اضطراراً فاجعل زمامك بيده اختياراً فتجني ثمرة الاختيار والاضطرار يجمعك بين اليدين، وعلم الله لقد أبلغت لك في النصيحة والذكرى.

ومن ذلك من أهل الكتاب من هو أسعد من ذوي الأحساب من الباب ٣٦٢: قال:

نسب الله التقوى فمن اتقاه فقد صحّح نسبه وهو عبد الله حقاً، وإياك والنسب الطيني فإنه غير معتبر، وما أحسن ما قال علي بن أبي طالب القيرواني: [البسيط]

مـا الـفَـضْـلُ إلاَّ لأهْـلِ الـعِـلْـمِ إنَّـهُـمُ عـلـى الـهُـدَى لـمـن اسْـتَـهْـدَى أَدِلاَّءُ

وقال: قدرك عند الله موازن لقدره عندك، وأنت أعرف بنفسك مع ربك. وقال: لا مفاضلة في كلام الله من حيث ما هو كلامه، فالكتب كلها من آل واحد، والقرآن جامع فقد أغنى وأنت منه على يقين، ولست من غيره على يقين لما دخله من التبديل والتحريف.

ومن ذلك المحو والإثبات في علم الأبيات من الباب ٣٦٣: قال: احفظ على بيوت الله وأشرفها بيتاً قلب المؤمن فإنه بيت الحق. وقال: قوّ أساس بيتك وشيّد أركانه، أساسه التوحيد وأركانه أربعة: الصلاة والزكاة والصوم والحج، وجدرانه ما بين الأركان وهي نوافل الخيرات، ولا تجعل له سقفاً فيحول بينك وبين السماء فتحرم الرؤية، لا تكن نفسك فيه بالسقف فإن الغيث إذا نزل لا يصل إليك منه شيء وهو رحمة الله رحم به عباده. وقال: لا تسكن من البيوت إلاَّ أضعفها فإن الخراب يسرع إليها فتبقى في حفظ الله لا في حفظ البيت، فإنه من لا بيت له احفظ على رحله ممّن له بيت فيه رحله. وقال: الأمور إذا تناقضت وهي متناقضة بلا شك فاعمد إلى أقربها إلى الحق فاعتمد عليه، وأقربها إلى الحق من يسرع إليه الذهاب والزوال فيبقى الحق الذي هو المطلوب.

ومن ذلك أخبار الأنبياء مسامرة الأولياء من الباب ٣٦٤: قال إذ ولا بدّ من الحديث فلا تتحدث إلاَّ بنعمة ربك، وأعظم النعم ما أعطيت الأنبياء والرسل فبنعمهم تحدث، وقال الوليّ الله فلا تجالس غيره ولا تتحدث إلاَّ معه، فإنه يسمع عباده، فأسمع الله فإنك إن أسمعت غيره فقد أسأت الأدب معه، ألا ترى إلى الإنسان إذا أقبل على كلامه جليسه فأسمع غيره أخجله، وإذا أخجله لم يأمن غائلته، وأهون غائلته أن يقطع به في الموضع الذي يحتاج إليه فيه، وقال: مجالسة الرسل بالاتباع ومجالسة الحق بالإصغاء إلى ما يقول فإنه المتكلم الذي لا يجوز عليه السكوت، فكن سامعاً لا متكلماً.

ومن ذلك من يتوقى الضرر ليس من البشر من الباب ٣٦٥: قال: البشر كل من باشر وما ثم إلاَّ من باشر، فما ثم إلاَّ بشر وما ثم إلاَّ من يتوقى الضرر، ممّا روينا أن جبريل وميكائيل عليهما السلام بكيا فأوحى الله إليهما ما شأنكما تبكيان؟ فقالا: لا نأمن مكرك، قال: كذلك فكونا لا تأمنا مكري. وقال: كل ما سوى الله معلول، والمعلول مريض، فملازمة الطبيب فرض لازم. وقال: كل أمة تدعى إلى كتابها لتقرأه حيث هو فاجعل كتابك في عليين، فإن جعلته في سجين فاختمه بالتوحيد. وقال: اتخذ الله وقاية بأن تكون له هنا وقاية فإنك إن اتقى بك في الدنيا اتقيت به في الأخرى. وقال: يا وليّ ما خلق الله أكمل من الإنسان فلا ترض بالدون واطلب معالي الأمور، وما ثم أعلى من العلم بالله فلا تشغل نفسك بغير البحث فيه والأخذ منه وميّزه في الخلق بترك العلامة فإنها علامه.

ومن ذلك منازل الأنبياء عليهم السلام من ظلل الغمام من الباب ٣٦٦: قال: لا تغفل

عن مشاهدة الغمام فإنه مذكر كل مؤمن بربه. وقال: إذا كان الحق على قدر ما جاء العلماء به فاعتمد على الحق الذي جاءت الرسل بنعته وإياك والفكر فيه فإنه مزلة قدم، قف عند ظاهر ما جاءت به من غير تأويل فإن الرسل ما تنطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى علمهم شديد القوى. وقال: الخلق عيال الله وأكرم العيال عند رب البيت صاحبة البيت وليس إلاّ الرسل ومن ورثهم على مدرجتهم، فالورثة كالسراري لرب البيت فهن وإن كن سراري فقد اشتركن مع الحرائر في الأسرة والأسرار، والإماء إلى الأصل أقرب.

ومن ذلك ما بين الشبهة والبرهان من الفرقان من الباب ٣٦٧: قال: إياك أن تنخدع فإن الشبه ما تظهر إلاّ بصور البراهين وهي أقرب إلى الأفهام بالأوهام من الأدلة. وقال: احذر من القرآن إلاّ أن تقرأه فرقاناً، فإن الله يضلّ به كثيراً أي يحيرهم، ويهذي به كثيراً أي يرزقهم الفهم فيه بما هو عليه من البيان، وما يضلّ به إلاّ الفاسقين وهم الذين خرجوا عن حدوده ورسومه. وقال: أنت أنت وهو هو فاحذر أن تقول كما قال العاشق: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، فهل قدر على أن يرد العين واحدة والله ما استطاع فإن الجهل لا يستطاع، فأتى بذكره وذكر من يهوى، ففرّق واعتقد الفرقان تكن من أهل البرهان، لا بل من أهل الكشف والعيان، قد علمت أن ثم غطاء يكشف وقد آمنت به فلا تغالط نفسك بأن تقول أنا هو وهو أنا.

ومن ذلك توالي الأنوار على قلوب الأحرار من الباب ٣٦٨: أول نور ظهر الكوكب ثم تنكب وتلاه القمر فما أثر، فلما بدت الشمس أزالت ما في النفس، وكانت هذه الأنوار عين الدليل في حق إبراهيم الخليل عليه السلام: [السريع]

مَن نَظَرَ الحَقُّ إلى سِرِّهْ ... أنالَهُ العِزَّ على غَيْرِهْ
فلْيَشْكُرِ الله على قَدْرِ ما ... أعطاه رَبُّ الخَيْرِ من خَيْرِهْ
إذا دعاه الحَقُّ من كونه ... أقبل نحو الحق من فَوْرِه
لا يتأنَّى ولْيَقِفْ عارفاً ... بقَدْرِهِ المعلوم في طَوْرِه
إلٰه إبراهيم أعْطَى الذي ... أراد إبراهيم في صوره
أطياره فنال مطلوبه ... بما أتى الأنباء في طيره
فنُورُ ما في الرُّوحِ من نُورِهِ ... ونُورُ ما في الجِسْمِ من نُورِه
إن خَصَّكَ الله به فاستعذْ ... من حَوْرِهِ القاضي على كَوْرِه
من قال لا ضَيْرَ لما قد رأى ... من انقِلابِ الأمْرِ في ضَيْرِه
ما فَلَكٌ دار على قُطْبِهِ ... إلاّ أتى بالكون في دَوْرِه
للّه من قاضٍ ومن عادل ... قد أمن الأقوامُ من جوره
وفضله عَمَّ ولا صارفٌ ... في كَوْرِه الأعلى وفي حَوْرِه

ومن ذلك ما يعطي البقاء في دار السعادة والشقاء من الباب ٣٦٩: قال: من تلى المحامد ولم يكن عين ما يتلوه منها فليس بتال، وكذلك من تلى المذام وكان عين ما يتلوه منها فليس بتال، فما نزل القرآن إلاّ للبيان. وقال: كن أنت المخاطب في خطاب الحق

بسمعك لا بسمع الحق، فإنه لا يأمر نفسه ولا ينهاها. وقال: لا تحزن على ما يفوتك من جنة الميراث فإنه ما فيها تقصير، وإنما ينبغي لك أن تحزن على ما يفوتك من جنة الأعمال. وقال: لا تعتمد إلاّ على جنة الاختصاص فإنها مثل التوفيق للأعمال الصالحة، في هذه الدار لا تنال إلاّ بالعناية لا بالاكتساب. وقال: كل ممّا يليك إذا كان الطعام واحداً فإن اختلف فكل من حيث شئت وذلك أن العقائد مختلفة والمطلوب بها واحد، فإن نظرت إليهم من حيث أحدية المطلوب فاثبت على ما عندك وهو الأكل ممّا يليك، وإن نظرت إليهم من حيثهم فكل من حيث شئت فإنك مصيب.

ومن ذلك سجود القلب والجسد هل ينقطع أو هو إلى الأبد من الباب ٣٧٠: قال: ما عرفنا نقص سهل إلاّ من سجود قلبه وما أخبر أنه رآه ساجداً فرآه على ما كان عليه وإنما أخبره أنه يسجد، ولا سجود إلاّ من قيام أو جلوس، ولا قيام للكون فإن القيومية لله. وقال: لكل اسم إلٰهيّ تجلٍّ فلا بدّ أن يسجد له القلب فلا يزال يتقلب من سجود إلى سجود، وبهذا سمّي قلب العارف قلباً بخلاف قلوب العامة لاختلاف تقلباتها فيما يخطر لها من أحوال الدنيا، وتلك بعينها هي عند العارف أسماء إلٰهية، فانظر إلى ما بين المنزلتين كيف يرتقي هذا بعين ما ينحط به هذا ذلك هو الخسران المبين. وقال: ما وقع ما وقع إلاّ من تعشق كل نفس بما هي عليه ولذلك قال: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢] فلو تبين لكل حزب مآله وماله لفرح من ينبغي له أن يفرح وحزن من ينبغي له أن يحزن. وقال: لو خرجوا من العمرة إلى ما كانوا عليه أوّل مرة في قولهم بلى لسعدوا.

ومن ذلك التقسيم في الكلام الحادث والقديم من الباب ٣٧١: قال: كلام الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة فإن له الإحاطة ولنا التقييد. وقال: لا يضاف الحدوث إلى كلام الله إلاّ إذا كتبه الحادث أو تلاه، ولا يضاف القدم إلى كلام الحادث إلاّ إذا تكلم به الله عند من أسمعه كلامه كموسىٰ عليه السلام ومن شاء الله من عباده في الدنيا والآخرة وأهل السعادة وأهل الشقاء، يقول الله لأهل جهنم في جهنم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] وقال: من سمع كلام الله من الله استفاد، ومن سمعه من المحدث ربما عاند وربما قبل بحسب ما يوفق له. وقال: العجب كل العجب من قذف الحق على الباطل والباطل عدم فما وقع على شيء فلمن دمغ بقذفه ولا عين له في الوجود، ولو كان له وجود لكان حقاً، فهذا من أعجب ما سمعته الآذان من أصحاب القلوب.

ومن ذلك ما يعطي خطاب الجود والسماحة من الراحة من الباب ٣٧٢: قال: إن كان العما كالعرش فالخطاب باق من السائل الذي سأل رسول الله ﷺ: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال ﷺ: «**كَانَ فِي عَمَاءٍ ما فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ**» فإن قصد السائل بالخلق كل ما سوى الله فما هو العما، وهذه مسألة خفية جداً. وقال: بالاستواء صحّ نزوله تعالىٰ كل ليلة إلى السماء ومع هذا فهو مع عباده أينما كانوا، ولما علم أن بعض عباده يقولون في مثل هذا بعلمه أعلم في هذه الآية أنه ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] ليغلب على ظن السامع أنه ليس على

ما تأوّلوه فإنا لا نشك أنه يحيط بنا علماً أينما كنا، وكيف لا يعلم ذلك وهو خلقنا وخلق الأبنية التي نحن فيها؟ وكذلك لو قال في تمامها: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] وقال: لكل اسم من الأسماء الحسنىٰ وجوه في التجليات لا تتناهى، وإن تناهت الأعمار في الدنيا فلا نهاية لها في الآخرة.

ومن ذلك سرّ الانخناث إلحاق الذكران بالإناث من الباب ٣٧٣: قال: الخنثى إذا كمل نكح ونكح فولد وأولد فحاز الشهوتين، فمن أنزله منزلة البرزخ أعطاه الكمال، ومن وقف مع عدم تمكنه من الانخناث أعطاه النقص عن درجة الكامل، فهو بحسب ما يعتبره من ينظر فيه والمعتبر بحسب ما يقام فيه. وقال: المترجلات من النساء كالمتخنثين من الرجال فإن خلقوا على ذلك فهم بحسب ما خلقوا عليه وما ذمّ إلاّ التعمّل فاحذر منه. وقال: كملت مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون فقد ثبت الكمال للنساء كما أثبته للرجال، وللرجال عليهن درجة فما هو هذا الكمال؟ إن كان الانفعال فخذه إلى عيسىٰ عليه السلام. وقال لآدم: على النساء درجة ولمريم على عيسىٰ درجة لا على الرجال فالدرجة لم تزل باقية، وبها حاز الرجل الثلث الثاني فكان له الثلثان، فلو وقعت المساواة لكانا في المال على السواء. وقال: تعجب زكريا ممّا تعجبت منه مريم وسارة فلحق الرجال بالنساء وثم ما هو أعجب وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير في مقابلة امرأتين.

ومن ذلك من وعظه النوم من القوم من الباب ٣٧٤: قال: من أراد أن يعرف حاله بعد الموت فلينظر في حاله إذا نام هو وبعد النوم فالحضرة واحدة، وإنما ضرب الله لنا ذلك مثلاً وكذلك ضرب اليقظة من النوم كالبعث من الموت لقوم يعقلون. وقال: الدنيا والآخرة أختان وقد نهى الله عن الجمع بين الأختين والجمع يجوز بين الضرّتين فما هما ضرّتان، لكن لما كان في الإحسان إلى إحدى الأختين بالنكاح إضرار بالأخرى لذلك قيل فيهما ضرتان فتنبه. وقال: سفينتك مركبك فاخرقه بالمجاهدة، وغلامك هواك فاقتله بسيف المخالفة، وجدارك عقلك لا بل الأمر المعتاد في العموم فأقمه تستر به، كنز المعارف الإلٰهية عقلاً وشرعاً حتى يبلغ الكتاب أجله، فإذا بلغ عقلك وشرعك فيك أشدهما وتوخيا ما يكون به المنفعة في حقهما، وما أريد بالشرع إلاّ الإيمان فإن العقل والإيمان نور على نور.

ومن ذلك ما يحصل صاحب الرحلة عن كل نحلة من الباب ٣٧٥: قال: الرحلة من الأكوان إلى الله تعالىٰ جهل به تعالىٰ فلو رأى وجه الحق في كل شيء لعرف قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] وقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] على الاعتبارين في قوله: ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ وقال: الظلمة دليل على علم الغيب، والنور دليل على علم الشهادة، فالليل لباس فأنت الليل، والنهار للحركة فهو للحق شؤنه، الحركة حياة وهي حقية، والسكوت موت فهو خلقي، ومع هذا فله ما سكن بالوجهين من السكون والثبات، ولك ما تحرك بالوجهين من وإلى، ولا اعتبار لليل ولا لنهار فله ما فيها من حكم الإيجاد ولك ما فيها من الانتفاع، والنوم راحة بدنية

ومكاشفات غيبية عينية. وقال: إرداف النعم وتواليها إرفاد الحق ومنحه لعباده، فمن اتقى الله فيها سعد ومن لم يتق الله فيها شقي. وقال: مواهب الحق لا تحجير عليها فلا تقل لم نعط فإن الحق يقول لم تأخذ، الدليل ما ورد من التكليف قيل لك لا تفعل فعلت قيل لك افعل لم تفعل هكذا الأمر.

ومن ذلك الفرق في الوحي بين التحت والفوق من الباب ٣٧٦: قال: إذا قام المكلف بما خاطبه به رسوله من حيث ما بلغه عن ربه لا من حيث ما سنّ له فما دخل له ممّا أتحفه الحق به من المعرفة به في ميزان قيامه فذلك العلم المكتسب، وما خرج عن ميزانه ولا يقبله ميزان عمله فذلك علم الوهب الإلٰهي، فالعلم الكسبي نصر الله والوهبي فتحه ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] علم أنه قد قام بحق ما كلف، وإذا انقادت إليه قواه الحسية والعقلية فمشت معه على طريقه الذي هو صراط الله لا صراط الرب فليشكر الله على ما خوّله به وحباه. وقال: خفي عن الناس طاعة إبليس بلعنة الله إياه كما خفي عنهم موافقة الملك ربه في خلافة آدم بثناء الله عليهم ورضاه عنهم.

ومن ذلك المنع في الصدع من الباب ٣٧٧: قال: حفظ الله ذكره بالحفظة من البشر وبالصحف المكرمة التي بأيدي السفرة الكرام البررة فالحق في قلبه وكلامه في صدره وقال: خزائن الله صدور المقربين وأبواب تلك الخزائن ألسنتهم، فإذا نطقوا أعنوا السامعين إن كانت أعين أفهامهم غير مطموسة. وقال: إذا تميز العارف بالإضافة إلى معروفه لفطن الحجة فإن الحجة البالغة لله وعصم من الخطأ في القول والعمل. وقال: الهبة العظمى ما أعطاك الله من الرحمة في قلبك بعباده فخفضت لهم الجناح وألنت لهم القول، يقول كهمس في رجزه: [الرجز]

الْبسْ لكلِّ حالةٍ لَبُوسَهَا إما نَعِيمَهَا وإما بُوسَهَا

وقال: إنما كانت الحجة البالغة لله لأن العلم يطابق المعلوم فافهم.

ومن ذلك ما هو المقام الجليل الذي صحّ للخليل من الباب ٣٧٨: وقال: المحدث في القديم ما هو القديم في المحدث ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥] وورد في الخبر: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً لٰكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الله**» فانظر إلى ما تحت هذا من المعنى اللطيف قال بعضهم: [الخفيف]

وتَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مني وبذا سُمِّي الخَلِيلُ خَلِيلاَ

وقال: ما ثم إلاّ أسماؤه وليست سواه وما هي دلائل عليه بل هي عينه، وقد تخللها المتخلق الكامل فهو الخليل. وقال: الله الصاحب وأنت الخليل. وقال: نال محمد ﷺ الخلة والوسيلة بدعاء أمته، ولذلك أمرهم بالصلاة عليه كما صلّى على إبراهيم وأمرهم أن يسألوا له الوسيلة وجعل الجزاء الشفاعة. وقال: كل خليل صاحب وما كل صاحب خليل. وقال: المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أي على عادته وخلقه، وأنت خليل الحق فهو على ما أنت عليه، لهذا وصف نفسه بما أنت عليه من الفرح والتبشيش والتعجب والضحك وجميع ما ورد عنه ممّا هو لك.

ومن ذلك الكلام بعد الموت هل هو بحرف وصوت من الباب ٣٧٩: قال: الكلام بعد الموت بحسب الصورة التي ترى نفسك فيها فإن اقتضت الحرف والصوت كان الكلام كذلك، وإن اقتضت الصوت بلا حرف كان، وإن اقتضت الإشارة أو النظرة أو ما كان فهو ذلك، وإن اقتضت الذات أن تكون عين الكلام كان، فإن جميع ذلك كله تقتضيه تلك الحضرة، وإن رأيت نفسك في صورة إنسان حزت جميع المراتب في الكلام فإنه العام الجامع أحكام الصور. وقال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] يعني بالنظر العقلي فالكل ناطق وتقع العين على ناطق وصامت، فالمؤمن يدرك ذلك إيماناً، وصاحب الكشف يدرك الكيفية، والكشف منحة من الله يمنحها من شاء من عباده. وقال: كل نطق في الوجود تسبيح وإن انطلق عليه اسم الذم وبعلم هذا فضلنا غيرنا بحمد الله.

ومن ذلك ما يختص بالدنيا من أحكام الرؤيا من الباب ٣٨٠: قال: إنما قال النبيّ ﷺ: «**النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا**» لما في الموت من لقاء الله ألا ترى إلى قوله في المحتضر: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] ولم يقل عقلك فكلما أنت فيه في الدنيا إنما هو رؤيا، فمن عبرها في الدنيا كان بمنزلة من رأى في الرؤيا أنه استيقظ وهو في حال نومه كما هو فعبرها. وقال: من وقف على حكمة تقلب الأمور في باطنه علم أنه نائم في يقظته العرفية. وقال: الأمر في غاية الإشكال لأنا خلقنا في هذه الدنيا نياماً فما ندري لليقظة طعماً إلاّ ما يهب علينا من روائح ذلك في حال نومنا الذي هو شبيه بحال موتنا إلاّ أن في النوم العلاقة باقية بتدبير هذا الهيكل وبالموت لا علاقة، ولا بدّ أن يختلف الحكم في صورة ما أو في صور.

ومن ذلك ما حال أهل الانتباه في صراط الرب وصراط الله من الباب ٣٨١ قال: صراط الله إن ربي على صراط مستقيم﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٢٦] وقال ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٣] وقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقال: ما يدعو إلى الله على بصيرة إلاّ من كان على بينة من ربه والشاهد الذي يتلوه منه ما يوافقه على ذلك من النفوس التي كشف الله لها عن ذلك. وقال: ما ثم إلاّ اختلاف ولا يكون إلاّ هكذا، وإذا سمعت أن ثم أهل جمع فليس إلاّ من جمع مع الحق على ما في العالم من الخلاف لأن الأسماء الإلٰهية مختلفة وما ظهر العالم إلاّ بصورتها فأين الجمع؟ وقال: العين واحدة فالحكم واحد.

ومن ذلك هل في القدم قدم من الباب ٣٨٢ قال: من سبقت له العناية عند الله ثبت العالم عنده على ما هو عليه لا يتبدّل في تبدّله، وتحوّله من حال إلى حال، ومن صورة بصورة والعالم بذلك قليل. وقال: الدنيا والآخرة سواء في الحكم إلى أجل مسمّى فيما اجتمعا فيه. وقال: لا يظهر خصوص الآخرة التي تمتاز به عن الدنيا فيكون آخرة ما فيها حكم دنيا إلاّ إذا انقضى أجلها المسمّى، وعمّت الرحمة، وشملت النعمة، عند ذلك تكون مفارقة

للدنيا وذلك هو الموت الصحيح الموجب الراحة وهو النوم الذي لا يقظة بعده، فإن الله جعل النوم سباتاً أي راحة، فكل ما تراه في عين الآخرة الخالصة فهو رؤيا، وهنالك يعلم الإنسان العارف اتصاف الحق بالحيّ القيوم وأنت المايت النؤوم ولك البقاء فيما أنت فيه كما أن له البقاء فيما هو فيه. وقال: من عرف حال العالم ومآله وتصرّفاته وأحكامه من هنا فقد عرف وذلك هو المسمّى بالعارف العالم الحكيم، فاجهد أن تكون أنت ذلك الرجل.

ومن ذلك الاستقصاء هل يمكن فيه الإحصاء من الباب ٣٨٣ قال: إذا رأيت من يتبرأ من نفسه فلا تطمع فيه فإنه منك أشدّ تبرؤاً فافهم. وقال: ما ثم ثقة بشيء لجهلنا بما في علم الله فينا فيا لها من مصيبة. وقال: ما ثم إلاّ الإيمان فلا تعدل عنه، وإياك والتأويل فيما أنت به مؤمن فإنك ما تظفر منه بطائل ما لم يكشف لك عيناً. وقال: اجعل أساس أمرك كله على الإيمان والتقوى حتى تبين لك الأمور فاعمل بحسب ما بان لك وسر معها إلى ما يدعوك إليه. وقال: اجعل زمامك بيد الهادي ولا تتلكأ فيسلط عليك الحادي فتشقى شقاء الأبد. وقال: من كانت داره الحنان في الدنيا خيف عليه وبالعكس.

ومن ذلك التحديد بين أهل الشرك والتوحيد من الباب ٣٨٤، قال: من نعم الله كونه جعل الفطرة في الوجود لا في التوحيد فلذلك كان المآل إلى الرحمة لأن الأمر دور فانعطف آخر الدائرة على أوّلها والتحق به فكان له حكمه وما كان إلاّ الوجود. وقال: سبقت الرحمة الغضب لأنه بها كان الابتداء والغضب عرض والعرض زائل. وقال: التوحيد في المرتبة والمرتبة كثرة، فالتوحيد توحيد الكثرة، لولا ما هو الأمر كذا ما اختلفت معاني الأسماء أين مدلول القهار من مدلول الغفار؟ وأين دلالة المعزّ من دلالة المذلّ؟ هيهات فزنا وخسر من كان في هذه الدنيا أعمى، لا علم إلاّ في الكشف فإن لم تكن من أهله فلا أقلّ من الإيمان. وقال: المحسوس محسوس فلا تعدل به عن طريقه فتجهل، والمعقول كذلك معقول، فمن ألحق المحسوس بالمعقول فقد ضلّ ضلالاً مبيناً.

ومن ذلك الفاصل بين الحالي والعاطل من الباب ٣٨٥ قال: لله سور بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وعليه رجال يعرفون كلاّ بسيماهم وهو الأعراف فيعرفون ما هم فيه وما هم. وقال: أخفى الله رحمته في باطن ذلك السور وجعل العذاب في ظاهره لاقتضاء الموطن والزمان والحال، وأهل الجنة مغموسون في الرحمة، ولا بدّ من الكشف فتظهر رحمة باطن السور فتعمّ فهنالك لا يبقى شقي إلاّ سعد ولا متألم إلاّ التذّ، ومن الناس من تكون لذته عين انتزاح ألمه وهو الأشقى وهو في نفسه في نعيم ما يرى أن أحداً أنعم منه كما قد كان يرى أنه لا أحد أشدّ عذاباً منه وسبب ذلك شغل كل إنسان أو كل شيء بنفسه. وقال: أرجى آية في كتاب الله في حق أهل الشقاء في إسبال النعيم علهيم وشمول الرحمة قوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] وهذا جزاء المجرمين على التعيين.

ومن ذلك الأفضل والفاضل الناقص والكامل من الباب ٣٨٦ قال: من وقف على

الحقائق كشفاً وتعريفاً إلٰهياً فهو الكامل الأكمل، ومن نزل عن هذه المرتبة فهو الكامل، وما عدا هذين فإما مؤمن أو صاحب نظر عقلي لا دخول لهما في الكمال فكيف في الأكملية؟ فاعلم. وقال: لا تتكل على دليل أنه يوصلك إلى غيره غايته أن يوصلك إلى نفسه وذلك هو الدليل، فلا تطمع إلاّ أن يكون دليلك الكشف فإنه يريك نفسه وغيره، وهذا لأفراد الرجال. وقال: إذا قرأت رسل الله فإن انقطع نفسك على الجلالة الثانية كان وإلاّ فاقصد ذلك ثم ابتدىء الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

ومن ذلك الوجود في الوفا بالعهود من الباب ٣٨٧ قال: الوفاء من العبد بالعهد جفاء وإن كان محموداً لما فيه من رائحة الدعوى. وقال: احذر أن تفي ليفي إليك، أوف أنت بعهدك واتركه يفعل ما يريد. وقال: من وفى بعهده ليفي له الحق بعهده لم يزده على ميزانه شيئاً وهو قوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] وليس سوى دخول الجنة، ورد في الحديث كان له عند الله عهداً أن يدخله الجنة لم يقل غير ذلك ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] ولم يطلب الموازنة ولا ذكر هنا أن يفي له بعهده وإنما قال: ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] وما عظمه الحق فلا أعظم منه، فاعمل على وفائك بعهدك من غير مزيد. قال: الوفاء يتضمن استقصاء الحقوق ويتضمن الزيادة وهي من جانب العبد نوافل الخيرات والحقوق هي الفرائض، فالوفاء من الله لعبده بهذه المثابة وفاء وجوب واستحقاق وزيادة لزيادة وزيادة لا لزيادة وهي الزيادة المذكورة في القرآن.

ومن ذلك استناد الكل إلى الواحد وما هو بأمر زائد من الباب ٣٨٨ قال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] فما ثم إلاّ عينه فمن السعيد والشقيّ. وقال: إن الحق وصف نفسه بالرضى والغضب فما ثم إلاّ راحة وتعب، ومنهم شقي بالغضب والغضب زائل وسعيد بالرضى والرضى دائم. وقال: من فهم الأمور هانت عليه الشدائد فإن الشيء أرحم بنفسه من غيره به. قال: ألا ترى إلى المنتقم لا ينتقم من عدوّه ليؤلم عدوّه إنما ينتقم منه دواء لنفسه يستعمله ليريح نفسه، كذي العزّ يكوي غيره وهو راتع كذا هو الأمر فافهم واعقل، ألا ترى المنتقم إذا سكن غضبه بالانتقام عفا، وإن فرّط في المنتقم منه الأمر بالقتل ندم إلاّ أن يكون في حدّ من حدود الله فإنه تطهير.

ومن ذلك الإبرام والنقض في البعض من البعض من الباب ٣٨٩ قال: لولا ما أنت منه ما كنى بك عنه قال تعالىٰ في عيسىٰ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] وما في الوجود شيء إلاّ منه. قال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الجاثية: ١٣] منه. وقال: من أنزلك منزلته فقد أباح لك التصرّف في رتبته فاظهر بصفته ولا تكن كأبي يزيد يغشى عليك في أوّل قدم، كن محلاً تكن للخلافة أهلاً ما دمت في الدنيا فإذا انتقلت إلى العقبى فأنت بالخيار. وقال: اجهد أن لا تفارق حياتك فإنك إن فارقتها ما تدري هل ترجع إليها أو لمثلها وأنت قد ألفتها، وصحبة من تعلم أولى من الغريب. وقال: العصمة والاعتصام ضربان: اعتصام بالله واعتصام بحبل الله، فإن كنت من أهل الحبل فأنت من أهل السبب، وإن

اعتصمت بالله كنت من أهل الله فإن لله من عباده أهلاً وخاصة. وقال: حكم أهل الله ما تميزوا به من تحليهم لخلق الله بصورة الحق، ومن لم يكن له هذا فليس من الأهل وهم أصحاب العرش وخاصة الله هم المقرّبون، وإن لم يكن لهم هذا التجلي فالأهل أقرب من الخاصة.

ومن ذلك إحياء الموات بالنبات من الباب ٣٩٠ قال: الحيوان لا يتغذى إلاّ بالنبات فحياته حياته، ولذلك إذا فقد الغذاء اضطرب. وقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧] فما تغذى إلاّ بالمشاكل والملائم. وقال: من ثبت نبت مثل سائر. وقال: الموت الأصل ولهذا كان الفناء من أحوال أهل طريق الله ليعرفوه ذوقاً فهم في البقاء مع الله في حال فناء عنهم. وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وما خرج إلاّ من الحجر وما جاد به الحجر إلاّ بعد الضرب بالعصي والعصي نبات وبالماء يحيىٰ الأموات فأين درجة الحيوان من درجة النبات؟: [البسيط]

فانْظُرْ إلى حَجَرٍ فَاضَ على شَجَرٍ ... وانْظُرْ إلى مائعٍ من نَفْسِ أحْجَارِ
بهِ الحياةُ وما تُخْشَى إزالتُهُ ... وانْظُرْ إلى ضاربٍ من خَلْفِ أسْتَارِ

وقال: الآجال محدودة والأيام معدودة. وقال: النفوس مقهورة والأنفاس محصورة وقال: وجه الله أنت فأنت القبلة حيث كنت فلا تتوجه إلاّ إليك، ما يظهر الخليفة إلاّ بصورة من استخلفه وأنت الخليفة في الأرض وهو الخليفة في الأهل.

ومن ذلك الحضرة الجامعة للأمور النافعة من الباب ٣٩١ قال: من سمّى الحق ذكره، ومن شكره حمده، ومن أثنى عليه رحمه، ومن سلم إليه أمره مجده، ومن استند إليه قبله ومن دعاه أجابه، فكن مع الله كما هو معك. وقال: أنت المؤمن فأنت مرآته لذلك أنت الجامع لظهور صورته بك له. وقال: إذا ناجيت ربك فلا تناجه إلاّ بكلامه. واحذر أن تخترع كلاماً من عندك فتناجيه به فإنه لا يسمعه منك ولا تسمع له إجابة فتحفظ فإن ذلك مزلة قدم. قال: كن تالياً لا تكن مقدماً فإن قدمك الحق تقدم كالسابق والمصلي، يقول النبيّ ﷺ في الإمامة: «**إنْ أُعْطِيتَها أُعِنتَ عليها وإن سَألْتَها وُكِلْتَ إليها، فلا تَسْألِ الإمارَةَ فإنها يَوْمَ القيامة حَسْرةٌ وندامة**».

ومن ذلك اجتماع النازل والراقي وما بينهما عند التلاقي من الباب ٣٩٢ قال: عليك بالمنازلات فإنك مأمور بالقصد إليه وهم منعم بالنزول، فانظر في أي حضرة أو منزلة يكون اللقاء فكن بحسبها. وقال: لا ينزل عليك إلاّ على الطريق الذي تعرج إليه ولولا ذلك لم تلتق. وقال: انظر بأي صفة عرجت إليه تجدها بعينها عين ما نزل بها إليك وليس إلاّ المناسبة، ولولا ما هو الأمر هكذا ما كان اللقاء. وقال: لا تعامل الله بالإمكان ولكن عامله بالمناسب فإنه ما ينزل إليك إلاّ به. فإن قلت: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] فما أراد إلاّ المناسب فأنت صاحب الآية.

ومن ذلك اللؤلؤ المنثور من خلف الستور من الباب ٣٩٣ قال: من أراد التكوين فليقل بسم الله وإن كتبه فليكتبه بالألف. وقال: الأدب مع الله أن لا تشارك فيما أنت فيه مشارك.

وقال: ما هو إلاّ أنت أو هو ما أنت وهو فما ثم مشاركة. وقال: أنت له مقابل فإنك عبد وهو سيد. وقال: عامله بك لا تعامله به فإذا عاملته بك عاملك به فأغناك وما أقول عمّن ولذلك لا يشقى أحد بعد السعادة. وقال: احمد الله على كل حال يدخل في حمدك حال السرّاء والضرّاء وما ثم إلاّ هاتان الحالتان. وقال: الزم الاسم المركب من اسمين فإن له حقاً عظيماً وهو قولك: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] خاصة ما له اسم مركب غيره فله الأحدية هو كبعلبك ورام هرمز من ذكره بهذا الاسم لا يشقى أبداً.

ومن ذلك من لم يرفع به رأس من الناس من الباب ٣٩٤ قال: ما احتقر الله من خلقه حين خلقه فانظره بالعين الذي نظر إليه الحق حين أوجده فإنه ما أوجده إلاّ ليسبحه بحمده. وقال: العبد يخلق في نفسه ما يعتقده فيعظمه ولا يحتقره فما يخلق الله أولى بالتعظيم، وهذه نكتة عجيبة لمن تدبرها تحتها إعلام بالعلم بالله إن علمت. وقال: المفوّض إلى الله أمره مقوّض ما بناه الحق إلاّ أن يجلّ تقويضه ممّا بناه الحق فيه فلا يكون عند ذلك مقوّضاً وقال: خطاب الله بضمير المواجهة تحديد وبضمير الغائب تحديد ولا بدّ منهما.

ومن ذلك القرب المفرط من المفرّط من الباب ٣٩٥ قال: إذا سألت فاسأل أن يبين لك الطريق إليه لا بل إلى سعادتك فإنه ما ثم طريق إلاّ إليه سواء شقي السالك أو سعد. وقال: ما أجهل من نزّه الحق أن يكون شريعة لكل وارد هذا شؤم النظر الفكري، وهل ثم طريق لا يكون هو عينه وغايته وبدءه؟ وقال: لولا نور الإيمان ما علمت ما يعطيه العيان فلا أقوى من المؤمن حاسًّا. وقال: إلى الحيرة هو الانتهاء وما بيد العالم بالله من العلم بالله سواها ما أحسن الإشارة في كون الله ما ختم القرآن العظيم الذي هو الفاتحة إلاّ بأهل الحيرة وهو قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ والضلالة الحيرة ثم شرع عقيبها آمين أي أمناً بما سألناك فيه فإن: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ نعت ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهو نعت تنزيه، ومن علم أن الغاية هي الحيرة فما حار بل هو على نور من ربه في ذلك: [الرمل]

رَجْعَةُ المَانِحِ في مِنْحَتِه ... هي بُرهانٌ على خِسّتِهِ
هو كالكَلْبِ كذا شَبَّهَهُ ... من حَبَاهُ الله من رَحْمَتِهِ
بالذي فيها من اللّينِ ومن ... كَرَم الله ومن رَأْفَتِهِ
فازَ بالخَيْرِ عُبَيْدٌ مَنَحتْ ... كَفُّهُ المعروفَ من نِعْمَتِهِ
ووقاه الله شُحّاً جُبِلَتْ ... نَفْسُهُ فيه لدى نَشْأَتِه
وهو المُفْلِحُ بالنَّصِّ كما ... جاء في التنزيل في حِكْمَتِه

ومن ذلك ما تواضع عن رفعة إلاّ صاحب منعة من الباب ٣٩٦ قال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، فلا يتواضع إلاّ مؤمن فإن له الرفعة الإلهية بالإيمان، تواضع المؤمن نزول الحق إلى السماء الدنيا. وقال: العارف لا يعرف التواضع لأنه عبد. وقال: انظر بعقلك في سجود الملائكة لآدم فما صرفت وجوهها إلى التحت إلاّ وهو فيه لتشاهده في رتبته مشاهدة عين. وقال: ما كانت خلافة الإنسان إلا في الأرض لأنها موطنه

وأصله ومنها خلق وهي الذلول. وقال: دعا الله العالم كله إلى معرفته وهم قيام فإن الله أقامهم بين يديه حين خلقهم فأسجدهم فعرفوه في سجودهم فلم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها أبداً، وما عاين من هذا السجود سهل إلاً سجود القلب. قال: وما عرف الرسول ﷺ طعم التواضع إلاً صبيحة ليلة إسرائه لأنه نزل من أدنى من قاب قوسين إلى من أكذبه فاحتمله وعفى عنه.

ومن ذلك من خفي أمره جهل قدره من الباب ٣٩٧ قال: وما قدروا الله حق قدره فيما كيف به نفسه ممّا ذكره في كتابه وعلى لسان رسوله من صفاته. وقال: ما ثم حجاب ولا ستر فما أخفاه إلاً ظهوره. وقال: لو وقفت النفوس مع ما ظهر لعرفت الأمر على ما هو عليه، لكن طلبت أمراً غاب عنها فكان طلبها عين حجابها، فما قدرت ما ظهر حق قدره لشغلها بما تخيلت أنه بطن عنها. وقال: ما بطن شيء وإنما عدم العلم أبطنه فما في حق الحق شيء بطن عنه فخاطبنا تعالىٰ بأنه الظاهر والباطن والأوّل والآخر أي الذي تطلبه في الباطن هو الظاهر فلا تتعب.

ومن ذلك ما في التوقيعات الجوامع من المنافع من الباب ٣٩٨: قال: ما تخرج التوقيعات الإلٰهية إلى العالم إلاً بحسب ما التمسوه من الحق والمقاصد مختلفة، هذا إذا كانت التوقيعات عن سؤال وهي كل آية نزلت عن سؤال وسبب. وقال: كل سورة أو آية نزلت من عند الله فهي توقيع إلٰهيّ إما بعلم بالله أو بحكم أو بخبر أو بدلالة على الله، فما نزل من ذلك ابتداء فابتلاء، وما نزل عن سؤال فاعتناء وابتلاء. وقال: ما خرج توقيع عن سؤال إلاً لإقامة حجة على السائل. وقال: الشرع الواجب الذي لا مندوحة عنه ما وقعه الحق ابتداء ودونه ما وقعه عن سؤال بقول أو حال. وقال: الوجود الديوان ويمين الحق الكاتبة الموقعة فكل خبر إلٰهيّ جاء به رسول من عند الله فهو توقيع، فاعمل بحسب الوقت فيه فإن الأمر ناسخ ومنسوخ.

ومن ذلك ما تعطيه الحضرة في النظرة من الباب ٣٩٩ قال: الحضرة في عرف القوم الذات والصفات والأفعال. وقال: النظرة الإلٰهية في الخلق ما هو عليه الخلق من التصريف فإن العالم مسيّر لا مخيّر. وقال: نظر الحق في عباده إلى رتبهم لا إلى أعيانهم لهذا نزلت الشرائع على الأحوال والمخاطبون أصحابها. وقال: العالم بإنزال الشرائع يعرف ما خاطب الحق منه في نظره إليه وهو قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] فالأحوال تطلب الأحكام المنزلة في الدنيا.

ومن ذلك من خيّرك حيّرك من الباب ٤٠٠ قال: ما دعا الملأ الأعلى إلى الخصام إلاً التخيير في الكفارات والتخيير حيرة فإنه يطلب الأرجح أو الأيسر ولا يعرف ذلك إلاً بالدليل، ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩]. وقال: إذا خيّرك الحق في أمور فانظر إلى ما قدم منها بالذكر فاعمل به فإنه ما قدمه حتى تهمم به وبك فكأنه نبهك على الأخذ به، ما تزول الحيرة عن التخيير إلاً بالأخذ بالمتقدم، تلا رسول الله ﷺ حين أراد السعي في حجة الوداع:

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] ثم قال: «**أبدأُ بما بَدَأ الله به**»، فبدأ بالصفا وهذا عين ما أمرتك به لإزالة حيرة التخيير ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن ذلك المعارف في العوارف من الباب ٤٠١ قال: عطايا الحق كلها عند العارف إنما هي معارف بالله جهلها غير العارف وعرفها العارف. وقال: ما عرفها العارف دون غيره إلاّ لكونه أخذها من يد الله لما سمع الله يقول: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]. وقال: عوارف الحق مننه ونعمه على عباده فما أطلعك منها على شيء إلاّ ليردك ذلك الشيء منك إليه فهو دعاء الحق في معروفه لما رأى عندك من الغفلة عنه فتحبب إليك بالنعم. وقال: عطايا الحق كلها نعم إلاّ أن النعم في العموم موافقة الغرض.

ومن ذلك إثبات الحكم من غير علم من الباب ٤٠٢ قال: ثبت بالشرع المطهر حكم الحاكم بالشاهد واليمين، وقد تكون اليمين فاجرة والشهادة زوراً فلا علم مع ثبوت الحكم. وقال: الحاكم مصيب للحكم فهو صاحب علم لأن الله ما حكم إلاّ بما علم وهو الذي شرع له أن يحكم فيما غلب على ظنّه فهو عنده غلبة ظن وعند الله علم. وقال: الحاكم من ولاه الله الحكم من غير طلب ومن أخذه عن طلب فما هو حاكم الله وهو مسؤول. وقال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّا لاَ نُوَلِّي أَمْرَنَا هٰذَا مَنْ طَلَبَهُ**» بمثل هذا ثبتت خلافته، والخلافة أمر زائد على الرسالة فإن الرسالة تبليغ والخلافة حكم بقهر. وقال: تولية الوالي بعد موته نيابة ما هي ولاية، ومن ولاّه الناس فهي ولاية الحق وهو الخليفة الإلٰهيّ فكن عتيقياً أو عثمانياً ولا تكن عمرياً فيما فعل فإنه ترك الأمر شورى.

ومن ذلك التساوي في المناوي من الباب ٤٠٣ قال: من ناواك فهو عند نفسه قد ساواك وقد لا يكون له هذا المقام. وقال: إذا ابتلاك الحق بضرٍّ فاسأله رفعه عنك ولا تقاومه بالصبر عليه، وما سمّاك إلاّ لكونك حبست نفسك عن سؤال غير الحق في كشف الضر الذي أنزله بك. وقال: ما قصّ عليك أمر أيوب عليه السلام إلاّ لتهتدي بهداه إذا كان الرسول سيد البشر يقال له: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] فما ظنك بالتابع؟ وقال: جاع بعض العارفين فبكى فقيل له في ذلك فقال: إنما جوّعني لأبكي هذا هو العارف.

ومن ذلك من أنصف لم يتصف من الباب ٤٠٤ قال: المحقق لا صفة له لأن الكل لله فلا تقل إن الحق وصف نفسه بما هو لنا ممّا لا يجوز عليه فهذا سوء أدب، وتكذيب الحق فيما وصف به نفسه بل هو عند العارف الأديب صاحب تلك الصفة من غير تكييف، فالكل صفات الحق وإن اتصف بها الخلق فهي مستعارة ما هو فيها بطريق الاستحقاق عند المحجوب بالطريق التي لا تجوز على الحق، وما عرف المسكين أن الذي لا يجوز على الحق إنما هي تلك النسبة التي نسبتها بها إلى الخلق لا عين الصفة. وقال: ما ثم صفة إلاّ إلٰهية وهي للمخلوق معارة كما أنه معار في الوجود. وقال: نحن عندنا ودائع الله أودعنا إيانا فمتى ما طلب ودائعه رجعنا إليه إذ نحن عين الودائع، فافهم من أودع ومن استودع وما الوديعة.

ومن ذلك من لا يقله مكان لا يقيده زمان من الباب ٤٠٥ قال: كل من شأنه الحصر فالظروف تحويه وإن جهل. وقال: أين قوله ﷺ: «**إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً**» وذكرها من قوله أو استأثرت به في علم غيبك، ولا أحصي ثناء عليك، وما الثناء عليه إلاَّ بأسمائه، فمن حيث ما هي دلائل عليه فهو محصور لكل اسم اسم فإنه يدل عليه وعلى المعنى الذي جاء له. وقال: كما لا يلزم من الفوق إثبات الجهة كذلك لا يلزم من الاستواء إثبات المكان. وقال: العارف كما لا يزيد في الرقم لا يزيد في اللفظ بل يقف عندما قيل من غير زيادة وهي العبادة.

ومن ذلك الإنسان رداء الرحمٰن من الباب ٤٠٦، قال: ما تردّى الرحمٰن برداء أحسن من الإنسان ولا أكمل لأنه خلقه على صورته وجعله خليفة عنه في أرضه ثم شرع له أن يستخلفه على أهله. وقال: لولا أن الحق أعطاه الاستقلال بالخلافة ما قال له عن نفسه تعالىٰ آمراً: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٩] ولا قال له ﷺ: «**أَنْتَ الخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ وَالصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ**» وهو ﷺ القائل: «**إِنَّ الله أَدَّبَنِي فَأَحْسَنَ أَدَبِي**» وقال: الرداء للتجمل فله الجمال فلا أجمل من الإنسان إذا كان عالماً بربه. وقال: العالم عند الجماعة هو إنسان كبير في المعنى والجرم يقول الله تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] فلذلك قلنا في المعنى وصدق، وما نفى العلم عن الكل وإنما نفاه عن الأكثر والإنسان الكامل من العالم وهو له كالروح لجسم الحيوان وهو الإنسان الصغير، وسمّي صغيراً لأنه انفعل عن الكبير وهو مختصره لأن كل ما في العالم فيه فهو وإن صغر جرمه ففيه كل ما في العالم.

ومن ذلك مزلة الأقدام في بعض أحكام العقول والأحلام من الباب ٤٠٧ قال: العارف من عبد الله من حيث ما شرع لا من حيث ما عقل من طريق النظر. وقال: العقل قيد موجده والشرع والكشف أرسله وهو الحق. وقال: للهوى في العقل حكم خفي لا يشعر به إلاَّ أهل الكشف والوجود. وقال: أثر الأوهام في النفوس البشرية أظهر وأقوى من أثر العقول إلاَّ من شاء الله. وقال: من رحمة الله بنا أنه رفع عنا المؤاخذة بالنسيان والخطأ وما نحدث به أنفسنا فلو أخذنا بما ذكرنا لهلك الناس. وقال: ما سميت العقول عقولاً إلاَّ لقصورها على من عقلته من العقال فالسعيد من عقله الشرع لا من عقله غير الشرع.

ومن ذلك من أحب اللقاء اختار الفناء على البقاء من الباب ٤٠٨ قال: من أحب الموت أحب لقاء الله فإن أحدنا لا يرى الله حتى يموت بهذا جاء الخبر الصادق. وقال: من مات في حياته الدنيا فهو السعيد الخاص وقال: لقاء الحق على الشهود فناء. وقال: انظر إلى حكمة الشارع في حديث الدجال في قوله: «**فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**» يعني هذا الموت المعهود الذي يعرفه الناس وهو خروج الروح من جسم الحيوان فيزول عنه التكليف. وقد عرفنا أنا نرى ربنا يوم القيامة إذا بعثنا فما رأيناه إلاَّ بعد موتنا عن هذه الحياة الدنيا وهذا من جوامع الكلم الذي أعطاه الله، وإنما نبهنا على هذا لئلا يقول القائل لا نرى الحق إلاَّ بعد

مفارقة هذا الهيكل ما أراد ذلك الشارع وإنما أراد نفي الرؤية في الحياة الدنيا خاصة فنرى الحق بعد الموت كما قال الشارع. وقال: إنما كان اللقاء كفاحاً لتحقق التقابل لأنه السيد ونحن العبيد فنراه مقابلة من غير تحديد ولا تشبيه لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] كما نرى الصفات من غير تحديد فافهم.

ومن ذلك أين رحمة الرحماء من رحمة الاعتناء من الباب ٤٠٩ قال: رحمة الرحماء جزاء فهي على صورة ما رحموا وقدرها ومرتبتها جزاء وفاقاً. وقال: رحمة الاعتناء ما رحم به الرحماء من رحموه. وقال: رحمة الاعتناء فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وقال: رحمة الاعتناء الزيادة على الحسنىٰ. وقال: رحمة الرحماء رحمة الأسماء فإن الرحماء بحكم الأسماء الإلٰهية رحموا وهي التي حكمت عليهم، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء لعلمه بأن رحمتهم بمن رحموه حكم أسمائه تعالىٰ فما جازاهم إلاَّ على قدر الاسم الذي رحموا به.

ومن ذلك ما معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] من الباب ٤١٠ قال: لا يكون قرب أقرب من القوسين إلاَّ من كان قربه قرب حبل الوريد منه وهو القرب العامّ، ومن عرف هذا القرب كان من المقربين وعرف سرّ الحق في وجوده وموجوداته على التنزيه. وقال: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩] لما هو عليه من الراحة حيث رآه عين كل شيء ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩] لما رآه عين الرزق الذي يحيى الذي يتناوله كما قال سهل وقد سئل عن القوت فقال الله ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٩] أي ستر ينعم به وحده لما علم أن كل أحد ماله من الله تعالىٰ مثل هذا المشهد، وهؤلاء هم الذين هم ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ ـ ٥٥] لأنهم كل ما همّوا به انفعل لهم، وقال: قوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] يعني أدنى ممّا تمناه العبد أو يتمناه، وهذا أبلغ في المعنى في قوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ وقال: إذا قرأت القرآن فاجتمع عليه فإنه قرآن، وإذا قرأته من كونه فرقاناً فكن بحسب الآية التي أنت فيها في جميع قراءتك. وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] فإن القرآن جمع والجمعية تدعوه للحضور فهي معينة له بخلاف الفرقان فالقرآن يحضره والفرقان يطرده.

ومن ذلك مركب الأعمال براق العمال من الباب ٤١١ قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] والموجودات كلها كلمات الله ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] إلى ما انتهت إليه همته وما تعطيه حقيقة العمل الرافع له، ورفعة الله لا تدرك ولا تعرف فلا حدّ لها فاعلم يقال يوم القيامة لصاحب القرآن: اقرأ وارق فإن منزلك عند آخر آية تقرأ فدرجات الجنة على هذا على عدد آي القرآن. وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] فهو العامل فإلى أين تصعد العمال؟ وقال: العارف من عمل في غير معمل فهو يبذل المجهود وهو على بينة من ربه إن الله هو العامل لما هو العبد له عامل ولولا ذلك ما كان التكليف، فلا بدّ من نسبة في العمل للعبد فالنسبة إلى الخلق والعمل للحق فهو تشريف العبد أعني إضافة العمل إليه سواء شعر بذلك العبد أو لم يشعر.

ومن ذلك استفهام العالم العالم من الباب ٤١٢ قال: إنما استفهم العالم ليتميز به من في قلبه ريب ممّن ليس في قلبه ريب فيعلم العالم من غير العالم لإقامة الحجة. وقال: ما اختبر الله العالم إلاً ليعلم ما هو به عالم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦] هذا ذاك منْ وجه فهذا مؤمن كلف أن يؤمن بما هو به مؤمن. وقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٣] استفهام لا إنكار مقام رسول الله ﷺ يعطي ما ذهبنا إليه. وقال: ما أثنى على من أثنى عليه إلاً لجهله بالمراتب وعلمه أيضاً بها ولكن ما يعلم ما له منها إلاً بتعريف من الله. وقال: من الاستفهام ما يكون إيهاماً وهو استفهام العالم عمّا هو به عالم. وقال: من استفهمك فقد شهد لك بالعلم بما استفهمك عنه. وقال: قد يقع الاستفهام من العالم لإقامة الحجة في الجواب فيقول له: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ﴾ [المائدة: ١١٦] ومن هنا أيضاً كانت الحجة البالغة لله على عبده.

ومن ذلك الذكرى بشرى من الباب ٤١٣ قال: الذكرى بشرى المذكرة بالوراثة وهي في حق المعتنى به بشرى بالقبول، وفي حق غير المعتنى به بشرى بالحرمان، أهل العناية يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان، وأهل الحرمان فبشرهم بعذاب أليم لأن كل واحد أثر في بشرته ما بشر به قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾ [النحل: ٥٨] وقال: البشرى للبشر فإنه ما يكلم إلاً من وراء حجاب ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ: ٥١] وقال: ما عرف مقدار البشر إلاً من عرف معنى ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] وقال: من خلق برفع الوسائط مع المباشرة فلم يكن ذلك إلاً في البرزخ، وأما في الطرفين فلا فإن الطرف الحسيّ يحيله العقل والطرف العقلي لا يشهده الحسّ. وقال: البشرى مختصة بالمؤمن وهو يبشر الكافر والكافر لا حظ له في البشرى الإلٰهية برفع الوسائط.

ومن ذلك من غار أغار من الباب ٤١٤ قال: من غيرة الله حرم الفواحش فجعلها له حراماً محرماً فتخيل من لا علم له أن ذلك إهانة وهو تعظيم إذ هو من شعائر الله وحرماته والله يقول: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾ [الحج: ٣٠] ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وقال: قول النبيّ ﷺ: **«إنَّ سَعْداً لَغَيُورٌ وأنا أَغْيَرُ مِنْ سَعْدٍ واللهُ أَغْيَرُ مِنِّي وَمِنْ غَيْرَتِهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ»** فجعل الفواحش حراماً محرماً كما حرّم مكة وغيرها. وقال: حرّم رسول الله ﷺ التفكّر في ذات الله، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [النساء: ٢٨] فالتحريم دليل على التعظيم. وقال: ما أمرك الله إلاً بما هو خير لك وهو عند الله عظيم، وما نهاك إلاً عمّا هو تركه خير لك لعظيم حرمته عنده مآل الناس في الآخرة إلى رفع التحجير ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ﴾ [الضحىٰ: ٤ - ٥] يعني هناك ﴿فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحىٰ: ٥].

ومن ذلك أهون العقاب ضرب الرقاب من الباب ٤١٥ قال: المقصود من ضرب الرقاب إزالة الحياة الدنيا فبأيّ شيء زالت فهو ذاك. وقال: المقصود من ضرب الرقاب ظهور الحياة التي أخذ الله بأبصارنا عنها فبأيّ شيء حصل فهو ذاك، وإن كانت الحياة الدنيا ما ذهبت

وليس يعرف ذلك إلاَّ أهل الكشف والوجود فإن الميت له خوار. وقال: لا يصحّ ضرب الرقاب حتى تملك فمن ضربها بغير ملك استقيد منه وملكت رقبته فيه يملكها وليّ الدم فقد عتق في الدنيا وهو رقيق في الأخرى. وقال: أنت حرّ فلا ترد نفسك مملوكاً لمثلك وحق النفس أعظم عليك من حق مثلك.

ومن ذلك العدم ما هو ثم فافهم من الباب ٤١٦ قال: ما ثم إلاَّ الله والممكنات فالله موجود والممكنات ثابتة فما ثم عدم. وقال: لولا أن الأعيان مشهودة للحق ما كان وجود ما وجد منها بأولى من عدمه ووجود غيره وما شهد إلاَّ ما هو ثم. وقال: ليس شيء أدخل في حكم النفي من المحال ومع هذا فثم حضرة تقرّره وتصوّره وتشكّله وما يقبل التصوير والتشكيل إلاَّ ما هو ثم فالمحال ثم. قال: العدم المطلق ما لا تعقل فيه صورة وما هو ثم فإنه ما ثم إلاَّ ثلاثة: واجب ومحال وممكن، ووجوب وإحالة وإمكان، وكل ذلك معقول وكل معقول مقيد وكل مقيد مميز وكل مميز مفصول عمّن عنه تميز فما ثم معدوم لا يتميز فما ثم عدم. وقال: الأحوال عند المتكلمين لا موجودة ولا معدومة، ومعلوم أنه ما ثم إلاَّ محل وحال أي ما ثم إلاَّ من يقبل اللون مثلاً واللون فما هو المتلون وما ثم إلاَّ من يقبل الحياة والحياة فما هو الحي وما ثم إلاَّ من يقبل الحركة والحركة فما هو المتحرك.

ومن ذلك ما يجمع الظهر والبطن والحد والمطلع من الباب ٤١٧ قال: ما من شيء إلاَّ وله ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر منه ما أعطتك صورته، والباطن ما أعطاك ما يمسك عليه الصورة، والحدّ ما يميزه عن غيره، والمطلع منه ما يعطيك الوصول إليه إذا كنت تكشف به وكل ما لا تكشف به فما وصلت إلى مطلعه. وقال: لا فرق بين هذه الأمور الأربعة لكل شيء وبين الأربعة الأسماء الإلٰهية الجامعة الاسم الظاهر وهو ما أعطاه الدليل، والباطن وهو ما أعطاه الشرع من العلم بالله والأول بالوجود والآخر بالعلم ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] فالضمير يعود على الضمير الأول في هو الأول فالأمر من غيب إلى غيب وضمير هو الأول يعود على هو على كل شيء وذلك الضمير يعود على الله وهو الاسم والاسم يطلب المسمّى فاللّه الأول وهو بكل شيء الآخر وهو الأوّل الظاهر وهو على كل شيء الباطن فاعلم.

ومن ذلك سواء السبيل في طلب الحق بالدليل من الباب ٤١٨ قال: لا سبيل إلى العلم بالله بدليل نظري ولا يوصل إلى العلم بالله إلاَّ بتعريف الله فالعلم بالله تقليد. وقال: الكشف أعظم في الحيرة من برهان العقل عليه بخلاف التعريف. وقال: هو النور فله إحراق ما سواه فلا يكشف أي لا يدرك بالكشف قيل لرسول الله ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**» وبالبرهان فلا يعلم إلاَّ وجوده ففي أي صورة يتجلى حتى يرى. وقال: وعد قوماً برؤيته وذكر عن قوم أنهم محجوبون فما هو محجوب هو مرئي للجميع لكنه لا يعلم. وقال: بالعقل يعلم ولا يرى وبالكشف يرى ولا يعلم، وهل ثم حالة أو مقام يجمع بين الرؤية والعلم؟ وقال: رؤيته مثل كلامه ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١] فهو الحجاب وهو الرسول وهو الوحي.

ومن ذلك رؤية الأهوال في الأحوال من الباب ٤١٩: قال صاحب محاسن المجالس: الأعمال للجزاء والأحوال للكرامات والهمم للوصول، وليس الكرامات سوى خرق العوائد في العموم وهي في الخصوص عوائد فلذلك تهول عند العامة. وقال: العاقل يهوله المعتاد وغير المعتاد ولذلك قال في المعتاد: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] وقال: من نظر إلى الأمور كلها معتادها وغير معتادها بعين الحق ما هاله ما يرى ولا ما بدا مع تعظيمه عنده فإنه من شعائر الله ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وقال: كل ما في الكون آية عليه ولا يحصل في اليد منه شيء.

ومن ذلك تنبيه لا تضاهي النور الإلهيّ من باب ٤٢٠ قال: الحق لا يضاهى لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] إنما الله إله واحد فأين المضاهي؟ وقال: صفات التشبيه مضاهاة مشروعة فما أنت ضاهيت. وقال: العقل ينافي المضاهاة والشرع يثبت وينفي، والإيمان بما جاء به الشرع هو السعادة فلا يتعدى العاقل ما شرع الله له. وقال: العاقل من هجر عقله واتبع شرعه بعقله من كونه مؤمناً. وقال: أكمل العقول عقل ساوى إيمانه وهو عزيز. وقال: لو تصرف العقل ما كان عقلاً فالتصريف للعلم لا للعقل وقال: [البسيط]

للعَقلِ لُبٌّ وللألباب أحْلامُ ... وللنُّهَى في وُجودِ الكَوْنِ أحْكامُ
تمضي اللّيالي مع الأنفاس في عَمَهٍ ... للخَوْضِ فيه وأيام وأعْوامُ
وما لنا منه من عِلْمٍ ومعرفةٍ ... إلاّ القُصُور وإقْدامٌ وإيهامُ
العلمُ بالله نَفْيُ العلمَ عنك به ... فكلُّ ما نحن فيه فهو أوْهامُ

وقال: العاقل من قال لعقله أعقل أنه لا يعقل فمتى عقلت جهلت.

ومن ذلك منازل الأدباء من السماء والعرش والعماء من الباب ٤٢١ قال: العالم الأديب ينزل الحق حيث أنزل نفسه لا يزيد عليه ولكن لا بدّ أن يعرف الزمان فإن زمان استوائه على العرش ما هو زمان نزوله إلى السماء ولا زمان كينونته في العماء. وقال: الحكم الذي يصحب الحق ولا يحكم عليه زمان خاص ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فهو في العرش مع الحافين به، وفي تلك الحالة هو في النزول مع أرواح العروج والنزول، وفي تلك الحال هو في السماء يخاطب أهل الليل، وفي تلك الحال هو في الأرض أي موجود غير الله يوصف بهذه الصفات: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].

ومن ذلك إلحاق الأصاغر بالأكابر من الباب ٤٢٢ قال: قالت: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ فأعادت الضمير من إليه على الخبير ﴿قَالُوا﴾ لما عندهم من أحكام المواطن ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] وإن كان حقاً، وما كان قد قرع أسماعهم ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] والمسمع محمد ﷺ حق في صورة محمدية ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] لما حصره المهد، وانظر إلى ما أعطت قوة إشارتها إلى الحق في قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] هو عين قوله: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦] خاصة أتاني الكتاب ضمّ حق إلى حلق حرف جاء لمعنى: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم:

٣٠] فإن المخبر الحق ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ زيادة صورة عيسوية في الحق ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ في المهد وغيره ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ فصليت هو الذي يصلي عليكم ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ الاسم القدوس ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١] حياة الأبد ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾ [مريم: ٣٢] من عرف نفسه عرف ربه، فتدبر هذه الإشارات وانظر إلى ما وراء هذه الستارات.

ومن ذلك من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ما هو ميت ولا حي من كل من له فيّ من الباب ٤٢٣ قال: من خلق الموت والحياة لا ينعت بهما فقد كان ولاهما ما هو ذو حياة فافهم. وقال: له الأسماء ما له الصفات فهو المعروف بالاسم لا بالصفة ولذلك ما ورد بالصفة كتاب ولا سنّة وورد قرآناً ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وورد: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] فتنزه عن الصفة لا عن الاسم، ورد في السنة: «**أنّ لله تِسعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً**» وقال: لله الرجوع فإنه التواب وإليه الرجوع لأن التوبة إلى الله ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] وقال: لا ترجع إليه حتى يرجع إليك لأنه الأول فإذا رجعت إليه رجع عليك رجوعاً ثانياً فهو الآخر فهو الأول والآخر ظهر وبطن ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٧] ليتوبوا.

ومن ذلك التشحير في التشمير من الباب ٤٢٤ قال: التشحير يزيل ما في الذهب من تراب المعدن في التشحير، ذلك عين الابتلاء يزيل ما يضاف إلى القديم من صفات الحدوث وما في الحادث من صفات القدم. وقال: هو المعدن وأنت الذهب فأنت المخلص منه وفيه تكونت وهو الذي يمدّك وبعد انفصالك عنه أوجد غيرك مثلك لا يزال الأمر هكذا. وقال: أنت المعدن وهو الذي يخلص منك بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وأنت لك أمثال. وقال: تشحير الطبيعة من حيث نفس الإنسان رياضة ومن حيث هيكله مجاهدة، فبالرياضة تهذبت أخلاقه وسهل انقياده، وبالمجاهدة قل فضوله فظهر له ما فيه من الأصول والفروع فعلم بالمجاهدة من هو ولمن هو وهذه هي السبل ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ومن ذلك من هرب من السلم إلى الحرب من الباب ٤٢٥ قال: من علم أن الهداية إلى سبيل الله في الجهاد هرب إلى السلم من الحرب فإن الله أمره بالطلب. وقال: لا يجنح إلى السلم إلاّ من كان مشهوده ضعفه أو من كانت العين مشهوده وقال: الأسماء لها الحكم فأي اسم حكم لك أو عليك فأنت له وهو اسم من أسماء الله تعالىٰ فهو ربك ولذلك كثرت الإضافات فقيل: عبد الله عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الكافي عبد الباقي عبد الكبير بلغت الأسماء ما بلغت، وكذلك الكنايات قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ [الحجر: ٤٢] ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [الكهف: ٦٥] ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٤] وهو الواقي فهو نون الوقاية وهو ضمير الياء فهذه إضافة الشيء إلى نفسه.

ومن ذلك الحجاب حجاب من الباب ٤٢٦ قال: حجبة الملك حجابه ليرى به بمن تتعلق أبصار الرعايا هل بالحجبة أو تعديها بطلب رؤية الملك؟ فالحجبة ابتلاء من الله. وقال:

الرسل حجبة وهم يدعون إلى الله لا إلى أنفسهم. وقال: الملائكة حجبة بين الله وبين الرسل بعد إسنادنا والمقصود من الرواية علو الإسناد وكلما قلّ علا وقد عرفنا بذلك فقال: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ فزال الملك ﴿أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨] فزال الرسول. قال أبو يزيد: حدثني قلبي عن ربي فعنه أخذ هذا نص الكتاب أيها المنكر. وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ وحياً بما يلقي الله برفع الوسائط، أو من وراء حجاب ما يكلمك به في صورة التجلي حيث كان ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١] من جنسك وغير جنسك.

ومن ذلك ما يجب على المخلوق من أداء الحقوق من الباب ٤٢٧ قال: تتنوع الحقوق لتنوع المخلوقات عند العامة. وقال: تتنوع الحقوق لتنوع الأسماء الإلٰهية عند الخاصة من عباد الله. وقال: تختلف الأحكام لاختلاف الأسماء سمك البحر حلال فإذا قلت في سمكة منها خنزير البحر حرمت هذا حكم الاسم، سئل مالك عن خنزير البحر فقال: حرام، قيل له: فإنه سمك قال: أنتم سميتموه خنزيراً وقال: الميتة حرام ما دام اسم الواجد ينسحب عليك فإذا زال وقيل هذا مضطر حلّت لك، فانظر بأي اسم سمّاك به الحق فأنت لذلك الاسم فأنت لك لأنك الواجد وأنت المضطر فما خرجت عنك فحكمك فيك منك، فإذا كنت ولا بدّ في حكم الأسماء فكن في حكم الأسماء الإلٰهية يكن لك الشرف.

ومن ذلك كرم الكرم لأصحاب الهمم من الباب ٤٢٨ قال: من تكرم على العفو والصفح بالوجود فعفا وصفح والعفو والصفح كرم فالعفو منه كرم الكرم. وقال: مسيء المسيء ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] والمسيء من أتى بما يسوء وإن كان جزاء إلاّ أن هذا الاسم مقصور على الخلق دون الحق أدباً أدبنا به الحق. وقال: الإحسان لله فهو المحسن المحسان، وإن عاقب فهو المحسن في حق العقوبة لأنه أوجدها فأحسن إليها في إيجادها، فما في العالم إلاّ إحسان، فأنت المحسن فيما ظهر عنك وإن كان وجوده عن الحق. وقال: إذا كان الحق يدك فقد أوجد بك كما تقول أوجد بقدرته وخصّص بإرادته ومشيئته، فأنت أولى أن تكون آلته فإنه الصانع وهذا هو المشهود ما تشهد الأفعال الإلٰهية إلاّ منا أعني العالم.

ومن ذلك ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٦] لا يبعد من الباب ٤٢٩ قال: الكل عند الله فله البقاء في العدم كان أو الوجود. وقال: هو يأخذ الصدقات فما نفد من عندك إلاّ بأخذه منك لو لم يأخذ ما نفد منك فما ثم إلاّ أنت وهو فإما عندك وإما عنده وأنت عنده فما عندك عنده، فما أخذ منك شيئاً فما نفد عنك. وقال: ما في يمينك ما هو في شمالك فنفد عن شمالك وأنت أنت ذو اليمين والشمال ما شمالك ولا يمينك غيرك فصدق ما عندكم ينفد فإن الشمال ما تعرف من بعض الناس ما تتصدق به اليمين، ورد في الخبر في الرجل الذي هو أقوى من الريح: «**إنَّهُ الَّذِي يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ فَيُخْفِيهَا عَنْ شِمَالِهِ**» ففرق بين اليمين والشمال والذات واحدة.

ومن ذلك من أسنىٰ الذخائر تعظيم الشعائر من الباب ٤٣٠ قال: الشعائر ما دقّ وخفي من الدلائل، وأخفاها وأدقها في الدلالة الآيات المعتادة فهي المشهودة المفقودة والمعلومة المجهولة فانظر ما أعجب هذا. وقال: ما يقوم بحق العظيم إلاّ من عظمه باستمرار الصحبة لا من عظمه عند ما فجئه ذلك تعظيم الجاهل. وقال: الرؤية حجاب لما يسقط بها من تعظيم المرئي عند الرائي. وقال: من عاين الخلق الجديد لم يزل معظماً للشعائر الإلٰهية. ومن عاين تنوع التجلي في كل تجلٍ لم يزل معظماً لله أبداً لأنه اختلف عليه الأمر في عين واحدة. وقال: لما كان الحكم للأحوال لذلك من شاهدها لم يزل معظماً فإنها تتجدد عنده في كل لحظة فهو في ابتداء أبداً.

ومن ذلك الإسلام والإيمان مقدمتا الإحسان من الباب ٤٣١ قال: الإيمان له التقدم والإسلام تالٍ وإلا لم يقبل، فهذا شفع قد ظهر والختام للوتر فأوتره الإحسان فأوّل الأفراد الثلاثة. وقال: حضرة الفرد الذات والصفات والأفعال وأريد بالصفات الأسماء فهذه ثلاثة. وقال: الإيمان تصديق فلا يكون إلاّ عن مشاهدة الخبر في التخيّل فلا بدّ من الإحسان والإسلام انقياد والانقياد لا يكون إلاّ لمن علم أن يد الحق بناصيته فانقاد طوعاً فإن لم يحسّ أي يشعر انقاد كرهاً، والإحسان أن تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وقال: [الخفيف]

مــا جــزَا مَــنْ رآك إلاّ تَــراهُ ... وهــو الــحَــقُّ لــيــس ثَــمَّ ســوَاهُ
فــهــو الــرائــي إذ رَأَيْــتَ كــمــا هــو ... مــن رَأَيْــنَــا فــهــو ومــا هــو مــا هُــوْ

ومن ذلك الضنائن خواتن من الباب ٤٣٢ قال: نفوس العارفين حور مقصورات في خيام كنفه ضنائن مصانون في العوائد يعرفون وينكرون. وقال: عنهم تكون الانفعالات الإلٰهية في الأكوان فهي لهم كالولادة لأهل الرجل، ورد في الخبر: «**بِهِمْ تُنْصَرُونَ**» فولدوا النصر، «**وَبِهِمْ تُمْطَرُونَ**» فولدوا الغيث، «**وَبِهِمْ تُرْزَقُونَ**» فولدوا الرزق. فسم عبد النصير وعبد المغيث وعبد الرزاق وهكذا ما بقي. وقال: الكد على العائلة والسعي على الأهل وأوجبه نفسك ثم زوجك ثم ولدك ثم خادمك هذا عين قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] فلنفسه لما يسبح بحمده وخلقه لعبادته وفي شأن أهله لما تمسّ حاجتهم إليه ولما تولد عنهم لذلك بعينه فتدبر ما أنعم الله عزّ وجلّ به عليك.

ومن ذلك إثبات العلة نحلة من الباب ٤٣٣ قال: العلة وإن اقتضت المعلول لذاتها فلها التقدم بالرتبة وإن ساوقها المعلول في الوجود فما ساوقها في الوجوب الذاتيّ النفسيّ فإذا عقلت هذا فلا تبال إلاّ أن يمنعك الأدب. وقال: ما هرب من هرب إلى القول بالشرط إلاّ من الخوف من مساوقة الوجود وما علم أن الموجود له حكم الوجود سواء تأخر أو تقدم بخلاف الوجوب النفسيّ فإنه له وليس لك فكان الله فيه ولا شيء معه فيه ولا يكون بخلاف الوجود، فلو قلت: كان الله ولا شيء معه لم تقل وهو الآن وهو ولا شيء لوجود الأشياء، وفي الوجوب الذاتيّ تقول في كل حال: كان الله ولا شيء وهو الآن ولا شيء فقد علمت الفارق فقل شرطاً أو علة أن تمنع شرعاً.

ومن ذلك حب الجزاء عن حب الاعتناء من الباب ٤٣٤ قال: حب المخلوق خالقه محصور بين حب الله الذي أوجب له أن يحبه وحب جزاء محبته فهو محفوظ عليه وجوده. وقال: علامة المحبة اتباع المحبوب فيما أمر ونهى في المنشط والمكره والسراء والضراء. وقال: دليل المحبّ الحمد لله المنعم المفضل، ودليل المحبوب الحمد لله على كل حال، كان رسول الله ﷺ يقول في السراء: «**الحَمْدُ للَّهِ المُنعِمِ المُفْضِلِ**» ويقول في الضراء: «**الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**» هذا هو الثابت عنه ذكره مسلم في الصحيح. وقال: حب الاعتناء بالجزاف عطاء بغير حساب ولا هنداز، وحب الجزاء بالميزان ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقال: الحب خلوص الولاء فهو للأولياء من العموم والخصوص. وقال: حب الاعتناء منه وحب الجزاء عنه، فإن حب الجزاء عرفناه بالتعريف وحب الاعتناء عرفناه بالوجود والتصريف.

ومن ذلك قد تحرّك النعمة أصحاب الظلمة من الباب ٤٣٥ قال: إنما سكن أصحاب الظلم ولم يتحركوا لأنهم لا يرون حيث يضعون أقدامهم فيخافون من مهواة يقعون فيها فسكونهم اضطرار. وقال: إذا تحرّك أهل الظلم فلجسيم النعمة فإنهم ما يحركهم إلاّ عظيم ما أردفهم الله به من نعمه حتى أغفلتهم عن شهود ظلمتهم. وقال: هل تعرف من هم أصحاب الظلم الناظرون في العلم بالله بالدليل النظري؟ والمهواة الشبهة فما يحركهم مع هذا إلاّ نعمة الإيمان فانتقلوا إلى التقليد فتحركوا بنور الشرع المطهر فأبصروا محجة بيضاء لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ولا تخاف فيها دركاً ولا تخشى.

ومن ذلك عموم الخطاب لمن طاب من الباب ٤٣٦ قال: ليس في خطاب الله خصوص بل دعوته تعم فإن المدعو واحد كما هو الداعي واحد. وقال: إذا دعا بالأسماء كثر الدعاة كثر المدعون كثرة الأعضاء من الإنسان الواحد، يقول رسول الله ﷺ: «**إنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ**» وكذا جميع قواك الظاهرة والباطنة فأنت الكثير وأنت الواحد، وكذلك الداعي بعينه وأسمائه فافهم. وقال: أنت نسخة منه وبك كمني عنه فقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧] فالسيف آلة لك وأنت والسيف آلة له. وقال: ما أجهل بالله من يقول: إن الله لا يخلق بكذا فالله تعالىٰ يقول في نبيه إنه رميت إلاّ أنه نفى الرمي عنه وأثبته فقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فالرمي وقع منه ﷺ بقول الله وإيصاله إلى أعين الكفار حتى ما بقيت عين لمشرك خاص إلاّ وقع من التراب في عينه فلهذا ليس للمخلوق، فالعجب من بعض الناس أنه يكفر بما هو به مؤمن.

ومن ذلك التسبيح تجريح من الباب ٤٣٧ قال: المنزّه لا ينزّه فإنه إن نزّه فقد نزّه عن التنزيه فإنه ما له نعت إلاّ هو فيشبه فالتسبيح تجريح فسبحه على الحكاية فإنه سبح نفسه وعلى ما أراد بذلك فهو تسبيح الأدباء العارفين به سبحانه. وقال: عدم العدم وجود وكذلك تنزيه المنزّه عما هو به موصوف. وقال: أهل التسبيح إذا أشهد أحدهم من سبّحه قال: سبحاني فما

سبح إلاّ نفسه. وقال: تسبيحه في زعمه ربه يفضحه الشهود فاستعجل بالتعريف في هذه الدار فقال: سبحاني فأنكر عليه من هو على حالته التي كشف له عنها. وقال: إن طلب منك الدليل فقل إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أردها عليكم.

ومن ذلك التحميد تقييد من الباب ٤٣٨ قال: كلامك محصور فإنك محاط بك فإذا أثنيت فقد قيدت بثنائك من أثنيت عليه وحصرته، وله الإطلاق فأطلقه من ثنائك مع بقاء الثناء عليه لا بدّ من ذلك وقل كما قال رسول الله ﷺ: «**لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ**» بعد بذل المجهود: «**أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» يقول رسول الله ﷺ في الصحيح في حديث الشفاعة: «**فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لا أَعْلَمُهَا الآنَ**» يعطيها في الموطن إن فهمت. وقال: كلمات الله لا تنفد فالثناء عليه منه لا يقف عند نهاية. وقال: يختلف الثناء على الله تعالىٰ لاختلاف حال المثني، فإن حال السراء ما هو حال الضراء، فاختلف الثناء على الله تعالى فيقول في وقت: الحمد لله المنعم المفضل، وفي وقت: الحمد لله على كل حال، وفي وقت: الحمد لله الذي هدانا لهذا، وفي وقت: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، وفي وقت: الحمد لله الذي صدقنا وعده، وفي وقت: الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذلّ، وفي وقت: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، وفي وقت: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وفي وقت: الحمد لله فاطر السموات والأرض، وفي وقت: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وفي وقت: الحمد لله سيريكم آياته، وفي وقت: الحمد لله رب العالمين.

ومن ذلك التأويل لأهل التهليل من الباب ٤٣٩ قال: لما تنوعت مواطن التهليل ظهر حكم التأويل، فلكل تهليل حال ولسان ورجال ومقام. وقال: التهليل قولك: لا إلٰه إلاّ الله فنفيت وأثبت. وقال: إن نظرت وتحققت ما نفيت فما هو إلاّ عين ما أثبت، ولولا أن الله يجازي بالقصد ما عظم جزاء التهليل. وقال: دليل ما ذهبنا إليه قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] فانظر هل عبدوا شيئاً إلاّ بعدما نسبوا إليه الألوهة؟ فما عبدوا إلاّ الله لا تلك الأعيان الحجة قوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْۚ﴾ [الرعد: ٣٣] وهو العلم كله ولم يقل انسبوهم فإنه لو قال لهم انسبوهم لنسبوهم إليه بلا شك.

ومن ذلك الله أكبر ممّن أو عمّن من الباب ٤٤٠ قال: لولا ما خلق من خلق على صورته ما قال الله أكبر لما في هذه الكلمة من المفاضلة، فما جاء أكبر إلاّ من كونه الأصل فعليه حذى الإنسان الكامل. وقال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] لما نسوا صورتهم فصحت المفاضلة وليس إلاّ أن السموات والأرض هما الأصل في وجود الهيكل الإنساني ونفسه الناطقة، فالسموات ما علا والأرض ما سفل فهو منفعل عنهما والفاعل أكبر من المنفعل وما أراد الجرم لقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] وقال: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فإن حوّاء خلقت من آدم وآدم خلق من الأرض، فكما أن له درجة على حوّاء للأرض عليه درجة فهو الأمّ لحوا وهو ابن للأرض

والأرض له أم ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [القصص: ١٣] لذلك تضغطه عندما يدفن فيها مثل عناق الأم وضمّها ولدها إذا قدم عليها من سفر فهو ضم محبة. ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] وهو البعث.

ومن ذلك ما هو لك ما يتملك من الباب ٤٤١ قال: ما هو لك هو يطلبك فلا تتعب فإن طلبته تعبت وملكك. وقال: ما هو لك ما هو لك وإنما هو لمن جاء من عنده. وقال: الله لك والله لا يملك. وقال: ما أشدّ حيلة الإنسان ما اقتنع في العلم بالله بما أخبره الله بما هو عليه في نفسه فنظر وتأوّل عسى يخرج عن الملك بما يملكه في اعتقاده ممّا أوجده بنظره ليكون هو في المالك فإنه من ملكه مملوكه فما ملكه إلاّ نفسه لأنه صنعه وخلقه فأحبه والمحبوب مالك فلذلك أقرّ بالملك صاحب النظر لمن اعتقده، فهو المالك المملوك والخالق المخلوق فافهم.

ومن ذلك من المكرمات تعظيم الحرمات من الباب ٤٤٢ قال: لما عظم الحرم عند بعولتهن صانوهن وغاروا عليهن وهو خير له، فإن صحة النسب تصون الأهل عن الريب فلا يدخله ريب فيما ولد على فراشه: «**الوَلَدُ لِلفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ**» وقال: جعل الله الأرض فراشاً ومنها خلق آدم على صورته وقد ورد: «**أَنَّ الوَلَدَ سِرُّ أَبِيهِ**» وقال: لولا هذه الحكمة المطلوبة لاكتفى بالمهاد ولم يذكر الفراش. وقال: ما خلق الله الألفاظ حين عينها بالذكر سدى فإن ذلك حرف جاء لمعنى وهو ما قلنا ولا يقتصر وقال فيها: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧] فأولدها توأمين ولذلك جاء: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥] حين ربت وهو الحمل وألقت الماء فنسب الإنبات إليه وإلى الأرض فقال: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] مصدر نبت فما قال إنباتاً ونسب الولد لوالده فإن له عليه ولادة بوضعه في الرحم، وينسب إلى الأم لأن لها عليه ولادة بخروجه من بطنها، فانظر إلى ما أعطاه الفراش وجعل الله بينه وبين خلقه نسباً ولم يكن سوى التقوى من الوقاية ورد: «**اليَوْمَ أَضَعُ نَسَبَكُمْ وَأَرْفَعُ نَسَبِي أَيْنَ المُتَّقُونَ؟**» ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومن ذلك من اعتني به صغيراً وضيع كبيراً من الباب ٤٤٣: قال: يحيىٰ: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] و﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]، وسلّط عليه الجبار عدوه فقتله وما حماه الله منه ولا نصره باقتراح بغى على باغ. وقال: أراد بقاه حياً فقتله شهيداً فأبقى حياته عليه فما مات من قتله أعداء الله في سبيل الله فجمع لهم بين الحياتين ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩] وإن كان الموت أشرف فإنه صفة الأشرف ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] فالأكابر لا يتميزون بخرق العوائد فهم مع الناس عموماً في جميع أحوالهم بظواهرهم. وقال: الاعتناء بالصغير رحمة به لضعفه فإذا كبر وكّل إلى نفسه فإن بقي في كبره على أصله من الضعف صحبته الرحمة، وإن تكبّر عن أصله وادّعى

القوّة المجعولة فيه بعد ضعفه أضاعه الله في كبره برد الضعف إليه فاستقذره وليه وتمنى مفارقته، وفي ضعف صغره كان يشتهي حياته ويرغب في تقبيله ولا يستقذره.

ومن ذلك لا تضيع الأجور عند أهل الدثور من الباب ٤٤٤: قال: يجبر الحاكم صاحب الوفر على إعطاء ما تعين عليه من الحق لغيره، ألا ترى إلى من جحد شيئاً من الزكاة ثم عثر عليه المصدّق أخذ منه ما جحد وشطر ماله عقوبة له. وقال: يبلغ المتمني بتمنيه مبلغ صاحب المال فيما يفعل فيه من الخير من غير كد ولا نصب ولا سؤال ولا حساب وهم في الأجر على السواء مع ما يزيد عليه من أجر الفقر والحسرة، و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] وتمنيه من عمله. وقال: ما يراد المال للاكتناز وإنما خلقه الله للإنفاق فمن اكتنزه ولم يعط حق الله منه الذي عيّنه له حمي عليه في نار جهنم فيكوى به جبينه فإنه أوّل ما يقابل منه السائل فيتغير منه إذا رآه مقبلاً إليه وجنوبهم ثم يعطيه جانبه إعراضاً عنه كأنه ما رآه وظهورهم ثم يوليه ظهره حتى لا يقابله بالسؤال فصار بالكي عين المكان الذي اختزنه فيه فهو خزانته وما ثم رابع لما ذكرناه.

ومن ذلك قطب الرحى يديرها من هو أميرها من الباب ٤٤٥: قال: ما تدور الرحى إلاّ على قطبها وقطبها فيها فهو عينها الثابت الذي لا يقبل الحركة والانتقال في حال الدور. وقال: بالأمر تدور ولولا القطب ما دارت فهو الأمير وما القطب غيرها فالأمر الأمر والمأمور. وقال: القطب يعلم بالقوّة ولا يشهد ويشهد ولا يتميز عند من يشهده مع علمه أنه يشهده في الجملة المشهودة، هكذا العلم بالله عليه تدور رحى الوجود فهو يعلم ولا يشهد ويشهد ولا يميز. وقال: من لم يعرف الله بمثل هذه المعرفة فما عرفه، فما عرفه أحد في شهوده ولا شهده أحد في العلم به.

ومن ذلك من أبى أن يكون من النقباء من الباب ٤٤٦ قال: النقيب من استخرج كنز المعرفة بالله من نفسه لما سمع قوله عزّ وجلّ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] وقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] وقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ**» وقال: من أبى أن يكون له مثل هذه المعرفة لم يكن من النقباء. وقال لما علم أن بين الدليل والمدلول وجهاً رابطاً زهد في العلم بالله من حيث نظره في الدليل وليس سوى نفسه وكان ممّن عرف نفسه بالله، وقد ذهب إلى ذلك جماعة من أصحاب النظر مثل أبي حامد ولكن لنا في ذلك طريقة غير طريقتهم، فإن الذي ذهبوا إليه في ذلك لا يصحّ، والذي ذهبنا إليه يصحّ وهو أن نأخذ العلم به إيماناً ثم نعمل عليه حتى يكون الحق جميع قوانا فنعلمه به فنعلم عند ذلك نفوسنا به وبعد علمنا به، وهذه طريقة أهل الله في تقدم العلم بالله.

ومن ذلك من المحال أن يعمّ الحال من الباب ٤٤٧ قال: الأمزجة مختلفة والنفوس تابعة للمزاج، والنفوس هي القابلة للواردات، والواردات تردّ بالأحوال، فمن المحال أن يعمّ حال واحد بل لكل وارد حال يخصّه، ولهذا عين ما يسكر الواحد يصحى الآخر وما عمّ سكر ولا صحو. وقال: الحال من حيث عموم الاسم يعمّ وهي أحوال تتميز بآثارها في النفوس

تدرك عقلاً وحساً. وقال: الغضب الإلهيّ والرضى من الأحوال فما ثم إلاّ من اتصف بالحال مغضوباً عليه كان أو مرضياً عنه، ويقال في المحدث أنه دخل تحت حكم الحال ويلزم الأدب في ذلك الجناب. وقال: لسان الحال أنزل: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ولسان الحقيقة: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

ومن ذلك التفويض تعريض من الباب ٤٤٨ قال: لا شك ولا خفاء أن من ألقى زمامه بيدك وفوّض أمره إليك وإن لم يتكلم فقد خاطبك بأفصح الألسنة أن تسلك به طريق الصلاح والأصلح لما جبلت عليه النفوس من دفع المضار وجلب المنافع. وقال: قد ثبت في الخبر أنه ليس شيء أحب إلي الله من أن يمدح وهو لا يتضرر بالذمّ وأنت تتضرر لأنك تألم ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ [النساء: ١٠٤] وقال: لولا ما امتلأ أنا العبد ما فاض وإنما ضاق عنه فألقى كله على غيره فسمّى هذا تفويضاً. وقال: الرجل من أعطي التحكيم ووسعه ومع هذا ترك التصريف إلى الحق فيه وفي ملكه، ومثل هذا لا يكون مفوّضاً.

ومن ذلك المعروف الأقربون أولى بالمعروف من الباب ٤٤٩ قال: الأقربون إلى الله أولى بالمعروف وهو الحق لصحة النسب وقربه، وهو المعروف في كل عقد، وإن اختلفت العقائد جملة فالمقصود بها واحد وهو قابل لكل ما ربطته به وعقدت عليه فيه، وفيه يتجلى لك يوم القيامة وهي العلامة التي بينك وبينه. وقال: ما العجب ممّن عرفه وإنما العجب في ذلك الموطن ممّن أنكره. وقال: صاحب العقد لا يعرفه إلاّ بما عقده خاصة فقيل لهم: أوفوا بالعقود والعالم لا عقد له فما له ما يوفى به فله من الأعين بعدد ما للحق في التجلي من الصور وهي لا تتناهى، فأعين العارفين غير متناهية، فتحدث الأعين بحدوث الصور أو تحدث الصور بحدوث الأعين.

ومن ذلك القبول إقبال عند الرجال من الباب ٤٥٠ قال: من قبل ما جئت به إليه فذلك عين إقباله عليك فلا تقف مع قبول الوجه فإن إقبال الوجه يفنيك ويعدمك، وإقبال القبول يبقيك ويقربك. وقال: من لم يفهم ما قلته فلينظر في حديث السبحات لو كشفها لأحرقت سبحات الوجه ما أدركه بصر الخلق من الخلق فإن بصر الحق يدرك الآن ولا حرق والمحبوب يكون الحق بصره فيدرك به لا يبصر الحق فإن بصر الحق يدرك الحق والحق في بصر الخلق لا يدرك الحق ولكن يدرك به الخلق، والسبحات هي المحرقة وما هي إلاّ سبحات العين عند النظر فإنه لولا النور ما ثبتت الرؤية ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النور: ٣٥] فذاته بصره. وقال: الأمر نسب ولولا النسب ما كانت العلاقة والنسب.

ومن ذلك حسن القول من الطول من الباب ٤٥١ قال: أحسن القول ما تشابه من الكلام فاشترك فيه الحادث والقديم، فالله الرؤوف الرحيم والنبيّ ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم. وقال: لولا التشابه ما عقلنا من كلام الله شيئاً ولا وقفنا منه على معنى. وقال: المحكم في المتشابه التشابه فمن تأوّله فقد أزاله عن الاشتراك وهو مشترك فقد زاغ من تأوّله عن طريق

الحق. وقال: علامة من علم أحسن القول الاتباع لما دلّ عليه ذلك القول فيقابل الطول بالطول ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمٰن: ٦٠] وقال: حسن القول يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، ويقف بك على المعاني الغامضة فيوضحها لك.

ومن ذلك الإنصاف في عبادة الإلٰه المضاف من الباب ٤٥٢ قال: إذا أضاف الحق نفسه إلى شيء من خلقه فانظر إلى عبادة ما أضاف نفسه إليه فقم بها أنت فإنك النسخة الجامعة وما عرفك الحق بهذه الاضافة الخاصة إلاّ لهذا. وقال: مثال الإلٰه المضاف ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ﴾ [طه: ٥٠] ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٩] ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ [النبأ: ٣٧] ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ﴾ [الدخان: ٨] ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمٰن: ١٧] فعطف وما أظهر الإضافة كما فعل في غير ذلك ما فعله سدى، فاعبد ربك على ما قلته لك في كل إضافة حتى يأتيك اليقين، وإذا أتاك اليقين انجلى لك الأمر وعرفت شرف الإضافة، ما عبد أحد الإلٰه المطلق عن الإضافة فإنه الإلٰه المجهول.

ومن ذلك السبحات لأرباب اللمحات من الباب ٤٥٣ قال: لا دليل أدل من الشيء على نفسه، فمن لم يثبت عند ظهوره له فالقصور منه وهو قد وفى، من كان حقيقته العجز وعجز فقد وفى فالوفاء من الطرفين. وقال: لمح البصر كالبرق يضرب فيظهر ويظهر ويزول فلو بقي أهلك. وقال: إنما تحرق سبحات الوجه الدعاوى أنك أنت فلا يبقى إلاّ هو فإنه ما ثم إلاّ هو فهو إبانة لا إحراق. وقال: وجه الشيء حقيقته و﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] فالشيء هنا ما يعرض لهذه الذات فإن كان للعارض وجه فما يهلك في نفسه وإنما تهلك بنسبته إلى ما عرض له، فالضمير الذي في وجهه يعود على الشيء ويعود على الحق فأنت بحسب ما تقام فيه فإنك صاحب وقت.

ومن ذلك المصطفى من جني عليه فعفى من الباب ٤٥٤ قال: للنفس حق فإذا جنى عليها وعفوت فأنت الظالم المصطفى وهو الأوّل من الثلاثة لم يأخذ لها حقّها ممّن ظلمها وعاد أجرها على الله. وقال: إذا درس الذنب فقد عفا أثره فلم يبق له عين ولا أثر ولا سيما ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨] والعفو يطلبونه. وقال: المصطفى هو المختار ولكن ممّن ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] وما ثم حثالة ولا كناسة، النفوس نفايس فيختار الأنفس ويبقى النفيس. وقال: المصطفون هم الذين ورثوا الكتاب وهو القرآن المحفوظ من التحريف والزيادة، فلو حفظت سائر الكتب لورثت، فمن كوشف منها على ما ثبت أنه إلهيّ ورثه وحكم به على بصيرة. وقال: الورث لا يكون إلاّ بعد الموت فالكتاب محمدي، فإن العلماء ورثة الأنبياء، والكتاب هو الموروث والشيء الذي مات هو صاحبه وقد مشى إلى الله. وقال: من ظلم ما حكم، ومن اقتصد ما اعتضد وقنع واكتفى، ومن سبق حاز الأمر وظفر، فكن من شئت من هؤلاء.

ومن ذلك صفات الأوداء التبري من الأعداء من الباب ٤٥٥ قال: إذا تبرأ العارف ممّن صحّت عداوته لله فليحذر من تبريه فإنه ما تبرأ إلاّ من اسم إلهيّ يجب عليه تعظيمه. وقال: إن

تبرأ بتبرء الله استراح فيكون الله المتبرىء لاهو كما يلعن بلعنة الله ويغضب بغضب الله ويرضى برضى الله وهو في هذا كله لا صفة له من نفسه. قال أبو يزيد البسطامي: لا صفة لي لا تصحّ البراءة من الأعداء إلاّ لله ولرسله عليهم السلام، ومن كوشف على الخواتم ومن سواهم فما لهم التبري، وإنما لهم أن لا يتخذوهم أولياء يلقون إليهم بالمودة لا غير. وقال: لو تبرأ الله من عدوّه ما رزقه ولا أنعم عليه ولا نظر إليه. وقد أخبر أنهم آكلون من شجرة الزقوم فمالؤون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وهم العطاش، فلو تبرأ منه الله ما كان للعدوّ وجود لأنه غير حافظ عليه وجوده، ومتى لم يحفظ عليه وجوده هلك وذهب عينه، وهو عزّ وجلّ القائل: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١] وقال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومن ذلك التقاعس عن التنافس من الباب ٤٥٦ قال: أصحاب الهمم يتنافسون في السباق إلى أسماء الكرم والجود الإلٰهي ليقاموا بها فيدعون بها. وقال: لا يكون التنافس إلاّ في النفائس، ولا نفائس إلاّ الأنفس، ولا أنفس من الأنفس إلاّ الأنفاس. وقال: من تقاعس عن التنافس فيما ينبغي أن يتنافس فيه فهو كسلان مهين لا همة له ولا نفس. وقال: ليس الطيب إلاّ أنفاس الأحبة لولا أعرافهم ما فاح المسك لمستنشق، وما وقع التنافس بين أهله في المسابقة إلاّ مهب أرواح هذه الأعراف. وقال: ما يعرف مقدار الأنفاس وطيبها وما يعطى من المعارف الإلهية إلاّ البهائم، ألا تراها تشم كل شيء وتشم بعضها بعضاً عند اللقاء ولا تمرّ بشيء إلاّ تميل برؤوسها إليه فتشمه.

ومن ذلك متى تثبت الخلق في مشاهدة الحق من الباب ٤٥٧ قال: لا يثبت الخلق عند المشاهدة وقت التجلي إلاّ إذا كان الحق بصره والحق نور والإدراك لا يكون إلاّ بالنور وقال: إذا رأيت العارف قد ثبت عند التجلي ولم يصعق ولا فني ولا اندكّ جبل هيكله فتعلم أنه حق وله علامة وهي أنه إذا كان هذا حاله لا يراه خلق إلاّ صعق إلاّ أن يكون مثله. وقال: إذا رأيت من يغشى عليه في حاله ويتغير عن هيئته التي كان عليها أو يصعق أو يصيح أو يضطرب أو يفنى فتعلم أنه خلق ما عنده من الحق شمة، فإن كان صادق الحركة فغايته أن يكون جبل موسىٰ إن كان في مقام الأوتاد، وإما موسوي الورث إن كان ناظراً عن أمر إلٰهيّ لطلب شوقي.

ومن ذلك معارج الأنفاس للإيناس من الباب ٤٥٨ قال: للأنفاس الإلهية معارج تعرج عليها إلى المكروبين من عباد الله تأتيهم من تحت أرجلهم لأنهم طالبون لها فهي من أكسابهم، فلهذا كانت من تحت أرجلهم وهي من الروابع السفلية الطالبة العلوّ. ولهذا تعرج. وقال: الحبل الذي لو دلي لهبط على الله قاله رسول الله ﷺ منه تعرج هذه الأنفاس تطلبنا. وقال: الأنفاس العلوية تعرج إليها الأرواح البشرية فتخترق السموات العلى إلى السدرة المنتهى إلى النور الأجلى إلى المورد الأحلى إلى الموقف الأسنى إلى المكانة الزلفى إلى الجنة المأوى إلى المستوى الأعلى إلى العقل الأسمى إلى حجاب العزّة الأحمى إلى الأسماء

الحسنى بالمقام الأبهى والمحل الأزهى إلى أن دنا من قاب قوسين أو أدنى فهنالك يبلغ المنى.

ومن ذلك الأجور بور من الباب ٤٥٩ قال: من علم أن العالم يتحدد في كل زمان فرداً ومقداره من أوله إلى آخره في عين واحدة يعقل ما مضى وما أتى وهي لا موجودة فتنعدم، فإنها ما هي واجبة الوجود ولا معدومة فتوجد، فهي تبع في الوجود لما تقع عليه العين أو يدل عليه العقل، علم أن الأجور تبور لكن هذه العين ما لها هذا العلم في كل عين بل هي في أكثر الأعين ﴿فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] وقال: كل عمل للعبد أجره فيه على الله لا يبور فإن الله هو ليس غيره ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ [يوسف: ٧٥].

ومن ذلك كشف المعرفة في ترك الصفة من الباب ٤٦٠ قال: ما ثم إلاّ عين واحدة لها نسب مختلفة تسمّى عند قوم أسماء وعند قوم نعوت وصفات وأحوال، فمن قال بوجودها فما ذاق للعلم طعماً، ومن نفى أحكامها في هذه العين فكذلك، وسواء كان المسمّى بها حادثاً أو غير حادث، بل هي في غير الحادث أشدّ إحالة منها في الحادث. وقال: لا يقال بترك الصفة فإنه ما هي ثم فتتركها إلاّ أن تريد حكمها فتفرده لله فيكون الحق عين ما ينسب إلى الخلق من الصفات ويتميز الخاص من العباد من غير الخاص بالعلم بذلك، فيعلم من يسمع بالحق أن الحق هو السمع والسميع، وهو من المتكلم المكلم والكلام فمنه وإليه فأين أنت ومن أنت؟ وقال: إذا كان الأمر على ما قرّرناه فالجاهل به من هو ما نرى إلا أمراً آخر قد بدا أوقع الحيرة إن ثبت فهو أيضاً العالم ما هو الحق كما قلنا.

ومن ذلك من لا يفهم لا يفهم من الباب ٤٦١ قال: الإفهام لا يقع إلاّ بعد العلم والقدرة على التوصيل، والعلم بالقابل من غير القابل، والعلم لا يكون إلاّ بعد الإعلام والتعلّم. وقد علم العارف من يعلم ومن يتعلم فقد علم أنه ما هو الذي فهم فعلم أنه لا يفهم مع ثبوت أن زيداً أعلم عمراً أمراً ما فعلمه عمرو، فإن كان له اقتدار على التوصيل إلى غيره أفهم غيره وإلاّ فلا، فلا يلزم من حصول العلم الإفهام. وقال: لهذا قلنا إن الأمر بينك وبينه، فمنه الاقتدار ومنك القبول، وبالأمرين ظهر ما ظهر، فالأمر توليد فما ثم إلاّ والد وولد، ومن ذلك الأولى طرح لو ولولا. قال: أداة لو امتناع لامتناع فهي دليل عدم لعدم فإذا أدخلت عليها لا وهو أداة نفي عاد الأمر امتناع الوجود وهذا من أعجب ما يسمع، فإن الأولى أن يكون الحكم في الامتناع والعدم أبلغ لكون الداخل أداة نفي والنفي عدم، فأعطى الوجود وأزال عن أداة لو وجهاً واحداً من أحكامها وهو قولهم لامتناع. وقال: ما العجب في دخول هذه الأدوات على المحدثات وإنما العجب في دخولها في كلام الله ونفوذ حكمها ودلالتها في الله هذا هو العجب العجاب. وقال: قد ثبتت نسبة الكلام إلى الله وقد ثبت أن الذي سمعناه في تركيب هذه الحروف هذا التركيب الخاص والنسبة الخاصة أنه كلام الله فقد حصل فيه هذه الأدوات فجرى عليه حكمها فهل ذلك من جهتنا أو ما هو الأمر إلاّ كذلك؟

ومن ذلك أسمائي ستور بهائي من الباب ٤٦٢ قال: لولا الأسماء ما خفنا ولا رجونا

ولا هبنا ولا عبدنا ولا سمعنا ولا أطعنا ولا خوطبنا ولا خاطبنا المسمّى، ولولا الأحكام التي لها وهي الآثار ما علمت الأسماء فهي ستور إليها والجمال على المسمّى. وقال: أحكام الأسماء جمل الأسماء وكساها البهاء، والأسماء جملت المسمّى وكسته البهاء، وبنا تعينت الأسماء، فنحن كسوناه صورة البهاء، وفيه ظهرت الأسماء، فبه قام البهاء فإنه المسمّى وقال: ما اختلفت أسماء الأسماء إلاّ لاختلاف معانيها ولولا ذلك ما تميزت لنا فهي عنده واحدة وعندنا كثير.

ومن ذلك أعين العارفين إلى عليين من الباب ٤٦٣ قال: لا تكون الأعين ناظرة إلاّ إلى موضع كتابها، فمن كان كتابه في عليين فنظره إلى عليين، ومن كان كتابه في سجين فعينه مصروفة إلى سجين، فالكتاب يقيده بالخاصية. وقال: إنما شرع الله قراءة الكتب في الدار الآخرة ليعلم العبد المصطفى قدر ما أنعم الله عليه به، والهالك ليعذر من نفسه فيعلم أنه جنى على نفسه. وقال: لولا شهادة المرء على نفسه بما شهدت به جلوده وجوارحه ما ثبت كتاب ولا كان حكم، فالاعتراض شهادة المعترف على نفسه فيما فيه هلاكه. وقال: النفوس من ذاتها تدفع ما يضرّها وتسعى في تحصيل ما ينفعها فكيف شهدت بما فيه هلاكها حين اعترفت؟ وقال: ما عذب من اعترف فإن الكرم لا يقتضيه والجوارح رعية ما هي الوالي فشكت بالوالي.

ومن ذلك الانتها إلى سدرة المنتهى من الباب ٤٦٤ قال: السدرة المنتهى عروقها دون السماء وأصلها في السماء وفروعها عليون، فتنتهي إليها أعمال العباد الصالحة والطالحة، فإذا مات الإنسان وقبضت روحه قرنت بعملها حيث انتهى عمله من السدرة، فالذي لا تفتح لهم أبواب السماء عمله في عروق هذه السدرة، والذين يفتح لهم أبواب السماء عملهم في موضع ثمر هذه السدرة، ولهذا لا يجوع السعيد ولا يعرى للورق والثمر اللذين في الفروع، والشقي يجوع ويعرى لعدم التمر والورق في العروق وعدم الورق علم مدرج في مثال. ومن ذلك عوارف آناء الليل في أطراف النهار قال: الصباح والمساء أطراف النهار، فالمساء ابتداء الليل والصباح انتهاء الليل، والنهار ما بين الانتهاء والابتداء، والليل ما بين الابتداء والانتهاء، والعوارف الإلهية هي ما يعطي الحق في تجليه لعباده، فأمرنا بالتسبيح آناء الليل وأطراف النهار، وما تعرض لذكر النهار في هذا الحكم لأنه قال: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧] أي فراغاً فالنهار لك والليل وأطراف النهار له، فإذا كنت له في الليل وأطراف النهار كان لك هو في النهار، فعطايا الليل وأطراف النهار جزاء التسبيح، وعطايا النهار جزاء الاشتغال، والفراغ إلى الحق في آناء الليل وأطراف النهار، فما ثم من الله للعبد إلاّ جزاء والابتداء للعبد، فإن النفس إذا أكلت من كسبها لها إدلال كما أن لها انكساراً في الهبة فلهذا كان الجزاء عاماً لأنه على الصورة ولا انكسار ينبغي لها، ومن ذلك الدعاء من الوعاء قال: لا يكون الوعاء وعاء حتى يكون فيه ما يعي عليه، وإذا امتلأ لا يكون فيه غير ما امتلأ به، فلهذا يدعو الإنسان فإنه ملآن بما يدعو به، فإذا دعا فرغ أنيته فملأها الله بما أجابه به ممّا دعاه فيه وزيادة، فما

شرع الدعاء إلاّ لتفريغ المحل ممّا ملأه الحق به، ولهذا ما ثم إلاّ من يدعو ويبتهل وقال: انظر إلى الكأس إذا كان ملآن بالماء ثم فرغته أو فرغت منه ما فرغت ما يخرج منه شيء في حين خروجه إلاّ عمر موضعه الهواء فهذه بشرى بسرعة إجابة الله من دعاه.

ومن ذلك آداب الحق ما نزلت به الشرائع قال: لما كان الأمر العظيم يجهل قدره ولا يعلم ويعزّ الوصول إليه تنزلت الشرائع بآداب التوصل فقبلها أولو الألباب لأن الشريعة لب العقل والحقيقة لب الشريعة فهي كالدهن في اللب الذي يحفظه القشر فاللب يحفظ الدهن والقشر يحفظ اللب، كذلك العقل يحفظ الشريعة والشريعة تحفظ الحقيقة، فمن ادّعى شرعاً بغير عقل لم يصحّ دعواه فإن الله ما كلف إلاّ من استحكم عقله، ما كلف مجنوناً ولا صبياً ولا من خرف من الكبر، ومن ادّعى حقيقة من غير شريعة فدعواه لا يصحّ، ولهذا قال الجنيد: علمنا هذا يعني الحقائق التي يجيء بها أهل الله مقيد بالكتاب والسنّة أي أنها لا تحصل إلاّ لمن عمل بكتاب الله وسنّة رسوله وذلك هو الشريعة. وقال: «**إِنَّ الله أَدَّبَنِي فَحَسَّنَ أَدَبِي**» وما هو إلاّ ما شرع له، فمن تشرع تأدّب ومن تأدّب وصل.

ومن ذلك عين القلب في القلب قال: خلق الله الإنسان مقلوب النشأة فآخرته في باطنه ودنياه في ظاهره وظاهره مقيد بالصورة، فقيده الله بالشرع، فكما لا يتبدّل لا يتبدّل وهو في باطنه يتنوّع ويتقلب بخواطره في أي صورة خطر له كما يكون عليه في نشأة الآخرة، فباطنه في الدنيا صورة ظاهره في النشأة الآخرة، وظاهره في الدنيا باطنة في النشأة الآخرة لهذا جاء: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] فالآخرة مقلوب نشأة الدنيا والدنيا مقلوب نشأة الآخرة، والإنسان هو الإنسان عينه، فاجهد أن تكون خواطرك هناك محمودة شرعاً، فتجمل صورتك في الآخرة وبالعكس.

ومن ذلك مراتب الحق عند الخلق قال: إذا أراد العبد أن يعلم مرتبته عند ربه ومنزلته وقدره فلينظر في نفسه قدر ربه عنده ورتبته ومنزلته، وما يعامله به في حياته الدنيا من طاعة ومعصية وموافقة ومخالفة وطلب علم وترك، فعلى ذلك الحد منزلته عند ربه، فميزانك بيدك فإن شئت أرجح الميزان وإن شئت أخسره لا تلم إلاّ نفسك. وقال: إذا كان عملك عن أثر إلهيّ مشروع خرجت عن هوى نفسك ولو وافقت الهوى، وتكون ممّن نهى النفس عن الهوى، وهنا نكتة ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] والجنة ستر والإيواء ستر، فإن النهي عن الهوى لا يكون إلاّ من أديب أو من مستور عنه الحق في الأشياء، فإنه لو كان صاحب كشف لكان هواه ما ارتضاه الله وأراد أمضاه، فلا ينهى النفس عن الهوى من هذه صفته. ومن ذلك اتساع فضاء الفضاء قال: كل ما هو العالم فيه فضاء فلا شيء أوسع من فضاء الفضاء، وبقي عين ما ظهر فيه الفضاء هل هو من حكم الفضاء أم لا؟ فمن جهل الأعيان الثابتة لم يجعل العين التي ظهرت فيها أحكام الفضاء من أحكام الفضاء، ومن علم أن أعيان الموجودات لها ثبوت في حال عدمها وتميز بجميع ما هي عليه جعل حكم الفضاء على تلك الأعيان فجرى عليها بالإيجاد فأوجدها، فكما جرى حكم الفضاء على كل ما في الوجود من

الأعيان بما هي عليه من التصريف كذلك جرى حكم الفضاء على الأعيان الثابتة بما ظهر من وجودها.

ومن ذلك من تعبّد الخلق فقد برىء منه الحق قال: ما أحسن الخبر النبويّ في إشارته بقوله ﷺ: «**العَبْدُ مَنْ لاَ عَبْدَ لَهُ**» ففهم منه المحجوب أنه من لا عبد له قام بأمور نفسه فهو عبد نفسه، وما مقصود الحق في ذلك إلاّ أن العبد من ليس له وجه إلى ربوبية وسيادة أصلاً. فإذا ملك العبد أمراً ما فله سيادة على ما ملك، فالعبد على الحقيقة من لا ملك له لأن المملوك ذليل تحت تصرّف المالك ولا يقدر على دفع تصرّفه فيه ولا يكون هذا إلاّ بملك الرقبة، فإن ملك التصريف دون الرقبة فهو مالك للتصريف لا مالك الرقبة، كالذي يستأجر أجيراً على فعل يفعله فعبده التصرّف لا المتصرّف وهو المسمّى أجيراً، فالأجير خادم أجرته فهو خادم نفسه، وذلك العبد فإنه لا عبد له فما له سيادة على أحد والعارف عبد الله وأن ملكه التصريف ولا بدّ من ذلك فما له سيادة، فإن الرقبى لله والعمرى للعبد.

ومن ذلك الرؤية حجاب وهي الباب قال: ليس للمعرفة باب إلاّ الرؤية فإنه لا شيء أوضح منها إلاّ أنها حجاب على قدر المرئي وذلك لسبب وهو الشبه، فإن الرائي أي راء كان ما يرى في المرئي إلاّ صورته حقاً كان أو خلقاً، فلا يعرف قدر المرئي إلاّ إن عرف ما رأى، وأن الذي سمّاه مرئياً إنما هو مرئي فيه ما هو مرئي والمرئي صورته فما طرأ عليه غريب يستعد للعمل معه بقدره إلاّ أن ثم نكتة وهي أن المحل الذي رأى صورته فيه كست تلك الصورة المرئية حالاً لم يكن لها إذ لم يكن لها المجلى، فلا بدّ أن يعامل ما رأى بما ينبغي لهذا الحكم فتحقق.

ومن ذلك لا يرى السكينة إلاّ من حقق تمكينه، قال: كل مدرك بقوّة من القوى الظاهرة والباطنة التي في الإنسان فإنه يتخيل، وإذا تخيله سكن إليه فلا يقع السكون إلاّ لمتخيل من متخيل، وجميع العقائد كلها تحت هذا الحكم في الخبر الصحيح: «**اعْبُدِ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ**» فلهذا كانت عقائد والعقائد محلها الخيال، وإن قام الدليل على أن الذي اعتقده ليس بداخل ولا خارج ولا يشبه شيئاً من المحدثات، فإنه لا يسلم من الخيال أن يضبط أمراً لأن نشأة الإنسان تعطي ذلك، والحكم تابع لذات الحاكم بقبول ما يعطيه المحكوم عليه، وليس المحكوم عليه هنا إلاّ المتخيل وهو المعتقد، فانظر ما أخفى وأقوى سريان الخيال في الإنسان، فما سلم إنسان من خيال ولا وهم، وكيف يسلم ولا خروج للعقل عن هذه الإنسانية؟ فلو انعدمت انعدم هذا الحكم فهو يوجد ما وجدت.

ومن ذلك قوّة اللطيف وضعف الكثيف قال: لا شيء ألطف من الخواطر والأوهام وهي الحاكمة على الكثائف لضعف الكثيف وقوّة سلطان اللطيف، الدليل لنا صفرة الوجل وحمرة الخجل، والتغيّر بالخوف والمخوف من حلوله ما له عين وجودية، وقد أحدث الخوف في جسم الخائف حركة الهرب وطلب الستر والمدافعة، وما وقع شيء إلاّ عين الخوف وهو لطيف، فإذا حلّ به ما يخاف منه فلا بدّ من قوّة سلطان الخوف عليه وإن كان

لطيفاً وهو أحد أمرين: إما الرضى والصبر أو السخط والضجر، والأثر سكون أو قلق فقد أثر.

ومن ذلك قرب العبد الثاني في المثاني قال: القرب من الحق قربان: قرب حقيقي وهو ارتباط الرب بالمربوب وارتباط العبادة بالسيادة والحادث بالسبب الذي أحدثه. والقرب الثاني القرب بالطاعة لأمر المكلف والدخول تحت حكمه، فالأوّل قرب ذاتيّ يعمّ جميع الموجودات، والثاني قرب اعتناء وكرامة، فالقرب الأوّل قرب رحم ونسب لو أراد الدافع أن يدفعه لم يستطع لأنه لذاته هو قرب، وقرب الاختصاص قرب المكانة من السلطان، ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فله ذلك فلو قيل له: لا تكن سيداً لعبدك أو لا تكن عبداً لسيدك لكان خلقاً من الكلام، ولو قيل له: أطع سيدك أو لا تطع سيدك لم يكن ذلك خلفاً من الكلام، وإن قيل له: إن شئت أطع سيدك وإن شئت لا تطعه ردته الحقائق فإن العبد لا مشيئة له مع مشيئة سيده.

ومن ذلك السبت في السبت قال: يقول الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وهي الطاعات التي أمر الله بها عباده ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١] كما قال: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] ولما كانت المسارعة إلى الخيرات وفي الخيرات تتضمن المشقة والتعب لأن سرعة السير تشق أعقب الله هذه المشقة رحمة إما في باطن الإنسان وهو الذي رزقه الله الالتذاذ بالطاعات فتصرفه المحبة فلا يحسّ بالمشقة ولا بالتعب في رضى المحبوب، وإن كان بناء هذا الهيكل يضعف عن بعض التكاليف فإن الحب يهونه ويسهله، وإما في الآخرة فلا بدّ من الراحة والسبت الراحة والسبت سير سريع في اللسان وللراحة تسمّى يوم السبت سبتاً وما عامله بما ينبغي له إلاّ أهل هذه البلاد وفي المغرب أهل سبته لا غير.

ومن ذلك من بهت فقد بخت قال: لا يكون البهت أبداً إلاّ لمن عجز، ومن عجز فقد وقف على حقيقته، ومن وقف على حقيقته علم ما ثم فشرف محله بالعلم فإنه ما يتصرّف إلاّ بالعلم، ومن صرّفه العلم فقد سعد لشبهه بالأصل وهو التخلق. وقال: قال الله لنمرود بلسان إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] في المسألة الأولى وهو الآن بالبهت ليس بكافر لأنه علم الحق ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤] أي لا يبين لهم في حال سترهم وحجابهم فإن الإبانة بالعلم ترفع ستور الجهل بذلك المعلوم، وإذا ارتفع الستر كان تجلي الأمر على ما هو عليه فأعطي العلم فبهت الذي ستر عنه الأمر قبل تجليه فآمن به في نفسه ولا بدّ وإن لم يتلفظ به، وكيف يتلفظ به وقد غاب عن الإحساس بعين ما هو به محسّ.

ومن ذلك بيت النور القلب المعمور قال: ليس لقلب المؤمن التقي النقي الورع عامر إلاّ الله، والله هو النور لأنه ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ ثم مثل القلب ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ﴾ وهو النور نور العلم بالله، وما بقي من الكلام فإنما هو من تمام كمال النور الذي وقع به التشبيه ما هو من التشبيه فلا تغلط فتخط الطريق إلى ما أبان الحق عنه في هذه الآية، فالعارف يقف في

التلاوة على مصباح ثم يقول: ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ [النور: ٣٥] فحديثه مع المصباح لا مع النور الإلهيّ الذي هو الحق الذي وسعه القلب المشبه بالمشكاة والمشكاة الكوة. ومن ذلك الحصن المنيعة علوم الشريعة قال: من علم حكمة وضع الشرائع والنواميس في العالم رعاها حق رعايتها فحافظ عليها ولزم العمل بها، هذا لما يتعلق بها من منافع الدنيا وحفظ الأنساب والأموال وحصول الأمان في النفوس بوجود القائمين بها والعاملين هذا حظ الكافة منها. وأما المؤمنون بها إذا كانت النواميس إلٰهية جاءت بها رسل الله من عند الله فزادوا فيها صدق ما يتعلق بالآخرة من ثواب وصفات، وما يتعلق بها للعامل عليها المخلص فيها من الكشف والاطلاع والتعريفات الإلهية والمخاطبات الروحانية، ومناسبة ما يلحق العالم العنصريّ بالملأ الأعلى في التقديس والتطهير، فلا سلاح ولا حصن أحمى من العمل بالمشروع كان المشروع ما كان وإذ ولا بدّ من حفظ الناموس فعليك بملازمة الشرع المطهر النبويّ الإلهيّ.

ومن ذلك ما ظهر إلاّ أنت حيث كنت قال: إذا لم يكن لك من أنت له إلاّ بما يقبله ويكون عليه لا بما هو عليه، فأنت الذي ظهرت لك وما أعطاك منه شيئاً فما أفادك إلاّ أن عرفك أن ما أنت عليه هو أنت، وإذا كان الأمر هكذا فما عرفت سواك، هذا حالك مع من استندت إليه ورأيت أن له أثراً فيك، فكيف بك إذا لم تستند إلاّ إليك ولا أعاد عليك ما أنت فيه إلاّ أنت، فأنت بكل وجه وعلى كل حال معه أو معك فلا تلومن إلاّ نفسك إذا رأيت ما لا تستحسنه، واشكره على كل حال فإنه أفادك العلم بك فيما أعطاك وكشفه لك منك، فلهذا يشكر ولا يجوز أن يكفر. ومن ذلك الكتابة لأصحاب النيابة قال: ما كتب الله على نفسه ما كتب إلاّ لمن قام بحق النيابة عنه فيما استنابه فيه وليس إلاّ المتقين وهم الذين جعلوا الله وقاية لهم منه ومن كل شيء يكون منه، كما جعلهم الله وقاية بينه وبين ما ذمّه من الأمور ممّا هو خلق الله، فينسب ذلك إلى الآلة التي وقع بها الفعل فلما وقاه وقاه فصحّ له ما كتب له على نفسه، وقال: ما عدا هؤلاء فهم أهل المنن فنالوا أغراضهم على الاستيفاء. ثم إن الله امتن عليهم بعد ذلك بالمغفرة والرحمة التي عمّ حكمها وقال: لله قوم من نوابه كتب الله في قلوبهم الإيمان فما كذبوا شيئاً ممّا له وجود في الكون ووجدوا له مصرفاً، وإن كان الذي جاء به قصد الكذب وأخبر في زعمه أنه عدم فله وجود عند هؤلاء ولذلك قال: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢] فهذا الروح المؤيّد به إذا توجه على معدوم أوجده، وعلى معدل مسوّى نفخ فيه روحاً.

ومن ذلك يا معلم الحق أنت الكتاب الذي سبق، قال: للأعيان الثابتة في حال عدمها أحكام ثابتة مهما ظهر عين تلك العين في الوجود تبعه الحكم في الظهور، وعلى هذا تعلّق علم الحق به فما للعلم سبق ولا للكتاب، وإنما السبق لما أنبأناك به، فالشيء حكم على نفسه أعني المعلوم ما حكم غيره عليه فلا فضل لشيء على شيء، وإنما يظهر لك ما بطن فيك عنك ولا لوم فالحق له الغنى على الإطلاق فلا افتقار إذ لو افتقر إليه لحكم عليه الافتقار بإعطاء ما افتقر فيه إليه فيدخل تحت وجوب الافتقار أو تحت مشيئة الاختيار، ولا دخول له في هذا ولا في هذا فهو الغنيّ عن العالمين إن أنصفت.

ومن ذلك الجوهر النفيس في التقديس قال: التقديس الذاتي يطلب التبري من تنزيه المنزهين فإنهم ما نزّهوا حتى تخيلوا وتوهموا، وما ثم متخيل ولا متوهم يتعلق به أو يجوز أن يتعلق به فينزه عنه بل هو القدوس لذاته فهو الجوهر أي الأصل النفيس الذي لا ينافس في صفاته، فإن الذي هو له ما هو لك، وإن الذي لك لك ما هو له، فأنت لك بما أنت وهو له بما هو، والحقائق لا تنقلب ولا تتبدّل، فما تخلق متخلق بأخلاق غيره، وإنما أخلاقه ظهرت عليه لأعين الناظرين، ولا تحقق متحقق بحدود غيره فإن الحد لا يكون لغير محدود ولا سيما الحدود الذاتية، فما ثم إلاّ جوهر نفيس، وليس العجب إلاّ في كونه جوهراً، والأصول لا تدل عليها إلاّ الفروع لأنها غيب، وما ثم فرع لهذه الأصول، فكل ما ظهر فهو جوهر فهو أصل في نفسه لا فروع له إلاّ عين علمك به لا غير.

ومن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] قال: كانت النفس الناطقة في نفس النفس الذي وقع به النفخ فكانت عين النفس المنفوخ في هذه الصورة العنصرية وهي صورة نشأت من أرض ذلول فذلّت بذلة أصلها لكون مزاجها أثر فيها، فكان الابن أذل من أمه لأنه في خدمتها ومسخّر لها ومأمور بمراعاتها، والأعزّ الحق خالقها فأقسم: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ ليعزّه بولاية أحسن من هذه المدينة وهي النشأة الآخرة طاهرة مطهرة مساعدة له على ما يريد منها من التنوع في الصور والتجلي في أي صورة شاء كما هو في نفسه ولهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] وغير المؤمن ما له هذه المنزلة.

ومن ذلك من أسس بنيانه قوى أركانه قال: من أوثق قواعد بنيانه وأقام جداره وعدل زوايا أركانه فما هي منفرجة ولا حادة بل معتدلة متوسطة كما قال: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧] أمن من الهدم والسقوط وهذا هو بيت الإيمان، فما اعتبر أرض البيت في البيت لأنه ليس من صنعة البيت، واعتبر السقف لحاجة البيت إليه وهو الذي وقع عليه النظر أولاً فقام البيت على خمسة سقف وأربعة جدر وهو قوله: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**» والساكن المؤمن وحشَمه وخوله مكارم الأخلاقَ ونوافل الخيرات، فمكارم الأخلاق زينة هذا البيت ونقشه وعمرته وسدنته وحشمه وخوله نوافل الخيرات وما أوجبه المؤمن على نفسه.

ومن ذلك الحجة في المحجة قال: العلم يقتضي العمل فمن ادعاه من غير عمل به فدعواه كاذبة ومعناه دقيق جداً من أجل مخالفة المتعدين حدود الله من المؤمنين العلماء بالله العارفين به، فربما يقال: لو كانوا عالمين ما خالفوا وهم عالمون بلا شك بأن الله حدّ لهم حدوداً معينة فعلمهم بذلك دعاهم إلى أن لا يزيدوا فيها ولا ينقصوا منها، فقد عملوا بعلمهم وما هم عالمون بمؤاخذة الله، من عصاه على التعيين فما عصى إلاّ من ليس بعالم بالمؤاخذة، ألا تراه لا يقصد بالمعصية انتهاك الحرمة لعلمه بما ينبغي لذلك الجناب من التعظيم، فما خالف عالم علمه قط فالعلماء تحت تسخير علمهم.

ومن ذلك النذر واجب في جميع المذاهب قال: ما قرر الله وأوجبه على العبد ممّا أوجبه

العبد على نفسه وهو النذر إلاَّ لتحقق عبده أنه خلقه على صورته وقد أوجبه على نفسه وذكر وهو الصادق أنه يوفي به لمن أوجبه له، فأوجب عليك الوفاء بما أوجبته على نفسك فإن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، والمؤمن يحب لنفسه أنه لا يؤذى فيحب لأخيه المؤمن أنه لا يؤذى، وإذا أحب ذلك دفع عنه الأذى ما استطاع، والمؤمن لا يتأذى بالمعصية لأنه أتاها عن شهوة والتذاذ بها، وإنما يتأذى بالعقوبة عليها في الدار الآخرة، فدفع عن المؤمن الحق ذلك الأذى في الأخرى كما دفع عن نفسه الأذى في الأخرى فقال: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] وأما في الدنيا فعرض نفسه للأذى فأوذي بما قيل فيه فأذى المؤمن بما نصب له من إقامة الحدود على المعاصي وزناً بوزن.

ومن ذلك السلامة من الآفات في الإضافات قال: أصعب العلم بالله إثبات الإطلاق في العلم به لا من كونه إلٰهاً، وأما من كونه ذاتاً أو من حيث نفسه فالإطلاق في حقه عبارة عن العجز عن معرفته فلا يعلم ولا يجهل ولكن يعجز، وأما من كونه إلٰهاً فالأسماء الحسنى تقيده والمرتبة تقيده، ومعنى تقييده طلب المألوه له بما يستحقه من التنزيه والتنزيه تقييد والعلم به من كونه إلٰهاً يثبت شرعاً وعقلاً، فللعقل فيه التنزيه خاصة فيقيده به، وللشرع فيه التنزيه والتشبيه، فالشرع أقرب إلى الإطلاق في الله من العقل، والعارف ينظر في الإضافات فيحكم فيه بحسب ما أضيف إليه.

ومن ذلك من رأى الحق فقد رأى نفسه قال: من أراد أن يرى الحق فلير نفسه، فكما أنه من عرف نفسه عرف ربه، فكذلك من رأى نفسه فقد رأى ربه، أو من رأى ربه فقد رأى نفسه، فعند العارفين أن الشرع أغلق في هذا القول باب العلم بالله لعلمه بأنه لا يصل أحد إلى معرفة نفسه فإن النفس لا تعقل مجردة عن علاقتها بهيكل تدبره منوراً كان أو مظلماً، فلا تعقل إلاَّ كونها مدبرة ماهيتها ما تعقل ولا تشهد مجرّدة عن هذه العلاقة، ولذلك الله لا يعقل إلاَّ إلٰهاً غير إلٰه لا يعقل، فلا يتمكن في العلم به تجريده عن العالم المربوب، وإذا لم يعقل مجرداً عن العالم فلم تعقل ذاته ولا شهدت من حيث هي، فأشبه العلم به العلم بالنفس والجامع عدم التجريد وتخلص حقيقة ذاته من العلاقة التي بين الله وبين العالم والعلاقة التي بين نفسك وبين بدنها، وكل من قال بتجريد النفس عن تدبير هيكل ما فما عنده خبر بماهية النفس.

ومن ذلك المجيب سامع والسامع طائع قال: كما أن أعيان الممكنات القائمة بأنفسها ثابتة في حال عدمها كذلك ما يقوم بها من القوى وتتصف به ممّا هي معدومة ثابتة في حال عدمها في أعيان من قامت به قيام ثبوت كما يكون في الوجود إذا وجدت على السواء، فلولا ما سمع الممكن في حال عدمه كن من الحق لما أراد الحق تكوينه ما كان، ولكان قول الحق في قوله أن نقول له كن لا يصدق، ولا سبيل إلى القول بحدوث كن عند الحق فهو إدراك خاص من الممكن الذي يريد الحق إيجاده للواجب الوجود فيظهر عينه، فيكون ما أدرك منه الممكن تعالىٰ هو عين كن فانصبغ بالوجود فكان، والتخصيص أثبت الإرادة والتوجه الخاص وهو حكم عقلي لا يتعدى النظر فتحقق.

ومن ذلك لباس الباطن الغذا، ولباس الظاهر ما يدفع به الأذى، قال: المخلوق يلزمه الأذى لفقره وهو لذاته ينبعث لدفع الآلام عن نفسه، فالجوع ألم يدفعه بالطعام، والعطش ألم يدفعه بالشرب، والحرّ والبرد ألم يدفعهما باللباس، وسائر الآلام يدفعها بالأدوية التي جعلها الله لدفع الآلام، وما عدا الدافع إما زينة أو اتباع شهوة، ولها ألم في النفس فلا يندفع إلاً بتناول المشتهى، وذلك سائغ من النفس في كل ما تشتهيه، فوقتاً يدفع الألم عند الإحساس به، ووقتاً يستعد له قبل نزوله، وعلى الجملة ما تستعمل النفس شيئاً من ذاتها إلاً لدفع ألم وهذا الفرقان بين الحق والخلق، فلو لم يكن الإيجاد للحق لذاته لكان حكمه في الإيجاد مثل هذا الحكم في دفع الألم عن نفسه بالإيجاد، فإن الإرادة منه كالشهوة منا، وبتناول المشتهى تندفع وهو في ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] فتحقق.

ومن ذلك من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، قال: كما تكون اليوم كذلك تكون غداً، فاجهد أن تكون هنا ممّن أبصر الأمور على ما هي عليه، دليلك على ذلك أن الذي خلقه الله أعمى وهو المسمّى بالأكمه، إذا نام لا يرى في النوم كما لا يرى في اليقظة، والأعمى إذا نام أعمى استيقظ أعمى، والنوم موت أصغر، فهو عين الموت من حيث إن الحضرة التي ينتقل إليها النائم هي بعينها التي ينتقل إليها الميت سواء، واليقظة بعد النوم كالبعث بعد الموت ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢] أي أشدّ عمى، وهذه أخوف آية عند العارف، إلاً أن ثم شيئاً أنبهك عليه وهو أنه لو كان هنا أعمى ومات أعمى لكان في الآخرة أعمى، ولكن لا يكون أحد هنا أعمى قبل الانتقال ولو بنفس واحد، ولكن الذي خلق أعمى لا من عمي بعد أن أبصر فإن الغطاء لا بدّ أن ينكشف فيبصر فما يموت الميت إلاً بصيراً وعالماً بما إليه بصير فيحشر على ذلك فافهم.

ومن ذلك أمر فامتثل ونهى فعدل قال: العبد طائع في جميع حركاته وسكناته فإنه قابل كل ما يوجده الحق فيه من التكوين من حركة وسكون في الظاهر والباطن، فالذي يخلق فيه إذا أمر بالتكوين فيه امتثل أمر ربّه، وإذا أراد أمراً ما ونهى عنه عدل عن إرادته إلى ما كون فيه، فإن كون فيه ما يكون حكمه المخالفة لما أمره الشارع ونهاه عنه نسبت إليه المخالفة في عين الموافقة وهي نكتة غريبة لا يشعر بها، فإن قبول المخالفة موافقة، ومن كان هذا مشهده لا يشقى لا في الدنيا ولا في الآخرة، فلا أطوع من الخلق لأوامر الحق أي لقبول ما أمر الحق بتكوينه فيه ولكن لا يشعرون. وليست الأوامر التي أوجبنا طاعتها إلاً الأوامر الإلهية لا الأوامر الواردة على ألسنة الرسل، فإن الآمر من الخلق طائع فيما أمر لأنه لو لم يؤمر بأن يأمر ما أمر، فلو أن الذي أمره يسمع المأمور بذلك الأمر أمره لامتثل، فإن أمر الله لا يعصى إذا ورد بغير الوسائط.

ومن ذلك من أيقن بالخروج لم يطلب العروج قال: إذ ولا بدّ من الرجوع إليه فاعلم أنك عنده من أول قدم وهو أوّل نفس فلا تتعب بطلب العروج إليه، وما هو إلاً خروجك عن إرادتك لا تشهدها فإنه معك أينما كنت فلا تقع عينك إلاً عليه، لكن بقي عليك أن تعرفه إذ لو

ميزته وعرفته لم تطلب العروج إليه فإنك لم تفقده، فإذا رأيت من يطلبه فإنما يطلب سعادته في طريقه، وسعادته دفع الآلام عنه ليس غير ذلك كان حيث كان، فالجاهل كل الجاهل من طلب الحاصل، فما أحد أجهل ممّن طلب الله لو كنت مؤمناً بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وبقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] لعرفت أن أحداً ما طلب الله وإنما طلب سعادته حتى يفوز من المكروه. ومن ذلك ذوق العذاب للأحباب بعض ورثة أهل الكتاب: [الكامل]

عَذْبُ العذابِ برُؤْيَةِ الأحبابِ ... إذ كانَتِ أَعْيُنُهُمْ تُشاهِدُ ما بي
ليس العَذَابُ سوى فِرَاقِ أحِبَّتي ... إن اللَّذَاذَةَ رؤيةُ الأحبابِ

قال: من ورثة الكتاب الظالم لنفسه بما يجهدها عليه، فهو يظلم نفسه فيما لها من الحق لنفسه، فهو في الوقت صاحب عذاب وألم لا يريد دفعه عنه لأنه استعذبه وهان عليه حمله في جنب ما يطلبه فإنه يطلب سعادته، فإن الكتاب ضمّ معنى إلى معنى، والمعاني لا تقبل الضم إلى المعاني حتى تودع في الحروف والكلمات، فإذا حوتها الكلمات والحروف قبلت ضمّ بعضها إلى بعض فانضمت بحكم التبع لانضمام الحروف. وانضمام الحروف تسمى كتابة، ولولا ضمّ الزوجين ما كان النكاح والنكاح كتابة، فالعالم كله كتاب مسطور لأنه منضود قد ضمّ بعضه إلى بعض، فهو مع الإناث في كل حال يلد، فما ثم إلاّ بروز أعيان على الدوام، ولا يوجد موجد شيئاً إلاّ حتى يحب إيجاده، فكل ما في الوجود محبوب فما ثم إلاّ أحباب.

ومن ذلك من الجهل الاستتار من الأهل قال: [البسيط]

إنّ الجهولَ مِنَ أهْلِ الله يَسْتَتِرُ ... والله يعلم ما يأتي وما يَذَرُ
والأهلُ تعرفُ ما الرحمٰنُ يفعلُهُ ... أو بعضه فاحْذَرُوه إنه خَطَرُ
لو كان لي أمَلٌ في غير فاعلِهِ ... ما كان ينفعني التخويفُ والحَذَرُ
لكنْ لنا أمَلٌ فيه ومُعْتَقَدٌ ... وليس يَلْحَقُني في علمنا بَشَرُ
به يُوَحِّدُني به أوَحِّدُهُ ... لذاك يبدو إذا يبدو ويَسْتَتِرُ

يقول عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] وقد صحّ أن بين الله وبين العالم نسباً فوجب على كل عاقل أن يطلب على نسبه لتصحّ الأهلية وتثبت من أجل الميراث وهو قد قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] وقد بينا أن بالكتابة توجد المعاني لضمّ الحروف أعيانها بالدلالة عليها، فقد أعطى العالم الإيجاد فهو يوجد بعضه بعضاً إيجاد الآلات بيد الصانع، ألا ترى إلى الصانع بالآلة لا يصنع ما لم تكن الآلة، وأن الآلة لا أثر لها في المصنوع ما لم يحركها الصانع، فتوقف عيها توافقها عليه فلا يقول ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠] حتى يريد فهي إشارة، ومن ذلك الشأن في الشأن: [البسيط]

الشأنُ ما نحن فيه وهو يَخْلُقُهُ ... وليس يَخْلُقُ شيئاً ليس يَعْلَمُهُ
بذا أتانا كتابُ الله يُعَلِّمُنا ... فمن تَفَكَّرَ فيه فهو يَفْهَمُهُ
خَصَّ الإلٰهُ به من شاءه فإذا ... يبدو له سِرُّهُ في الحال يَحْكُمُهُ

الذي جاء في كتاب الله قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤] قال: الشأن في قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] وليس إلاّ الفعل وهو ما يوجده في كل يوم من أصغر الأيام وهو الزمان الفرد الذي لا ينقسم، والفعل إذا لم يكن الفاعل يفعل بالذات أي تنفعل عنه الأشياء لذاته، وإلاّ فلا بدّ له عند إيجاد المفعول عنه من هيئة يكون عليها هي عين الفعل، ولا يلزم إذا كان فاعلاً لذاته صدور العالم عنه دفعة واحدة، فإن الممكنات لا تتناهى وما لا يتناهى لا يدخل في الوجود إلاّ على الترتيب فهو ممتنع لنفسه، وما هو ممتنع لنفسه لا يتصف الفاعل فيه على الترتيب بالقصور عن إبرازه كله إذ لا كل له فإنه محال لذاته والحقائق لا تتبدّل، والممكن لعينه أعطى الترتيب الواقع وأعطاه الحق الوجود لذاته، فما هو إلاّ وقوع عين الممكن على نور التجلي، فيرى نفسه وما انبسط عليه ذلك النور فيسمّى وجوداً ولا حكم للنظر العقلي في هذا، نعم له الحكم في بعض ما ذكرناه، والتسليم من العاقل في بعض، فالحق في شؤونه بالذات يفعل والترتيب لها.

ومن ذلك في الاكتساب غلق الباب: [الكامل]

الاكْتِسابُ مغالقُ الأبْوَابِ ... فيما نُؤَمِّلُهُ من الأكْسَابِ
إن صَحَّ لي كَسْبٌ يصحُّ بأنني ... من أهله فتصحُّ لي أنْسابي
فأنا وإياه بحُكْم وُجُوده ... شَهِدَتْ بذلك عنده أحسابي
إني شهيدٌ عالمٌ بأُمورنا ... لسنا عن الأبصار بالغُيَّابِ
الله يعلمُ أنه عندي بما ... قد قاله في العلم حَشْوُ إهابي
لما علمتُ جلالَهُ وجمالَهُ ... أُعْلِمْتُ أن الأمْرَ لَمْعُ سَرَابِ

قال: الاكتساب تعمل في الكسب والموجد مكتسب لأنه قد وصف بما اكتسب، فقد كان عن هذا الوصف غير موصوف به إذ لم يكن ذلك المكتسب، ولذلك ورد: كان الله ولا شيء معه، ولم يرد عن المخبر عن الله ما ذكره علماء الرسوم وأدرجوه في هذا الخبر وهو قولهم وهو الآن على ما عليه كان فإنه تكذيب للخبر، فإنه الآن بالخبر الإلهي: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] وقد كان ولا أيام ولا شؤون تلك الأيام فكيف يصحّ قولهم وهو الآن على ما عليه كان وهو القائل: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ [النحل: ٤٠] وأنت المؤمن بهذا القول فلا بهذا ولا بذاك، ومن ذلك لا يخشى إلاّ من يخشى: [الكامل]

إن الإلٰهَ أحقُّ أن نَخْشاهُ ... من كل مَخْلُوقٍ لنا نَغْشَاهُ
فإذا خشيتَ الله كنت مُوَفَّقاً ... وكذاك إذ تَخْشَى الذي يَخْشاهُ
من كان يَخْشَى الله قام بأمْرِهِ ... وبنَهْيِهِ عقداً إذا مَاشَاهُ
الله يحفظُ سِرَّ عَبْدٍ مُوقِنٍ ... فإذا تَيَقَّنَ أنه أفْشاهُ
أبْدَى له منه لذلك غَيْرَةً ... عند السُّرَى تنفيه في مَسْراهُ

قال: لا تقع الخشية إلاّ ممّن يقبل أثر ما يخشى منه، فهو عنده بالذوق علم ذلك، وفي ذاته طلب التأثير لما عنده من دعوى الربوبية لكونه خلق على الصورة، فلا بدّ أن يخشى أيضاً

هو لما يطلبه من التأثير في غيره كما نخشى ممّن يؤثر فيه، والعارف قد يقام في حال لا يخشى، ولا سبيل أن يقام في حال لا تخشى لأن ذلك ليس له، نعم قد يكون في نفسه شاهداً لحاله يقول إنه لو شوهدت منه ما يخشاه أحد وذلك ليس بصحيح إنما يكون هذا ممّن يجهل ذاته وما تعطيه ما رأى الصيد إنساناً إلا فرّ منه ويخشاه وإن لم يقم بنفس ذلك الإنسان صيد ذلك الهارب منه وقد لا يراه ويكون ظهره إليه، فليس في وسع المخلوق أنه لا يخشى، وقد يكون في وسعه أنه لا يخشى، ولكن لا على الدوام إلاّ أن يغفل عن ذلك لا غير، ومن ذلك المقيت يطلب التوقيت: [البسيط]

اللّٰه عَـيَّـنَ أقـواتـاً وقـدَّرَهـا ... فهو المُقِيتُ وباسْم الدَّهْرِ يَحْجُبُهُ

فـالـعَـقْـلُ يستره والنفس تُظْهِرُهُ ... والرُّوحُ يكتُمُهُ والحِسّ يَرْقُبُهُ

والنُّورُ يُحْرِقُهُ والسِّرُّ يَكْنُفُهُ ... والشوقُ يُتْلِفُهُ وَجْداً ويُذْهِبُهُ

والوَجْدُ يَقْدَحُ زَنْدَ الحُبِّ في كَبِدٍ ... حَرَّى والِهَةٍ والرِّيحُ تلهبُهُ

قال: ترتيب الإيجاد يؤذن بالتوقيت، ولا يتولى ذلك إلاّ الاسم المقيت لأنه القائل: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وقال: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٢٧] وهو الثابت الواقع، ولا حكم لأداة لو فإن كلمة لو لو زرعت ما نبت عنها شيء ويخسر البذر، فمتى سمعت لو حيث سمعتها فلا تنظر إلى ما تحتها فإن ما تحتها ما يوجد فلا تخف منها ولا من دلالتها، وليكن مشهودك الواقع خاصة، فإنه ما رأيت أعظم أثراً من أثر المعدوم في نفوس العالم وسبب ذلك الإمكان فيخاف الإنسان أمراً ما وذلك الأمر معدوم ما وجد، وقد أثر فيه الخوف وما يتبعه هذا أثر المعدوم، فكيف أثر الموجود؟ ومن ذلك الحبيب قريب. قال: الحبيب قريب من الحب لأنه الذي يتعلق به لا من المحب، فالحب لا يجول المسافات البعيدة النابية ولا التنويهات الشريفة التي لا ترتفع أحكامها عن قرب الحب من الحبيب، والمحب قد يكون له القرب من الحبيب وقد لا يكون، فالحب قريب من المحب لقيامه به، وقريب من المحبوب لتعلقه به، فإنه لا تعلق له بغير محبوبه فقد انفرد إليه، والمحب تبع للحب لقيامه به، والحبيب ليس بتابع لحب المحب وإن تعلق به بل هو مع ما يقوم به، فإن قام به حب المحب أحبه فعاد المحب حبيباً فصحّ الطلب من الطرفين ولا عايق إلاّ إن كان من خارج أو من محال أي لا تعطي الحقائق الاتصال، فمن عرف الحب عرف كيف يحب، كان شيخنا يطلب شهوة الحب لا الحب، وذلك أن شهوة الحب قرب الحبيب من المحب.

ومن ذلك ليس من الخير حب الغير قال: ما أحب المحب في غيره إلاّ نفسه فما أحب الغير ولا يصحّ حب الغير أبداً لأن حب الغير ما فيه خير، فإذا كان فيه خير يعود على المحب فنفسه أحب لأنه أحب إعادة ذلك الخير عليه، ثم لتعلم أن ذلك الغير من حقيقته أن يكون له وجود ما هو عين هذا الآخر، والمحبوب أبداً لا يكون إلاّ معدوماً إما في موجود أو لا في موجود، فإن الموجود محال أن يحب لذاته وإنما يحب لأمر عدمي، ذلك الأمر العدمي هو

المحبوب منه أن يكون، والعدم ليس بغير للمحب، ولا يزال هذا المعدوم المحبوب منوطاً بالمحب لقيام حبه به وتعلقه بذلك المحبوب، فلا يزال متصلاً به وصل خيال حتى يقع في الحسّ، هذا شأنه في المخلوق وفي الحق الإيجاد.

ومن ذلك من بلغ الغاية في الاتساع ضاق قال: لا أوسع من الخلا إذ الاتساع لا يوصف به إلاّ الخلا، فإذا امتلأ الخلا ضاق بلا شك، فإن الممكنات لا نهاية لها وقد ضاق الخلا عنها لأنه امتلأ فضاق المتسع، فجعل الله فيما أوجد من الملأ في الخلاء الاستحالات، فلا يزال يخلع صورة فيلحقها بالثبوت والعدم ويوجد صورة من العدم في هذا الملأ فلا يزال التكوين والتغيير فيه أبداً بالاستحالات في الدنيا والآخرة بل في الوجود كله، وهذه هي الشؤون التي الحق فيها في كل يوم من أيام الدنيا والآخرة بل من أيام الوجود، فما ضاق عن الاستحالات فإنه تفريغ وإشغال فهو بعمارة الخلا قد ضاق وبالتفريغ والإشغال فيه ما ضاق، فلا يزال الخلا ممتلئاً على الدوام لا يعقل فيه خلو ليس فيه ملأ.

ومن ذلك لا غاية في الغاية قال: لو كانت في الغاية غاية ما كانت غاية والعالم غايته في طلب الحق والحق غايته الخلق لأن غايته المرتبة، وليست سوى كونه إلهاً فهو يطلب المألوه بالذات ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] فهو الغاية ومنه بدأ الأمر كله، ولذلك جاء بالرجوع لأنه لا يمكن أن يكون رجوع إلاّ من خروج تقدم، والموجودات كلها المحدثات ما خرجت إلى الوجود إلاّ عن الله، فلهذا ترجع أحكامها إليه ولم تزل عنده، وإنما سميت راجعة لما طرأ للخلق من رؤية الأسباب التي هي حجب على أعين الناظرين، فلا يزالون ينظرون ويخترقون الأسباب من سبب إلى سبب حتى يبلغوا إلى السبب الأوّل وهو الحق فهذا معنى الرجوع.

ومن ذلك من جاء شيئاً إمراً حدث له القرين ذكراً، قال: كل أمر يقع التعجّب منه، فإن صاحبه الذي أوجده للتعجب ما أوجده بهذه الحالة إلاّ ليحدث منه ذكراً لهذا الذي تعجب منه فلا تستعجل، فإنه لا بدّ أن يخبره موجده بحديثه إلاّ أن الإنسان خلق عجولاً، ففي طبعه الحركة والانتقال لأنها أصله، فإن خروجه من العدم إلى الوجود نقله فهو في أصل نشأته ووجوده متحرك فلهذا قال: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] وخلق الإنسان عجولا، ولو رام غير العجلة ما استطاع، وما في العالم أمر لا يتعجب منه فالوجود كله عجب، فلا بدّ أن يحدث الله منه ذكراً للمتعجبين، فالعارفون أحدث الله لهم ذكراً منه في هذه الدار فعرفوا لما خلقوا له ولما خلق لهم، والعامة تعرف حقائق هذه الأمور في الآخرة فلا بدّ من العلم وهو إحداث الذكر. ومن ذلك الركون لا يكون إلاّ لمغبون: [البسيط]

لا تَرْكُنَنَّ إلى غير الإلٰه فما ... يَرْكُنُ إلى غيره إلاّ الذي جَهِلَهْ
سبحانه وتعالىٰ أن يُقِرَّ له ... في ملكه بشَريكٍ غَيْرُ من خَذَلَهْ
من قال إن له نِدّاً وصاحبةً ... فرَبُّهُ بحسام الجهل قد قَتَلَهْ
والله ما طَلَعتْ شمسٌ ولا غربتْ ... على مُحِبٌ له إلاّ وقد وَصَلَهْ

بـمـا يـريـد ومـا يـبـغـيـه مـن مِـسَـحِ ... إلاّ حـبـاه بـهـا فـي تُـحْـفَـةٍ وَصِـلَـهْ
سـبـحـانـه وتـعـالـىٰ أن يـحـيـط بـه ... نَظْمٌ من الشعـر أو نَثْرٌ من البَطَلَهْ

لا تركن إلى غير ركن فتخيب، انظر في القرآن بما أنزل على محمد ﷺ لا تنظر فيه بما أنزل على العرب فتخيب عن إدراك معانيه، فإنه نزل بلسان رسول الله ﷺ لسان عربي مبين نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ فكان به من المنذرين أي المعلمين، فإذا تكلمت في القرآن بما هو به محمد ﷺ متكلم نزلت عن ذلك الفهم إلى فهم السامع من النبي ﷺ، فإن الخطاب على قدر السامع لا على قدر المتكلم، وليس سمع النبي ﷺ وفهمه فيه فهم السامع من أمته فيه إذا تلاه عليه، وهذه نكتة ما سمعتها قبل هذا عن أحد قبلي وهي غريبة وفيها غموض. ومن ذلك من لم يتكبر على خلقه فقد أدّى واجب حقه: [البسيط]

لـيس الـتَّـكَـبُّـرُ والإهـمـالُ مـن شِـيَـمـي ... بَـلِ الـتَّـواضـعُ والإمـهـالُ مـن شِـيَـمـي
إنـي عَـبَـدْتُ الـذي أجـنـي ويـغـفـرُ لـي ... وهـو الـمـهـيـمـنُ رَبُّ الـصَّـفْـح والـكَـرَم

قال: لا يتكبر على الأمثال إلاّ من جهل أنهم أمثال، فكما لا يتكبر الشيء على نفسه كذلك لا يتكبر على مثله، ومن لم يتكبر على خلق الله فقد أعطاهم حقهم الذي وجب لهم عليه كما أعطاه الله خلقه الذي لم يكن إلاّ به وإلاّ فما هو هو، فإن الإنسان إذا لم يكن هو الحيوان الناطق وإلاّ فليس بإنسان، فهذا أعطى كل شيء خلقه، وأوجب عليك أنت الحقوق، فما في العالم إلاّ من له حق عليك تؤديه إليه إذا طلبه منك، وما لم يطلبه بحاله أو لسانه لم يتعين عليك، فلا بدّ من الأوقات فيه كما هو في الإيجاد والآجال إذا جاء الوقت قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩] وقال تعالىٰ في شأن القيامة لا يجليها لوقتها إلاّ هو فحينئذ يعطيها خلقها، كذلك إذا حان أجل أداء الحق تعين عليك الأداء، فإن أنت لم تفعل فأنت ظالم، ولا يتعين أداء حق إلاّ مع قدرة المؤدي على أدائه وذلك وقته. ومن ذلك المقصود رؤية التقصير مع بذل المجهود: [الكامل]

مـا كـان مَـقْـصُـودي مـن الـتَّـقْـصـيـرِ ... إلاّ الـذي أدْرَكْـتُ فـي الـتَّـشْـمِـيـرِ
حـتـى يـرانـي الـعـاذلـون قَـدِ اغْـتَـنَـى ... مـن قُـمْـتُ فـيـه بـنَـفْـثَـةِ الـمَـصْـدُورِ
وأرى الـذي قَـيّـدتـه بـصـحـيـفـتـي ... من عـلـمـه الـمـسـروح في الـمـسـطُـورِ
إنـي قـرأت كـتـابَـهُ وفـهـمـتُـهُ ... فَـهْـمـاً كـمـا أجـلاه فـي الـمَـزْبُـورِ
وأتـى بـه ضَـوْءُ الـصَّـبـاح ولَـيْـلُـهُ ... فـي وقـتـه الـمَـعْـرُوفِ بـالـدَّيْـهُـورِ
إنـي حَـصَـرْتُ وُجُـودَهُ ويـحـقُّ لـي ... حَـصْـرُ الأمـور لـعِـلْـمِـيَ الـمَـحْـصُـورِ

قال: الأماني غرور فلا تتمنّ على الله الأماني وأنت تسلك على غير طريق تحصيلها فإن الله يقول: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] فجعل الطريق التقوى لحصول هذا الفرقان الذي أنزله على عبده ليكون به للعالمين نذيراً أي معلماً لهم، ألا تراه لما أراد أن يعرف أوجد العالم وتعرف إليهم فعرفوه على قدرهم ما أبقاهم في العدم، وورد خبر إلهيّ قال

تعالى: «كُنتُ كنزاً لَم أُعرَف فخَلَقتُ الخلْقَ وتَعرَّفتُ إليهِمْ فعَرفُوني» ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] فلا بدّ لكل طالب أمر أن يسلك في طريق تحصيله لأن الطريق له ذاتي فلا تحصل إلاّ به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾. ومن ذلك حاز جنة المأوى من نهى النفس عن الهوى: [الرجز]

إذا نَهَيْتَ النَّفْسَ عن هَواها	كانت لها جَنَّاتُهُ مَأواهَا
بها حباها الله إذْ حَباها	وكان في فِرْدَوْسِه مَثْوَاهَا
أقسمتُ بالشمس التي أجْراها	قَسَماً وبالبَدْرِ إذا تَلاَهَا
ولَيْلِهِ المُظْلِم إذ يَغْشَاها	وبالنهار حين ما جَلاّها
وحِكْمَةِ الله التي أخفاها	عن العيون حين ما أبْداها
وبالسمٰواتِ ومن بَنَاها	وفَوْقَ أرْضِ فَرْشِهِ عَلاّها
لتَبْلُغُنَّ اليَوْمَ مُنْتَهَاهَا	حتى تراها بلغتْ مُناها
حين رأت ما قَدَّمَتْ يداها	من كل خَيْرِ منه قد أتاها
بأطعمة قد بَلَغَتْ إناهَا	ما كان أحلاها وما أشهاها

قال: نهي النفس عن الهوى أن يكون هواها لا تأته من حيث ما هو هواها بل من حيث ما هو إرادة الحق وأنت لا تدري، فإذا نهى النفس عن الهوى من حيث إنه مذموم لا من حيث ما أشرنا إليه فإن الله قد ستر عنه العلم الصحيح في ذلك فعبر عنه بجنة المأوى أي الستر الذي أوى إلى ظلّه، فهو وإن كان مدحاً فمن حيث إنه علّق الذمّ بالهوى، فلو عرف أنه ما دفع الهوى إلاّ بالهوى، وأن الهوى ما هو غير عين الإرادة، وكل مراد إذا حصل لمن أراده فهو ملذوذ للنفس، فكل إرادة فهي هوى لأن الهوى تستلذه النفوس وما لا لذة لها فيه فليس بهواها، وما سمّي هوى إلاّ لسقوطه في النفس، وليس سقوطه إلاّ منك في إرادة ربه، فلا أعلى من الهوى لأنه يردك إلى الحق، فلا تشهد غيره في التذاذه بذلك إلاّ أن الخلق حجبوا عن هذا الإدراك فهم مع الإرادة فيهم، ويسمونها هوى وليس بهوى، والهوى للعارفين والإرادة للعامة، والذم لهم في الهوى فهم له عاملون. ومن ذلك الحق للباطل مزهق والنظر إليه مصعق: [السريع]

قَذْفُكَ بالحَقِّ على البَاطِلِ	يَدْمَغُهُ فهو به زَاهِقُ
وإنما يعرف ما قلتُه	من هو في أحواله صَادِقُ
فهو ظَلُومٌ والهَوَى مُهْلِكٌ	وغيرُه مُقْتَصِدٌ سَابِقُ
يسبقُه فكلّ من جاءه	فإنه في إثْرِهِ لاحقُ
فإنْ أقُلْ هادانا عارفٌ	وإن أقُلْ حادانا سائقُ
من حيث عيني فأنا ناظرٌ	ومن لساني فأنا ناطقُ
أحوالُنا تخبرُ عن سِرِّنا	بأنه في ذاته عَاشِقُ

قال: لا تغالط نفسك، حق وخلق لا يجتمعان، فانظر مشهودك إن كان حقاً فما تنظره

إلاّ بعينه فإنك لا تدركه بغيره، فما ثم خلق في حقك وفي وقتك إذا كان وقتك الحق، وإن كان خلقاً فما تنظر إليه إلا بعين الخلق، والحكم تابع للنظر، ولا يحكم النظر إلاّ بما يعطيه لمنظور من ذاته، فمن المحال أن يكون المنظور إليه قائماً فيدركه قاعداً، أو على لو ن ما إن كان من المتلونات فيدركه على غير اللون الذي هو عليه ذلك المنظور، وهذا سائغ في كل قوة موضع الطعم إذا غلبت عليه المرة الصفراء، قال في العسل إذا ذاقه إنه مر، والعسل ما باشر موضع الطعم وإنما باشرته المرة الصفراء، فصدق في المرارة وكذب في نسبة المرارة إلى العسل فاعلم ذلك. ومن ذلك من أجاب أجيب فلم لا يستجيب؟: [البسيط]

لما أجَبْتُ دُعَاةَ الحَقِّ كنتُ لهم ... مُؤَيِّداً وبهم أيَّدْتُهُمْ فإذا
أقول إنهم عَيْني ومُعْتَقَدي ... كما أقول إذا ما كنت مُنْتَبِذَا
الحقُّ يجهلُ أو يُعْزَى لكل هَوًى ... ولو يرى الحسُّ أن الحَقَّ قد نُبِذَا
هيهاتِ ليس له حَدٌّ فتدركُه ... به فإن له حكماً عَلَيَّ بذَا
بذا حَكَمْتَ وما في الحُكْمِ من عَجَبٍ ... فكل حُكْمٍ تراه فهو فيه كذا
فلا يحيطُ به علمٌ ومعرفةٌ ... ولا يُنَاطُ به من جانبَيْهِ أَذَى

قال: لا تعامل إلاّ بما عاملت فعملك يعود عليك، استجب لله ولرسوله إذا دعاك لما يحييك، فإنه إذا دعاك فأجبته يجبك إذا دعوته، قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾ [البقرة: ١٨٦] فإني دعوتهم على ألسنة أنبيائي، وكما أنه عزّ وجلّ يعطي جزاء يطلب من عبده الجزاء لما دعاه الحق إلى التكوين وأجاب فكان فدعاه خالقه إلى ما تقوم به ذاته ويبقي عليه عينه فأجابه الحق بالإمداد فكان جزاء ولو شاء أعدمه لكنه أجاب فأجابه الحق، فكان ذلك تنبيهاً من الحق لنا وتعليماً، فإياك والغفلة عن ملاحظة هذه الأشياء التي نصبها الحق لتشهد، فلا تعاملها إلاّ بما نصبها الحق له، فأصل الإجابة في العالم من هناك وهو أصل قوي، ولذلك ما دعا الله أحداً إلاّ وأجابه، إلاّ أن الأمور مرهونة بأوقاتها لمن يعلم ذلك، فلا تستبطئ الإجابة فإنها في الطريق وفي بعض الطرق بعد وهو التأجيل. ومن ذلك طيب الأعراق يدل على مكارم الأخلاق: [البسيط]

قد قيل في مَثَلٍ أجْرَاهُ قائلُهُ ... إنّ الجِيَادَ على أعراقها تَجْري
فمن يقومُ به أخلاقُ سَيِّدِهِ ... يجري الجميلُ وغَيْرُ الخَيْرِ ما يَجْري
هذا الذي قلتُه التوحيدُ جاء به ... يَوْمَ الخَميس إلينا ليلة القَدْرِ
أقام عندي بلا كَدٍّ ولا نَصَبٍ ... من أوّل اللَّيْلِ حتى مَطْلَعِ الفَجْرِ

قال: إذا كانت الأعراق التي هي الأصول طيبة بالصلاحية والقوّة كان الثمر في الفروع طيباً بالوجود والفعل، فالثمر من الأصول يستمد فإنها من ذاتها لا تستبد، والأصل الحق في وجود العالم وهو الطيب فما في الوجود إلاّ طيب، فإن كل ما في الوجود إنما هو أخلاق الحق أي ثمرات أسمائه، وأسماء الحق للحق كالفروع والأغصان للشجرة، ولذلك تختلف الأغصان من التشاجر، ويدخل بعضها على بعض تداخل الأسماء الإلهية في الحكم في العالم

كما قال: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] فأي عين لم تر في العالم طيباً في أمر ما منه فما ذلك إلاَّ لغيبة الحق عن شهودها في تلك النظرة ومن ذلك ذكر الجنوب قريب من الغيوب: [البسيط]

مَنْ يَذْكُرِ اللَّهَ قَدْ يَرْجُو مُذَكَّره ... من القِيَام يكونُ الذِّكْرُ أو جُنُبِ
أو القُعُودِ فإن الله يَذْكُرُهُ ... في كل حَالٍ بلا كَدٍّ ولا نَصَبِ
هذي الحياة التي تُرْجَى النعيم بها ... في حال جدّ يكون الذكرُ أو لَعَبِ
إن الذي يذكر الرحْمٰنَ جاءَ بما ... يكون فيه جلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ
فالله يَعْصِمُ قلبي من غوائله ... فإنها قد تُؤَدِّينا إلى العَطَبِ

قال: الذاكرون ثلاثة: ذاكر قائم وهو الذي له مشاهدة قيومية الحق فيراه قائماً على كل نفس بما كسبت فلا يشهده إلاَّ هكذا في ذكره، وذاكر قاعد وهو الذي يشهد من الحق استواءه على العرش، وإنما قلنا ذلك لأن العالم مرآة الحق والحق مرآة الرجل الكامل، وينعكس النظر في المرآة فيظهر في المرآة ما هو في المرآة الأخرى، ولا يعرف ذلك إلاَّ من رأى ذلك، فيرى الحق في الخلق قيوميته بكونه قائماً عليه بما كسب والحق مرآة للخلق، وقد رأى الحق نفسه في خلقه، فرأى الخلق في مرآة الحق صورة ما تجلى من الحق في مرآة الخلق، فأدركوا الحق في الحق بوساطة مرآة الخلق، فإن شهد الحق أي صفة شهد منه العبد تلك الصورة عينها على حد ما قلناه، وإنما كان الجنوب يقرب الغيوب لأنها حالة النائم أو المريض، وهو قريب من حضرة الخيال وهي محل الغيوب. ومن ذلك الاكتفاء من الوفاء: [البسيط]

مَنِ اكْتَفَى قَدْ وَفَى بما يَقُومُ به ... وما يَقُومُ له والاكْتِفَاءُ وَفَا
من ظَنَّ أن طريقَ الحَقّ أهْوِيَةٌ ... جاءت به سُبْلُهُ فالذِّكْرُ منه جَفَا

قال: لا يكون الاكتفاء من الوفاء إلاَّ مع الموجود الحاضر صاحب الوقت، فيكتفي به صاحبه في وقته ولا يحتاج إلى طلب الزائد فإنه لا بدّ منه، هو يأتيك من غير طلب لأنه من المحال الإقامة على أمر واحد زمانين، وإنما قال الحق تعالىٰ لنبيه ﷺ آمراً: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ينبهه وإيانا على أن أمراً آخر زائداً على ما هو الحاصل في الوقت لنتهمم لقدومه، وليظهر من العبد الافتقار إلى الله بالدعاء في طلب الزيادة، فمن علم أنه لا بدّ من تحصيل الزائد وتأهب لقدومه فلا حاجة في هذا الموطن إلى الدعاء في تحصيله إلاَّ أن الزائد غير معين عندك، فإن عيّنه الدعاء والحق يجيب فقد تعين عندك ما تدعوه فيه، وهو الذي أمر الله به نبيه ﷺ أن يزيده يطلبه علماً به في كل ما يعطيه، وهو وجه لحق في كل شيء ومن ذلك الاستغفار في الأسحار: [البسيط]

اسْتَغْفِرِ الله بالله الذي سَجَدَتْ ... له الجِبَاهُ بآصال وأسْحَارِ
فقال لي قائلٌ منهم بأنّ لهم ... سِرّاً يُهَيمُهُمْ في نَغْمَةِ القَارِي

قال: السحر موضع الشبهه ما هو ظلمة محضه فيكون الجهل، ولا هو نور محض فيكون العلم، ولكنه سدفة وهو اختلاط الضوء والظلمة، فلما كان الاختلاط وقع التشابه

ولهذا نهينا عن اتباع المتشابه، وذكر أنه ما يتبعه إلاّ من في قلبه زيغ أي ميل عن الحق الصراح فإن التخليص هو المطلوب، فلذلك شرع الاستغفار في الأسحار أي طلب من الله التستر عن الميل إلى المتشابه بشرط أن لا يعرف أنه متشابه، فإن علمت أنه متشابه ولم تتعدّ به حدّه ولا أخرجته بميلك إليه ونظرك فيه عن المتشابه فلا حرج عليك، وإنما الخوف والحذر أن تلحقه بأحد الطرفين وما ذلك حقيقته، وإنما حقيقته أن يكون له وجهان: وجه إلى كل طرف وجه إلى الحل ووجه إلى الحرمة، ويتعذر الفصل بين الوجهين وتخليصه إلى أحد الطرفين، فهو عند العارف عن المحكم بهذا الوجه لتميزه عن كل واحد من الطرفين، فإذا اتبعته اتباع من لا يزيله عن حقيقته فما ثم زيغ. ومن ذلك عناية العبادة موافقة الأمر الإرادة: [الكامل]

إنْ وَافَقَ الأمْرُ الإرادَةَ لَمْ يَزَلْ ... مَعْبُودُهُ في عينه مَشْهُودَا
فإذا تَجَلّى نُورُهُ لِعِبَادِهِ ... من فَوْرِهِمْ خَرُّوا لديه سُجُودَا

قال: الأمر الإلهيّ لا يخالف الإرادة الإلهية فإنها داخلة في حدّه وحقيقته، وإنما وقع الالتباس من تسميتهم صيغة الأمر وليست بأمر أمراً والصيغة مرادة بلا شك، فأوامر الحق إذا وردت على ألسنة المبلغين فهي صيغ الأوامر لا الأوامر فتعصى، وقد يأمر الآمر بما لا يريد وقوع المأمور به فما عصى أحد قط أمر الله، وبهذا علمنا أن النهي الذي خوطب به آدم عن قرب الشجرة إنما كان بصيغة لغة الملك الذي أوحى إليه به أو الصورة فقيل: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: ١٢١]. ومن ذلك لا يعول عليه إلاّ الفار منه إليه: [المجتث]

مَنْ كُنْتُ طَوْعَ يَدَيْهْ ... فَرَرْتُ منه إلَيْهْ
وَلَمْ أجِدْ منه بُدّاً ... لذا اتَّكَلْتُ عَلَيْهْ

وقال: الفرارون هم بحسب ما فروا إليه، فما أوجب عليهم الفرار ما فرّوا منه، وإنما أوجبه ما فروا إليه، إذ لو عرفوا أنه ما ثم من يفر إليه لسكنوا وما فروا، فإذا أردت أن تعرف في فرارك هل أنت موسوي أو محمدي؟ فانظر في ابتداء الغاية وهو حرف من، وفي انتهاء الغاية وهو حرف إلى، فالنبي محمد ﷺ يقول: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ [الذاريات: ٥٠] وقال في تعوذه: «وَأعُوذُ بِكَ» فهذا أمره ودعاؤه. وقال عن موسىٰ معرفاً إيانا ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: ٢١] ويقال للمحمدي: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فالحكم عند المحمديّ لانتهاء الغاية، وعند الموسويّ لابتداء الغاية، وعلى الحقيقة فالغاية هي متصوّرة عنده في الابتداء فهي المحرّكة لأن الأمور إنما هي بغاياتها ولها وجدت، قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فاعتبر الغاية وإن تأخرت في الوجود مثل طالب الاستظلال بالسقف فحركته الغاية إلى ابتدائها، فما وقعت العبادة إلاّ بعد الخلق، فالغاية هي التي أبرزتهم إلى الوجود فهي المبتدأ، وإن تأخرت في الوجود فما تأخرت بالأثر فإن الحكم والأثر لها، ولذلك قلنا: إن الأثر أبداً في الموجود إنما هو للمعدوم والغاية معدومة، ولهذا يصحّ من الطالب طلبها لأن الموجود غير مراد، فالغاية المعدومة هي التي أثرت الإيجاد، أو هي سبب في أن أوجد الحق ما أوجده ممّا لم يكن له وجود عيني قبل هذا

الأثر السببي، ويسميه بعض العلماء العلة وبعضهم يسميه الحكمة، وبعد أن عرف المعنى فلا مشاحة في الإطلاق، ومن ذلك الجهر والهمس لفظ النفس: [السريع]

الأَمْرُ فـي الـعَـقْـلِ وفـي الـنَّـفْـسِ مُـقَـرَّرٌ فـي الـجَـهْـرِ والـهَـمْـسِ
فــكــلُّ مــا يَــشْــهَـدُهُ نــاظِــري أُدْرِكُــهُ بــالــعَــقْــلِ والــحِــسِّ
وأشْـهَـدُ الـمَـعْـنَـى الـذي سَـاقَـهُ ولـسـتُ مـن ذلـك فـي لَـبْـسِ

قال: إنما سمّي الكلام لما له من الأثر في النفس من الكلم الذي هو الجرح في الحسّ، وسمّي أيضاً باللفظ لأن اللفظ الرمي فرمت النفس ما كان عندها مغيباً بالعبارة إلى إسماع السامعين من غير أن يتعلق به من المتكلم بذلك غيرة، فإن غار عليه لم يجهر به وهمسه فلا يسمعه إلاّ من قصده بالإسماع خاصة، وإنما وقف الغيرة على الشيء لما علم من بعض السامعين أو من كان عدم احترام ما وقعت من أجله الغيرة، فلو عمّ الاحترام من كل شخص في كل موجود لكان الأمر جهراً كله، وأيضاً رحمة بالخلق لأنهم إذا أخفى عنهم لم يلزمهم احترام ما لم يسمعوا فلم يعاقبوا. ومن ذلك الوجود في السجود: [الوافر]

إذا وَافَـتْ حَـقَـائِـقُـنـا اتَّـحَـدْنَـا وفُـزْنَـا بـالـعِـنَـايَـة بـالـوُجُـودِ
وحُـزْنَـا كُـلَّ مَـكْـرُمَـةٍ تَـبَـدَّتْ إلـيـنـا مـنـه فـي حـال الـسُّـجُـودِ

قال: إنما تطلب الوجوه بالسجود رؤية ربها لأن الوجوه مكان الأعين والأعين محل الأبصار، فطلبه في سجوده ليراه من حيث حقيقته فإن التحت للعبد لأنه السفل، فربما تخيل العبد تنزيه الحق عن التحت أن يكون له نسبة إليه، فشرع له السجود وجعل له فيه القربة، ثم نبهه الشرع على ذلك بحديث الهبوط وهو أنا روينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَوْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلٍ لَهَبَطَ عَلَىٰ الله**» وهي إشارة بديعة في الاعتصام بحبل الله أنه يوصلنا إلى الله، ولهذا قال ابن عطاء لما غاص رجل الجمل في الأرض: جلّ الله، فقال الجمل: جلّ الله لأن رجل الجمل سجد بالغوص في الأرض يطلب ربه، فإن كل أحد إنما يطلب ربه من حقيقته ومن حيث هو، ونسبة التحت والفوق إليه سبحانه على السوا لاتحده الجهات ولا تحصره، يقول الله تعالىٰ: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ**﴾ وهم أمة موسىٰ ﴿**وَٱلْإِنجِيلَ**﴾ وهم أمة عيسىٰ ﴿**وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ**﴾ وهم أهل القرآن وجميع كل ما أنزلت عليه صحيفة ﴿**لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ**﴾ يريد استواءه على العرش والسماء بل كل ما علاه ﴿**وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم**﴾ [المائدة: ٦٦] وهو الذي طلبه رجل الجمل بغوصه. وبقوله ﷺ: «**لَوْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلٍ لَهَبَطَ عَلَىٰ الله**» مع أنه ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ**﴾ [الشورىٰ: ١١] فالنسب إليه على السوا وما كان عند ابن عطاء خبر بذلك فكان الجمل أستاذ ابن عطاء في هذه المسألة فللّه الفوق والتحت، كما له الأمر من قبل ومن بعد، فله نسب مسافات الأمكنة، كما أن له نسب مسافات الأزمنة، وما ثم أسرع حركة من البصر في الحواس زمان لمح البصر زمان تعلّقه بالكواكب الثابتة فما فوقها، وبينهما من البعد في المساحة ما لا يقطع في آلاف من السنين المعلومة عندنا بحركة الأرجل. ومن ذلك الجزاء يشهد بالعدل وترك الفضل: [الطويل]

إذا أنت سَاوَيْتَ العَدالةَ بالجورِ وفضلتَ أمْرَ الفضل فينا على العَدْلِ
تَيَقَّنْتَ أن الأمْرَ بالحَقّ قائمٌ وأن لسانَ الحَقّ في قُبَّةِ الفَضْلِ

قال: لا يدخل الفضل في الجزاء، وبهذا كان فضلاً، فعطاء الله كله فضل لأن التوفيق منه فضل والعمل له وهو العامل، فالحاصل عن العمل بالموازنة وإن كان جزاء فهو فضل بالأصالة، فالجزاء موازنة للعمل فهو للعمل لا للعامل ولا للعامل به، فإن العامل هو الحق، وما يعود عليه ممّا أعطاه ما وجد له ذلك العطاء، والعمل لا يقبل بذاته ذلك العطاء لنفسه ولا بدّ له من قابل، وأعطاه العمل لمن ظهر به وهو العبد الذي كان محلاً لظهور هذا العمل الإلهي فيه، فهو أيضاً محل للعطاء الإلهيّ لأنه يلتذ به أو يألم إن كان عقوبة، فقد علمت الجزاء والمجازي والمجازى والسلام. ومن ذلك كرم الأصول يدل على عدم الفضول: [الرمل]

كَرَمُ الأصْلِ دليلٌ وَاضحٌ في بَقَاءِ الكَوْنِ من مُوجِدِهِ
فإذا عَيَّنَهُ مُوجِدُهُ كان بالتعيين من مَشْهَدِهِ

قال: العاقل العالم من لا شغل له إلاّ بما يعنيه، وما ثم إلاّ ما يعنيه، يعني إذا أضيف العمل إلى الله، فإذا أضيف إلى المخلوق فلا يخلو إما أن يعتبر فيه التكليف المشروع أو لا يعتبر، فإن لم يعتبر فما اشتغل أحد إلاّ بما يعنيه أي بما له به عناية، لأنه اشتغل بما له فيه غرض من تحصيل أو دفع، وإذا اعتبرت التكليف وخرج الاشتغال من المكلف عمّا رسم له الوقت وطلبه منه فقد اشتغل بما لا يعنيه أي بما ليس له به عناية شرعية، ولذلك ورد: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ**» والإسلام حكم شرعي، ولم يقل من حسن فعل المرء تركه ما لا يعنيه فإنه ما ترك إلاّ ما يعنيه تركه ولا فعل إلاّ ما يعنيه فعله. ومن ذلك لا يرتضي إلاّ أهل الرضى: [البسيط]

إنّ الرَّضِيَّ الذي يَرْضَى بنَقْلَتِهِ في كلّ حَالٍ إلى ما فيه مَرْضَاتُه
فإن تَعَدَّى ولم يَثْبُتْ بمَنْزِلِهِ فذاك من حَرُمَتْ عليه أقْوَاتُه

قال: الرضا ممّن كان لا يكون إلاّ بالقليل لمن يعلم أن ثم ما هو أكثر من الحاصل في الوقت، ولا بدّ من الرضا من الطرفين لأن الباقي لا يتناهى، فلا سبيل إلى نيله ولا إلى دخوله في الوجود، فلو حصلت ما عسى أن تحصل فلا بدّ من الرضا ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بما أعطوه من بذل المجهود وغير بذل المجهود ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] بما أعطاهم ممّا يقتضي الوجود الجود أكثر من ذلك، لكن العلم والحكمة غالبة ولذلك ﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧] وإن ارتفع التكليف في الآخرة فما ارتفع ما ينبغي، فما انبغى إلاّ ما حصل، فالناس في الآخرة مع ربهم في عبادة ذاتية، وهم في الدنيا في عبادة مشروعة، إلاّ من اختصه الله من عباده فأعطاه في الدنيا حال الآخرة كرابعة العدوية. ومن ذلك من جهل المحدث جهل المحدث: [الرمل]

جَهِلْنَا بالله ما قَامَ بنا دون أن نَعْرِفَ ما نَحْمِلُهْ

فــإذا عَــرَّفَـنَـا الــحَـقُّ بِـه عـنـدهـا نَـعْـرِفُ مـا نَـجْـهَـلُـهْ

قال: قال ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» فمن عجز عن معرفة نفسه عجز عن معرفة ربه، وقد تكون المعرفة بالشيء العجز عن المعرفة به، فيعرف العارف أن هذا المطلوب لا يعرف، والغرض من المعرفة بالشيء أن يميز من غيره، فقد ميّز وتميز من لا يعرف بكونه لا يعرف ممّن يعرف فحصل المقصود وما بقي الشأن إلاَّ في الأمرين إذا كان العجز عن معرفتهما فبأي شيء يتميز كل واحد عن الآخر عجزنا عن معرفة نفوسنا وعجزنا عن معرفة ربنا فما الفارق بين العجزين؟ أو هل نفسك عين ربك كما ورد في الخبر: «كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ» وذكر جميع قواه فقد وقع الالتباس ومالك فارق إلاَّ الافتقار فيقوم معك ما طلبه منك، والافتقار جعلك أن تطلب منه فلم يبق إلاَّ التعريف الإلهي بالفارق إن كان من الممكنات. ومن ذلك المكر نكر: [البسيط]

إنّ الإلــه لَـخَـيْـرُ الـمـاكـريـن بـنـا ثُـمَّ اعْـتِـقَـادي بـأن الـمَـكْـرَ كـان لَـنَـا
فـلـو شَـعَـرْتُ بـه مـا كـان يَـمْـكُـرُ بـي فـمـن جـهـالـتـنـا أَتـى عـلـيـنـا بـنـا

قال: رائحة المكر في قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] وما أنكر إلاَّ بما شرع له الإنكار فيه، ولكن غاب عن تزكية الله هذا الذي جاء بما أنكره عليه صاحبه، فهو في الظاهر طعن في المزكى إلى أن يتذكر الناسي، وينتبه الغافل، ويتعلم الجاهل، تمشي أمور وتذهب علوم وتفوت أسرار، وأي مكر أشدّ من النكر؟ وما ثم فاعل إلاَّ الله، فعلى من تنكر؟ فلو أنكرت بالله كما تزعم ما اعتذرت ولا استغفرت ولا طلبت الإقاله، فإنه من تكلم بالله لم يخط طريق الصواب بل هو ممّن أوتي الحكمة وفصل الخطاب. ومن ذلك التراثي في المرائي: [البسيط]

إنَّ الـمِـرَاةَ تُـرِيـنَـا مـا يَـقُـومُ بـنـا مـن الـتَّـغَـيُّـرِ فـيـمـا تـحـمـل الـصُّـوَرُ
لـقـد تَـحَـيَّـرْتُ فـيـمـا قـد خُـلِـقْـتُ لـه ومـا لـنـا مـنـزلٌ لـكـن لـنـا سُـوَرُ

قال: يحفظ في رؤية صور التجلي في صور الموجودات، فإن الله ما ضرب لك المثل في الدنيا بتجلي الصور في المرآة من الناظر، ويتجلى ما في المرآة في مرآة غيرها قلت أو كثرت سدى، فاعرف إذا رأيت صورة في مرآة هل هي صورة من مرآة أخرى أم هي صورة لا من مرآة؟ ثم انظر في المرائي واعتدالها والأقوم منها وانظر إلى مرآة وجودك فإن كانت أعدل المرائي ولا تكن فإن الأنبياء عليهم السلام أعدل مرآة منك، ثم لتعلم أن الأنبياء قد فضل بعضهم بعضاً فلا بدّ أن يكون مرائيهم متفاضلة، وأفضل المرائي وأعدلها وأقومها مرآة محمد ﷺ، فتجلى الحق فيها أكمل من كل تجلٍ يكون، فاجهد أن تنظر إلى الحق المتجلي في مرآة محمد ﷺ لينطبع في مرآتك فترى الحق في صورة محمدية برؤية محمدية، ولا تراه في صورتك كما قال الرجل الذي قال: رأيت الله فأغناني عن رؤية أبي يزيد، فقال له الرجل: لأن ترى أبا يزيد مرة خير لك من أن ترى الله ألف مرة، فلما رآه ذلك المستغني مات فقيل لأبي يزيد خبره فقال أبو يزيد: كان الحق يتجلى له على قدره فلما رآنا تجلّى الحق له على

قدرنا فلم يطق فمات من حينه، والحكاية مشهورة وذلك عين ما أشرنا إليه. ومن ذلك الزهرة لأهل النظرة: [السريع]

مــا زَهْــرَةُ الأرْضِ ســوى فِــتْــنَــةٍ   تَــعْــمُّ أهْــلَ الأرْضِ أحْــكَــامُــهَــا
وإنّ مــن يُــدْرِكُــهَــا فِــتْــنَــةً   فــذلــك الــمــدرِكُ عَــلاّمُــهَــا

قال: ما تنعمت الأبصار في أحسن من زهرة الروض: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧] وأحسن زينة عليها رجال الله فاجعلهم منتزهك حتى تكون منهم، فما دمت أرضاً فأنت محل زينة أزهار النوار، وهي دلالات على الثمر الذي هو المقصود من ذلك لأن به تسري الحياة فهو القوت الحسيّ الحيواني، فإن كنت سماء مع بقاء أرضيتك عليك في مقامها وذلك هو الكمال فإنه من رجال الله من يفنى عينها لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٦] فالعارف انتقل من ظهرها إلى بطنها فما فني عنها بل تحقق بها كذلك فليكن، فإذا كنت سماء فأنت محل زينة زهر الأنوار أنوار الكواكب وهي تدل على الحياة المعنوية العلمية.

ومن ذلك قد تكون الفتنة جنة: [السريع]

يَـسْـتَـتِـرُ الـمَـحْـفُـوظُ في فِـتْـنَـتِـهْ   سُـتْـرَةَ مَـن يُـحْـفَـظُ فـي جُـنَّـتِـهْ
فـيَـتَّـقـي مـنـهـا سِـهـامَ الـعِـدَى   كـذلـك الـعـارفُ فـي جَـنَّـتِـهْ

قال: لا شك أن الفتنة جنة فإنها ستر في وقتها عن الأمر الذي تؤول إليه ذاتك، فإنك منظور إليك من جانب الحق بعين الحق في حال الفتنة ما يكون منك ولا تمتحن وتختبر حتى تمكن من نفسك وتجعل قواك لك وتسدل الحجاب بينك وبين ما هي الأمور عليه حتى ترى ما يستخرج منك هذه الفتنة، فإذا أراد الرجل التخلص من هذه الورطة فلينظر إلى الأصل الذي كان عليه قبل الفتنة، وقد أحالك الله عليه أن تفطنت بقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٧] فانظر إلى حالك مع الله إذ لم تكن شيئاً وجودياً ما كنت عليه مع الحق، فلتكن مع الله في شيئية وجودك على ذلك الحكم لا تزد على ذلك شيئاً إلاّ ما اقتضاه الخطاب فقف عنده. ومن ذلك من خان الخيانة خان الأمانة: [السريع]

يـا أيُّـهـا الـمَـحْـجُـوبُ فـي عِـزَّتِـهْ   لا تَـنْـظُـرِ الـخَـائِـنَ مـن بِـزَّتِـهْ
فـإنّ مَـكْـرَ الـسِّـرِّ فـي خَـلْـقِـهِ   خِـيَـانَـةٌ مـنـه عـلـى عِـزَّتِـهْ

قال: هذه نكتة أغفلها أهل الله أهل النقد والتمييز، فكيف من ليس له هذا المقام من أهل الله وهو أنك لا تخون الخيانة إلاّ بأداء الأمانة، فأنت خائن من حيث تظن أنك لست بخائن في أدائك الأمانة إلى أهلها، فإن الخيانة تطلب حكمها وحكمها نافذ في كل أحد، فإن الإنسان حامل أمانة بلا شك بنص القرآن، فإن أدّاها فقد خان الخيانة، وإن لم يؤدها فقد خان الأمانة، والخيانة أمانة فأدّها إلى أهلها وتجرّد عنها إن كان لها أهل وجودي، فإن لم يكن لها أهل فما هي أمانة. واعلم أن التخلص من هذا الأمر لا يكون إلاّ حتى يكون مشهودك أنك الحق إذا كان الحق سمعك وبصرك وقواك، فما ثم أمانة تؤدّى لأنك أنت الكل فما ثم خيانة فما خنت ولا أدّيت. ومن ذلك الجنف جنف: [البسيط]

مَنْ مَالَ عن جَنَفِهِ فالفَضْلُ شِيمَتُهُ ... ومَنْ يَمِيلُ إليـنا نحن قِيمَتُهُ
فانْظُرْ إليه إذا مَالَ الركابُ به ... تلقاهُ حُبًّا على خَوْفٍ كَرِيمَتُهُ

قال: تختلف الأحكام باختلاف الألفاظ التي وقع عليها التواطؤ بين المخاطبين، وإن كان المعنى واحداً فالمصرف ليس بواحد، فالجور الميل والعدل ميل، فالميل إلى الباطل جور والميل إلى الحق عدل. وكلاهما ميل، وكذلك الدين الحنيفي ميل إلى الحق، والحيف ميل إلى عدم الحق، فمن حيث أنهما ميل هما سواء وما فرق بينهما إلاَّ الطريق، ولذلك ذكر الله نجدين، ولما كان كل واحد منهما ميلاً ورأى أن الجور ميل إلى الشيطان وكذلك القسط والزيغ والجنف وكل ميل إلى الشيطان وعلم أن الباطل هو العدم وهو يقابل الوجود فما للحق منازع إلاَّ الباطل منعت الغيرة تقرير ذلك فحكمت وقالت في الكل: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] فنسب الميل إلى الباطل إليه وأخذه من الباطل فصار حقاً. ومن ذلك في غروب الشمس موت النفس: [الوافر]

غُرُوبُ الشَّمْسِ مَوْتُ النَّفْسِ فانْظُرْ ... إلى نُورٍ قَدْ اُدْرِجَ في التراب
وذاك الرُّوحُ رُوحُ الله فينا ... وعند النفخ يأْخُذُ في الإياب
إلى الأَجَلِ الذي منه تَعَدَّى ... فيسرعُ في الإياب وفي الذهاب

قال: النفس كالشمس شرقت من الروح المضاف إلى الله بالنفخ وغربت في هذه النشأة فأظلم الجوّ فقيل: جاء الليل وأدبر النهار، فالنفس موتها كونها في هذه النشأة، وحياة هذه النشأة بوجودها فيها، ولا بدّ لهذه الشمس أن تطلع من مغربها، فذلك يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً لأن زمان التكليف ذهب وانقضى في حقها، فطلوع الشمس من مغربها هو حياة النفس وموت هذه النشأة، ولهذا ينقطع عمل الإنسان بالموت لأن الخطاب ما وقع إلاَّ على الجملة، ففي موتها حياتها وفي حياتها موتها، فتداخل أمرها لأنها على صورة موجدها، أين الكبير من المتكبر؟ وأين العلي من المتعالي وهو هو، فإن حكمت عليه المواطن فهو محكوم عليه وفيه ما فيه. ومن ذلك زينة الدنيا رؤية: [الرمل]

إنما النَّاسُ نِيامٌ في الدُّنَا ... فإذا ماتوا يقومون هُنَا
والذي تَشْهَدُهُ أعيُنُنا ... هو رُؤْيَا ظَهَرَتْ في نَوْمِنَا

قال الإنسان في الدنيا في رؤيا ولذلك أمر بالاعتبار، فإن الرؤيا قد تعبر في المنام والناس نيام، وإذا ماتوا انتبهوا، فإذا كان بلسان الصادق الحسّ خيالاً والمحسوس متخيلاً فبماذا تقطع الثقة وأنت القائل؟ والقاطع العاقل العالم بأنك في حال اليقظة صاحب حسّ ومحسوس، وإذا نمت صاحب خيال وتخيّل والذي أخذت عنه طريق سعادتك جعلك نائماً في الحال الذي تعتقد أنك فيه صاحب يقظة وانتباه، وإذا كنت في رؤيا في يقظتك في الدنيا فكل ما أنت فيه هو أمر متخيل مطلوب لغيره ما هو في نفسه على ما تراه، فاليقظة والحسّ الصحيح الذي لا خيال فيه في النشأة الآخرة، ولا تقل إذا تحققت هذا أن خوارق العادات خيالات في أعيان الناظرين، اعلم أن الأمر في نفسه كما تراه العين فإنه لا باطن لما تشهده

العين بل هو هو فافهم وعلى الله قصد السبيل. ومن ذلك ليس على الأعرج من حرج: [المتقارب]

إذا شِئْتَ تَعْرف أسْرَارَ مَنْ بَقِي(١) والـذي قَـبْـلَـهُ قـد دَرَجْ
عـلـيـك بـمـا جَـاءَ فـي وَحْـيِـهِ فـلـيـس عـلـى أعْـرَجٍ مِـنْ حَـرَجْ
ولـيـس الـمُـرَادُ سـوى آفَـةٍ تـقـوم بـه مـا يـريـد الـعَـرَجْ

قال: المؤوف لا حرج عليه والعالم كله مؤوف فلا حرج عليه لمن فتح الله عين بصيرته ولهذا قلنا: مآل العالم إلى الرحمة وإن سكنوا النار وكانوا من أهلها ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧] وما ثم إلاَّ هؤلاء فما ثم إلاَّ مؤوف، فقد رفع الله الحرج بالحرج العاثر فيه فإنه ما ثم سواه ولا أنت والمريض المائل إليه لأنه ما ثم وجود يمال إليه إلاَّ هو، والأعمى عن غيره لا عنه لأنه لا يتمكن العمى عنه وما ثم إلاَّ هو، وقد ارتفع الحرج عمّن هذه صفته وما ارتفع الحرج إلاَّ بما هم فيه من الحرج، لأن كل واحد ممّن سميناه متضرّر فحاله يطلب الانفكاك عنه فهو طالب محال من وجه، فالعالم كله أعمى أعرج مريض. ومن ذلك المثل في الظل: [البسيط]

الـمِـثْـلُ فـي الـظِّـلِّ والأنـوارُ تُـظْـهِـرُهُ بـمـا تُـقَـابِـلُـهُ بـه تُـنَـوِّرُهُ
تَـعُـمُّـهُ فـإذا أَتَـتْـهُ عَـنْ جُـنُـبِ تَـنْـفِـيـهِ وَقْـتـاً وفـي وَقْـتٍ تُـصَـوِّرُهُ

قال: ظل الأشخاص أشكالها فهي أمثالها، وهي ساجدة بسجود أشخاصها، ولولا النور الذي هو بإزاء الأشخاص ما ظهرت الظلال، فما يظهر ظل عن شخص بنور حتى يكون النور محصوراً في جهة من الشخص ويكون الشخص في جهة منه مفروضة فيظهر الظل، وإنما أظهر الله الظلال عن أشخاصها بالأنوار المحصورة ضرب مثال لأنوار العقائد المحصورة فإلٰه كل معتقد محصور في دليله، فأراد الحق منك أن تكون معه كظلك معك من عدم الاعتراض عليه فيما يجريه عليك، والتسليم والتفويض إليه فيما تصرف فيك به، وينبهك أيضاً بذلك أن حركتك عين تحريكه، وأن سكونك كذلك، ما لظل يحرّك الشخص كذلك فلتكن مع الله فإن الأمر كما شاهدته فهو المؤثر فيك، هذا عين الدليل لمن كشف الأمر وعلمه ذوقاً. ومن ذلك من ألحق الشيء بطوره فقد قدره حق قدره: [البسيط]

إنّ الـحَـكِـيـمَ الـذي الأكـوانُ تَـخْـدُمُـهُ لأنـه نَـزَّلَ الأشْـيـاءَ مَـنَـازِلَـهَـا
يَـبْـدُو إلـى كـل ذي عـيـن بـصُـورَتِـهِ ولا يـقـول بـأن الـحَـقَّ نَـازَلَـهَـا

قال: لا تخرج شيئاً عن حقيقته فإنه لا يخرج، وإن أردت هذا اتصفت بالجهل وعدم المعرفة. وقال: كل من أنزلته منزلته فقد قدرته حق قدره وما بعد ذلك مرمى لرام. وقال: إن كان للشيء جنس فاحكم عليه بحكم جنسه، وإن كان نوعاً فاحكم عليه بما فيه من حكم جنسه وبما فيه ممّا انفصل عنه بنوعيته فهو ذو حكمين، وإن كان شخصاً فاحكم عليه بما فيه

(١) الشطر الأول مختل الوزن.

من حكم جنسه وبما فيه من حكم نوعه واحكم عليه بحقيقة شخصيته فهو ذو أحكام ثلاثة، فكلما قرب الأمر من الأحدية كثرت الأحكام عليه، الحق واحد وأسماؤه لا تحصى كثرة، فلو كان كثيراً لانقسمت الأسماء الذاتية بينهم الجنس كثير حكمه واحد. ومن ذلك: [البسيط]

إنَّ الشَّرِيكَ لَمَوْجُودٌ إذا نَظَرا ... من قَلَّدَ العَقْلَ في التَّعْيين والخَبَرَا
أتى به حاكمٌ في كل نازلةٍ ... من النوازل قَلَّ الأمْرُ أو كَثُرَا

الشرك الخفي والجلي

[نظم: البسيط]

الشِّرْكُ منه جَلِيٌّ لا خَفَاءَ به ... والشِّرْكُ منه خَفِيٌّ أنت تَعْلَمُهُ
يَخْفَى فيُظْهِرُهُ من كان يَحْكُمُهُ ... يَبْدُو فيَسْتُرُهُ من كان يَكْتُمُهُ

قال: الشرك الجلي عمل الصانع بالآلة، والشرك الخفي الاعتماد على الآلة فيما لا يعمل إلاَّ بالآلة، فما ثم إلا مشرك فإنه ما ثم إلاَّ عالم، وكل شرك يقتضيه العلم ويطلبه الحق فهو حق فليس المقصود إلاَّ العلم، فما يؤمن أكثرهم بالله إلاَّ وهم مشركون، فكثر العلماء بالله وأبقي طائفة من المؤمنين هم في الشرك ولا يعلمون أنهم فيه فلذلك لم ينسبهم إلى الشرك لعدم علمهم بما هم فيه من الشرك وهم لا يشعرون، وهذا من المكر الإلهيّ الخفي في العالم وهو قوله: ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠] وقال: ليس المراد بالشرك هنا أن تجعل مع الله إلهاً آخر ذلك هو الجهل المحض فإنه ما ثم إله آخر بل هو إله واحد عند المشرك وغير المشرك. ومن ذلك الصرف عن الآيات أعظم الآفات: [البسيط]

العَجْزُ صَرْفٌ عن الآيات في النَّظَرِ ... كالمُعْجزات التي في الآي والسُّوَرِ
فانْظُرْ إليها عسى تدري حَقِيقَتَهَا ... فإنما الناسُ في الدنيا على خَطَرِ

قال: كن من الذين صرفوا أنفسهم عن الآيات لا تكن من الذين صرفوا عنها، فإن الذين صرفوا عنها حجبوا بنفوسهم فنسبوا إليها ما ليس لها فعموا عن الآيات فحلّت بهم الآفات فحلت بهم المثلات، والذي انصرف بنفسه عن الآيات لعلمه بأن الدليل يضاد المدلول وما هرب إلاَّ من الضد والمقابل، فالناظر في الدليل ما زال فيه فهو هارب ممّا هو فيه حاصل، فعول أهل الكشف والوجود ونظروا إلى المدلول لا من كونه مدلولاً إلاَّ من كونه مشهوداً، فنظروا إلى الأشياء وهي تتكوّن عنه بأمره لا بل بذاته بأمره، فالأمر ما قرنه مع الوجود الذاتي إلاَّ لمن لا شهود له كشفاً ولا سلم له نظره من المزج، فجاء بالأمر والأمر كلامه وكلامه ذاته. ومن ذلك من توقى ترقى: [البسيط]

نُونُ الوِقَايَةِ تَحْمي فِعْلَها أبداً ... من التَّغَيُّرِ والآفات والضَّرَرِ
فلا تُغَيِّرُهُ ولا تُقَلْقِلُهُ ... عن صُورةٍ هو فيها آخِرَ العُمُرِ

قال: لما كانت الوقايات تحول بين من توقى بها وبين ما يتوقى منه أعطته الترقي والنزاهة عن التأثر وعن حكم التأثير فيه، فترقى إلى صفة الغني عن العالمين لا إلى غير ذلك،

فإن الاشتراك قد وقع بيننا في التأثير في بعض المواطن في قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦] فإعطاؤه عن سؤال أثر وتأثير، وفي الغنى عن العالمين لا يكون هذا فإن ارتقى هذا الغنيّ المتوقي إلى الغني عن الغنى فلا يكون ذلك إلاَّ حتى يكون الحق عين ما ينسب إليه من الصفات، ومن صفاته الغنى عن كذا فهو غني عن العالمين لا غني عن نفسه، فعلى هذا الحد يكون الترقي. ومن ذلك عظمت فضائحه من شهدت عليه جوارحه: [السريع]

الشَّخْصُ مَقْصُورٌ على نَفْسِهِ فليس شيءٌ عنه يُخْفِيهِ
يُبْدِيهِ وَقْتاً ثم يُخْفِيه عنه وهذا القَدْرُ يَكْفِيهِ

قال: أخسر الأخسرين شاهد يشهد على نفسه، كما أن أسعد السعداء من شهد لنفسه، فهو في الطرفين مقدّم في السعادة والشقاء ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠] فهم الذين أشقوا أنفسهم بشهادتهم، وأما من شهدت عليه جوارحه فما تعظم فضيحته من حيث شهادة جوارحه عليه، وإنما تعظم فضيحته من حيث عجزه وجهله بالذب عن نفسه في حال الشهادة، فإنه ما سمّي ذلك النطق شهادة إلاَّ تجوز، إلاَّ أن الجوارح تشهد بالفعل ما تشهد بالحكم فإنها ما تفرّق بين الطاعة المشروعة والمعصية فإنها مطيعة بالذات لا عن أمر، فبقي الحكم لله تعالى فيأخذه ابتداء من غير نطق الجوارح، وهنا يتميز العالم من غيره. ومن ذلك بلوغ الأمنية في الرحمة الخفية: [البسيط]

بُلُوغُ ما يَتَمَنَّى العَبْدُ لَيسَ لَهْ وإنَّما هو لله الذي خَلَقَهْ
ومن يكونُ بهذا الوَصْفِ فهو فَتًى يَزِيدُ قَدْراً على أمثاله طَبَقَهْ

قال: ألذّ ما يجده الإنسان ما لا يشارك فيه، ولذلك نسب من نسب من الحكماء الابتهاج بالكمال لله لعدم المشارك له في ذلك الكمال، فلا لذة أعظم من عدم المشاركة في الأمر والانفراد به حتى يكون ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] وهذه هي الرحمة الخفية، وإنما سميت خفية لعدم المشاركة فإنه ما يعرفها إلاَّ صاحبها والذي يعلم السر وأخفى، وعلم الله بها معك لا يمنعها من الخفاء لأن الخفاء إنما هو عن الأكوان لا عن الله، فإن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فالشيء لا يخفى عنه عينه، وهذا هو العجب أن الإنسان لا يعرف نفسه كيف لا يعرف العارف نفسه وقد عرف أنها لا تعرف. ومن ذلك العالم الذي يخشى هو الليل إذا يغشى: [الرمل]

صِفَةُ الخَشْيَةِ نَعْتُ العُلَمَا وهُمُ عند الإلٰهِ الحُكَمَا
والذي يَجْهَلُ ما جِئْتُ به في الذي قد قلتُه في العُلَمَا
لم يَزَلْ إمَّعَةً لا يَهْتَدي مع هذا مع هذا في عَمَى

قال: الغشيان نكاح وهو ستر فهو سر، فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً غطاها بذاته وسترته بنفسها فكان لها لباساً وكانت له لباساً: ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ﴾ [البقرة: ١٨٧] فالعالم من انسحب علمه على كل شيء فغشاه فلم يخرج عن علمه شيء من الأمهات فلبسه كل شيء فهو ثوب كل شيء متى يكون ذلك إذا كان قلبه بيت الحق، فإذا لبسه الحق بكونه

في قلبه ولبسه العبد بكونه جميع قواه والحق هو الجامع وعلمه ليس غير الحق فقد علم كل شيء، وإذا علمه فقد غشيه، وإذا غشيه فقد لبسه، وإذا لبسه انفعل عنه ما ينفعل ويصير ذلك المنفعل أهلاً له أيضاً يغشاه. ومن ذلك الردّة عن الدين شيمة الملحدين: [الرمل]

صَاحِبُ الرِّدَّةِ لا تَحْسَبُهُ ... عالماً بالأمْرِ فيما قد عَلِمْ
بل هو الجامعُ حَقّاً ولذا ... كل ما يسمعُ من قَوْلٍ حُكِمْ
أنَّهُ يصدقُ فيما قاله ... والذي يعقلُ هذا لا جَرَمْ

قال: الدين الجزاء فلا يميل عن الجزاء إلى العمل على العبودة وتكون عبادته لذات الحق كما هي عبادته في الآخرة، كان عند الناس ملحداً وعند ربه موحداً فإنه سلم من البواعث المعلولة في عبادة ربه، فهذا هو الإلحاد المحمود، وما سمّي إلحاداً إلاّ لما فيه من الميل عن العمل على الأمر. إلاّ أنه لا بدّ أن يكون من هذه حالته في عبادته أن يشهد ويسمع أمر الحق بتكوين الأعمال فيه التي شرعت له أن يعملها فيراها تتكوّن فيه عن أمر الله على الموافقة لما شرع الله من الأمر والنهي ويسمع أمر الحق بالتكوين، فإن لم تكن هذه صفته فما هو ذلك الرجل الذي بوّبنا عليه أن الردّة عن الدين شيمة الملحدين، فبهذا يعرف نفسه صاحب هذا المقام فلا يأخذه بالقوّة. ومن ذلك اقتحم العقبة من أفرد نفسه بالمرتبة: [البسيط]

لا تَقْتَحِمْ شِدَّةً فالأمْرُ أيسَرُ مِنْ ... ظَنٍّ تَظُنُّ فإن الحَقَّ يَسَّرَهُ
إن الوُجُودَ مع الإنسان خَيَّرَهُ ... وبعد تخييره في الأمر حَيَّرَهُ
أماتَهُ الله حَتْفاً ثم أقْبَرَهُ ... وبعد هذا إذا ما شاءَ أنْشَرَهُ

قال: من قال إني إله من دونه فما جهل إلاّ بقوله من دونه ما جهل بقوله إني إله وحده ولكن بالمجموع فإنه أثبت الغير بقوله من دونه، فإن العبد إذا نطق بالحق وكان الحق نطقه فهو القائل إني إله لا العبد، فلا يحتاج أن يقول من دونه في نطقه بالحق فإن العبد لا يكون رباً ولا سيما في مثل هذا الذوق، فلا رائحة فيه جملة واحدة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] فقولهم ابن مريم ونعتوه بالبنوّة، ولو قالوا ابن الله كان ذلك كله خطأ وكانوا كافرين، فلو قالوا الله والمسيح أيّاما تدعو كما قال في الرحمن لم يفردوه بالمرتبة ولا أشركوه إنما الله إله واحد. ومن ذلك من ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه: [البسيط]

إن الدَّعِيَّ زَنِيمٌ حيثُ ما كانا ... وهو العَزيزُ به فيه وإن هَانَا
الله جَمَّلَهُ الله عَدَّلَهُ ... الله سَوَّاهُ دونَ الخَلْقِ إنْسَانَا
قد أظْهَرَ الله فيه عِزَّ قُدْرَتِهِ ... لو لم يكن لم يكن ذاك الذي كانا
لو كان لي أمَلٌ في غير ما خُلِقَتْ ... نَفْسي له لم أكن في الخَلْقِ مِحْسَانَا

قال: جاء في الخبر النبوّي: «**مَنِ ادَّعى إلىٰ غيرِ أبيهِ أو انتمى إلىٰ غيرِ مَوالِيهِ فعليهِ لَعْنَةُ الله**» أي له البعد وما له سيد إلاّ الله، ولذلك نهى رسول الله ﷺ أن يقول أحدنا عبدي وأمتي، وليقل: غلامي وجاريتي، كما نهى أن نقول لمن له سيادة علينا ربنا، فانظر إلى هذه الغيرة

الإلهية وما تعطيه الحقائق، وكذلك من ادّعى إلى غير أبيه ملعون أي قد بعده عن الأصل الذي تولد عنه، إلاّ أنه لا يقال ابن إلاّ لبنوة الصلب وإن جازت بنوة التبني، ولكن قول الله أولى في قوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] ولا نشك أن الغيرة حكمت أن يقال: «**الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ**» ما لم ينفه صاحب الفراش، فبنوة التبني بالاصطفاء والمرتبة ولفظة الابن هي المنهي عنها، إلاّ أنه وردت رائحة في التبني في قوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ بل أداة إضراب ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤] وهنا في المصطفى إشكال من هو المصطفى؟ فقد يحتمل أن يريد محل الولد ليظهر فيه الولد بالتوجه الإلهيّ في الصورة البشرية في عين الرائي كجبريل حين تمثل لمريم بشراً سوياً فقالت: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨] وهنا سرّ أيضاً فابحث عليه، فقال لها جبريل: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ جئتك ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] لما أحصنت فرجها نفخ فيها روحاً من أمره فينسب إليه، فقالت النصارى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] وقد يريد بالاصطفاء التبني، والله أعلم ما أراد من ذلك هل المجموع أو أحد الأمرين؟ ومن ذلك: [السريع]

هو الإمامُ السيِّدُ الأتقى ... مُسْتَمْسِكٌ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى
بأنه المَسْعُودُ لا يَشْقَى ... أخْبَرَ عنه الرُّوحُ في وَحْيِهِ

لا يشقى من استمسك بالعروة الوثقى

قال: العروة دائرة لها قطران بالفرض يفصلهما خط متوهم، فالعروة الوثقى أنت وهو من حيث قطريها، فالوجود منقسم بينك وبينه لأنه مقسوم بين رب وعبد، فالقديم الرب والحادث العبد، والوجود أمر جامع لنا: «**قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي**» فهذه عروة لها انفصام من وجه، فإنه لا بدّ أن ينحل نظام التكليف فترتفع هذه الصلاة المنشأة على هذه الهيئة، وتبقى صلاة النشأة الذاتية التي ربطتك به تعالىٰ في حال عدمك ووجودك، فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها فاستمسك بها فلا تفرده دونك ولا تشفعه بك بل أنت أنت وهو هو. ومن ذلك: [البسيط]

مِثْلُ الذَّكَاةِ التي عَزَّتْ وما هَانَتْ ... إنّ الزَّكَاةَ نُمُوٌّ حيث ما كانَتْ
قد زَيَّنَتْ عاطلاً منها وما شَانَتْ ... في كل حالٍ من الأحوال تُبْصِرُها

قال: الزكاة ربو من زكا يزكو إذا ربا، والربا محرم والزكاة ربا، والذكاة فيما يكون عنه بالتناول الربو في المتناول، والميتة حرام لأنها ما ذكيت فهي مع المذكى كالربا مع الزكاة، فالجامع الأقرب بين الزكاة والذكاة التطهير، لأن الزكاة طهارة بعض الأموال، والذكاة طهارة بعض الحيوان، والجامع الأبعد بينهما ما فيهما من الربو والزيادة لمن تناول ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] أي جعلها تربو وتزكو وما تربو حتى يكون الحق قوتها، قال سهل بن عبد الله: القوت الله حين قيل له: ما القوت؟ فلما قيل له سألناك عن قوت الأشباح فقال: ما

لكم ولها دعوا الديار لبانيها إن شاء عمرها وإن شاء خرّبها، وقد ورد: «**إنَّ الإيمانَ يَرْبُو فِي قَلْبِ المُؤْمِنِ إذا مُدِحَ وَالمُؤْمِنُ لا يَرْبُو إلاَّ بِالمُؤْمِنِ فَإنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**» فإن الحائط لا يعظم ويقوم إلاّ بضم اللبن بعضها إلى بعض في البنيان، كذلك المؤمن يعظم بالمؤمن، والمؤمن من أسمائه تعالىٰ. ومن ذلك: [المجتث]

الـخَـوْضُ فـي كـلِّ أَمْـرِ ... مـن الـوُجُـودِ عَـمَـايَـهْ
إلاَّ إذا كُـنْـتَ فـيـه ... ذا عِـزَّةٍ وعِـنَـايَـهْ

الخوض في آلائه عماية

قال: إذا كنت أنت الآية عينها فأنت أقرب شيء إلى من أنت دليل عليه، فإذا خضت في الآية فأنت دال لا دليل فزلت عن كونك آية فبعدت عن المقصود فحجبت فصرت في عماية فلا تخض فيك، وانظر في ذاتك على الكشف حتى ترى بمن هي مرتبطة، فذلك الذي ارتبطت به هو مدلولها وهي آية عليه للأجنبي الخائض فيك ما أنت آية لك وإن كنت آية لك يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨] إشارة حسنة ونصيحة شافية حتى يخوضوا في حديث غيره، فأضاف الآيات إليه، فإن خضت فيها تعديت عنك إلى الجانب الآخر، والشأن في أن تكون أنت وهو أنت له وهو لك لا أن يكون هو لهو فلماذا أوجدك؟ ولا أن تكون أنت لأنت فاعلم. ومن ذلك: [السريع]

إن الـذي يَـسْـكُـنُ تـحـت الـقَـضَـا ... فـإنـه عـلامـةٌ فـي الـرِّضَـا
قـد وَسِـعَ الـكُـلَّ جـمـالاً فـمـا ... يُـعْـرِضُ عـنـه الـسِّـرُّ لـو أعْـرَضَـا
الـسـكـونُ تـحـت الـقَـضَـا ... قـد لا يـكـون عـن الـرِّضَـى

قال: ما كل من سكن تحت قضاء الله يكون راضياً بما قضي عليه، قد يكون الساكن مجبوراً مقهوراً إما لغفله وإما لأمر من خارج، فإذا رفع عنه القهر زال ما كان يدعيه من الرضى، فأخفى الله كذب الكاذب بالقهر في التشبيه بالصادق، فيرى كل واحد من الشخصين قد رضي، والواحد رضي طوعاً والآخر رضي كرهاً ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥] ولست أعني بالسماء هذه المشهودة المعلومة فهي إشارة إلى الرفع والأرض إلى الخفض، فأهل السماء يسجدون كرهاً وأهل الأرض يسجدون طوعاً بسبب الأهلية، فقد يكون في السماء من هو من أهل الأرض فيسجد طوعاً، وقد يكون في الأرض من هو من أهل السماء فيسجد كرهاً وهو علم ذوق، فالساجد يعرف بأي صفة سجد؟ فهو أهل لما تعطيه تلك الصفة. وقال: العبد مأمور بالرضى بالقضاء لا بكل مقضي به فاعلم ذلك فإنه دقيق.
ومن ذلك: [الخفيف]

لـم يَـزَلْ فـي ضَـلالَـةٍ وعَـمَـى ... مَـن عَـصَـى رَبَّـهُ مـن الـعُـلَـمَـا
فـانـظُـروا فـي الـذي أَفُـوهُ بـه ... تَـجِـدُوهُ قـالـت بـه الـحُـكَـمَـا

لم يزل في تضليل من عصى الله والرسول

قال: لم يزل في حيرة من عصى الله والرسول، وما ثم إلاّ واحد والرسول حجاب، وقد علمت أنه لا ينطق عن الهوى بل هو لسان حق ظاهر في صورة خلق، فإن رفعه ذمّه الله وإن تركه تركه على مضض، فأعطاه الله دواء من بلاء لهذه العلة وهو قوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ثم زاده في الدواء بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] فلما أفرد الأمر في عين الجمع بل العليل من دائه ولذلك قال الخليل: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨] فإن العبد لا بدّ له من خواطر تقتضيها نشأته وبنيته، فمنها ما يوجب له مرضاً فيحتاج إلى دواء، ومنها ما لا مرض فيه وهو الخاطر السليم. ومن ذلك: [الخفيف]

لَـذَّةُ الـوَقْـتِ لِـلَّـذي يَـجْـنـي ... ثَـمَـرَ الـقُـرْبِ عـنـدمـا يَـجْـنـي
فـإذا قـال كـيـف قـلـت لـه ... لـو دَرَى الـعـالـم الـذي أَغْـنـي
هَـامَ وَجْـداً بـه فـكـيـف أنـا ... ولـهـذا سَـتَـرْتُـهُ مِـنِّـي

قال الشاعر: أحلى من الأمن عند الخائف الوجل لأن الوارد الذي يعطي الأمن الذي يرد على الخائف يكون الخائف أعظم التذاذاً به ممّن استصحبه الأمن وذلك لتجدد الأمن عليه عقيب الخوف، فجاء على النقيض ممّا كان يأمله وينتظره من وقوع الأمر المخوف منه، فوجد الالتذاذ الذي لا يكون ألذّ منه، فلو فتح الله عين بصيرته ورأى تجدّد نشأته في كل نفس مع جواز عدم التجدد واللحوق بالعدم لكان في لذة دائمة، لكن ما كل أحد يعطى هذه الرتبة بل الإنسان كما قال تعالى في: ﴿لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] وهو في مفهوم العموم النشأة الآخرة، فالجاني هو الذي ينتظر العقوبة، فإن كان مؤمناً فإنه ينتظر إما العقوبة من الله على ما جنى أو العفو والمغفرة، فإذا جاءته المغفرة وجد لها من اللذة ما لا يقدر قدرها إلاّ من ذاقها. ومن ذلك: [البسيط]

من كـان فـي الـنُّـورِ كـان الـنُّـورُ يَـصْـحَـبُـهُ ... وظُـلْـمَـةُ الـجَـهْـلِ تُـرْدِيـهِ وتَـسْـحَـبُـهُ
فـكُـنْ بـه لا تَـكُـنْ فـإنـه سَـنَـدٌ ... أقْـوَى ومـن جـاءه فـي الـحِـيـنِ يُـذْهِـبُـهُ

ولاية النور حبور وولاية الظلمة تبور

قال: بولاية النور يكون الظهور فتبدو له عين الأشياء فتفرق همومه وغمومه، فله في كل منظور إليه تنزه وعلم وفتح لا يكون في الآخر، فتقترن به لذة وسرور على قدر ما كان له من التعطش لطلب ما رآه إن كان معلوماً عنده، قيل ذلك بالقوة أو على قدر رتبة ذلك المنظور في الحسن والطعم، وبولاية الظلمة يهلك في حقه كل ما سترته الظلمة واجتمع عليه همّه فإنه لا يتمكن له أن يكون من نفسه في ظلمة فتقل لذاته، فإن فتح له فيه بسرّ الغيب وعظيم مرتبته على الشهادة كان سرور بالظلمة أتم. ومن ذلك: [البسيط]

إذا مَـضَـى عـنـك شـيءٌ لا تُـرِدْ خَـلَـفـاً ... مـنـه فـإن هَـلاكَ الأجْـرِ فـي الـخَـلَـفِ
وقُـلْ لـه بـالـذي تَـحْـوِيـهِ مـن عَـجَـبٍ ... إن الـمـقـام الـذي أرْجُـوهُ فـي الـتَّـلَـفِ

التلف قد يكون في الخلف

قال: من أعطى مؤدياً أمانة فأخلف الله عليه مثل ما أعطى فقد زاد في حجبه فقد زاد في نصبه، فإنه ما يعطيه الله شيئاً إلاّ ويأمره بحفظه وتقوى الله فيه، ولا سيما في دار التكليف، وإنما قيدناه بهذا القيد لقوله تعالى لسليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩] مع كونه عن السؤال بقوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥] يريد المجموع لأنه ورد أن أصحاب الجد محبوسون لأنهم خرجوا عن أصولهم فإن أصلهم الفقر فما أثنى عليهم إلاّ بالذلة والافتقار لأنهم لو لم يفتقروا لما أعطاهم الحق ما حجبهم به وأتعبهم فيه وأمرهم بأداء ما يجب عليهم فيه من حقه وحق من له استحقاق كالزكاة وغيرها، فما وقفوا مع الأصل وهو فقرهم بل قالوا لما فرض الله عليهم الزكاة في أموالهم هذه أخية الجزية وأين ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦] وقالوا ما ذكرناه ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧] فلو ثبتوا على ما أعطاهم الحق ولم يطلبوا الزيادة لم يعطهم سوى ما يبقي عليهم الخلق الذي أعطاهم حين أعطى كل شيء خلقه فيحفظ عليه خلقه دائماً، فإياك والافتقار فما حجب الأغنياء سواء لافتقارهم إلى الزيادة فيما في أيديهم وما اقتنعوا. ومن ذلك: [البسيط]

المَقْتُ بالوَقْتِ مَقْرُونٌ فإن فَاتَا ... فَلْتَحْمَدِ الله شُكْرًا عندما فَاتَا
واعلم بأن له حقاً عليك إذا ... فُتَّ الذي كان قبل المَقْتِ قد مَاتَا

مقت الوقت

قال: إذا عامل صاحب الوقت وقته بما يجب له فأدّى حقه سلم من المقت فيه، فإذا علق همّه في وقته بما خرج عن وقته فهو في وقته صاحب مقت لشغله بالمعدوم عن الموجود، والأدب لا يكون إلاّ مع الحاضر، حتى أن الغائب إذا تؤدّب معه لا يتأدب معه من حيث هو غائب، وإنما يتأدب مع اسمه إذا ذكر، وإذا ذكر الغائب فقد حضر اسمه في لفظ الذكر له فما وقع الأدب إلاّ مع حاضر، فإن المذكور جليس الذاكر إياه بالذكر، فلا تشغل نفسك بما خرج عن وقتك فتكون ممن مقته الوقت، ومن مقته الوقت فذلك مقت الله فاحذر. ومن ذلك: [السريع]

ما فَرْحَةٌ تَعْقُبُهَا تَرْحَةٌ ... يَفْرَحُ من يَعْقِلُها هكذا
بها فإن الله أخبرنا ... صِدْقاً بما يَعْقُبُها مِنْ أذى

الفرح ترح

قال: إذا علم من فرح خاص من شأن النفوس أن تفرح به إن الله لا يحب الفرح بذلك الفرح، وذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] فعلمنا أنه فرح بأمر معين فعاد فرحه بذلك ترحاً فحزن لفرحه على قدر فرحه، فإن كان عظيماً عظم حزنه، إن كان دون

ذلك كان الحزن والترح بحسبه. ثم إن الله أمر عباده أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بما يجمعه من المال فإنه يتركه بالموت في الدنيا ولا يقدمه فأمرك بالفرح بالفضل والفضل ما زاد على ذلك، لكنه أيضاً من خلق الفضل فأعطى الفضل خلقه ولم يكن له ظهور إلاّ فيك، فاحمد الله حيث جعلك محلاً لفضله ورحمته، فافرح لأمره إياك بالفرح تجني ثمرة أداء الواجب في الفرح. ومن ذلك: [السريع]

يُمْرِضُني الحَقُّ إذا أعْرَضَا ... يا ليت من أمْرَضَني مَرِضَا[1]
وليتَهُ يأتي إليَّ بما ... يُعْقِبُني إتيانُه من رِضَى

أشد الأمراض الإعراض

قال: ما يصحّ الإعراض على الإطلاق فإنه ما ثم إلى أين، وإنما يصحّ الإعراض المقيد ومنه المذموم وهو أشد مرض يقوم بالقلوب. وقال: الإعراض عن الآيات التي نصبها الحق دلائل عليه دليل على عدم الإنصاف واتباع الهوى المردى، وهو علة لا يبرأ منها صاحبها بعد استحكامها حتى يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب فعند ذلك يريد استعمال الدواء فلا ينفع كالتوبة عند طلوع الشمس من مغربها، لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، والإيمان عند حلول البأس وعند الاحتضار والتيقن بالمفارقة. وقال: الإعراض عن الله لا يتصوّر، وكذلك الإعراض عن الخلق مطلقاً لا يتصور فما هو الفارق؟ ومن ذلك: [الطويل]

إذا قَامَتِ الأغراضُ بالنَّفْسِ إنه ... لَتَعْقُبُها الأمراضُ إن كان ذا نَفَسِ
وكلّ كريم لم يَنَلْهَا فإنَّه ... تَحُلُّ به الآلام من حَضْرةِ القُدُسِ
وإن لها في عالم الخَلْقِ صَدْمَةً ... إذا هي حَلَّتْ في الملول وفي العَسَسِ

من محمود الأغراض الإعراض. قال: أعرض عن من تولى عن ذكر الله وهو قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] لأن المتولي عن ذكر الله معرض فأظهر له صفته في إعراضك عنه لعله يتنبه فإنه يأنف من إعراضك عنه لما هو عليه في نفسه من العزّة، فإن إعراضك عنه إذلال في حقه وعدم مبالاة به، وما خالفك إلاّ لتقاومه لا لتعرض عنه، فإن المعرض بالتولي إذا تبعته زاده اتباعك نفوراً وعدم التفات، فإذا أعرضت عنه وليته ظهرك كما ولاّك ظهره لم يحسّ بأقدام خلفه تهدّى في مشيته وأخذ نفسه وارتأى مع نفسه فيما أعرض عنه وإلتفت وما رآك خلفه فصار يحقق النظر فيك وأنت ذو نور فلا بدّ أن يلوح له من نورك ما يؤدّيه ويدعوه إلى التثبت في أمرك وفيما جئت به فلعله أن يكون من المهتدين، فهذا الإعراض صنعة في الدعاء إلى الله. ومن ذلك: [الطويل]

ألا إنّ ذِكرَ الذِّكر أمْنٌ مِنَ المَكْرِ ... إذا كان ذاك الذكرُ منِّي على ذِكْرِ

---

(١) في البيتين زحافات وعلل لا تجوز (فعلن بدل فاعلن).

فَقُلْ لِلَّذي قال الدليلُ بِفَضْلِهِ ... ألا إن ذِكْرَ الذِّكْرِ أمْنٌ من المَكْرِ

ذكر الذكر أمن من المكر. قال: ذكر الذكر مثل حمد الحمد، وحمد الحمد أصدق المحامد بلا شك وأوفاها، كذلك ذكر الذكر أنفع الأذكار وأصدقه شهادة للذاكر، فإن الذكر إذا ذكرك فإنه لا يذكرك إلاّ من مقامه، ومقامه عزيز وأنت في تلك الحالة ذكره فيكون كما هو الحق إذا سميناه ملك الملك، فهذا وراثتك من هذا الاسم الإلهيّ. وقال: إذا تجسدت الصفات وظهرت لها أعيان في الصور كان الذكر أجملها صورة وأعلاها مرتبة فإنه لا شيء أعلى من الذكر، وسبب ذلك أنه ما بأيدينا من الحق إلاّ الذكر ولذلك قال: «**أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي**» فقد صيّر ذاته ذكره. ومن ذلك: [الطويل]

ألا إنّ نَعْتَ الحَقِّ يَظْهَرُ في الخَلْقِ ... وقد حُزْتُ فيما قُلْتُهُ قَصَبَ السَّبْقِ

إذا كانَ حَالَ العَبْدِ هذا فإنّه ... يَجُودُ بما يَفْنَى عَلَيَّ ولا يُبْقي

ما تعدى من إذا شهد صفة الحق تصدّى. قال: العارف من ينظر المحال من حيث ظهورها بصفات الحق فيعظم الصفة حيث ما ظهرت إلاّ إن تخيل المحل أن التعظيم له، فيجب على العالم إذا كان حكيماً أن لا يظهر تعظيم الصفة لما يطرأ على المحل من الأمر الذي يؤدّي إلى هلاكه، فإن فعل ذلك وجب عليه العتب إن لم يحق عليه العذاب، فالإنسان إما أن يلحق المحل بالصفة أو يلحق الصفة بالمحل، فإن ألحق المحل بالصفة عظم المحل بوجه في وقت ومقته بمقت الله في وقت، كالمتكبرين والجبارين الذين ذمّهم الله، وإن ألحق الصفة بالمحل لم يقدر قدرها ولم ينزلها منزلتها فكان من الجاهلين. فإذا كان مشهوده الصفة فلا يبالي ألحق المحل بها أو ألحقها بالمحل فإن التعظيم منه لها مصاحب، وينظر في المحل بحسب الوقت، وحكم الشرع فيه والموطن كأبي دجانة وأمثاله. ومن ذلك: [البسيط]

إن الأدِلَّةَ أسْتَارٌ وقد سُدِلَتْ ... من غيرة الحَقّ إسبالاً على الحُرَمِ

فمن يَطُوفُ بها تُغْنِيهِ حالتُه ... عن الطَّوافِ ببيت الله في الحَرَمِ

من وقف مع الدليل حرم المدلول. قال: من وقف عند شيء كان له، فقف مع الحق تكن للحق بلا خلق، وإياك أن تقف مع الحق من كونه دليلاً على نفسه، فإنك إن وقفت معه على هذا الحد حرمته لأن الدليل والمدلول لا يجتمعان أبداً، فإن الناظر في الشيء في كونه كذا إنما هو ناظر إلى الحكم لا إلى الشيء من حيث عينه، فيحرم عين ذلك الشيء، ولا تنظر إليه من حيث ما هو مشهود لك فتراه من حيث حكم أنه مشهود فما تراه ولا من حيث أنت تشهده بك أو به، كل ذلك حجاب على عين شهودك إياه في عين شهودك، فقف مع الحق لعينه خاصة فإنك تحوز بذلك أعلى رتبة في العلم به. ومن ذلك من علم أن عمله يرى لم يعبد الورى: [البسيط]

أَخْلِصْ لِرَبِّكَ ما تُبْدِيهِ من عَمَلِ ... وكُنْ على وَجَلٍ من ذلك العَمَلِ

واعْلَمْ بأنك مسؤولٌ ومُرْتَهَنٌ ... بما أتَيْتَ به واحْذَرْ من الخَجَلِ

قال: لا بدّ أن يوقفك الحق ويشخص لك أعمالك كلها وهو قد أمرك بالعمل فيرى هل

عملت بما أمرك به من الأعمال وقد أمرتك نفسك بعمل وأمرك الخلق بعمل فتأتي ولك ثلاثة أنواع من العمل ترفع إليك خزائنها، فما كان لله فهو لله مخلص فيزول إضافته إليك، وكذلك ما كان للناس، ولا يبقى لك إلاّ ما كان لك فيقال لك: هل خلعت على هذه الأعمال كلها حكم الحق عليها فجريت فيها بحكم الحق حتى تكون مؤمناً أو كنت في وقت عملك تشهد أنك آلة يعمل بها خالقك كل عمل ظهر منك أو ما تعدّيت بالعمل غير ذات العمل لما أمرك به من أمرك كان من كان، فأنت عند ذلك بحسب ما يكون الأمر في نفسه والرسول حاضر معك وكل من أمرك حاضر عند ذلك، فإنه في وقت أمره إياك بالعمل قد تعبدك وأنت لمن تعبدك في كل عمل، فتكون في الزمن الواحد في أحوال مختلفة فتكون الرائي المحجوب المعذب المنعم كما يجمع الحق بين الأضداد. ومن ذلك عمل بعلمه من استغفر في ظلمه: [البسيط]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ من ظُلْمي ومن زَلَلِي ... فإنني منهما والله في خَجَلِ
إني عجلتُ إلى رَبِّي لأَرْضِيَهُ ... من قوله خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلِ

قال: الظالم ظالمان ظالم لنفسه وظالم نفسه، فالظالم نفسه طلب منه الاستغفار مع أنه يغفر له وإن لم يستغفر، وإنما أمره الحق بالاستغفار ليقيمه إذا جنى ثمرة ذلك في مقام الإذلال لما له في ذلك من الكسب، فإن الذي يأخذ من جهة الهبة قصير اليد، والذي يأخذ من كسبه طويل اليد فإنه طالب حق ومستحقه، فالرجل من أخذ من كسبه في حال ذلة، ويده قصيرة ما دام في الحياة الدنيا فإنه لا ينفذ في ظلمة الكسب إلى الوهب إلاّ بنور ساطع قوي من المعرفة الصحيحة التي لا علة فيها ولا تأثير للأكوان، وإن غولط فيتغالط إذا كان أديباً لأنه لا يغالط إلاّ والمواطن يعطيه فيجري مع الحق فيما أجراه فيه والحق يعلم ما هو فيه. ومن ذلك ما أحاط من شاهد البساط: [الخفيف]

كلّ من يُشَاهِدُ البِسَاطَ تَرَاهُ ... ذا ضَلالٍ وحَيْرَةٍ في البِسَاطِ
فإذا ما سألْتَهُ قال صدقاً ... إنما كان ذلكم في انْبِسَاطي

قال: أهل البساط لا يتعدى طرفهم من هم في بساطه، غير أن البسط كثرة بساط عمل وبساط علم وبساط تجلٍّ وبساط مراقبة، فإن كنت في العمل فما، وإن كنت في العلم فيمن، وإن كنت في التجلي فمن، وإن كنت في المراقبة فلمن، وهكذا في كل بساط يكون، فيقال لك في العمل ما قصدت، وفي العلم من هو معلومك، وفي التجلي من تراه، وفي المراقبة لمن راقبت، فأنت بحسب جوابك عن هذه الأسئلة، فأنت محصور بالخطاب محصور بالجواب، فما تشاهد سوى الحال الخاص بك ما دمت في البساط، فإن أجبت بما يقتضيه الحال كنت حكيماً حكماً، وإن أجبت بالحق لا بك فكنت على قدر اعتقادك في الحق ما هو، وإن أجبت بنفسك أجبت إجابة عبد والمراتب متفاضلة. ومن ذلك علم الاختصاص بالختم الخاص: [البسيط]

إنّي من أصلِ أجْوادٍ خَضَارِمَةٍ ... من البَهَالِيلِ أهْلِ الجُودِ والرِّفْدِ
ما منهمُ أحَدٌ يسعى لمَفْسَدَةٍ ... ولا يَرَى جُودَهُ يجري إلى أَمَدِ

قال: الختم الخاص هو المحمدي ختم الله به ولاية الأولياء المحمديين أي الذين ورثوا محمداً ﷺ، وعلامته في نفسه أن يعلم قدر ما ورث كل ولي محمدي من محمد ﷺ فيكون هو الجامع علم كل ولي محمدي لله تعالىٰ، وإذا لم يعلم هذا فليس بختم، ألا ترى إلى النبي ﷺ لما ختم به النبيين أوتي جوامع الكلم واندرجت الشرائع كلها في شرعه اندراج أنوار الكواكب في نور الشمس، فيعلم قطعاً أن الكواكب قد ألقت شعاعاتها على الأرض وتمنع الشمس أن تميز ذلك فتجعل النور للشمس خاصة. ومن ذلك المدى الشاسع مانع: [مجزوء الوافر]

إذا بَـلَـغَ الـمـدىٰ الـشَّـاسِـعْ رجَـالٌ مـا لـهـم مَـانِـعْ
تـراهـم فـي مـحـاربـهـم عـبـيـداً حـالـه جَـامِـعْ
لـمـا يَـلْـقَـاهُ مـن أَلـم الـبُـعْـدُ عَـنْـهُـمُ قَـاطِـعْ

قال: لما خلق الله الإنسان عجولاً وخلق فيه الطلب ولم يحصل له مطلوبه في أوّل قدم بعد عليه المدى لعجلته فيقف مع طول المدى فيمتنع من حصول الفائدة، فإن الله لا ينال بالطلب، فالعارف يطلب سعادته ما يطلب الله، فإن الحاصل لا يبتغى فإن الله يجل أن يطلب بمسافات الأقدام وبمشاقات الأعمال وبالأفكار، فكما أنه لا يتحيز كذلك لا يتميز، فهو معلوم لنا أنه في كل شيء عين كل شيء، ومجهول التمييز لما نشهده من اختلاف الصور، فما تقول في صورة هو هذا إلاّ وتحجبك عنها صورة هو عينها تقول فيها هو هذا، وتغيب عنك هويته بمغيب الصورة الذاهبة، فلا تدري على ما تعتمد كالمتحير بالنظر الفكري لا يدري ما يعتقد سواء كلما لاح دليل له لاحت له شبهة فيه، فلا يسلم له دليل من شبهة أبداً لأنه أعظم دليل ونحن شبهته. ومن ذلك منازلة الإمام في الأنام: [الوافر]

مُـنـازَلَـةُ الإمـامِ مـع الأنَـامِ مُـؤَدِّيَـةٌ إلـى قَـتْـلِ الـغُـلام
فـقـل لـلـمُـنْـكِـرِينَ صَحِيحَ قَوْلي لـقـد أغْـفَـلْـتُـمُ طَـرْحَ الـلِّـثَـام

قال: المالك مملوك بلا شك فإن ملكه يملكه بما يحتاج إليه، فإن الملك فقير إلى أشياء لا بدّ منها لا تحصل له إلاّ من مالكه فيقيد به مالكه فيكون مملوكاً له إن أراد أن يكون ملكاً، وإلاّ فهو معزول تعزله المرتبة، لا يمكن أن يكون أحد من المالكين أعظم من الحق وهو ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ [الرحمٰن: ٣١] وما ثم إلا سماء وأرض، فالسماء تمور والأرض تذهب وذلك لما هو مالك، ولو لم يحفظنا ما حفظ ملكه عليه وزال عنه حكم اسم الملك. ومن ذلك الفرق بين المسيح والمسيح: [الكامل]

عَـجَـباً لـعيسىٰ كيف ماتَ وطالما قـد كـان يَـنْـشُـرُنـا مـن الأجْـدَاثِ
مـا ذاك إلاّ كَـوْنُـهُ مُـتَـبَـرِّيـاً مـمّـا رَمَـتْـهُ بـه يَـدُ الأحْـداثِ

قال: عيسىٰ عليه السلام هو المسيح، وكل من مسح أرضه بالمشي فيها والسياحة في نواحيها ليرى آثار ربه فما يراه منها وهو قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٩] بأقدامهم وأفكارهم والأرض أيضاً نظرهم في عبوديتهم فإنها تقبل المساحة بما فيها من التفصيل، غير

أنه في كل فصل منها وصل حق فاللّه في كل فصل عين، والمسيح أيضاً من مسحت عينه التي يرى بها نفسه وبقي عليه عينه الذي يرى بها ربه، فإذا لم ير إلاّ الله يقول أنا الله ويصدق فإن عينه التي يرى بها نفسه ذهبت وهو بالنشأة دجال تكذبه النشأة فهو الدجال الصادق، فجمع بين الصدق والكذب، فصدق من حيث ما شاهد، وكذب من حيث ما فاته، فلو علم أن عينه ممسوحة لعلم ما فاته، وادّعى الحق بالحق ولكن جرى الأمر هكذا، فعيسىٰ أحيى الموتى الذين ماله تعمل في موتهم فهو أتم لأنه لا يُحيي إلاّ من أمات، فعلم من أين تؤكل الكتف، والدجال أحيى الميت الذي قتله خاصة. ومن ذلك سما من علم أسماء الأسماء: [الطويل]

إذا كانت الأسماءُ مِنَّا تَدُلُّنا ... على ما به سمّى الإلٰهُ وُجُودَهُ
فما عندنا غَيْرُ الأسامي مُحَقَّقٌ ... فنحن وإن كُنَّا بوَجْهِ عَبِيدَهُ
حقيقة من سَمَّى بنا نَفْسَهُ لنا ... فمن يَدْرِ ما قُلْناه حاز شُهُودَهُ
وَفَيْنَا له بالعَهْد لما تَحقَّقَتْ ... نُفُوسٌ لنا ترعى لدينا عُهُودَهُ
وقعتُ على ما كنت منه أخافُهُ ... وقد كنت قبل اليوم أخْشَى شُرُودَهُ
فما يُبْدي(١) منه سوى الخَيْبَةِ التي ... ملأت بها كفّي فحَقَّقَ جُودَهُ
فما مثله شيء فنَزِّهْ كَوْنَهُ ... عن المِثْلِ فاحْفَظْ وَعْدَهُ ووَعِيدَهُ

ومن ذلك علم الأسرار والأنوار: [الكامل]

مَنْ شاءَ يَلْقَى الرُّوحَ في الأنْوارِ ... فَلْيَتَّخِذْ مَرْقًى إلى الأسْرَارِ
ولْيَتَّكِلْ فيه على مَعْلُومِهِ ... فحجابُهُ القَيُّومُ بالأبْصارِ

قال: الأنوار شهادة والحق نور ولهذا يشهد ويرى، والأسرار غيب فلها الهو فلا يظهر الهو أبداً، فالحق من حيث الهو لا يشهد وهويته حقيقته، ومن حيث تجليه في الصور يشهد ويرى ولا يرى إلاّ في رتبة الرائي، وهو ما يعطيه استعداده، واستعداده على نوعين: استعداد ذاتي وبه تكون الرؤية العامة، واستعداد عارض وهو ما اكتسبه من العلم بالله وتحلّت به نفسه من نظره العقلي، فيكون التجلي تابعاً لهذا الاستعداد الخاص فيه يقع التفاضل. ومن ذلك دين الأنبياء واحد ما ثم أمر زائد، وإن اختلفت الشرائع فثم أمر جامع: [الكامل]

الدِّينُ عند الأنبياء وَحِيدُ ... ومَقَامُهُ بين الأنَام شَدِيدُ
فإذا الرجالُ تَفَطَّنُوا لرَحِيلِهِ ... عنهم وقامَ لهم بذاكَ شَهِيدُ
جاؤوا إليه مُهْطِعِينَ لَعَلَّهُ ... يوماً بقصدهم إليه يَعُودُ

قال: هو إقامة الدين وأن لا يتفرق فيه، ما خلق الله حلالاً أبغض إليه من الطلاق وهو بيد من أخذ بالساق، فلماذا يقصد إلى البغيض مع هذا التعريض؟ نكاح عقد وعرس شهد، وابتنا ببكر صهيا في لجة عميا، نفوس زوّجت بأبدانها ولم يكن ناكحها غير أعيانها، ثم أنه مع التكدر والانتقاص لات حين مناص، ثم مع هذا يدعو ويجاب إن هذا لشيء عجاب،

---

(١) البيت مختل الوزن.

وأعجب من ذلك جبال سيرت فكانت سراباً وسماء فتحت، فكانت أبواباً ذات حبك وبروج وأرواح لها فيها نزول وعروج، وما لها من فروج فأين الولوج وأين الخروج؟ وأين النزول وأين العروج؟ هذا موضع الاعتبار فاعتبروا يا أولي الأبصار، والله إن أمراً نحن فيه لمريج وإن زوجاً زوّجنا به لبهيج، سقف مرفوع، ومهاد موضوع، ووتد مفروق ووتد مجموع، ظلمة ونور وبيت معمور، وبحر مسجور ومياه تغور، ومراجل تفور، فار التنور واتضحت الأمور، نجوم مشرقة ورجوم محرقة، شهب ثواقب وشهب ذات ذوائب، كلما نجمت ذهبت، يا ليت شعري ما الذي أنارها؟ وما الذي أوجب شرارها؟ وأخواتها ثوابت لا تزول في طلوع وأفول، ليل عسعس فظهرت كواكبه وصباح تنفس فضحه راكبه، جوار خنس في مجاريها وظبا كنس لتحفظ ما فيها، ليل ونهار، إنجاد وأغوار، إبدار وسرار يا أهل الأفكار، أقسم نجيكم قسماً لا لغو فيه ولا ثنيا أن الذي جاء بهذا كله لصادق يؤمن به لا بل يعلمه الظالم لنفسه، والمقتصد والسابق شخص من الجنس أيّد بروح القدس، قيل له: بلغ فبلغ، وذكر فأبلغ، وقذف بالجو على الباطل فدمغ، فزهق الباطل وتحلّى العاطل، نشأة الآخرة ردّه في الحافرة، كيف يكون التجسد مع التقيد؟ إن كان في نفس الأمر انقلاب العين فقد جهل الكون، وإن كان في النظر فهو من مغالط البصر، فإذا انبهم الأمر وأشكل فما لك إلاَّ أن تتوكل، فأسلم وجهك إلى الله وأنت محسن تكن ممّن استمسك بالعروة الوثقى، فإنه خير لك وأبقى، وكن مع الرعيل الذي خوطب بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣] تكن السعيد الذي لا يشقى، فإن نزلت عن هذه الدرجة فانزل إلى الآخرة خير وأبقى، فإنهم وإن كانوا سعداء فإنه لا يستوي المؤمنون الميتون على فرشهم والشهداء، فلكل علم رجال ولكل مقام حال، ولكل بيت أهل ومع كل صعب سهل، وهذا القدر كاف في هذا الباب لمن علم فطاب، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب.

انتهى الباب بانتهاء المجلدة الخامسة والثلاثين من هذا الكتاب.

والحمد لله وصلّى الله على محمد رسوله بخط يد منشىء هذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الموفي ستين وخمسمائة
في وصية حكمية ينتفع بها المريد السالك والواصل ومن وقف عليها إن شاء الله تعالىٰ

[نظم : البسيط]

وَصَى الإلٰهُ وأوْصَتْ رُسْلُهُ فَلِذَا ... كان التَّأَسِّي بهم من أفْضَلِ العَمَلِ
لولا الوَصِيَّةُ كان الخَلْقُ في عَمَهٍ ... وبالوصيةِ دَارَ المُلْكُ في الدُّوَلِ
فاعملْ عليها ولا تُهمِلْ طريقتَها ... إن الوصيَّةَ حُكْمُ الله في الأزَلِ
ذكرتُ قَوْماً بما أوْصَى الإلٰهُ به ... وليس إحداثُ أمْرٍ في الوصية لي
فلم يكن غير ما قالوه أو شَرَعُوا ... من السُّلوكِ بهم في أقْوَمِ السُّبُلِ
فهَدْيُ أحْمَدَ عَيْنُ الدِّين أجْمَعه ... ومِلَّةُ المصطفى من أنْوَرِ المِلَلِ
لم تَطْمِسِ العَيْنَ بل أعطته قُوَّتَها ... حتى يُقِيمَ الذي فيه من المَيَلِ
وخُذْ بسِرِّكَ عنه من مراكزه ... عُلْواً إلى القمر العالي إلى زُحَلِ
إلى الثوابت لا تَنْزِلْ بساحتها ... وانهَضْ إلى الدَّرَج العالي من الحَمَلِ
ومنه للقَدَم الكُرْسِيِّ ثم إلى ... العَرْش المحيط إلى الأشكال والمُثُلِ
إلى الطبيعة للنفس النزيهة للـ ... ـعَقْلِ المُقَيَّدِ بالأعراض والعِلَلِ
إلى العَمَاءِ الذي ما فوقه نَفَسٌ ... منه إلى المنزل المنعوت بالأزلِ
وانظر إلى الجَبَلِ الراسي على الجَبَلِ ... وقد رآه فلم يَبْرَحْ ولم يَزَلِ
لولا العُلُوُّ الذي في السُّفْلِ ما سَفَلَتْ ... وجوهُنا تطلبُ المَرْأى بالمُقَلِ
لذلكم شَرَعَ الله السُّجُودَ لنا ... فنَشْهَدُ الحَقَّ في عُلْوٍ وفي سَفَلِ
هذي وصيَّتُنا إن كنت ذا نَظَرٍ ... فإنها حيلةٌ من أحسن الحِيَلِ
ترى بها كل معلوم بصورته ... على حَقِيقَةِ ما هو لا على البَدَلِ
حتى ترى المَنْظَرَ الأعلى وليس له ... سواك مَجْلًى فلا تَبْرَحْ ولا تَزُلِ
فإن دعاكَ إلى عَيْنِ مَشْرَبِها ... فلا تُجِبْهُ وكُنْ منه على وَجَلِ
إنا أناثٌ لما فينا يُوَلِّدُهُ ... فلْنَحْمَدِ الله ما في الكون من رَجُلِ
إن الرجالَ الذين العُرْفُ عَيَّنَهُمْ ... هم الإناثُ وهم نفسي وهم أمَلِي

فمن ذلك وصية قال الله تعالىٰ في الوصية العامة : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣] فأمر الحق بإقامة الدين وهو شرع الوقت في كل زمان وملة، وأن يجتمع عليه ولا يتفرق فيه، فإن يد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب القاصية وهي البعيدة التي شردت وانفردت عمّا هي الجماعة عليه، وحكمة ذلك أن الله لا يعقل إلهاً إلاّ من حيث أسمائه الحسنى لا من

حيث هو معرّى عن هذه الأسماء الحسنى، فلا بدّ من توحيد عينه وكثرة أسمائه وبالمجموع هو الإله فيد الله وهي القوّة مع الجماعة. أوصى حكيم أولاده عند موته وكانوا جماعة فقال لهم: ائتوني بعصيّ فجمعها وقال لهم: اكسروها وهي مجموعة فلم يقدروا على ذلك ثم فرقها فقال لهم: خذوا واحدة واحدة فاكسروها فكسروها فقال لهم: هكذا أنتم بعدي لن تغلبوا ما اجتمعتم، فإذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم فأبادكم، وكذلك القائمون بالدين إذا اجتمعوا على إقامة الدين ولم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدوّ، وكذلك الإنسان في نفسه إذا اجتمع في نفسه على إقامة دين الله لم يغلبه شيطان من الإنس ولا من الجن بما يوسوس به إليه مع مساعدة الإيمان والملك بلمته له.

وصية: إذا عصيت الله تعالىٰ بموضع فلا تبرح من ذلك الموضع حتى تعمل فيه طاعة وتقيم فيه عبادة فكما يشهد عليك إن استشهد يشهد لك، وحينئذ تنتزح عنه، وكذلك ثوبك إن عصيت الله فيه فكن كما ذكرته لك اعبد الله فيه، وكذلك ما يفارقك منك من قص شارب وحلق عانة وقص أظفار وتسريح شعر وتنقية وسخ لا يفارقك شيء من ذلك من بدنك إلاَّ وأنت على طهارة وذكر الله عزّ وجلّ فإنه يسأل عنك كيف تركك، وأقل عبادة تقدر عليها عند هذا كله أن تدعو الله في أن يتوب عليك عن أمره تعالىٰ حتى تكون مؤدياً واجباً في امتثالك أمر الله وهو قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ فأمرك أن تدعوه، ثم قال في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يعني هنا بالعبادة الدعاء أي من يستكبر عن الذلة إليّ والمسكنة، فإن الدعاء سمّاه عبادة والعبادة ذلّة وخضوع ومسكنة ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] أي أذلاء، فإذا فعلوا ما أمروا به جازاهم الله بدخول الجنة أعزاء.

ولقد دخلت يوماً الحمام لغسل طرأ عليّ سحراً فلقيت فيه نجم الدين أبا المعالي ابن اللهيب وكان صاحبي فاستدعى بالحلاق يحلق رأسه فصحت به: يا أبا المعالي فقال لي من فوره قبل أن أتكلم: إني على طهارة قد فهمت عنك فتعجبت من حضوره وسرعة فهمه ومراعاته الموطن وقرائن الأحوال وما يعرفه مني في ذلك، فقلت له: بارك الله فيك والله ما صحت بك إلاَّ لتكون على طهارة وذكر عند مفارقة شعرك، فدعا لي ثم حلق رأسه، ومثل هذا قد أغفله الناس، بل يقولون: إذا عصيت الله في موضع فتحول عنه لأنهم يخافون عليك أن تذكرك البقعة بالمعصية فتستحليها فتزيد ذنباً إلى ذنب، فما ذكروا ذلك إلاَّ شفقة، ولكن فاتهم علم كبير فأطع الله فيه وحينئذ تتحول عنه فتجمع بين ما قالوه وبين ما وصيتك به، وكلما ذكرت خطيئة أتيتها فتب عنها عقيب ذكرك إياها واستغفر الله منها واذكر الله عندها بحسب ما كانت تلك المعصية، فإن رسول الله ﷺ يقول: «**أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا**» وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤] ولكن يكون لك ميزان في ذلك تعرف به مناسبات السيئات والحسنات التي تزنها وصية حسن الظن بربك على كل حال ولا تسيء الظن به، فإنك لا تدري هل أنت على آخر أنفاسك في كل نفس يخرج منك فتموت فتلقى الله على حسن ظن به لا على سوء ظن، فإنك لا تدري لعل الله يقبضك في ذلك النفس الخارج إليه،

ودع عنك ما قال من قال بسوء الظن في حياتك، وحسن الظن بالله عند موتك، وهذا عند العلماء بالله مجهول فإنهم مع الله بأنفاسهم.

وفيه من الفائدة والعلم بالله أنك وفيت في ذلك الحق حقه، فإن من حق الله عليك الإيمان بقوله: ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١] فلعل الله ينشئك في النفس الذي تظن أنه يأتيك نشأة الموت والانقلاب إليه وأنت على سوء ظن بربك فتلقاه على ذلك، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه أنه عزّ وجلّ يقول: «**أنا عِندَ ظَنِّ عَبْدِي بي فَلْيَظُنَّ بي خَيْراً**» وما خصّ وقتاً من وقت، واجعل ظنك بالله علماً بأنه يعفو ويغفر ويتجاوز، وليكن داعيك الإلهي إلى هذا الظن قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣] فنهاك وما نهاك عنه يجب عليك الانتهاء عنه، ثم أخبر وخبره صدق لا يدخله نسخ فإنه لو دخله نسخ لكان كذباً والكذب على الله محال فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] وما خصّ ذنباً من ذنب وأكّدها بقوله: ﴿جَمِيعًاۚ﴾ ثم تمّم فقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ فجاء بالضمير الذي يعود عليه ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] من كونه سبقت رحمته غضبه. وكذلك قال: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ﴾ [الزمر: ٥٣] ولم يعين إسرافاً من إسراف، وجاء بالاسم الناقص الذي يعمّ كل مسرف ثم إضافة العباد إليه لأنهم عباده كما قال الحق عن العبد الصالح عيسىٰ عليه السلام أنه قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ﴾ [المائدة: ١١٨] فأضافهم إليه تعالىٰ، وكفى شرفاً شرف الإضافة إلى الله تعالىٰ.

وصية: عليكم بذكر الله في السرّ والعلن وفي أنفسكم وفي الملأ، فإن الله يقول: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] فجعل جواب الذكر من العبد الذكر من الله، وأي ضراء على العبد أضرّ من الذنب؟ وكان يقول ﷺ في حال الضراء: «**الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**» وفي حال السراء: «**الحَمْدُ لِلَّهِ المُنْعِمِ المُفْضِلِ**» فإنك إذا أشعرت قلبك ذكر الله دائماً في كل حال لا بدّ أن يستنير قلبك بنور الذكر فيرزقك ذلك النور الكشف فإنه بالنور يقع الكشف للأشياء، وإذا جاء الكشف جاء الحياء يصحبه، دليلك على ذلك استحياؤك من جارك وممّن ترى له حقاً وقدراً، ولا شك أن الإيمان يعطيك تعظيم الحق عندك، وكلامنا إنما هو مع المؤمنين، ووصيتنا إنما هي لكل مسلم مؤمن بالله وبما جاء من عنده والله يقول في الخبر المأثور الصحيح عنه الحديث وفيه: «**وأنا معه**» يعني مع العبد حين يذكرني: «**إنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأ ذَكَرْتُهُ في مَلأ خَيرٍ مِنْهُمْ**». وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وأكبر الذكر ذكر الله على كل حال.

وصية: ثابر على إتيان جميع القرب جهد الاستطاعة في كل زمان وحال، بما يخاطبك به الحق بلسان ذلك الزمان ولسان ذلك الحال، فإنك إن كنت مؤمناً فلن تخلص لك معصية أبداً من غير أن تخالطها طاعة فإنك مؤمن بها أنها معصية، فإن أضفت إلى هذا التخليط استغفاراً وتوبة فطاعة على طاعة وقربة إلى قربة، فيقوى جزء الطاعة التي خلط به العمل السيىء، والإيمان من أقوى القرب وأعظمها عند الله فإنه الأساس ا الذي انبنى عليه جميع

القرب. ومن الإيمان حكمك على الله بما حكم به على نفسه في الخبر الذي صحّ عنه تعالىٰ الذي ذكر فيه: «**وإنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِراعاً وَإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ باعاً وَإنْ أتَانِي يَمْشي أتَيْتهُ هَرْوَلَةً**» وسبب هذا التضعيف من الله والأقل من العبد والأضعف، فإن العبد لا بدّ له أن يتثبت من أجل النية بالقربة إلى الله في الفعل وأنه مأمور بأن يزن أفعاله بميزان الشرع فلا بدّ من التثبط فيه، وإن أسرع ووصف بالسرعة فإنما سرعته في إقامة الميزان في فعله ذلك لا في نفس الفعل، فإن إقامة الميزان به تصحّ المعاملة وقرب الله لا يحتاج إلى ميزان، فإن ميزان الحق الموضوع الذي بيده هو الميزان الذي وزنت أنت به ذلك الفعل الذي تطلب به القربة إلى الله، فلا بدّ من هذا نعته أن يكون في قربه منك أقوى وأكثر من قربك منه، فوصف نفسه بأنه يقرب منك في قربك منه ضعف ما قربت منه مثلاً بمثل لأنك على الصورة خلقت، وأقل خلافة لك خلافتك على ذاتك، فأنت خليفته في أرض بدنك ورعيتك جوارحك وقواك الظاهرة والباطنة فعين قربه منك قربك منه وزيادة، وهي ما قال من الذراع والباع والهرولة والشبر إلى الشبر ذراع والذراع إلى الذراع باع، والمشي إذا ضاعفته هرولة فهو في الأول الذي هو قربك منه، وهو في الآخر الذي هو قربه منك، فهو الأوّل والآخر وهذا هو القرب المناسب، فإن القرب الإلهيّ من جميع الخلق غير هذا وهو قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فما أريد هنا ذلك القرب، وإنما أريد القرب الذي هو جزاء قرب العبد من الله، وليس للعبد قرب من الله إلاّ بالإيمان بما جاء من عند الله بعد الإيمان بالله وبالمبلغ عن الله.

وصية: ألزم نفسك الحديث بعمل الخير وإن لم تفعل، ومهما حدثت نفسك بشرّ فاعزم على ترك ذلك لله إلاّ أن يغلبك القدر السابق والقضاء اللاحق، فإن الله إذا لم يقض عليك بإتيان ذلك الشيء الذي حدثت به نفسك كتبه لك حسنة، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ عن ربه عزّ وجلّ أنه يقول: «**إذا تَحدَّثَ عَبْدِي بِأنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فأنا أكْتُبُها لَهُ حَسَنَةً ما لَمْ يَعْمَلْها**» وكلمة ما هنا ظرفية، فكل زمان يمر عليه في الحديث بعمل هذه الحسنة وإن لم يعملها فإن الله يكتبها له حسنة واحدة في كل زمان يصحبه الحديث بها فيه بلغت تلك الأزمنة من العدد ما بلغت فله بكل زمان حديث حسنة ولهذا قال: «**ما لَمْ يَعْمَلْها**» ثم قال تعالىٰ: «**فإذا عَمِلَها فَأنَا أكْتُبُها لَهُ بِعَشْرِ أمْثالِها**» ومن هنا فرض العشر فيما سقت السماء إن علمت، فإن كانت من الحسنات المتعدية التي لها بقاء فإن الأجر يتجدد عليها ما بقيت إلى يوم القيامة كالصدقة الجارية مثل الأوقاف والعلم الذي يبثه في الناس والسنة الحسنة وأمثال ذلك. ثم تمّم نعمه على عباده فقال تعالى: «**وإذا تَحدَّثَ بِأنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأنَا أغْفِرُها لَهُ ما لَمْ يَعْمَلْها**» وما هنا ظرفية كما كانت في الحسنة سواء، والحكم كالحكم في الحديث والجزاء بالغاً ما بلغ، ثم قال: «**فإذا عَمِلَها فأنا أكْتُبُها لَهُ بِمِثْلِها**» فجعل العدل في السيئة والفضل في الحسنة وهو قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وهو الفضل وهو ما زاد على المثل، ثم أخبر تعالىٰ عن الملائكة أنها تقول بحكم الأصل عليها الذي نطقها في حق أبينا آدم بقولها: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا

وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] فما ذكرت إلاَّ مساوينا وما تعرضت للحسن من ذلك، فإن الملأ الأعلى تغلب عليه الغيرة على جناب الله أن يهتضم، وعلمت من هذه النشأة العنصرية أنها لا بدّ أن تخالف ربها لما هي عليه من حقيقتها وذلك عندها بالذوق من ذاتها وإنما هي في نشأتنا أظهر. ولولا أن الملائكة في نشأتها على صورة نشأتنا ما ذكر الله عنهم أنهم يختصمون والخصام ما يكون إلاَّ مع الأضداد، وما ذكر الله عن الملائكة في حقنا أنهم يقولون ذاك عبدك يريد أن يعمل حسنة فانظر قوة هذا الأصل ما أحكمه لمن نظر، ومن هنا تعلم فضل الإنسان إذا ذكر خيراً في أحد وسكت عن شرّه أين تكون درجته مع القصد الجميل من الملائكة فيما ذكروه، ولكن نبهتك على ما نبهتك عليه من ذلك لتعرف نشأتهم وما جبلوا عليه فكل يعمل على شاكلته، كما قال تعالىٰ وأخبر أن الملائكة تقول: ذاك عبدك فلان يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنه إنما تركها من جرّائي أي من أجلي، فالملائكة المذكورة هنا هم الذين قال الله لنا فيهم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١] فالمرتبة والتولية أعطتهم أن يتكلموا بما تكلموا به، فلهم كتابة الحسن من غير تعريف بما تقدم الله إليهم به في ذلك، ويتكلمون في السيئة لما يعلمونه من فضل الله وتجاوزه، ولولا ما تكلموا في ذلك ما عرفنا ما هو الأمر فيه عند الله مثل ما يقولونه في مجالس الذكر في الشخص الذي يأتيها إلى حاجته لا لأجل الذكر، فأطلق الله للجميع المغفرة وقال: هم القوم لا يشقى جليسهم فلولا سؤالهم وتعريفهم بهم ما عرفنا حكم الله فيهم، فكلامهم عليهم السلام تعليم ورحمة، وإن كان ظاهره كما يسبق إلى الأفهام القاصرة مع الأصل الذي نبهناك عليه وقد قال الله في الحسنة والسيئة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وأغفر بعد الجزاء لقوم وقبل الجزاء لقوم آخرين، فلا بدّ من المغفرة لكل مسرف على نفسه وإن لم يتب، فمن تحقق بهذه الوصية عرف النسبة بين النشأة الإنسانية والملكية، وأن الأصل واحد، كما أن ربنا واحد وله الأسماء المتقابلة فكان الوجود على صورة الأسماء.

وصية: ثابر على كلمة الإسلام وهي قولك: لا إلٰه إلا الله فإنها أفضل الأذكار بما تحوي عليه من زيادة علم. وقال ﷺ: **«أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ»** فهي كلمة جمعت بين النفي والإثبات والقسمة منحصرة، فلا يعرف ما يحوي عليه هذه الكلمة إلاَّ من عرف وزنها وما تزن، كما ورد في الخبر الذي نذكره في الدلالة عليها، فاعلم أنها كلمة توحيد والتوحيد لا يماثله شيء، إذ لو ماثله شيء ما كان واحداً ولكان اثنين فصاعداً فما ثم ما يزنه فإنه ما يزنه إلاَّ المعادل والمماثل، وما ثم مماثل ولا معادل فذلك هو المانع الذي منع لا إلٰه إلاَّ الله أن تدخل الميزان، فإن العامة من العلماء يرون أن الشرك الذي هو يقابل التوحيد لا يصحّ وجود القول به من العبد مع وجود التوحيد، فالإنسان إما مشرك وإما موحد فلا يزن التوحيد إلاَّ الشرك فلا يجتمعان في ميزان، وعندنا إنما لم يدخل في الميزان لما ورد في الخبر لمن فهمه واعتبره وهو خبر صحيح عن الله يقول الله: **«لَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعَ**

وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالأَرضِينَ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي فِي كَفَّةٍ وَلا إِلَهَ إلاَّ الله فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إلاَّ الله» فما ذكر إلاَّ السموات والأرض لأن الميزان ليس له موضع إلاَّ ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة من السدرة المنتهى التي ينتهي إليها أعمال العباد، ولهذه الأعمال وضع الميزان فلا تتعدى الميزان الموضع الذي لا يتعدّاه الأعمال. ثم قال: وعامرهنّ غيري وما لها عامر إلاَّ الله، فالخبير تكفيه الإشارة وفي لسان العموم من علماء الرسوم يعني بالغير الشريك الذي أثبته المشرك لو كان له اشتراك في الخلق لكانت لا إلٰه إلاَّ الله تميل به في الميزان، لأن لا إلٰه إلاَّ الله الأقوى على كل حال لكون المشرك يرجح جانب الله تعالىٰ على جانب الذي أشرك به فقال فيهم إنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فإذا رفع ميزان الوجود لا ميزان التوحيد دخلت لا إلٰه إلاَّ الله فيه، وقد تدخل في ميزان توحيد العظمة وهو توحيد المشركين فتزنه لا إلٰه إلاَّ الله وتميل به، فإنه إذا لم يكن العامر غير الله فلا تميل وعينه ما ذكره إنما هو الله قال: أين تميل وما ثم إلاَّ واحد في الكفتين، وأما صاحب السجلات فما مالت الكفة إلاَّ بالبطاقة لأنها هي التي حواها الميزان من كون لا إلٰه إلاَّ الله يلفظ بها قائلها فكتبها الملك فهي لا إلٰه إلاَّ الله المكتوبة المخلوقة في النطق، ولو وضعت لكل أحد ما دخل النار من تلفظ بتوحيد، وإنما أراد الله أن يرى فضلها أهل الموقف في صاحب السجلات ولا يراها ولا توضع إلاَّ بعد دخول من شاء الله من الموحدين النار، فإذا لم يبق في الموقف موحد قد قضى الله عليه أن يدخل النار، ثم بعد ذلك يخرج بالشفاعة أو بالعناية الإلهية، عند ذلك يؤتى بصاحب السجلات ولم يبق في الموقف إلاَّ من يدخل الجنة ممّن لا حظ له في النار وهو آخر من يوزن له من الخلق، فإن لا إلٰه إلاَّ الله له البدء والختام، وقد يكون عين بدئها ختامها كصاحب السجلات.

ثم اعلم أن الله ما وضع في العموم إلاَّ أفضل الأشياء وأعمّها منفعة وأثقلها وزناً لأنه يماثل بها أضداداً كثيرة، فلا بدّ أن يكون في ذلك الموضوع في العامة من القوّة ما يقابل به كل ضد، وهذا لا يتفطن له كل عارف من أهل الله إلاَّ الأنبياء الذين شرعوا للناس ما شرعوا، ولا شك أنه قال ﷺ: «**أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أنا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إلٰه إلاَّ الله**» وقد قال ما أشارت إلى فضله من ادّعى الخصوص من الذكر بكلمة الله الله وهو هو، ولا شك أنه من جملة الأقوال التي لا إلٰه إلاَّ الله أفضل منها عند العلماء بالله، فعليك يا ولي بالذكر الثابت في العموم فإنه الذكر الأقوى، وله النور الأضوى، والمكانة الزلفى، ولا يشعر بذلك إلاَّ من لزمه وعمل به حتى أحكمه، فإن الله ما وسع رحمته إلاَّ للشمول وبلوغ المأمول، وما من أحد إلاَّ وهو يطلب النجاة وإن جهل طريقها، فمن نفى بلا إلٰه عينه أثبت بإلا الله كونه فتنفى عينك حكماً لا علماً، وتوجب كون الحق حكماً وعلماً، والإلٰه من له جميع الأسماء وليست إلاَّ لعين واحدة وهي مسمّى الله عامر السموات والأرض الذي بيده ميزان الرفع والخفض، فعليك بلزوم هذا الذكر الذي قرن الله به وبالعلم به السعادة فعم.

وصية: وإياك ومعاداة أهل لا إلٰه إلاَّ الله فإن لها من الله الولاية العامة، فهم أولياء الله

وإن أخطؤوا وجاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله لقيهم الله بمثلها مغفرة، ومن ثبتت ولايته فقد حرمت محاربته، ومن حارب الله فقد ذكر الله جزاءه في الدنيا والآخرة، وكل من لم يطلعك الله على عداوته لله فلا تتخذه عدوّاً وأقل أحوالك إذا جهلته أن تهمل أمره، فإذا تحققت أنه عدوّ لله وليس إلاّ المشرك فتبرأ منه كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام في حق أبيه آزر، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] هذا ميزانك، يقول الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ كما فعل إبراهيم الخليل ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] ومتى لا تعلم ذلك فلا تعاد عباد الله بالإمكان ولا بما ظهر على اللسان، والذي ينبغي لك أن تكره فعله لا عينه والعدو لله إنما تكره عينه، ففرق بين من تكره عينه وهو عدوّ الله وبين من تكره فعله وهو المؤمن أو من تجهل خاتمته ممّن ليس بمسلم في الوقت، واحذر قوله تعالى في الصحيح: «**مَنْ عادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**» فإنه إذا جهل أمره وعاداه فما وفى حق الحق في خلقه فإنه ما يدري علم الله فيه وما بينه الله له حتى يتبرأ منه ويتخذه عدوّاً، وإذا علم حاله الظاهر وإن كان عدوّاً لله في نفس الأمر وأنت لا تعلم فواله لإقامة حق الله ولا تعاده، فإن الاسم الإلهيّ الظاهر يخاصمك عند الله فلا تجعل لله عليك حجة فتهلك ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] فعامل عباد الله بالشفقة والرحمة، كما أن الله يرزقهم على كفرهم وشركهم مع علمه بهم، وما رزقهم إلاّ لعلمه بأن الذي هم فيه ما هم فيه بهم بل وهم فيه بهم لما قدر ذكرناه بلسان العموم، فإن الله خالق كل شيء وكفرهم وشركهم مخلوق فيهم وبلسان الخصوص، ما ظهر حكم في موجود إلاّ بما هو عليه في حال العدم في ثبوته الذي علمه الله منه ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ على كل أحد مهما وقع نزاع ومحاجة فيسلم الأمر إليه. واعلم أنك على ما كنت عليه وعمّ برحمتك وشفقتك جميع الحيوان والمخلوقين، ولا تقل هذا نبات وجماد ما عندهم خبر، نعم عندهم أخبار أنت ما عندك خبر فاترك الوجود على ما هو عليه وارحمه برحمة موجده في وجوده، ولا تنظر فيه من حيث ما يقام فيه في الوقت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣] فيتعين عليك عند ذلك أن تتخذهم أعداء لأمر الله لك بذلك حيث نهاك أن تتخذ عدوّه ولياً تلقي إليه بالمودّة، فإن اضطرك ضعف يقين إلى مداراتهم فدارهم من غير أن تلقي إليهم بمودة ولكن مسالمة لدفع الشرّ عنك، ففوّض الأمر إليه واعتمد في كل حال عليه إلى أن تلقاه.

وصية: وعليك بملازمة ما افترضه الله عليك على الوجه الذي أمرك أن تقوم فيه، فإذا أكملت نشأة فرائضك وإكمالها فرض عليك حينئذ تتفرّغ ما بين الفرضين لنوافل الخيرات كانت ما كانت، ولا تحقر شيئاً من عملك فإن الله ما احتقره حين خلقه وأوجده، فإن الله ما كلفك بأمر إلاّ وله بذلك الأمر اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك في الرتبة أعظم عنده فإنك محل لوجود ما كلفك به، إذ كان التكليف لا يتعلق إلاّ بأفعال المكلفين، فيتعلق بالمكلف من حيث فعله لا من حيث عينه. واعلم أنك إذا ثابرت على أداء الفرائض فإنك

تقرّبت إلى الله بأحب الأمور المقرّبة إليه، وإذا كنت صاحب هذه الصفة كنت سمع الحق وبصره، فلا يسمع إلاّ بك ولا يبصر إلاّ بك فيد الحق يدك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وأيديهم من حيث ما هي يد الله هي فوق أيديهم من حيث ما هي أيديهم فإنها المبايعة اسم فاعل والفاعل هو الله فأيديهم يد الله فبأيديهم بايع تعالىٰ وهم المبايعون، والأسباب كلها يد الحق التي لها الاقتدار على إيجاد المسببات، وهذه هي المحبة العظمى التي ما ورد فيها نص جلي كما ورد في النوافل، فإن للمثابرة على النوافل حباً إلهياً منصوصاً عليه يكون الحق سمع العبد وبصره كما كان الأمر بالعكس في حب أداء الفرائض، ففي الفرض عبودية الاضطرار وهي الأصلية، وفي الفرع وهو النفل عبودية الاختيار، فالحق فيها سمعك وبصرك، ويسمّى نفلاً لأنه زائد، كما أنك بالأصالة زائد في الوجود، إذ كان الله ولا أنت ثم كنت، فزاد الوجود الحادث فأنت نفل في وجود الحق فلا بدّ لك من عمل يسمّى نفلاً هو أصلك، ولا بدّ من عمل يسمّى فرضاً وهو أصل الوجود وهو وجود الحق، ففي أداء الفرض أنت له وفي النفل أنت لك، وحبّه إياك من حيث ما أنت له أعظم وأشد من حبّه إياك من حيث ما أنت لك، وقد ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى: «**ما تَقَرَّبَ إِلَيّ عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيّ مِمّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيّ بِالنَّوَافِلِ حَتّى أُحِبّتُهُ فَكُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي بِهِ يَسْمَعُ وَبَصَرَهُ الَّذِي بِهِ يُبْصِرُ وَيَدَهُ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُ وَرِجْلَهُ الَّتِي بِهَا يَمْشِي، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَ بِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ عَبْدِيَ المُؤْمِنِ يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**» فانظر إلى ما تنتجه محبة الله، فثابر على أداء ما يصحّ به وجود هذه المحبة الإلهية، ولا يصح نفل إلاّ بعد تكملة الفرض، وفي النفل عينه فروض ونوافل فبما فيه من الفروض تكمل الفرائض. رد في الصحيح أَنَّهُ يَقُولُ تَعَالَى: «**انْظُرُوا فِي صَلاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَها؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئاً قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قالَ الله: أَكْمِلُوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ**» ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم، وليست النوافل إلاّ ما لها أصل في الفرائض وما لا أصل له في فرض، فذلك إنشاء عبادة مستقلة يسميها علماء الرسوم بدعة، قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧] وسمّاها رسول الله ﷺ سنّة حسنة، والذي سنّها له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ولما لم يكن في قوّة النفل أن يسد مسد الفرض جعل في نفس النفل فروضاً لتجبر الفرائض بالفرائض كصلاة النافلة بحكم الأصل، ثم إنها تشتمل على فرائض من ذكر وركوع وسجود مع كونها في الأصل نافلة، وهذه الأقوال والأفعال فرائض فيها.

وصية: وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فإن أقوالك من جملة عملك، ولهذا قال بعض العلماء: من عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه، واعلم أن الله راعى أقوال عباده، وأن الله عند لسان كل قائل، فما نهاك الله عنه أن تتلفظ به فلا تتلفظ به وإن لم تعتقده فإن الله سائلك عنه، روينا أن الملك لا يكتب على العبد ما يعمله حتى يتكلم به، قال تعالى: ﴿مَّا

يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] يريد الملك الذي يحصي عليك أقوالك. يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار] وأقوالك من أفعالك انظر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ فنهاك عن القول فإنه كذب الله من قال مثل هذا القول فإن الله قال فيهم: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤] ألا ترى إلى قوله تعالىٰ حيث يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وقال: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٤٨] وقال: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ [النساء: ١١٤] وهو القول، فإذا تكلمت فتكلم بميزان ما شرع الله لك أن تتكلم به، وكان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلاّ حقاً، فعليك بقول الحق الذي يرضي الله، فما كل حق يقال يرضي الله، فإن النميمة حق والغيبة حق وهي لا ترضي الله، وقد نهيت أن تغتاب، وأن تنم بأحد. ومن مراعاة الله الأقوال ما رويناه في صحيح مسلم عن الله تعالىٰ لما مطرت السماء قال عزّ وجلّ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ، فَمَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَهُوَ كَافِرٌ بي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ**» فراعى أقوال القائلين. وكان أبو هريرة يقول: إذا مطرت السماء مطرنا بنوء الفتح ثم يتلو: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] ولو كنت تعتقد أن الله هو الذي وضع الأسباب ونصبها وأجرى العادة عندنا بأنه يفعل الأشياء عندها لا بها، ومع هذا كله لا تقل ما نهاك الله عنه أن تقوله وتتلفظ به فإنه كما نهاك عن أمور نهاك عن القول وإن كان حقاً. وانظر ما أحكم قول الله عزّ وجلّ في قوله: مؤمن بي كافر بالكوكب وكافر بي مؤمن بالكوكب، فإنه مهما قال بفضل الله فقد ستر الكوكب حيث لم ينطق باسمه، ومن قال بالكوكب فقد ستر الله، وإن اعتقد أنه الفاعل منزل المطر ولكن لم يتلفظ باسمه فجاء تعالىٰ بلفظ الكفر الذي هو الستر، فإياك والاستمطار بالأنواء أن تتلفظ به فأحرى أن تعتقده، فإن اعتقادك إن كنت مؤمناً أن الله نصبها أدلة عادية وكل دليل عادي يجوز خرق العادة فيه، فاحذر من غوائل العادات ولا تصرفنك عن حدود الله التي حدّ لك فلا تتعداها فإن الله ما حدّها حتى راعاها وذلك في كل شيء، ورد في الخبر الصحيح: «**إِنَّ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيُرْفَعُ بِهَا فِي عِلِّيينَ**» فلا تنطق إلاّ بما يرضي الله لا بما يسخط الله عليك، وذلك لا يتمكن لك إلاّ بمعرفة ما حدّه لك في نطقك، وهذا باب أغفله الناس. قال رسول الله ﷺ: «**وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إلاّ حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ؟**» وقال الحكيم: لا شيء أحق بسجن من لسان، وقد جعله الله خلف بابين الشفتين والأسنان، ومع هذا يكثر الفضول ويفتح الأبواب.

وصية: وإياك أن تصوّر صورة بيدك من شأنها أن يكون لها روح فإن ذلك أمر يهوّنه الناس على أنفسهم وهو عند الله عظيم، فالمصوّرون أشد الناس عذاباً يوم القيامة، يقال للمصوّر يوم القيامة: أحي ما خلقت أو انفخ فيها روحاً وليس بنافخ. وقد ورد في الصحيح

عن الله تعالى أنه قال: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلقاً كَخلْقِي فَلْيَخلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخلُقُوا شَعِيرَةً**» وإن العبد إذا راعى هذا القدر وتركه لما ورد عن الله فيه ولم يزاحم الربوبية في تصوير شيء لا من حيوان ولا من غير حيوان فإنه يطلع على حياة كل صورة في العالم فيراه كله حيواناً ناطقاً يسبح بحمد الله، وإذا سامح نفسه في تصوير النبات وما ليس له روح في الشاهد في نظر البصر في المعتاد فلا يطلع على مثل هذا الكشف أبداً فإنه في نفس الأمر لكل صورة من العالم روح أخذ الله بأبصارنا عن إدراك حياة ما يقول عنه أنه ليس بحيوان وفي الآخرة ينكشف الأمر في العموم ولهذا سمّاها بالدار الحيوان، فما ترى فيها شيئاً إلاّ حياً ناطقاً بخلاف حالك في الدنيا كما روي في الصحيح: «أَنَّ الحَصَىٰ سَبَّحَ فِي كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ» فجعل الناس خرق العادة في تسبيح الحصى وأخطؤوا، وإنما خرق العادة في سمع السامعين ذلك فإنه لم يزل مسبحاً كما أخبر الله إلاّ أن يسبح بتسبيح خاص أو هيئة في النطق خاصة لم يكن الحصى قبل ذلك يسبح به ولا على تلك الكيفية، فحينئذ يكون خرق العادة في الحصى لا في سمع السامع، والذي في سمع السامع كونه سمع نطق من لم تجر العادة أن يسمعه.

وصية: وعليك يا أخي بعيادة المرضى لما فيها من الاعتبار والذكرى، فإن الله خلق الإنسان من ضعف فينبهك النظر إليه في عيادتك على أصلك لتفتقر إلى الله في قوّة يقويك بها على طاعته، وأن الله عند عبده إذا مرض، ألا ترى إلى المريض ماله استغاثة إلاّ بالله ولا ذكر إلاّ الله، فلا يزال الحق بلسانه منطوقاً به وفي قلبه التجاء إليه، فالمريض لا يزال مع الله أي مريض كان ولو تطبب وتناول الأسباب المعتادة لوجود الشفاء عندها، ومع ذلك فلا يغفل عن الله وذلك لحضور الله عنده، وأن الله يوم القيامة يقول: «**يا ابْنَ آدمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيفَ أَعُودُكَ، وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا إِنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ**» الحديث. وهو صحيح. فقوله: لوجدتني عنده هو ذكر المريض ربه في سرّه وعلانيته. وكذلك إذا استطعمك أحد من خلق الله أو استسقاك فأطعمه واسقه إذا كنت موجداً لذلك، فإنه لو لم يكن لك من الشرف والمنزلة إلاّ أن هذا المستطعم والمستسقي قد أنزلك منزلة الحق الذي يطعم عباده ويسقيهم، وهذا نظر قلّ من يعتبره، انظر إلى السائل إذا سأل ويرفع صوته يقول: بالله أعطني فما نطقه الله إلاّ باسمه في هذه الحال، وما رفع صوته إلاّ ليسمعك أنت حتى تعطيه فقد سمّاك بالاسم الله والتجأ إليك برفع الصوت التجاءه إلى الله، ومن أنزلك منزلة سيده فينبغي لك أن لا تحرمه وتبادر إلى إعطائه ما سألك فيه. فإن في هذا الحديث الذي سقناه آنفاً في مرض العبد أن الله يقول: «**يا ابْنَ آدمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يا رَبِّ كَيفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاناً اسْتَطْعَمَكَ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي، يا ابْنَ آدمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يا رَبِّ كَيفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاناً اسْتَسْقَاكَ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي**» خرّج هذا الحديث مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: فأنزل الله

نفسه في هذا الخبر منزلة عبده، فالعبد الحاضر مع الله الذاكر الله في كل حال في مثل هذه الحال يرى الحق أنه الذي استطعمه واستسقاه فيبادر لما طلب الحق منه، فإنه لا يدري يوم القيامة لعله يقام في حال هذا الشخص الذي استطعمه واستسقاه من الحاجة فيكافئه الله على ذلك وهو قوله: «**لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي**» أي تلك الطعمة والشربة كنت أرفعها لك وأربيها حتى تجيء يوم القيامة فأردها عليك أحسن وأطيب وأعظم ممّا كانت، فإن لم تكن لك همة أن ترى هذا الذي استسقاك قد أنزلك منزلة من بيده قضاء حاجته إذ جعلك الله خليفة عنه فلا أقل أن تقضي حاجة هذا السائل بنية التجارة طلباً للربح وتضاعف الحسنة، فكيف إذا وقفت على مثل هذا الخبر ورأيت أن الله هو الذي سألك ما أنت مستخلف فيه فإن الكل لله، وقد أمرك بالإنفاق ممّا استخلفك فيه فقال: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] وعظم الأجر فيه إذا أنفقت، فلا ترد سائلاً ولو بكلمة طيبة والقه طلق الوجه مسروراً به، فإنك إنما تلقى الله، وكان الحسين أو الحسن عليهما السلام إذا سأله السائل سارع إليه بالعطاء ويقول: أهلاً والله وسهلاً بحامل زادي إلى الآخرة لأنه رآه قد حمل عنه فكان له مثل الراحلة، لأن الإنسان إذا أنعم الله عليه نعمة ولم يحمل فضلها غيره فإنه يأتي بها يوم القيامة وهو حاملها حتى يسأل عنها، فلهذا كان الحسن يقول: إن السائل حامل زاده إلى الآخرة فيرفع عنه مؤنة الحمل.

وصية: وإياكم ومظالم العباد فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وظلم العباد أن تمنعهم حقوقهم التي أوجب الله عليك أداءها إليهم، وقد يكون ذلك بالحال فيما تراه عليه من الاضطرار، وأنت قادر واجد لسد خلته ودفع ضرورته، فيتعين عليك أن تعلم أن له بحاله حقاً في مالك، فإن الله ما أطلعك عليه إلاّ لتدفع إليه حقّه وإلاّ فأنت مسؤول، فإن لم يكن لك قدرة بما تسد خلته فاعلم أن الله ما أطلعك على حاله سدى، فاعلم أنه يريد منك أن تعينه بكلمة طيبة عند من تعلم أنه يسد خلته، فإن لم تعمل فلا أقل من دعوة تدعو له ولا يكون هذا إلاّ بعد بذل المجهود واليأس حتى لا يبقى عندك إلاّ الدعاء، ومهما غفلت عن هذا القدر فأنت من جملة من ظلم صاحب هذا الحال، هذا كله إن مات ذلك المحتاج من تلك الحاجة، فإن لم يمت وسدّ خلته غيرك من المؤمنين فقد أسقط أخوك عنك هذه المطالبة من حيث لا يشعر، فإن المؤمن أخ المؤمن لا يسلمه وإن لم ينو المعطي ذلك ولكن هكذا هو في نفس الأمر وكذا يقبله الله، فإذا أعطيت أنت سائلاً بالحال ضرورته فانو في ذلك أن تنوب عن أخيك المؤمن الأوّل الذي حرمه، وتجعل ذلك منه إيثاراً لجنابك عليه بذلك الخير الذي أبقاه من أجلك حتى تصيبه، إذ لو أعطاه اقتنع بما أعطاه ولم تكن تجد أنت ذلك الخير، فبهذه النية عطاء العارفين أصحاب الضرورات السائلين بأحوالهم وأقوالهم ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحىٰ: ١٠] وسواء كان ذلك في الوقت المحسوس أو المعنوي فإن العلم من هذا الباب والإفادة، فإن الضال يطلب الهداية، والجائع يطلب الإطعام، والعاري يطلب الكسوة التي تقيه برد الهواء وحرّه وتستر عورته، والجاني العالم بأنك قادر على مؤاخذته يطلب منك العفو عن جنايته، فأهد الجيران وأطعم الجائع واسق الظمآن واكس العريان، واعلم أنك فقير لما يفتقر إليك فيه

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] ومع هذا يجيب دعاءهم ويقضي حوائجهم ويسألهم أن يسألوه في دفع المضار عنهم وإيصال المنافع إليهم، فأنت أولى أن تعامل عباد الله بمثل هذا لحاجتك إلى الله في هذه الأمور. خرج مسلم في الصحيح عن عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي عن مروان بن محمد الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالىٰ أنه قال: «**يا عِبَادِي إنّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلا تَظَالَمُوا، يا عِبَادِي كُلّكُمْ ضَالٌّ إلاّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلاّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إلاّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبَادِي أَنْتُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**» والحق تعالىٰ يعطيكم هذا كله من غير سؤال منك إياه فيه ولكن مع هذا أمرك أن تسأله فيعطيك إجابة لسؤالك ليريك عنايته بك حيث قبل سؤالك، وهذه منزلة أخرى زائدة على ما أعطاك، وإذا كان سؤالك عن أمره وقد علم منك أنك تسأله ولا بدّ من ضرورة أصل ما خلقت عليه من الحاجة والسؤال لتكون في سؤالك مؤدّياً أمراً واجباً فتجزى جزاء من امتثل أمر الله فتزيد خيراً إلى خير، فما أمرك إلاّ رحمة بك وإيصال خير إليك، ولينبهك على أن حاجتك إليه لا إلى غيره، فإنه ما خلقك إلاّ لعبادته أي لتذلّ له، فالذي أوصيك به الوقوف عند أوامر الحق ونواهيه والفهم عنه في ذلك حتى تكون من العلماء بما أراده الحق منك في أمره ونهيه إياك، ومن لم يسأل ربه فقد بخله هذا في حق العموم، فإن فرّطت فيما أوصيتك به فلا تلومن إلاّ نفسك، فإنك إن كنت جاهلاً فقد علمتك وإن كنت ناسياً وغافلاً فقد نبهتك وذكرتك، فإن كنت مؤمناً فإن الذكرى تنفعك، فإني قد امتثلت أمر الله بما ذكرتك به، وانتفاعك بالذكرى شاهد لك بالإيمان، قال الله عزّ وجلّ في حقي وفي حقك ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] فإن لم تنفعك الذكرى فاتهم نفسك في إيمانك فإن الله صادق وقد أخبر بأن الذكرى تنفع المؤمنين. ومن تمام هذا الخبر الإلهيّ الذي أوردناه بعد قوله: «**أغفر لكم**» أن قال: «**يا عِبَادِي إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي**» ومعلوم أنه سبحانه لا يتضرر ولا ينتفع فإنه الغنيّ عن العالمين، ولكن لما أنزل نفسه منزلة عبده فيما ذكرناه من الاستطعام والاستسقاء نبهنا بالعجز عن بلوغ الغاية في ضرّ العباد له أو في نفعهم، فمن المحال بلوغ الغاية في ذلك، ولكون الله قد قال في حق قوم ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨] وهو في الظاهر ضرر نزّه نفسه عن ذلك، وكذلك من فعل فعلاً يرضي الله به ويفرحه كالتائب في فرح الله بتوبة عبده فكان هذا الخبر كالدواء لما يطرأ من المرض من ذلك في بعض النفوس الضعيفة في العلم بالله التي لا علم لها بما يعطيه قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] ثم من تمام هذا الخبر قوله: «**يا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ما زَادَ ذٰلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ما نَقَصَ ذٰلِكَ مِمَّا**

عِنْدِي إلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا دَخَلَ فِي البَحْرِ» وهذا كله دواء لما ذكرناه من أمراض النفوس الضعيفة، فاستعمل يا وليّ هذه الأدوية يقول الله: «**إنَّمَا هِيَ أعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوفِيكُمْ إيَّاها فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ الله وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذٰلِكَ فلا يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ**» ومن سأل عن حاجة فقد ذلّ ومن ذلّ لغير الله فقد ضلّ وظلم نفسه ولم يسلك بها طريق هداها، وهذه وصيتي إياك فالزمها ونصيحتي فاعلمها، وما زال الله تعالىٰ يوصي عباده في كتابه وعلى ألسنة رسله، فكل من أوصاك بما في استعماله سعادتك فهو رسول من الله إليك فاشكره عند ربك.

وصية: إذا رأيت عالماً لم يستعمله علمه فاستعمل أنت علمك في أدبك معه حتى توفي العالم حقّه من حيث ما هو عالم، ولا تحجب عن ذلك بحاله السيىء فإن له عند الله درجة علمه، فإن الإنسان يحشر يوم القيامة مع من أحب، ومن تأدّب مع صفة إلٰهية كسيها يوم القيامة وحشر فيها، وعليك بالقيام بكل ما تعلم أن الله يحبه منك فتبادر إليه فإنك إذا تحليت به على طريق التحبّب إليه تعالىٰ أحبك، وإذا أحبك أسعدك بالعلم به وبتجليه وبدار كرامته فينعمك في بلائك، والذي يحبه تعالىٰ أمور كثيرة، أذكر منها ما تيسر على جهة الوصية والنصيحة، فمن ذلك التجمل لله فإنه عبادة مستقلة ولا سيما في عبادة الصلاة فإنك مأمور به قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] وقال في معرض الإنكار: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢] وأكثر من هذا البيان في مثل هذا في القرآن فلا يكون، ولا فرق بين زينة الله وزينة الحياة الدنيا إلاَّ بالقصد والنية، وإنما عين الزينة هي هي ما هي أمر آخر، فالنية روح الأمور، وإنما لامرىء ما نوى، فالهجرة من حيث ما كانت هجرة واحدة العين: «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلَى الله وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أوِ امْرَأةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُه إلَى ما هَاجَرَ إلَيْهِ**» وكذلك ورد في الصحيح في بيعة الإمام في الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. وفيه ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلاَّ لدنيا فإن أعطاه منها وفّى وإن لم يعطه منها لم يف، فالأعمال بالنيات وهي أحد أركان بيت الإسلام. وورد في الصحيح في مسلم: أنَّ رَجُلاً قالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: يا رسول الله إني أحبُّ أن يكون نعلي حسناً وثوبي حسناً فقال له رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُ الجَمَالَ**» وقال: «**إنَّ الله أوْلَى مَنْ يَتَجَمَّلُ لَهُ**».

ومن هذا الباب: كون الله تعالىٰ لم يبعث إليه جبريل في أكثر نزوله عليه إلاَّ في صورة دحية وكان أجمل أهل زمانه، وبلغ من أثر جماله في الخلق أنه لما قدم المدينة واستقبله الناس ما رأته امرأة حامل إلاَّ ألقت ما فيه بطنها، فكأن الحق يقول يبشر نبيه ﷺ بإنزال جبريل عليه في صورة دحية: يا محمد ما بيني وبينك إلاَّ صورة الجمال، يخبره تعالىٰ بما له في نفسه سبحانه بالحال، فمن فاته التجمّل لله كما قلناه فقد فاته من الله هذا الحب الخاص المعين، وإذا فاته هذا الحب الخاص المعين فاته من الله ما ينتجه من علم وتجلّ وكرامة في دار السعادة، ومنزلة في كثيب الرؤية وشهود معنويّ علمي روحي في هذه الدار الدنيا في سلوكه

ومشاهده، ولكن كما قلنا ينوي بذلك التجمّل لله لا للزينة والفخر بعرض الدنيا والزهو والعجب والبطر على غيره.

ومن ذلك: الرجوع إلى الله عند الفتنة فإن الله يحب كل مفتن تواب كذا قال رسول الله ﷺ: قال الله عزّ وجلّ: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] والبلاء والفتنة بمعنى واحد وليس إلاّ الاختبار لما هو الإنسان عليه من الدعوى ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي اختبارك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ أي تحيره ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي تبين له طريق نجاته فيها.

وأعظم الفتن النساء والمال والولد والجاه، هذه الأربعة إذا ابتلى الله بها عبداً من عباده أو بواحد منها وقام فيها مقام الحق في نصبها له ورجع إلى الله فيها ولم يقف معها من حيث عينها وأخذها نعمة إلهية أنعم الله عليه بها فردته إليه تعالىٰ وأقامته في مقام حق الشكر الذي أمر الله نبيه عليه السلام موسىٰ به فقال له: **«يَا مُوسَىٰ اشكرْني حَقَّ الشُّكر، قال موسىٰ: يا ربِّ وَما حَقُّ الشُّكرِ؟ قال له: يا موسىٰ إذا رَأَيتَ النِّعمَةَ مِنِّي فذلك حَقُّ الشُّكرِ»** ذكره ابن ماجة في سننه عن رسول الله ﷺ. ولما غفر الله لنبيه محمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبشّره ذلك بقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] قام حتى تورمت قدماه شكراً لله تعالىٰ على ذلك فما فتر ولا جنح إلى الراحة، ولما قيل له في ذلك وسئل في الرفق بنفسه قال ﷺ: **«أَفلا أَكونُ عَبْداً شَكُوراً»** وذلك لما سمع الله يقول: إن الله يحب الشاكرين فإن لم يقم في مقام شكر المنعم فاته من الله هذا الحب الخاص بهذا المقام الذي لا يناله من الله إلاّ الشكور، فإن الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وإذا فاته فاته ماله من العلم بالله والتجلي والنعيم الخاص به في دار الكرامة وكثيب الرؤية يوم الزور الأعظم، فإنه لكل حب إلهيّ من صفة خاصة علم وتجلٍ ونعيم ومنزلة لا بدّ من ذلك يمتاز بها صاحب تلك الصفة من غيره.

فأما فتنة النساء فصورة رجوعه إلى الله في محبتهنّ بأن يرى أن الكل أحب بعضه وحنّ إليه فما أحبّ سوى نفسه، لأن المرأة في الأصل خلقت من الرجل من ضلعه القصيرى فينزلها من نفسه منزلة الصورة التي خلق الله الإنسان الكامل عليها وهي صورة الحق فجعلها الحق مجلى له، وإذا كان الشيء مجلى للناظر فلا يرى الناظر في تلك الصورة إلاّ نفسه، فإذا رأى في هذه المرأة نفسه اشتدّ حبه فيها وميله إليها لأنها صورته، وقد تبين لك أن صورته صورة الحق التي أوجده عليها فما رأى إلاّ الحق ولكن بشهوة حب والتذاذ وصلة يفنى فيها فناء حق بحب صدق وقابلها بذاته مقابلة المثلية ولذلك فني فيها فما من جزء فيه إلاّ وهو فيها، والمحبة قد سرت في جميع أجزائه فتعلق كله بها فلذلك فني في مثله الفناء الكلي بخلاف حبّه غير مثله فاتحد بمحبوبه إلى أن قال: «أنا من أهوى ومن أهوى أنا». وقال الآخر في هذا المقام: «أنا الله» فإذا أحببت مثلك شخصاً هذا الحب ردّك إلى الله شهودك فيه هذا الردّ فأنت ممّن أحبه الله وكانت هذه الفتنة فتنة أعطتك المهداة. وأما الطريقة الأخرى في حب النساء

فإنهن محال الانفعال والتكوين لظهور أعيان الأمثال في كل نوع، ولا شك أن الله ما أحب أعيان العالم في حال عدم العالم إلاّ لكون تلك الأعيان محل الانفعال، فلما توجه عليها من كونه مريداً قال لها ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠] فكانت فظهر ملكه بها في الوجود، وأعطت تلك الأعيان لله حقه في ألوهته فكان إلهاً فعبدته تعالىٰ بجميع الأسماء بالحال، سواء علمت تلك الأسماء أو لم تعلمها، فما بقي اسم لله إلاّ والعبد قد قام فيه بصورته وحاله وإن لم يعلم نتيجة ذلك الاسم وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ في دعائه بأسماء الله: «**أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ غَيْبِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ**» يعني من أسمائه أن يعرف عينه حتى يفصله من غيره علماً فإنّ كثيراً من الأمور في الإنسان بالصورة والحال ولا يعلم بها ويعلم الله منه أن ذلك فيه، فإذا أحبّ المرأة لما ذكرناه فقد ردّه حبها إلى الله تعالىٰ فكانت نعمة الفتنة في حقّه فأحبه الله برجعته إليه تعالىٰ في حبّه إياها. وأما تعلقه بامرأة خاصة في ذلك دون غيرها وإن كانت هذه الحقائق التي ذكرناها سارية في كل امرأة فذلك لمناسبة روحانية بين هذين الشخصين في أصل النشأة والمزاج الطبيعي والنظر الروحي، فمنه ما يجري إلى أجل مسمّى ومنه ما يجري إلى غير أجل بل أجله الموت، والتعلق لا يزول كحب النبيّ ﷺ عائشة فإنه كان يحبها أكثر من حبه جميع نسائه، وحبه أبا بكر أيضاً وهو أبوها، فهذه المناسبات الثواني هي التي تعين الأشخاص، والسبب الأوّل هو ما ذكرناه، ولذلك الحب المطلق والسماع المطلق والرؤية المطلقة التي يكون عليها بعض عباد الله ما تختص بشخص في العالم دون شخص، فكل حاضر عنده له محبوب وبه مشغول، ومع هذا لا بد من ميل خاص لبعض الأشخاص لمناسبة خاصة مع هذا الإطلاق لا بدّ من ذلك، فإن نشأة العالم تعطى في آحاده هذا لا بدّ من تقييد، والكامل من يجمع بين التقييد والإطلاق، فالإطلاق مثل قول النبي ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاثٌ: النِّسَاءُ**» وما خصّ امرأة من امرأة. ومثل التقييد ما روي من حبه عائشة أكثر من سائر نسائه لنسبة إلهية روحانية قيدته بها دون غيرها مع كونه يحب النساء، فهذا قد ذكرنا من الركن الواحد ما فيه كفاية لمن فهم.

وأما الركن الثاني من بيت الفتن وهو الجاه المعبر عنه بالرياسة، يقول فيه: الطائفة التي لا علم لها منهم آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة، فالعارفون من أصحاب هذا القول ما يقولون ذلك على ما تفهمه العامة من أهل الطريق منهم، وإنما ذلك على ما نبينه من مقصود الكمل من أهل الله بذلك، وذلك أن في نفس الإنسان أموراً كثيرة خبّأها الله فيه وهو ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥] أي ما ظهر منكم وما خفي ممّا لا تعلمونه منكم فيكم، فلا يزال الحق يخرج لعبده من نفسه ممّا أخفاه فيها ما لم يكن يعرف أن ذلك في نفسه، كالشخص الذي يرى منه الطبيب من المرض ما لا يعرفه العليل من نفسه، كذلك ما خبّأه الله في نفوس الخلق، ألا تراه يقول ﷺ: «**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ**» وما كل أحد يعرف نفسه مع أن نفسه عينه لا غير ذلك، فلا يزال الحق يخرج للإنسان من نفسه ما خبّأه فيها فيشهده فيعلم من نفسه عند ذلك ما لم يكن يعلمه قبل ذلك،

فقالت الطائفة الكثيرة: آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة فيظهر لهم إذا خرج فيحبون الرياسة بحب غير حب العامة لها فإنهم يحبوها من كونهم على ما قال الله فيهم أنه سمعهم وبصرهم وذكر جميع قواهم وأعضاءهم، فإذا كانوا بهذه المثابة فما أحبوا الرياسة إلاّ بالله إذ التقدم لله على العالم فإنهم عبيده، وما كان الرئيس إلاّ بالمرؤوس وجوداً وتقديراً، فحبّه للمرؤوس أشدّ الحب لأنه المثبت له الرياسة، فلا أحب من الملك في ملكه لأن ملكه المثبت له كونه ملكاً، فهذا معنى آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة لهم فيرونه ويشهدونه ذوقاً لا أنه يخرج من قلوبهم فلا يحبون الرياسة فإنهم إن لم يحبوها فما حصل لهم العلم بها ذوقاً، وهي الصورة التي خلقهم الله عليها في قوله ﷺ: «**إِنَّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ**» في بعض تأويلات هذا الخبر ومحتملاته فاعلم ذلك. والجاه إمضاء الكلمة ولا أمضى كلمة من قوله: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فأعظم الجاه من كان جاهه بالله، فيرى هذا العبد مع بقاء عينه فيعلم عند ذلك أنه المثل الذي لا يماثل فإنه عبد رب والله عزّ وجلّ رب لا عبد فله الجمعية وللحق الانفراد.

وأما الركن الثالث وهو المال، وما سمّي المال بهذا الاسم إلاّ لكونه يمال إليه طبعاً، فاختبر الله به عباده حيث جعل تيسير بعض الأمور بوجوده وعلّق القلوب بمحبة صاحب المال وتعظيمه ولو كان بخيلاً فإن العيون تنظر إليه بعين التعظيم لتوهم النفوس باستغنائه عنهم لما عنده من المال، وربما يكون صاحب المال أشدّ الناس فقراً إليهم في نفسه، ولا يجد في نفسه الاكتفاء ولا القناعة بما عنده فهو يطلب الزيادة ممّا بيده. ولما رأى العالم ميل القلوب إلى رب المال لأجل المال أحبّوا المال فطلب العارفون وجهاً إلهياً يحبون به المال إذ ولا بدّ من حبّه، وهنا موضع الفتنة والابتلاء التي لها الضلالة والمهداة، فأما العارفون فنظروا إلى أمور إلهية منها قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل: ٢٠] فما خاطب إلاّ أصحاب الجدة فأحبّوا المال ليكونوا من أهل الخطاب فيلتذوا بسماعه حيث كانوا، فإذا أقرضوه رأوا أن الصدقة تقع بيد الرحمن فحصل لهم بالمال وإعطائه مناولة الحق منهم ذلك فكانت لهم وصلة المناولة، وقد شرّف الله آدم بقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] فمن يعطيه عن سؤاله القرض أتم في الالتذاذ بالشرف ممّن خلقه بيده، فلولا المال ما سمعوا ولا كانوا أهلاً لهذا الخطاب الإلهيّ ولا حصل لهم بالقرض هذا التناول الرباني، فإن ذلك يعمّ الوصلة مع الله، فاختبرهم الله بالمال ثم اختبرهم بالسؤال منه وأنزل الحق نفسه منزلة السائلين من عباده أهل الحاجة أهل الثروة منهم والمال بقوله في الحديث المتقدم في هذا الباب: «**يَا عَبْدِي اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي وَاسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي**» فكان لهم بهذا النظر حب المال فتنة مهداة إلى مثل هذا.

وأما فتنة الولد: فلكونه سرّ أبيه وقطعة من كبده وألصق الأشياء به، فحبه حب الشيء نفسه، ولا شيء أحب إلى الشيء من نفسه، فاختبره الله بنفسه في صورة خارجة عنه سمّاه ولداً ليرى هل يحجبه النظر إليه عمّا كلفه الحق من إقامة الحقوق عليه، يقول رسول الله ﷺ في حق ابنته فاطمة ومكانتها من قلبه المكانة التي لا تجهل: «**لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ**

قَطَعْتُ يَدَهَا» وجلد عمر بن الخطاب ابنه في الزنى فمات ونفسه بذاك طيبة، وجاد ماعز بنفسه والمرأة في إقامة الحدّ عليهما الذي فيه إتلاف نفوسهما وقال في توبتهما رسول الله ﷺ، وأي توبة أعظم من أن جادت بنفسها، والجود بإقامة الحق المكروه على الولد أعظم في البلاء، يقول الله في موت الولد في حق الوالد: «**مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا عِنْدِي جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةَ**» فمن أحكم هذه الأركان التي هي من أعظم الفتن وأكبر المحن وآثر جناب الحق ورعاه فيها فذلك الرجل الذي لا أعظم منه في جنسه.

ومن وصيتي إياك: أنك لا تنام إلاَّ على وتر لأن الإنسان إذا نام قبض الله روحه إليه في الصورة التي يرى نفسه فيها إن رأى رؤيا فإن شاء ردّها إليه إن كان لم ينقض عمره وإن شاء أمسكها إن كان قد جاء أجله، فالاحتياط أن الإنسان الحازم لا ينام إلاَّ على وتر، فإذا نام على وتر نام على حالة وعمل يحبه الله، ورد في الخبر الصحيح: «**إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**» فما أحب إلاَّ نفسه، وأي عناية وقرب أعظم من أن أنزلك منزلة نفسه في حبّه إياك إذا كنت من أهل الوتر في جميع أفعالك التي تطلب العدد والكمية، وقد أمرك الله تعالىٰ على لسان رسوله ﷺ فقال: «**أَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ**» وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته، وكذلك إذا اكتحلت فاكتحل وتراً في كل عين واحدة أو ثلاثة فإن كل عين عضو مستقل بنفسه، وكذلك إذا طعمت فلا تنزع يدك إلاَّ عن وتر، وكذلك شربك الماء في حسواتك إياه اجعله وتراً، وإذا أخذك الفواق اشرب من الماء سبع حسوات فإنه ينقطع عنك، هذا جربته بنفسي، وإذا تنفست في شربك فتنفس ثلاث مرات وأزل القدم عن فيك عند التنفس هكذا أمرك رسول الله ﷺ فإنه أبرأ وأمرأ وأروى. وإذا تكلمت بالكلمة لتفهم السامع فأعدها عليه ثلاث مرّات وتراً حتى تفهم عنك، فهكذا كان يفعل رسول الله ﷺ، فإني ما أوصيك إلاَّ بما جرت السنّة الإلهية عليه، وهذا هو عين الاتباع الذي أمرك الله تعالىٰ به في القرآن فقال: ﴿**إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١] فهذه محبة الجزاء. وأما محبته الأولى التي ليست جزاء فهي المحبة التي وفقك بها للاتباع، فحبك قد جعله الله بين حبين إلهيين: حب منة وحب جزاء، فصارت المحبة بينك وبين الله وتراً حب المنة وهو الذي أعطاك التوفيق للاتباع، وحبك إياه وحبّه إياك جزاء من كونك اتبعت ما شرعه لك ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب: ٢١] وبهذه الآية ثبتت عصمة رسول الله ﷺ، فإنه لو لم يكن معصوماً ما صحّ التأسي به، فنحن نتأسى برسول الله ﷺ في جميع حركاته وسكناته وأفعاله وأحواله وأقواله ما لم ينه عن شيء من ذلك على التعيين في كتاب أو سنّة، مثل نكاح الهبة خالصة لك من دون المؤمنين، ومثل وجوب قيام الليل عليه والتهجد فهو ﷺ يقومه فرضاً نحن نقومه تأسياً وندباً فاشتركنا في القيام، يقول أبو هريرة: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث فأوتر في وصيته وفيها أن لا أنام إلاَّ على وتر. وورد في الحديث الصحيح: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مِائَةً إِلاَّ وَاحِداً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» فإن الله وتر يحب الوتر. وقد تقدم في هذا الكتاب في باب سؤالات الترمذي الحكيم وهو آخر أبواب فصل المعارف في حب الله التوابين والمتطهرين والشاكرين

والصابرين والمحسنين وغيرهم ممّا ورد أن الله يحب إتيانه، كما وردت أشياء لا يحبها الله قد ذكرناها في هذا الكتاب فأغنى عن إعادتها.

وصية: عليك بمراقبة الله عزّ وجلّ فيما أخذ منك وفيما أعطاك فإنه تعالىٰ ما أخذ منك إلاّ لتصبر فيحبك فإنه يحب الصابرين، وإذا أحبك عاملك معاملة المحب محبوبه فكان لك حيث تريد إذا اقتضت إرادتك مصلحتك، وإذا لم تقتض إرادتك مصلحتك فعل بحبه إياك معك ما تقتضيه المصلحة في حقك، وإن كنت تكره في الحال فعله معك فإنك تحمد بعد ذلك عاقبة أمرك، فإن الله غير متهم في مصالح عبده إذا أحبه، فميزانك في حبه إياك أن تنظر إلى ما رزقك من الصبر على ما أخذه منك ورزأك فيه من مال أو أهل، أو ما كان ممّا يعز عليك فراقه، وما من شيء يزول عنك من المألوفات إلاّ ولك عوض منه عند الله إلاّ الله كما قال بعضهم: [البسيط]

لكلّ شيء إذا فارقته عوضٌ ... وليس لله إن فارقت من عوضِ

فإنه لا مثل له، وكذلك إذا أعطاك وأنعم عليك، ومن جملة ما أنعم به عليك وأعطاك الصبر على ما أخذه منك، فأعطاك لتشكر كما أخذ منك لتصبر، فإنه تعالىٰ يحب الشاكرين، وإذا أحبك حب الشاكرين غفر لك. قال رسول الله ﷺ في رجل رأى غصن شوك في طريق الناس فنحاه: «**فَشَكَرَ الله فِعْلَهُ فَغَفَرَ لَهُ**» فإن الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق وهو ما ذكرناه، وأرفعها قول: لا إلٰه إلاّ الله، فالمؤمن الموفق يبحث عن شعب الإيمان فيأتيها كلها، وبحثه عن ذلك من جملة شعب الإيمان، فذلك هو المؤمن الذي حاز الصفة وملأ يديه من الخير، وما شكرك الله بسبب أمر أتيته ممّا شرع لك الإتيان به إلاّ لتزيد في أعمال البرّ، كما أنك إذا شكرته على ما أنعم به عليك زادك من نعمه لقوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] ووصف نفسه بأنه يشكر عباده فهو الشكور فزاده كما زادك لشكرك، ومع هذا فاعتقد أن كل شيء عنده بمقدار وكل شيء في الدنيا يجري إلى أجل مسمّى عند الله، فما ثم شيء في العالم إلاّ وهو لله فإن أخذه منك فما أخذه إلاّ إليه، وإن أعطاك فما أعطاك إلاّ منه، فالأمر كله منه وإليه، وكفى بك إذا علمت أن الأمر على ما أعلمتك أن تكون مع الله تشهده في جميع أحوالك من أخذ وعطاء فإنك لن تخلو في نفسك من أخذ وعطاء في كل نفس أوّل ذلك أنفاسك التي بها حياتك، فيأخذ منك نفسك الخارج بما خرج من ذكر بقلب أو لسان، فإن كان خيراً ضاعف لك أجره، وإن كان غير ذلك فمن كرمه وعفوه يغفر لك ذلك ويعطيك نفسك الداخل بما شاءه وهو وارد وقتك، فإن ورد بخير فهو نعمة من الله فقابلها بالشكر، وإن كان غير ذلك ممّا لا يرضي الله فاسأله المغفرة والتجاوز والتوبة، فإنه ما قضى بالذنوب على عباده إلاّ ليستغفروه فيغفر لهم ويتوبوا إليه فيتوب عليهم. وورد في الحديث: «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ الله بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ وَيَتُوبُونَ فَيَغْفِرُ الله لَهُمْ وَيَتُوبُ عَلَيْهِمْ**» حتى لا يتعطل حكم من الأحكام الإلٰهية في الدنيا. ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**للَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا انْتَهَى أَجَلُهُ انْقَضَى وَجَاءَ**

غَيْرُهُ» وإنما قال رسول الله ﷺ هذا معرفاً إيانا بما هو الأمر عليه لنسلم الأمر إليه فنرزق درجة التسليم والتفويض مع بذل المجهود فيما يحب منا أن نرجع إليه فيه بحسب الحال إن كان في المخالفة فبالتوبة والاستغفار، وفي الموافقة بالشكر وطلب الإقامة على طاعة الله وطاعة رسوله، ونجد عزاء في نفوسنا بمعرفتنا أن كل شيء عند الله في الدنيا يجري إلى أجل مسمّى، وللصابرين حمد يخصهم وهو الحمد لله على كل حال، وللشاكرين حمد يخصهم وهو الحمد لله المنعم المفضل، كذا كان يحمد رسول الله ﷺ ربّه عزّ وجلّ في حالة السرّاء والضرّاء، والتأسي برسول الله ﷺ في ذلك أولى من أن تستنبط حمداً آخر، فإنه لا أعلى ممّا وضعه العالم المكمل الذي شهد الله له بالعلم به وأكرمه برسالته واختصاصه وأمرنا بالإقتداء به واتباعه، فلا تحدث أمراً ما استطعت فإنك إذا سننت سنّة لم يجيء مثلها عن رسول الله ﷺ وهي حسنة فإن لك أجرها وأجر من عمل بها، وإذا تركت تسنينها اتباعاً لكون رسول الله ﷺ لم يسنّها فإن أجرك في اتباعك ذلك أعني ترك التسنين أعظم من أجرك من حيث ما سننت بكثير، فإن النبيّ ﷺ كان يكره كثرة التكليف على أمته، وكان يكره لهم أن يسألوا في أشياء مخافة أن ينزل عليهم في ذلك ما لا يطيقونه إلاّ بمشقة، ومن سنّ فقد كلف وكان النبيّ ﷺ أولى بذلك ولكن تركه تخفيفاً، فلهذا قلنا: الاتباع في الترك أعظم أجراً من التسنين، فاجعل بالك لما ذكرته لك. ولقد بلغني عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه ما أكل البطيخ فقيل له في ذلك فقال: ما بلغني كيف كان رسول الله ﷺ يأكله، فلما لم تبلغ إليه الكيفية في ذلك تركه، وبمثل هذا ما تقدم علماء هذه الأمّة على سائر علماء الأمم هكذا هكذا وإلاّ فلا لا، فهذا الإمام علم وتحقق معنى قوله تعالى: عن نبيه ﷺ: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] والاشتغال بما سنّ من فعل وقول وحال أكثر من أن نحيط به، فكيف أن نتفرّغ لنسن؟ فلا نكلف الأمة أكثر مما ورد.

وصية: عليك بأداء الأوجب من حق الله وهو أن لا تشرك به شيئاً من الشرك الخفي الذي هو الاعتماد على الأسباب الموضوعة والركون إليها بالقلب والطمأنينة بها وهي سكون القلب إليها وعندها، فإن ذلك من أعظم رزية دينية في المؤمن وهو قوله والله أعلم من باب الإشارة: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] يعني والله أعلم به هذا الشرك الخفي الذي يكون معه الإيمان بوجود الله والنقص في الإيمان بتوحيد الله في الأفعال لا في الألوهة، فإن ذلك هو الشرك الجلي الذي يناقض الإيمان بتوحيد الله في ألوهته لا الإيمان بوجود الله. ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أَتَدْرُونَ ما حَقُّ الله عَلَى العِبَادِ؟ أَنْ يَعْبُدُوهُ لا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**» فأتى بلفظة شيء وشيء نكرة فدخل فيه الشرك الجلي والخفي. ثم قال: «**أَتَدْرُونَ ما حَقُّهُمْ عَلَى الله إذا فَعَلُوا ذٰلِكَ؟ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ**» فاجعل بالك من قوله: أن لا يعذبهم فإنهم إذا لم يشركوا بالله شيئاً لم يتعلق لهم خاطر إلا بالله إذ لم يكن لهم توجه إلاّ إلى الله، وإذا أشركوا بالله الشرك الناقض للإسلام أو الشرك الخفي الذي هو النظر إلى الأسباب المعتادة فإن الله قد عذبهم بالاعتماد عليها لأنها معرضة للفقد، ففي

حال وجودها يتعذبون بتوهم فقدها وبما ينقص منها، وإذا فقدوها تعذبوا بفقدها فهم معذبون على كل حال في وجود الأسباب وفقدها، وإذا لم يشركوا بالله شيئاً من الأسباب استراحوا ولم يبالوا بفقدها ولا بوجودها، فإن الذي اعتمدوا عليه وهو الله قادر على إتيان الأمور من حيث لا يحتسبون كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣] ولقد قال في ذلك بعضهم نظماً وهو: [المتقارب]

وَمَــنْ يَــتَّــقِ الله يَــجْــعَــلْ لــه كـمـا قـال مـن أَمْـرِهِ مَـخْـرَجَـا
ويَــرْزُقْــهُ مــن غــيــر حُــسْــبَــانِــهِ وإن ضَــاقَ أَمْــرٌ بــه فَــرَجَــا

فمن علامة التحقق بالتقوى أن يأتي رزقه من حيث لا يحتسب، وإذا أتاه من حيث يحتسب فما تحقق بالتقوى ولا اعتمد على الله، فإن معنى التقوى في بعض وجوهه أن تتخذ الله وقاية من تأثير الأسباب في قلبك باعتمادك عليها والإنسان أبصر بنفسه وهو يعلم من نفسه بمن هو أوثق وبما تسكن إليه نفسه ولا يقول: إن الله أمرني بالسعي على العيال وأوجب عليّ النفقة عليهم فلا بدّ من الكدّ في الأسباب التي جرت العادة أن يرزقهم الله عندها، فهذا لا يناقض ما قلناه، فنحن إنما نهيناك عن الاعتماد عليها بقلبك والسكون عندها ما قلنا لك لا تعمل بها، ولقد نمت عند تقييدي هذا الوجه ثم رجعت إلى نفسي وأنا أنشد بيتين لم أكن أعرفهما قبل ذلك وهما: [السريع]

لا تَــعْــتَــمِــدْ إلاَّ عــلــى الــلَّــهِ فــكُــلُّ أَمْــرٍ بــيَــدِ الــلَّــهِ
وهــذه الأســبــابُ حِــجَــابُــهُ فــلا تَــكُــنْ إلاَّ مــع الــلَّــهِ

فانظر في نفسك فإن وجدت أن القلب سكن إليها فاتهم إيمانك واعلم أنك لست ذلك الرجل، وإن وجدت قلبك ساكناً مع الله واستوى عندك حالة فقد السبب المعين وحالة وجوده ولكن مع الفقد يكون ذلك فاعلم أنك ذلك الرجل الذي آمن ولم يشرك بالله شيئاً وإنك من القليل فإن رزقك من حيث لا تحتسب، فذلك بشرى من الله أنك من المتقين، ومن سر هذه الآية أن الله وإن رزقك من السبب المعتاد الذي في خزانتك وتحت حكمك وتصريفك وأنت متق أي قد اتخذت الله وقاية فإنه الواقي إنك مرزوق من حيث لا تحتسب، فإنه ليس في حسبانك أن الله يرزقك، ولا بدّ ممّا بيدك ومن الحاصل عندك، فما رزقك إلاَّ من حيث لا تحتسب، وإن أكلت وارتزقت من ذلك الذي بيدك فاعلم ذلك فإنه معنى دقيق، ولا يشعر به إلاَّ أهل المراقبة الإلهية الذين يراقبون بواطنهم وقلوبهم، فإن الوقاية ليست إلاَّ لله تمنع العبد من أن يصل إلى الأسباب بحكم الاعتماد عليها لاعتماده على الله عزّ وجلّ، وهذا هو معنى قوله: ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢] فهذا مخرج التقوى في هذه الآية وهي وصية الله عبده وإعلامه بما هو الأمر عليه.

وصية: احذر يا وليّ أن تريد علواً في الأرض والزم الخمول، وإن أعلى الله كلمتك فما أعلى إلاَّ الحق، وإن رزقك الرفعة في قلوب الخلق فذلك إليه عزّ وجلّ، والذي يلزمك التواضع والذلّة والانكسار فإنه إنما أنشأك من الأرض فلا تعلو عليها فإنها أمك، ومن تكبرّ

على أمّه فقد عقها وعقوق الوالدين حرام، ثم إنه قد ورد في الحديث أن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلاّ وضعه، فإن كنت أنت ذلك الشيء فانتظر وضع الله إياك، وما أخاف على من هذه صفته إلاّ أن الله تعالىٰ إذا وضعه يضعه في النار، وذلك إذا رفع ذلك الشيء نفسه لا إذا رفعه الله فذلك ليس إليه إلاّ أنه لا بدّ أن يراقب الله فيما أعطاه من الرفعة في الأرض بولاية وتقدم يخدم من أجله ويغشى بابه ويلزم ركابه فلا يبرح ناظراً في عبوديته وأصله فإنه خلق من ضعف ومن أصل موصوف بأنه ذلول، ويعلم أن تلك الرفعة إنما هي للرتبة والمنصب لا لذاته، فإنه إذا عزل عنها لم يبق له ذلك الوزن الذي كان يتخيله وينتقل ذلك إلى من أقامه الله في تلك المنزلة فالعلوّ للمنزلة لا لذاته، فمن أراد العلوّ في الأرض فقد أراد الولاية فيها وقد قال رسول الله ﷺ في الولاية: «**إِنَّهَا يَوْمَ القِيامَةِ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ**» فلا تكن من الجاهلين، فالذي أوصيك به أنك لا تريد علوّاً في الأرض، وإن أعطاك الله لا تطلب أنت من الله إلاّ أن تكون في نفسك صاحب ذلّة ومسكنة وخشوع فإنك لن تحصل ذلك إلاّ أن يكون الحق مشهوداً لك، وليس مدار الخلق والأكابر إلاّ على أن يحصل لهم مقام الشهود فإنه الوجود المطلوب.

وصية: وعليك بالاغتسال في كل يوم جمعة واجعله قبل رواحك إلى صلاة الجمعة، وإذا اغتسلت فانو فيه أنك تؤدّي واجباً فإنه قد ورد في الصحيح: «**إِنَّ غُسْلَ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**» وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ**» فيجمع بين الحديثين بغسل الجمعة وذلك أن الله خلق سبعة أيام وهي أيام الجمعة فإذا انقضت جمعة دارت الأيام فهي الجديدة الدائرة فلا تنصرف عنك دورة إلاّ عن طهارة تحدثها فيها إكراماً لذاتها وتقديساً وتنظيفاً، كما جاء في السواك: «**إِنَّهُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**» وكذلك الغسل في الأسبوع مطهرة للبدن ومرضاة للرب أي أن العبد فعل فعلاً يرضي الله به من حيث أن الله أمره بذلك فامتثل أمره.

وصية: إياك والمراء في شيء من الدين وهو الجدال فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن تكون محقاً أو مبطلاً كما يفعل فقهاء زماننا اليوم في مجالس مناظراتهم ينوون في ذلك تلقيح خواطرهم، فقد يلتزم المناظر في ذلك مذهباً لا يعتقده وقولاً لا يرتضيه وهو يجادل به صاحب الحق الذي يعتقد فيه أنه حق ثم تخدعه النفس في ذلك بأن تقول له: إنما تفعل ذلك لتلقيح الخاطر لا لإقامة الباطل، وما علم أن الله عند لسان كل قائل، وأن العامي إذا سمع مقالته بالباطل وظهوره على صاحب الحق وهو عنده أنه فقيه عمل العامي المقلد على ذلك الباطل لما رأى من ظهوره على صفة الحق وعجز صاحب الحق عن مقاومته فلا يزال الإثم يتعلق به ما دام هذا السامع يعمل بما سمع منه، ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ الثابت أنه قال: «**أنا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقاً وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً**» ومنه المراء في الباطل، وكان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلاّ حقاً.

وصية: وعليك بحسن الأخلاق وإتيان مكارمها وتجنب سفسافها فإن النبي ﷺ يقول: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**» وأنه ﷺ قد ضمن بيتاً في أعلى الجنة لمن حسن خلقه. ولما كانت الأخلاق الحسنة عبارة عن أن نفعل مع المتخلق معه الذي يصرف أخلاقه معه في معاملته إياه، وعلمنا أن أغراض الخلق متقابلة، وأنه إن أرضى زيداً أسخط عدوّه عمراً ولا بدّ من ذلك، فمن المحال أن يقوم في خلق كريم يرضي جميع الخلائق، ولما رأينا أن الأمر على هذا الحد وأدخل الله نفسه مع عباده في الصحبة كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لربه: «**أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ**» وقال: «**وهو معكم أينما كنتم**» وقال: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وقال: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] قلنا: فلا نصرف مكارم الأخلاق إلاّ في صحبة الله خاصة، فكل ما يرضي الله نأتيه وكل ما لا يرضيه نجتنبه، وسواء كانت المعاملة والخلق ممّا يخصّ جانب الحق أو تتعدى إلى الغير، وأنها إن تعدّت إلى الغير فإنها ممّا يرضي الله، وسواء عندك سخط ذلك الغير أو رضي، فإنه إن كان مؤمناً رضي بما يرضي الله وإن كان عدوّ الله فلا اعتبار له عندنا فإن الله يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١] فحسن الخلق إنما هو فيما يرضي الله فلا تصرفه إلاّ مع الله سواء كان ذلك في الخلق أو فيما يختص بجناب الله، فمن راعى جناب الله انتفع به جميع المؤمنين وأهل الذمة، فإن لله حقاً على كل مؤمن في معاملة كل أحد من خلق الله على الإطلاق من كل صنف من ملك وجان وإنسان وحيوان ونبات وجماد ومؤمن وغير مؤمن، وقد ذكرنا ذلك في رسالة الأخلاق لنا كتبنا بها إلى بعض إخواننا سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وهي جزء لطيف غريب في معناه فيه معاملة جميع الخلق بالخلق الحسن الذي يليق به، وحسن الخلق بحسب أحوال من تصرفها فيه ومعه هذا أمر عام والتفصيل فيه لك بالواقع فانظر فيه فإنه أكثر من أن تحصى آحاده لما في ذلك من التطويل والله الموفق لا رب غيره. وكذلك تجنب سفساف الأخلاق ولا تعرف مكارم الأخلاق من سفسافها إلاّ حتى تعرف مصارفها، فإذا علمت مصارفها علمت مكارمها وسفسافها وهو علم خفي شريف، فلا يفوتنك علم مصارف الأخلاق فإن ذلك يختلف باختلاف الوجوه.

وصية: وعليك بالهجرة ولا تقم بين أظهر الكفار فإن في ذلك إهانة دين الإسلام وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله، فإن الله ما أمر بالقتال إلاّ لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وإياك والإقامة أو الدخول تحت ذمّة كافر ما استطعت. واعلم أن المقيم بين أظهر الكفار مع تمكنه من الخروج من بين ظهرانيهم لا حظ له في الإسلام، فإن النبي ﷺ قد تبرأ منه ولا يتبرأ رسول الله ﷺ من مسلم، وقد ثبت عنه أنه ﷺ قال: «**أنا بَرِيءٌ مِنْ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ المُشْرِكِينَ**» فما اعتبر له كلمة الإسلام. وقال الله تعالىٰ فيمن مات وهو بين أظهر المشركين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧] قال الله لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ

مَصِيرًا﴾ ولهذا حجرنا في هذا الزمان على الناس زيارة بيت المقدس والإقامة فيه لكونه بيد الكفار، فالولاية لهم والتحكم في المسلمين والمسلمون معهم على أسوأ حال نعوذ بالله من تحكم الأهواء، فالزائرون اليوم البيت المقدس والمقيمون فيه من المسلمين هم من الذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] وكذلك فلتهاجر عن كل خلق مذموم شرعاً قد ذمّه الحق في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

وصية: وعليك باستعمال العلم في جميع حركاتك وسكناتك، فإن السخي الكامل السخاء من يسخى بنفسه على العلم، فكان بحكم ما شرع الله له فعلم وعمل وعلم من لم يعلم، وقد أثنى رسول الله ﷺ على من قبل العلم وعمل به وعلمه وذمّ نقيض ذلك فثبت عنه ﷺ أنه قال: «**مَثَلُ ما بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيثٍ أَصابَ أَرْضاً فَكانَتْ مِنهَا طَائِفَةٌ قَبلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ الله بِهِ النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصابَ مِنهَا طَائِفَةً إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءَ وَلا تُنْبِتُ كَلأً، وَكَذَلِكَ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ الله وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ فَعَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بذَلِكَ رأساً مَثَلُ القِيعَانُ الَّتِي لَمْ تُمْسِكْ مَاءَ وَلا أَنْبَتَتْ كَلأً**» فكن يا أخي ممّن علم وعمل وعلم، ولا تكن ممّن علم وترك العمل فيكون كالسراج أو كالشمعة تضيء للناس وتحرق نفسك، فإنك إذا عملت بما علمت جعل الله لك فرقاناً ونوراً وورثك ذلك العمل علماً آخر لم تكن تعلمه من العلم بالله وبما لك فيه منفعة عند الله في آخرتك، فاجهد أن تكون من العلماء العاملين المرشدين.

وصية: وعليك بالتودّد لعباد الله من المؤمنين بإفشاء السلام وإطعام الطعام والسعي في قضاء حوائجهم. واعلم أن المؤمنين أجمعهم جسد واحد كإنسان واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى، كذلك المؤمن إذا أصيب أخوه المؤمن بمصيبة فكأنه هو الذي أصيب بها فيتألم لتألمه، ومتى لم يفعل ذلك المؤمن مع المؤمنين فما ثبتت أخوة الإيمان بينه وبينهم، فإن الله قد واخى بين المؤمنين كما واخى بين أعضاء جسد الإنسان، وبهذا وقع المثل من النبيّ ﷺ في الحديث الثابت وهو قوله ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى مِنهُ عُضوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ**». واعلم أن المؤمن كثير بأخيه، وأن المؤمن لما كان من أسماء الله مع ما ينضاف إلى ذلك من خلقه على الصورة ثبت النسب، والمؤمن أخو المؤمن لا يسلمه ولا يخذله، فمن كان مؤمناً بالله من حيث ما هو الله مؤمن فإنه يصدقه في فعله وقوله وحاله وهذه هي العصمة، فإن الله من كونه مؤمناً يصدقه في ذلك ولا يصدق الله إلاّ الصادق فإن تصديق الكاذب على الله محال فإن الكذب عليه محال وتصديق الكاذب كذب بلا شك، فمن ثبت إيمانه بالله من كون الله مؤمناً فإن هذا العبد لا شك أنه من الصادقين في جميع أموره مع الله لأنه مؤمن بالله مؤمن به أيضاً، فتنبه لما دللتك عليه ووصيتك به في الإيمان بالله من كونه مؤمناً تنتفع، فإني قد أريتك الطريق الموصل إلى نيل ذلك، واعتصم بالله ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١] فإن الله على صراط مستقيم وليس إلاّ ما شرعه لعباده.

وصية: لا تكترث لما يصيبك الله به من الرزايا في مالك ومن يعزّ عليك من أهلك ممّا يسمّى في العرف رزية ومصاباً وقل: إنا لله وإنا إليه راجعون عند نزولها بك، وقل فيها كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أصابتني من مصيبة إلاّ رأيت أن لله عليّ فيها ثلاث نعم: النعمة الواحدة حيث لم تكن المصيبة في ديني، والنعمة الثابتة حيث لم يكن ما هو أكبر منها فدفع الله بها ما هو أعظم منها، والنعمة الثالثة ما جعل الله فيها من الأمر بالكفارة لما كنا نتوقاه من سيئات أعمالنا. واعلم أن المؤمن في الدنيا كثير الرزايا لأن الله يحب أن يطهره حتى ينقلب إليه طاهراً مطهراً من دنس المخالفات التي كتب الله عليه في الدنيا أن يقام فيها، فلا يزال المؤمن مرزأً في عموم أحواله، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك: «**مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ الخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ تَصْرَعُهَا الرِّيحُ مَرَّةً وَتُعَادِلُهَا أُخرَى حَتَّى تَهِيجَ**».

وصية: عليك بتلاوة القرآن وتدبره، وانظر في تلاوتك إلى ما حمد فيه من النعوت والصفات التي وصف الله بها من أحبه من عباده فاتصف بها، وما ذمّ الله في القرآن من النعوت والصفات التي اتصف بها من مقته الله فاجتنبها، فإن الله ما ذكرها لك وأنزلها في كتابه عليك وعرفك بها إلاّ لتعمل بذلك، فإذا قرأت القرآن تكن أنت القرآن لما في القرآن، واجتهد أن تحفظه بالعمل كما حفظته بالتلاوة فإنه لا أحد أشدّ عذاباً يوم القيامة من شخص حفظ آية ثم نسيها، كذلك من حفظ آية ثم ترك العمل بها كانت عليه شاهدة يوم القيامة وحسرة، وإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ في أحوال من يقرأ القرآن ومن لا يقرؤه من مؤمن ومنافق فقال ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذي يَقرأُ القُرْآنَ مَثَلُ الأتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ**» يعني بها التلاوة والقراءة فإنها أنفاس تخرج، فشبهها بالروائح التي تعطيها الأنفاس وطعمها طيب يعني به الإيمان ولذلك قال: «**ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبّاً وَبالإسْلامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبيّاً**» فنسب الطعم للإيمان ثم قال: «**وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذي لا يَقرأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الثَّمرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ**» مِنْ حَيْثُ إنَّهُ مؤمن ذو إيمان «**ولاَ رِيحَ لَهَا**» من حيث إنه غير تال في الحال التي لا يكون فيها تالياً وإن كان من حفاظ القرآن. ثم قال: «**وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذي يَقرأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ**» لأن القرآن طيب وليس سوى أنفاس التالي والقارىء في وقت تلاوته وحال قراءته «**وَطَعْمُهَا مُرٌّ**» لأن النفاق كفر الباطن لأن الحلاوة للإيمان لأنها مستلذة. ثم قال: «**وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذي لا يَقرأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلا رِيحَ لَهَا**» لأنه غير قارىء في الحال. وعلى هذا المساق كل كلام طيب فيه رضى الله صورته من المؤمن والمنافق صورة القرآن في التمثيل غير أن القرآن منزلته لا تخفى، فإن كلام الله لا يضاهيه شيء من كل كلام مقرب إلى الله فينبغي للذاكر إذا ذكر الله متى ذكره أن يحضر في ذكره ذلك ذكراً من الأذكار الواردة في القرآن، فيذكر الله به ليكون قارئاً في الذكر، وإذا كان قارئاً فيكون حاكياً للذكر الذي ذكر الله به نفسه، وإذا كان كذلك فقد أنزل نفسه فيه منزلة ربه منه وهو قوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وقوله: إن الله قال على لسان عبده: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» ويقال للقارىء يوم القيامة: اقرأ وارق ورقيه في الدنيا في أيام التكليف في قراءته أن يرقى من تلاوته إلى تلاوته بأن يكون الحق هو الذي يتلو

على لسان عبده كما يكون سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويديه اللتين بهما يبطش ورجليه اللتين بهما يسعى، كذلك هو لسانه الذي به ينطق ويتكلم، فلا يحمد الله ولا يسبحه ولا يهلله إلاّ بما ورد في القرآن عن استحضار منه، لذلك فيرقى من قراءته بنفسه إلى قراءته بربه، فيكون الحق هو الذي يتلو كتابه فيرتفع يوم القيامة في الآية التي ينتهي إليها في قراءته ويقف عندها إلى الدرجة التي تليق بتلك الآية التي يكون الحق هو التالي لها بلسان هذا العبد عن حضور من العبد التالي لذلك، فإن أفضل الكلام كلام الله الخاص المعروف في العرف.

وصية: وعليك بمجالسة من تنتفع بمجالسته في دينك من علم تشهده منه أو عمل يكون فيه أو خلق حسن يكون عليه، فإن الإنسان إذا جالس من تذكره مجالسته الآخرة فلا بدّ أن يتحلى منها بقدر ما يوفقه الله لذلك، وإذا كان الجليس له هذا التعدي فاتخذ الله جليساً بالذكر والذكر القرآن وهو أعظم الذكر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] يعني القرآن، وقال: «**أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي**» وقال ﷺ: «**أَهْلُ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ**» وخاصة الملك جلساؤه في أغلب أحوالهم والله له الأخلاق وهي الأسماء الحسنى الإلهية، فمن كان الحق جليسه فهو أنيسه، فلا بدّ أن ينال من مكارم أخلاقه على قدر مدة مجالسته، ومن جلس إلى قوم يذكرون الله فإنّ الله يدخله معهم في رحمته، فهم القوم الذين لا يشقى جليسهم فكيف يشقى من كان الحق جليسه؟ وقد ورد في الحديث الثابت: «**إِنَّ الجَلِيسَ الصَّالِحَ كَصَاحِبِ المِسْكِ إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْهُ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَالجَلِيسُ السُّوء كَصَاحِبِ الكِيرِ إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْ شَرَرِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ**» وهو أنه من خالط أصحاب الريب ارتيب فيه، وذلك لما غلب على الناس من سوء الظن بالناس لخبث بواطنهم.

وهنا فائدة أنبهك عليها أغفلها الناس وهي تدعو إلى حسن الظن بالناس ليكون محلك طاهراً من السوء، وذلك أنك إذا رأيت من يعاشر الأشرار وهو خير عندك فلا تسيء الظن به لصحبته الأشرار بل حسن الظن بالأشرار لصحبتهم ذلك الخير، واجعل المناسبة في الخير لا في الشرّ فإن الله ما سأل أحداً قط يوم القيامة عن حسن الظن بالخلق ويسأله عن سوء الظن بالخلق، ويكفيك هذا نصحاً إن قبلت ووصية إن قلت بها، والذاكر ربه حياته متصلة دائماً لا تنقطع إلاّ بالموت فهو حيّ وإن مات بحياة هي خير وأتم من حياة المقتول في سبيل الله إلاّ أن يكون المقتول في سبيل الله من الذاكرين فهي حياة الشهيد وحياة الذاكر، فالذاكر حيّ وإن مات، والذي لا يذكر الله ميت وإن كان في الدنيا من الأحياء فإنه حيّ بالحياة الحيوانية وجميع العالم حيّ بحياة الذكر، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت كذا مثله رسول الله ﷺ، وأما ما ادّعيته أن الذاكر أفضل من الشهيد الذي لا يذكر الله فلما صحّ عن رسول الله ﷺ في قوله: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ**» أَوْ كَمَا قَالَ «**بِخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَيَضْرِبُ رِقَابَكُمْ وَتَضْرِبُونَ رِقَابَهُمْ؟ ذِكْرُ الله**» فذكر ضرب الرقاب وهو الشهادة وذكر العبد ربه أفضل من قتل الشهيد، وثبت عنه أن الذاكر حيّ فخرج من ذلك أن حياة الذاكر خير من حياة الشهيد إذاءَ لم يكن ذاكراً ربه عزّ وجلّ.

وصية: وعليك بإقامة حدود الله في نفسك وفيمن تملكه فإنك مسؤول من الله عن ذلك، فإن كنت ذا سلطان تعين عليك إقامة حدود الله فيمن ولاّك الله عليه: «**فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» وليس سوى إقامة حدود الله فيهم، وأقل الولايات ولايتك على نفسك وجوارحك فأقم فيها حدود الله إلى الخلافة الكبرى فإنك نائب الله على كل حال في نفسك فما فوقها، وقد ورد الحديث الثابت في الذي يقيم حدود الله والواقع فيها؛ فمثلهما رسول الله ﷺ بقوم استهموا على سفينته فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين أسفلها إذا استقوا مَرُّوا على مَنْ فوقهم فقالوا: إنا نَخْرِقُ فِي نصيبنا لا نؤذي مَنْ فوقنا فإن تَرَكُوهُمْ وما أرادوا هَلَكُوا جَمِيعاً. فإذا خطر لك يا وليي خاطر يأمرك بالخير فذلك لمة الملك ثم يأتي بعد ذلك خاطر ينهاك عن ذلك الخير أن تفعله فذلك لمة الشيطان، ولا تعرف الخير والشر إلاّ بتعريف الشرع، وإذا خطر لك خاطر يأمرك بفعل الشرّ فذلك لمة الشيطان، فإذا أعقبه خاطر ينهاك عن فعل ذلك الشرّ فذلك لمة الملك، وأنت السفينة إن انخرقت هلكت وهلك جميع من فيك، فعليك بعلم الشريعة فإنك لن تعلم حدود الله حتى تقوم بها أو تعرف من يقع فيها ممّن قام بها إلاّ أن تعلم علم الشريعة فيتعين عليك طلب علم الشريعة لإقامة حدود الله.

وصية: وعليك بالصدقة فإن الله قد ذكر المتصدقين والمتصدقات وهي فرض ونفل، فالفرض منها يسمّى زكاة والنفل منها يسمّى تطوّعاً، وبالفرض منها يزول عنك اسم البخل، وبصدقة التطوّع منها تنال الدرجات العلى، وتتصف بصفة الكرم والجود والإيثار والسخاء، وإياك والبخل، ثم إنه عليك في مالك حق زائد على الزكاة المفروضة وهو إذا رأيت أخاك المؤمن على حالة الهلاك بحيث إنك إذا لم تعطه من فضل مالك شيئاً هلك هو وعائلته إن كانت له عائلة، فيتعين عليك أن تواسيه إما بالهبة أو بالقرض فلا بدّ من العطاء وذلك العطاء صدقة، حتى أني سمعت بعض علمائنا بإشبيلية يقول في حديث: هل عليّ غيرها؟ يعني في الزكاة المفروضة، قال: لا إلاّ أن تطوّع، قال لي ذلك الفقيه فيجب عليك فاستحسنت ذلك منه رحمه الله، وإنما سمّى الله الإنسان متصدقاً وسمّى ذلك العطاء صدقة فرضاً كان أو نفلاً، لأنه أعطى ذلك عن شدّة لكونه مجبولاً على البخل فإن الله يقول فيه: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢١] فقال ﷺ في فضل الصدقة وزمانها: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخَافُ الفَقْرَ وَتَأْمَلُ الحَيَاةَ وَالغِنَى**» يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] أي الناجون لأن الإنسان إذا كان له مال ويأمل الحياة فإنه يخاف أن يفتقر ويذهب ما بيده من المال بطول حياته لنوائب الزمان وأمله بطول حياته، فيؤديه ذلك إلى البخل بما عنده من المال والإمساك عن الصدقة والتوسعة على المحتاجين ممّا آتاه الله من الخير، فهو يكنزه ولا ينفقه ولا يؤدي زكاته حتى يكوى به جنبه وجبينه وظهره كما قال تعالىٰ فيهم: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥] فلهذا العطاء عن شدة سميت صدقة، يقال: رمح صدق أي صلب، وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً في البخيل والمتصدق فقال ﷺ: «**مَثَلُ البَخِيلِ**

وَالمُتَصدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَين عَلَيهِمَا جُبَّتَانِ مِن حَدِيدٍ قَدِ اضطُرَّتْ أَيدِيهِمَا إلى تَرَاقِيهِمَا فَجَعَلَ المُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انبَسطَتْ عَلَيهِ حَتَّى تجنَّ ثِيَابَهُ وَتَعفُو أَثَرَهُ وَجَعَلَ البَخِيلُ كُلَّما هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا» فإياك والبخل فإنه يرديك ويوردك الموارد المهلكة في الدنيا والآخرة، ولا يجعلك تتكرّم وتتصدّق إلاّ استعمال العلم، فإنك إذا علمت أن رزقك لا يأكله ولا يقتات به ولا يحيى به غيرك، ولو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يحولوا بينك وبين رزقك ما أطاقوا، وإذا علمت أن رزق غيرك فيما أنت مالكه لا بدّ أن يصل إليه حتى يتغذى به ويحيى، وأن أهل السموات والأرض لو اجتمعوا على أن يحولوا بينه وبين رزقه الذي هو في ملكك ما أطاقوا، فادفع إليه ماله إذا خطر لك خاطر الصدقة تتصف بالكرم والثناء الجميل، وأنت ما أعطيته إلاّ ما هو له بحق في نفس الأمر عند الله وأنت محمود، فإذا علمت هذا هان عليك إخراج ما بيدك ولحقت بأهل الكرم وكتبت في المتصدقين، إن أخرجت ذلك عن تردّدٍ ومكابدة واتبعته نفسك ورأيت بذلك أن لك فضلاً على من أوصلته تلك الراحة فإياك أن تجهل على أحد كما تحبّ أن لا يجهل عليك، وقد كان رسول الله ﷺ يقول في تعوّذاته: «**وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**» فمن حكم فيك بالعلم فقد أنصفك.

وصية: وعليك بالجهاد الأكبر وهو جهادك هواك فإنه أكبر أعدائك، وهو أقرب الأعداء إليك الذين يلونك فإنه بين جنبيك والله يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] ولا أكفر عندك من نفسك فإنها في كل نفس تكفر نعمة الله عليها من بعد ما جاءتها، فإنك إذا جاهدت نفسك هذا الجهاد خلص لك الجهاد الآخر في الأعداء الذي إن قتلت فيه كنت من الشهداء الأحياء الذين عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله مستبشرين بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، وقد علمت فضل المجاهد في سبيل الله في حال جهاده حتى يرجع إلى أهله بما اكتسبه من أجر أو غنيمة إنه كالصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا من صيام حتى يرجع المجاهد، وقد علمت بالحديث الصحيح أن الصوم لا مثل له وقد قام الجهاد مقامه ومقام الصلاة، وثبت هذا عن رسول الله ﷺ وهذا في الجهاد الذي فرضه الله تعالى المعين ويعصي الإنسان بتركه لا بدّ من ذلك، ولا يزال العبد العالم الناصح نفسه المستبرىء لدينه في جهاد أبداً لأنه مجبول على خلاف ما دعاه إليه الحق، فإنه بالأصالة متبع هواه الذي هو بمنزلة الإرادة في حق الحق، فيفعل الحق ما يريده فإننا كلنا عبيده، ولا تحجير عليه، ويريد الإنسان أن يفعل ما يهوى وعليه التحجير فما هو مطلق الإرادة، فهذا هو السبب الموجب في كونه لا يزال مجاهداً أبداً، ولذلك طلب أصحاب الهمم أن يلحقوا بدرجات العارفين بالله حتى تكون إرادتهم إرادة الحق أي يريدون جميع ما يريده الحق وهو ما هم الخلق عليه فيريدونه من حيث إن الله أراد إيجاده، ويكرهون منه بكراهة الحق ما كرهه الحق ووصف نفسه بأنه لا يرضاه، فهو يريد ولا يرضاه، ويريده ويكرهه في عين إرادته إن أراد أن يكون مؤمناً وإن لم يكن كذلك، وإلاّ فقد انسلخ من الإيمان نعوذ بالله من ذلك فإنه غاية الحرمان، وهذا هو الحق الممقوت كما نقول في الغيبة أنها الحق المنهي عنه.

وصية: وعليك بإسباغ الوضوء على المكاره وذلك في زمان البرد، واحذر من الالتذاذ باستعمال الماء البارد في زمان الحرّ فتسبغ الوضوء لالتذاذك به في زمان الحرّ، فتتخيل أنك ممّن أسبغ الوضوء عبادة وأنت ما أسبغته إلاّ لوجود الالتذاذ به لما أعطاه الحال والزمان من شدّة الحرّ، فإذا أسبغته في شدّة البرد صار لك عادة. وقال رسول الله ﷺ: «**الخَيْرُ عَادَةٌ**» فاصحب تلك النية في زمان الحرّ فإن غلبتك النفس على الإسباغ بما تجده من اللذة المحسوسة في ذلك فاعلم أن الإلتذاذ هنا إنما وقع بدفع ألم الحرّ وإزالته، فانو في ذلك دفع الألم عن نفسك، ألا ترى قاتل نفسه كيف حرّم الله عليه الجنة؟ فحق النفس على صاحبها أعظم من حق الغير عليه، فكذلك يؤجر في دفع الألم عن نفسه، وأن الله يرفع بإسباغ الوضوء على المكاره درجة العبد ويمحو الله به الخطايا، قال ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يَمْحُو الله بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ**» فهذا محو الخطايا فإنه تنظيف وتطهير. ثم قال: «**وَكَثْرَةُ الخُطَا إلى المَسَاجِدِ**» فإنه سلوك في صعود ومشي. ثم قال تمام الحديث وهو: «**وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**» والرباط الملازمة من ربطت الشيء وبالانتظار قد ألزم نفسه، فربط الصلاة بالصلاة المنتظرة بمراقبة دخول وقتها ليؤدّيها في وقتها، وأي لزوم أعظم من هذا؟ فإنه يوم واحد مقسم على خمس صلوات ما منها صلاة يؤدّيها فيفرغ منها إلاّ وقد ألزم نفسه مراقبة دخول وقت الأخرى إلى أن يفرغ اليوم ويأتي يوم آخر فلا يزال كذلك فما ثم زمان لا يكون فيه مراقباً لوقت أداء صلاة لذلك آكده بقوله ثلاث مرات. فانظر إلى علم رسول الله ﷺ بالأمور حتى أنزل كل عمل في الدنيا منزلته في الآخرة وعين حكمه وأعطاه حقه، فذكر وضوء ومشياً وانتظاراً، وذكر محواً ورفع درجة ورباطاً ثلاث لثلاث، هذا يدلك على شهوده مواضع الحكم، ومن هنا وأمثاله قال عن نفسه: «أنه أوتي جَوَامِعَ الكَلِمِ».

وصية: وعليك بمراعاة كل مسلم من حيث هو مسلم، وساو بينهم كما سوّى الإسلام بينهم في أعيانهم، ولا تقل هذا ذو سلطان وجاه ومال وكبير وهذا صغير وفقير وحقير، ولا تحقر صغيراً ولا كبيراً في ذمته، واجعل الإسلام كله كالشخص الواحد والمسلمين كالأعضاء لذلك الشخص، وكذلك هو الأمر، فإن الإسلام ماله وجود إلاّ بالمسلمين، كما أن الإنسان ماله وجود إلاّ بأعضائه وجميع قواه الظاهرة والباطنة، وهذا الذي ذكرناه هو الذي راعاه رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه من قوله في ذلك: «**المُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ**» وقال: «**المُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إن اشْتَكَى عَيْنَهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسَهُ اشْتَكَى كُلُّهُ**» ومع هذا التمثيل فأنزل كل واحد منزلته كما أنك تعامل كل عضو منك بما يليق به وما خلق له، فتغض بصرك عن أمر لا يعطيه السمع، وتفتح سمعك لشيء لا يعطيه للبصر، وتصرف يدك في أمر لا يكون لرجلك وهكذا جميع قواك، فتنزل كل عضو منك فيما خلق له كذلك، وإن اشترك المسلمون في الإسلام وساويت بينهم فاعط العالم حقّه من التعظيم والإصغاء إلى ما يأتي به، واعط الجاهل حقّه من تذكيرك إياه وتنبيهه على طلب

العلم والسعادة، واعط الغافل حقه بأن توقظه من نوم غفلته بالتذكر لما غفل عنه ممّا هو عالم به غير مستعمل علمه وكذلك الطائع والمخالف، واعط السلطان حقه من السمع والطاعة فيما هو مباح لك فعله وتركه، فيجب عليك بأمره ونهيه أن تسمع له وتطيع، فيعود لأمر السلطان ونهيه ما كان مباحاً قبل ذلك واجباً أو محظوراً بالحكم المشروع من الله في قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] واعط الصغير حقّه من الرفق به والرحمة له والشفقة عليه، واعط الكبير حقه من الشرف والتوقير فإنّ من السنّة رحمة الصغير وتوقير الكبير ومعرفة شرفه، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَيسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنا وَيَعرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا**» وفي حديث: «**وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**» وعليك برحمة الخلق أجمع ومراعاتهم كانوا ما كانوا فإنهم عبيد الله وإن عصوا. وخلق الله وإن فضل بعضهم بعضاً فإنك إذا فعلت ذلك أو جرت فإنه ﷺ قد ذكر أنه في كل ذي كبد رطبة أجر ألا ترى إلى الحديث الوارد في البغي أن بغياً من بغايا بني إسرائيل وهي الزانية مرّت على كلب قد خرج لسانه من العطش وهو على رأس بئر فلما نظرت إلى حاله نزعت خفها وملأته بالماء من البئر وسقت الكلب فشكر الله فعلها فغفر لها بكلب. وأخبرني الحسن الوجيه المدرس بملطية الفارسيّ عن والي ببخارى وكان ظالماً مسرفاً على نفسه فرأى كلباً أجرب في يوم شديد البرد وهو ينتفض من البرد فأمر بعض شاكريته فاحتمل الكلب إلى بيته وجعله في موضع حارّ وأطعمه وسقاه ودفي الكلب فرأى في النوم أو سمع هاتفاً الشك مني يقول له: يا فلان كنت كلباً فوهبناك لكلب فما بقي إلاّ أيام يسيرة ومات فكان له مشهد عظيم لشفقته على كلب وأين المسلم من الكلب؟ فافعل الخير ولا تبال فيمن تفعله تكن أنت أهلاً له، ولتأت كل صفة محمودة من حيث ما هي من مكارم الأخلاق تتحلى بها وكن محلاً لها لشرفها عند الله وثناء الحق عليها، فاطلب الفضائل لأعيانها، واجتنب الرذائل العرفية لأعيانها، واجعل الناس تبعاً لا تقف مع ذمّهم ولا حمدهم إلاّ أنك تقدّم الأولى فالأولى إن أردت أن تكون مع الحكماء المتأدبين بآداب الله التي شرعها للمؤمنين على ألسنة الرسل عليهم السلام.

واعلم أن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وما في العالم إلاّ مؤمن لأن ما في العالم إلاّ من هو ساجد لله إلاّ بعض الثقلين من الجنّ والإنس، فإن في الإنسان الواحد منهم كثيراً ممّن يسبح الله ويسجد لله وفيه من لا يسجد لله وهو الذي حق عليه العذاب، انظر في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦] فسمّاهم مؤمنين وأمرهم بالإيمان، فالأوّل عموم الإيمان فإن الله قال في حق قوم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [العنكبوت: ٥٢] والثاني خصوص الإيمان وهو المأمور به، والأوّل إقرار منهم من غير أن يقترن به تكليف بل ذلك عن علم، وأيسره في بني آدم حين أشهدهم على أنفسهم كما قال: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فخاطبهم بالمؤمنين حين أيه بهم، ثم أمرهم بالإيمان في هذه الحالة الأخرى وما تعرّض للتوحيد المطلق رحمة بهم فإنه القائل: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] الشرك

الخفيّ وقد ذكرناه فلذلك قال لهم: ﴿ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦] ولم يقل بتوحيد الله، فمن آمن بوجود الله فقد آمن، ومن آمن بتوحيده فما أشرك، فالإيمان إثبات والتوحيد نفي شريك، ومن أسماء الله المؤمن وهو يشدّ من المؤمن المخلوق، قال ﷺ: «**يَرْحَمُ اللهُ أَخِي لُوطاً لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**» وهو الاسم المؤمن، فالمؤمن يشدّ من المؤمن فافهم.

وصية: كن عمري الفعل فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: من خدعنا في الله انخدعنا له، فاحذر يا أخي إذا رأيت أحداً يخدعك في الله وأنت تعلم بخداعه إياك فمن كرم الأخلاق أن تنخدع له ولا توجده أنك عرفت بخداعه وتباله له حتى يغلب على ظنّه أنه قد أثر فيك بخداعه ولا يدري أنك تعلم بذلك، لأنك إذا أقمت في هذه الصفة فقد وفيت الأمر حقه، فإنك ما عاملت إلاّ الصفة التي ظهر لك بها، والإنسان إنما يعامل الناس لصفاتهم لا لأعيانهم، ألا تراه لو كان صادقاً غير مخادع لوجب عليك أن تعامله بما ظهر لك منه وهو ما يسعد إلاّ بصدقه كما أنه يشقى بخداعه ونفاقه فإن المخادع منافق، فلا تفضحه في خداعه وتجاهل له وانصنع له باللون الذي أراده منك أن تنصبغ له به، وادع له وارحمه عسى الله أن ينفعه بك ويجيب فيه صالح دعائك، فإنك إذا فعلت هذا كنت مؤمناً حقاً فإن المؤمن غر كريم لأن خلق الإيمان يعطي المعاملة بالظاهر، والمنافق خب لئيم أي لئيم على نفسه حيث لم يسلك بها طريق نجاتها وسعادتها، كن رداء وقميصاً لأخيك المؤمن وحطه من ورائه واحفظه في نفسه وعرضه وأهله وولده فإنك أخوه بنص الكتاب العزيز، واجعله مرآة ترى فيها نفسك، فكما تزيل عنك كل أذى تكشفه لك المرآة في وجهك كذلك فلتزل عن أخيك المؤمن كل أذى يتأذى به في نفسه فإن نفس الشيء وجهه وحقيقته.

وصية: واحفظ حق الجار والجوار وقدم الأقرب داراً إليك فالأقرب وتفقد جيرانك ممّا أنعم الله به عليك فإنك مسؤول عنهم وادفع عنهم ما يتضرّرون به كان الجيران ما كانوا، وما سميت جاراً له وجاراً لك إلاّ لميلك إليه بالإحسان وميله إليك ودفع الضرر مشتق من جار إذا مال فإن الجور الميل، فمن جعله من الجور الذي هو الميل إلى الباطل والظلم في العرف فهو كمن يسمّى اللديغ سليماً في النقيض، وفي هذا فغلبت حق الجوار كان الجار ما كان كأنه يقول، وإن كان الجار من أهل الجور أي الميل إلى الباطل بشرك أو كفر فلا يمنعنك ذلك منه عن مراعاة حقّه فكيف بالمؤمن؟ فحق الجار إنما هو على الجار، وأعجب ما رويته في ذلك عن بعض شيوخنا فذكر من مناقب بعض الأعراب أن جراداً نزل بفناء بيته فخرجت الأعراب إليه بالعدد ليقتلوه ويأكلوه فقال لهم صاحب البيت: ما تبتغون؟ فقالوا له: نبتغي قتل جارك يريدون الجراد فقال لهم: بعد أن سميتموه جاري فوالله لا أترك لكم سبيلاً إليه وجرّد سيفه يذب عنه مراعاة لحق الجوار. فهذا كما سئل مالك بن أنس عن أكل خنزير البحر فقال: هو حرام فقيل له: إنه سمك من حيوان البحر الذي أحلّ الله أكله لنا فقال لهم مالك: أنتم سميتموه خنزيراً ما قلتم ما تقول في سمك البحر فاهجر ما نهاك الله عنه وقد نهاك عن أذى الجار فاهجر أذاه ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا

يُلَقَّىٰهَآ ﴿٣٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ـ ٣٥] وفيما روينا من الأخبار في سبب نزول هذه الآية أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ من المشركين من فصحاء العرب وقد سمع أن الله قد أنزل عليه قرآناً عجز عن معارضته فصحاء العرب فقال له: يا رسول الله هل فيما أنزل عليك ربك مثل ما قلته؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**وما قلت؟**» فقال الأعرابي: قلت: [الطويل]

وحَيٍّ ذوي الأضْغان تَسْبي عُقُولَهُم ... تَحِيَّتُكَ القُرْبَى فقد ترفع النَّفَلْ
وإنْ جَهَرُوا بالقَوْل فاعْفُ تَكَرُّماً ... وإن سَتَرُوا عنك المَلامةَ لم تُبَلْ
فإن الذي يؤذيك منه استماعه ... وإن الذي قد قيل خَلْفَكَ لم يُقَلْ

فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ـ ٣٥] فقال الأعرابي: هذا والله هو السحر الحلال، والله ما تخيلت ولا كان في علمي أنه يزاد أو يؤتى بأحسن ممّا قلته، أشهد أنك رسول الله، والله ما خرج هذا إلاَّ من ذي أل، فمثل هؤلاء عرفوا إعجاز القرآن، أترى يا وليي يكون هذا الأعرابي فيما وصف به نفسه بأكرم من الله في هذا الخلق في تحمّل الأذى وإظهار البشر والمخالفات عن العقوبة والعفو مع القدرة وتهوين ما يقبح على النفس والتغافل عمّن أراد التستر عنك بما يشينه لو ظهر به، بل والله أكرم منه وأكثر تجاوزاً وعفواً وحلماً وأصدق قيلاً، فإن هذا القول من العربي وإن كان حسناً فما يدرى عند وقوع الفعل ما يكون منه والحق صادق القول بالدليل العقليّ، فما يأمر بمكرمة إلاَّ وهي صفته التي يعامل بها عباده، ولا ينهى عن صفة مذمومة لئيمة إلاَّ وهو أنزه عنها، لا إله إلاَّ هو العزيز الحكيم الغفور الرحيم، انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فنصرة الظالم من حيث ما هو مظلوم، فإن الشيطان ظلمه بما وسوس إليه به في صدره من ظلم غيره فتنصره بأن تعينه على دفع ما ألقى الشيطان عنده من تزيينه ظلم الغير حتى سمّي بظالم، فما نصرته إلاَّ لكونه مظلوماً لمن وسوس في صدره وحال بينه وبين الهدى الذي هو له ملك فابتاعه منه الشيطان بالضلالة فاشترى الضلالة بالهدى فسمّي ظالماً، فإذا أبنت له أنت بنصحك وأفتيته أن هذا البيع مفسوخ لا يجوز شرعاً فلا ينعقد وإن صفقته خاسرة وتجارته بائرة فقد نصرته مع كونه ظالماً فرجع عن ظلمه وتاب وذلك هو فسخ البيع، يقول الله في مثل هؤلاء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] فإياك أن تخذل من استنصر بك وقد قال مع غناه عنك: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] فطلب منكم أن تنصروه وما هو إلاَّ هذا، ولا تظلمه فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، ومن كان سعيه في ظلمة لا يدري متى يقع في مهواه أو ما يؤذيه في طريقه من هوام يكون في أذاه هلاكه، وأوصيتك لا تحقر أحداً من خلق الله فإن الله ما احتقره حين خلقه: [البسيط]

لا تَحْقِرَنَّ عِبَادَ الله إنّ لهم ... قَدْراً ولو جُمِعَتْ لك المَقَامَاتُ

فلا يكون الله يظهر العناية بإيجاد من أوجده من عدم وتحقره أنت فإن في ذلك تسفيه

من أوجده واحتقاره نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين، فإن هذا من أكبر الكبائر، فالكل نعم الله يتغذى بها عباد الله كانوا ما كانوا، قال ﷺ: «**لا تَحْقِرَنَّ إحْدَاكُنَّ ما تُهْدِيهِ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ فَإنَّ الاحْتِقَارَ جَهْلٌ مَحْضٌ**» ولا تكن لعاناً ولا سباباً ولا سخاباً فإن لعن المؤمن مثل قتله سواء، لقي عيسىٰ عليه السلام خنزيراً فقال له: انج بسلام، فقيل له في ذلك فقال عليه السلام: «**ما أريد أن أعوِّدَ لساني إلاَّ قول الخير**»، كن حديثاً حسناً، وفي ذلك قلت: [الرمل]

إنـما الـناسُ حـديـثٌ كُـلُّـهُـم ... فـلـتـكُـنْ خَـيْـرَ حَـدِيـثٍ يُـسْـمَـعُ
وإذا شَـاكَـتْـكَ مـنـهـم شَـوْكَـةٌ ... فَـلْـتَـكُـنْ أقـوَى مِـجَـنٍّ يَـدْفَـعُ
وإذا مـا كـنـتَ فـيـهـم هـكـذا ... أنـت والله إمـامٌ يَـنْـفَـعُ
إنـما الـشـمـعـةُ تـؤذي نَـفْـسَـهـا ... وهـي لـلـنَّـاظِـرِ نُـورٌ يَـسْـطَـعُ
إنـما الـلُّـوْمُ الـذي تـعـرفُـهُ ... نـعـمـةٌ فـي يـد شَـخْـصٍ يَـمْـنَـعُ

وصية: إياك والخيلاء، وارفع ثوبك فوق كعبك أو إلى نصف ساقك، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أُزْرَةُ المُؤْمِنِ إلى نِصْفِ سَاقِهِ**» أو كما قال. ولعلي بن أبي طالب في ذلك: [المجتث]

تَـقْـصِـيـرُكَ الـثَّـوْبَ حَـقّـاً ... أنْـقَـى وأبْـقَـى وأتْـقَـى

فأما قوله أنقى فلارتفاعه عن القاذورات التي تكون في الطرق والنجاسات. وأما قوله أبقى فإن الثوب إذا طال حكّ في الأرض بالمشي فيسارع إليه التقطيع فيقل عمر الثوب فإنه يخلق بالعجلة إذا طال بما يصيب الأرض منه. وأما قوله أتقى فإنه مشروع أعني تقصير الثوب إلى نصف الساق، والمتقي من جعل الشرع له وقاية وجنة يتقي به ما يؤذيه من شياطين الإنس والجن وأن الله لا ينظر لمن يجر ثوبه خيلاء، وإياك أن تسأل الناس تكثراً وعندك ما يغنيك في حال سؤلك، فإن المسألة خدوش أو خموش في وجهك يوم القيامة، فإذا اضطررت ولم تقدر على شغل فسل قوتك ولا تتعداه إذا لم يرزقك الله يقيناً وثقة به وكفارة ذلك السؤال عدم تكثرك واقتصارك في المسألة على بلغة وقتك فإن مسألة المؤمن حرق النار، ومعنى ذلك أن المؤمن يجد عند سؤاله مخلوقاً مثله في دفع ضرورته مثل حرق النار في قلبه من الحياء في ذلك حيث لم ينزل مسألته ودفع ضرورته بربه الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو الذي يسخر له هذا المسؤول منه حتى يعطيه، ومن وجد ذلك تعزّزاً وتكبّراً حيث التجأ إلى مخلوق مثله فذلك من شرف همته من حيث لا يشعر، وشرف الهمة أحسن من دناءة الهمة فإن العبد يتعزز على عبد مثله، كما أن فخره وشرفه في فقره إلى سيده وسؤاله في دفع ضروراته وملماته وقضاء مهماته.

وصية: إذا رأيت أنصارياً أو أنصارية وإن كان عدواً لك فلتحبه الحب الشديد، واحذر أن تبغضه فتخرج من الإيمان، فإن النبي ﷺ لقي امرأة من الأنصار في طريقه فقال لها: «**إنَّكُمْ لَمِنْ أحَبِّ خَلْقِ الله إلَيَّ**» وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**آيَةُ الإيمانِ حُبُّ الأنْصارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأنْصَارِ**». واعلم أن كل من نصر دين الله في أي زمان كان فهو من الأنصار وهو

داخل في حكم هذا الحديث. واعلم أن الأنصار لدين الله رجلان: الواحد نصر دين الله ابتداء من نفسه من غير أن يعرف وجوب ذلك عليه، ورجل عرف نصرة الدين عليه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] فأمرهم بنصرة الله فأدّى واجباً في نصرته فله أجر النصرة وأجر أداء الواجب بما نواه من امتثال أمر الله في ذلك وتعين عليه. ولو كفاه غيره مؤنة ذلك فلا يتأخر عن أمر الله، ونصرة الله قد تكون بما يعطي من العلم المظهر للحق الدافع للباطل فهو جهاد معنوي محسوس فكونه معنوياً لأن الباطن يقبله فإن العلم متعلقه النفس، وأما كونه محسوساً فما يتعلق بذلك من العبارة عنه باللسان أو الكتابة فيحصل للسامع أو الناظر بطريق السمع من المتكلم أو بطريق النظر من الكتابة، وجهاد العدو نصرة محسوسة ما هي معنوية فإنه ما نال العدو من المقاتل له شيئاً في الباطن بردّه عن اعتقاده كما ناله من العالم إذا علمه وأصغى إليه ووفقه الله للقبول وفتح عين فهمه لما يورده عليه العالم في تعليمه وهي أعظم نصرة وهو أعظم أنصاري لله، يقول النبيّ ﷺ: «**لأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**» وقد طلعت الشمس على كل عالم عامل بخير فأنت خير منه إذا نصرت بتعليم العلم دين الله في نفس هذا المخاطب. وعليك بصدق الحديث وأداء الأمانة وصدق الوعد فاجتنب الكذب والخيانة وخلف الوعد، وإذا خاصمت أحداً فلا تفجر عليه فإن علامة المنافق وآيته إذا حدّث كذّب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر، وأعظم الخيانة أن تحدث أخاك بحديث يرى أنك صادق فيه وأنت على غير ذلك، وإن الإنسان إذا كذب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلاً من نتن ما جاء به، وكذلك الشيطان إذا أمر ابن آدم بالمعصية فعصى تبرأ منه الشيطان خوفاً من الله تعالىٰ، فاعمل على ذوق هذه الروائح المعنوية واستنشاقها، فإن له حجباً على أنفك تمنعك من إدراك أنتن ذلك، فلا يكن الشيطان مع كفره أدرك للأمور وأخوف من الله منك، واعتبر في تبريه من ذلك فإنها خميرة من الله في قلبه إلى زمان ما يظهر حكمها فيه مع كونه مجبولاً على الإغواء كما هو مجبول على التبري والخوف من الله، أخبر الله عنه أنه يقول للإنسان اكفر فإذا كفر يقول الشيطان: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] فما أخذ الشيطان قط بعلمه لشرف علمه وإنما يؤخذ لصدق الحق فيما قاله فيما شرعه فيمن سنّ سنّة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها، فالشيطان يوم القيامة يحمل أثقال غيره فإنه في كل إغواء يتوب عقيبه ثم يشرع في إغواء آخر فيؤخذ بعمل غيره لأنه من وسوسته، والإنسان الذي لا يتوب إذا سنّ سنّة سيئة يحمل ثقلها وأثقال من عمل بها فيكون الشيطان أسعد حالاً منه بكثير، وإياك أن تخلف وعدك ولتخلف إيعادك ولكن سم إخلاف إيعادك تجاوزاً حتى لا تتسمى بأنك مخلف ما أوعدت به من الشر وهذه شبهة المعتزلة وغاب عنها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] وما تواطؤوا عليه أعني الأعراب إذا أوعدت أو وعدت بالشرّ التجاوز عنه وجعلت ذلك من مكارم الأخلاق فعاملهم الحق بما تواطؤوا عليه، فزلت هنا المعتزلة زلّة عظيمة أوقعها في ذلك استحالة الكذب على الله تعالىٰ في خبره، وما علمت أن مثل هذا لا يسمّى كذباً في

العرف الذي نزل به الشرع فحجبهم دليل عقلي عن علم وضع حكمي، وهذا من قصور بعض العقول ووقوفها في كل موطن مع أدلتها ولا ينبغي لها ذلك، ولتنظر إلى المقاصد الشرعية في الخطاب ومن خاطب وبأي لسان خاطب وبأي عرف أوقع المعاملة في تلك الأمة المخصوصة، يقول بعض الأعراب في كرم خلقه: [الطويل]

وإنّـي إذا أوْعَـدْتُـهُ أو وَعَـدْتُـهُ ... لَـمُخْـلِفُ إيعَادي ومُنْجِزُ مَوْعِدي

لكن لا ينبغي أن يقال مخلف بل ينبغي أن يقال إنه عفو متجاوز عن عبده.

وصية: وعليك بالبذاذة فإنها من الإيمان وهي عدم الترفه في الدنيا وقد ورد قوله: «**اخْشَوْشِنُوا**» وهي من صفات الحاج وصفة أهل يوم القيامة فإنهم شعث غبر حفاة فإن ذلك كله أنفى للكبر وأبعد من العجب والزهو والخيلاء والصلف وهي أمور ذمّها الشرع وكرهها وهي مذمومة في العرف عندالناس وعند الله، ولذلك جعل النبيّ ﷺ البذاذة من الإيمان وألحقها بشعبه، فإن النبي ﷺ يقول: «**الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلاهَا لا إله إلاّ الله وَأَدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ**» ولا شك أن الزهو والعجب والكبر أذى في طريق سعادة المؤمن، ولا يماط هذا الأذى إلاّ بالبذاذة فلهذا جعلها رسول الله ﷺ من الإيمان.

وصية: وعليك بالحياء فإن الله حيي والحياء من الإيمان، والحياء خير كله، وإن الله يستحي من ذي الشيبة يوم القيامة، فإن العبد إذا اتصف بالحياء من الله ترك كل ما لا يرضي الله وما يشينه عند الله تعالىٰ وعند رسول الله ﷺ، والحياء معناه الترك قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ يقول إن الله لا يترك ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الصغر لقول من ضلّ بهذا المثل من المشركين الذين تكلموا فيه فإن الله قال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦] فإنهم حاروا فيه الضلالة الحيرة، ورأوا عزّة الله وجلاله وكبرياءه وحقارة البعوضة في المخلوقات، فاستعظموا جلال الله أن ينزل في ضرب المثل لعباده هذا النزول وذلك لجهلهم بالأمور، فإنه لا فرق بين أعظم المخلوقات وهو العرش المحيط وبين الذرة في الخلق والبعوضة وإخراجها من العدم إلى الوجود، فما هي حقيرة إلاّ من صغر جسمها إذا أضفته إلى ذي الجسم الكبير، بل الحكمة في البعوضة أتم والقدرة أنفذ، فإن البعوضة على صغرها خلقها الله على صورة الفيل على عظمه، فخلق البعوضة أعظم في الدلالة على قدرة خالقها من الفيل لأهل النظر والاعتبار، ولهذا لم يصف نفسه بالحياء في ذلك لما فيها من الدلالة على تعظيم الحق. ثم إن مواطن الحياء التي في الإنسان كثيرة، فإن الحياء صفة يسري نفعها ممّن قامت به في أكثر الأشياء ولهذا قال: الحياء خير كله والحياء لا يأتي إلاّ بخير وهو أن لا يفعل الإنسان ما يخجل فيه إذا عرف منه بأنه فعله، وقد علم المؤمن أن الله يعلم ويرى كلما يتحرك فيه العبد فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك، ولإيمانه أنه لا بدّ أن يقرره يوم القيامة على ما عمله فيخجل فيؤدّيه ذلك إلى ترك العمل فيه وذلك هو الحياء، فمن هنا لا يأتي إلاّ بخير والله أحق أن يستحيى منه.

وصية: وعليك بالنصيحة على الإطلاق فإنها الدين، خرج مسلم في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» واعلم أن النصاح الخيط والمنصحة الإبرة والناصح الخائط والخائط هو الذي يؤلف أجزاء الثوب حتى يصير قميصاً أو ما كان فينتفع به بتأليفه إياه وما ألفه إلاّ بنصحه، والناصح في دين الله هو الذي يؤلف بين عباد الله وبين ما فيه سعادتهم عند الله، ويؤلف بين الله وبين خلقه وهو قوله: النصيحة لله، وفيه تنبيه في الشفاعة عند الله إذا رأى العبد الناصح أن الله يريد مؤاخذة العبد على جريمته فيقول لله: يا رب إنك ندبت إلى العفو عبادك وجعلت ذلك من مكارم الأخلاق وهو أولى من جزاء المسيء بما يسؤه، وذكرت للعبد أن أجر العافين عن الناس فيما أساؤوا إليهم فيه ممّا توجهت عليهم به الحقوق على الله، فأنت أحق بهذه الصفة لما أنت عليه من الجود والكرم والامتنان ولا مكره لك، فأنت أهل العفو والتكرّم بالتجاوز عن هذا العبد المسيء المتعدي حدودك عن إساءته وإسبال ذيل الكرم عليه واتصاف الحق بالجود، والعفو عن الجاني أعظم من المؤاخذة على الإساءة، فإن المؤاخذة والعقوبة جزاء وما في الجزاء على الشرّ فضل إلاّ إذا كان في الدنيا لما في إقامة الحدود من دفع المضرّة العامة، وما في ذلك من المصالح التي تعود على الناس مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] وأما في الآخرة فما ثم ما يندفع بجزاء المسيء ما يندفع به في الدنيا فكان العبد إذا قال هذا يوم القيامة أو حيث قاله لله بطريق الشفاعة كأنه ناصح للمقام الإلهيّ في أن يثني عليه إذا عفا عن المسيء بالكرم والطول والفضل فإن في ذلك عين الامتنان، فهذا معنى قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ**» أي في حق الله فإنه يسعى في أن يثني على الله إذا عفا بما يكون ثناء حسناً، ولا سيما وقد ورد في الحديث الثابت: «**إِنَّهُ لا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ أَنْ يُمْدَحَ**» فكما أنه مدح في الدنيا بما نصب من الحدود التي درأ بها المضار عن عباده إذا أقامها أئمة المسلمين على المذنبين كذلك يمدح بالعفو والتجاوز في الدار الآخرة لأنه هنالك ما تمشي هذه المصلحة التي نصبت من أجلها إقامة الحدود التي لا يتمكن الشفاعة فيها كحد السارق والزاني وحقوق الله على الإطلاق، وأما ما هو حق للعبد فإن الله قد ندب فيه إلى العفو والتجاوز، فالعفو من وليّ الدمّ أو قبول الدية، فإن المظلوم هو المقتول وقد مات فالطالب قد تقدم كالشاكي الذي يمشي إلى السلطان رافعاً على من ظلمه، فجعل الديّة كالإحسان لوليّ الدم لعل ذلك الشاكي إذا بلغه إحسانه لذوي رحمه يسكت عنه ولا يطالبه عند الله الحكم العدل بشيء من دمه.

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ ففي زمانه إذا رأى منه الصاحب أمراً قد قرّر خلافه والإنسان صاحب غفلات فينبه الصاحب رسول الله ﷺ على ذلك حتى يواصل فعله بالقصد فيكون حكماً مشروعاً أو فعله عن نسيان فيرجع عنه، فهذا من النصح لرسول الله ﷺ مثل سهوه في الصلاة فالواجب عليه في الرباعية أن يصليها أربعاً فسلم من اثنتين فقيل له في ذلك فهذه نصيحة لرسول الله ﷺ فرجع وأتم صلاته وسجد سجدتي السهو، وكان ما قد روي في

ذلك وأمثال هذا، ولهذا أمر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يوح إليه فيه، فإذا شاورهم تعين عليهم أن ينصحوه فيما شاورهم فيه على قدر علمهم، وما يقتضيه نظرهم في ذلك أنه مصلحة، كنزوله يوم بدر على غير ماء فنصحوه وأمروه أن يكون الماء في حيزه ﷺ ففعل، ونصحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قتل أسارى بدر حين أشار بذلك. وأما بعد رسول ا لله ﷺ فلم تبق له نصيحة، ولكن إذا كانت هذه اللام لام الأجلية بقيت النصيحة، فهذا قد بيّنا ما في نصيحة رسول الله ﷺ أن المشير الناصح قد جمع بين رسول الله ﷺ وبين الرأي الذي فيه المصلحة، كما يجمع الناصح الذي هو الخائط بالخياطة بين قطعة الكمّ والبدن في الثوب.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين وهم ولاة الأمور منا القائمون بمصالح عباد الله الدينية والحكام وأهل الفتاوى في الدين من العلماء يدخلون في أئمة المسلمين أيضاً، فإن كان الحاكم عالماً كان وإن لم يكن من العلماء بتلك المسألة سأل من يعلم عن الحكم فيها فيتعين على المفتي أن ينصح ويفتيه بما يراه أنه حق عنده ويذكر له دليله على ما أفتاه به فيخلصه عند الله، فهذه هي النصيحة لأئمة المسلمين. ولما لم تفرض العصمة لأئمة المسلمين وعلم أنهم قد يخطؤون ويتبعون أهوائهم تعين على أهل الدين من العلماء بالدين أن ينصحوا أئمة المسلمين ويردوهم عن اتباع أهوائهم في الناس فيؤلفون بين ما هو الدين عليه وبينهم، فمثل هذا هو النصح لأئمة المسلمين فيعود على الناس نفع ذلك.

وأما النصيحة لعامتهم فمعلومة وهي أن يشير عليهم بما لهم فيه المصلحة التي لا تضرّهم في دينهم ولا دنياهم، فإن كان ولا بدّ من ضرر يقوم من ذلك إما في الدين أو في الدنيا فيرجحوا في النصيحة ضرر الدنيا على ضرر الدين فيشيرون عليهم بما يسلم لهم فيه دينهم فإن الله يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقال: دين الله يسر. وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وإن أضرّ بدنياهم ومهما قدروا على دفع الضرر في الدين والدنيا معاً بوجه من الوجوه وعرفوه تعين عليهم في الدين أن ينصحوه في ذلك ويبينوه، والمستفتي بالخيار في ذلك بحسب ما يوفقه الله إليه، والذي أقول به أن النصيحة تعمّ إذ هي عين الدين وهي صفة الناصح فتسري منفعتها في جميع العالم كله من الناصح الذي يستبرىء لدينه ويطلب معالي الأمور فيرى حيواناً قد أضرّ به العطش وقد حاد ذلك الحيوان عن طريق الماء فيتعين عليه أن يردّه إلى طريق الماء ويسقيه إن قدر على ذلك فهذا من النصيحة الدينية، وكذلك لو رأى من ليس على ملة الإسلام يفعل فعلاً من سفساف الأخلاق تعين على الناصح أن يردّه عن ذلك مهما قدر إلى مكارم الأخلاق، وإن لم يقدر عليه تعين عليه أن يبين له عيب ذلك فربما انتفع بتلك النصيحة ذلك الشخص بما له في ذلك من الثناء الحسن، وينتفع بتلك النصيحة من اندفع عنه ضرر هذا الذي أراد أن يضرّه، وإن لم يكن مسلماً ذلك المدفوع عنه فيتعين على صاحب الدين نصح عباد الله مطلقاً، ولهذا يتعين على السلطان أن يدعو عدوّه الكافر إلى الإسلام قبل قتاله، فإن أجاب وإلاّ دعاه إلى الجزية إن كان من أهل كتاب، فإن

أجاب إلى الصلح بما شرط عليه قبل منه يقول الله: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١] فيبقى على المسلمين إن كانت المنفعة للمسلمين في ذلك فإن أبوا إلاَّ القتال قاتلهم وأمر المسلمين بقتالهم، على أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، إلاَّ أنه من التزم النصح قل أولياؤه فإن الغالب على الناس اتباع الأهواء ولذلك يقول رسول الله ﷺ: «**ما تَرَكَ الحَقُّ لِعُمَرَ مِنْ صَدِيقٍ**» وكذلك قال أويس القرني: قولك الحق لم يترك لك صديقاً. ولنا في ذلك: [الكامل]

لَـمَّـا لَـزِمْـتُ الـنُّـصْـحَ والـتَّـحْـقِـيـقَـا لـم يَـتْـرُكَـا لـي فـي الـوُجُـودِ صَـدِيـقَـا

ويحتاج الناصح إلى علم كثير من علم الشريعة لأنه العلم العام الذي يعمّ جميع أحوال الناس وعلم زمانه ومكانه، وما ثم إلاَّ الحال والزمان والمكان، وبقي للناصح علم الترجيح إذا تقابلت هذه الأمور فيكون ما يصلح الزمان يفسد الحال أو المكان، وكذلك كل واحد منها فينظر في الترجيح فيفعل بحسب ما يترجح عنده وذلك على قدر إيمانه، مثال ذلك: أن يعلم أن الزمان قد أعطى بحاله في أمرين هما صالحان في حق شخص وضاق الزمان عن فعلهما معاً فيعدل إلى أولاهما فيشير به على المستشير، وكذلك إذا عرف من حال شخص المخالفة واللجاج وأنه إذا دلّه على أمر فيه مصلحته يفعل بخلافه، فمن النصيحة أنه لا ينصحه بل يشير عليه بخلاف ذلك إذا علم أن الأمر محصور بين أن يفعل ذلك أو هذا الذي فيه المصلحة وشأنه المخالفة واللجاج فيشير عليه بما لا ينبغي فيخالفه فيفعل ما ينبغي والأولى عندي تركه، ولقد جرى لي مع أشخاص أظهرنا لهم أن في فعلهم ذلك الخير الذي نريده منهم نكايتنا وهم يريدون نكايتنا فأشرنا عليهم أن لا يفعلوا ذلك ولهم في فعله الخير العظيم لهم فلم يفعلوا وفعلوا ما نهيتهم عنه أن يفعلوه، فهذه نصيحة خفية لا يشعر بها كل أحد، وهذا يسمّى علم السياسة فإنه يسوس بذلك النفوس الجموحة الشاردة عن طريق مصالحها فلذلك قلنا: إن الناصح في دين الله يحتاج إلى علم كثير وعقل وفكر صحيح وروية حسنة واعتدال مزاج وتؤدة، وإن لم تكن فيه هذه الخصال كان الخطأ أسرع إليه من الإصابة، وما في مكارم الأخلاق أدق ولا أخفى ولا أعظم من النصيحة، ولنا فيه جزء سميناه كتاب النصائح ذكرنا فيه ما لا يعوّل عليه وما يعوّل عليه ولكن أكثره فيما لا يعول عليه ممّا يعوّل الناس عليه ولكن لا يعلمون.

وصية: وعليك بمراعاة حالك في الزمان بين الصلاتين: وأنت لا تخلو أبداً أن تكون بين صلاتين فإن الأمر دور والزمان الذي بين الظهر والعصر زمان بين صلاتين، وكذلك بين العصر والمغرب وبين المغرب والعشاء وبين العشاء والصبح وبين الصبح والظهر، ودار الدور وجاء الكور، وإذا خرج وقت صلاة دخل وقت صلاة لأخرى إلاَّ صلاة الصبح فإنه لا يدخل وقت صلاة الظهر بخروج وقت صلاة الصبح بلا خلاف وكذلك العتمة والصبح بخلاف، إلاَّ أنه لا يدخل وقت الظهر إلاَّ بعد خروج وقت الصبح لا بدّ من ذلك، فلا يدخل وقت صلاة حتى يخرج وقت التي قبلها، فالداخلة أبداً على أثر الخارجة، وقد يكون بعد طلوع الشمس

وقت أداء الصبح بوجه إلى أن تزول الشمس فيدخل وقت الظهر وذلك أن الإنسان قد يصلي الركعة الأولى من الصبح مثلاً قبل طلوع الشمس ويقول الشارع فيه إنه أدرك الصبح فتطلع الشمس عليه وقد شرع في الركعة الثانية من الصبح فلو أطالها إلى حد الزوال لجاز وذلك وقتها وهو مؤدّ لها، فما خرج وقت صلاة الصبح في حق هذا حتى دخل وقت الظهر، وهكذا في جميع الصلوات، فإن أوقات هذه الصلوات فيها خلاف بين العلماء، فلهذا ذكرناها تنبيهاً على أن فيها خلافاً، فيجوز على هذا أن تكون صلاة على أثر صلاة ولا لغو بينهما، فقد جعل أن بين الصلاتين زماناً لا صلاة فيه، ذلك الزمان هو زمان اللغو أو تركه، وإنما قلنا زمان اللغو أو تركه للحديث الثابت: «**صَلاةٌ عَلَى أثَرِ صَلاَةٍ لا لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ**» ويدخل في هذا الحديث صلاة النافلة بعد النافلة والنافلة بعد الفريضة والفريضة بعد النافلة والفريضة بعد الفريضة، واللغو من الكلام هو الساقط لا دخول له في الميزان وهو المباح، فيقول رسول الله ﷺ في الرجل يصلي الصلاة ثم يتبعها بصلاة أخرى ولم يفعل بين هاتين الصلاتين في الزمان الذي لا يكون فيه مصلياً فعلاً مباحاً من قول وعمل، بل كان مشتغلاً بما يدخل الميزان من أمر مندوب إليه من ذكر أو غير ذكر ثم يصلي الصلاة الأخرى فإن ذلك كتاب في عليين لأنه لم يفعل بين الصلاتين لغواً أصلاً وهذا عزيز الوقوع، فإن أحمد أحوال الناس اليوم من يتصرّف في المباح فلا عليه ولا له، والغالب من أحوال الناس التصرّف في المكروه أو المحظور، فلهذا أوصيتك بمراعاة الزمان الذي بين الصلاتين وما رأيت أحداً نبّه عليه إلاّ إن كان، وما وصل إلينا إلاّ رسول الله ﷺ ومنه أخذنا ذلك.

وصية: وعليك بالصلاة المكتوبة حيث ينادى بها مع الجماعة، فإن المساجد ما اتخذت إلاّ لإقامة الصلاة المكتوبة فيها وما ينادى إلاّ إلى الإتيان إليها فإن ذلك سنّة رسول الله ﷺ، والمراد بذلك الاجتماع على إقامة الدين وأن لا نتفرّق فيه، ولهذا اختلف الناس في صلاة الفذ المكتوبة إذا قدر على الجماعة هل تجزيه أم لا؟ ومن ترك سنّة رسول الله ﷺ ضلّ بلا شك لأنه ﷺ ما سنّ إلاّ ما هو المهداة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢] فحافظ على المكتوبة والأرض كلها مسجد، فحيث ما قامت الجماعة من الأرض فما قامت إلاّ في مسجد، ولهذا ينبغي لمن صلّى في جماعة في مسجد بيته أن يؤذن لها وإن كانت الإقامة أذاناً، وإنما سميت إقامة لقيام المصلي إلى الصلاة عند هذا الأذان الخاص ففرّق بين الأذانين بالإقامة والأذان معناه الإعلام وابقوا اسم الأذان على الأول المعلم بدخول الوقت، فالأذان الأوّل للإعلام بدخول الوقت والأذان الثاني الذي هو الإقامة للإعلام بالقيام إلى الصلاة فزاد على الأذان بقوله: قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة.

وصية: وعليك بالمحافظة على صلاة الأوّابين وهي الصلاة في الأوقات المغفول عنها عند العامة وهي ما بين الضحى إلى الزوال، وما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء الآخرة، والتهجّد وهو أن ينام من أوّل الليل بعد صلاة العشاء الآخرة ثم يقوم إلى الصلاة ثم ينام ثم يقوم إلى الصلاة إلى أن يطلع الفجر فإذا طلع الفجر فاركع ركعتي الفجر ثم اضطجع

على شقك الأيمن من غير نوم ثم قم إلى صلاة الصبح، واجعل وترك ثلاث عشرة ركعة في تهجدك فإن هذا كان وتر رسول الله ﷺ، وأطل الركعتين الأوليين من التهجد ثم اللتين بعدهما أقل منهما في الطول والركعة الأولى من كل ركعتين على قدر الثانية من اللتين تقدمتهما، والركعة الثانية من كل ركعتين على النصف من الركعة الأولى منهما أو قريب من ذلك إلى أن توتر بركعة واحدة إن شئت أن لا تجلس إلاّ في آخر ركعة من وتر صلاتك وهي الإحدى عشر وإن شئت جلست في كل ركعتين، ولا تسلم إلاّ في آخر ركعة مفردة، وإن شئت خمست وسبعت وتسعت كل ذلك مباح لك، ولا تثلث من أجل التشبه بصلاة المغرب، وقد ورد في النهي عن ذلك خبر، وكذلك في الركعة الواحدة وتسمّى البتيراء، فاجتنب مواقع الخلاف ما استطعت واهرب إلى محل الإجماع مع أنه ثبت أنه أوتر بثلاث فإن أوترت بثلاث فلا تجلس إلاّ في آخرها وتسلم حتى تفرّق في الشبه بينها وبين المغرب، وإذا قمت إلى الصلاة بالليل وتوضأت فاركع ركعتين خفيفتين ثم بعدهما اشرع في صلاة الليل كما رسمت لك، وعند قيامك للتهجد امسح عينيك من النوم بيديك ثم اتل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] الآيات بكمالها، ثم قم فتوضأ واستفتح صلاتك بركعتين خفيفتين ثم اشرع في قيام الليل على ما وصفته لك في باب الصلاة من هذا الكتاب وأذكاره فانظره فيه وانظر اعتباره إن شاء الله، وقد ثبت أن صلاة الأوّابين حين ترمض الفصال، واجتنب الصلاة عند الاستواء وبعد العصر حتى تغرب الشمس وبعد الصبح حتى تطلع الشمس، وحافظ على الصلاة في جماعة فإنها تزيد على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة، وحافظ على أربع ركعات في أوّل النهار عند الإشراق كما قال: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨] والسبحة صلاة النافلة بقول عبد الله بن عمر وهو عربي في النافلة في السفر: لو كنت مسبحاً أتممت، ثم صلاة الضحى ثمان ركعات بعد صلاة الإشراق ثم أربع ركعات قبل الظهر وبعد الزوال ثم أربع ركعات بعد صلاة الظهر ثم أربع ركعات قبل صلاة العصر ثم ست ركعات بعد المغرب ثم ثلاث عشرة ركعة وترك من الليل فيها ركعتي الفجر، وتبقى إحدى عشرة ركعة هي صلاة الليل، هذا لا بدّ منه لمن يريد اتباع السنّة والاقتداء، وفي رواية ركعتين قبل المغرب ثم إن زدت فأنت وذلك فإن الصلاة خير موضوع، فمن شاء فليستقلل ومن شاء فليستكثر فإنه يناجي ربه، والحديث مع الله والاستكثار منه أشرف الأحوال، وأما الوصية بالصدقة والصوم فقد تقدم في باب الزكاة وباب الصيام وكذلك الحج من هذا الكتاب.

وصية: وعليك بالورع في المنطق كما تتورّع في المأكل والمشرب، والورع عبارة عن اجتناب الحرام والشبهات، وأما الشبهة فما حاك في صدرك ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الإثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ**» قال بعض العلماء من أهل الله: ما رأيت أسهل عليّ من الورع كل ما حاك له في نفسي شيء تركته. وقد ورد في الخبر: «**دَعْ مَا يُرِيبُكَ إلى مَا لا يُرِيبُكَ**» وورد أيضاً: «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ المُفْتُونَ**» يعني بالحل وتجد أنت في نفسك وقفة في ذلك

فاجتنبه فهو أولى بك ولا تحرّمه، وعليك بالهدى الصالح وهو هدى الأنبياء وهو اتباع آثارهم الذي أمر رسول الله ﷺ باتباعهم في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وكذلك السمت الصالح والاقتصاد في أمورك كلها فإن النبي ﷺ قد ثبت عنه أن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوّة وتحفظ من العجلة إلاَّ في المواطن التي أمرك رسول الله ﷺ بالعجلة فيها والمسارعة إليها مثل الصلاة لأوّل ميقاتها وإكرام الضيف وتجهيز الميت والبكر إذا أدركت بل وكل عمل للآخرة فالمسارعة إليه أولى من التؤدة فيه، واجعل التسويف والتؤدة في أمور الدنيا فإنه ما فاتك من الدنيا ما تندم عليه بل تفرح بفوته، وما فاتك من أمور الآخرة فإنك تندم عليه، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إلاَّ فِي عَمَلِ الآخِرَةِ**» وقد ذكر مسلم أن رسول الله ﷺ قال للأشج أشج عبد القيس: «**إنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله وَرَسُولُهُ**» قالَ: وَمَا هُمَا يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «**الحِلْمُ وَالأَنَاةُ**» أراد الحلم عمّن جنى عليك والأناة في أمور الدنيا وأغراض النفس، وإن كان لك عائلة فكدّ عليهم فإن الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكن خير الرعاة في كل ما استرعاك الله فيه على الإطلاق، فالسلطان راع وكل راع مسؤول عن رعيته ما فعل فيهم هل اتقى الله فيهم أو لم يتق، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، والعبد راع على مال سيده، ولا تغفل عن الصلاة على رسول الله ﷺ إذا ذكرته أو ذكر عندك تأمن من البخل فإنه ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**» ولو لم يكن في ذلك إلاَّ إطلاق البخل عليك وهو من أذم الصفات وأرداها، ومعنى البخيل هنا بخله على نفسه فإنه قد ثبت فيمن صلَّى على النبي ﷺ مرة صلَّى الله عليه عشراً، فمن ترك الصلاة على النبي ﷺ فقد بخل على نفسه حيث حرمها صلاة الله عليه عشراً إذا صلَّى هو واحدة فما زاد.

وصية: الله الله أن تعود في شيء خرجت عنه لله تعالىٰ، ولا تعقد مع الله عقداً ولا عهداً ثم تنقضه بعد ذلك وتحله ولا تفي به ولو تركته لما هو خير منه فإن ذلك من خاطر الشيطان فافعله وافعل الخير الآخر الذي أخطره لك الشيطان حتى لا تفي بالأول، فإن غرضه أن توصف بوصف الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وعليك بصلة الرحم فإنها شجنة من الرحمن وبها وقع النسب بيننا وبين الله، فمن وصل رحمه وصله الله، ومن قطع رحمه قطعه الله، وإذا استشرت في أمر فقد أمّنك المستشير فلا تخنه، فإن كان في نكاح فإن شئت أن تذكر ما تعرفه فيمن سئلت عنه ممّا يكرهه لو سمعه فإن ذلك الذكر ليس بغيبة يتعلق بها ذمّ، فإن كنت من أهل الورع الأشدّاء فيه ويحوك في نفسك شيء من هذا الذكر فلا تذكر ما تعرف فيه من القبيح وقل كلاماً مجملاً مثل أن تقول: ما تصلح لكم مصاهرته من غير تعيين ويكفي هذا القدر من الكلام، فإن كنت تعلم من قرائن الأحوال أن هذا الأمر الذي تذمّه به في نظرك لا يقدح عند القوم الذين يطلبون نكاحه فما خنتهم إذا لم تذكر لهم ما يقبح عندك فإنه ليس بقبيح عندهم وهم مقدمون عليه، وهذا موقوف على معرفة أحوال الناس، ومثل هذا الكلام في

الأسانيد في حديث رسول الله ﷺ كان أحمد بن حنبل يقول ليحيى بن معين: تعال نعتب في الله، والمستشار مؤتمن، وإياك والأكل والشرب في أواني الذهب والفضة، وإياك والجلوس على مائدة يدار عليها الخمر ولا حرام أصلاً، واجتنب لباس الحرير والذهب إن كنت رجلاً وهو حلال للمرأة، وإذا رأيت رؤيا تحزنك واستيقظت فاتفل عن يسارك ثلاث مرات وقل: أعوذ بالله من شرّ ما رأيت، وتحوّل عن جنبك الذي كنت عليه في حال رؤياك إلى الجنب الآخر، ولا تحدث بما رأيت فإنها لا تضرّك، فحافظ على مثل هذا تر برهانه، فإن كثيراً من الناس وإن استعاذوا يتحدثون بما رأوه، وقد ورد أن الرؤيا معلقة من رجل طائر فإذا قالها سقطت لما قيلت له، وعليك باستعمال الطيب فإنه سنّة، واستعمل منه إن كنت ذكراً ما ظهر ريحه وخفي لونه، وإن كنت امرأة فاستعمل منه ما ظهر لونه وخفي ريحه، فإن الحديث النبويّ بهذا ورد، وعليك بالسواك لكل صلاة وعند كل وضوء وعند دخولك إلى بيتك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب، وقد ورد: «**إنَّ صَلاةً بِسِوَاكٍ تَفْضُلُ سَبْعِينَ صَلاةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ**» ذكره ابن زنجويه في كتاب الترغيب في فضائل الأعمال، وإياك واليمين الغموس فإنها تغمس صاحبها في الإثم فإن الناس اختلفوا في كفارتها فمنهم من ألحقها في الكفارة بالأيمان، ومنهم من قال إنها لا كفارة فيها وهي اليمين التي تقطع بها حقاً للغير وجب عليك، وفي هذا فقه عجيب دقيق لمن نظر وتفقه في وجوب الحق متى يكون وبأيّ صفة يكون، وما منعني أن أبينه للناس إلاّ سد الذريعة حتى لا يتأول فيه الجاهل فيجاوز القدر الذي نذكره فيقع في الإثم وهو لا يشعر، فإن الفقهاء أغفلوا هذا الوجه الذي أومأنا إليه وما ذكروه، وإياك والمراء في القرآن فإنه كفر بنص الحديث وهو الخوض فيه بأنه محدث أو قديم أو هل هذا المكتوب في المصاحف والمتلو المتلفظ به عين كلام الله أو ما هو عين كلام الله، فالكلام في مثل هذا والخوض فيه هو الخوض في آيات الله، وهذا هو المراء والجدال في القرآن الداخل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨] فسمّاه حديثاً وليس إلاّ القرآن، فلو أراد آيات غير القرآن لقال فيها بضمير الآية أو الآيات، فليس للذكورية هنا دخول إلاّ إذا أراد آيات القرآن، والقرآن خبر الله والخبر عين الحديث، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] والذكر الحديث.

وصية: اكظم التثاؤب ما استطعت فإنه من الشيطان، وإياك أن تصوّت فيه فإن ذلك صوت الشيطان، والعطاس في الصلاة من الشيطان أيضاً، وفي غير الصلاة العطاس ليس من الشيطان، وإياك والطرق وهو الضرب بالحصى، قال الشاعر: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما يَدْري الضَّوارِبُ بالحَصَى ... ولا زَاجِـرَاتُ الـطَّـيْـرِ مـا الله صَـانِـعُ

وكذلك العيافة والطيرة، وعليك بالفأل والطيرة شرك، وإياك والبصاق في المسجد فإن غفلت فادفنها فذلك كفارتها، وإياك أن تستقبل القبلة ببصاقك ولا بخلائك، ولا تستدبرها أيضاً ببول ولا غائط فإن ذلك من آداب النبوّة، وإذا أردت أن تأكل فاغسل يديك قبل الأكل وبعده، وزد المضمضة منه في الغسل بعده، وعليك بالإحسان إذا ملكت يمينك من جارية

وغلام ولا تكلفهما فوق طاقتهما وإن كلفتهما فأعنهما فإنهما من إخوانكم، وإنما الله ملككم رقابهم، الكل بنو آدم فهم إخوتنا فراع الله فيهم واعلم أنك مسؤول عنهم يوم القيامة، وإذا عاقبت أحدهم على جناية فاعلم أن الله يوم القيامة يوقف العبد وسيده بين يديه ويحاسبه على جنايته وعلى عقوبته على ذلك، فإن خرجت رأساً برأس كان وإن كانت العقوبة أكثر من الجناية اقتصّ للعبد من السيد فتحفظ ولا تزد في العقوبة على ثلاثة أسواط فإن كثرت فإلى عشرة، ولا تزد إلاَّ في إقامة حدّ من حدود الله فذلك حدّ الله لا تتعداه، وإن عفوت عن العبد في جنايته فهو أولى بك وأحوط لك، وإذا جئت إلى بيت قوم فاستأذن ثلاث مرّات فإن أذن لك وإلاَّ فارجع، ولا تنظر في بيت أخيك من حيث لا يعرف بك فإنك إذا نظرت فقد دخلت، وإنما جعل الإذن من أجل البصر، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ [النور: ٢٧] وقال: ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ﴾ [النور: ٢٨] وثبت في الحديث الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلاَّ فارجع، وإياك أن تتخذ الجرس في عنق دابتك فإن الملائكة تنفر منه، وقد ورد بذلك الحديث النبويّ وكان بمكة رجل من أهل الكشف يقال له ابن الأسعد من أصحاب الشيخ أبي مدين صحبه ببجاية فكان يوماً بالطواف وهو يشاهد الملائكة تطوف مع الناس فنظر إليهم وإذا هم قد تركوا الطواف وخرجوا من المسجد سراعاً فلم يدر ما سبب ذلك حتى بقيت الكعبة ما عندها ملك، وإذا بالجمال بالأجراس في أعناقها قد دخلت المسجد بالروايا تسقي الناس فلما خرجوا رجعت الملائكة، وقد ثبت أن الجرس مزامير الشيطان، والذي أوصيك به أن تحافظ على أن تشتري نفسك من الله بعتق رقبتك من النار بأن تقول: لا إلٰه إلاَّ الله سبعين ألف مرّة فإن الله يعتق رقبتك بها من النار أو رقبة من تقولها عنه من الناس، ورد في ذلك خبر نبويّ. ولقد أخبرني أبو العباس أحمد بن علي بن ميمون بن أب التوزري عرف بالقسطلاني بمصر قال في هذا الأمر: إن الشيخ أبا الربيع الكفيف المالقي كان على مائدة طعام وكان قد ذكر هذا الذكر وما وهبه لأحد وكان معهم على المائدة شاب صغير من أهل الكشف من الصالحين فعندما مدّ يده إلى الطعام بكى فقال له الحاضرون: ما شأنك تبكي؟ فقال: هذه جهنم أراها وأرى أمي فيها وامتنع من الطعام فأخذ في البكاء، قال الشيخ أبو الربيع: فقلت في نفسي: اللهمّ إنك تعلم أني قد هللت بهذه السبعين ألفاً وقد جعلتها عتق أمّ هذا الصبيّ من النار هذا كله في نفسي، فقال الصبيّ: الحمد لله أرى أمي قد خرجت من النار وما أدري ما سبب خروجها، وجعل الصبيّ يبتهج سروراً وأكل مع الجماعة، قال أبو الربيع: فصحّ عندي هذا الخبر النبويّ بكشف هذا الصبيّ، وصحّ عندي كشف هذا الصبيّ بالخبر، وقد عملت أنا على هذا الحديث ورأيت له بركة في زوجتي لما ماتت.

وعليك بإصلاح ذات البين وهو الفراق فإن الإصلاح بين الناس من الخير المعين في الكتاب، وإذا كان الله قد رغب بل أمر المسلمين إذا جنح الكفار إلى السلم أن يجنحوا لها فأحرى الصلح بين المتهاجرين من المسلمين، وإياك وإفساد ذات البين فإنها الحالقة والبين هنا

هو الوصل، ومعنى قول النبيّ ﷺ الحالقة أنها تحلق الحسنات كما يحلق الحلاق الشعر من الرأس، قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] بالرفع يعني الوصل، والبين في اللسان من الأضداد كالجون، يا وليّ أطعم عبدك ممّا تأكل وألبسه ممّا تلبس وراع قدره وانظر فيما ثبت فيهم من رسول الله ﷺ بقوله: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ**» فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل وليلبسه مما يلبس، واغتنم صحة البدن والفراغ من شغل الدنيا واستعن بهاتين النعمتين اللتين أنعم الله عليك بهما على طاعة الله فإنه ما أصحّ بدنك ولا فرغك من هموم الدنيا إلاّ لطاعته والقيام بحدوده وإلاّ كانت الحجة عليك لله، فاحذر أن يكون الله خصمك، ولتقل في كل يوم عند كل صباح مائة مرّة: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فإن هذا الذكر لا يبقي عليك ذنباً.

وصية: عليك بحفظ جوارحك فإنه من أرسل جوارحه أتعب قلبه، وذلك أن الإنسان لا يزال في راحة حتى يرسل جوارحه، فربما نظر إلى صورة حسنة تعلق قلبه بها ويكون صاحب تلك الصورة من المنعة بحيث لا يقدر هذا الناظر على الوصول إليها فلا يزال في تعب من حبها يسهر الليل ولا يهنأ له عيش، هذا إذا كان حلالاً فكيف به إن كان أرسله فيما لا يحل له النظر إليه؟ فلهذا أمرنا بتقييد الجوارح، فإن زنىٰ العيون النظر وزنىٰ اللسان النطق بما حرم عليه، وزنى الأذن الاستماع إلى ما حجر عليه، وزنى اليد البطش، وزنى الرجل السعي، وكل جارحة تصرفت فيما حرّم عليها التصرّف فيه فذلك التصرّف منها على هذا الوجه الحرام هو زناها، فاللسان يقول بغضهم هو الذي أوردني الموارد المهلكة، وقال ﷺ: «**وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلاَّ حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ**؟» قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] يعني بها فتقول اليد: بطش بي في كذا يعني في غير حق فيما حرّم عليه البطش فيه، وتقول الرجل كذلك، واللسان والبصر وجميع الجوارح كذلك ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] خرج مسلم عن محمد بن أبي عمر عن سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله هل نَرى رَبَّنا يومَ القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ فَيَلْقَى العَبْدَ فيقول: أي فُلُ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى يا رَبِّ، فيقولُ: أَفَظَنَنْتَ أنكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ فَيَقُولُ ها هنا إِذَنْ قالَ ثم يقالُ لهُ الآنَ نَبْعَثُ شَاهِداً عَلَيْكَ وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ انْطِقِي فَيَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذٰلِكَ ليعذرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذٰلِكَ الَّذِي سَخِطَ الله عَلَيْهِ**» وقد ورد في الحديث الثابت في أمر الدنيا: «**إِنَّ السَّاعَةَ لا تَقُومُ حَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ بِمَا فَعَلَ أَهْلُهُ فَخِذُهُ وَعَذَبَةُ سَوْطِهِ**» وقد قيل في التفسير: إن الميت الذي أحياه الله في بني إسرائيل في حديث البقرة في قوله: ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة: ٧٣] قال: ضرب بفخذها وأن الله ما عين ذلك البعض فاتفق أن ضربوه بالفخذ، فاحذر يا أخي يوماً تشهد فيه عليك الجلود

والجوارح، وأنصف من نفسك وعامل جوارحك بما تشكرك به عند الله، ولقد رأينا ذلك عياناً في الدنيا في زمان الأحوال التي كنا فيها أعني نطق الجوارح إذا أراد العبد أن يصرفها فيما لا يجوز شرعاً تقول له الجارحة: يا هذا لا تفعل لا تجبرني على فعل ما حجر عليك فعله فإني شهيد عليك يوم القيامة فاجعلني شاهداً لك لا عليك واصحبني بالمعروف وهو في غفلة لا يسمع، فإذا وقع منه الفعل تقول الجارحة: يا رب قد نهيته كما نهيته فلم يسمع، اللهمّ إني أبرأ إليك ممّا وصل إليه من مخالفتك بي، وعلى كل حال فإرسال الجوارح يؤدي إلى تعب القلب، فإن الله خلقك لك واصطفى منك لنفسه قلبك وذكر أنه يسعه إذا كان مؤمناً تقياً ذا ورع، فإذا شغلته بما تصرّفت فيه جوارحك كنت ممّن غصب الحق فيما ذكر أنه له منك، وأي ظلم أعظم من ظلم الحق؟ فلا تجعل الحق خصمك فإن لله الحجة البالغة كما ذكر عن نفسه وبكل وجه أشهدني الله حجته على خلقه كيف تقوم، وذلك في أن العلم يتبع المعلوم، إن فهمت فأكثر من هذا التصريح ما يكون.

وصية: وعليك بالأذان لكل صلاة أو تقول ما يقول المؤذن إذا أذن، وإذا أذنت فارفع صوتك فإن المؤذن يشهد له يوم القيامة مدى صوته من رطب ويابس، ولو علم الإنسان ما له في الأذان ما تركه قال ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يجِدُوا إلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً**» فإن لم يؤذن وسمع الأذان فليقل مثل ما يقول المؤذن سواء، وإن قال ذلك عند كل كلمة إذا فرغ المؤذن منها قالها هذا السامع بحضور وخشوع، ولقد أذنت يوماً فكلما ذكرت كلمة من الأذان كشف الله عن بصري فرأيت ما لها مد البصر من الخير فعاينت خيراً عظيماً لو رآه الناس العقلاء لذهلوا لكل كلمة، وقيل لي هذا الذي رأيت ثواب الأذان، وإنما ارتضينا ووصينا أن يقول السامع مثل ما يقول المؤذن عند فراغ كل كلمة لما رويناه من حديث الترمذيّ عن ابن وكيع عن إسماعيل بن محمد بن جحادة يبلغ به النبيّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلاَّ الله والله أَكْبَرُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ وَقَالَ لا إِلَّهَ إلاَّ أَنا وَأَنا أَكْبَرُ. وَإذا قالَ لا إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ يقولُ الله لا إِلَهَ إلاَّ أَنا وَأَنا وَحْدِي. وإذا قالَ لا إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ قالَ الله لا إِلَهَ إلاَّ أَنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي. وإذا قال لا إِلَهَ إلاَّ الله لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ قالَ الله لا إِلَهَ إلا أنا لِيَ المُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ. وَإذا قالَ لا إِلَهَ إلا الله وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بالله قالَ الله لا إِلَه إلاَّ أَنا وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بي**». قال: وكان يقول: «**مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ**».

ويكفي العاقل في الأمر بالأذان أمر النبي ﷺ من سمع المؤذن يؤذن أن يقول مثل قوله فهو أذان فما رغبه فيه إلاّ وله أجره فإنه معلم لذلك نفسه وذاكر ربه بصورة الأذان فما أمره إلاّ بما له فيه خير كثير، وليؤذن على أكمل الروايات وأكثرها ذكراً، فإن الأجر يكثر بكثرة الذكر. قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال: ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] وقد ورد أن الإنسان إذا كان بأرض فلاة فدخل الوقت وليس معه أحد قام فأذن

فإذا أذن صلّى خلفه من الملائكة كأمثال الجبال، ومن كانت جماعته مثل أولئك يؤمنون على دعائه كيف يشقى، وإنما وصينا بمثل هذا لغفلة الناس عن مثله، فالعاقل من لا يغفل عن فعل ما له فيه الخير الباقي عند الله عزّ وجلّ فإن ذلك من رحمتك بنفسك، فإن الله جعل رحمتك بنفسك أعظم من رحمتك بغيرك، كما جعل أذاك نفسك أعظم في الوزر من أذاك غيرك، قال في قاتل الغير إذا لم يقتل به أمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء أخذه. وقال في القاتل نفسه: حرمت عليه الجنة. وقال ﷺ: **«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمٰنُ»** فمن رحم نفسه يسلك بها سبيل هداها ويحول بينها وبين هواها، فرحمه الله رحمة خاصة خارجة عن الحد والمقدار، فإنه رحم أقرب جار إليه وهي نفسه، ورحم صورة خلقها الله على صورته فجمع بين الحسنيين مراعاة قرب الجوار ومراعاة الصورة، وأي جار سوى نفسه فهو أبعد منها ولذلك أمر الداعي إذا دعا أن يبدأ بنفسه أولاً مراعاة لحقها، والسرّ الآخر أن الداعي لغيره يحصل في نفسه افتقار غيره إليه ويذهل عن افتقاره فربما يدخله زهو وعجب بنفسه لذلك وهو داء عظيم فأمره رسول الله ﷺ أن يبدأ لنفسه بالدعاء فتحصل له صفة الافتقار في حق نفسه فتزيل عنه صفة الافتقار صفة العجب والمنة على الغير، وفي أثر ذلك يدعو للغير على افتقار وطهارة. فلهذا ينبغي للعبد أن يبدأ بنفسه في الدعاء ثم يدعو لغيره فإنه أقرب إلى الإجابة لأنه أخلص في الاضطرار والعبودية، ومثل هذا النظر مغفول عنه لا أحد أعظم من الوالدين وأكبر بعد الرسل حقاً منهما على المؤمن، ومع هذا أمر الداعي أن يقدم في الدعاء نفسه على والديه فقال نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨] وقال الخليل إبراهيم عليه السلام في دعائه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فقدم نفسه ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠-٤١] فبدأ بنفسه وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وإنما أوصيتك بالأذان لما فيه عند الله يوم القيامة، فإن المؤذنين أطول الناس أعناقاً في ذلك اليوم يقول تمتد أعناقهم دون الناس لينظروا ما أثابهم الله به وما أعطاهم من الجزاء على أذانهم هذا إن كان من الطول، فإن كان من الطول الذي هو الفضل والعنق الجماعة فهم أفضل الناس جماعة، ومن رواه بكسر الهمزة فهو أفضلهم سيراً لما يرونه من الخير الذي لهم على الأذان فإن المؤذن يحافظ على الأوقات فهو يسرع إلى الإعلام بدخول وقت الصلاة فإنه مراع ذلك.

وصية: وإن كنت والياً فاقض بالحق بين الناس ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] وسبيل الله هو ما شرعه لعباده في كتبه وعلى ألسنة رسله ﴿ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] يعني به. والله أعلم يوم الدنيا حيث لم يحاسبوا نفوسهم فيه، فإن النسيان الترك، يقول رسول الله ﷺ: **«حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا»** ولقد أشهدني الله في هذا مشهداً عظيماً بإشبيلية سنة ست وثمانين وخمسمائة ويوم الدنيا أيضاً هو يوم الدين أي يوم الجزاء لما فيه من إقامة الحدود ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[الروم: ٤١] وهذا عين الجزاء وهو أحسن في حق العبد المذنب من جزاء الآخرة، لأن جزاء الدنيا مذكر وهو يوم عمل والآخرة ليست كذلك، ولهذا قال في الدنيا: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] يعني إلى الله بالتوبة، فيوم الجزاء أيضاً يوم الدنيا كما هو يوم الآخرة، وهو في يوم الدنيا أنفع، فاقض بالحق فإن الله قد قضى في الدنيا بالحق بما شرعه لعباده وفي الآخرة بما قال، فإن القضاة في الدنيا ثلاث: واحد في الجنة، واثنان في النار. والذي أوصيك به إذا فتح الله عين بصيرتك ورزقك الرجوع إليه المسمّى توبة فانظر أي حالة أنت عليها من الخير لا تزل عنها، إن كنت والياً اثبت على ولايتك، وإن كنت عزباً اثبت على ذلك، وإن كنت ذا زوجة فلا تطلق واثبت على ذلك مع أهلك، واشرع في العمل بتقوى الله في الحالة التي أنت عليها من الخير كانت ما كانت، فإن لله في كل حال باب قربة إليه تعالى، فاقرع ذلك الباب يفتح لك ولا تحرم نفسك خيره، وأقل الأحوال أنك في الحال التي كنت عليها في زمان مخالفتك إذا ثبت عليها عند توبتك تحمدك تلك الحالة فإن فارقتها كانت عليك لا لك فإنها ما رأت منك خيراً، وهذا معنى دقيق لطيف لا ينتبه له كل أحد فإنها لا تشهد لك إلاّ بما رأته منك، فإذا رأت منك خيراً شهدت لك به، ولا يفوتك ما ذكرته لك من نيل ما فيها من الخير المشروع، وأعني بذلك كل حال أنت عليها من المباحات فإن توبتك إنما كان رجوعك عن المخالفات، وإياك أن تتحرّك بحركة إلاّ وأنت تنوي فيها قربة إلى الله، حتى المباح إذا كنت في أمر مباح فانو فيه القربة إلى الله من حيث إيمانك به أنه مباح ولذلك أتيته فتؤجر فيه، ولا بدّ حتى المعصية إذا أتيتها انو المعصية فيها فتؤجر على الإيمان بها أنها معصية، ولذلك لا تخلص معصية المؤمن أبداً من غير أن يخالطها عمل صالح وهو الإيمان بكونها معصية وهم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] فهذا معنى المخالطة، فالعمل الصالح هنا الإيمان بالعمل الآخر السيىء أنه سيىء، وعسى من الله واجبة فترجع عليهم بالرحمة فيغفر لهم تلك المعصية بالإيمان الذي خلطها به، فمتعلق عسى هنا رجوعه سبحانه عليهم بالرحمة لا رجوعهم إليه فإنه ما ذكر لهم توبة كما قال في موضع آخر ثم تاب عليهم ليتوبوا، وهنا جاء بحكم آخر ما فيه ذكر توبتهم بل فيه توبة الله تعالى عليهم. والذي أوصيك به أنك لا تنقل مجلساً ولا تبلغ ذا سلطان حديثاً إلاّ خيراً، خرج الترمذيّ حديثاً عن حذيفة أو غيره أنا الشاكّ أن رجلاً مرّ عليه فقيل له عنه إن هذا يبلغ الأمراء الحديث فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يَدْخلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**» قال أبو عيسىٰ: والقتات النمام. وإذا حدثك إنسان وتراه يلتفت يميناً وشمالاً يحذر أن يسمع حديثه أحد فاعلم أن ذلك الحديث أمانة أودعك إياه فاحذر أن تخونه في أمانته بأن تحدث بذلك عند أحد فتكون ممّن أدّى الأمانة إلى غير أهلها فتكون من الظالمين. وقد ثبت أن المجالس بالأمانة. وأما وصيتي لك أن لا تبلغ ذا سلطان حديثاً بشر فإن ذلك نميمة قال تعالىٰ في ذمّه: ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]. ومن الوصايا الحذر من الطعن في الأنساب، فلا تحل بين شخص وبين أبيه صاحب الفراش فإن ذلك كفر بنص الشارع فيه، وعليك بمراعاة الأوقات في الدعاء مثل الدعاء عند

الأذان وعند الحرب وعند افتتاح الصلاة فإن المطلوب من الدعاء إنما هو الإجابة فيما وقع السؤال فيه من الله وأسباب القبول كثيرة وتنحصر في الزمان والمكان والحال، ونفس الكلمة التي تذكر الله بها من الذكر حين تدعوه في مسألته فإنه إذا اقترن واحد من هذه الأربعة بالدعاء أجيب الدعاء، وأقوى هذه الأربعة الاسم ثم الحال. وعليك بمراعاة حق الله وحق الخلق أن توجه لهم عليك حق فإن الله يؤتيك أجرك مرّتين: من حيث ما أدّيته من حقه ومن حيث ما أدّيت من حق من تعين عليك له حق من خلق الله، وإن كانت لك جارية فأدبتها وأحسن أدبها فإن لك في ذلك أجراً عظيماً، ثم إن أعتقتها فلك في العتق الأجر العظيم العام لذاتك، فإن تزوّجت بها فلك أجر آخر أعظم من أنك لو تزوجّت بغيرها. فإذا رأيت غازياً فأعنه بطائفة من مالك، وكذلك المكاتب، وكذلك الناكح يريد بنكاحه عصمة دينه والعفاف، فإنك إذا فعلت ذلك وأعنتهم فإنك نائب الله في عونهم فإن عون هؤلاء حق على الله بنص الخبر، فمن أعانهم فقد أدّى عن الله ما أوجبه الله على نفسه لهم فيكون الله يتولى كرامته بنفسه، فما دام المجاهد في سبيل الله مجاهداً بما أعنته عليه فإنك شريكه في الأجر ولا ينقصه شيء، وكذلك إعانة الناكح حتى أنه لو ولد له ولد فكان صالحاً فإن لك في ولده وفي عقبه أجراً وافراً تجده يوم القيامة عند الله وهو أعظم من المكاتب والمجاهد، فإن النكاح أفضل نوافل الخيرات وأقربه نسبة إلى الفضل الإلهي في إيجاده العالم ويعظم الأجر بعظم النسب.

واعلم أن الإنسان مجبول على الفاقة والحاجة فهو مجبول على السؤال، فإن رزقك الله يقيناً فلا تسأل إلاّ الله تعالىٰ في طلب نفع يعود عليك أو دفع ضرر نزل بك، فإذا سألك أحد بالله لا بقرابة ولا بشيء غير الله عزّ وجلّ فأعطه مسألته بحيث لا يعلم بذلك أحد إلاّ هو خاصة، ولا بدّ لك في مثل هذه الأعطية أن تعرفها له فإنه ينجبر في نفسه ما انكسر منها عند سؤاله، فإذا لم يعلم أن سؤاله نفع انكسر فلا بدّ أن تجيبه إلى مسألته على علم منه، فإن علمت بحاله من غير سؤال منه فمثل هذا تعمل أن تعطيه مسألته بالحال من غير أن يعلم أنك أعطيته فإنه يخجل بلا شك ولا سيما إن كان من أهل المروءات والبيوت وممّن لم تتقدم له عادة بذلك، وفرّق بين الحالتين فإن الفرق بينهما دقيق، فإن السائل الأوّل يخجل إذا لم يعلم أنك أعطيته، والثاني يخجل إذا علم أنك أعطيته، والمقصود رفع الخجل عن صاحب الفاقة وعليك بذكر الله بين الغافلين عن الله بحيث لا يعلمون بك، فتلك خلوة العارف بربه وهو كالمصلي بين النائمين. وإياك ومنع فضل الماء من ذي الحاجة إليه، واحذر من المن في العطاء فإن المن في العطاء يؤذن بجهل المعطي من وجوه: منها رؤيته نفسه بأنه رب النعمة التي أعطى والنعمة إنما هي خلقاً وإيجاداً. والثاني: نسيانه منة الله عليه فيما أعطاه وملكه من نعمه وأحوج هذا الآخر لما في يده. والثالث: نسيانه أن الصدقة التي أعطاها إنما تقع بيد الرحمن والآخر ما يعود عليه من الخير في ذلك فلنفسه أحسن ولنفسه سعى، فكيف له بالمنة على ذلك الآخر أنه ما أوصل إليه إلاّ ما هو له، إذ لو كان رزقه ما أوصله إليه فهو مؤد أمانة من حيث لا يشعر، فجهله بهذه الأمور كلها جعله يمتن بالعطاء على من أوصل إليه راحة

وأبطل عمله فإن الله يقول: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقال الله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]. وإياك أن تتقدم قوماً في الصلاة إماماً وهم يكرهون تقدمك عليهم في صلاة وفي غيرها غير أن هنا دقيقة وهي أن تنظر ما يكرهون منك، فإن كرهوا منك ما كره الشرع منك فهو ذاك، وإن كرهوا منك ما أحبه الشرع منك فلا تبال بكراهتهم فإنهم إذا كرهوا ما أحب الشرع فليسوا بمؤمنين، وإذا لم يكونوا مؤمنين فلا مراعاة لهم، ولتتقدم شاؤوا أم أبوا، فمن ذلك الصلاة إذا كنت أقرأ القوم فأنت أحق بالإمامة بهم أو ذا سلطان فإن الله قدمك عليهم، ومع هذا فينبغي للناصح نفسه أن لا يتصف بصفة يكره منها تقدمه في أمر ديني وليسع في إزالة تلك الصفة عن نفسه ما استطاع، وحافظ على الصلاة لأوّل ميقاتها ولا تؤخرها حتى يخرج وقتها، وإياك أن تتعبد حرّاً وتسترقه بشبهة ولا ترى أن لك فضلاً على أحد ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] وتعبد الحرّ على نوعين: إما أن تأخذ من هو حرّ الأصل فتبيعه، وإما أن تعتق عبداً ولا تمكنه من نفسه وتتصرّف فيه تصرف السيد لعبده وليس لك ذلك إلاّ بإذنه أو إجازته، فإني رأيت كثيراً من الناس من يعتق المملوك ولا يمكنه من كتاب عتقه ويستعبده مع حرّيته، والسيد إذا أعتق عبده ما له عليه حكم إلاّ الولاء، فإذا أعتقت عبداً فلا تستخدمه إلاّ كما تستخدم الحرّ إما برضاه وإما بالإجازة كالحرّ سواء فإنه حرّ. ثبت عن رسول الله ﷺ الوعيد الشديد فيمن تعبد محرّره، وفيمن اعتبد حرّاً، وفيمن باع حرّاً فأكل ثمنه. والذي أوصيك به إذا استأجرت أجيراً واستوفيت منه فأعطه حقه ولا تؤخره.

وصية: إذا كنت جنباً ولم تغتسل فتوضأ إن كان لك ماء وإلاّ فتيمم، وإذا أردت أن تعاود فتوضأ بينهما وضوءاً، وإذا أردت أن تنام وأنت جنب فتوضأ وإن لم تكن جنباً فلا تنم إلاّ على طهارة، وإذا أردت أن تأكل أو تشرب وأنت جنب فتوضأ، وإياك والتضمخ بالخلوق فإن الله لا يقبل صلاة أحد وعلى جسده شيء من خلوق، وثبت أن الملائكة لا تقربه ولا تقرب الجنب إلاّ أن يتوضأ، كما أنه قد ثبت أن الملائكة لا تقرب جيفة الكافر، فإياك أن تنزل نفسك بترك الوضوء في الجنابة منزلة جيفة الكافر في بعد الملك منك فإنهم المطهرون بشهادة الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة] يعني بالكتاب المكنون الذي هو ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس]. وإياك والغدر وهو أن تعطي أحداً عهداً ثم تغدر به فإن رسول الله قبل إسلام المغيرة وما قبل غدرته بصاحبه مع كون صاحبه كافراً فكيف حال من يغدر بمؤمن؟ فإن الله قد أوعد على ذلك الوعد الشديد، وليس من مكارم الأخلاق ولا ممّا أباحته الشريعة. إياك وعقوق الوالدين إن أدركتهما، فأشقى الناس من أدرك والديه ودخل النار قال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤] وقال في الوالدين إذا كان كافرين: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] وقال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] ورجح الأم وقدمها في

الإحسان والبرّ على أبيك، ثبت أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: «**مَنْ أَبَرُّ؟ قال له: أمَّك، ثم قال له: مَنْ أَبَرُّ؟ قال: أُمَّكَ ثلاث مرات ثم قال في الرابعة: مَنْ أَبَرُّ؟ قالَ: أُمَّكَ ثُمَّ أَبَاكَ**» فقدم الأمّ على الأب في البرّ وهو الإحسان، كما قدم الجار الأقرب على الأبعد، ولكل حق وإن لم يكن لك أمّ وكانت لك خالة فبرّها فإنها بمنزلة الأم فإن النبي ﷺ أوصى ببرّ الخالة. يا أخي وما أوصيتك في هذه الوصية بشيء أستنبطه من نفسي فإني لا أحكم على الله بأمر في حق أحد فما أوصيتك في هذه الوصية إلاّ بما أوصاك به الله تعالىٰ أو رسوله ﷺ إما معيناً فأذكره على التعيين وإما مجملاً فأفصله لك غير ذلك ما أقول به. وإياك يا أخي أن تزكي على الله أحداً فإن الله قد نهاك عن ذلك في قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ﴾ أي أمثالكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] ولكن قل أحسبه كذا أو أظنه كذا كما أمرك به رسول الله ﷺ قال: «**وَلاَ أُزَكِّي عَلَىٰ اللهِ أَحَداً**» فإنه من الأدب مع الله عدم التحكم عليه في خلقه إلاّ بتعريفه وإعلامه وما هذا من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] فإن ذلك تحلية النفس وتطهيرها من مذام الأخلاق إتيان مكارمها.

واعلم أن الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأعلاها لا إلٰه إلاّ الله وما بينهما هو على قسمين من الله عمل وترك أي مأمور به ومنهي عنه، فالمنهي عنه هو الذي يتعلق به الترك وهو قوله لا تفعل، والمأمور به هو الذي يتعلق به العمل وهو قوله افعل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧] وقال ﷺ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**» وأطلق ولم يقيد. وقال في الأمر: «**وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**» فهذا من رحمته بأمته وهو لا ينطق عن الهوى، فهذا من رحمة الله تعالىٰ بعباده، وأمر بما وجب به الإيمان على نوعين: فرض ومندوب، والنهي على قسمين: نهي حظر ونهي كراهة. والفرض على نوعين: فرض كفاية وفرض عين، وكذلك الواجب أقول فيه واجب موسع وواجب مضيق، فالواجب الموسع موسع بالزمان وموسع بالتخيير وهو الواجب المخير مثل كفارة المتمتع وإتيان ما يؤتى من هذا كله وترك ما يترك من هذا كله هو الإيمان الذي فيه سعادة العباد، فالبضع والسبعون من الإيمان هو الفرض منه من عمل وترك، وأما غير الفرض كالمندوبات والمكروهات فيكاد لا ينحصر عند أحد فابحث عليها في الكتاب والسنة. فمن شعب الإيمان: الشهادة بالتوحيد وبالرسالة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والوضوء والغسل من الجنابة والغسل يوم الجمعة والصبر والشكر والورع والحياء والأمان والنصيحة وطاعة أولي الأمر والذكر وكف الأذى وأداء الأمانة ونصرة المظلوم وترك الظلم وترك الاحتقار وترك الغيبة وترك النميمة وترك التجسّس والاستئذان وغض البصر والاعتبار وسماع الأحسن من القول واتباعه والدفع بالتي هي أحسن وترك الجهر بالسوء من القول والكلمة الطيبة وحفظ الفرج وحفظ اللسان والتوبة والتوكل والخشوع وترك اللغو والإشتغال بما يعني وترك ما لا يعني، وحفظ العهد والوفاء بالعقود والتعاون على البر والتقوى وترك التعاون على الإثم والعدوان، والتقوى والبرّ والقنوت والصدق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وإصلاح ذات البين وترك إفساد ذات البين وخفض الجناح واللين وبرّ الوالدين وترك العقوق والدعاء والرحمة بالخلق وتوقير الكبير ومعرفة شرفه ورحمة الصغير، والقيام بحدود الله وترك دعوى الجاهلية فإن النبيّ ﷺ يقول: «**دَعُوها فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**» والتودّد والحب في الله والبغض في الله والتؤدة والحلم والعفاف والبذاذة وترك التدابر وترك التحاسد وترك التباغض وترك التناجش وترك شهادة الزور وترك قول الزور وترك الهمز واللمز والغمز وشهود الجماعات، وإفشاء السلام والتهادي وحسن الخلق والسمت الصالح وحسن العهد وحفظ السرّ والنكاح والإنكاح وحب الفأل وحبّ أهل البيت وترك الطيرة وحبّ النساء وحب الطيب وحب الأنصار، وتعظيم الشعائر وتعظيم حرمات الله، وترك الغش وترك حمل السلاح على المؤمن، وتجهيز الميت والصلاة على الجنائز وعيادة المريض وإماطة الأذى، وأن تحب لكل مؤمن ما تحب لنفسك، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك ممّا سواهما، وأن تكره أن تعود في الكفر، وأن تؤمن بملائكة الله وكتبه ورسله وبكل ما جاءت به الرسل من عند الله إلى ما لا يحصى كثرة يأتي إن شاء الله من ذلك في هذه الوصية ما يذكرني الله به ويجريه على خاطري وقلمي، ومن تتبع كتاب الله وحديث رسوله ﷺ يجد ما ذكرناه وزيادة ممّا لم نذكره، وكلما ورد فله أوقات تخصه وأمكنة ومحال وأحوال، والجامع للخير كله في ذلك أن تنوي في جميع ما تعمله أو تتركه القربة إلى الله بذلك العمل أو الترك وإن فاتتك النية فاتك الخير كله فكثير ما بين تارك بنية القربة إلى الله من حيث إن الله أمره بترك ذلك وبين تارك له بغير هذه النية، وكذلك في العمل ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾ [البينة: ٥] والإخلاص هي النية والعبادة عمل وترك، والإخلاص مأمور به شرعاً.

وصية: إذا كنت إمام قوم فدعوت فلا تخصّ نفسك بالدعاء دونهم فإنك إن فعلت ذلك فقد خنتهم، وفيه من مذام الأخلاق بتبخيل الحق وتحجير الرحمة التي وسعت كل شيء وإيثار نفسك على غيرك، وإن الله ما مدح في القرآن إلاّ من آثر على نفسه؛ سمع رسول الله ﷺ رجلاً من الأعراب يقول: اللّهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ حَجَّرَ هٰذَا وَاسِعاً**» يريد قوله تعالىٰ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٥٦] والذي أوصيك به إياك أن تصلي وأنت حاقن حتى تخفف، وإذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة فابدأ بالطعام ثم تصلي بعد ذلك إن كنت ممّن يتناوله بعد الصلاة فحينئذ تفعل ذلك وارغب في دعاء الوالدين ودعاء المسافر، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب، وعليك بالاستحداد وهو حلق العانة وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقص الشارب وإعفاء اللحية وردّ السلام وتشميت العاطس وإجابة الداعي وعليك بالعدل في أمورك كلها والمحافظة على عبادة الله، وكسر الشهوتين وتعاهد المساجد للصلاة والبكاء من خشية الله والاعتصام بحبل الله، وعليك بمحاب الله ومراضيه فاتبعها فمنها تعاهد المساجد، وعليك بصيام داود عليه السلام فهو أحب الصيام إلى الله وأفضله وأعدله وهو صيام يوم وفطر يوم وقد ذكرنا ما يختص من الأسرار والفوائد بالصوم في باب الصوم من هذا الكتاب، وكذلك في الطهارة والصلاة والزكاة

والحج فلتنظر هناك، وأحبّ الصلاة إلى الله بالليل صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وذلك هو التهجد، وإن كان لك ولد فسمه عبد الله أو عبد الرحمن وكنه أبا محمد أو سمّه محمداً وكنّه بأبي عبد الله أو أبي عبد الرحمن، وإذا عملت عملاً من الخير فداوم عليه وإن قلّ فهو أفضل فإن الله لا يملّ حتى تملوا، فإن في قطع العمل وعدم المداومة عليه قطع الوصل مع الله، فإن العبد لا يعمل عملاً إلاّ بنية القربة إلى الله وحينئذ يكون عملاً مشروعاً فمتى تركه فقد ترك القربة إلى الله، ومن أراد أنه لا يزال في حال قربة من الله دائماً فعليه بالحضور الدائم مع الله في جميع أفعاله وتروكه، فلا تعمل عملاً إلاّ وهو به مؤمن بما لله فيه من الحكم، ولا يترك عملاً إلاّ وهو مؤمن بما في تركه من الحكم لله، فإذا كان هذا حاله فلا يزال في كل نفس مع الله، وهو الذي يحرّم ما حرّم الله ويحلّ ما أحلّ الله ويكره ما كره الله ويبيح ما أباح الله فهو مع الله في كل حال. واحذر من الإلحاد في آيات الله ومن الإلحاد في حرم الله إن كنت فيه، والإلحاد الميل عن الحق شرعاً ولذلك قال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج: ٢٥] فذكر الظلم. وعليك بأفضل الصدقات، وأفضل الصدقات ما كان عن ظهر غنى، ومعنى عن ظهر غنى أن تستغني بالله عن ذلك الذي تعطيه وتصدّق به وإن كنت محتاجاً إليه فإن الله مدح قوماً فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وذلك أنهم لم يؤثروا على أنفسهم مع الخصاصة حتى استغنوا بالله، فإن نزلت عن هذه الدرجة فلتكن صدقتك بحيث أن لا تتبعها نفسك فلتغن أولاً نفسك بأن تطعمها فإذا استغنت عن الفاضل فتصدق بالفضل فإنك ما تصدقت إلاّ بما استغنيت عنه، وتلك هي الصدقة عن ظهر غنى في حق هذا، والأوّل أفضل. وعليك بصيام رجب وشعبان وإن قدرت على صومهما على التمام فافعل فإنه ورد: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللهِ المُحَرَّمِ**» وهو رجب فإنه يقال له شهر الله هذا الاسم له دون الأشهر كلها، وكان رسول الله ﷺ يكثر صوم شعبان، يقول الراوي: ربما صامه كله وحافظ على صوم سرره ولا يفوتنك إن فاتك صومه. وأفطر السادس عشر من شعبان ولا بدّ حتى تخرج من الخلاف فإنه أولى فإن فطره جائز بلا خلاف وصومه فيه خلاف فإن رسول الله ﷺ قال: «**إذا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَأَمْسِكُوا عَنِ الصَّوْمِ**». وعليك بقول الحق في مجلس من يخاف ويرجى من الملوك ولا يعظم عندك على الحق شيء إلاّ ما أمرك الله بتعظيمه، وعليك بعمل البر في يوم النحر فإنه أعظم الأيام عند الله، ورد في ذلك خبر نبوي كثر فيه من ذكر الله ومن الصدقة، وكل فعل فيه لله رضى وتقدر عليه في هذا اليوم فلا تتخلف عنه فإنه أفضل من يوم عرفة ويوم عاشوراء وفيه خير كما قلنا أعط كل ذي حق حقه حتى الحق أعطه حقه، ولا ترى أن لك على أحد حقاً فتطلبه منه، فانصف من نفسك ولا تطلب النصف من غيرك، واقبل العذر ممّن اعتذر إليك، وإياك والاعتذار فإن فيه سوء الظن منك بمن اعتذرت إليه، فإن علمت أن في اعتذارك إليه خيراً له وصلاحاً في دينه فاعتذر إليه في حقّه من غير سوء ظن به بل قضاء حق له تعين عليك وأحق الحقوق حق الله.

وصية: وعليك بكثرة الدعاء في حال السجود فإنك في أقرب قربة إلى الله لما ثبت من

قوله ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**» فأكثروا الدعاء ولا قرب أقرب من قرب السجود، ولا دعاء إلاَّ في القرب من الله، فإذا دعوت في السجود فادع في دوام الحال الذي أوجب لك القرب المطلوب من الله، فإنك تعلم أنه قريب من خلقه وهو معهم أينما كانوا، والمطلوب أن يكون العبد قريباً من الله وأن يكون مع الله في أي شأن يكون الله فيه، فإن الشؤون لله كالأحوال للخلق بل هي عين أحوال الخلق التي هم فيها، وعليك بصلة أهل ودّ أبيك بعد موته فإن ذلك من أبرّ البرّ، ورد في الحديث: «**إِنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ**» وأن ذلك من أحب الأعمال إلى الله وهو الإحسان إليهم، والتودّد بالسلام والخدمة وبما تصل إليه يدك من الراحات والسعي في قضاء حوائجهم، وعليك بالتلطف بالأهل والقرابة، ولا تعامل أحداً من خلق الله إلاَّ بأحبّ المعاملة إليه ما لم تسخط الله فإن أرضاه ما يسخط الله فأرض الله. وابدأ بالسلام على من عرفت ومن لم تعرف، فإن عرفت من الذي تلقاه أنه يسلم عليك فاتركه يبدأ بالسلام ثم تردّ عليه فيحصل لك أجر الوجوب، فإن ردّ السلام واجب والابتداء به مندوب إليه، وأحب ما يتقرب به إلى الله ما افترضه على خلقه، وإذا علمت من شخص أنه يكره سلامك عليه وربما تؤديه تلك الكراهة إلى أنه لو سلمت عليه لم يرد عليك فلا تسلم عليه ابتداء إيثاراً له على نفسك وشفقة عليه فإنك تحول بينه وبين وقوعه في المعصية إذا لم يرد عليك السلام، فإنه يترك أمر الله الواجب عليه، ومن الإيمان الشفقة على خلق الله فبهذه النية اترك السلام عليه، وإن علمت من دينه أنه يرد السلام عليك فسلم عليه وإن كره، واجهر بالسلام عليه وابدأ به فإنك تدخل عليه ثواباً برد السلام وتسقط من كراهته فيك بسلامك عليه بقدر إيمانه ونفسه الصالحة إن كان ممّن جبل على خلق حسن، وعليك بالنظر إلى من هو دونك في الدنيا ولا تنظر إلى أهل الثروة والاتساع خوفاً من الفتنة فإن الدنيا حلوة خضرة محبوبة لكل نفس فإن النعيم محبوب للنفوس طبعاً، ولولا النعيم الذي يجده الزاهد في زهده ما زهد والطائع في طاعته ما أطاع، فإن أخوف ما خافه رسول الله ﷺ علينا ما يخرج الله لنا من زهرة الدنيا قال الله تعالىٰ لنبيه: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨] زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه، ثم حبّب إليه رزق ربه الذي هو خير وأبقى وهو الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت هو رزق ربه الذي رزقه فإنه تعالىٰ لا يتهم في إعطائه الأصلح لعبده، فما أعطاه إلاَّ ما هو خير في حقه وأسعد عند الله وإن قلّ فإنه ربما لو أعطاه ما يتمناه لعبد طغى وحال بينه وبين سعادته فإن الدنيا دار فتنة. وإذا كان لأحد عندك دين وقضيته فأحسن القضاء وزده في الوزن وارجح تكن بهذا الفعل من خير عباد الله بإخبار رسول الله ﷺ فهو من السنة وهو الكرم الخفي اللاحق بصدقة السرّ فإن المعطى إياه لا يشعر بأنه صدقة وهو عند الله صدقة سرّ في علانية ويورث ذلك محبة ووداً في نفس الذي أعطيته وتخفي نعمتك عليه في ذلك، ففي حسن القضاء فوائد جمّة وعليك يا أخي بالذبّ والدفع عن أخيك المؤمن عن عرضه ونفسه وماله وعن عشيرتك بما لا تأثم به عند الله، فلا تبرح من يدك ميزان مراعاة حق الله في جميع تصرّفاتك، ولا تتبع هواك في شيء يسخط الله فإنك لا تجد

صاحباً إلاَّ الله فلا تفرط في حقّه وحقّه أحق الحقوق وأوجبها علينا، كما ثبت حق الله أحق أن يقضى، وإن عزمت على نكاح فاجهد في نكاح القرشيات، وإن قدرت على نكاح من هي من أهل البيت فأعظم وأعظم فإنه قد ثبت أنه خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، وعاشرهن بالمعروف واتق الله فيهن، وأحق الشروط ما استحللت به فروجهن وأحسن إليهن في كل شيء، وإياك أن تعذب ذا روح إذا كان في يدك حتى الأضحية إذا ذبحتها فحد الشفرة وأسرع وأرح ذبيحتك وادفع الألم عن كل من يتألم جهد استطاعتك كان ما كان الألم الحسي من كل حيوان وإنسان ومن النفسي ما تعلم أنه يرضي الله، واعلم أنه ممّا يرضي الله ما أباحه لك أن تفعله. وإذا رأيت أنصارياً من بني النجار فقدمه على غيره من الأنصار مع حبك جميعهم، وعليك بأحسن الحديث وهو كتاب الله فلا تزل تالياً إياه بتدبر وتفكّر عسى الله أن يرزقك الفهم عنه فيما تتلوه، وعلم القرآن تكن نائب الرحمن فإن ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن] وهو القرآن فإنه قال فيه: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ وهو القرآن ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] فعلم القرآن قبل الإنسان أنه إذا خلق الإنسان لا ينزل إلاَّ عليه وكذلك كان فإنه نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ وهو ينزل على كل قلب تال في حال تلاوته فنزوله لا يبرح دائماً، فعلم الله القرآن كما علم الإنسان القرآن فخيركم من علم القرآن وعلمه واتق شحّ الطبيعة فإن المفلح عند الله من يوق شحّ نفسه، وكن شجاعاً مقداماً على إتيان العزائم التي شرع الله لك أن تأتيها فتكن من أولي العزم، ولا تكن جباناً فإن الله أمرك بالإستعانة به في ذلك، وإذ كان الله المعين فلا تبال فإنه لا يقاومه شيء بل هو القادر على كل شيء فما ثم مع الإعانة الإلهية قوَة تقاوي قوّة الحق فإن الله يقول فيمن سأله الإعانة: «**ولعبدي ما سأل**» في الخبر الصحيح: «**فإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقول الله هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، وإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخِرِ السُّورَةِ وَهِدَايَتُهُ مِنْ مَعُونَتِهِ يَقُولُ الله: هٰؤُلاَءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**». وخبره صدق وقد قال: «**وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**» فلا بد من إعانته، ولكن هنا شرط لا يغفل عنه العالم إذا تلى مثل هذا لا يتلوه حكاية فإن ذلك لا ينفعه فيما ذهبنا إليه وفيما أريد له، وإنما الله تعالىٰ ما شرع له أن يقرأ القرآن ويذكره بهذا الذكر إلاَّ ليعلمه كيف يذكره، فيذكره. ذكر طلب واضطرار وافتقار وحضور في طلبه من ربه ما شرع له أن يطلبه، فذلك هو الذي يجيبه الحق إذا سأله، فإن تلى حكاية فما هو سائل وإذا لم يسأل وحكى السؤال فإن الحق لا يجيب من هذه صفته، ولا جزم أن التالين الغالب عليهم الحكاية لأنه لا ثمرة عندهم فهم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يجاوز تراقيهم وقلوبهم لاهية في حال التلاوة وفي حال سماعه.

فإذا رأيت من يقدم على الشدائد في حق الله فاعلم أنه مؤمن صادق، وإذا رأيته قوي العزم في دين الله وفي غير دين الله فيعلم أنه قوي النفس لا قوي الإيمان بالأصالة، فإن المؤمن هو القوي في حق الله خاصة الضعيف في حق الهوى لا يساعد هواه في شيء إذا جاءه الهوى النفسي يطلب منه أن يعينه في أمر ما يريه من الضعف والخوف ما يقطع به يأسه منه فينقمع

الهوى إذ لا يجد معونة من قبول المؤمن عليه فيعصم جوارحه من إمضاء ما دعاه إليه الهوى وسلطانه، فإذا جاءه وارد الإيمان وجد عنده من القوّة والمساعدة بالله ما لا يقاومه شيء. فإن الله هو المعين له، فإن الإنسان خلق هلوعاً من حيث إنسانيته، وأن المؤمن له الشجاعة والإقدام من حيث ما هو مؤمن كما حكي عن بعض الصحابة وأظنه عمرو بن العاص: «أن رسول الله ﷺ أخبره أنه لا بدّ له أن يلي مصر» فحضر في حصار بلد فقال لأصحابه: اجعلوني في كفة المنجنيق وارموا بي إليهم فإذا حصلت عندهم قالت حتى أفتح لكم باب الحصن فقيل له في ذلك فقال: إن رسول الله ﷺ ذكر لي أني ألي مصر وإلى الآن ما وليتها ولا أموت حتى أليها، فهذا من قوّة الإيمان، فإن العادة تعطي في كل إنسان أن شخصاً إذا رمي في كفة المنجنيق أنه يموت فالمؤمن أقوى الناس جأشاً. ومن أسمائه تعالىٰ المؤمن وقد ورد أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً من كونه مؤمناً، فالمؤمن المخلوق يستعين بالمؤمن الخالق فيشدّ منه ويقوي ما ضعف عنه من كونه مخلوقاً، فإن الله خلقه من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوّة فهي إشارة، وذلك إن كانت قوّة الشباب تفسيراً فهي قوّة الإيمان بما أمر من الإيمان به تنبيهاً فاعلم.

وصية: كن فقيرًا من الله كما أنت فقير إليه فهو مثل قوله ﷺ: **«وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»** ومعنى فقرك من الله أن لا يشم منك رائحة من روائح الربوبية بل العبودية المحضة، كما أنه ليس في جناب الحق شيء من العبودية ويستحيل ذلك عليه فهو رب محض فكن أنت عبداً محضاً، فكن مع الله بقيمتك لا بعينك، فإن عينك عليه روائح الربوبية بما خلقك عليه من الصورة بالدعوى وقيمتك ليست كذلك، بهذا أوصاني شيخي وأستاذي أبو العباس العريبي رحمه الله، فلقيمتك التصرف بالحال لا بالدعوى فكن أنت كذلك، فمتى قالت لك نفسك كن غنياً بالله فقد أمرتك بالسيادة فقل لها أنا فقير إلى الله وإلى ما أفقرني الله إليه فإن الله أفقرني إلى الملح أن يكون في عجيني.

وصية: عليك بالرباط فإنه من أفضل أحوال المؤمن، فكل إنسان إذا مات يختم على عمله إلاّ المرابط فإنه ينمى له إلى يوم القيامة ويأمن فتان القبر ثبت هذا عن رسول الله ﷺ والرباط أن يلزم الإنسان نفسه دائماً من غير حد ينتهي إليه أو يجعله في نفسه، فإذا ربط نفسه بهذا الأمر فهو مرابط، والرباط في الخير كله ما يختص به خير من خير فالكل سبيل الله فإن سبيل الله ما شرعه الله لعباده أن يعملوا به، فما يختص بملازمة الثغور فقط ولا بالجهاد فإن رسول الله ﷺ قال في انتظار الصلاة بعد الصلاة: **«إنه رباطٌ»**، والله يقول في كتابه للمؤمنين: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] يعني في ذلك كله أي اجعلوه وقاية تتقوا به هذه العزائم، وذلك معونته في قوله: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ١٥٣] ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فهذا معنى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] أي تكون لكم النجاة من مشقة الصبر والرباط.

وينبغي لك إذا ناجيت رسول الله ﷺ وذلك زمان قراءتك الأحاديث المروية عنه ﷺ أن

تقدم بين يدي نجواك صدقة أي صدقة كانت فإن ذلك خير لك وأطهر بهذا أمرت، فإن الصدقات التي نصّ الشرع عليها كثيرة ولذلك ورد أنه يصبح على كل سلامي منا صدقة في كل يوم تطلع فيه الشمس، ثم أخبر ﷺ أن كل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة، فانظر حالك عندما تريد قراءة الحديث النبوي فهي التي بقيت في العامة من مناجاة الرسول، فالذي يعين لك حالك عند ذلك من الصدقات تقدمها بين يدي قراءتك الحديث كانت ما كانت، فقد أوسع الله عليك في ذلك فلم يبق لك عذر في التخلف بعد أن أعلمك ﷺ بأنواع الصدقات فقدم منها بين يدي نجواك ما أعطاه حالك بلغ ما بلغ وحينئذٍ تشرع في قراءة الحديث النبوي. وإياك أن تحشر يوم القيامة مع المصوّرين الذين يصوّرون ذوات الأرواح من الحيوانات فإنك إن صورت صورة من صور الحيوانات تبعها روحها من عند الله من حيث لا تشعر بذلك في الدنيا، فإذا كان في الآخرة يجعل الله لكل مصوّر في النار بكل صورة صورة نفساً تعذبه في نار جهنم، فإن الخلق من اختصاص الله فمن نازعه في خلقه فإنه يعذبه بما خلق من ذلك والخلق لله لا إليه إذ لم يكن بإذن الله كخلق عيسىٰ عليه السلام الطير من الطين بإذن الله ونفخ فيه الروح بإذن الله، فلو أذن الله للمصوّر في ذلك لكان طاعة فعل ذلك، فأعلم أن كل نفس بما كسبت رهينة.

وصية: واحذر أن تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب فقد ثبت أنه من قال لأخيه كافر فقد باء به أحدهما إن كان كما قال وإلاّ رجعت عليه، ومعنى الرجوع عليه أنه هو الكافر فإنه من كفر مسلماً لإسلامه فهو كافر يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ فقال الله تعالىٰ فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣] والسفيه هو الضعيف الرأي، يقولون إنهم ما آمنوا إلاّ لضعف رأيهم وعقلهم فجاز ذلك عليهم لقول الله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أي هم الذين ضعفت آراؤهم، فحال ذلك الضعف بينهم وبين الإيمان ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣] فتحفظ من الكلام القبيح وهو أن تنسب صفة مذمومة لأخيك المؤمن وإن كانت فيه لا في حضوره ولا في غيبته، فإنك إن واجهته بذلك فقد عيرته، فما تأمن أن يعافيه الله من تلك الصفة ويبتليك بها وقد ورد: «**لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ بِأَخِيكَ فَيُعَافِيَهُ الله وَيَبْتَلِيكَ**» وإن كان غائباً فهي غيبة وقد نهاك الله عن الغيبة فإنك إذا ذكرته بأمر هو فيه ممّا يسوءه لو قابلته به فقد اغتبته، وإن نسبت إليه من القبيح ما ليس فيه فذلك البهتان، ولا بدّ أن تجني ثمرة غرسك إلاّ أن يعفو الله بإرضاء الخصم، وأن يعود عليك وبال ما نسبته إلى أخيك المؤمن بما ليس هو عليه، وكذلك خداع المؤمن فلا تكن ممّن يخادع الله فإنك إن اعتقدت ذلك كنت من الجاهلين بالله حيث تخيلت أنك تلبس على الحق وأن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٢-٢٣]. وإن خادعت المؤمن فما تخادع إلاّ نفسك كما قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] في خداعهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ فإنهم مؤمنون

أيضاً ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢] فوصفهم بالإيمان بالباطل. وقال في حديث الأنواء فيمن قال مطرنا بنوء كذا إنه كافر بي مؤمن بالكوكب فهذا قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ في خداعهم الذين آمنوا، وأما في خداعهم الله فإن الله هو خادعهم بخداعهم أي هو خداع الله بهم لكونهم اعتقدوا أنهم يخادعون الله، فإياك والجهل فإنه أقبح صفة يتصف بها الإنسان، فإن كنت يا وليّ ذا زوجة فأوصها بل لا تتركها ولا أختاً ولا بنتاً ولا أي امرأة كانت ممّن تحكم عليهم أو تعلم أنها تسمع منك فانصحها كانت من كانت أن لا تستعطر إذا خرجت بطيب يكون له ريح فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أيُّمَا امْرَأةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِي زَانِيَةٌ**» وقد ورد مقيداً في ذلك: «**أيُّمَا امْرَأةٍ أَصَابَتْ بَخُوراً فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا العِشَاءَ الأَخِيرَةَ**» وذلك لأن الليل آفاته كثيرة والظلمة ساترة وما تدري إذا أصاب الرجل ريحها الطيب في طريق المسجد ما يلقى منه إذا لم يتق الله فلهذا نهاها رسول الله ﷺ عن شهود العشاء الآخرة. وبالجملة فلا ينبغي للمرأة أن تخرج بطيب له رائحة في ليل ولا في نهار.

وإياك والاستهزاء والسخرية بأهل الله استهزاء بدين الله ولا تتخذهم ضحكة فإن وبال ذلك يعود عليك يوم القيامة فيسخر الله منك ويستهزىء بك وهو أن يريك بالفعل ما فعلته أنت هنا أعني في الدنيا بالمؤمن إذا لقيته تقول: أنا معك على طريق الهزء به والسخرية منه، فإذا كان يوم القيامة يجازيك الله عدلاً بقدر ما تراءيت به للمؤمنين من الإقبال عليهم والإيمان بما هم عليه أهل الله عزَّ وجل، وقد رأينا على ذلك جماعة من المدرسين الفقهاء يسخرون بأهل الله المنتمين إلى الله المخبرين عن الله بقلوبهم مايرد عليهم من الله فيها فيأمر من هذه صفته إلى الجنة حتى ينظر إلى ما فيها من الخير فيسرّون كما يسرّ أهل الله في حال استهزائهم بهم ويتخيلون أنهم صادقون فيما يظهرون به إليهم. فإذا وفى الله جزاء عملهم وانفهقت لهم الجنة بخيرها أمر الله بهم أن يصرفوا عنها إلى النار فتصرفهم الملائكة إلى النار فذلك استهزاء الله بهم، كما أن هؤلاء المنافقين لما رجعوا إلى أهليهم قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] وقال: ﴿سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨] ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤] كما كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين لإيمانهم، وكذلك بعض المؤمنين يضحكون من أهل الله في الدنيا ولا سيما الفقهاء إذا رأوا العامة على الاستقامة يتحدثون بما أنعم الله عليهم في بواطنهم يضحكون منهم ويظهرون لهم القبول عليهم وهم في بواطنهم على خلاف ذلك، فلا أقل يا أخي إذا لم يكن منهم أن تسلم لهم أحوالهم فإنك ما رأيت منهم ما ينكره دين الله ولا ما يرده العلم الصحيح النقلي والعقلي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩ـ ٣٠] هكذا والله رأيت فقهاء الزمان مع أهل الله يتغامزون عليهم ويضحكون منهم ويظهرون القبول عليهم وهم على غير ذلك، فاحذر من هذه الصفة ومن صحبة من هذه صفته لئلا يسرقك الطبع، فما أعظم حسرتهم يوم القيامة فهم ﴿ٱلَّذِينَ

اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ [البقرة: ١٧٥] و﴿الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٨٦] ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

وصية: واحذر يا أخي أن تكون من شرار الناس فيتقي الناس لسانك فإن من شرار الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم وأنت أعرف بنفسك في ذلك: أقبل رجل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ فيه قبل أن يصل إليه وقد رآه مقبلاً: **«بِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ»** فَلَمَّا وصل إليه بشَّ في وجهه وضحك له فلما انصرف قالت له عائشة: يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم بشثت في وجهه فقال: **«يا عَائِشَةُ إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ أَكْرَمَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»** فاحذر أن تكون ممّن هذه صفتهم فتكون من شرّ الناس بشهادة رسول الله ﷺ، وإن كانت لك زوجة فإياك إذا أفضيت إليها وكان بينك وبينها ما كان أن تنشر سرها فإن ذلك من الكبائر عند الله فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ: **«إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»** فذلك من الكبائر. وإياك أن تسبّ أبا أحد أو أمه فيسبّ أباك وأمك فإن ذلك من العقوق، وكذلك إذا جالست مشركاً فلا تسبّ من اتخذه إلهاً مع الله، وإذا جالست من تعرف أنه يقع في الصحابة من الروافض فلا تتعرض ولا تعرض بذكر أحد من الصحابة التي تعلم أن جليسك يقع فيهم بشيء من الثناء عليهم فإن لجاجه بجعله يقع فيهم فتكون أنت قد عرضتهم بذكرك إياهم للوقوع فيهم، يقول الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ونهى رسول الله ﷺ عن شتم الرجل والديه فقيل له: يا رسول الله وكيف يشتم الرجل والديه؟ فقال ﷺ: **«يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»** وإن من الكبائر استطالة الرجل في عرض رجل مسلم بغير حق، هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ، وعليك بشهود العتمة والصبح في جماعة فإنه من شهد العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليله، ومن شهد الصبح في جماعة فكأنما قام ليله، وعليك بالشفقة على عباد الله مطلقاً بل على كل حيوان فإنه في كل ذي كبد رطبة أجر عند الله تعالىٰ.

وصية: احذر أن ترجح نظرك على علم الله في خلقه بمن قدمه من الولاة في النظر في أمور المسلمين وإن جاروا فإن لله فيهم سراً لا تعرفه، وأن ما يدفع الله بهم من الشرور ويحصل بهم من المصالح أكثر من جورهم إن جاروا، وهذا كثير ما يقع فيه الناس يرجحون نظرهم على ما فعل الله في خلقه، ويأتيهم الشيطان فيعلق تسفيههم بالذين ولوه ويحول بينهم وبين الصحيح من كون الله ولاهم وينسيهم أمر النبي ﷺ: **«أن لا تُخرجَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ وَأَنْ لا تُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ فَيَدْخُلَ عَلَيهِمُ الشَّيْطَانُ»** من التأويل في هذه الأحاديث وأمثالها بما يخرجهم بذلك من الإسلام وينسيهم قوله ﷺ: **«فَإِنْ جَارُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ وَإِنْ عَدَلُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ»** وأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن لو لم يكن في هذه المسألة إلاّ اعتراض الملائكة على الله تعالىٰ في خلافة آدم عليه السلام لكان كافياً، وقد جعل رسول الله ﷺ من تمام الزكاة أن ينقلب المصدق وهو العامل الذي على الزكاة راضياً عنك وإن ظلمك، وهذا باب قد أغفله الناس وقد أغلقوه على أنفسهم فما يرى أحد إلاّ وله في ذلك نصيب ولا يعلم ما فيه عند الله،

وقد رأينا على ذلك براهين من الله كثيرة، ومتى ذممت ولا بدّ فذمّ الصفة بذمّ الله، ولا تذمّ الموصوف بها إن نصحت نفسك، ومتى حمدت فاحمد الصفة والموصوف معاً، فإن الله يحمدك على ذلك.

وصية: أوصيت بها في مبشرة أريتها سمعتها من كلام الله تعالىٰ بلا واسطة في البقعة المباركة التي كلم الله فيها موسىٰ عليه السلام من بلة على قدر الكف كلاماً لا يكيف ولا يشبه كلام مخلوق عين الكلام وهو عين الفهم من السامع، فممّا فهمت منه كن سماء وحي وأرض ينبوع وجبل تسكين فإذا تحركت فلتكن حركة أحياء وسطينة بتحريك عن وحي سماوي ثم وقع في نفسي نظم فكنت أنشد: [مخلع البسيط]

جَعَلْتَ فِيَّ الذي جَعَلْتَا ... وقُلْتَ لي أنت قد عَمِلْتَا
وأنت تدري بأن كَوْني ... ما فيه غير الذي جَعَلْتَا
فكلُّ فِعْلِ تراه مِنِّي ... أنت إلٰهي الذي فَعَلْتَا

وصية: إذا قلت خيراً ودللت على خير فكن أنت أوّل عامل به والمخاطب بذلك الخير، وانصح نفسك فإنها آكد عليك فإن نظر الخلق إلى فعل الشخص أكثر من نظرهم إلى قوله، والاهتداء بفعله أعظم من الاهتداء بقوله، ولبعضهم في ذلك: [الكامل]

وإذا المَقَالُ مع الفِعَالِ وَزَنْتَهُ ... رجح الفعالُ وخَفَّ كُلُّ مَقَالِ

واجهد أن تكون ممّن يهتدي بهديك فتلحق بالأنبياء ميراثاً فإن رسول الله ﷺ يقول: «**لأَنْ يَهْتَدِيَ بِهُدَاكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**» يقول الله تعالىٰ في نقصان عقل من هذه صفته ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] فإذا تلى الإنسان القرآن ولا يرعوي إلى شيء منه فإنه من شرار الناس بشهادة رسول الله ﷺ فإن الرجل يقرأ القرآن والقرآن يلعنه ويلعن نفسه فيه يقرأ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] وهو يظلم فيلعن نفسه ويقرأ ﴿لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] وهو يكذب فيلعنه القرآن ويلعن نفسه في تلاوته، ويمرّ بالآية فيها ذمّ الصفة وهو موصوف بها فلا ينتهي عنها، ويمرّ بالآية فيها حمد الصفة فلا يعمل بها ولا يتصف بها فيكون القرآن حجة عليه لا له، قال ﷺ في الثابت عنه القرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعقتها أو موبقها، فإذا كنت يا أخي ممّن يجلس مع الله بترك الأسباب فتحفظ من السؤال فلا تسأل أحداً، وإياك أن تقتدي بهؤلاء أصحاب الزنابل اليوم فإنهم من أدنى الناس همة وأخسّهم قدراً عند الله وأكذبهم على الله، فإما يقين صادق وإما حرفة فيها عزّ نفسك فإن ذلك خير لك عند الله، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لأَنْ يَحْتَزِمَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً مِنْ حَطبٍ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً**» وفي حديث: «**أعْطاه أو مَنَعَهُ**» فإما يقين صادق وإما شغل موافق.

وصية: عليك بإكرام الضيف فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**» فإن كان الضيف مقيماً فثلاثة أيام حقّه عليك وما زاد فصدقة، فإن كان مجتازاً فيوم وليلة جائزته. ولشيخنا أبي مدين في هذه المسألة حكاية عجيبة: كان

رضي الله عنه يقول بترك الأسباب التي يرتزق بها الناس وكان قوي اليقين ويدعو الناس إلى مقامه والاشتغال بالأهم فالأهم من عباد الله، فقيل له في ذلك أي في ترك الأسباب والأكل من الكسب وأنه أفضل من الأكل من غير الكسب، فقال رضي الله عنه: ألستم تعلمون أن الضيف إذا نزل بقوم وجب بالنص عليهم القيام بحقه ثلاثة أيام إذا كان مقيماً؟ فقالوا نعم، فقال: فلو أن الضيف في تلك الأيام يأكل من كسبه أليس كان العار يلحق بالقوم الذين نزل بهم؟ فقالوا نعم، فقال: إن أهل الله رحلوا عن الخلق ونزلوا بالله أضيافاً عنده فهم في ضيافة الله ثلاثة أيام، وإن يوماً عند ربك كألف سنة ممّا تعدّون، فنحن نأخذ ضيافته على قدر أيامه، فإذا كملت لنا ثلاثة أيام من أيام الله من نزلنا عليه ولا نحترف ونأكل من كسبنا عند ذلك يتوجه اللوم وإقامة مثل هذه الحجة علينا. فانظر يا أخي ما أحسن نظر هذا الشيخ وما أعظم موافقته للسنة، فلقد نور الله قلب هذا الشيخ فحق الضيف واجب وهو من شعب الإيمان أعني إكرام الضيف، وكذلك من شعب الإيمان قول الخير أو الصمت عن الشر، يقول الله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] هذا في النجوى ومخاطبة الناس، وذكر الله أفضل القول، والتلاوة أفضل الذكر.

ومن الإيمان وشعبه اجتناب مجالس الشرب فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يَقْعُدْ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ**» وعليك إذا عملت عملاً مشروعاً أن تحسنه فإنه من حسن عمله بلغ أمله، وحسن العمل أن تعمله كما شرع الله لك أن تعمله، وأن ترى الله تعالىٰ في عملك إياه فإن رسول الله ﷺ فسّر الإحسان بما ذكرناه فقال في الثابت عنه: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**» وإذا أردت أن تأتي الجمعة فاغتسل لها فإن الغسل وإن كان واجباً عليك يوم الجمعة لمجرد اليوم فإنه قبل الصلاة للصلاة أفضل بلا خلاف، فإذا توضأت كما ذكرت لك في باب الوضوء من هذا الكتاب فامش إلى الجمعة، وعليك السكينة والوقار، ولا تفرق بين اثنين إلاّ أن ترى فرجة فتأوي إليها، وتقرب من الخطيب وأنصت لكلامه إذا خطب، ولا تمسح الحصى فإن مسح الحصى لغو، ولا تقل لمتكلم أنصت والإمام يخطب فإن ذلك من اللغو، وفرغ قلبك لما يأتي به من الذكر فإن المؤمن ينتفع بالذكرى، ولتلبس أحسن ثيابك وتمس من الطيب إن كان معك ولتهجر ما استطعت. وإن أردت الخروج من الخلاف في التهجير فتسعى إليها في أوّل ساعة من النهار تكن من أصحاب البدن وتدنو من الإمام ما استطعت، وإن كان لك أهل فلتجعلهم يغتسلون يوم الجمعة كما اغتسلت، وإن كنت جنباً فاغتسل غسلين: غسل الجنابة وغسل الجمعة فهو أولى، فإن لم تفعل فاغتسل للجنابة فعسى يجزيك عن غسل الجمعة، فإنه قد ثبت: «**مَنْ غَسَلَ وَاغْتَسَلَ وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ**» وعليك بالوضوء على الوضوء فإنه نور على نور، ولقيت على ذلك جماعة من الشيوخ ببلاد المغرب يتوضؤون لكل صلاة فريضة وإن كانوا على طهارة. وأما التيمّم لكل فريضة فالدليل في وجوب ذلك أقوى من قياسه على الوضوء وإليه أذهب فإن نص القرآن في ذلك، ولولا أن رسول الله ﷺ شرع في الوضوء ما شرع من صلاة فريضتين

فصاعداً بوضوء واحد لكان حكم القرآن يقتضي أن يتوضأ لكل صلاة، وبالجملة فهو أحسن بلا خلاف فإن الوضوء عندنا عبادة مستقلة، وإن كان شرطاً في صحة عبادة أخرى فلا يخرجه ذلك عن أن يكون عبادة مستقلة في نفسه مراداً لعينه، وتحفظ أن تؤذي شخصاً قد صلّى الصبح فإنه في ذمّة الله فلا تحقر الله في ذمّته، وما رأيت أحداً يدّعي هذا القدر في معاملته الخلق وقد أغفله الناس، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُو فِي ذِمَّةِ الله**» فإياك أن يتبعك الله بشيء من ذمته، وحافظ كل يوم على صلاة اثنتي عشرة ركعة فإنه قد ثبت الترغيب في ذلك عن رسول الله ﷺ، وحافظ على صلاة العصر فإنه من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله. وإذا قعدت في مسجد أو في مجلسك أو حيث كنت فاقعد على طهارة منتظراً دخول وقت الصلاة، واجعل موضع جلوسك مسجدك فإن الأرض كلها مسجد بالنص، وإن كان في المسجد المعروف في العرف كان أفضل، فإنه من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إلى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله لِيَقْضِي فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ الله كَانَتْ خُطُوَاتُهُ إحْدَاهُنَّ تَحُطُّ عَنْهُ خَطِيئَةً وَالأُخْرَى تَرْفَعُ لَهُ دَرَجَةً**»، وعليك من قيام الليل بما يزيل عنك اسم الغفلة، وأقل ذلك أن تقوم بعشر آيات فإنك إذا قمت بعشر آيات لم تكتب من الغافلين، هكذا ثبت عن المبلغ ﷺ عن الله، وحافظ في السنة كلها على القيام كل ليلة ولو بما ذكرت لك، ولا تهمل الدعاء في كل ليلة، واجعل من دعائك السؤال في العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة فإنك لا تدري متى تصادف ليلة القدر من سنتك، فإني قد أريتها مراراً في غير شهر رمضان فهي تدور في السنة وأكثر ما يكون في شهر رمضان، وأكثر ما تكون في ليلة وتر من الشهر وقد تكون في شفع، وقد أريتها في ليلة الثامن عشر من الشهر، وقد أريتها في العشر الوسط ومن رمضان، فإن زدت على عشر آيات في قيام الليل فأنت بحسب ما تزيد، فإن زدت إلى المائة كتبت من الذاكرين، وإن زدت إلى ألف آية كتبت من المقسطين. وعليك بصيام ستة أيام من شوال ولتجعلها من ثاني يوم من شوال متتابعات إلى أن تفرغ لتخرج بذلك من الخلاف، وإذا قضيت أيام رمضان من مرض أو سفر فاقضه متتابعاً كما أفطرته متتابعاً تخرج بذلك من الخلاف، فإن شهر رمضان متتابع الأيام في الصوم، وإن قدرت أن تشارك في فطرك صائماً أو تفطر صائماً فافعل فإن لك أجره أي مثل أجره، وعليك إن كنت مجاوراً بمكة بكثرة الطواف فإن طواف كل أسبوع يعدل عتق رقبة، فأعتق ما استطعت تلحق بأصحاب الأموال مع أجر الفقر، واجهد أن ترمي بسهم في سبيل الله، وإن تعلمت الرمي فاحذر أن تنساه فإن نسيان الرمي بعد العلم به من الكبائر عند الله. وكذلك من حفظ آية من القرآن ثم نسيها إما من محفوظه وإما ترك العمل بها فإنه لا يعذب أحد من العالمين يوم القيامة بمثل عذابه لأنه لا مثل للقرآن الذي نسبه، وعليك بتجهيز المجاهد بما أمكنك ولو برغيف إذا لم تكن أنت المجاهد، وأخلف الغزاة في أهلهم بخير تكتب معهم وأنت في أهلك، واحذر إن لم تغز أن لا تحدث نفسك بالغزو فإنك إن لم تغز ولا تحدث نفسك بالغزو كنت على شعبة من نفاق. واجهد في

إعطاء ما يفضل عنك لمعدم ليس ذلك من طعام أو شراب أو لباس أو مركوب، وعليك بتعلم علم الدين إن عملت به عملت على علم أو علمته أحداً من الناس كان ذلك التعليم عملاً من أعمال الخير قد أتيته، واسأل من الله ما تعلم أن فيه خيراً عند الله فإنه إن أعطاك ما سألت وإلاّ أعطاك أجر ما سألت، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ ما يؤيد ما ذكرناه وذلك أنه قال: «**مَنْ سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ الله مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**» وعليك بالإحسان إلى كل من تعول وادع إلى خير ما استطعت فإنك لن تدعو إلى خير إلاَّ كنت من أهله، ومن أجابك إليه فلك مثل أجره فيما أجابك من ذلك. ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ لا يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً**» ولقد بلغني عن الشيخ أبي مدين أنه سنّ لأصحابه ركعتين بعد الفراغ من الطعام يقرأ في الأولى: ﴿لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١] وفي الآخرة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ومشت سنّة في أصحابه. وقد ثبت أنه من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله، وعليك بصلة الأرحام وحافظ على النسب الذي بينك وبين الله فإنه من الأرحام، وعليك بإنظار المعسر إلى ميسرة فإن الله يقول: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] وإن وضعت عنه فهو أعظم لأجرك فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ الله فِي ظِلِّهِ**» وأن الله يوم القيامة يتجاوز عمّن يتجاوز عن عباده، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أيضاً أنه قال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ الله مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ**».

واعلم أن من الإيمان أن تسرك حسنتك وتسوءك سيئتك، واحذر من الكبر والغل والرين، واستر عورة أخيك إذا أطلعك الله عليها فإن ذلك يعدل إحياء موؤدة، هكذا ورد النص في ذلك عن رسول الله ﷺ فإن مقادير الثواب لا يدرك بالقياس، وعليك بالسعي في قضاء حوائج الناس، وقد رأينا على ذلك جماعة من الناس يثابرون عليه وهو من أفضل الأعمال، وفرّج عن ذي الكربة كربته، واستر على مسلم إذا رأيته في زلّة يطلب التستر بها ولا تفضحه، وأقل عثرة أخيك المسلم وخذ بيده كلما عثر وأقله بيعته إذا استقالك، فإن ذلك كله مرغب فيه مندوب إليه مأمور به شرعاً، وهو من مكارم الأخلاق، وعليك بالزهد في الدنيا ولباس الخشن فإنه قد ورد: «**أَنَّهُ مَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبِ جَمَالٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ كَسَاهُ الله حُلَّةَ الكَرَامَةِ**»وهذا ثابت. وكن من الكاظمين الغيظ إذا قدرت على إنفاذه فإن الله قد أثنى على الكاظمين الغيظ العافين عن الناس. وقال ﷺ: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ مَلأَهُ الله أَمْناً وَإِيماناً**» فمن الإيمان كظم الغيظ، واحم أخاك المؤمن ممّن يريد ضرّه ما استطعت وبما قدرت عليه من ذلك، وإذا نزل بك ضرّ فلا تنزله إلاّ بالله ولا تسأل في كشفه إلاّ الله، وإن قلت بالأسباب فلا يغب الله عن نظرك فيها فإن لله في كل سبب وجهاً، فليكن ذلك الوجه من ذلك السبب مشهوداً لك.

واعلم أنه ما من نبي إلاّ وقد أنذر أمته الدجال، وأن رسول الله ﷺ كان يستعيذ من فتنة الدجال تعليماً لنا أن نستعيذ من ذلك، وفي الاستعاذة من فتنته وجهان: الوجه الواحد

الإستعاذة من فتنته حتى لا تصدّقه في دعواه وأن تعصم منه، ومن أراد أن يعصمه الله من ذلك فليحفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف فإنه يعصم بها من فتنة الدجال. والوجه الآخر أن تعصم من أن يقوم بك من الدعوى ما قام بالدجال فتدعي لنفسك دعوته فإنك مستعد لكل خير وشرّ يقبله الإنسان من حيث ما هو إنسان، وثابر ما استطعت على أن تسأل الله الوسيلة لرسول ﷺ فإنه ﷺ قد سأل منا ذلك، فالمؤمن من أسعفه في سؤاله مع ما يعود عليه في ذلك من الخير، أدناه وجوب الشفاعة له يوم القيامة إن اضطر إليها، وإذا رأيت من يتعمل في تحصيل خير فأعنه على ذلك بما استطعت، ولا تمنع رفدك ممّن استرفدك، وإياك أن تجلد عبدك فوق جنايته، وإن عفوت فهو أحوط لك فإنك عبد الله ولك إساءة تطلب من الله العفو عنك لها فاعف عن عبدك، ولا تأكل وحدك ما استطعت ولو لقمة تجعلها في فم خادمك من الطعام الذي بين يديك إذا لم يجبك إلى الأكل معك، واستغن بالله صدقاً من حالك فإن الله لا بدّ أن يغنيك فإن استغناءك بالله من القرب إلى الله، وقد ثبت: «**أَنَّهُ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى الله شِبْراً تَقَرَّبَ الله مِنْهُ ذِرَاعاً**» الحديث. وكذلك من يستعف بالله روي أن بعض الصالحين لم يكن له شيء من الدنيا فتزوّج فجاءه ولد وما أصبح عنده شيء فأخذ الولد وخرج ينادي به: هذا جزاء من عصى الله، فقيل له: زنيت؟ فقال لا. وإنما سمعت الله يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣] فعصيت أمر الله وتزوجت وأنا لا أجد نكاحاً فافتضحت فرجع إلى منزله بخير كثير. وإن قدرت على العتق فأعتق رقبة، وإن لم تجد مالاً ويكون لك علم فاهديه رجلاً منافقاً أو كافراً أو رد به مسلماً عن كبيرة فإنك تعتقه بذلك من النار وهو أفضل من عتق رقبة، ومن ملك أحد في الدنيا وفكاك العاني أولى من عتق العبد فإنه عتق وزيادة. واعلم أن الفقير الذي لا يقدر على إحياء أرض ميتة فليحيي أرض بدنه بما يعمل فيها من الطاعة لله تعالىٰ، وليحيي مواضع الغفلة بذكر الله فيها، وليحيي العمل بالإخلاص فيه. وإن أردت أن لا يضرك في يومك سحر ولا سم فلتصبح بسبع تمرات من العجوة أو تسحر بها إن أصبحت صائماً، فإنه كذا ثبت عن رسول الله ﷺ. وعليك بخدمة الفقراء إلى الله ومجالسة المساكين والدعاء للمسلمين بظهر الغيب عموماً وخصوصاً وصحبة الصالحين والتحبّب إليهم وأنو في جميع حركاتك خيراً مشروعاً فإنك لما نويت، وإذا رأيت من أعطاه الله مالاً وفعل فيه خيراً وحرمك الله ذلك المال فلا تحرم نفسك أن تتمنى أن تكون مثله فإن الله يأجرك مثل أجره وزيادة، وإذا جلست مجلساً فاذكر الله فيه ولا بدّ، وإياك أن تحرم الرفق فإنك إن حرمت الرفق فقد حرمت الخير كله. وأجر من استجار بك إلاّ في حدّ من حدود الله فإن كان في حدّ من حدود الخلق فأصلح في ذلك ما استطعت بينه وبين صاحب الحق ولا تسلمه ولو مضى فيه جميع مالك، وإذا رأيت من يستعيذ بالله فأعذه فإن النبيّ ﷺ تزوج امرأة فلما دخل عليها استعاذت بالله منه لشقاوتها فقال: عذت بعظيم الحقي بأهلك فطلقها ولم يقربها وأعاذها. وإذا سألك أحد بالله وأنت قادر على مسألته فأعطه وإن لم تقدر على مسألته فادع له فإنك إذا دعوت له مع عدم القدرة فقد أعطيته ما بلغت إليه يدك من مسألته

فإن الله لا يكلف نفساً إلاَّ ما آتاها ، وإذا أسدى إليك أحد معروفاً فلتكافئه على معروفه ولو بالدعاء إذا عجزت عن مكافأته بمثل ما جاءك به ، وإذا أسديت أنت إلى أحد معروفاً فأسقط عنه المكافأة ولتعلمه بذلك ولتظهر له الكراهة إن كافأك حتى تريح خاطره ولا سيما إن كان من أهل الله ، فإن جاءك بمكافأة على ذلك وتعلم منه أنه يعزّ عليه عدم قبولك لذلك فاقبله منه ، وإن علمت منه أنه يفرح بردّك عليه بعد أن وفى هو ما وجب عليه من المكافأة فردّ عليه بسياسة وحسن تلطف ، واجعل لك الحاجة عنده في قبول ما رددت عليه من ذلك حتى يتحقق أنه قد قضى لك حاجة في قبول ما رددت عليه من المكافأة .

وإياك أن تدعي ما ليس لك فإن ذلك ليس من المروءة مع ما فيه من الوزر عند الله ، وإن رميت بشيء مذموم فلا تنتصر لنفسك واسكت ، ولا تتعرض لمن رماك بأنه يكذب ، ولا تقرّ على نفسك بما لم تفعل ممّا نسب إليك هكذا فعل ذو النون مع المتوكل حين سأله عمّا يقول الناس فيه من رميه بالزندقة فقال : يا أمير المؤمنين إن قلت لا أكذبت الناس وإن قلت نعم كذبت على نفسي ، فاستحسن ذلك منه أمير المؤمنين وما قبل فيه قول قائل وردّه مكرماً إلى مصر واعتذر له ، وحكايته في ذلك مشهورة ذكرها الناس . وقد ثبتت الأخبار الصحيحة في إثم من ادّعى ما ليس له أو اقتطع ما لا يجب له من حق الغير ، واحذر في يمينك أن تحلف بملة غير ملة الإسلام أو بالبراءة من الإسلام فإنك إن كنت صادقاً فلن ترجع إلى الإسلام سالماً ، ولتجدد إسلاماً إذا فعلت مثل ذلك ، ومع هذا فلا تحلف إلاَّ بالله فإنك إن حلفت بغير الله كنت عاصياً للنهي الوارد في ذلك ، وإن حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك ولتأت الذي هو خير ، وإياك والكذب في الرؤيا أو الكذب على الله أو على رسول الله أو تحدث بحديث ترى أنه كذب فتحدث به ولا تبين عند السامع أنه كذب . واحذر أن تسمع حديث قوم وهم يكرهون أن تسمعه فإنه نوع من التجسّس الذي نهى الله عنه . واحذر أن تخبث امرأة على زوجها أو مملوكاً على سيده . واحذر أن تنام على سطح ماله احتجاز فإن فعلت فقد برئت منك الذمّة . وإياك أن تحب قيام الناس لك وبين يديك تعظيماً وهذا كثير في هذه البلاد أعني العراق وما جاوره ، فما رأيت منهم أحداً يسلم من حب ذلك مع علمهم بما فيه ، وقد جرت لنا معهم في ذلك حكايات مع علمائهم فما ظنك بعامتهم ، وقمت مرّة لأحدهم فقال لي : لا تفعل ، وقال لي : إن النهي قد ورد في ذلك فقلت له : يا فقيه أنت المخاطب بذلك أن لا تحب أن يتمثل الناس بين يديك قياماً ما أنا المخاطب بذلك إني لا أقول لمثلك ، فتعجب من هذا الجواب واستحسنه وكان من علماء الشريعة . وإياك إن تقبل هدية من شفعت فيه شفاعة فإن ذلك من الربا الذي نهى الله عنه بنص رسول الله ﷺ في ذلك ، ولقد جرى لنا مثل هذا في تونس من بلاد أفريقية دعاني كبير من كبرائها يقال له ابن معتب إلى بيته لكرامة استعدّها لي فأجبت الداعي فعندما دخلت بيته وقدم الطعام طلب مني شفاعة عند صاحب البلد وكنت مقبول القول عنده متحكماً فأنعمت له في ذلك وقمت وما أكلت له مطعاماً ولا قبلت منه ما قدمه لنا من الهدايا وقضيت حاجته ورجع إليه ملكه ولم أكن بعد

وقفت على هذا الخبر النبويّ، وإنما فعلت ذلك مروءة وأنفة، وكان عصمة من الله في نفس الأمر وعناية إلهية بنا وإياك أن تشفع عند حاكم في حدّ من حدود الله. كلم ابن عباس في رجل أصاب حدّاً من حدود الله أن يكلم الحاكم فيه فقال ابن عباس: لعنني الله إن شفعت فيه، ولعن الله أخاكم إن قبل الشفاعة فيه، لو أردتم ذلك لجئتموني قبل أن يصل إلى الحاكم وكان سارقاً، ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حُدُودِ الله فَقَدْ ضَادّ الله**» وإياك أن تخاصم في باطل فتسخط الله عليك، وكذلك لا تعن على خصومة بعلم تدفع به حقاً، فإن النبيّ ﷺ يقول فيمن أعان على ذلك: «**إنَّهُ يَبُوءُ بِغَضَبٍ مِنَ الله**». ولا تقل في مؤمن ما ليس فيه ممّا يشينه عند الناس، وقد ثبت أنه من رمى مسلماً بشيء يريد أن يشينه حبسه الله على جمر جهنم حتى يخرج ممّا قال يعني يتوب، واحذر أن تأكل الدنيا بالدين أو تأكل مال أحد بإخافته فيعطيك اتقاء، وإياك إن تسمع فيسمع الله بك، سمعت شيخنا المحدث الزاهد أبا الحسن يحيى بن الصانع بمدينة سبتة ونحن بمنزله يقول: لأكل الدنيا بالدف والمزمار خير لي من أني آكلها بالدين. وكف لسانك عن اللعنة ما استطعت فإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت عليه اللعنة أي بعد عنه الخير الذي كان له من ذلك الذي لعنه لو لم يلعنه، ولقد روينا عن رجل كان في غزاة فضاع له آلة من آلات دابته فسئل عن الضائع فقال: راح في لعنة الله، ثم إن الرجل استشهد في تلك الغزاة فرآه إنسان في النوم فسأله ما فعل الله به فقال: إن الله وزن لي كل ما عندي حتى روث الفرس وبوله جعله في ميزاني وأثابني به فلم أر في الميزان سرج الدابة الذي كان ضاع لي فقلت يا رب وأين سرج دابتي؟ فقال: هو حيث جعلته في لعنة الله حيث سئلت عنه فحرم خيره فعادت لعنة السرج عليه بهذا المعنى. وكان رسول الله ﷺ في سفر فسمع امرأة تلعن ناقتها فأمر بها فسيبت وقال: «**لا يَصْحَبْنَا مَلْعُونٌ**» فطردت من الركب، قال الراوي: فلقد كنا نراها تطلب أن تلحق بالركب والناس يطردونها فتركناها منقطعة فكانت عقوبة صاحبتها أن بعد عنها خيرها وهو ركوبها فحارت اللعنة عليها فإن اللعنة البعد. واحذر أن تكفر مؤمناً فإن تكفير المؤمن كقتله، ولا تهجر أخاك فوق ثلاث فإذا لقيته بعد ثلاث فابدأه بالسلام تكن خير الشخصين المتهاجرين. ولما هجر الحسن محمد ابن الحنفية أخاه وتهاجرا نفذ إليه محمد بن الحنفية بعد ثلاث فقال: يا أخي يا ابن رسول الله: إن رسول الله ﷺ يقول: «**لا يَهْجُرْ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ يَلْتَقِيانِ فَيَصُدّ هٰذا وَيَصُدّ هٰذا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلام**»وقد فرغت الثلاث فإما أن تأتيني فتبدأني بالسلام فإنك خير مني وإن كنا ابني رجل واحد فأنت سبط رسول الله ﷺ فإن خير الرجلين المتهاجرين من يبدأ بالسلام، وإن لم تفعل جئت إليك فبدأتك بالسلام، فبلغ ذلك الحسن فشكره وركب دابته وقصد إلى منزله فبدأه بالسلام. فانظر ما أحسن هذا كيف آثر على نفسه من هو أفضل منه يرجو بذلك المنزلة والمحبة عند رسول الله ﷺ، فهكذا ينبغي للعاقل أن يحتاط لنفسه ويأتي الأفضل فالأفضل ويعرف الفضل لأهله، وقد ثبت أنه من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه.

وإياك واللعب بالنرد فإن في اللعب بالنرد معصية الله ورسوله، وفي الشطرنج خلاف

وكل ما فيه خلاف فالاحتياط أن تخرج من الخلاف باجتنابه، واجتنب القمار بكل شيء مطلقاً، وكل ما تغفل باللهو به عن أداء فرض من فروض الله عليك أو عن ذكر الله فاجتنبه. دخل بعض أهل الله من العلماء على قوم يلعبون بالشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ وإن كان اللعب بالشطرنج حلالاً فالمصوّر له مأثوم إثم المصوّرين. وأخبرني الزكي شيخنا أحمد بن مسعود بن سداد المقري الموصلي بمدينة الموصل سنة إحدى وستمائة قال: رأيت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله ما تقول في الشطرنج يعني في اللعب به؟ قال ﷺ: حلال، وكان الرائي حنفي المذهب، قال: فقلت والنرد؟ قال: حرام، قال قلت: يا رسول الله ما تقول في الغناء؟ قال: حلال، قلت: فالشبابة؟ قال: حرام، قال قلت: يا رسول الله ادع الله لي فقد مستني الحاجة أو كما قال ممّا هذا معناه، قال ﷺ رزقك الله ألف دينار كل دينار من أربعة دراهم، واستيقظت فدعاني الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله في شغل فلما خرجت من عنده أمر لي بأربعة آلاف درهم فما بتّ إلاً والدراهم عندي كاملة التي عيّنها لي في دعائه رسول الله ﷺ، قال: فاعتقدت من تلك الساعة تحليل الشطرنج الذي كنت أعتقد تحريمه وتحريم الشبابة وكنت أعتقد النقيض في هذين الشيئين.

وإياك وتصديق الكهان وإن صدقوا، واجتنب ما استطعت الاستمطار بالأنواء وعلم النجوم اجتنبه مطلقاً احتياطاً إلاً ما يحتاج منه إلى معرفة الأوقات، والوقوف عند قول الشارع هو طريق النجاة وتحصيل السعادة وما ندندن إلاً على ذلك، واحذر أن تنام وفي يدك دسم أو على ظاهر فمك من أجل الهوام والشياطين، وإياك أن تشاقق على أحد ولا تضارره ولا تكن ذا وجهين تأتي قوماً بوجه وقوماً بوجه، واحذر من الاحتكار لانتظار الغلاء لأمة محمد عليه السلام. ولا تتخذ كلباً إلاً أن تكون في أمر تطلب الحراسة فيه أو صيد، ولا تغصب مسلماً شيئاً ولا ذميّاً ولا ذا عهد، وإذا ضربت مملوكاً أو مملوكة حدّاً لم يأته أو لطمته في وجهه فأعتقه فإن كفارة فعلك به ذلك عتقه، ولا ترم مملوكك ولا مملوكتك بالزنى من غير علم فإن الله يقيم عليك الحدّ في ذلك يوم القيامة.

واحذر من اتباع الصيد والمداومة عليه ولزوم البادية فإن الصيد يورث الغفلة وسكنى البادية يورث الجفاء، وإياك وصحبة الملوك إلاً أن تكون مسموع الكلمة عندهم فتنفع مسلماً أو تدفع عن مظلوم أو ترد السلطان عن فعل ما يؤدي إلى الشقاء عند الله، وعليك بالوفاء بالنذر إذا نذرت طاعة فإن نذرت معصية فلا تعص الله وكفر عن ذلك كفارة يمين فإنه أحوط وأرفع للخلاف. وعليك بطاعة أولي الأمر من الناس ممّن ولاّه السلطان أمرك فإن طاعة أولي الأمر واجبة بالنص في كتاب الله، وما لهم أمر يجب علينا امتثال أمرهم فيه إلاً المباح لا الأمر بالمعاصي، فإن غصبوك فاقبل غصبهم في بعض أحوالك، وإن أمروك بالغصب فلا تغصب ولا تفارق الجماعة ولا تخرج يداً من طاعة فتموت ميتة جاهلية بنص رسول الله ﷺ، ولا تخرج على الأمة ولا تنازع الأمر أهله، وقاتل مع الأعدل من الاثنين، وأوف لذي العهد بعهده ولذي الحق بحقه، ولا تحمل السلاح في الحرم لقتال، وإذا دخلت السوق بسهام فأمسك

على نصالها لا تعقر أحداً وأنت لا تشعر، ولا تمازح أخاك بحمل السلاح عليه وأكرم شعرك وغبّ بترجيله واكتحل وإذا اكتحلت فاكتحل وتراً واشرب مصاً ولا تتنفس في الإناء إذا شربت وأزل الإناء عن فمك، وكل بثلاث أصابع وصغر اللقمة وكثر مضغها ولا تشرع في لقمة أخرى حتى تبتلع الأولى، وسمّ الله عند قطع كل لقمة واحمد الله إذا ابتلعتها واشكره على أنه سوغك إياها.

ولا تجلس في مجلس أحد إذا قام منه بنية الرجوع إليه إلاَّ أن يفارقه ولا يريد الرجوع إليه، وكان ابن عمر رضي الله عنه إذا قام أحد إليه من مكانه ليجلسه فيه يمتنع عليه ولا يجلس فإن القائم أحق به بنص رسول الله ﷺ، ولا ترد طيباً إذا عرض عليك ولا لبناً ولا وسادة إذا قدم إليك شيء من هذا كله، وإذا أخذت ديناً فأنو قضاءه ولا بدّ فإن الله يقضيه عنك إذا نويت ذلك، واعدل بين نسائك وفي رعيتك إن كنت راعياً تسعد إن شاء الله.

وصية: والذي أوصيك به إن كنت عالماً فحرام عليك أن تعمل بخلاف ما أعطاك دليلك، ويحرم عليك تقليد غيرك مع تمكنك من حصول الدليل، وإن لم تكن لك هذه الدرجة وكنت مقلداً فإياك أن تلتزم مذهباً بعينه بل اعمل كما أمرك الله فإن الله أمرك أن تسأل أهل الذكر إن كنت لا تعلم، وأهل الذكر هم العلماء بالكتاب والسنة فإن الذكر القرآن بالنص، واطلب رفع الحرج في نازلتك ما استطعت فإن الله يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقال ﷺ: «**دِينُ اللهِ يُسْرٌ**» فأسأل عن الرخصة في المسألة حتى تجدها فإذا وجدتها اعمل بها، وإن قال لك المفتي: هذا حكم الله أو حكم رسول الله في مسألتك فخذ به، وإن قال لك: هذا رأيي فلا تأخذ به وسل غيره، وإن أردت أن تأخذ بالعزائم في نوازلك فافعل ولكن فيما يختص بك ورفع الحرج هو السنّة، وإذا علمت علماً من علوم الشريعة فبلغه من لا يعلمه تكن من حملة العلم لمن لا يعلم، وإياك أن تكتم ما أنزل الله من البينات للناس إذا علمت ذلك، وعليك بالسماحة في بيعك وابتياعك، وإذا اقتضيت فكن سمحاً في اقتضائك، واجتنب الوشم أن تعمله أو تأمر به وكذلك التنميص وهو إزالة الشعر من الوجه بالنماص والنماص هو الذي يسمونه العوام الجفت، وكذلك التفليج فإن رسول الله يقول: «**لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ وَالنَّامِصَةَ وَالمُتَنَمِّصَةَ وَالوَاشِرَةَ وَالمُسْتَوْشِرَةَ**» وَهِيَ الَّتِي تفلج أسنانها «وَالوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ المُغَيِّرَاتِ خَلْقِ الله» وَالوَاصلة هي التي تصل شعرها.

واحذر أن تعير عباد الله بما ابتلاهم الله به في خلقهم وفي خلقهم وما قدر عليهم من المعاصي، وسل الله عزّ وجلّ العافية ما استطعت، وكن على نفسك لا تكن لها إن أردت أن تسعدها عند الله، وإياك وما تستحليه النفس إلاَّ أن يكون معها الشرع في ذلك فهو الميزان، وإياك أن تذبح ذبيحة لغير الله ولا تأكل ممّا أهل لغير الله وما لم يذكر اسم الله عليه فإنه فسق بنص القرآن، ولا يستميلونك أهل الذمّة إلى ما يتبركون به في دينهم فإن ذلك من الأمور المهلكة عند الله، ولقد رأيت بدمشق أكثر نسائها يفعلن ذلك ورجالهن يسامحونهن في ذلك وهو أنهم يأخذون الصبيان الصغار ويحملونهم إلى الكنيسة حتى يبرك القس عليه ويرشونهم

بماء المعمودية بنية التبرك وهذا قرين الكفر بل هو الكفر عينه وما يرتضيه مسلم ولا الإسلام ويقربون القرابين لذلك. واحذر أن تؤوي محدثاً أحدث في دين الله أمراً يبعد عن الله ويرده الدين مثل هذا الذي ذكرناه وإياك أن تغير حدود الأرض فإن ذلك غصب، وقد لعن رسول الله ﷺ من غير منار الأرض، احذر أن تمثل بحيوان أو تتخذه غرضاً أو يتخذه غيرك ولا تنهاه عنه، وإياك ونكاح البهائم، ولقد كان عندنا رجل صالح قليل العلم قد انقطع في بيته فاشترى حمارة لم تعلم له حاجة إليها فسأله بعض الناس بعد سنين وقال له ما تصنع بهذه الحمارة ومالك حاجة إليها ولا تركبها؟ فقال: يا أخي ما اشتريتها إلاّ عصمة لديني أنكحها حتى لا أزني فقال له: إن ذلك حرام فبكى وتاب إلى الله من ذلك وقال: والله ما علمت، فعليك بالبحث عن دينك حتى تعلم ما يحل لك أن تأتي منه ممّا لا يحل لك أن تأتيه في تصرفاتك.

وصية: إذا سألت المغفرة وهي طلب الستر فاسأل أن يسترك عن الذنب أن يصيبك فتكون معصوماً أو محفوظاً، وإن كنت صاحب ذنب فاسأله أن يسترك أن يصيبك عقوبة الذنب، وإياك أن تظهر إلى الناس بأمر يعلم الله منك خلافه، فلقد أخبرني الثقة عندي عن الشيخ أبي الربيع الكفيف المالقي كان بمصر يخدمه أبو عبد الله القرشي المبتلي فدخل عليه الشيخ وسمعه يقول في دعائه: اللهمّ يا رب لا تفضح لنا سريرة فصاح فيه الشيخ وقال له: الله يفضحك على رؤوس الأشهاد يا أبا عبد الله ولأي شيء تظهر لله بأمر وللناس بخلافه؟ اصدق مع الله عزّ وجلّ في جميع أحوالك ولا تضمر خلاف ما تظهر، فتاب إلى الله من ذلك ورجع، وليس للمغفرة متعلق إلاّ أن يسترك من الذنب أو يسترك من العقوبة عليه بقول الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] فما تقدم لا يعاقبك عليه وما تأخر لا يصيبك. وهذا إخبار من الله بعصمته ﷺ: أخبرني سليمان الدنبلي وكان عبداً صالحاً فيما أحسب كثير البكاء وكان له أنس بالله فقعدت معه بمقصورة الدولعي زاوية عائشة بجامع دمشق وجرى بيني وبينه كلام فقال لي: يا أخي لي والله أكثر من خمسين سنة ما حدثتني نفسي بمعصية قط لله الحمد على ذلك، واحذر يا أخي من التنطع في الكلام والتشدق، وإياك أن يستعبدك غير الله من عرض من عروض الدنيا فإنك عبد لمن استعبدك وإياك والتكبر والجبروت وتفقد مصالح ما عندك من الحيوانات من بهيمة وفرس وجمل وهرّة وغير ذلك ولا تغفل عنهم فإنهم خرس وأمانات بأيديكم إذا أنتم حبستموها عن مصالحها، وإياك أن تحدث أخاك بحديث يرى أنك فيه صادق فيصدقك وأنت فيه كاذب، لا تحقر أخاك شيئاً من نعيم الله وإن قلّ، ولا تزدر أحداً من عباد الله، واملك نفسك عند الغضب وعليك بتحمّل الأذى من عباد الله والصبر عليه فليس أحد أصبر على أذى يسمعه من الله إنهم ليدعون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم، فاجعل الحق أمامك وعامل عباده بما عاملهم به. نزل مشرك بإبراهيم الخليل فاستضافه فقال له إبراهيم عليه السلام: حتى تسلم، فقال: يا إبراهيم لا أفعل وانصرف فأوحى الله إليه يا إبراهيم من أجل لقمة يترك دينه ودين آبائه إنه ليشرك بي منذ سبعين سنة وأنا أرزقه فخرج إبراهيم عليه السلام في أثر الرجل فعرض عليه الرجوع فاستخبره عن

ذلك فأخبره بعتب الله له في ذلك فأسلم المشرك وعليك بترتيل القرآن والتغني به وذلك بأن تحبره وتستوفي حروفه، وإياك أن تدعو إلى عصبية بل ادع إلى الله، وإذا كنت في سفر فلا تصم فإن ذلك ليس من البر عند الله تعالىٰ وإن كنت ولا بدّ صاحب لهو فبامرأتك وفرسك وسهامك، واجتنب الاسترقاء والاكتواء والطيرة إن أردت أن تكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وعليك بفعل البر في يوم الاثنين ويوم الخميس فإنهما يومان تعرض فيهما الأعمال على الله تعالىٰ، وكان رسول الله ﷺ لا يترك صومهما ويقول: «**إنّي أحِبُّ أنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأنَا صَائِمٌ**» فإن الصوم عبادة تستغرق النهار كله سواء غفل العبد عن عبادة في ذلك اليوم أو لم يغفل فإنه في عبادة صومه بما نواه، وإياك والشحناء فإنه نظير الشرك في عدم المغفرة عند الله. واعلم أن العبد يبعث على ما مات عليه فلا تمت إلاّ وأنت مسلم، إياك وصحبة من تفارقه ولا تصحب إلاّ من لا يفارقك وهو العمل، فاجعل عملك صالحاً فتأنس به وتسر واجعله لك لا عليك، واعلم أن القبر خزانة أعمالك فلا تخزن فيه إلاّ ما إذا دخلت إليه يسرك ما تراه يقول بعضهم: [مجزوء الرجز]

يـا مَـنْ بـدُنْـيَـاهُ اشْـتَـغَـلْ ... وغَـرَّهُ طُـولُ الأمَـلْ
ولـم يَـزَلْ فـي غَـفْـلَـةٍ ... حـتـى دَنَـا مـنـه الأجَـلْ
الـمَـوْتُ يـأتـي بَـغْـتَـةً ... والـقَـبْـرُ صُـنْـدُوقُ الـعَـمَـلْ

يرجع عن الميت أهله وماله ويبقى معه عمله، أشقى الناس يوم القيامة من أمر بالمعروف ولم يأته ونهى عن المنكر وأتاه، وعليك بكسب الحلال وطيب المطعم وفر بدينك من الفتن إذا وقعت في الناس وظهرت، وإياك والحرص على المال، واحذر أن تسبّ الدهر فإن الله هو الدهر وإن أردت به الزمان فما بيد الزمان شيء بل الأمر بيد الله، لا تقل مالي وهل لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وما بقي بعد ذلك فعليك لا لك، وأنت مسؤول عمّا جمعت من أين جمعت وفيم أنفقت ولم اختزنت؟ لا تتزوّج من النساء إلاّ ذات الدين فإن من أعظم النعم على العبد المرأة الصالحة تعين على الدين، ولا تكفر العشير كن من حملة الدين تكن عدلاً بشهادة الرسول ﷺ فإنه قال: «**يَحْمِلُ هٰذا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ**» ابدأ بالسلام على من هو أكبر منك، وابدأ بالسلام على الماشي إن كنت راكباً وعلى القاعد إن كنت ماشياً، ولقد جرى لي مع بعض الخلفاء رضي الله عنه ذات يوم كنا نمشي ومعنا جماعة وإذا بالخليفة مقبل فتنحينا عن الطريق وقلت لأصحابي من بدأه بالسلام أرذلت به عنده فلما وصل وحاذانا بفرسه انتظر أن نسلم عليه كما جرت عادة الناس في السلام على الخلفاء والملوك فلم نفعل فنظر إلينا وقال: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته بصوت جهير فقلنا له بأجمعنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقال: جزاكم الله عن الدين خيراً وشكرنا على فعلنا وانصرف، فتعجب الحاضرون. لا تؤمن رجلاً في سلطانه ولا تقعد على تكرمته إلاّ بإذنه ولا تدخل بيته إلاّ بإذنه ولا تجز مقدم دابته إلاّ بإذنه، وليكن إمام القوم أقرؤهم لكتاب الله هذه وصية رسول الله ﷺ.

إذا استيقظت من نومك فامسح النوم من عينيك واذكر الله تحلّ بذلك عقدة واحدة من عقد الشيطان فإنه يعقد على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فإن توضأت حللت بوضوءك العقدة الثانية فإن صليت حللك العقد كلها. إياك أن تطلب الإمارة فتوكل إليها وعليك بالصباغ واجتنب السواد فيه فإن رسول الله ﷺ أمر به ورغب فيه وأعجبه. واعلم أن القلوب بيد الله بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء، وقلوب الملوك بيد الله كذلك يقبضها عنا إذا شاء ويعطف بها علينا إذا شاء، ليس لهم من الأمر شيء فاعذروهم وادعوا لهم ولا تقعوا فيهم فإنهم نواب الله في عباده وهم من الله بمكان فاتركوا ولاته له تعالىٰ يعاملهم كيف شاء، إن شاء عفا عنهم فيما قصروا فيه وإن شاء عاقبهم فهو أبصر بهم، وعليك بالسمع والطاعة لهم وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف.

دخل رجل نصراني مشرك بعض البلاد فبينما هو يمشي وإذا بالناس يهرعون من كل مكان ويقولون هذا السلطان قد أقبل فوقف المشرك ليراه فإذا به أسود كان مملوكاً لبعض الناس وأعتقه مجدّع الأطراف أقبح الناس صورة فلما نظر إليه قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له في ملكه يفعل ما يريد ويحكم ما يشاء فقيل له: ما الذي دعاك إلى الإسلام والتوحيد؟ فقال: سلطنة هذا العبد الأسود فإني رأيت من المحال أن يجتمع اثنان على تولية مثل هذا على الناس والأشراف والعلماء وأرباب الدين فعلمت أن الله واحد يحكم بعلمه في عباده كيف يشاء لا إله إلاّ هو، ورأيت هذا أنا سن تصديق الله تعالىٰ رسوله ﷺ فيما مثل به لنا في قوله: «**وإِنْ كَانَ عَبْداً حَبَشِياً مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ**» فإني جرّبت المخبرين عن الله إذا ضربوا الأمثال بأمر ما فإنه لا بدّ من وقوع ذلك المضروب به المثل، كان أبو يزيد البسطامي يشير عن نفسه أنه قطب الوقت فقيل له يوماً عن بعض الرجال أنه يقال فيه أنه قطب الوقت فقال: الولاة كثيرون وأمير المؤمنين واحد، لو أن رجلاً شقّ العصى وقام ثائراً في هذا الموضع وأشار إلى قلعة معينة وادّعى أنه خليفة قتل ولم يتم له ذلك وبقي أمير المؤمنين أمير المؤمنين فما مرّت الأيام حتى ثار في تلك القلعة ثائر ادّعى الخلافة وقتل وما تمّ له ذلك، فوقع ما ضرب به أبو يزيد المثل عن نفسه، فإياك والوقوع في ولاة أمور المسلمين، وإياك أن تنزل أحداً من الله منزلة لا تعرفها لا بتزكية عند الله فيه ولا بتجريح إلاّ أن تكون على بصيرة من الله تعالىٰ فيه فإن ذلك افتراء على الله ولو صادفت الحق فقد أسأت الأدب، وهذا داء عضال بل حسن الظن به وقل فيما أحسب وأظنّ هو كذا وكذا. ولا تزكي على الله أحداً فهذا رسول الله ﷺ ولا يدري ما يفعل به ولا بنا بل يتبع ما يوحى إليه، فما عرف به من الأمور عرفها وما لم يعرف به من الأمور لم يعرفه، وكان فيه كواحد من الناس، فكم رجل عظيم عند الناس يأتي يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وفكر في يوم القيامة وهوله وما يلقى الناس فيه وهو يوم التنادي يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم تلجؤون إليه، ولقد ثبت أن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين ذراعاً وأنه ليبلغ أفواه الناس، وعليك بالدعاء أن يعيذك الله من فتنة القبر

ومن فتنة الدجال، ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرّ ما صنعت ومن شرّ ما خلق، وقد أوصيتك بتغطية الإناء فإنه ثبت أن لله في السنة ليلة غير معينة ينزل فيها وباء لا يمرّ بإناء ليس عليه غطاء إلاّ دخل فيه من ذلك الوباء أو سقاء ليس عليه وكاء، وإن للشيطان فتنة فاستعذ بالله منها وراقب قلبك وخواطرك وزنها بميزان الشريعة الموضوع في الأرض لمعرفة الحق فإنك إذا فعلت ذلك كنت في أمورك تجري على الحق، فإن إبليس يضع عرشه على الماء لما علم أن العرش الرحماني على الماء يلبس بذلك على الناس أنه الله كما فعل بابن صياد وقد قال له رسول الله ﷺ: «**ما ترى؟**» قال: أرى عرشاً على البحر، فقال: «**ذلك عَرْشُ إبليس**»، يقول الله تعالىٰ في عرشه وكان عرشه على الماء، ثم قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [هود: ٧] والابتلاء فتنة فإبليس ما له نظر إلاّ في الأوضاع الإلهية الحقيقية فيقيم في الخيال أمثلتها ليقال هي عينها فيغتر بها من نظر إليها وما ثم شيء فإن الله قد أعطاه السلطنة على خيال الإنسان فيخيل إليه ما يشاء، فإذا وضع عرشه على الماء بعث سراياه شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً إلى قلوب بني آدم إلى الكافر ليثبت على كفره وإلى المؤمن ليرجع عن إيمانه وأدناهم من إبليس منزلة أعظمهم فتنة فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وصية: ادع الله أن يجعلك من صالحي المؤمنين تكن ولي رسول الله ﷺ وناصره، فإن الله قرن صالح المؤمنين مع نفسه وجبريل والملائكة في نصرة رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ: إنما وليي الله وصالح المؤمنين، وإن كنت والياً فلتساو في إقامة الحدود الشرعية على من تعينت عليه من شريف ووضيع ومن تحبه وتكرهه فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال: «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُقِيمُونَ الحُدُودَ عَلَى الوَضِيعِ وَيَتْرُكُونَ الشَّرِيفَ**» وإياك يا أخي أن تحجر عناية الله عن إماء الله لما سمعت أن للرجال عليهن درجة فتلك درجة الانفعال فإن حوّاء خلقت من آدم فلما انفعلت عنه كان له عليها درجة السبق، فكل أنثى من سبق ماء المرأة ماء الرجل وعلوّه على ماء الرجل، هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ فاعلم ذلك فللرجال عليهنَّ درجة، فإن الحكم لكل أنثى بماء أمها، وهنا سرّ عجيب دقيق روحاني من أجله كان النساء شقائق الرجال فخلقت المرأة من شق الرجل فهو أصلها فله عليها درجة السببية، ولا تقل هذا مخصوص بحواء فكل أنثى كما أخبرتك من مائها أي من سبق مائها وعلوّه على ماء الرجل، وكل ذكر من سبق ماء الرجل وعلوّه على ماء الأنثى وكل خنثى فمن مساواة الماءين وامتزاجهما من غير مسابقة. واحذر من فتنة الدنيا وزينتها وفرق بين زينة الله وزينة الشيطان وزينة الحياة الدنيا إذا جاءت الزينة مهملة غير منسوبة فإنك لا تدري من زينها لك، فانظر ذلك في موضع آخر واتخذه دليلاً على ما انبهم عليك مثل قوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٤] ومثل قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [فاطر: ٨] ولم يذكر من زيّنه فتستدل على من زيّنه من نفس العمل فزينة الله غير محرّمة وزينة الشيطان محرمة وزينة الدنيا ذات وجهين: وجه إلى الإباحة والندب ووجه إلى التحريم، والحياة الدنيا وطن الابتلاء فجعلها الله حلوة خضرة واستخلف فيها عباده فناظر كيف يعملون فيها بهذا جاء الخبر النبويّ: «**فاتّقِ**

فتنتها وميّز زينتها وقل رب زدني علماً» وإذا فجأك أمر تكرهه فاصبر له عندما يفجؤك فذلك هو الصبر المحمود، ولا تتسخط له ابتداء، ثم تنظر بعد ذلك أن الأمر بيد الله وأن ذلك من الله فتصبر عند ذلك فليس ذلك بالصبر المحمود عند الله الذي حرض عليه رسول الله ﷺ: ولقد مرّ رسول الله ﷺ بامرأة وهي تصرخ على ولد لها مات فأمرها أن تحتسبه عند الله وتصبر ولم تعرف أنه رسول الله ﷺ فقالت له: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، فقيل لها هذا رسول الله ﷺ فجاءت تعتذر إليه ممّا جرى منها فقال لها رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**». ينبّه ﷺ العبد أنه لا يزال حاضراً مع الله أبداً فهو أولى به.

وعليك برحمة الضعيف المستضعف فإنه قد ثبت أن الله ينصر عباده ويرزقهم بضعفائهم، وإذا اقترضت من أحد قرضاً فأحسن الاداء وأرجح إذا وزنت له واشكره على قرضه إياك، وانظر الفضل له ولكل من أحسن إليك أو أهدى لك هدية أو تصدق عليك ولو بالسلام فإن له الفضل عليك بالتقدم، وما عرف مقدار السلام الذي هو التحية إلاّ الصدر الأوّل فإني رويت أنهم كانوا إذا حالت بين الرجلين شجرة وهما يمشيان في الطريق فإذا تركاها والتقيا سلم كل واحد منهما على صاحبه لمعرفته بسرعة تقلب النفوس وما يبادر إليها من الخواطر القبيحة من إلقاء إبليس فيكون السلام بشارة لصاحبه إنه سلم من ذلك وأنه معه على ما افترقا عليه من حسن المودّة، فانظر إلى معرفتهم بالنفوس رضي الله عنهم، ومن قال لك إنه يحبك فلو أحببته ما عسى أن تحبه لن تبلغ درجة تقدمه في حبّه إياك فإن حبك نتيجة عن ذلك الحب المتقدم، وما قلت لك ذلك إلاّ أني رأيت وسمعت من فقراء زماننا من جهالهم لا من علمائهم يرون الفضل لهم على الأغنياء حيث كانوا فقراء لما يأخذونه منهم إذ لولا الفقراء ما صحّ لهم هذا الفضل، وهذا غلط عظيم فإن الثناء على المعطي ما هو من حيث ما وجد من يأخذ منه وإنما هو لقيام صفة الكرم به ووقايته شحّ نفسه سواء وجد من يأخذ منه أو لم يجد، ألا ترى إلى النص الوارد في المتمني مع العدم إذا تمنى ويقول: لو أن لي مالاً فعلت فيه من الخير مثل ما فعل هذا المعطي فأجرهما سواء وزاد عليه بارتفاع الحساب عنه والسؤال، ولهذا قلنا بأن ترى الفضل عليك لمن أعطى بما أعطى فهو أولى بك وأن اليد العليا هي خير من اليد السفلى واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة هذا السؤال، ولكن إذا لم تر الله في سؤالها لأن الحق قد سأل عباده في أمره إياهم أن يقرضوه ويذكروه وهنا أشار في التنزّل الإلهيّ إلى عباده.

وصية: إذا قرأت فاتحة الكتاب فصل بسملتها معها في نفس واحد من غير قطع فإني أقول بالله العظيم لقد حدّثني أبو الحسن عن ابن أبي الفتح المعروف والده بالكناري بمدينة الموصل سنة إحدى وستمائة وقال: بالله العظيم لقد سمعت شيخنا أبا الفضل عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب يقول: بالله العظيم لقد سمعت والدي أحمد يقول: بالله العظيم لقد سمعت المبارك بن أحمد بن محمد النيسابوري المقري يقول: بالله العظيم لقد سمعت من لفظ أبي بكر الفضل بن محمد الكاتب الهروي وقال: بالله العظيم لقد حدثنا

أبو بكر محمد بن علي الشاشي الشافعي من لفظه وقال: بالله العظيم لقد حدثني عبد الله المعروف بأبي نصر السرخسي وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر محمد بن الفضل وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى الوراق الفقيه وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد بن يونس الطويل الفقيه وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد وقال: بالله العظيم لقد حدثني موسىٰ بن عيسىٰ وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الراجعي وقال: بالله العظيم لقد حدثني عمار بن موسىٰ البرمكي وقال: بالله العظيم لقد حدثني أنس بن مالك وقال: بالله العظيم لقد حدّثني علي بن أبي طالب وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الصدّيق وقال: بالله العظيم لقد حدّثني محمد المصطفى ﷺ تسليماً وقال: بالله العظيم لقد حدثني جبريل عليه السلام وقال: بالله العظيم لقد حدّثني ميكائيل عليه السلام وقال: بالله العظيم لقد حدثني إسرافيل عليه السلام وقال: قال الله تعالىٰ لي: يا إسرافيل بعزّتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرّة واحدة اشهدوا عليّ أني قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجبره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب القيامة والفزع الأكبر ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين.

وصية: كن غيوراً لله تعالىٰ واحذر من الغيرة الطبيعية الحيوانية أن تستفزك وتلبس عليك نفسك بها وأنا أعطيك في ذلك ميزاناً وذلك أن الذي يغار لله ديناً إنما يغار لانتهاك محارم الله على نفسه وعلى غيره، فكما يغار على أمّه أن يزني بها أحد كذلك يغار على أم غيره أن يزني بها هو، وكذلك البنت والأخت والزوجة والجارية، فإن كل امرأة يزنى بها قد تكون أماً لشخص وبنتاً لآخر وأختاً لآخر وزوجة لآخر وجارية لآخر، وكل واحد منهم لا يريد، أن يزني أحد بأمّه ولا بأخته ولا بابنته ولا بزوجته ولا بجاريته، كما لا يريد هذا الغير أن الذي يزعم أنه يغار لله ديناً فإن فعل شيئاً من هذا وزنى وادّعى الغيرة في الدين أو المروءة فاعلم أنه كاذب في دعواه فإنه ليس بذي دين ولا مروءة، من يكره لنفسه شيئاً ولا يكرهه لغيره فليس بذي غيرة إيمانية، يقول النبيّ ﷺ في سعد والحديث مشهور: «**إِنَّ سَعْداً لَغَيُورٌ وَإِنِّي لَأَغْيَرُ مِنْ سَعْدٍ وَإِنَّ الله أَغْيَرُ مِنِّي وَمِنْ غَيْرَتِهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ**» ولقد مات رسول الله ﷺ وما مسّت يده يد امرأة لا يحلّ له لمسها وهو رسول الله، وما كانت تبايعه النساء إلاّ بالقول وقوله للواحدة قوله للجميع، فاجعل ميزانك في الغيرة للدين هذا، فإن وفيت به فاعلم أنك غيور للدين والمروءة، وإن وجدت خلاف ذلك فتلك غيرة طبيعية حيوانية ليس لله ولا للمروءة فيها دخول حتى تغار منك كما تغار عليك، وقد ثبت: «**مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ الله أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ**». وإذا أصابتك مصيبة فقل إنا لله وإنا إليه راجعون فلا تنزل ما تجد منها إلاّ بالله ثم قل: اللهم اجبرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ إذا قَالَ هٰذا أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْراً مِنْهَا**» ولقد مات أبو سلمة فقالت امرأته هذا القول وهي تقول: ومن خير من أبي سلمة فأخلفها الله خيراً من أبي سلمة وهو رسول الله ﷺ فتزوّج بها وصارت من

أمهات المؤمنين، ولم يكن أصل هذه العناية الإلهية بها إلاَّ هذا القول عندما أصيبت بموت زوجها أبي سلمة. وإذا مات لك ميت فاجهد أن يصلي عليه مائة مسلم، أو أربعون فإنهم شفعاء له عندالله، ثبت في ذلك عن رسول الله ﷺ: **«ما مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ»** وحديث آخر قالَ: قال رسول الله ﷺ: **«ما مِنْ رَجُلٍ مُسْلم يَمُوتُ يَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبعُونَ رَجُلاً لا يُشْرِكُونَ بالله شَيْئاً إلاَّ شَفَّعَهُمُ الله فِيهِ»** ومعنى لا يشركون بالله شيئاً أي لا يجعلون مع الله إلهاً آخر. وروينا عن بعض العرب أنه مرّ بجنازة يصلي عليها أمة كثيرة من المسلمين فنزل عن دابته وصلّى عليها فقيل له في ذلك فقال: إنها من أهل الجنة فقيل: ومن لك بذلك؟ فقال: وأيّ كريم يأتي إليه جماعة يشفعون عنده في شخص فيرد شفاعتهم لا والله لا يردها أبداً فكيف الله الذي هو أكرم الكرماء وأرحم الرحماء فما دعاهم ليشفعوا فيه إلاَّ ويقبل شفاعتهم، إذ الكريم يقبلها وإن لم يدعهم إلى الشفاعة فيه فكيف وقد دعاهم. اعلم أن الله أمرك أن تتقي النار فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [آل عمران: ١٣١] أي اجعل بينك وبينها وقاية حتى لا يصل إليك أذاها يوم القيامة فإنه ثبت أنه ما من أحد إلاَّ سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلاَّ ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلاَّ ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلاَّ النار: **«فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»**. ولقد وشي ببعض شيوخنا بالمغرب عند السلطان بأمر فيه حتفه وكان أهل البلد قد أجمعوا على ما وشي به وما قيل فيه ممّا يؤدي إلى هلاكه فأمر السلطان نائبه أن يجمع الناس ويحضر هذا الرجل فإن أجمعوا عليه على ما قيل فيه يأمر الوالي أن يقتله وإن قيل غير ذلك خلى سبيله، فجمع الناس لميقات يوم معلوم وعرفوا ما جمعوا له وكلهم على لسان واحد أنه فاسق يجب قتله بلا مخالف، فلما جيء بالرجل مرّ في طريقه بخباز فاقترض منه نصف رغيف فتصدق به من ساعته فلما وصل إلى المحفل وكان الوالي من أكبر أعدائه أقيم في الناس وقيل لهم: ما عندكم في هذا الرجل وما تقولون فيه وسمّوه؟ فما بقي أحد من الناس إلاَّ قال هو عدل رضي عن آخرهم، فتعجب الوالي من قولهم خلاف ما كان يعلمه منهم وما كانوا يقولون فيه قبل حضوره فعلم أن الأمر إلهيّ والشيخ يضحك فقال له الوالي: ممّ تضحك؟ فقال: من صدق رسول الله ﷺ تعجباً به وإيماناً والله ما من أحد من هذه الجماعة إلاَّ ويعتقد في خلاف ما شهد به وأنت كذلك وكلكم عليّ لا لي، فتذكرت النار ورأيتها أقوى غضباً منكم وتذكرت نصف رغيف ورأيته أكبر من نصف تمرة وسمعت عن رسول الله ﷺ يقول: **«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»** فاتقيت غضبكم بنصف رغيف فدفعت الأقل من النار بالأكثر من شق تمرة.

وعليك يا أخي بالصدقة فإنها تطفىء غضب الرب ولها ظل يوم القيامة يقي من حرّ الشمس في ذلك الموقف، وأن الرجل يكون يوم القيامة في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس، وما من يوم يصبح فيه العبد إلاَّ وملكان ينزلان كذا جاء وثبت عن رسول الله ﷺ يقول أحدهما: اللهمّ أعط منفقاً خلفاً وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] ويقول الآخر: اللهمّ أعط ممسكاً تلفاً يدعو له بالإنفاق مثل الأوّل المنفق لا يدعو عليه

فإنهم لا يدعون إلاَّ بخير فهم الذي يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] وهم الذين قال الله فيهم أنهم يستغفرون لمن في الأرض فما أراد الملك بالتلف في دعائه إلاَّ الإنفاق، وهذا خلاف ما يتوهمه الناس في تأويل هذا الخبر وليس إلاَّ ما قلناه فإن النبيّ ﷺ يقول في الرجل الذي آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فيتصدق به يميناً وشمالاً فجعل صدقته هلاك المال وهذا معنى تلفه، والإنفاق ليس إلا هلاك المال فإنه من نفقت الدابة إذا هلكت، فالمال المنفوق هو الهالك لأنه هلك عن يد صاحبه ولهذا دعا للمنفق بالخلف وهو العوض لما مرَّ منه مع ادّخار الله له ذلك عنده إلى يوم القيامة إذا قصد به القربة واقترنت بعطائه النية الصالحة.

وصية: احذر أن يراك الله حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك، اجهد أن يكون لك خبية عمل لا يعلم بها إلاَّ الله فإن ذلك أعظم وسيلة لخلوص ذلك العمل من الشوب وقليل من يكون له هذا. وعليك بصيام يوم عرفة ويوم عاشوراء وثابر على عمل الخير في عشر ذي الحجة وفي عشر المحرّم، وإذا قدرت على صوم يوم في سبيل الله بحيث لا يؤثر فيك ضعفاً في بلائك في العدوّ فافعل، وإذا علمت أن النفس تحب أن تمشي في خدمتها فاجهد أن تجعل الملائكة تمشي في خدمتك وتضع أجنحتها لك في طريقك وذلك بأن تكون من طلاب العلم وإن كان بالعمل فهو أولى وأحق وأعظم عند الله وهو قوله: ﴿إِن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] وكذلك إذا خرجت تعود مريضاً ممسياً أو مصبحاً أو معاً فأنت إذا خرجت من عنده خرج معك سبعون ألف ملك يستغفرون لك إن كان صباحاً حتى تمسي وإن كان مساء حت تصبح، واجهد أن تقرأ في كل صباح ومساء أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم هو الله الذي لا إله إلاَّ هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلاَّ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عمّا يشركون، هو الله الخالق البارىء المصوّر له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، تقرأ ذلك ثلاث مرّات على صورة ما قلناه تتعوذ في كل مرّة بالتعوّذ الذي ذكرناه، وكذلك بعد صلاة المغرب وبعد صلاة الصبح قبل أن تتلكم، وعندما تسلم من الصلاة تقول: اللهم أجرني من النار سبع مرار، وكذلك إذا صليت المغرب بعد أن تسلم، وقبل أن تتكلم تصلي ست ركعات ركعتان منها تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ست مرّات والمعوّذتين في كل ركعة من الركعتين فإذا سلمت فقل عقيب السلام: اللهم سدّدني بالإيمان واحفظه عليّ في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي، وكذلك تقول في أثر كل صلاة فريضة إذا سلمت منها وقبل الكلام: اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان، اللهم إني أقدم إليك بين يدي ذلك كله ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ

﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وإياك والإصرار وهو الإقامة على الذنب بل تب إلى الله في كل حال وعلى أثر كل ذنب. ولقد أخبرني بعض الصالحين بمدينة قرطبة من أهلها قال: سمعت أن بمرسية رجلاً عالماً أعرفه ورأيته وحضرت مجلسه سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمرسية وكان هذا العالم مسرفاً على نفسه وما منعني أن أسميه إلاَّ خوفي أن يعرف إذا سميته فقال لي ذلك الفقير الصالح: قصدت زيارة هذا العالم فامتنع من الخروج إليّ لراحة كان عليها مع إخوانه فأبيت إلاَّ رؤيته فقال: أخبروه بالذي أنا عليه فقلت: لا بدّ لي منه فأمر فدخلت عليه وقد فرغ ما كان بأيديهم من الخمر فقال له بعض الحاضرين: اكتب إلى فلان يبعث إلينا شيئاً من الخمر فقال: لا أفعل أتريدون أن أكون مصراً على معصية الله والله ما أشرب كأساً إذا تناولته إلاَّ وأتوب عقيبه إلى الله تعالىٰ ولا أنتظر الكأس الآخر ولا أحدث به نفسي، فإذا وصل الدور إليّ وجاء الساقي بالكأس ليناولني إياه أنظر في نفسي فإن رأيت أن أتناوله منه تناولته وشربته وتبت عقيبه فعسى الله أن يمن عليّ بوقت لا يخطر لي فيه أن أعصي الله، قال الفقير: فتعجبت منه مع إسرافه على نفسه كيف لم يغفل عن مثل هذا ومات رحمه الله.

وصية: إذا صليت فلا ترفع بصرك إلى السماء فإنك لا تدري يرجع إليك بصرك أم لا، وليكن نظرك إلى موضع سجودك أو قبلتك وحافظ على تسوية الصف في الصلاة، وإذا رأيت من برز بصدره عن الصف ردّه إليه، واحذر أن تأتي أمراً إلا عن بصيرة وعلم، ولا تدخل في عمل لا تعرف حكمه عند الله، وأدّ الحقوق في الدنيا فإنه لا بدّ من أدائها فإن أدّيتها هنا شكر الله فعلك وأفلحت، وعليك بمخالفة أهل الكتاب وكل من ليس على دينك ولو كان خيراً فاطلب على ذلك في الشرع فإذا وجدته مجملاً أو معيناً فاعمل به من حيث ما هو مشروع لك تكن مؤمناً، وإذا رأيت ما تنكره ولا تعرفه فسلمه إلى صاحبه ولا تعترض عليه فإن الله ما ألزمك إلاَّ بما تعرف حكم الله فيه بحكم الله، ولا تنظر إلى إنكارك فيه مع عدم علمك به فقد يكون ذلك الإنكار من الشيطان وأنت لا تعرف، ورأيت كثيراً من الناس يقعون في مثل هذا، وإياك والاعتداء في الدعاء والطهور فإن ذلك مذموم وليس بعبادة، ومثل الاعتداء في الدعاء أن تدعو بقطيعة رحم وشبه ذلك، والاعتداء في الطهور الاسراف في الماء والزيادة على الثلاث في الوضوء، وإذا توضأت فاعزم أن تجمع بين مسح رجليك وغسلهما فإنه أولى ولا تترك شيئاً من سنن الوضوء فإن من سننه ما فيه خلاف بين وجوبه وعدم وجوبه كالمضمضة والاستنشاق والاستنثار.

وإذا صليت فاسكن في صلاتك ولا تلتفت يميناً وشمالاً ولا تعبث بلحيتك في الصلاة ولا بشيء من ثيابك ولا تشتمل الصماء في الصلاة وليكن ظهرك مستوياً في ركوعك ولا تذبح كما تذبح الحمار، واحذر أن تكون مكاساً وهو العشار أو مدمن خمر أو مصراً على معصية، وإياك والغلول والربا، وعليك بالدعاء بين الأذان والإقامة، وعليك بذكر لفظة الله الله من غير مزيد فإن نتيجة هذا الذكر عظيمة، قلت لبعض الحاضرين مع الله من شيوخنا وكان ذكره الله الله من غير مزيد فقلت له: لم لا تقول لا إله إلاَّ الله؟ أطلب ذلك الفائدة منه فقال لي: يا

ولدي أنفاس المتنفس بيد الله ما هي بيدي وكل حرف نفس فنخاف إذا قلت لا أريد لا إله إلاّ الله فربما يكون النفس بلا آخر نفسي فأموت في وحشة النفي، وكلمة الله فيها من الفائدة ما لا يكون في غيرها فإنه ما ثم كلمة تحذف منها حرفاً فحرفاً إلاّ ويختل ما بقي إلاّ هذه الكلمة كلمة الله فلو زال الألف بقي لله كلمة مفيدة، ولو زالت اللام الأولى بقي له وقد قال: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١] وقال: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢] فلو زال اللامان والألف بقي الها وهو قولك هو وقد جاء: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ [الإخلاص: ١] وفي غير هذه الكلمة فيما أظن ما تجد غير هذا، وكان رجلاً أمياً من عامة الناس وكان نظره مثل هذا واعتباره، وعليك بالتباهي في الأمور الدينية وتزيين المصاحف والمساجد، ولا تنظر إلى قول الشارع في ذلك أنه من أشراط الساعة كما يقول من لا علم له فإن رسول الله ﷺ ما ذمّ ذلك، وما كل علامة على قرب الساعة تكون مذمومة، بل ذكر رسول الله ﷺ للساعة أموراً ذمّها وأموراً حمدها وأموراً لا حمد فيها ولا ذمّ. فمن علامات الساعة المذمومة أن يعق الرجل أباه ويبرّ صديقه وارتفاع الأمانة، ومن المحمودة التباهي في المسجد وزخرفتها فإن ذلك من تعظيم شعائر الله وممّا يغيظ الكفار، وممّا ليس بمحمود ولا مذموم كنزول عيسىٰ عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة فهذه من علامات الساعة ولا يقترن بها ذمّ ولا حمد لأنها ليست من فعل المكلف، وإنما يتعلق الذمّ والحمد بفعل المكلف، فلا تجعل علامات الساعة من الأمور المذمومة، كما يفعله من لا علم له، ورأيت من القائلين بذلك كثيراً. وحافظ على الصف الأول في الصلاة ما استطعت فإنه قد ثبت لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار وإذا دعوت الله فلا تستبطىء الإجابة، ولا تقل إن الله ما استجاب لي فإنه الصادق وقد قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] فقد أجابك إن كان سمع إيمانك مفتوحاً فقد سمعتهم وإلاّ فاتهم إيمانك بذلك، فإن دعوت بإثم أو قطيعة رحم فإن مثل هذا الدعاء لا يستجيب الله لصاحبه فإنه تعالىٰ قد شرع لنا ما ندعوه فيه وهذا هو الاعتداء في الدعاء، وأن الله يستجيب للعبد ما لم يقل العبد الداعي لم يستجب لي فإنه إذا قال: لم يستجب لي فقد كذب الله في قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ ومن كذب الله فليس بمؤمن وله الويل مع المكذبين إلاّ أن يتوب. وعليك إذا لم تواصل صومك بتعجيل الفطر وتأخير أكلة السحور، وأما العبد إذا صلّى أقبل الله عليه في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت أعرض الله عنه، وكان لما التفت إلاّ إذا التفت لأمر مشروع ليقيم بذلك الالتفات أمراً يختص بالصلاة كالتفات أبي بكر لما سبح به عند مجيء رسول الله ﷺ فذلك ما أعرض عن الله. واجتنب دخول المسجد إن كنت جنباً وقراءة القرآن ومس المصحف وكذلك الحائض فإنه أخرج عن الخلاف، وكلما قدرت أن لا تفعل فعلاً إلاّ ما يكون الإجماع عليه فهو أولى ما لم تضطر إليه مثل اجتناب أكل ثمن الكلب وكسب الحجام وحلوان الكاهن ومهر البغي. ولا تقبل صدقة إن كنت ذا غنى أو قادراً على الكسب، وإياك أن تتقدم على قوم إلاّ بإذنهم. ولا تروع مسلماً بما يروعه منك أي شيء كان، وعليك بمجالس الذكر ولا تتصدق إلاّ بطيب أعني بحلال، وإن

كنت مجاوراً بالمدينة فلا يخرجنك منها ما تلقاه من الشدّة فيها من الغلاء واللأواء، ولا ترد أهل المدينة بسوء بل ولا مسلم أصلاً، وإذا أصبت من جهة فاجتنبها. وانظر في محاسن الناس ولا تنظر من إخوانك من المؤمنين إلاً محاسنهم فإنه ما من مسلم إلاً وفيه خلق سيىء وخلق حسن، فانظر إلى ما حسن من أخلاقه ودع عنك النظر فيما يسوء من أخلاقه. وإذا صليت فأقم صلبك في الركوع والسجود واشكر الله على قليل النعم كما تشكره على كثيرها، ولا تستقلل من الله شيئاً من نعمه، ولا تكن لعاناً ولا سباباً، وإياك وبغض من ينصر الله ورسوله أو يحب الله ورسوله، ولقد رأيت رسول الله ﷺ سنة تسعين وخمسمائة في المنام بتلمسان وكان قد بلغني عن رجل أنه يقع في الشيخ أبي مدين وكان أبو مدين من أكابر العارفين وكنت أعتقد فيه وكنت فيه على بصيرة فكرهت ذلك الشخص لبغضه في الشيخ أبي مدين، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تكره فلاناً؟ فقلت: لبغضه في أبي مدين، فقال لي: أليس يحب الله ويحبني؟ فقلت له: بلى يا رسول الله إنه يحب الله ويحبك، فقال لي: فلم بغضته لبغضه أبا مدين وما أحببته لحبه الله ورسوله؟ فقلت له: يا رسول الله من الآن إني والله زللت وغفلت والآن فأنا تائب وهو من أحب الناس إليّ فلقد نبهت ونصحت صلّى الله عليك، فلما استيقظت أخذت معي ثوباً له ثمن كثير أو نفقة لا أدري وركبت وجئت إلى منزله فأخبرته بما جرى فبكى وقبل الهدية وأخذ الرؤيا تنبيهاً من الله فزال عن نفسه كراهته في أبي مدين وأحبه، فأردت أن أعرف سبب كراهته في أبي مدين مع قوله بأن أبا مدين رجل صالح فسألته فقال: كنت معه ببجاية فجاءته ضحايا في عيد الأضحى فقسمها على أصحابه وما أعطاني منها شيئاً فهذا سبب كراهتي فيه ووقوعي والآن قد تبت. فانظر ما أحسن تعليم النبي ﷺ فلقد كان رفيقاً رقيقاً. وإذا استرعاك الله رعية مسلمين أو أهل ذمّة فإياك أن تغشهم ولا تضمر لهم سوءاً وانظر فيما أوجب الله عليك من الحقوق لهم فأدّها إليهم وعاملهم بها ظاهراً وباطناً سرّاً وعلانية، ولا تجعل ذمياً خصمك يوم القيامة، وإذا رأيت من أحد حالة سيئة يطلب أن تستر عليه فاستره فيها ولم لم يرد الستر فاسترها أنت عليه على كل حال، وإذا أكلت طعاماً فلا تأكل أكل الجبارين متكئاً وكل كما يأكل العبد فإنك عبد على مائدة سيدك فتأدّب، وإذا رأيت من يطلب ولاية عمل فلا تسع له في ذلك فإن الولاية مندمة وحسرة في الآخرة وقد أمرك الله بالنصيحة، وإذا رأيت قوماً ولّوا أمرهم امرأة فلا تدخل معهم في ذلك.

وصية: لا تسبق إلى فضيلة إذا وجدت السبيل إليها وانظر في الدنيا نظر الراحل عنها والمطالب بما نال منها، وإذا نكحت فأولم بما قدرت عليه، وإذا نمت أو دخلت بيتك أو أكلت أو شربت أو فعلت فعلاً فسم الله عليه واذكره وتناول بيمينك أمورك كلها إلاً ما ورد فيه النهي من الشارع أو ما يجري مجرى النهي مثل الاستنجاء ومسك الذكر باليمين أيضاً عند البول والامتخاط فاجعل ذلك كله بيسارك، وإذا أكلت مع جماعة طعاماً واحداً فكل ممّا يليك، وإذا اختلف الطعام فكل من حيث شئت، وقلّل النظر إلى من يأكل معك وصغّر اللقمة وشدّد المضغ وسمّ الله في أول كل لقمة واحمد الله في آخرها إذا ابتلعتها واشكر الله حيث

سوّغكها، ولا تكثر الشره في الأكل وتعاهد المشي إلى المساجد مساجد الجماعات في أوقات الصلوات ولا سيما العتمة والصبح من غير سراج تبشر بالنور التام يوم القيامة، وإذا سمعت من يعطس وحمد الله فشمته، وإن لم يحمد الله فذكره بحمد الله فإذا حمد الله فشمته، فإذا زاد في العطاس على ثلاثة فهو مزكوم فادع الله له في الشفاء، وإياك أن تخون من خانك ولا تعتمد على من اعتدى عليك فإن ذلك أفضل لك عند الله، وأعذر ولا تعتذر فإن اعتذارك يتضمن سوء ظنك بمن اعتذرت له، وابدأ في المعاملة مع الخلق بالأولى فالأولى، وإذا تساوت الأمور وبدأ الله بذكر شيء منها فابدأ بما بدأ الله به كما فعل رسول الله ﷺ في حجته لما أراد أن يسعى بين الصفا والمروة وقف على الصفا وقرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] «**أَبدَأُ بما بَدَأَ الله به**».

وإذا قمت في عبادة الله فاعمل نشاطك فإذا كسلت فاترك ولا تكن من الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وإذا صليت وأحد ينظر إليك فانوِ في تحسين صلاتك تعليمه، واخلص لله عبادتك فإنه لو أمرك أن تعبده إلاّ مخلصاً، وافعل ما أوجب الله عليك فعله ولا بدّ سواء كسلت أو كنت نشيطاً، وإنما أمرتك بالترك في النوافل، ولا تعبد الله بكسل، وانتقل إلى نافلة غيرها، ولا تحسن صلاتك في الملأ دون الخلا فإن فعل ذلك من فعله فإن ذلك الفعل استهانة استهان بها ربه كذا ثبت. وإن كنت ممّن يصلح للإمامة فصل خلف الإمام فإنه إن أحدث الإمام في الصلاة استخلفك وإن لم تكن من أهلها فصل يمين الصف أو يساره، وحافظ على الصف الأول، وإذا رأيت فرجة في الصف فسدّها بنفسك فلا حرمة لمن رآها وتركها وتخط رقاب الناس إليها، وسارع إلى الخيرات وكن لها سابقاً ونافس فيها قبل أن يحال بينك وبينها، وإياك أن تتخلى في طريق الناس أو في ظلهم ولا تحت شجرة مثمرة ولا في مجالس الناس، ولا تبل في هوى ولا في حجر ولا في ماء دائم ثم تتوضأ منه أو تغتسل فيه. واتقِ الله في زوجتك وولدك وخادمك وفي جميع من أمرك الله بمعاملته، واحذر فتنة الدنيا والنساء والولد والمال وصحبة السلطان واتقِ الله في البهائم، واجعل من صلاتك في بيتك وعين في بيتك مسجداً لك تتنفل فيه وتصلي فيه فريضتك إن اضطررت إلى ذلك، وأكثر من قراءة القرآن بتدبر إن كنت عالماً فإنه أرفع الأذكار الإلهية، وإن كنت في جماعة يقرؤون القرآن فاقرأ معهم ما اجتمعتم عليه فإن اختلفتم فقم عنهم، وحافظ على قراءة الزهراوين البقرة وآل عمران، وإذا شرعت في قراءة سورة من القرآن فلا تتكلم حتى تختمها فإن ذلك دأب العلماء الصالحين. ولقد حدثني غير واحد بقرطبة عن الفقيه ابن زرب صاحب الخصال أنه كان يقرأ في المصحف سورة من القرآن فمرّ عليه أمير المؤمنين من بني أمية فقيل للخليفة عنه فمسك فرسه وسلّم عليه وسأله فلم يكلمه الشيخ حتى فرغ من السورة ثم كلمه فقال له الخليفة في ذلك فقال: ما كنت لأترك الكلام مع سيدك وأكلمك وأنت عبده هذا ليس من الأدب ثم ضرب له مثلاً به وبعبيده فقال: أرأيت لو كنت في حديث معك وكلمني بعض عبيدك أيحسن مني أن أترك الكلام معك وأقطعه وأكلم عبدك؟ قال لا، قال: فإنك عبد الله فبكى الخليفة.

ولقيت جماعة على ذلك من شيوخنا منهم أبو الحجاج الشبربلي بإشبيلية وكان كثيراً ما يقرأ القرآن في المصحف إذا خلى بنفسه.

وإذا دخلت على مريض أو ميت فاقرأ عنده سورة يس فإنه اتفق لي فيها صورة عجيبة، وعليك بالصلاة في النعال إذا لم يكن بها قذر والمشي فيها، واستوص بطالب العلم خيراً وبالنساء واعتدل في السجود إذا سجدت في الصلاة أو في القراءة، ولا تبسط ذراعيك في سجودك كما يفعل الكلب ولا تكلف نفسك من العمل إلاّ ما تطيقه وتعلم أنك تدوم عليه، وإذا حضرت عند ميت فلقنه لا إله إلاّ الله ولا تسيء الظن به إذا لم يقل ذلك أو يقول لا فإني أعلم أن شخصاً بالمغرب جرى له مثل هذا وكان مشهوراً بالصلاح فلما أفاق قيل له ذلك فقال: ما كنت معكم وإنما جاءني الشياطين في صورة من سلف ودرج من آبائي وإخواني فكانوا يقولون لي: إياك والإسلام مت يهودياً أو نصرانياً فكنت أقول لهم: لا حين سمعتموني أقول لا إلى أن عصمني الله منهم، وإذا كان لك صاحب فعده إن مرض وصل عليه إن مات وشيّع جنازته وإذا شيّعت جنازة فلا تنصرف عن قبره وقف ساعة قدر ما يسأل فإنه يجد لوقوفك أنساً، وإن حملت جنازة فأسرع بها فإن كان خيراً سارعت بها إليه وإن كان شراً حططته عن رقبتك، ولا تذكر مساوىء الموتى، وغطّ الإناء الذي تشرب منه وأطف السراج عند نومك وأغلق بابك إذا أردت النوم فإن الشياطين لا تفتح باباً مغلقاً، واقرأ آية الكرسي عند نومك وسدّد في الأمور وقارب ما استطعت فاعمل الخير ولا تقل إن كان الله كتبني شقياً فأنا شقي وإن كان كتبني سعيداً فأنا سعيد فلا أعمل، فاعلم أنك إذا وفقت لعمل الخير فهو بشرى من الله أنك من السعداء فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأن الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل]. وقال ﷺ: «**اعملوا واتّكلوا**» وكل ميسر لما يسّر له فمن خلق للنعيم فسييسره لليسرى ومن خلق للجحيم فسييسره للعسرى، وأنزل كل أحد منزلته تكن عادلاً، واترك حقك لأخيك ما استطعت وأقل عثرات أهل المروءات والهيئات إلاّ في إقامة الحدود المشروعة إن كنت حاكماً ذا سلطان، وإن كنت ذا ثروة وحظ من الدنيا فارتبط فرساً أو جملاً في سبيل الله وامسح بنواصيها وأعجازها وقلّدها ولا تقلدها وتراً ولا جرساً، وجاهد بمالك ونفسك من أشرك بالله واشفع إلاّ في حد إذا بلغ إلى الحاكم، والبس البياض من الثياب فإنه خير لباس المؤمن وأطهره، وأطيبه وكفن الميت فيه، وإذا جاءك سائل في العلم أو غيره فلا تنهره ولا تخيب من جاء يسترفدك ممّا فضلك الله عليه من الرزق وأكثر من زيارة القبور ولا تكثر الجلوس عندها ولا تقبل هجراً بل اجلس ما دمت تعتبر وتذكرك الآخرة، ولا تؤذ أصحاب القبور بالحديث عندها في أمور الدنيا، وبلغ عن رسول الله ﷺولو خبراً واحداً أو آية فإنك تحشر بذلك في زمرة العلماء المبلغين، ومر الصبي بالصلاة لسبع سنين واضربه عليها لعشر سنين وفرّق بين الصبيان في المضاجع، وإياك أن تفضي إلى أخيك في الثوب الواحد، وتابع بين الحج والعمرة وإن جاورت بمكة فأكثر من الاعتمار والطواف ولا سيما في

رمضان فإن عمرة في رمضان تعدل حجة، هذا هو الثابت، وأكثر من أكل الزيت والأدهان به، وإذا اشتريت طعاماً فاكتله، واجتنب السبع الموبقات وهي: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

وصية: عليك بكثرة السجود والجماعة وإن قدرت أن تسكن الشام فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال: «**عَلَيكُمْ بِالشَّامِ فَإنَّهَا خِيرَةُ الله مِنْ أَرْضِهِ وَإلَيْهَا يَجْتَبِي خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ**» وإياك والحديث بالظن فإن الظن أكذبَ الحديث، إياك والحسد ولا تجلس على الطرقات ولا تدخل على النساء المغنيات، وإذا بعت فلا تكثر من اليمين على سلعتك، وإياك أن تتقلد أمراً من أمور المسلمين فإن ألجئت إلى ذلك ولا بدّ فلا تحكم بين اثنين وأنت غضبان ولا وأنت حاقن ولا جائع ولا أنت مستوفز لأمر لا بدّ لك منه، وأعدل بين رجليك إذا انتعلت أو وضعت إحدى رجليك على الأخرى، واعلم أن جوارحك من رعيتك فاعدل فيها فإن الله أمرك بالعدل فيمن استرعاك، وإن كنت مملوكاً فلا تقل لما لكك ربي وقل سيدي، وإن كان لك مملوك أو مملوكة فلا تقل عبدي ولا أمتي وقل غلامي وجاريتي، ولا تقل لأحد مولاي فإن المولى هو الله، وقد نهيت أن تقول خبثت نفسي وقل لقست نفسي، وإذا طلب مولاي فإن المولى هو الله، وقد نهيت أن تقول خبثت نفسي وقل لقست نفسي، وإذا طلب منك جارك أن يغرز خشبة في جدارك فلا تمنعه ولا تنظر في عورة أحد ولا في بيته إلاَّ بإذنه، ولا تصحب إلاَّ من تجد في صحبته الزيادة في دينك وإيمانك، وقدم في معروفك كل تقي ولا تعط الفاجر ما يستعين به على فجوره، وإن كانت لك زوجة وضربتها لأمر طرأ منها فلا تجامعها من يومها، وإياك أن تسأل شيئاً سوى الله إلاَّ الله في جنته ورؤيته، وأما في شيء من عرض الدنيا فلا، وإن ركبت البحر فلا تركبه إلاَّ حاجاً أو معتمراً. ولا تخطب امرأة على خطبة أخيك ولا تسم على سومه حتى يذر، وإن كنت ضيفاً عند قوم فلا تصم إلاَّ بإذنهم، وإن كنت في خدمة شيخ فلا تصم ولا تتحرك في شيء إلاَّ بإذنه، والمرأة لا تصوم إلاَّ بإذن زوجها صوم النافلة أو قضاء شهر رمضان، ولا يأذن في بيت زوجها إلاَّ بإذنه إذا كان حاضراً، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتنكح بعلها، ولا تسافر امرأة فوق ثلاث إلاَّ مع ذي محرم، وإذا دعوت في المغفرة فاعزم المسألة ولا تقل اغفر لي إن شئت، واطلب رحمة الله وغفرانه ولا تستكثر شيئاً تسأله من الله فإن الله كبير عنده فوق ما تأمل، وإياك أن تتصرف في مال أخيك إلاَّ بإذنه، وإذا أصبحت في كل يوم فقل: اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك، اللهمّ من أذاني أو شتمني أو أغضبني أو فعل معي أمراً يفضي إلى الحكم فيه أشهدك يا رب أني قد أسقطت طلبي عنه في ذلك دنيا وآخرة، وإذا شربت ماء فاشرب قاعداً، ولا تقل يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر، هذا ثابت عن رسول الله ﷺ، وإياك أن تبرز فخذك حتى يرى منك، ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت، وإياك أن تقعد على قبر ولا تصل وأنت تستقبله أو تستقبل إنساناً في صلاتك ووجهه إليك، ولا تتخذ القبر مسجداً ولا تتمن الموت لضرّ نزل بك بل قل: اللهمّ أحيني ما كانت الحياة

خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون. انتهى السفر السادس والثلاثون من الفتوح المكي.

[السفر السابع والثلاثون]

وصية: لا تكن وصياً ولا رسول قوم ولا سيما بين الملوك ولا شاهداً، واحذر إذا اغتسلت أن تبول في مستحمك بل اعتزل عنه وبل ولا تنذر ما استطعت فإن نذرت فأوف بنذرك فإن رسول الله ﷺ قد شهد بالبخل لمن نذر، وإياك أن تتمنى لقاء العدوّ فإذا لقيته فاثبت ولا تفر، وإياك وسب المؤمنين ولا سيما الصحابة على الخصوص فإنك تؤذي النبي ﷺ في أصحابه، ولا تسبّ الريح فإن الريح من نفس الرحمٰن ولكن سل الله خيرها وخير ما أرسلت به، واستعذ بالله من شرّها وشرّ ما أرسلت به، وإذا لبست ثوباً جديداً فسم الله وقل: اللهمّ أعطني خيره وخير ما صنع له واكفني شرّه وشرّ ما صنع له، ولا تصل إلى النائمين إذا كانوا في قبلتك، وإياك ولباس ما حرّم الشرع عليك لباسه كالحرير والذهب ولا تجلس على الحرير، وإذا لقيت ذمياً فلا تبدأه بالسلام واضطره إلى أضيق الطريق، وانته أن تسمي العنبة الكرم بل قل العنبة والحبلة ولا تقل الكرم فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك: «**لا تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ فَإنَّ الكَرْمَ الرَّجُلُ المُسْلِمُ**» فلا تقولوا الكرم وقولوا العنب والحبلة، وإياك أن تصر الإبل والغنم إذا أردت بيعها إلاّ أن تعلم المشتري بأنها مصراة، وإياك أن تحلف بغير الله جملة واحدة. ولا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب إلاّ من كفره رسول الله ﷺ، وإن كانت لك زوجة تريد الصلاة في مسجد الجماعة فلا تمنعها من ذلك ولكن عرفها أن بيتها خير لها، وأفضل، واحذر أن تدعو على نفسك في غيظ ولا غير غيظ ولا على ولدك ولا على خادمك ولا على مالك، ولا تكره المريض على الطعام، وإياك أن تعذب بالنار أحداً، وإذا أكلت لحماً فانهسه ولا تقطعه بسكين.

وصية: إذا حضر الطعام والصلاة فابدأ بالطعام، وإياك والصلاة وأنت حاقن تدافع الأخبثين، وإذا أمرك من فرض الله عليك طاعته بمعصية فلا تطعه وإياك وما يعتذر منه فما كل من أورثته تكريهاً أوسعته عذراً، واصغ إلى من يحدثك وإن كان نزراً فإن لكل أحد عند نفسه قدراً فإنك تأخذ بقلبه بذلك ويكون لك لا عليك وأن الله قد أمرك بالتحبّب وهذا من التحبّب إلى الناس، وإذا كانت لأحد عندك شهادة لا يعرفها وقد اضطرّ إليها فعرفه بها، وامنح أخاك الفقير منحة ما قدرت عليها فإن أجرها عظيم، وليكن خوفك من الله ورجاؤك فيه بالإيمان على السواء وغلب الرجاء وحسن الظن بالله واطمع في رحمته فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ ما عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ ما قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**» وإياك أن تردّ الهدية ولا تحقرها ولو كانت ما كانت، وعليك بالتوبة إلى الله مع الأنفاس، وإذا شاركت أحداً في شيء فلا تخنه، وإذا فعلت فعلاً فحسنه فإن الله كتب الإحسان على كل شيء، وعليك بالتواضع وعدم الفخر على أحد قال علي بن أبي طالب القيرواني في ذلك: [البسيط]

النَّاسُ من جِهَةِ التَّمْثِيلِ أَكْفَاءُ أَبُوهُمُ آدمٌ والأمُّ حَوَّاءُ
فإن يَكُنْ لهم من أصلِهِمْ نَسَبٌ يُفَاخِرُونَ به فالطِّينُ والمَاءُ
ما الفَضْلُ إلاّ لأهلِ الفَضْلِ إنَّهُمُ على الهُدَى لمن اسْتَهْدَى أدِلاَّءُ
وقَدْرُ كلِ امرئٍ ما كان يُحْسِنُهُ والجاهلون لأهلِ العِلْمِ أعْداءُ

لا فخر إلاّ بتقوى الله فإنه نسب الله الذي بينه وبين عباده، وإياك والقيل والقال فيما لا ينبغي ولا يعني لكن في إيصال الخير خاصة، وإياك وكثرة السؤال إلاّ في البحث عن دينك الذي في علمك به سعادتك ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وقد علمت أنه ما لأحد حركة ولا سكون ولا دخول ولا خروج إلاّ وللشرع فيها حكم من أحد الأحكام الخمسة، فإذا لم تعلم فاسأل عن كل شيء تكون فيه ما حكم الشرع فيه، واطلب على رفع الحرج ما استطعت وغلب الحرمة وخذ بالعزائم في حق نفسك، وإياك وإضاعة المال وهو إنفاقه في معصية الله ومن إنفاقه في معصية الله إعطاؤه لمن تعلم منه أنه يخرجه فيما لا يرضي الله، فإن لم يعلم ذلك فلا بأس، ولا تفارق أحداً وهو على ما لا يرضي الله وتعتقد فيه أنه باق على ما فارقته عليه لا سبيل إلى ذلك وإنما ذلك في الأحكام المشروعة فإنهم يرون استصحاب الحال المعلومة من الشخص حتى يقوم لهم دليل على زوالها فيستصحبون أيضاً فيما رجع إليه حتى يدله دليل على ذهابه، وإياك أن تكون معنتاً، ولا متعنتاً ولا منفراً ولا معسراً وكن ميسراً ومعلماً ومبشراً وإياك أن تأتي الفواحش الظاهرة والباطن فإن الله أحق من يستحيى منه، ولا تغتر إذا كنت على طريقة غير مرضية بما يملي الله لك فإن الله يقول: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨] فاحذر مكر الله بك في ذلك ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] وإياك وكل مزيل للعقل مثل شرب الخمر وغيره، وإياك والتصنع في الكلام، ولا تقرأ القرآن في صلاتك راكعاً ولا في حال سجودك بل قل في ركوعك: سبحان ربي العظيم وبحمده وعظم ربك فيه، وفي سجودك: سبحان ربي الأعلى وبحمده وأدنى القول من ذلك ثلاث مرّات إلى ما فوقها.

وصية: عليك بكثرة الاستغفار ولا سيما بالأسحار في حقك وفي حق غيرك فلله ملائكة يستغفرون لمن في الأرض عموماً، ولله ملائكة يستغفرون للذين آمنوا خصوصاً في كل حال وعند القيام من مجالس تحدثك، وعليك بالصدق في الموضع المشروع لك الصدق فيه ولا تجبن ولا تخف واجتنب الكذب في الموضع المشروع لك اجتنابه، وخف ثلاثة: خف الله وخف نفسك وخف من لا يخاف الله، وإن كنت خطيباً إماماً فقصر الخطبة وأطل صلاة الجمعة فإن ذلك من فقه الرجل، وعليك بالحضور مع الله والنية الصالحة في كل ما تعمله من عمل وعليك بإكرام ذي الشيبة فإن الله يستحيي من ذي الشيبة، وعليك بإكرام حملة القرآن وبإكرام الحاكم العادل، وإياك والدين فإنه فكرة بالليل وذلة بالنهار واحذر أن يقيمك لعبادة ربك شيء من زينة الحياة الدنيا فإنك لمن أقامك ولا لأغراض النفوس فإن الأغراض أمراض حاضرة فإنه ممّا رويناه في مثل ذلك: أن رجلاً من الأبدال كان يمشي في الهواء مع أصحابه

فمروا على روضة خضراء فيها عين خرارة فاشتهى أن يتوضأ من ذلك الماء ويصلي في تلك الروضة فسقط من بين الجماعة وتركوه وانصرفوا وانحط عن رتبتهم بهذا القدر، فانظر في هذا السرّ ما أعجبه فإن فيه معنى دقيقاً، وقد وعظك الله به إن كنت اتعظت، وإن استطعت أن لا تمر عليك ساعة من ليل أو نهار إلاّ وأنت داع فيها ربك فافعل. وإذا أدّيت زكاة فانوِ في أدائها أداء حق تدفعه لوكيل صاحب الحق وهو العامل عليها الذي نصّبه الحق، ولا تدفع زكاتك لغير عامل السلطان إلاّ بأمر السلطان فتكون أنت عين العامل عليها فلا تبرأ ذمتك إلاّ إن فعلت ما ذكرته لك، وإن ظلم العامل أربابها المسؤول عن ذلك لا أنت، وقد دخل على الناس في هذا شبهة لا يعرفونها إلا في الدار الآخرة، واحذر أن تتصدق على شريف من أهل البيت وأنوِ فيما توصله إليهم الهدية لا الصدقة فإنك إن نويت الصدقة عليهم أثمت إلاّ أن تعرفهم بذلك فإن أكلوا صدقتك فقد أثموا بأكلها وأثمت أنت حيث أعطيتهم ما لا يجوز لك أن تعطيه إياهم وتخيلت القرب في عين البعد، وإياك أن تخوص في مال الله بغير حق، وإياك أن تنتفي عن أبيك كان من كان، ولا تتبع عورات الناس ولا مثاليهم واشتغل بنفسك وحسن أدب ابنك واسمه، وإن ابتليت بصحبة الزوجة فدارها وتنزل من عقلك إلى عقلها فإن ذلك من كمال عقلك، فعامل كل شخص من حيث هو لا من حيث ما أنت عليه، فإن الغالب على النساء أنهنّ لا يستطعن أن يبلغن مبلغ الرجال الكمل إلاّ من جاء النص بكمالهما وهما مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون فإن النص فيهما بالكمال من النبي ﷺ. وعليك بالعدل في الحكم وأطفىء النار إذا فرغت من حاجتك إليها، وعليك باستعمال الحبة السوداء وهو الشونيز فإنها شفاء من كل داء إلاّ السام والسام الموت، ولقد ابتلي عندنا رجل من أعيان الناس بالجذام وقال الأطباء بأجمعهم لما أبصروه وقد تمكنت العلة منه: ما لهذا المرض دواء فرآه رجل من أهل الحديث من بني عفير من أهل أيلة يقال له سعد السعود وكان عنده إيمان بالحديث عظيم يقطع به فقال له: يا هذا لم لا تطب نفسك؟ فقال له الرجل: إن الأطباء قالوا: ليس لهذا العلة دواء، فقال: كذبت الأطباء والنبي ﷺ أصدق منهم وقد قال في الحبة السوداء أنها شفاء من كل داء وهذا الداء الذي نزل بك من جملة ذلك ثم قال: علي بالحبة السوداء والعسل فخلط هذا بهذا وطلى بهما بدنه كله ورأسه ووجهه إلى رجليه وألعقه من ذلك وتركه ساعة ثم أنه غسل ذلك عنه فانسلخ من جلده ونبت له جلد آخر ونبت ما كان قد سقط من شعره وبرىء وعاد إلى ما كان عليه في حال عافيته، فتعجب الأطباء والناس من قوّة إيمانه بحديث رسول الله ﷺ، وكان رحمه الله يستعمل الحبة السوداء في كل داء يصيبه حتى في الرمد إذا رمد عينه اكتحل بها فيبرأ من ساعته.

وصية: ادفع عن عرض أخيك المسلم ما استطعت ولا تخذله إذا انتهكت حرمته فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ: **«ما مِن امرِىءٍ مُسلِم يَخذِلُ امرأً مُسلماً في مَوْضِعٍ تُنتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنتَقَصُ بِهِ مِنْ عِرْضِهِ إلاّ خَذَلَهُ الله فِي مَوْضِعٍ يُحِبُّ نُصرَتَهُ»** وما رأيت أحداً تحقق بمثل هذا في نفسه مثل الشيخ أبي عبد الله الدقاق بمدينة فاس من بلاد المغرب ما اغتاب أحداً قط ولا

اغتيب بحضرته أحد قط وكان هذا عن نفسه وربما كان يقول: لم يكن بعد أبي بكر الصديق صديق مثلي ويذكر هذا وكان نعم السيد، خرج ذكره ومناقبه شيخنا أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي الإمام بالمسجد الأزهر بعين الخيل من مدينة فاس في كتاب له سماه المستفاد في ذكر الصالحين من العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد سمعنا هذا الكتاب عليه وبقراءته أظن سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، إذا لقيت أحداً من المسلمين فصافحه إذا سلمت عليه ولا تنحن له كما تفعله الأعاجم فإن ذلك عادة سوء، وقد ورد أن رسول الله ﷺ قيل له: إذا لقي الرجل الرجل أينحني له؟ قال: «لا»، قيل له: أيصافحه؟ قال: «نعم». وقد ثبت أنه قال: **«ما مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَتَصَافَحَانِ إلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا»**.

وأوص أهلك وبناتك ونساء المؤمنين أن لا يخلعن ثيابهن في غير بيوتهن، وإياك أن تبيت ليلة إلاَّ ووصيتك عند رأسك مكتوبة فإنك لا تدري إذا نمت هل تصبح في الأحياء أو في الأموات فإن الله يمسك نفس الذي قضى عليه الموت في النوم إذا هو نام ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى، والتواضع للخلق رفعة عند الله، ولا تكثر مجالسة النساء ولا الصبيان فإنه ينقص من عقلك بقدر ما تنزل إلى عقولهم مع الفتنة التي يخاف منها في مجالسة النساء وأوص نسائك أن لا يخضعن في القول فيطمع الذي في قلبه مرض، وأن يقعدن في بيوتهنّ ويغضضن من أبصارهنّ ولا يبدين زينتهن إلاّ حيث أمرهن الله، وإياك ودخول الخدام على نسائك فإنهم من أولي الإربة واحجب نساءك عنهم كما تحجبهم عن فحول الذكران فإنهم من الرجال، وكن نعم الجليس للملك القرين الموكل بك واصغ إليه، واحذر من الجليس الثاني الذي هو الشيطان ولا تنصر الشيطان على الملك بقبولك منه ما يأمرك به واخذله واستعن بقبولك من الملك عليه، وأكرم جلساءك من الملائكة الكرام الكاتبين الحافظين عليك فلا تمل عليهم إلاَّ خيراً فإنك لا بدّ لك أن تقرأ ما أمليته عليهم، واحذر من بسط الدنيا عليك إذا بسطها الله أن تتصرف فيها أو تصرفها في غير طاعة الله ولا تعص الله بنعمه، وإن من شكر النعمة أن تطيع الله بها وتستعين بها على طاعة الله، وإياك والتنافس في الدنيا وأقلل منها ما استطعت ومن صحبة أهلها فإن قلوبهم غافلة عن الله بحبها، وإذا غفل القلب عن الله لم ينطق اللسان بذكر الله إلاّ أن ذكره في يمين لا يكون فيها باراً أو يكون باراً أو فيما لا يجوز أن يذكره فيه ممّا يمقته الله على ذلك الذكر.

وصية: إياك والبطنة فإنها تذهب بالفطنة، وكل لتعيش وعش لتطيع ربك ولا تعش لتأكل ولا تأكل لتسمن فما ملىء وعاء شرّ من بطن ملىء بحلال وعليك بلقيمات يقمن صلبك، وإذا صليت خلف إمام فاقتد به واتبعه فلا تكبر حتى يكبر ولا تركع حتى يركع ولا ترفع حتى يرفع ولا تسجد حتى يسجد وإذا أمن بعد الفراغ من الفاتحة فأمن ولا تختلف عليه، وإذا كنت إماماً فاقتد بأضعف القوم ولا تطيل عليه حتى تكره إليه الصلاة بل خفف في تمام ركوع وسجود، وإذا قرأت آية فانظر أين أنت منها، وإذا سمعت الله يقول: يا أيها الناس أو يا أيها الذي آمنوا فكن أنت المخاطب وافتح له أذن فهمك لما يقول لك في هذا التأيه فكن في

قبول ذلك بحسب ما يقول إن نهاك انته وإن أمرك فافعل منه ما استطعت، فإذا سمعت منه أمراً لا تستطيع فعله فما أنت المأمور به في تلك الحال فاعلم هذا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦]. وإذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فاعتقد أن ذلك القول قاله الله على لسان عبده فقل أنت: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وقل ثلاث مرات في ركوعك: سبحان الله العظيم أو سبحان ربي العظيم وبحمده، وقل في سجودك ثلاث مرات: سبحان ربي الأعلى وبحمده وذلك أدناه، وقد ذهب ابن راهويه إلى أن المصلي إذا لم يقل ذلك ثلاث مرّات في ركوعه وثلاث مرّات في سجوده لم تجزه صلاته، وقد تقدمت إليك بالوصية أن تخرج من الخلاف ما استطعت، وإذا أردت الحج فأحرم بالحج أو قارن بين الحج والعمرة إن كان لك هدي، وإن لم لك هدي فأحرم بعمرة ولا بدّ متمتعاً واخرج من الخلاف إذا فعلت هذا وإن جهلت وأحرمت بالحج وما معك هدي فافسخ وردّها عمرة، هكذا أمر رسول الله ﷺ أصحابه في حجة الوداع أمر بالفسخ لمن لم يكن له هدي. وإذا حضرت عند مريض أو ميت فلا تقل إلاَّ خيراً، وإذا رأيت إناء قد ولغ فيه كلب فبدده ولا تتوضأ بذلك الماء واغسل الإناء سبع مرّات والثامنة بالتراب أو الأولى إن شئت، ولا تدخل يدك في إناء وضوءك إذا قمت من النوم، واجتنب النجاسات أن تمس ثيابك، وإذا بلت فاستنثر من بولك، وإن كنت في سفر وجئت فلا تطرق أهلك ليلاً وابدأ بالمسجد فصل فيه ركعتين وحينئذ تنصرف إلى بيتك، ولا تفجأهم بالقدوم عليهم، وقدم بين يديك من يعرفهم ليلقوك بما يسرّك ويصلحوا من شأنهم ما تكره أن تراهم فيه، وإذا كان بين يديك طعام فوقع فيه ذباب فلا تزل الذباب عنه حتى تغمسه فيه فإن في جناحه الواحد داء وفي الآخر دواء لذلك الداء وهو أبداً يرفع الجناح الذي فيه الدواء، وإذا ضربت فاجتنب ضرب الوجه أو قاتلته، وإذا أحببت أحداً فأعلمه بمحبتك إياه فإنك تجلب بذلك الإعلام محبته إياك فيحبك بلا شك ويرى لك، وإن مات لك ميت تتولى شأنه فأحسن كفنه وتكفينه واجعل في غسله سدراً، وإن قدم إليك طعام في قصعة فكل من جوانبها ولا تأكل من أعلاها. وإذا مشيت إلى الصلاة فبوقار وسكينة من غير كبر، وامش كأنك تنحط في صبب فإن ذلك أنفى للكبر وأسرع لقضاء الحاجة، واحذر أن تصلي وأنت تدفع النوم بل نم فإن ذهب النوم فصل، ولقد كنت ليلة أصلي وأنا أدفع النوم فذهبت لأقرأ فسمعتني أسبّ نفسي بدلاً من القراءة فتركت الصلاة ونمت، ولا تنم قبل صلاة العتمة ولا تتحدث بعدها، وإذا ركعت ركعتي الفجر فاضطجع على شقك الأيمن وحينئذ تصلي الصبح، وإذا قعدت للتشهّد فصل على محمد واستعذ بالله من عذاب القبر وعذاب النار وفتنة المسيح الدجال وفتنة المحيا والممات، واجهد أن لا تترك هذا حتى تخرج من الخلاف بفعلك ما أمرتك به فإني ما أمرتك بأمر تفعله من عباداتك إلاَّ لما أعرف في تركه من الخلاف بين العلماء، وأريد أن تأتي العبادة على أتم وجوهها ممّا لا

اختلاف فيه هذا غرضي في هذه الوصية بمثل هذه الأمور فلا تهمل شيئاً ممّا وصيتك به.

وصية: إياك أن تقترف ذنباً وأنت صائم فإنه يبطل صومك فالصوم لله لا لك فلا يراك في عمل هو له على ما لا يرضاه منك فلتكن على أحسن الحالات في صومك، وإن شاتمك أحد أو قاتلك فقل إني صائم فلا تجازه بفعله، وإن كان لك مال فاجهد أن تكون لك صدقة جارية توقفها على الناس لا تخص بها طائفة من طائفة بل على المسلمين الذي تلفظوا بالشهادة أو ولدوا في الإسلام فإن هذه الأوقاف إن لم تكن على حدّ ما ذكرتها لكم وإلاّ أكل الناس حراماً ويكون الواقف هو الذي أساء في حقهم حيث اشترط شرطاً معيناً سوى الإسلام، فإن اشترط ولا بدّ فليشترط من يتظاهر بالخير في أغلب أحواله، وكذلك إن كان لك علم نافع في الدين فبثه في الناس لينتفع به كل سامع إلى يوم القيامة.

يا أخي إذا كان في يدك سيف مصلت فأراد أحد أن يتناوله منك فلا تناوله إياه حتى تغمده، الله الله إذا رأيت أحداً على عمل يكرهه الشرع من المسلمين فاكره عمله ولا تكره المسلم الذي هو العامل وإن كنت صادقاً في كراهيتك عمله فلا تعمل بمثله فإن عملت بمثله وكرهته من غيرك فأنت مراء بما ظهرت به من الكراهة لذلك، وهنا سرّ خفيّ ومكر دقيق يؤديّ إلى ترك تغيّر المنكر، وإذا كنت في سفر وأردت التعريس بالليل فاجتنب الطريق فإن الهوام بالليل تقصد الطريق فربما يؤذيك شيء منها، وقل إذا نزلت منزلاً: أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شرّ ما خلق فإنه لن يضرّك شيء ما دمت في ذلك المنزل، أخبرني صاحبي عبد الله بدر الحبشي الخادم عن الشيخ ربيع بن محمود الحطاب المارديني قال: بتنا ليلة برأس العين في مسجد وبرأس العين عقارب تسمّى الجرارات لا ترفع أدنابها إلاّ عند الضرب وهي قتالة ما ضربت أحداً فعاش فجاء شخص فبات في المسجد وذكر هذه الاستعاذة فضربته العقرب في تلك الليلة فقال للشيخ ربيع حديثه فقال له صحّ الحديث فإن الله قد رفع عنك الموت فإنها ما ضربت أحداً إلاّ مات، وقد رأيت أنا مثل هذا من نفسي لدغتني العقرب مرّة بعد مرّة في وقت واحد فما وجدت لها ألماً، وكنت قد ذكرت هذه الإستعاذة إلاّ أنه كان في حرامي بندقتان وكنت قد سمعت أن البندق بالخاصية يدفع ألم الملسوع فلا أدري هل كان ذلك للبندق أو للدعاء أو لهما معاً إلاّ أنه تورم رحلي وحصل فيه خدر وبقي الورم ثلاثة أيام ولا أجد ألماً البتة، وعليك بالتسمية في كل حال تشرع فيه من أكل وشرب ودخول وخروج وحلّ وترحال وحركة وسكون، وإذا دخلت بيت الله فابدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت فأخرج رجلك اليمنى، وإذا انتقلت فابدأ باليمنى، وإذا خلعت فابدأ باليسرى.

وصية: لا تسارر صاحبك بشيء ومعكما ثالث دونه فإن ذلك يوحشه بلا شك، ومقصود الحق من عباده تألف القلوب والمحبة والتودّد، وأن الله قد جعل الألفة من منة الله على نبيه ﷺ فقال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] وكذلك لا تتكلم معه بلسان لا يعرفه الثالث فإنه لا فرق بينه وبين المسارة، والتزم الصدق في حديثك أبداً وفي أفعالك تكن أصدق الناس رأياً، وإذا سمعت

صياح الديكة فسل الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعت نهيق الحمار فتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم فإن الحمار لا ينهق إلاّ إذا رأى شيطاناً، والديك لا يصيح إلاّ إذا رأى ملكاً، وقد روينا أن لله ديكاً في السماء إذا صاح وسمعته الديوك في الأرض صاحت لصياحه، كن في كل حال ذاتية حميدة مع الله يرضاها الله منك وعلى عمل صالح ولا سيما إذا كثر الفساد في العامّة فما تدري لعل الله يرسل عليهم عذاباً يعمّ الصالح والطالح فتكون ممّن يحشر على عمل خير كما قبضت عليه يقول الله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]. ولا تشمت عاطساً لم يحمد الله ولكن ذكره أن يحمد الله ثم شمته، وإياك إذا غلبك التثاوب أن تصوّت فيه واكظمه ما استطعت، وإياك أن تمدح أحداً في وجهه فتخجله وإذا مدحك أحد في وجهك فأحث التراب في وجهه برفق وصورة حثو التراب أن تأخذ كفاً من تراب وترمي به بين يديه وتقول له: ما عسى أن يكون من خلق من تراب ومن أنا وما قدري توبخ بذلك نفسك وتعرف المادح بقدرك وقدره هكذا فلنحث التراب في وجوه المداحين، وقد كان شيخنا عبد الحليم الغماد بمدينة سلا إذا رأى شخصاً راكباً ذا إشارة يعظمه الناس وينظرون إليه يقول له ولهم: تراب راكب على تراب ثم ينصرف وينشد: [الكامل]

حَـتَّـى مَـتَـى وإلـى مَـتَـى تَـتَـوَانَـى ... أَتَـظُـنُّ ذلـك كُـلَّـهُ نِـسْـيَـانَـا

وكان الغالب عليه التولّه، وإذا كان لك ولد صغير وجاءت فحمة العشاء فأمسكه عن التصرّف فإن الشياطين تنتشر حينئذ فلا تأمن عليه أن يصيبه لمم فإن الشارع أمر بذلك، وإذا صنع لك خادمك طعاماً وأتاك به فأجلسه معك فإن أبى وتأدّب فأذقه منه ولا بدّ ولو لقمة، وإياك أن تأكل وعين تنظر إليك من غير أن يأكل معك، وإذا سمعت أحداً يوم الجمعة يتكلم والإمام يخطب فلا تقل له أنصت فإن قلت له ذلك فأنت ممّن لغا في جمعته، ولا تعبث بشيء لا بالحصى ولا بغيره والإمام يخطب فإنه لغو، وإذا كنت صائماً وأفطرت فأفطر على تمر إن وجدت فإن لم تجد فعلى حسوات من ماء وليكن ذلك وتراً وعجل بالفطر ثم صلّ بعد ذلك إلاّ إن حضر الطعام فإن حضر الطعام فابدأ به قبل الصلاة إن كنت آكلاً ولا بدّ، وإذا حدثك إنسان وتراه يلتفت فحديثه إياك أمانة أودعك إياها فلا تخنه فيه بالإفشاء، وراقب قلبك في الناس فمهما خطر لك تغير في أحد من المؤمنين في قلبك فأزله وظن خيراً وأقم له عذراً فيما تغيرت له وإن حالت بينك وبين الماشي معك شجرة أو جدار ثم تلاقيتما فسلم عليه حتى يعلم أنك على الودّ الذي فارقته عليه.

وصية: عامل كل من تصحبه أو يصحبك بما تعطيه رتبته، فعامل الله بالوفاء لما عاهدته عليه من الإقرار بربوبيته عليك وهو الصاحب بقول رسول الله ﷺ، وعامل الآيات بالنظر فيها، وعامل ما تدركه الحواس منك بالاعتبار، وعامل الرسل بالاقتداء بهم، وعامل الملائكة بالطهارة والذكر، وعامل الشيطان إذا عرفت أنه شيطان من إنس وجان بالمخالفة، وعامل الحفظة بحسن ما تملي عليهم، وعامل من هو أكبر منك بالتوقير ومن هو أصغر منك بالرحمة

ومن هو كفؤك بالتجاوز والإنصاف والإيثار وأن تطالب نفسك بحقه عليها وترك حقك له، وعامل العلماء بالتعظيم، وعامل السفهاء بالحلم، وعامل الجهال بالسياسة، وعامل الأشرار ببسط الوجه وما تتقي به شرهم، وعامل الحيوان بالنظر فيما يحتاجون إليه فإنهم خرس، وعامل الأشجار والأحجار بعدم الفضول، وعامل الأرض بالصلاة عليها، وعامل الموتى بالدعاء لهم وذكر محاسنهم والكف عن مساويهم، وعامل الصوفية أهل الكشف والوجود منهم بالتسليم أصحاب الأحوال، وعامل الإخوان في الله بالبحث عن حركاتهم وسكناتهم فيما ذا يتحركون ويسكنون، وعامل الأولاد بالإحسان، وعامل الزوجة بحسن الخلق، وعامل أهل البيت بالمودّة، وعامل الصلاة بالحضور، وعامل الصوم بالتنزه عن الذنوب، وعامل المناسك بذكر الله والتعظيم، وعامل الزكاة بسرعة الأداء، وعامل التوحيد بالإخلاص، وعامل الأسماء الإلهية بما تعطيه حقيقة كل اسم إلهيّ من الأخلاق فمعاملة الأسماء الإلهية بالتخلق بها، وعامل الدنيا بالرغبة عنها، وعامل الآخرة بالرغبة فيها، وعامل النساء بالحذر من فتنتهن، وعامل المال بالذل، وعامل النار والحدود بالتقوى والرهبة، وعامل الجنة بالرغبة، وعامل الأولياء بما تزيد ولايتهم، وعامل الأعداء بما تكف أذاهم، وعامل الناصح بالقبول، وعامل المحدث بالإصغاء إلى حديثه، وعامل الموجودات كلها بالنصيحة، وعامل الملوك بالسمع والطاعة والأخذ على أيدي الظلمة منهم ما استطعت بطريقة تكتفي بها شرّهم، وإياك وصحبة الملوك فإنك إن أكثرت مخالطة الملك ملّك وإن تركته أذلّك، فخذ واعط إن بليت بصحبتهم، وعامل قارىء القرآن بالإنصاف ما دام تالياً، وعامل القرآن بالتدبر، وعامل الحديث النبوي بالبحث عن صحيحه وسقيمه وعرضه على الأصول فما وافق الأصول فخذ به وإن لم يصحّ الطريق إليه فإن الأصل يعضضه وإذا ناقض الأصول بالكلية فلا تأخذ به وإن صحّ طريقه ما لم تعلم له وجهاً فإن أخبار الآحاد لا تفيد سوى غلبة الظن، وعليك بالسنّة المتواترة وكتاب الله فهما خير مصحوب وخير جليس وإياك والخوض فيما شجر بين الصحابة ولتحبهم كلهم عن آخرهم ولا سبيل إلى تجريح واحد منهم فعنهم نأخذ الدين الذي نعبد الله به وعاملهم بالعدالة في الأخذ عنهم ولا تتهمهم فهم خير القرون.

وعامل بيتك بالصلاة فيه، وعامل مجلسك بذكر الله فيه، وعامل فرقتك من مجلسك بالاستغفار والضابط للصحبة أن تعطي كل ذي حق حقه ولا تترك مطالبة لأحد عليك بحق يتوجه له قبلك، وعامل الجاني عليك بالصفح والعفو، وعامل المسيء بالإحسان، وعامل بصرك بالغض عن محارم الله وسمعك بالاستماع إلى أحسن الحديث والقول ولسانك بالصمت عن السوء من القول وإن كان حقاً لكن كره الشرع أو حرم النطق به، وعامل الذنوب بالخوف، وعامل الحسنات بالرجاء، وعامل الدعاء بالاضطرار، وعامل نداء الحق إياك بالتلبية لما ناداك إليه من عمل أو ترك.

وصايا نبوية: روينا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: وصاني رسول الله ﷺ فقال: يا علي أوصيك بوصية فاحفظها فإنك لا تزال بخير ما حفظت وصيتي. يا

علي: إن للمؤمن ثلاث علامات: الصلاة والصيام والزكاة، وللمتكلف ثلاث علامات يتملق إذا شهد ويغتاب إذا غاب ويشمت بالمصيبة، وللظالم ثلاث علامات يقهر من دونه بالغلبة ومن فوقه بالمعصية ويظاهر الظلمة وللمرائي ثلاث علامات ينشط إذا كان عند الناس ويتكاسل إذا كان وحده ويحب أن يحمد في جميع الأمور، وللمنافق ثلاث علامات: إن حدث كذب وإن وعد أخلف وأن اؤتمن خان. يا علي: وللكسلان ثلاث علامات يتوانى حتى يفرط ويفرط حتى يضيع ويضيع حتى يأثم، وليس ينبغي للعاقل أن يكون شاخصاً إلاً في ثلاث: مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم أو خطوة لمعاد. يا علي: إن من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله ولا تحمدن أحداً على ما أتاك الله ولا تذمن أحداً على ما لم يؤتكه الله، فإن الرزق لا يجره حرص حريص ولا يصرفه كراهية كاره، وإن الله سبحانه وتعالىٰ جعل الروح والفرج في اليقين والرضى بقسم الله، وجعل الهم والحزن في السخط بقسم الله. يا علي: لا فقر أشدّ من الجهل، ولا مال أجود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا إيمان كاليقين، ولا ورع كالكف، ولا حسن كحسن الخلق، ولا عبادة كالتفكر. يا علي إن لكل شيء آفة، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الربا، وآفة الظرف الصلف، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحسب الفخر، وآفة الحياء الضعف، وآفة الكرم الفخر، وآفة الفضل البخل، وآفة الجود السرف، وآفة العبادة الكبر، وآفة الدين الهوى. يا علي: إذا أثنى عليك في وجهك فقل: اللهمّ اجعلني خيراً ممّا يقولون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني فيما يقولون تسلم ممّا يقولون. يا علي: إذا أمسيت صائماً فقل عند إفطارك: اللهمّ لك صمت وعلى رزقك أفطرت يكتب لك أجر من صام ذلك اليوم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، واعلم أن لكل صائم دعوة مستجابة فإن كان عند أول لقمة يقول: بسم الله الرحمن الرحيم يا واسع المغفرة اغفر لي فإنه من قالها عند فطره غفر له، واعلم أن الصوم جنة من النار. يا علي: لا تستقبل الشمس والقمر واستدبرهما فإن استقبالهما داء واستدبارهما دواء. يا علي: استكثر من قراءة يس فإن في قراءة يس عشر بركات ما قرأها قط جائع إلاّ شبع، ولا قرأها ظمآن إلاّ روي، ولا عار إلاّ اكتسي، ولا مريض إلاّ برىء، ولا خائف إلاّ أمن، ولا مسجون إلاّ فرج، ولا أعزب إلاّ تزوج، ولا مسافر إلاّ أعين على سفره، ولا قرأها أحد ضلّت له ضالة إلاّ وجدها، ولا قرأها على رأس ميت حضر أجله إلاّ خفف عليه، ومن قرأها صباحاً كان في أمان حتى يمسي، ومن قرأها مساء كان في أمان حتى يصبح.

يا علي: اقرأ حم الدخان في ليلة الجمعة تصبح مغفوراً لك. يا علي: اقرأ آية الكرسي دبر كل صلاة تعط قلوب الشاكرين وثواب الأنبياء وأعمال الأبرار. يا علي: اقرأ سورة الحشر تحشر يوم القيامة آمناً من كل شيء. يا علي: اقرأ تبارك والسجدة ينجياك من أهوال يوم القيامة. يا علي: اقرأ تبارك عند النوم يرجع عنك عذاب القبر ومسائلة منكر ونكير. يا علي: اقرأ قل هو الله أحد على وضوء تنادى يوم القيامة يا مادح الله قم فادخل الجنة. يا علي: اقرأ

سورة البقرة فإن قراءتها بركة وتركها حسرة وهي لا تطيقها البطلة يعني السحرة. يا علي: لا تطيل القعود في الشمس فإنها تثير الداء الدفين وتبلي الثياب وتغيّر اللون. يا علي: أمان لك من الحرق أن تقول: سبحانك ربي لا إله إلاّ أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم. يا علي: أمان لك من الوسواس أن تقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦] يا علي: أمان لك من شرّ كل عاين أن تقول ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله. يا علي كل الزيت وادهن بالزيت فإنه من أكل الزيت وادهن بالزيت لم يقربه الشيطان أربعين صباحاً.

يا علي: ابدأ بالملح واختم بالملح فإن الملح شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع الحلق ووجع الأضراس ووجع البطن. يا علي: إذا أكلت فقل بسم الله وإذا فرغت فقل الحمد لله فإن حافظيك لا يستريحان يكتبان لك الحسنات حتى تنبذه عنك. يا علي: إذا رأيت الهلال في أوّل الشهر فقل الله أكبر ثلاثاً والحمد لله الذي خلقني وخلقك وقدرك منازل وجعلك آية للعالمين يباهي الله بك الملائكة يقول: يا ملائكتي اشهدوا أني قد أعتقت هذا العبد من النار. يا علي: فإذا نظرت في المرآة فقل: اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وارزقني. يا علي: وإذا رأيت أسداً واشتدّ بك الأمر فكبّر ثلاثاً وقل الله أكبر وأجل وأعزّ ممّا أخاف وأحذر، اللهم إني أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شرّه فإنك تكفى بإذن الله، وإذا رأيت كلباً يهرّ فقل: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] يا علي: إذا خرجت من منزلك تريد حاجة فاقرأ آية الكرسي فإن حاجتك تقضى إن شاء الله. يا علي: وإذا توضأت فقل: بسم الله والصلاة على رسول الله. يا علي: صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة وادع الله سبحانه بالأسحار لا ترد دعوتك فإن الله سبحانه يقول: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]. يا علي: غسل الموتى فإنه من غسل ميتاً غفر له سبعون مغفرة لو قسمت مغفرة منها على جميع الخلق لوسعتهم، فقلت: يا رسول الله ما يقول من غسل ميتاً؟ فقال ﷺ يقول: غفرانك يا رحمن حتى يفرغ من الغسل. يا علي: لا تخرج في سفر وحدك فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد. يا علي: إن الرجل إذا سافر وحده غاو والاثنان غاويان والثلاثة نفر. يا علي: إذا سافرت فلا تنزل الأودية فإنها مأوى السباع والحيات. يا علي: لا تردفن ثلاثة على دابة فإن أحدهم ملعون وهو المقدم. يا علي: إذا ولد لك مولود غلام أو جارية فأذن في أذنه اليمين وأقم في أذنه اليسار فإنه لا يضرّه الشيطان. يا علي: لا تأت أهلك ليلة الهلال ولا ليلة النصف فإنه يتخوف على ولدك الخبل، قال علي: ولم يا رسول الله؟ قال: لأن الجن يكثرون غشيان نسائهم ليلة النصف وليلة الهلال، أما رأيت المجنون يصرع ليلة النصف وليلة الهلال؟ يا علي: وإذا نزلت بك شدة فقل: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد عليك أن

تنجيني، وإذا أردت الدخول إلى مدينة أو قرية فقل حين تعاينها: اللهم إني أسألك خير هذه المدينة وخير ما كتبت فيها، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما كتبت فيها، اللهم ارزقني خيرها وأعذني من شرّها وحببنا إلى أهلها وحبّب صالح أهلها إلينا.

يا علي: إذا نزلت منزلاً فقل: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين يرزق خيره ويدفع عنك شرّه. يا علي: وإياك والمرائي فإنه لا تعقل حكمته ولا تؤمن فتنته. يا علي: وإياك والدخول إلى الحمام بلا مئزر فإنه ملعون الناظر والمنظور إليه. يا علي: لا تختم بالسبابة والوسطى فإنه من فعل قوم لوط. يا علي: لا تلبس المعصفر ولا تبت في ملحفة حمراء فإنها محتضرة الشيطان. يا علي: لا تقرأ وأنت راكع ولا ساجد. يا علي: إياك والمجادلة فإنها تحبط الأعمال. يا علي: لا تنهر السائل ولو جاءك على فرس وأعطه فإن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل. يا علي: باكر بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة. يا علي: عليك بحسن الخلق فإنك تدرك بذلك درجة الصائم القائم. يا علي: إياك والغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم إذا غضب. يا علي: إياك والمزاح فإنه يذهب ببهاء ابن آدم ونشاطه. يا علي: عليك بقراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فإنها منهاة للفقر، وإياك والربا فإن فيه ست خصال ثلاثة منها في الدنيا وثلاثة في الآخرة، فأما التي في الدنيا تعجل الفناء وتذهب الغنى وتمحق الرزق، وأما التي في الآخرة فسوء الحساب وسخط الرب عز وجل والخلود في النار أو الخلوة شكّ الراوي.

يا علي: وإذا دخلت منزلك فسلّم على أهل بيتك يكثر خير بيتك. يا علي: أحب الفقراء والمساكين يحبك الله. يا علي: لا تنهر المساكين والفقراء فتنهرك الملائكة يوم القيامة. يا علي: عليك بالصدقة فإنها تدفع عنك السوء. يا علي: أنفق وأوسع على عيالك ولا تخش من ذي العرش إقلالاً. يا علي: إذا ركبت دابة فقل: الحمد لله الذي كرمنا وهدانا للإسلام ومنّ علينا بمحمد عليه السلام، الحمد لله الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقبلون. يا علي: لا تغضبن إذا قيل لك اتق الله فيسوءك ذلك يوم القيامة. يا علي: إن الله يعجب من عبده إذا قال: اللهم اغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، يقول الله: يا ملائكتي عبدي هذا علم أنه لا يغفر الذنوب غيري اشهدوا أني قد غفرت له. يا علي: إذا لبست ثوباً جديداً فقل: بسم الله والحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي واستغني به عن الناس، لم يبلغ الثوب ركبتيك حتى يغفر لك. يا علي: من لبس ثوباً جديداً فكسى فقيراً أو يتيماً عرياناً أو مسكيناً كان في جوار الله وأمنه وحفظه ما دام عليه منه سلك. يا علي: إذا دخلت السوق فقل حين تدخل: بسم الله وبالله أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يقول الله تعالى: عبدى هذا ذكرني والناس غافلون اشهدوا أني قد غفرت له. يا علي: إن الله يعجب ممّن يذكره في الأسواق إذا دخلت المسجد قل: بسم الله والسلام على رسول الله اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرجت فقل: بسم الله والسلام على رسول الله اللهم افتح لي أبواب فضلك. يا علي: وإذا سمعت المؤذن قل مثله مقالته يكتب لك مثل

أجره. يا علي: وإذا فرغت من وضوئك فقل: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله اللهم اجعلني من التوّابين واجعلني من المتطهرين تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك وتفتح لك ثمانية أبواب الجنة يقال ادخل من أيها شئت. يا علي: إذا فرغت من طعامك فقل: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين. يا علي: إذا شربت فقل: الحمد لله الذي سقانا ماء جعله عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا تكتب شاكراً. يا علي: إياك والكذب فإن الكذب يسوّد الوجه ولا يزال الرجل يكذب حتى يسمّى عند الله كاذباً ويصدق حتى يسمّى عند الله صادقاً إن الكذب يجانب الإيمان. يا علي: لا تغتابن أحداً فإن الغيبة تفطر الصائم والذي يغتاب الناس يأكل لحمه يوم القيامة. يا علي: إياك والنميمة ولا يدخل الجنة قتات يعني النمام. يا علي: لا تحلف بالله كاذباً ولا صادقاً. يا علي: لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم فإن الله لا يرحم ولا يزكي من يحلف بالله كاذباً. يا علي: املك عليك لسانك وعوده الخير فإن العبد يوم القيامة ليس عليه شيء أشدّ من خيفة لسانه. يا علي: إياك واللجاجة فإنها ندامة. يا علي: إياك والحرص فإن الحرص أخرج أباك من الجنة. يا علي: إياك والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. يا علي: ويل لمن يكذب ليضحك الناس ويل له ويل له. يا علي: عليك بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب تعالىٰ ومجلاة للأسنان. يا علي: عليك بالتخلّل فإنه ليس شيء أبغض إلى الملائكة أن ترى في أسنان العبد طعاماً.

فقال علي عليه السلام قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] ما هؤلاء الكلمات؟ فقال النبيّ ﷺ: إن الله تعالىٰ أهبط آدم عليه السلام بأرض الهند وحواء بجدة والحية بأصبهان وإبليس ببيسان ولم يكن في الجنة أحسن من الحية والطاووس وكان للحية قوائم كقوائم البعير فلما دخل إبليس لعنه الله جوفها أغوى آدم عليه السلام وخدعه فغضب الله تعالىٰ على الحية فألقى عنها قوائمها وقال: جعلت رزقك من التراب وجعلتك تمشين على بطنك لا رحم الله من رحمك، وغضب الله عزّ وجلّ على الطاووس فمسح رجليه لأنه كان دليلاً لإبليس على الشجرة فمكث آدم عليه السلام مائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء يبكي على خطيئته وقد جلس جلسة الحزين فبعث الله جبريل عليه السلام فقال: السلام عليك يا آدم الله عزّ وجلّ يقرئك السلام ويقول لك: ألم أخلقك بيدي وأنفخ فيك من روحي؟ ألم أسجد لك ملائكتي؟ ألم أزوجك حواء أمتي؟ ما هذا البكاء؟ قال: يا جبريل وما يمنعني من البكاء وقد أخرجت من جوار ربي؟ قال له جبريل عليه السلام: يا آدم تكلم بهؤلاء الكلمات فإن الله تعالىٰ غافر ذنبك وقابل توبتك، قال: فما هن؟ قال قل: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد، سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي إنه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت وارحمني وأنت خير الراحمين، سبحانك وبحمدك لا إله إلاَّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم، سبحانك وبحمدك لا إله إلاَّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين، فهؤلاء الكلمات.

يا علي: وأنهاك عن حيات البيوت إلاّ الأفطس والأبتر فإنهما شيطانان. يا علي: وإذا رأيت حية في رحلك فلا تقتلها حتى تخرج عليها ثلاثاً فإن عادت الرابعة فاقتلها. يا علي: وإذا رأيت حية في الطريق فاقتلها فإني قد اشترطت على الجن أن لا يظهروا في صورة الحيات في الطريق فمن فعل خلى بنفسه للقتل. يا علي: أربع خصال من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وبعد الأمل، وحب الدنيا. يا علي: أنهاك عن أربع خصال عظام: الحسد والحرص والكذب والغضب. يا علي: ألا أنبئك بشر الناس؟ قال قلت: بلى يا رسول الله، قال: من سافر وحده ومنع رفده وضرب عبده. ألا أنبئك بشر من هؤلاء جميعاً؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره. يا علي: إذا صليت على جنازة فقل: اللهم هذا عبدك وابن عبدك وابن أمتك ماض فيه حكمك خلقته ولم يكن شيئاً مذكوراً نزل بك وأنت خير منزول به، اللهم لقّنه حجته وألحقه بنبيه ﷺ وثبّته بالقول الثابت فإنه افتقر إليك واستغنيت عنه، كان يشهد أن لا إله إلاّ الله فاغفر له وارحمه ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده، اللهم إن كان زاكياً فزكه وإن كان خاطئاً فاغفر له. يا علي: وإذا صليت على جنازة امرأة فقل: اللهم أنت خلقتها وأنت أحييتها وأنت أمتها تعلم سرّها وعلانيتها جئناك شفعاء لك فاغفر لها وارحمها ولا تحرمنا أجرها ولا تفتنا بعدها. وإذا صليت على طفل فقل: اللهم اجعله لوالديه سلفاً واجعله لهما ذخراً واجعله لهما رشداً واجعله لهما نوراً واجعله لهما فرطاً وأعقب والديه الجنة ولا تحرمهما أجره ولا تفتنهما بعده. يا علي: إذا توضأت فقل: اللهم إني أسألك تمام الوضوء وتمام مغفرتك ورضوانك. يا علي: إن العبد المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة أمنه الله من البلايا الثلاثة: الجنون والجذام والبرص، وإذا أتت عليه ستون سنة فهو في إقبال وبعد الستين في إدبار رزقه الله الإنابة فيما يحب، وإذا أتت عليه سبعون سنة أحبه أهل السموات وصالحو أهل الأرض، وإذا أتت عليه ثمانون سنة كتبت له حسناته ومحيت عنه سيئاته، وإذا أتت عليه تسعون سنة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإذا أتت عليه مائة سنة كتب الله اسمه في السماء أسير الله في أرضه وكان حبيس الله تعالى. يا علي: احفظ وصيتي إنك على الحق والحق معك.

ومن وصايا الصالحين: قال رجل لذي النون: والله إني لا أحبك، فقال له ذو النون: إن كنت عرفت الله فحسبك الله وإن كنت لم تعرفه فاطلب من يعرفه حتى يدلك على الله وتتعلم منه حفظ الحرمة لمولاك. وفي معنى ما قاله ذو النون وأوصى به ما اتفق لنا مع صاحبنا عبد الله ابن الأستاذ الموروري وكان من كبار الصالحين كان له أخ مات فرآه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال لي: أدخلني الجنة آكل وأشرب وأنكح، قال له: ليس عن هذا أسألك هل رأيت ربك؟ قال: لا يراه إلاّ من يعرفه، واستيقظ فركب دابته وجاء إلينا إلى إشبيلية وعرفني بالرؤيا ثم قال لي: قد قصدتك لتعرفني بالله فلازمني حتى عرف الله بالقدر الذي يمكن للمحدث أن يعرفه به من طريق الكشف والشهود لا من طريق الأدلة النظرية رحمه الله. وقال بعضهم: اصحب الذين وصفهم الله في كتابه وهم أهل التقوى الذين هم على

سمت محجته لعلك أن ترقى في ملكوت السموات فتكون للأبرار جليساً وللأخيار في أمن ذلك المقيل أنيساً، وإن كنت على التقوى عازماً فالنجاة النجاة فيما بقي من عمرك. وقال بعض العلماء: تزود من الدنيا للآخرة وطريقها فإن خير الزاد التقوى وسارع إلى الخيرات ونافس في الدرجات قبل فناء العمر وتقارب الأجل والفوت.

وصية: قيل لبعض العلماء: أوصنا فقال: إياكم ومجالسة أقوام يتكلفون بينهم زخرف القول غروراً ويتملقون في الكلام خداعاً وقلوبهم مملوءة غشاً وغلاً ودغلاً وحسداً وكبراً وحرصاً وطمعاً وبغضاً وعداوةً ومكراً وختلاً، دينهم التعصّب، واعتقادهم النفاق، وأعمالهم الرياء، واختيارهم شهوات الدنيا، يتمنون الخلود فيها مع علمهم بأنهم لا سبيل لهم إلى ذلك، يجمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون ويكسبون الحرام وينفقون في المعاصي ويمنعون المعروف ويركبون المنكر.

وصية: روينا عن يوسف بن الحسين قال: قلت لذي النون في وقت مفارقتي إياه: من أجالس؟ قال: عليك بصحبة من يذكرك الله عزّ وجلّ رؤيته وتقع هيبته على باطنك ويزيد في عملك منطقه ويزهدك في الدنيا عمله ولا يعص الله ما دمت في قربه، يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله، وهو تارك لما يدلك عليه أي هو خال من الفضائل، لأن الرجل قد يكون على عمل من أعمال البرّ يقتضيه حاله، ويدلك بقوله على عمل من أعمال البرّ يقتضيه حالك ولا يقتضيه حاله في الوقت فيريد بقوله بلسان فعله أي أفعاله مستقيمة، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ وما عين براً من بر ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وصية نبوية عيسوية: قال عيسىٰ عليه السلام: يا بني إسرائيل اعلموا أن مثل دنياكم مع آخرتكم كمثل مشرقكم مع مغربكم كلما أقبلتم إلى المشرق بعدتم من المغرب، وكلما أقبلتم إلى المغرب ازددتم من المشرق بعداً، وصاهم بهذا المثل أن يقربوا من الآخرة بالأعمال الصالحة.

وصية: أوصى بعض العلماء قال: إياكم أن تكونوا من قوم يتمردون وفي طغيانهم يعمهون، لا يسمعون النداء ولا يجيبون الدعاء، تراهم مولين مدبرين عن الآخرة معرضين، وعلى الأعقاب ناكصين، وعلى الدنيا مكبين، يتكالبون تكالب الكلاب على الجيف، منهمكين في الشهوات تاركين الصلوات، لا يسمعون الموعظة ولا ينفعهم التذكرة، لا جرم أن من هذه صفته يمهلون قليلاً ويتمتعون يسيراً ثم تجيئهم سكرة الموت بالحق ذلك ما كانوا منه يحيدون شاؤوا أم أبوا، فيفارقون محبوبهم على رغم منهم ويتركون ما جمعوه لغيرهم، يتمتع بمال أحدهم حليل زوجته وامرأة ابنه وبعل ابنته وصاحب ميراثه للوارث المهناة وعليهم الوبال، ثقيل ظهره بأوزاره معذب النفس بما كسبت يداه، يا حسرة عليه إذا قامت على أبنائها القيامة، فاحذروا أن تكونوا من هؤلاء وكونوا من الذين أخذوا من عاجلهم لآجلهم ومن حياتهم لموتهم كما قال ﷺ فيهم: «**صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَجْسَادٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالمَحَلِّ الأَعْلَى**».

وصية: قال بعض الصالحين يوصي إنساناً: احذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعاً قال له: وكيف يكون ذلك؟ قال: لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه وينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه، ثم قال: تعلق الناس بالأسباب وتعلق الصديقون بولي الأسباب، ثم قال: علامة تعلقهم بالعطايا طلبهم منه العطايا، ومن علامات تعلق قلب الصديق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به، ثم قال: ليكن اعتمادك على الله في الحال لا على الحال، ثم قال: اعقل فإن هذا من صفوة التوحيد.

وصية نبوية روحية: قال عيسىٰ عليه السلام لبعض أصحابه بوصية: صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وكن كالمداوي جرحه بالدواء خشية أن ينغل عليه، وعليك بكثرة ذكر الموت فإن الموت يأتي إلى المؤمن بخير لا شر بعده وإلى الشرير بشر لا خير بعده.

وصية بتنبيه: قال ذو النون: ثلاث من أعلام الإيمان: اغتمام القلب بمصائب المسلمين، وبذل النصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم، وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوه وكرهوه. قال أحمد بن أحمد بن سلمة: أوصاني ذو النون: لا تشغلنك عيوب الناس عن عيب نفسك لست عليهم برقيب، ثم قال: إن أحب عباد الله إلى الله عزّ وجلّ أعقلهم عنه، وإنما يستدل على تمام عقل الرجل وتواضعه في عقله حسن استماعه للمحدث وإن كان به عالماً، وسرعة قبوله للحق وإن جاء ممّن هو دونه، وإقراره على نفسه بالخطأ إذا جاء به.

وصية: أوصى بها راهب عارفاً من المسلمين: اجتاز بعض العارفين في سياحته براهب في صومعة على رأس جبل فوقف به فناداه: يا راهب فأخرج الراهب رأسه من صومعته وقال: من ذا؟ قال: رجل من أبناء جنسك الآدميين، قال: فماذا تريد؟ قال: كيف الطريق إلى الله؟ قال الراهب: في خلاف الهوى، قال: فما خير الزاد؟ قال: التقوى، قال: فلم تبعدت عن الناس وتحصنت في هذه الصومعة؟ قال: مخافة على قلبي من فتنتهم، وحذراً على عقلي الحيرة من سوء عشرتهم، وطلبت راحة نفسي من مقاساة مداراتهم وقبيح فعالهم، وجعلت معاملتي مع ربي فاسترحت منهم، قال: فخبرني يا أحد تباع المسيح كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم واصدق القول لي ودع عنك تزويق الكلام وزخرف القول؟ فسكت الراهب ساعة متفكراً ثم قال: شرّ معاملة تكون قال له العارف كيف قال لأنه أمرنا بالكد للأبدان وجهد النفوس وصيام النهار وقيام الليل وترك الشهوات المركوزة في الجبلة ومخالفة الهوى الغالب ومجاهدة العدوّ المسلط والرضى وخشونة العيش والصبر على الشدائد والبلوى، ومع هذه كلها جعل الأجر بالسيئة في الآخرة بعد الموت مع بعد الطريق وكثرة الشكوك والحيرة والخوف من اليأس، فهذه حالتنا في معاملتنا مع ربنا. فأخبرنا عنكم يا معشر تباع أحمد كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم؟ قال العارف: خير معاملة وأحسنها، قال الراهب: صف لي ما هي وكيف هي؟ قال العارف: ربنا أعطانا سلفاً كثيراً قبل العمل ومواهب جزيلة لا تحصى فنون أنواعها من النعم والإحسان والإفضال قبل المعاملة، فنحن ليلنا ونهارنا في أنواع نعمه وفنون من آلائه ما بين سالف معتاد وآنف مستفاد، قال له الراهب: فكيف خصصتم بهذه

المعاملة دون غيركم والرب واحد؟ قال العارف: أما النعمة والإفضال والإحسان فعموم للجميع قد غمرتنا كلنا ولكنا خصصنا بحسن الاعتقاد وصحة الرأي والإقرار بالحق والإيمان والتسليم له ووفقنا لمعرفة الحقائق لما أعطينا الانقياد للإيمان والتسليم وصدق المعاملة من محاسبة النفس وملازمة الطريق وتفقد تصاريف الأحوال الطارية من الغيب ومراعاة القلب بما يرد عليه من الخواطر والوحي والإلهام ساعة ساعة، قال الراهب: زدني في البيان فإنها وصية عجيبة ما سمعت بمثلها من أهل هذا الشأن، قال العارف: أزيدك اسمع ما أقوله وافهم ما تسمع واعقل ما تفهم: إن الله جلّ ثناؤه لما خلق الإنسان من طين ولم يك شيئاً مذكوراً ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين نطفة في قرار مكين ثم قلبه حال بعد حال تسعة أشهر إلى أن أخرجه من هناك خلقاً سوياً ببنية صحيحة وصورة تامة وقامة منتصبة وحواس سالمة، ثم زوده من هناك لبناً خالصاً لذيذاً سائغاً للشاربين حولين كاملين، ثم رباه وأنشأه وأنماه يفنون لطفه وغرائب حكمته إلى أن يبلغ أشده واستوى، ثم أتاه حكماً وعلمه ثم أعطاه قلباً زكياً وسمعاً دقيقاً وبصراً حاداً وذوقاً لذيذاً وشماً طيباً ولمساً ليناً ولساناً ناطقاً وعقلاً صحيحاً وفهماً جيداً وذهناً صافياً وتمييزاً وفكراً وروية وإرادة ومشيئة واختياراً وجوارح طائعة ويدين صانعتين ورجلين ساعيتين، ثم علمه الفصاحة والبيان والخط بالقلم والصنائع والحرف والحرث والزراعة والبيع والشراء والتصرّف في المعاش وطلب وجوه المنافع واتخاذ البنيان وطلب العزّ والسلطان، والأمر والنهي والرياسة والتدبير والسياسة، وسخّر له ما في الأرض جميعاً من الحيوان والنبات وخواص المعادن، فغدا متحكماً عليها تحكم الأرباب متصرفاً فيها تصرف الملاك متمتعاً بها إلى حين. ثم إن الله جلّ ثناؤه أراد أن يزيده من فضله وإحسانه وجوده وإنعامه فناً آخر هو أشرف وأجلّ من هذا الذي تقدم ذكره وهو ما أكرم به ملائكته وخالص عباده وأهل جنته من النعيم الأبدي الذي لا يشوبه شيء من النقص ولا من التنغيص إذ كان نعيم الدنيا مشوباً بالبؤس ولذاتها بالآلام وسرورها بالحزن وفرحها بالغم وراحتها بالتعب وعزّها بالذلّ وصفوها بالكدر وغناها بالفقر وصحتها بالسقم، أهلها فيها معذبون في صورة المنعمين، ومغرورون في صورة الواثقين، مهانون في صورة المكرمين، وجلون غير مطمئنين خائفون غير آمنين متردّدون بين المتضادّين، نور وظلمة وليل ونهار وصيف وشتاء وحرّ وبرد ورطب ويابس وعطش وريّ وجوع وشبع ونوم ويقظة وراحة وتعب وشباب وهرم وقوّة وضعف وحياة وموت وما شاكل هذه الأمور التي أهل الدنيا وأبناؤها فيها متردّدون مدفوعون إليها متحيرون فيها، فأراد ربي أيها الراهب أن يخلصهم من هذه الأمور والآلام المشوبة باللذات وينقلهم منها إلى نعيم لا بؤس فيه ولذة لا ألم فيها وسرور بلا حزن وفرح بلا غم وعزّ بلا ذلّ وكرامة بلا هوان وراحة بلا تعب وصفو بلا كدر وأمن بلا خوف وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وحياة بلا موت وشباب بلا هرم ومودة بين أهلها بلا ريبة، فهم في نور لا يشوبه ظلمة ويقظة بلا نوم وذكر بلا غفلة وعلم بلا جهالة وصداقة بين أهلها بلا عداوة ولا حسد ولا غيبة، إخواناً على سرر متقابلين آمنين مطمئنين أبد الآبدين، ولما لم يمكن الإنسان

أن يكون بهذا المزاج المظلم الخاص الذي هو محل القذورات المتولد من الأركان التي لا تليق بتلك الدار الآخرة والصفات الصافية والأحوال الباقية اقتضت العناية الإلهية بواجب حكمة الباري تعالىٰ أن ينشئه نشأة أخرى كما ذكر في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢] النشأة الآخرة إنها على غير مثال كما كانت الأولى على غير مثال، فهم في هذه النشأة الآخرة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون وفضلات أطعمتهم وأغذيتهم عرق يخرج من أعراضهم أطيب من ريح المسك، فأين هذه النشأة من تلك وأين هذا المزاج من ذاك المزاج مع كونها نشأة طبيعية معتدلة المزاج متساوية الأمشاج، قال تعالىٰ: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١] و﴿ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠] فبعث الله جلّ ثناؤه لهذا السبب أنبياءه إلى عباده يبشرونهم بها ويدعونهم إليها ويرغبونهم فيها ويدلونهم على طريقها كيما يطلبوها مستعدين قبل الورود عليها، ولكن يسهل عليهم أيضاً مفارقة مألوفات الدنيا من شهواتها ولذاتها وتخف عليهم أيضاً شدائد الدنيا ومصائبها إذ كانوا يرجون بعدها ما يعمرها ويمحو ما قبلها من نعيم الدنيا ويحذرهم فوت نعيمها فإنه من فاته فقد خسر خسراناً مبيناً قال العارف: فهذا رأينا واعتقادنا يا راهب في معاملتنا مع ربنا الذي قلت لك، وبهذا الاعتقاد طاب عيشنا في الدنيا وسهل علينا الزهد فيها وترك شهواتها واشتدت رغبتنا في الآخرة وزاد حرصنا في طلبها وخفّ علينا كدّ العبادة فلا نحس بها بل نرى ذلك نعمة وكرامة وفخراً وشرفاً إذ جعلنا الله أهلاً أن نذكره فهدى قلوبنا وشرح صدورنا ونوّر أبصارنا لما تعرّف إلينا بكثرة إنعامه وفنون إحسانه، فقال الراهب: جزاك الله خيراً من واعظ ما أبلغه، ومن ذاكر إحسان ما أرفقه، ومن هادي رشد ما أبصره، ومن طبيب رفيق ما أحذقه، ومن أخ ناصح ما أشفقه.

وصية ونصيحة: قال ذون النون: ليس بذي لب من كاس في أمر دنياه، وحمق في أمر آخرته، ولا من سفه في مواطن حلمه وتكبر في مواطن تواضعه ولا من فقد منه الهوى في مواطن طبعه، ولا من غضب من حق إن قيل له ولا من زهد فيما يرغب العاقل في مثله، ولا فيما يزهد الأكياس في مثله، ولا من استقل الكثرة من خالقه عزّ وجلّ واستكثر قليل الشكر من نفسه، ولا من طلب الإنصاف من غيره لنفسه ولم ينصف من نفسه غيره، ولا من نسي الله في مواطن طاعته وذكر الله في مواطن الحاجة إليه ولا جمع العلم فعرف به ثم آثر عليه هواه عند متعلمه، ولا من قلّ منه الحياء من الله على جميل ستره، ولا من أغفل الشكر عن إظهار نعمه، ولا من عجز عن مجاهدة عدوّه لنجاته إذ صبر عدوّه على مجاهدته، ولا من جعل مروءاته لباسه ولم يجعل أدبه ومروءاته وتقواه لباسه، ولا من جعل علمه ومعرفته تظرفاً وتزيناً في مجلسه، ثم قال: استغفر الله إن الكلام كثير وإن لم تقطعه لم ينقطع، وقام وهو يقول: لا تخرجوا من ثلاثة: النظر في دينكم بإيمانكم، والتزوّد لآخرتكم من دنياكم، والاستعانة من ربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه.

وصية لقمانية: قال لقمان لابنه: جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله جلّ ثناؤه

يحيي القلوب الميتة بنور العلم كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء، وإياك ومنازعة العلماء فإن الحكمة نزلت من السماء صافية فلما تعلمها الرجال صرفوها إلى هوى نفوسهم.

وصية حكمية: روينا عن ذي النون المصري أنه قال: من نظر في عيوب الناس عمي عن عيوب نفسه، ومن عني بالفردوس والنار شغل عن القيل والقال، ومن هرب من الناس سلم من شرّهم، ومن شكر المزيد زيد له، وقال بعضهم: مثل العالم الراغب في الدنيا الحريص في طلب شهواتها كمثل الطبيب المداوي غيره الممرّض نفسه فلا يرجى منه الصلاح فكيف يشفي غيره.

وصية صحيحة: سئل بعض الأولياء العارفين بالله ما سبب الذنب؟ قال: سببه النظرة ومن النظرة الخطرة فإن تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبت، وإن لم تدركها امتزجت بالوساوس فيتولد منها الشهوة، وكل ذلك بعد باطن لم يظهر على الجوارح فإن تداركت الشهوة وإلاّ تولد منها الطلب فإن تداركت الطلب وإلاّ تولد منه الفعل.

تذكرة تتضمن وصية نبوية: قال عيسىٰ عليه السلام في بعض مواعظه لبني إسرائيل: أيها العلماء وأيها الفقهاء قعدتم على طريق الآخرة فلا أنتم تسيرون فيها فتدخلون الجنة ولا تتركون أحداً يجوزكم إليها، وأن الجاهل أعذر من العالم وليس لواحد منهما عذر. وقال بعض الصالحين: من ترك الشغل بفضول الدنيا فهو زاهد، ومن أنصف في المودّة وقام بحقوق الناس فهو متواضع، ومن كظم الغيظ واحتمل الضيم والتزم الصبر فهو حليم، ومن تمسك بالعدل وترك فضول الكلام وأوجز في المنطق وترك ما لا يعنيه واقتصد في أموره فهو عاقل، ومن تفرّغ إلى الأمور المقرّبة إلى الله وتفرّغ من نكد الدنيا إن لم تأكل مت وإن شبعت كسلت وإن زدت مرضت فهو عابد.

وصية: من رجل صالح ناصح لعباد الله وقد قال له من حضر من أصحابه: أوصنا بوصية لعل الله أن ينفعنا بها، فقال رضي الله عنه، آثروا الله على جميع الأشياء واستعملوا الصدق فيما بينكم وبينه وأحبوه بكل قلوبكم والزموا بابه واشتغلوا به وتوسدوا الموت إذا نمتم واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم، وكونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا ولا بدّ لكم من الآخرة، واحفظوا ألسنتكم ولتحزنكم ذنوبكم وليكن افتخاركم بربكم وكونوا من خالصي الله تسلموا وسلم منكم الناس فتنالوا غداً مناكم، ثم قال: استغفر الله فإن للكلام حلاوة في الدنيا وما أعظم مؤنته في الآخرة، ثم قال: ليسأل الصادقين عن صدقهم وفي دون ما قلت كفاية.

وصايا نبوية محمدية: أوصى بها رسول الله ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه فلنذكر منها ما يّسر الله على قلمي الذي أنشىء به صور الحروف الدالة على المعاني، وفي مثل هذا قلت أخاطب الخادم الذي يقد لي السراج حتى أكتب ما يلقي الله في روعي من الحكم الإلهية والمعارف الربانية: [البسيط]

قِدِ السِّرَاجَ عسى أَخطَى بِرُؤْيَتِهِ ... وأَنشِىءِ المَلأَ المَرْقُومَ في الوَرَقِ
فما ترى طَبَقاً يَغنُو لخدمته ... إلاّ ويخبرُ بالأحوال عن طَبَقِ

في أحْرُفٍ ما لها حَدٌّ فيَحْصُرُها تبدو مَعَانِيهِ للأبصار في نَسَقِ
يُخَطِّطُ القَلَمُ العُلْويُّ صُورَتَها على يدي دائماً ما دام بي رَمَقي

قال رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة: إذا توضأت فقل: بسم الله والحمد لله فإن حفظتك لا تزال تكتب لك حتى تفرغ من ذلك الوضوء. يا أبا هريرة: إذا أكلت طعاماً فقل بسم الله والحمد لله فإن حفظتك لا تستريح تكتب لك حسنات حتى تنبذه عنك. يا أبا هريرة: إذا غشيت أهلك وما ملكت يمينك فقل بسم الله والحمد لله فإن حفظتك تكتب لك حسنات حتى تغتسل من الجنابة فإذا اغتسلت من الجنابة غفر لك ذنوبك. يا أبا هريرة: فإن كان لك ولد من تلك الوقعة كتب لك حسنات بعدد نفس ذلك الولد وعقبه حتى لا يبقى منه شيء. يا أبا هريرة: إذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله تكن من العابدين حتى تنزل من ظهرها. يا أبا هريرة: إذا ركبت السفينة فقل بسم الله والحمد لله تكتب من العابدين حتى تخرج منها. يا أبا هريرة: إذا لبست ثوباً فقل بسم الله والحمد لله تكتب لك عشر حسنات بعدد كل سلك فيه. يا أبا هريرة: لا يهابنك ما ملكت يمينك فإنك إن مت وأنت كذلك كنت عند الله وجيهاً. يا أبا هريرة: لا تهجر امرأتك إلاَّ في بيتها ولا تضربها ولا تشتمها إلاَّ في أمر دينها فإنك إن كنت كذلك مشيت في طرقات الدنيا وأنت عتيق الله من النار. يا أبا هريرة: احمل الأذى عمّن هو أكبر منك وأصغر منك وخير منك وشرّ منك فإنك إن كنت كذلك باهى الله بك الملائكة ومن باهى الله به الملائكة جاء يوم القيامة آمناً من كل سوء. يا أبا هريرة: إن كنت أميراً أو وزير أمير أو داخلاً على أمير أو مشاور أمير فلا تجاوزن سيرتي وسنتي فإنه أيما أمير أو وزير أمير أو داخل على أمير أو مشاور أمير خالف سيرتي وسنتي جاء يوم القيامة تأخذه النار من كل مكان. يا أبا هريرة: عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها. يا أبا هريرة: قل للمؤمنين الذين أصابوا الصغائر والكبائر لا يمت أحد منهم وهو مصرّ عليه فإنه من لقي ربه عزّ وجلّ على ذلك وهو مصرّ عليها فإن عقوبتها يعني الصغيرة كعقوبة من لقي الله على كبيرة وهو مصرّ عليها. يا أبا هريرة: لأن تلقى الله عزّ وجلّ على كبائر قد تبت منها خير لك من أن تلقاه وقد تعلمت آية من كتاب الله عزّ وجلّ ثم تنساها. يا أبا هريرة: لا تلعن الولاة فإن الله أدخل أمة جهنم بلعنتهم ولاتهم. يا أبا هريرة لا تسبن شيئاً إلاَّ الشيطان فإنك إن مت وأنت كذلك صافحتك جميع رسل الله تعالىٰ عزّ وجلّ والمؤمنون حتى تصير إلى الجنة. يا أبا هريرة: لا تسبّ من ظلمك تعط من الأجر أضعافاً. يا أبا هريرة أبشع اليتيم والأرملة وكن لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج العطوف تعط بكل نفس تنفست في دار الدنيا قصراً في الجنة كل قصر خير من الدنيا وما فيها. يا أبا هريرة: امش في ظلم الليل إلى مساجد الله عزّ وجلّ تعط حسنات بوزن كل شيء وضعت عليه قدمك ممّا تحبّ وتكره إلى الأرض السابعة السفلى. يا أبا هريرة: ليكن مأواك المساجد والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله فإنك إن مت وأنت كذلك كان الله مؤنسك في القبر ويوم القيامة وعلى الصراط ويكلمك في الجنة. يا أبا هريرة: لا تنتهر الفقير فتنتهرك الملائكة يوم القيامة. يا أبا هريرة: لا تغضب إذا قيل لك اتق الله وأنت

قد هممت بسيئة إن تعملها تكن خطيئتك عقوبتها النار. يا أبا هريرة: من قيل له اتق الله فغضب جيء به يوم القيامة فيوقف موقفاً لا يبقى ملك إلاً مرّ به فقال له: أنت الذي قيل له اتق الله فغضب فيسوءه ذلك فاتق مساوىء يوم القيامة أو مساءه الشك من الراوي. يا أبا هريرة: أحسن إلى ما خولك الله فإنه من أساء إلى شيء ممّا خوله الله فإنه يرصده على الصراط فيتعلق به فكم من مؤمن يرد إلى الصراط للقصاص. يا أبا هريرة: على كل مسلم صلاة في جوف الليل ولو قدر حلب شاة ومن صلّى في جوف الليل يريد أن يرضي ربه عزّ وجلّ رضي الله عنه وقضى له حاجته في الدنيا والآخرة فزعم أبو هريرة قال قلت: يا رسول الله في أي الليل الصلاة أفضل؟ قال: وسط الليل. يا أبا هريرة: إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فافعل تكن من أول المقربين ولا تتخذن أحداً من خلق الله غرضاً فيجعلك الله غرضاً لشرر جهنم يوم القيامة. يا أبا هريرة: إذا ذكرت جهنم فاستجر بالله منها وليبك قلبك منها ونفسك ويقشعر جلدك منها يجرك الله منها. يا أبا هريرة: إذا اشتقت إلى الجنة فاسأل أن يجعل لك فيها نصيباً ومقيلاً وليحن قلبك شوقاً إليها وتدمع عيناك وأنت مؤمن بها إذن يعطيها الله تعالىٰ ولا يردك. يا أبا هريرة: إن شئت أن لا تفارقني يوم القيامة حتى تدخل معي الجنة أحببني حباً لا تنساني، واعلم أنك إن أحببتني لم تترك ثلاثة قلت فوصل إليّ منها، وارض بقسم الله فإنه من خرج من الدنيا وهو راض بقسم الله خرج والله عنه راض، ومن رضي الله عنه فمصيره إلى الجنة. يا أبا هريرة: مر بالمعروف وانهَ عن المنكر قال: كيف آمر بالمعروف وأنهَ عن المنكر؟ قال: علم الناس الخير ولقنهم إياه وإذا رأيت من يعمل بمعاصي الله تعالىٰ لا تخاف سوطه وسيفه فلا يحل أن تجاوزه حتى تقول له اتق الله. يا أبا هريرة: تعلّم القرآن وعلّمه الناس حتى يجيئك الموت وأنت كذلك، وإن كنت كذلك جاءت الملائكة إلى قبرك وصلّوا عليك واستغفروا لك إلى يوم القيامة كما يحجّ المؤمنون إلى بيت الله عزّ وجلّ. يا أبا هريرة: القَ المسلمين بطلاقة وجهك ومصافحة أيديهم بالسلام إن استطعت أن تكون كذلك حيث كنت فإن الملائكة معك سوى حفظتك يستغفرون لك ويصلون عليك، واعلم أنه من خرج من الدنيا والملائكة يستغفرون له غفر الله له. يا أبا هريرة: إن أحببت أن يغشى لك الثناء الحسن في الدنيا والآخرة كف لسانك عن غيبة الناس فإنه من لم يغتب الناس نصره الله في الدنيا والآخرة، أما نصرته في الدنيا فليس أحد يتناوله إلاً كانت الملائكة تكذبهم عنه، وأما نصرته في الآخرة فعفو الله عن قبيح ما صنع ويتقبل منه أحسن ما عمل. يا أبا هريرة: اغد في سبيل الله يبسط الله لك الرزق. يا أبا هريرة: صل رحمك يأتك الرزق من حيث لا تحتسب واحجج البيت يغفر الله لك ذنوبك التي وافيت بها البلد الحرام. يا أبا هريرة: أعتق الرقاب يعتق الله بكل عضو منه عضواً منك وفيه أضعاف ذلك من الدرجات. يا أبا هريرة: أشبع الجائع يكن لك مثل أجر حسناته وحسنات عقبه وليس عليك من سيئاتهم شيء. يا أبا هريرة: لا تحقرن من المعروف شيئاً تعمله ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقى فإنه من خصال البر والبرّ كله عظيم وصغيره ثوابه الجنة. يا أبا هريرة:

مر أهلك بالصلاة فإن الله تعالىٰ يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب ولا يكن للشيطان في بيتك مدخلاً ولا مسلكاً. يا أبا هريرة: إذا عطس أخوك المسلم فشمته فإنه يكتب لك به عشرون حسنة فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي كيف ذاك؟ قال: إنك حين تقول له يرحمك الله يكتب لك عشر حسنات، وحين يقول لك يهديك الله يكتب لك عشر حسنات. يا أبا هريرة: كن مستغفراً للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات كانوا كلهم شفعاء لك وكان لك مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء. يا أبا هريرة: إن كنت تريد أن تكون عند الله صديقاً فآمن بجميع رسل الله وأنبياء الله وكتبه. يا أبا هريرة: إن كنت تريد أن تحرّم على النار جسدك فقل إذا أصبحت وإذا أمسيت: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له لا إله إلاّ الله له الملك وله الحمد لا إله إلاّ الله والله أكبر لا إله إلاّ الله ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله. يا أبا هريرة: لا يحل لك أن تدخل على من هو في سكرات الموت ولو كان نبياً حتى تلقنه شهادة أن لا إله إلا الله. يا أبا هريرة من لقن مريضاً في سكرات الموت شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فقالها كان له مثل جميع حسناته فإن لم يقلها فله عنق رقبة بقوله لا إله إلا الله. يا أبا هريرة: لقن الموتى شهادة أن لا إله إلاّ الله رب اغفر لي فإنها تهدم الذنوب هدماً، فقلت: يا رسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء؟ فقال: هي أهدم وأهدم قال: فعدده رسول الله ﷺ على أكثر من عشرين مرّة يقول رسول الله ﷺ: أهدم وأهدم. يا أبا هريرة: فإن استطعت أن لا تمطر السماء مطراً إلاّ صليت عنده ركعتين فإنك تعطى حسنات بعدد كل قطرة نزلت تلك الساعة وعدد كل ورقة أنبت ذلك المطر. يا أبا هريرة: تصدق بالماء فإنه لا يتوضأ أحد إلاّ كان لك مثل حسناته من غير أن ينقص من حسناته شيء. يا أبا هريرة: أما علمت أن رجلاً غفر له احتشّ حشيشاً فجاءت بهيمة فأكلته. يا أبا هريرة: قل للناس حسناً تفلح يوم القيامة. يا أبا هريرة: عد على المسكين كافراً كان أو مسلماً فإن كان عدت على المسكين الكافر رحمك الله، وأما ثوابك إن عدت على المسكين المسلم فلا أحسن صفته. يا أبا هريرة: إذا كنت في عيال أبيك أو أمك أو ولدك فلا يحل لك أن تتصدق منه إلاّ بإذنه. يا أبا هريرة: لا يحل لك من مال امرأتك شيء إلاّ شيء تعطيك من غير أن تسألها وذلك هو قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤] يا أبا هريرة: قل للنساء لا يحل لهن أن يتصدقن من بيوت أزواجهن شيئاً إلاّ بكل رطب يخفن فساده إذا كان غائباً. يا أبا هريرة: علّم الناس سنتي يكن لك النور الساطع يوم القيامة يغبطك به الأولون والآخرون. يا أبا هريرة: كن مؤذناً وإماماً فإنك إذا رفعت صوتك بالأذان يرفع صوتك حتى يبلغ العرش فلا يمر صوتك على شيء إلاّ كان لك بعدده عشر حسنات ولك إذا كنت إماماً بعدد من صلّى خلفك ولك مثل صلاتهم لا ينقص من صلاتهم شيء إلاّ أن تكون إماماً خائناً، قلت: يا رسول الله وكيف الإمام الخائن؟ قال: إذا خصصت نفسك بالدعاء دونهم فقد خنتهم. يا أبا هريرة: لا تضربن في أدب فوق ثلاث فإنك إن زدت فهي قصاص يوم القيامة. يا أبا هريرة: أدّب صغار أهل بيتك بلسانك على الصلاة والطهور فإذا بلغوا عشر سنين فاضرب ولا تجاوز ثلاثاً. يا أبا

هريرة: عليك بابن السبيل فقدمه إلى أهلك أو إلى أهله تشيعك الملائكة إلى الصراط. يا أبا هريرة: جالس الفقراء فإن رحمة الله لا تبعد عنهم طرفة عين. يا أبا هريرة: لا تؤذ المسلمين في طريقهم فإنه من آذى المسلمين في طرقهم ذمّه المسلمون والملائكة جميعاً. يا أبا هريرة: إذا مررت على أذى في الطريق فغطه بالتراب يستر الله عليك يوم القيامة. يا أبا هريرة: إذا أرشدت أعمى فخذ يده اليسرى بيدك اليمنى فإنها صدقة. يا أبا هريرة: من مشى مع أعمى ميلاً يسدده كان له بكل ذراع من الميل حتى يسمعك الله ما يسرّك يوم القيامة. يا أبا هريرة: اسمع الأصمّ الذي يسألك عن خير يسمعك الله ما يسرّك يوم القيامة. يا أبا هريرة: أرشد الضالّ ترشدك الملائكة إلى أحسن المواقف يوم القيامة. يا أبا هريرة: لا ترشد اليهودي إلى كنيسته ولا النصراني إلى بيعته ولا الصابئي إلى صومعته ولا المجوسيّ إلى بيت ناره ولا المشرك إلى بيت وثنه إذن تكتب عليك مثل خطاياه حتى يرجع. يا أبا هريرة: لا ترشد أحداً إلى غير حدود الله فيعمل به إذن يكون عليك مثل ذنبه. يا أبا هريرة: أرشد عباد الله إلى مساجد الله وإلى البلد الحرام وإلى قبري يكن لك مثل أجورهم ولا تنقص من أجورهم شيئاً. يا أبا هريرة: أبلغ النساء أنه ليس عليهن زيارة قبري ولكن عليهن حجّ بيت الله إذا كان معهن محرم وإلاً فلا. قلت: يا رسول الله وإن كانت امرأة مثل الحشفة؟ قال: وإن كانت امرأة مثل الحشفة. يا أبا هريرة: إن استطعت أن لا يكون لأحد من الظالمين عليك يد ولا لسان فإني أحب لك ذلك. يا أبا هريرة: لا يكن أمير من أمرائك إلاّ أميراً يعدل مثل ما تعدل أنت فإن عدلت أنت وجار هو كنت أنت شريكه في الإثم ولم تكن شريكه في الأجر. يا أبا هريرة: إن كان لك مال وجبت عليه زكاة فزكّه، فإن أصابته آفة وقد زكيته مرّة واحدة فهي مجزئة إلى يوم القيامة. يا أبا هريرة: إذا لقيت اليهودي والنصراني فلا تصافحه وأنت على وضوء فإن فعلت فأعد الوضوء. يا أبا هريرة لا تكنّ اليهودي والمجوسيّ والنصراني ولكن سمّه باسمه فإنك والله تذلّه بذلك، ولا يحل لك أن تكرمه إنما لهم من العهد والذمّة أن لا يؤخذ أموالهم إلاً بطيب أنفسهم ولا تدخل بيوتهم إلاً بإذنهم ولا تحل بينهم وبين أطفالهم ولا يخانون في نسائهم فبذلك أمرك لتعرف الملة. يا أبا هريرة: إذا خلوت بيهودي أو نصراني أو مجوسي فلا يحل لك أن تفارقه حتى تدعوه إلى الإسلام. يا أبا هريرة: لا تجادلن أحداً منهم فعسى أن يأتيك بشيء من التنزيل فتكذبه أو تجيء بشيء فيكذبك لا يكون من حديثك إلاّ أن تدعوه إلى الإسلام. وهو قول الله تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] الدعاء إلى الإسلام. يا أبا هريرة: صلّ إماماً كنت أو غير إمام في ثوب واحد إن كان صفيقاً. يا أبا هريرة: أتريد أن يكون أجرك كأجر شهداء بدر؟ انظر رجلاً مسلماً ليس له ثوب يجمع فيه يوم الجمعة فأعره ثوبك أو هبه له. يا أبا هريرة: أتريد أن لا تسمع حسيس النار ولا يقع بك شررها؟ فأغث من استغاث بك حريق كان لص كان سيل كان غريق كان هدم كان. يا أبا هريرة: نفس عن المكروبين والمغمومين تخرج من غم يوم القيامة. يا أبا هريرة امش إلى غريمك بحقه تشيعك الملائكة بالصلاة عليك. يا أبا هريرة: من علم الله منه أنه يريد قضاء دينه رزقه الله من حيث لا

يحتسب وهيّأ له قضاء دينه في حياته أو بعد موته. يا أبا هريرة: من أصاب مالاً حلالاً وأدّى زكاته ثم ورثه عقبه فكل ما ينصع فيه ورثته من الحسنات فله مثل ذلك من غير أن ينقص من أجورهم. يا أبا هريرة: من قذف محصناً أو محصنة حبس يوم القيامة في وادي خبال هناك حتى يخرج أو يجيء ببيان ما قال، قال قلت: يا رسول الله وما وادي خبال؟ قال: وادي خبال وادي في جهنم يسيل فيه قيحهم وما يخرج من أجوافهم. يا أبا هريرة: من مات وعليه دين وترك وفاء ذلك فجحدهم ورثته وليس لهم عليه بينة ولم يعلم الله منه أنه يريد قضاءه فهو قصاص من حسناته يوم القيامة. يا أبا هريرة: المقتول في سبيل الله يغفر له جميع ذنوبه إلاّ ديناً أو قذف محصنة أو محصن. يا أبا هريرة: كل ذنب غم يوم القيامة فرب ذنب له ثارة من الغمّ ورب غم له ثارات ولا ذنب على المسلم أطول ثارات من مظلمة لدم أو مال أو عرض. يا أبا هريرة: من أصاب شيئاً من ذلك فتاب إلى الله عزّ وجلّ قبل موته واستكان وتضرّع وليس عنده إذن تلك المظلمة فإن على الله أن يرضي خصماءه يوم القيامة من عنده بما شاء. يا أبا هريرة: إن ظلمك إنسان فلا تشكه ولا تسمع به الناس وتعرفهم حالته تكون أنت وهو سواء. يا أبا هريرة: من عفا عن مظلمة صغيرة أو كبيرة فأجره على الله ومن كان أجره على الله فهو من المقرّبين الذين يدخلون الجنة مدخلاً. يا أبا هريرة: لا تروّع أحداً من خلق الله عزّ وجلّ فتروعك ملائكة الله في الآخرة يوم القيامة. يا أبا هريرة: أتريد أن تكون عليك رحمة الله حياً وميتاً ومقبوراً ومبعوثاً فقم بالليل وصل وأنت تريد به رضى ربك، ثم مر أهلك يصلون إذا فرغوا يوقظونك فإنه إذا مرّ عليك من الليل ثلاث ساعات ومن النهار ثلاث ساعات وفي بيتك من يعبد الله أعطاك الله مثل ذلك. يا أبا هريرة: صل في زوايا بيتك جميعاً يكون نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم في السماء عند أهل الدنيا: يا أبا هريرة: احمل غداك وعشاك إلى أقاربك المحتاجين يكن لك في كل خير يقسمه الله من بين أوليائه وأحبائه في الدنيا والآخرة سهم وافر. يا أبا هريرة: ارحم جميع خلق الله يرحمك الله من النار يوم القيامة، قال: قلت: يا رسول الله إني لأرحم الذباب يكون في الماء، فقال رسول الله ﷺ: رحمك الله رحمك الله رحمك الله. يا أبا هريرة: إذا نزلت بك مصيبة فارضٍ بما أعطاك الله وليعلم الله منك أن ثواب المصيبة أحب إليك من المصيبة يعطيك الله الصلاة والرحمة والهدى. يا أبا هريرة: عَزّ الحزين كما تحب أن تُعزّى، وأذكر ثواب ما أعد الله على المصيبة تعط بكل خطوة خطوت عتق رقبة. يا أبا هريرة: إذا مررت بجمع نساء فلا تسلم عليهنّ فإن بدأنك بالسلام فاردد عليهن. يا أبا هريرة: إذا سلّم المسلم على المسلم فردّ عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرّة. يا أبا هريرة: الملائكة تتعجب من المسلم يلقى المسلم فلا يسلم عليه. يا أبا هريرة: تعود التسليم فإنه خصلة من خصال الجنة وهو تحية أهل الجنة، قال ابن شاهين: وهو تحية أهل الجنة يوم القيامة. يا أبا هريرة: أصبح وأمس ولسانك رطب من ذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة. يا أبا هريرة: إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ. يا أبا هريرة: استر عورة أخيك يكن الله لك ناصراً. يا أبا هريرة: انصر أخاك واستر عليه قبل أن

يرفع إلى السلطان في حد من حدود الله، فإياك أن تباشر له بنفسك ومالك فإنه من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فهو كذا وكذا.

وصية: قال بعض العلماء في وصية أوصى بها: اعلم أنه من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر إلى العواقب نجا، ومن اعتبر أبصر، ومن فهم علم، وفي التواني والإفراط يكون الهلكة، وفي التأني السلامة والبركة، وزارع البر يحصد السرور، والقليل مع القناعة خير من الكثير مع السرف المشرف في الذلّ، والتقوى نجاة والطاعة ملك وحليف الصدق موفق، وصاحب الكذب مخذول وصديق الجاهل تعب ونديم العاقل مغتبط، فإذا جهلت فسل وإذا ندمت فأقلع وإذا غضبت فاحلم، وإن اؤتمنت فاكتم، ومن كافاك بالشكر فقد أدّى إليك الصنيعة، ومن أقرضك الثناء فاقضه الفعل، ومن بدأك ببره شغلك بشكره، فتفهم ما رفد مني إليك واجعله ممثلاً بين عينيك، فإن الذي أفدتك من وصيتي أبلغ في رفدك من عطيتي، وضع الصنائع عند الكرام ذوي الأحساب ولا تضعن معروفك عند اللئام فتضيعه، فإن الكريم يشكر لك ويرصد لك المكافأة، واللئيم يحسب ذلك خوفاً ويؤول أمرك معه إلى المذمة، وقال الشاعر: [الوافر]

إذا أَوْلَـيْـتَ مَـعْـرُوفـاً لـئـيـمـاً ... يَـعُـدّكَ قـد قَـتَـلْـتَ لـه قَـتِـيـلاَ
فـكُـنْ مـن ذاك مـعـتـذراً إلـيـه ... وقـل إنـي أتـيـتـك مُـسْـتَـقِـيـلا
فـإن تَـغْـفِـرْ فـمُـجْـتَـرِمـي عـظـيـمٌ ... وإن عـاقَـبْـتَ لـم تـظـلـم فَـتِـيـلاَ
وإن أَوْلَـيْـتَ ذلـك ذا وفـاءٍ ... فـقـد أوْدَعْـتَـهُ شُـكْـراً طَـويـلا

ومن الوصايا: أوصى بعض العارفين بالله إنساناً فقال: إياك أن تكون في المعرفة مدعياً وتكون بالزهد متحرفاً أو تكون بالعبادة متعلقاً، فقيل له: يرحمك الله فسر لنا ذلك فقال: أما علمت أنك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء أنت معرّى عن حقائقها كنت مدعياً، وإذا كنت بالزهد موصوفاً بحالة وبك دون الأحوال كنت محترفاً، وإذا علقت قلبك بالعبادة وظننت أنك تنجو من الله بالعبادة لا بالله في العبادة كنت بالعبادة متعلقاً.

وصية نبوية: قال رسول الله ﷺ في وصيته لأبي هريرة: عليك يا أبا هريرة بطريق أقوام إذا فزع الناس لم يفزعوا، وإذا طلب الناس الأمان من النار لم يخافوا، قال أبو هريرة: من هم يا رسول الله؟ حلّهم وصفهم لي حتى أعرفهم، قال: قوم من أمتي في آخر الزمان يحشرون يوم القيامة محشر الأنبياء إذا نظر إليهم الناس ظنوهم أنبياء ممّا يرون من حالهم حتى أعرفهم أنا فأقول أمتي فتعرف الخلائق أنهم ليسوا أنبياء فيمرّون مثل البرق والريح تغشى أبصار أهل الجمع من أنوارهم، فقلت: يا رسول الله مر لي بمثل عملهم لعلي ألحق بهم، فقال: يا أبا هريرة ركب القوم طريقاً صعباً لحقوا بدرجة الأنبياء، آثروا الجوع بعدما أشبعهم الله، والعري بعدما كساهم، والعطش بعدما أرواهم، تركوا ذلك رجاء ما عند الله، تركوا الحلال مخافة حسابه، صحبوا الدنيا بأبدانهم ولم يشتغلوا بشيء منها، عجبت الملائكة والأنبياء من طاعتهم لربهم، طوبى لهم طوبى لهم، وددت أن الله جمع بيني وبينهم ثم بكى رسول الله ﷺ

شوقاً إليهم ثم قال: إذا أراد الله بأهل الأرض عذاباً فنظر إليهم صرف العذاب عنهم، فعليك يا أبا هريرة بطريقتهم فمن خالف طريقتهم تعب في شدة الحساب.

وصية: كتبت إلى بعض معارفنا بوصية ضمنتها أبياتاً أحرّضه فيها على تكملة إنسانيته وهي: [مجزوء الرمل]

إنْ تَكُنْ رَوْحاً ورَيْحَانَا — كنت بين الناس إنْسَانَا
إنّما أعطاك صُورَتَهُ — لِتَكُنْ في الخَلْق رَحْمانا
فالذي قد حَازَ صُورَتَهُ — حَازَ ما يأتي وما كانا
والذي في الغَيْب من عجب — والذي قد جاءه الآنا
والذي يدعوه خالِقُهُ — إنما يدعوه مِحْسَانَا

وأوصى بعض الصالحين إنساناً فقال: أكثر مسائلة الحكماء وليكن أوّل شيء تسأل عنه العقل لأن جميع الأشياء لا تدرك إلاّ بالعقل، ومتى أردت الخدمة لله فاعقل لمن تخدم ثم اخدم. سأل إبراهيم الأخميمي ذا النون أن يوصيه بوصية يحفظها عنه قال: وتفعل؟ قال إبراهيم قلت: نعم إن شاء الله، فقال: يا إبراهيم احفظ عني خمساً فإن أنت حفظتهنّ لم تبال ماذا أصبت بعدهن، قلت: وما هن رحمك الله؟ قال: عانق الفقر، وتوسد الصبر، وعاد الشهوات، وخالف الهوى، وافزع إلى الله في أمورك كلها، فعند ذلك يورثك الشكر والرضا والخوف والرجاء والصبر، وتورثك هذه الخمسة خمسة، العلم والعمل وأداء الفرائض واجتناب المحارم والوفاء بالعهود، ولن تصل إلى هذه الخمسة إلاّ بخمس: علم غزير ومعرفة شافية وحكمة بالغة وبصيرة ناقدة ونفس راهبة، والويل كل الويل لمن يلي بخمس: حرمان وعصيان وخذلان واستحسان النفس بما يسخط الله والإزراء على الناس بما يأتي، وأقبح القبح خمس: قبح الفعال ومساوي الأعمال وثقل الظهور بالأوزار والتجسّس على الناس بما لا يحب الله ومبارزة الله بما يكره، وطوبى ثم طوبى لمن أخلص خمسة: من أخلص علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وعطاءه وكلامه وصمته وقوله وفعله، واعلم يا إبراهيم أن وجوه الحلال خمسة: تجارة بالصدق، وصناعة بالنصح، وصيد البرّ والبحر، وميراث حلال الأصل، وهدية من موضع ترضاها، فكل الدنيا فضول إلاّ خمسة: خبز يشبعك، وماء يرويك، وثوب يسترك، وبيت يكنك، وعلم تستعمله، ويحتاج أيضاً أن يكون معه خمسة أشياء: الإخلاص والنية والتوفيق وموافقة الحق وطيب المطعم والملبس، وخمسة أشياء فيها الراحة: ترك قرناء السوء والزهد في الدنيا والصمت وحلاوة الطاعة إذا غبت عن أعين المخلوقين وترك الازدراء على عباد الله حتى لا تزدري على أحد يعصي الله، وعندها يسقط عنك خمس: المراء والجدال والرياء والتزيّن وحب المنزلة، وخمس فيهن جمع الهم: قطع كل علاقة دون الله، وترك كل لذة فيها حساب، والتبرّم بالصديق والعدوّ، وخفة الحال، وترك الادخار، وخمس يا إبراهيم يتوقعهن العالم: نعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو ميتة قاضية، أو فتنة

قاتلة، أو تزل قدم بعد ثبوتها، حسبك يا إبراهيم إن عملت بما علمتك. منظوم لأبي العتاهية في هذا الباب: [مخلع البسيط]

مـا أنـا إلاّ لـمـن يُـعَـانـي ... أرى خَـلـيـلـي كـمـا يَـرَانـي
لـسـتُ أرَى مـا مـلـكـت طَـرْفـي ... مـكـان مـن لا يـرى مـكـانـي
فـلـي إلـى أن أمـوت رزقٌ ... لـو جَـهِـدَ الـخَـلْـقُ مـا عَـدَانـي
فـاسْـتَـغْـنِ بـالله عـن فـلان ... وعـن فـلان وعـن فُـلانِ
فـالـمـالُ مـن حِـلِّـهِ قَـوَامٌ ... لـلـعِـرْضِ والـوَجْـهِ والـلِّـسـانِ
والـفَـقْـرُ ذلٌّ عـلـيـه بـابٌ ... مـفـتـاحُـه الـعـجـزُ والـتَّـوانـي
ورزقُ رَبِّـي لـه وجـوهٌ ... هُـنَّ مـن الله فـي ضَـمَـانِ
سـبـحـان مـن لـم يَـزَلْ عَـلِـيّـاً ... لـيـس لـه فـي الـعُـلُـو ثَـانِ
قـضـى عـلـى خَـلْـقـه الـمـنـايـا ... فـكـلُ حَـيٍّ سـواه فَـانِ
يـا رَبِّ لـم نَـبْـكِ مـن زمـان ... إلاّ بـكـيـتُ عـلـى زمـان

نصيحة عمرية: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه فإنما أظهر نفاقاً على نفاق.

موعظة تتضمن وصية ونصيحة نبوية: قال رسول الله ﷺ: طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذلّ في نفسه في غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذلّة والمسكنة، طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شرّه، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله.

وصية الفضيل بن عياض إلى أمير المؤمنين: روينا أن أمير المؤمنين هارون الرشيد حج ومعه الفضل بن الربيع قال: أتاني أمير المؤمنين فخرجت إليه مسرعاً فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك فقال: ويحك قد كان ذلك في نفسي فانظر لي رجلاً أسأله فقلت: ههنا سفيان بن عيينة فقال: امض بنا إليه فأتيناه فقرعت الباب فقال: من ذا؟ فقال: أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك، قال له: خذ لما جئناك له رحمك الله فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم، فقال: اقض دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً انظر لي رجلاً أسأله أنظر لي رجلاً أسأله، فقلت: ههنا عبد الرزاق فذكر مثل ما جرى له مع سفيان وقال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً أنظر لي رجلاً أسأله فقلت: ههنا الفضيل بن عياض فقال: امش بنا إليه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها قال: اقرع الباب فقرعت فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين فقال: ما لي ولأمير المؤمنين، فقلت: سبحان الله أما عليك طاعة؟ فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت فدخلنا فجعلنا نحول عليه بأيدينا فسبقت كف أمير المؤمنين قبلي إليه فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عزّ وجلّ، فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام من قلب تقيّ فقال له: خذ لما جئناك له

رحمك الله، فقال له: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليّ فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن فطرك منها الموت. وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً ووسطهم عندك أخاً وأصغرهم عندك ولداً، فوقر أباك، واكرم أخاك، وتحنّن على ولدك، وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت، وإني أقول لك يا هارون: إني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاء شديداً حتى غشي عليه فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين فقال: تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه فكتب إليه: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد وإياك أن ينصرف بك من عند الله عزّ وجلّ فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له: ما أخرجك؟ قال: خلعك قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عزّ وجلّ، قال: فبكى هارون بكاء شديداً، ثم قال: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عمّ المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أمرني على إمارة فقال له: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل، فبكى هارون بكاء شديداً وقال له: زدني رحمك الله، قال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عزّ وجلّ عن هذا الخلق يوم القيامة فإن استطعت أن تقي هذا الوجه فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك فإن النبيّ ﷺ قال: من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة، فبكى هارون وقال له: عليك دين؟ قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي إن سألني والويل لي إن ناقشني والويل لي إن لم ألهم حجتي، قال: إنما أعني من دين العباد، قال: إن ربي لم يأمرني بهذا وقد قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٨] فقال له: هذه ألف دينار خذها وأنفقها على عيالك وتقوى بها على عبادتك، فقال: سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا، فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال لي هارون: إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين. فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت له: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال لفرجت عنا به، فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال، فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه ولا يجيبه فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ هذه الليلة فانصرف رحمك الله فانصرفنا.

وقال رجل لذي النون المصري: دلّني على طريق الصدق والمعرفة فقال: يا أخي أدّ إلى الله صدق حالك التي أنت عليها على موافقة الكتاب والسنّة ولا ترق حيث لا ترق فتزل قدمك فإنه إذا دلّ بك لم تسقط وإذا ارتقيت أنت تسقط، وإياك أن تترك ما تراه يقيناً لما ترجوه شكاً.

وصية مشفق ناصح: ليكن آثر الأشياء عندك وأحبها إليك أحكام ما افترض الله عليك واتقِ ما نهاك عنه فإن ما تعبدك الله به خير لك، وأفضل ممّا تختاره لنفسك من أعمال البر التي لم تجب عليك وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريد كالذي يؤدّب نفسه بالفقر والتقلل وما أشبه ذلك، إنما ينبغي للعبد أن يراعي أبداً ما وجب عليه من فرض فيحكمه على تمام حدوده وينظر إلى ما نهي عنه فيتقيه على أحكم ما ينبغي، فالذي قطع العباد عن ربهم عزّ وجلّ وقطعهم عن أن يرزقوا حلاوة الإيمان وعن أن يبلغوا حقائق الصدق وحجب قلوبهم من النظر إلى الآخرة وما أعدّ الله فيها لأوليائه وأعدائه حتى يكونوا كأنهم مشاهدون إنما قطعهم تهاونهم عن أحكام ما فرض عليهم في قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وبطونهم وفروجهم، ولو وقفوا على هذه الأشياء وأحكموها لأدخل عليهم البرّ إدخالاً يعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما رزقهم من حسن معونته وفوائد كرامته، ولكن أكثر القرّاء والنساء حقروا محقرات الذنوب وتهاونوا بالقليل منها وممّا فيهم من العيوب فحرموا لذة ثواب الصادقين في العاجل، واستغفر الله ممّا تقول ولا تفعل.

وصية عبد الله المغاور وكان رجلاً كبيراً من أهل لبلة من أعمال إشبيلية بغرب الأندلس: كان سبب رجوعه إلى طريق الله أن الموحدين لما دخلوا لبلة رمت امرأة عليه نفسها وقالت له: احملني إلى إشبيلية وأزلني من أيدي هؤلاء القوم، فأخذها على عنقه وخرج بها فلما خَلا بها وكان من الشطار الأشداء وكانت المرأة ذات جمال فائق فدعته نفسه إلى وقاعها فقال: يا نفسي هي أمانة بيدي ولا أحبّ الخيانة وما هذا وفاء مع صاحبها فأبت عليه نفسه إلاّ الفعل، فلما خاف على نفسه أخذ حجراً وجعل ذكره عليه وهو قائم وأخذ حجراً آخر فقال به عليه فرضخه بين الحجرين فقال: يا نفسي النار ولا العار، فجاء منه واحد زمانه وخرج من حينه يطلب الحج فأقام بالإسكندرية إلى أن مات بها أدركته ولم أجتمع به، فأخبرني أبو الحسن الإشبيلي قال: أوصاني عبد الله المغاور فقال لي: يا أبا الحسن آمرك بخمس وأنهاك عن خمس: آمرك باحتمال أذى الخلق وترك أذى الخلق وإدخال الراحة على الإخوان وأن تكون أذناً لا لساناً أي اسمع أكثر ممّا تتكلم به والخامس أن تكون مع الناس على نفسك. وأنهاك عن معاشرة النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وعن الدعوى وعن الوقوع في رجال الله.

وصية حكيم رويناها من حديث ابن مروان المالكيّ: في المجالسة قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: قال حكيم لحكيم: أوصني، فقال: اجعل الله همك واجعل الحزن على قدر ذنبك فكم من حزين وقف به حزنه على سرور الأبد، وكم من فرح نقله فرحه إلى طول الشقاء.

وصية نبوية: رويناها من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُوبُوا إلى الله قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا وَصِلوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ تَسْعَدُوا وَأَكْثِرُوا الصَّدَقَةَ تُرْزَقُوا وَأْمُرُوا بِالمَعْرُوفِ تُخْصِبُوا وَانهَوْا عَنِ المُنْكَرِ تُنصَرُوا، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَكْيَسَكُمْ أَكْثَرُكُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْراً وَأَحْزَمَكُمْ أَحْسَنُكُمْ لَهُ اسْتِعْدَاداً، أَلاَ وَإِنَّ مِنْ عَلامَاتِ العَقْلِ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ وَالإِنَابَةَ إِلى دَارِ الخُلُودِ وَالتَّزَوُّدَ لِسُكْنَى القُبُورِ وَالتَّأَهُّبَ لِيَوْمِ النُّشُورِ**»

وأنشد بعضهم: [البسيط]

كُنَّا على ظَهْرِها والدَّهْرُ في مَهَلٍ ... والعَيْشُ يَجْمَعُنا والدارُ والوَطَنُ
فَفَرَّقَ الدهرُ بالتصريف أُلْفَتَنا ... واليوم يجمعُنا في بطنها الكَفَنُ

وصية: الجرهمي عمرو بن لحي بالحرم: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] فكان ابن عباس يسكن الطائف لأجل ذلك. وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**احْتِكَارُ الطَّعَامِ بِمَكَّةَ إِلْحَادٌ فِيهِ**» قال الجرهمي يخاطب عمرو بن لحي يوصيه: [مجزوء الكامل]

يا عَمْرُو لا تَظْلِمْ بمـ ... ـكة إنها بَلَدٌ حَرَامْ
سائلْ بعَادٍ أين هُمُ ... وكذاك يُخْتَرَمُ الأَنَامْ
ومن العماليق الذيـ ... ـن لهم بها كان السَّوَامْ

ومن وصايا ذي النون بعض الفتيان: يا فتى خذ لنفسك بسلاح الملامة، واقمعها برد الظلامة، تلبس غداً سرابيل السلامة، وأقصرها في روضة الأمان، وذوّقها مضض فرائض الإيمان، تظفر بنعيم الجنان، وجرّعها كأس الصبر، ووطنها على الفقر، حتى تكون تام الأمر، فقال له الفتى: وأي نفس تقوى على هذا؟ فقال: نفس على الجوع صبرت وفي سربال الظلام خطرت، نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا، بلا شرط ولا ثنيا، نفس تدرعت رهبانية القلق، ورعت الدجى إلى واضح الفلق، فما ظنك بنفس في وادي الحنادس سلكت، وهجرت اللذات فملكت، وإلى الآخرة نظرت، وإلى العينا أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى النزر من القوت اقتصرت، ولجيوش الهوى قهرت، وفي ظلام الدياجي زهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلى عزيزها في غلس الدجى مشمرة، قد نبذت المعايش، ورعت الحشايش، هذه نفس خدوم عملت ليوم القدوم، وكل ذلك بتوفيق الحيّ القيوم.

وصية ذي النون أخاه الكفل: قال له: يا أخي كن بالخير موصوفاً ولا تكن للخير وصافاً.

وصية نبوية: حدّثنا بها محمد بن قاسم بمدينة فاس قال: ثنا هبة الله بن مسعود ثنا محمد بن بركات ثنا محمد بن سلامة بن جعفر ثنا هبة الله بن إبراهيم الخولاني نبا علي بن الحسين ابن بندار ثنا إسماعيل بن أحمد بن أبي حازم حدثنا أبي ثنا عمرو بن هاشم ثنا سليمان بن أبي كريمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول

الله ﷺ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِماً، وَأَحْسِنْ مُصَاحَبَةَ مَنْ صَاحَبَكَ تَكُنْ مُؤْمِناً، وَاعْمَلْ بِفَرَائِضِ اللهِ تَكُنْ عَابِداً، وَارْضَ بِقَسْمِ اللهِ تَكُنْ زَاهِداً»**.

وصية محكمة في موعظة منظومة لأبي العتاهية: [الطويل]

ألا إنّ خَيْرَ الذُّخْرِ خَيْرٌ تُنِيلُهُ ... وشَرُّ كلام القائلين فُضُولُهُ
ألم تَرَ أن المرء في دار بُلْغَةٍ ... إلى غيرها والمَوْتُ فيها سَبِيلُهُ
وأيّ بلاغ يُكْتَفَى بكثيره ... إذا كان لا يكفيك منه قَلِيلُهُ
مضاجعُ سُكّان القبور مضاجع ... يفارق فيهن الخَلِيلَ خَلِيلُهُ
تَزَوَّدْ من الدنيا بزادٍ من التُّقَى ... فكُلٌّ بها ضَيْفٌ وَشِيكٌ رَحِيلُهُ
وخُذْ للمنايا لا أبا لك عُدَّةً ... فإن المنايا من أتت لا تُقِيلُهُ
وما حادثات الدهر إلاّ لغزة ... تَبُتُّ قواها أو لملك تُزِيلُهُ

ومن ذلك أيضاً ممّا ضمنه ديوانه: [الكامل]

عَيْبُ ابْنِ آدم ما عَلِمتُ كَثِيرُ ... ومجيئُه وذهابُهُ تَقْدِيرُ
غَرَّتْكَ نفسُكَ للحياة محبّة ... المَوْتُ حَقٌّ والبقاءُ يَسِيرُ
لا تَغْبِطِ الدُّنْيا فإن جميع ما ... فيها يسيرٌ لو علمت حَقِيرُ
يا سَاكِنَ الدّنيا ألم تَرَ زهرة الـ ... ـدنيا على الأيام كيف تَصِيرُ
سَلْ ما بدا لك أن تنال من الغِنَى ... إن أنت لم تَقْنَعْ فأنت فَقِيرُ
يا جَامِعَ المال الكثير لغيره ... إنّ الصَّغِيرَ من الذُّنُوبِ كَبِيرُ
هل في يَدَيْكَ من الحوادث قوّة ... أو هل عليك من المَنُونِ خَفِيرُ
ماذا تقول إذا رَحَلْتَ إلى البِلَى ... وإذا خلا بك مُنْكَرٌ ونَكِيرُ

وصية: قال بعضهم: سألت أستاذي من أحادث من الناس وإلى من أسكن؟ فقال: عليك بمحادثة من لا تكتمه ما يعلمه الله منك، واجعل للناس ظاهرك ولله باطنك وعاشرهم بالتي هي أحسن.

وصية: في حكاية عن بعض أهل الولاية قال بعض السياح: كنت جائزاً في بعض سياحاتي في أرض الشام إذ مررت بنهر يقال له نهر الذهب فرأيت في ظهر قرية من قرى ذلك النهر صومعة فيها راهب فناديته: يا راهب أجبني فلم يجبني، فناديته الثانية: يا راهب أجبني فلم يجبني، فناديته الثالثة: يا راهب أجبني أو قال: فناديت الثالثة يا رباني فاطلع فرآني فقال لي: ما حاجتك وما الذي تريد؟ فقلت له: عظة أو وصية أنتفع بها، فقال لي: أو تركت الدنيا؟ قلت: نعم، فقال لي: كل القوت والزم السكوت وعلل النفس فإنك تموت وذكرها الوقوف بين يدي الحيّ الذي لا يموت، ثم قال: [مجزوء الرمل]

لو قَنِعْنَا لَكَفَانَا ... مِنْكِ يا دارُ اليَسِيرْ
أنْتِ نُعْمَاكِ قَلِيلٌ ... وبلاياكِ كَثِيرْ
وقُبُورٌ تتلاشى ... حيث لا تمشي القُبُورْ

يـــا مُـــبَـــهْـــرِجُ لا تُـــبَـــهْـــرِجْ إنّـــمـــا الـــنّـــاقـــد بَـــصِـــيـــرْ

قال: فتركته وبت ليلتي فلما أصبح عدت إليه وناديت: يا راهب زدني من تلك الحكمة، فقال لي: كل ممّا كسبته يمينك وعرق فيه جبينك فإن ضعف يقينك فسل ربك فإنه يغنيك، ثم قال: [المتقارب]

إذا اقْـتَـرَبَـتْ سـاعـةٌ يـا لـهـا وزُلْـزِلَـتِ الأَرْضُ زِلْـزالـهـا

فـلا بُـدّ مـن سـائـلٍ قـائـلٍ مـن الـنّـاس يـومـئـذ مـا لـهـا

تُـحَـدِّثُ أخـبـارهـا رَبّـهـا ورَبُّـك لا شـك أوْحَـى لـهـا

وتَـنْـفَـطِـرُ الأرضُ عـن سـاعـةٍ تُـشِـيـبُ الـكـهـولَ وأطْـفـالَـها

تَـرَى الـنـاسَ سَـكْـرى بـلا قَـهْـوَةٍ ولـكـن تـرى الـنَّـفْـسَ مـا هـالـهـا

تـرى الـنَّـفْـسَ مـا قـدمـت مـحـضـراً ولـو ذرةً كـان مِـثْـقَـالـهـا

ذنـوبـي بـلائـي فـمـا حـيـلـتـي إذا كـنـت فـي الـحَـشْـرِ حَـمَّـالَـهـا

يـحـاسـبـهـا مـلـكٌ قـادرٌ فـإمـا عـلـيـهـا وإمَّـا لـهـا

قال: فتركته وبت ليلتي، فلما أصبح عدت إليه وناديته: يا راهب زدني من تلك الحكمة، فقال لي: صلّ الفرض واذكر العرض ولا تطلب من أحد الصلة ولا القرض، ثم قال: [الطويل]

متى تَهْجُر الدُّنْيا وتَنْوي لها بُغْضَا وتَرْكُكَ للعصيان حَقّاً متى يُقْضَى

متى يا صَفِيقَ الوَجْهِ تَنْوي بتوبة وعُمْرُكَ للدنيا يُساقُ بها رَكْضَا

فلا بُدّ بعد الموت أن تَسْكُنَ البِلَى يَرُضُّكَ ثقلُ اللبن تحت الثَّرَى رَضَّا

وتُعْطَى كتاباً فيه كل فضيحةٍ وتَشْهَدُ أهْوالَ القيامة والعَرْضَا

فقُمْ في دَيَاجي اللَّيْل لله طائعاً لعلَّ الذي أسْخَطْتَهُ لَعَسَى يَرْضَى

قال: فتركته وبتّ ليلتي، فلما أصبح عدت إليه وناديته: يا راهب زدني من تلك الحكمة، فقال لي: يا هذا شغلتني عن عبادة ربي فقمت إليه مودعاً فقال لي: كل الصبر والزم الفقر، ثم أنشد: [الوافر]

مـتـى تُـهْـدَى إلـى سُـبُـلِ الـرَّشـادِ إذا كُـنْـتَ الـمُـصِـرَّ عـلـى الـفَـسَـادِ

نَـهَـارَكَ لاعـبـاً تَـغْـتَـرُّ فـيـه ولَـيْـلَـك لا تـمـلُّ مـن الـرّقـادِ

فَـدَعْ ظُـلْـمَ الـعـبـاد فـلـيـس شيءٌ أضَـرَّ عـلـيـك مـن ظُـلْـم الـعِـبَـادِ

وَهَـيِّ الـزَّادَ إنـك ذو رحِـيـلِ عـلـى الـسَّـفَـر الـبـعـيـد عـلـى انْـفِـرَادِ

تـأهَّـبْ لـلَّـذي لا بـدّ مـنـه فـإن الـمَـوْتَ مـيـقـاتُ الـعِـبَـادِ

يَـسُـرُّكَ أن تـكـون زَمِـيـلَ قَـوْمٍ لـهـم زادٌ وأنـت بـغـيْـر زَادِ

وروينا عن بعض علماء هذا الشأن من أهل الله الناصحين أنفسهم أنه قال: ينبغي لمن علم أن له مقاماً بين يدي الله عزّ وجلّ ليسأله عمّا أسلف في هذه الدار أن لا يؤثر القليل الحقير على الجزيل الكثير، ولا التواني والتقصير على الجد والتشمير، ولا سيما إذا كان ممّن

قد أيّده الله منه بإتقان العلم ولقح عقله بدلالات الفهم، أن لا يتحير في ظلمة الغفلة التي تحير فيها الجاهلون، والعجب كل العجب لأهل هذه الصفة كيف استوحشوا من طاعة الله وأنسوا بغيره وركنوا إلى الدنيا وتقلب حالاتها وكثرة آفاتها ولا زادتهم الدنيا إلاّ هواناً ولا ازدادوا لها إلاّ إكراماً، فما مستيقظ من وسنة يخلع وثيق الغل من عنقه ويهتك جلباب الران عن قلبه، وإن من أنصح النصحاء لك يا أخي من حملك من أمرك على المحجة وأمرك بالرحلة ولم يحسن لك سوف وأرجو ولعل ويكون فما رأيت هذه الخصال تورث صاحبها إلاّ الخسارة والندامة، فكابدوا التسويف بالعزم وبادروا التفريط بالحزم فقد وضح لكم الطريق والله المستعان والمرشد والدليل.

وصية: سئل بعض أهل الله عن أعون ما يجده العبد على تسكين الشهوة فقال: الصيام بالنهار والقيام بالليل وحذف الشهوات والتغافل عنها وترك محادثة النفس يذكرها، فقيل له: فإن الرجل يصوم بالنهار ويقوم بالليل ولا يأكل الشهوات ويجد في نفسه حركة واضطراباً فقال له: ذلك من فرط فضل شهوة مقيمة فيه من الأول فليقطع أسباب المادّة منها جهده ويمسكها عن نفسه بالهموم والأحزان وتسكين سلطانها بذكر الموت وتقريب الأجل وقصر الأمل وما يشغل القلوب، اقطع عن نفسك الشهوات واستقبل مراقبة من هو عليك رقيب والمحافظة على طاعة من هو عليك حسيب، نسأل الله تعالىٰ التوفيق على بلاغ الطريق، والخروج من كل ضيق إنه قوي شفيق.

وصية في ذكرى: قال بعض العلماء: من وثق بالمقادير استراح ومن صحّح استراح، ومن تقرّب قرب، ومن صفّى صفّي له، ومن توكّل وثق، ومن تكلّف ما لا يعنيه ضيّع ما يعينه، وقيل لبعضهم: بم ينال العبد الجنة؟ فقال: بحسن استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله في السرّ والعلانية، وانتظار الموت بالتأهّب له، والمحاسبة لنفسك قبل أن تحاسب، كن عارفاً خائفاً ولا تكن عارفاً واصفاً، لا تكن خصماً لنفسك على ربك تستزيده في رزقك وجاهك، ولكن كن خصماً لربك على نفسك لا تجمع معك عليك ولا تلق أحداً بعين الازدراء والتصغير وإن كان مشركاً خوفاً من عاقبتك فلعلك تسلب المعرفة ويرزقها. وقال ذو النون: تعوّذوا بالله من النبطي، وقيل من القبطي إذا استغرب، وهذه وصية عجيبة مجربة قالها مجرب ولها حكاية. قال ذون النون المصري: رأيت في بربا بموضع يقال له دندره مكتوباً فيها: احذروا العبيد المعتقين والأحداث المتغربين والجند المتعبدين والقبط المستعربين، حدثنا بهذا يونس بن يحيى العباسي القصار تجاه الركن اليماني سنة تسع وتسعين وخمسمائة عن أبي بكر بن عبد الباقي عن أبي الفضل بن أحمد عن أحمد بن عبد الله عن محمد بن إبراهيم قال: سمعت عبد الحكيم بن أحمد بن سلام يقول: سمعت ذا النون يقول الحكاية.

وصية إلهية: حدثنا العماد عبد الله بن الحسن المعروف بابن النحاس قال: حدثني بدر الحزري قال: قال لي علي بن الخطاب الجزري بالجزيرة وكان من الصالحين رأيت الحق

في النوم فقال لي: يا ابن الخطاب تمن قال: فسكت، فقال لي: يا ابن الخطاب تمن قال: فسكت، قال ذلك ثلاثاً ثم قال لي في الرابعة: يا ابن الخطاب أعرض عليك ملكي وملكوتي وأقول لك تمن وتسكت، فقال: قلت يا رب إن نطقت فبك وإن تكلمت فبما تجريه على لساني فما الذي أقول؟ فقال: قل أنت بلسانك فقلت: يا رب قد شرفت أنبياءك بكتب أنزلتها عليهم فشرفني بحديث ليس بيني وبينك فيه واسطة، فقال: يا ابن الخطاب من أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص الله شكراً ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد بدل نعمة الله كفراً، قال فقلت: يا رب زدني فقال: يا ابن الخطاب حسبك حسبك.

وصية: بل وصايا إلهية أصدق الوصايا وأنفعها ما ورد في القرآن العزيز من أوامر الحق عباده ونواهيه المنزل من حكيم حميد نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، فلنذكر منها ما يسره الله على لسان مذكر بذلك القلوب الغافلة وتبركاً بكلام الله تعالىٰ وجلّ، فمن ذلك: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١] ﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣] ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] وهنا سر لمن تفكر ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] ﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١] ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤١-٤٣] ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠] ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣] ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣] ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ [ابقرة: ٨٤] ﴿ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٩١] ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ٩٣] ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ [البقرة: ١٠٩] ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠] ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[البقرة: ١٤٨] ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨] ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٠] ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [البقرة: ١٨٦] ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨] ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦] ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧] ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] ﴿أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٩] ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣] ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة: ١٩١]﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١] ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١] ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٢٣-٢٢٤] ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩] ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١] ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا

شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٨] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

واعلم أن الله تعالى قد ذكر في كتابه كل صفة يحمدها الله وكل صفة يذمّها الله وصية لنا وتعريفاً أن نجتنب ما ذمّ من ذلك، ونتصف بما حمد من ذلك، وقرّر على أمور وبخ بها عباده ونعت كل صاحب صفة بما هو عليه عند الله، فممّا حمد: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] والإيمان بما أنزل على الرسل عليهم السلام والإيقان بالآخرة وقال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي على بيان وتوفيق حيث صدقوا ربهم فيما اخبرهم به مما هو غيب في حقهم﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] الناجون من عذاب الله الباقون في رحمة الله. وممّا ذمّه الكافر والمنافق فالكافر ذو الوجه الواحد الذي أظهر معاندة الله فسواء عليه أعلمه الحق أو لم يعلمه فإنه لا يؤمن بشيء من ذلك لا عقلاً ولا شرعاً، وأخبر أن الله تعالىٰ ختم على قلبه بخاتم الكفر فلا يدخله الإيمان مع علمه به وختم على سمع فهمه وهو الجاهل، فلم يعلم ما أراد الله بما قاله وعلى أبصار عقولهم غشاوة حيث نسبوا ما رأوه من الآيات إلى السحر، وقال في ذي الوجهين وهو المنافق أنه يقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٨] وبما جاء من عند الله وهو ليس كذلك وإنما يفعل ذلك خداعاً لله والذين آمنوا وجعل الفساد صلاحاً والصلاح فساداً، والإيمان سفهاً والمؤمنين سفهاء، ويأتي المؤمنين بوجه يرضيهم، ويأتي الكافرين بوجه يرضيهم، فأخبر الله أن هؤلاء هم ﴿ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] وأنهم ﴿صُمٌّ﴾ [البقرة: ١٨] عن سماع ما ذكرهم الله به ﴿بُكْمٌ﴾ [البقرة: ١٨] عن الكلام بالحق ﴿عُمْىٌ﴾ [البقرة: ١٨] عن النظر في آيات الله، وأنهم ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]. وممّا ذمّ الله ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧] وقرّر ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] ووبّخ ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] وممّا ذمّ من أعطاه الأنفس فطلب الأدون لقلة علمه ودناءة همته فقال: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ

لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ [البقرة: ٦١] يشير إلى أن الصبر مع الله صعب ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ﴾ [البقرة: ٦١] وهو ما ذكروه ﴿بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾ [البقرة: ٦١] وهو ما أنزل الله عليهم من المن والسلوى فأشار إلى دناءة همتهم بقوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ [البقرة: ٦١] لما نزلوا إلى الأدون من الأعلى قيل لهم﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ إنما هي أعمالكم ترد عليكم ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١] لأنهم هبطوا﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٦١] لأنهم لم يختاروا ما اختار الله لهم وكفروا بالأنبياء وبآيات الله وقتلوا الأنبياء بغير الحق وعصوا واعتدوا وممّا ذمّهم به القساوة فقال بعد تقرير ما أنعم الله به عليهم ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾ [البقرة: ٧٤] وإنما كانت أشد قسوة ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٧٤] وأنتم ما عندكم في قلوبكم من هذا شيء يذّمهم بذلك، وممّا ذمّ من يقول: ﴿مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ﴾ [ق: ١٦] وما يسول له شيطانه هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً من الجاه والرياسة عليهم وما يحصلوه من المال فأخبر الله تعالى أن لهم الويل من الله من أجل ذلك، هذا كله ذكره الله في كتابه لنا لنجتنب مثل هذه الصفات.

وممّا أوصى به عباده ممّا يحمده ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٨٣] فمن يعمل بوصيته ووصف حاله على جهة الذمّ يسمعنا تعالىٰ ما جرى من عباده حتى لا نسلك مسلكهم الذي ذمّهم الله به فقال عقيب هذا القول: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣] ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾ [البقرة: ٨٥]: كما قال في حقهم وحق أمثالهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠] وأخبر أن هؤلاء ﴿هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: ١٥١] وقال: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥] فإنه أخبر عن هؤلاء أنهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦] كما اشتروا أولئك الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، كما اشتروا أمثالهم العذاب بالمغفرة، فتعجب الله من صبرهم على النار بقوله: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] فدلّ على أنهم عرفوا الحق وجحدوا مع اليقين، كما قال في حق من هذه صفته في النمل: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النمل: ١٤] أنها يعني الآيات براهين على صدقهم فيما أخبروا به عن الله ﴿ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤] وأي آية كانت للعرب معجزة مثل القرآن ولذلك قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [البقرة: ١٧٦] وقال في الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من

بعد ما بيناه للناس في الكتاب ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] وأنه من سئل عن علم تعين عليه الجواب عنه وهو يعلمه فكتمه وهو ممّا أنزله الله ألجمه الله بلجام من نار ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ١٧٤] أي بكتمانهم لما حصلوه من المال والرياسة بذلك أن ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وأوصى عباده أيضاً فقال لهم: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧] فأخبر أن ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وأوصى ولي الدم أن يعفو ويخلي بين القاتل والمقتول يوم القيامة، وأخبر ﷺ أن حكم القاتل قواداً حكم القاتل اعتداء وهو قوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فقال في صاحب التسعة: أما إن قتله كان مثله فتركه ولم يقتله، فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف من ولي الدم وأداء إليه بإحسان من القاتل إلى ولي الدم ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ١٧٨] أي إن قتله بعد ذلك غدراً وقد رضي بالدية وبما عفا عنه منها ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] وذكر في حق من حضرته الوفاة أن يوصي ممّا له التصرف فيه من ماله وهو الثلث للأقربين وهم الذين لا حظ لهم في الميراث وللوالدين وهو مذهب ابن عباس حتى أنه يعصي عنده من لم يوص لوالديه عند الموت بالمعروف وهو أنه لا يتجاوز ثلث ماله وأخبر أنه ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] وأخبر أنه من بدّله بعد ما سمعه من الموصي أن إثمه على الذين يبدلونه من الأولياء والحكام. وأخبر عن الساعي بالصلح بين الموصي والموصى له أنه لا إثم عليه فهذه كلها وصايا إلهية منصوص عليها، ومنها أيضاً أخبر الحق أنه لا يتبع المتشابه من الكتاب ويتأوله على ما يعطيه نظره إلاً من في قلبه زيغ أي ميل عن الحق، وأخبر أنه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] وأن ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] ومن جعله معطوفاً فيكون الراسخون في العلم من أعلمهم الله بتأويل من أراد بذلك، وأقام الله عذر عباده في قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤] الآيات. وأخبر عن ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٦-١٧] وهم ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٥] وأخبر سبحانه أن الذين ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١] أن لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ينجيهم من ذلك العذاب، ونهانا أن نتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين في نصرة دينه إلاّ أن تتقوا منهم تقاة وأنه من فعل ذلك فليس من الله في شيء، وقد حذرنا الله نفسه وقاله ﷺ حين نهانا عن التفكر في ذات الله أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقال الله لنبيه أن يقول لنا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] وأخبر أنه من اتبع رسول الله فقال: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وصية إلهية: قال الله: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُو لِلَّذِي أَشْرَكَ**».

وصية إلهية: يقول الله عزّ وجلّ: «**إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنْ صَلَاةٍ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ وَكَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً فَصَبَرَ عَلَىٰ ذٰلِكَ**». ثم نقر رسول الله ﷺ عندما قال هذا الحديث عن ربه بيديه ثم قال: «**عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ وَقَلَّتْ بَوَاكِيهِ وَقَلَّ تُرَاثُهُ**».

وصية في إصلاح ذات البين: قال أنس بن مالك: بينما رسول الله ﷺ جالساً إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «**رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَي رَبِّ العِزَّةِ تَعَالَىٰ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يا رَبِّ خُذْ لِي بِمَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي فَقَالَ: أَعْطِ أَخَاكَ مَظْلَمَتَهُ، قالَ: يا رَبِّ لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ، قَالَ: يا رَبِّ فَلْيَحْمِلْ عَنِّي مِنْ أَوْزَارِي وفَاضَتْ عَيْنَا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: إِنَّ ذلك لَيَوْمٌ عَظِيمٌ يَوْمَ يَحْتَاجُ النَّاسُ فِيهِ أَنْ يُحْمَلَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، قالَ: فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ لِلطَّالِبِ: ارْفَعْ رَأْسَكَ فَانْظُرْ إلى الجِنَانِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: يا رَبِّ أَرَى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ وَقُصُوراً مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ لِأَيِّ نَبِيٍّ هٰذا؟ لأَيِّ شَهِيدٍ هٰذا؟ قَالَ: هٰذا لِمَنْ أَعْطَانِي الثَّمَنَ، قال: يا رَبِّ وَمَنْ يَمْلِكُ ذٰلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُ، قَالَ: بِمَاذَا يا رَبِّ؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ، قالَ: يا رَبِّ قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قالَ الله تَعَالَى: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، ثُمَّ قالَ رسولُ الله ﷺ: اتَّقُوا وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ الله تَعَالَىٰ يُصْلِحُ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وصايا إلهية من التوراة: روينا من حديث كعب الأحبار أنه قال: وجدت في التوراة اثنتي عشرة كلمة فكتبتها وعلقتها في عنقي أنظر فيها في كل يوم إعجاباً بها: يا ابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وأنت محمود، وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم وعزتي وجلالي لا تنال منها إلاّ ما قدرت لك وأنت مذموم يا ابن آدم كل يريدك له وأنا أريدك لك، وأنت تفرّ مني يا ابن آدم ما تنصفني يا ابن آدم، خلقتك من تراب ثم من نطفة ولم يعييني خلقك أفيعييني رغيف أسوقه إليك في حين، يا ابن آدم إني وحقي لك محب فبحقي عليك كن لي محباً، يا ابن آدم خلقتك من أجلي وخلقت الأشياء من أجلك فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك، يا ابن آدم كما لا أطالبك بعمل غد لا تطالبني برزق غد، يا ابن آدم لي عليك فريضة ولك عليّ رزق إن خنتني في فريضتي لم أخنك في رزقك على ما كان منك، يا ابن آدم لا تخافن فوت الرزق ما دامت خزانتي مملوءة وخزانتي مملوءة لا تنفد أبداً، يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان ما دام سلطاني باقياً وسلطاني باق لا ينفد أبداً، يا ابن آدم لا تأمن مكري حتى تجوز على الصراط.

وصية خليلية في الوجل من الله تعالىٰ: لما قال الله تعالىٰ لإبراهيم الخليل عليه السلام: يا إبراهيم ما هذا الوجل الشديد الذي أراه منك؟ قال: فقال له إبراهيم: يا رب وكيف لا أوجل ولا أكون على وجل وآدم أبي كان محله في القرب منك خلقته بيديك ونفخت فيه من روحك وأمرت الملائكة بالسجود له فبمعصية واحدة أخرجته من جوارك، فأوحى إليه: يا إبراهيم أما علمت أن معصية الحبيب على الحبيب شديدة؟

وصية إلهية بما يحجب عن الله فعله: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: «**يا دَاوُدُ حَذِّرْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْلَ الشَّهَوَاتِ فَإِنَّ الْقُلُوبَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالشَّهَوَاتِ مَحْجُوبَةٌ عَنِّي**».

وصية إلهية بذكر الله على كل حال: قال موسىٰ عليه السلام: أي رب أبعيد أنت فأناديك أم قريب فأناجيك؟ فقال الله تعالىٰ له: أنا جليس من ذكرني، من ذكرني فأنا معه، قال: فأي العمل أحب إليك يا رب؟ قال: تكثر ذكري على كل حال.

وصية إلهية بقيام الليل: يَقُولُ الله تَعَالَىٰ إذا نَزَلَ فِي الثُّلُثِ البَاقِي مِنَ اللَّيْلِ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا: «**كَذَبَ مَنِ ادَّعَىٰ مَحَبَّتِي وَنَامَ عَنِّي، أَلَيْسَ كُلُّ مُحِبٍّ يَطْلُبُ الخَلْوَةَ بِحَبِيبِهِ أنا ذا مُطَّلِعٌ عَلَى أَحْبَابِي وَقَدْ مَثَلُونِي بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَخَاطَبُونِي عَلَى الْمُشَاهَدَةِ وَكَلَّمُونِي بِحُضُورِي غَداً أَقِرُّ أَعْيُنَهُمْ فِي جَنَّاتِي**».

وصايا بما كلم الله عزّ وجلّ بها نبيه موسىٰ عليه السلام وذكرى: يا موسىٰ ادن مني واعرف قدري فإني أنا الله، يا موسىٰ أتدري لم كلمتك من بين خلقي واصطفيتك برسالتي وبكلامي دون بني إسرائيل؟ قال لا يا رب، قال: لأني اطلعت على أسرار عبيدي فلم أر قلباً أصفى لمودتي من قلبك، قال موسىٰ: لم خلقتني يا رب ولم أك شيئاً؟ قال: أردت بك خيراً، قال رب منّ عليّ؟ قال: أسكنتك جنتي في جواري مع ملائكتي فتكون هناك منعماً مخلداً ملتذاً فرحاً مسروراً أبد الآبدين، فقال موسىٰ: يا رب فما الذي ينبغي لي أن أعمل؟ قال لا يزال لسانك يكون رطباً من ذكري وقلبك وجلاً من خشيتي وبدنك مشغولاً بخدمتي ولا تأمن مكري ولو ترى رجلك في الجنة، قال موسىٰ: يا رب فلم ابتليتني بفرعون؟ قال: إنما اصطنعتك لنفسي أخاطب بلسانك بني إسرائيل فأسمعهم كلامي وأعلمهم شريعة التوراة وسنّة الدين وطرائق الآخرة، من اتبعك منهم ومن غيرهم كائناً من كان يا موسىٰ، بلغ بني إسرائيل وقل لهم: إني لما خلقت السموات والأرض خلقت لهما أهلاً وسكاناً فأهل سمواتي هم الملائكة وخالص عبادي الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يا موسىٰ بلّغ عني بني إسرائيل وقل لهم من قبل وصيتي وأوفى بعهدي ولم يعصني رقيته إلى رتبة ملائكتي وأحللته جنتي معهم وجازيتهم بأحسن ما كانوا يعملون، يا موسىٰ قل لبني إسرائيل عني أني لما خلقت الجنّ والإنس والحيوانات ألهمتهم مصالح الحياة الدنيا عرفتهم كيفية التصرّف فيها لطلب منافعها والهرب من مضارها كل ذلك لما جعلت لهم من السمع والبصر والفؤاد والتمييز والشعور أجمع، فهكذا ألهمت أنبيائي ورسلي والخواص من عبادي، وعرفتهم أمر المبدأ والمعاد والنشأة الأخرى وبينت لهم الطريق وكيفية الوصول إليها، يا موسىٰ قل لبني

إسرائيل يقبلون من الأنبياء وصيتي ويعملون بها واضمن عني لهم أني أكفيهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح الدنيا والآخرة جميعاً إذا أوفوا بعهدي أوف بعهدهم كائناً من كان من سائر بني آدم، وألحقتهم بأنبيائي وملائكتي في الدار الآخرة دار القرار، فقال موسىٰ: يا رب لو خلقتنا في الجنة وكفيتنا محن الدنيا ومصائبها وبلاياها أليس كان خيراً لنا؟ قال: يا موسىٰ قد فعلت بأبيكم آدم ما ذكرت ولكن لم يعرف حقها ولم يحفظ وصيتي ولم يوف بعهدي بل عصاني فأخرجته من الجنة فلما تاب وأتاب وعدته أن أردّه إليها وآليت على نفسي أن لا يدخلها أحد من ذريته إلاّ من قبل وصيتي وأوفى بعهدي ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] ولا يدخل جنتي المتكبرين لأني جعلتها للذين ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] يا موسى ادع إلي عبادي وذكرهم بآلائي فإنهم لا يذكرون شيئاً من ذلك إلاّ كان خيراً لهم سالفاً وآنفاً عاجلاً وآجلاً، يا موسىٰ الويل لمن تفوته جنتي ويا حسرة عليه وندامة حين لا ينفعانه، يا موسىٰ خلقت الجنة يوم خلقت السموات والأرض وزينتها بألوان المحاسن وجعلت نعيم أهلها وسرورهم روحاً وريحاناً فلو نظر أهل الدنيا إليها نظرة من بعيد لم تغنهم الحياة الدنيا بعدها، يا موسىٰ هي مذخورة لأوليائي وعبادي الصالحين تحيتهم يوم يلقونه سلام طوبى لهم وحسن مآب.

ومن الوصايا الإلهية: «**يا ابْنَ آدَمَ صَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ**» خرّجه النسائي. توبيخ إلهي يتضمن وصية يقول الله: «**يا ابْنَ آدَمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هٰذِهِ حَتَّى إذا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلِلأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ ـ يعني صوتاً ـ ثُمَّ جَمَعْتَ وَمَنَعْتَ حَتَّى إذا بَلَغَتِ التَّرَاقِي قُلْتَ أَتَصَدَّقُ وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ**».

وصية إلهية بإشفاق: يقول الله: «**يا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إن تَبْذُلِ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَإنْ تُمْسِكْهُ شَرٌّ لَكَ، وَلا تُلامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ العُلْيا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**».

وصية إلهية فيها لطف: حدّثني بها موسىٰ بن محمد القرطي بمكة والضيا عبد الوهاب بن سكينة ببغداد عند اجتماعي به برباطه قال: يقول الله: إذا أحدث عبدي ولم يتوضأ فقد جفاني وإذا توضأ ولم يصل فقد جفاني وإذا صلّى ولم يدعني فقد جفاني، وإذا دعاني ولم أجبه فقد جفوته ولست برب جاف ولست برب جاف.

وصية إلهية نافعة في طهارة الجوارح: يقول الله: يا أخا المرسلين ويا أخا المنذرين يعني سيدنا محمداً ﷺ وصية يبلغها إلينا عن ربه عزّ وجلّ أن لا تدخلوا بيتاً من بيوتي إلاّ بقلوب سليمة وألسن صادقة وأيدٍ نقية وفروج طاهرة، ولا تدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم ظلامة فأي العبيد ما دام قائماً بين يدي يصلي فإني لا أقبل صلاته حتى يردّ تلك الظلامة إلى أهلها فإذا فعل فأكون سمعه الذي يسمع به وأكون بصره الذي يبصر به ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصدّيقين والشهداء في الجنة.

وصية إلهية في توبيخ الواثب على الدنيا: قال الله تعالى: «**يا ابْنَ آدَمَ رَهَضَتْكَ الدُّنْيَا ثَلاثَ رَهضاتٍ: الفَقْرَ وَالمَرَضَ وَالمَوْتَ وَمَعَ ذٰلِكَ إنَّكَ لَوَثَّابٌ**».

وصية ملكية بالتواضع: أوحى الله إلى محمد ﷺ وعنده جبريل إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً فنظر إلى جبريل فأومأ إليه جبريل أن تواضع قال: فقلت نبياً عبداً فلو قلت نبياً ملكاً لسارت معي الجبال ذهباً وفضة.

وصية إلهية بتعظيم الأولياء: يقول الله تعالىٰ: «**مَنْ أَهانَ لِي وَلِيًا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالمُحَارَبَةِ**». وفي رواية: فقد أذنته بحرب. وقال: أحب عبادة عندي النصيحة. وقال تعالىٰ: يا ابن آدم خيري إليك نازل وشرك إليّ صاعد وأنا أتحبب إليك بالنعم وأنت تتبغض إليّ بالمعاصي في كل يوم يأتيني ملك كريم بقبيح فعلك، يا ابن آدم ما تراقبني أما تعلم أنك بعيني، يا ابن آدم في خلواتك وعند حضور شهواتك اذكرني وسلني أن أنزعها من قلبك وأعصمك عن معصيتي وأبغضها إليك وأيسر لك طاعتي وأحببها إليك وأزين ذلك في عينك، يا ابن آدم إنما أمرتك ونهيتك لتستعين بي وتعتصم بحبلي لا أن تعصيني وتتولى عني وأعرض عنك أنا الغني عنك وأنت الفقير إليّ، إنما خلقت الدنيا وسخرتها لك لتستعد للقائي وتتزود منها لئلا تعرض عني وتخلد إلى الأرض. اعلم أن الدار الآخرة خير لك من الدنيا فلا تختر غير ما اخترت لك ولا تكره لقائي فإنه من كره لقائي كرهت لقاءه ومن أحب لقائي أحببت لقاءه.

وصية إلهية برغبة ورهبة رويناها: من حديث بن مسلمة بن وضاح من أهل قرطبة رحمه الله قال: «قال الله لبني إسرائيل رغبناكم في الآخرة فلم ترغبوا، وزهدناكم في الدنيا فلم تزهدوا، وخوّفناكم بالنار فلم تخافوا، وشوقناكم إلى الجنة فلم تشتاقوا، ونحنا عليكم فلم تبكوا بشر القتالين بأن الله سيفاً لا ينام وهو دار جهنم».

ومن وصايا العارفين بالله تعالىٰ: لا تبق بمودة من لا يحبك إلاّ معصوماً من صحبك ووافقك على ما يحب وخالفك فيما يكره فإنما يصحب هواه ومن صحب هواه فإنما هو طالب راحة الدنيا، يا معشر المريدين من أراد منكم الطريق فليلق العلماء بالجهل والزهاد بالرغبة وأهل المعرفة بالصمت وأوصاني شيخي رحمه الله أول ما دخلت عليه قبل أن أرى وجهه فقال لي وقد قلت له أوصني قبل أن تراني فأحفظ عنك وصيتك فلا تنظر إليّ حتى ترى خلعتك علي، فقال رضي الله عنه، هذه همة شريفة عالية يا ولدي سدّ الباب واقطع الأسباب وجالس الوهاب يكلمك من غير حجاب، فعملت على هذه الوصية حتى رأيت بركتها، ودخلت عليه بعد ذلك فرأى خلعتها عليّ فقال: هكذا هكذا وإلاّ فلا لا، ثم قال لي: امح ما كتبت وانس ما حفظت واجهل ما علمت وكن هكذا معه على كل حال لا تتحدث معه بما قد علمته فإن في ذلك تضييع الوقت، واطلب المزيد كما أمرك في قوله لنبيه ﷺ يأمره وأمته: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] اطلب الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم، يقول الله لأبي يزيد البسطامي تقرب إليّ بالذلة والافتقار، وقال له: اترك نفسك وتعال. أوحى الله تعالىٰ إلى موسىٰ عليه السلام: كن كالطير الوحداني يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من الماء القراح إذا جنه الليل آوى إلى كهف من الكهوف استئناساً بي واستيحاشاً ممّن عصاني، يا موسىٰ آليت

على نفسي أني لا أتم لمدبر من دوني عملاً، يا موسىٰ لأقطعن أمل كل مؤمل أمل غيري ولأقصمن ظهر من استند إلى سواي ولأطيلن وحشة من استأنس بغيري ولأعرضن عمّن أحب حبيباً سواي، يا موسىٰ إن لي عباداً إن ناجوني أصغيت إليهم، وإن نادوني أقبلت عليهم، وإن أقبلوا عليّ أدنيتهم، وإن دنوا مني قربتهم، وإن تقربوا مني اكتنفتهم، وإن والوني واليتهم، وإن صافوني صافيتهم، وإن عملوا لي جازيتهم، هم في حماي وبي يفتخرون، أنا مدبر أمورهم، وأنا سايس قلوبهم، وأنا متولي أحوالهم، لم أجعل لقلوبهم راحة في شيء إلاّ في ذكري، فذكري لأسقامهم شفاء، وعلى قلوبهم ضياء، لا يستأنسون إلاّ بي، ولا يحطون رحال قلوبهم إلاّ عندي، ولا يستقر بهم القرار في الإيواء إلاّ إلي.

حكي في زمان النبوّة الأولى أن بعض من يوحى إليه من المتقدمين فكر في أمر التكليف والبلوى ولم يتجه له وجه الحكمة في ذلك وقد أمره الله بالتفكّر في عبادته فأخذ يناجي ربه في خلوته بسرّه ولسانه فقال: يا رب خلقتني ولم تستأمرني ثم تميتني ولا تستشيرني وأمرتني ونهيتني ولم تخيرني وسلطت عليّ هوىً مردياً وشيطاناً مغوياً وركبت في نفسي شهوات مركوزة وجعلت بين عيني دنيا مزينة ثم خوفتني وزجرتني بوعيد وتهديد وقلت: استقم كما أمرت ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيلي، واحذر الشيطان أن يقربك والدنيا لا تغرّنك، وتجنب شهواتك لا ترديك، وآمالك وأمانيك لا تلهيك، وأوصيك بأبناء جنسك فدارهم ومعيشتك فاطلبها من وجه حلال، فإنك مسؤول عنها إن لم تطلبها، ومسؤول عنها إن طلبتها من غير وجهها، ولا تنس الآخرة كما لم تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض ولا تعرض عن الآخرة فتخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، فقد حصلت يا رب بين أمور متضادة وقوى متجاذبة وأحوال متقابلة، فلا أدري كيف أعمل ولا أهتدي أي شيء أصنع، وقد تحيرت في أموري وضللت عن حيلتي، فأدركني يا رب وخذ بيدي ودلني على سبيل نجاتي وإلاّ هلكت، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا عبدي ما أمرتك بشيء تعاونني فيه ولا نهيتك عن شيء كان يضرني إن فعلته، بل إنما أمرتك لتعلم أن لك رباً وإلهاً هو خالقك ورازقك ومعبودك ومنشيك وحافظك وصاحبك وناصرك ومعينك، ولتعلم بأنك محتاج في جميع ما أمرتك إلى معاونتي وتوبتي وهدايتي وتيسيري وعنايتي، ولتعلم أيضاً بأنك محتاج في جميع ما نهيتك عنه إلى عصمتي وحفظي ورعايتي، وأنك إليّ محتاج في جميع تصرفاتك وأحوالك في جميع أوقاتك من أمور دنياك وآخرتك ليلاً ونهاراً، وأنه لا يخفى عليّ من أمورك صغير ولا كبير سرّاً وعلانية، وليتبين لك وتعرف أنك مفتقر ومحتاج إليّ ولا بدّ لك مني، فعند ذلك لا تعرض عني ولا تتشاغل عني ولا تنساني ولا تشتغل بغيري، بل تكون في دائم الأوقات في ذكري، وفي جميع أحوالك وجميع حوائجك تسألني، وفي جميع تصرفاتك تخاطبني، وفي جميع خلواتك تناجيني، وتشاهدني وتراقبني، وتكون منقطعاً إليّ من جميع خلقي ومتصلاً بي دونهم، وتعلم أني معك حيث ما تكن أراك وإن لم ترني، فإذا أردت هذه كلها وتيقنت وبان لك حقيقة ما قلت وصحة ما وصفت تركت

كل شيء وراك، واتصلت إليّ وحدك، فعند ذلك أقربك مني وأوصلك لي وأرفعك عندي وتكون من أوليائي وأصفيائي وأهل جنتي في جواري مع ملائكتي مكرّماً مفضلاً مسروراً فرحاً منعماً ملذذاً آمناً مبقى سرمداً أبداً دائماً. فلا تظن بي يا عبدي ظن السوء ولا تتوهم على غير ما يقتضيه كرمي وجودي، واذكر سالف إنعامي عليك وقديم إحساني إليك وجميل آلائي لديك، إذ خلقتك ولم تك شيئاً مذكوراً خلقاً سوياً، وجعلت لك سمعاً لطيفاً وبصراً حاداً وحواس دراكة وقلباً ذكياً وفهماً ثاقباً وذهناً صافياً وفكراً لطيفاً ولساناً فصيحاً وعقلاً رصيناً، وبنية تامة وصورة حسنة وأعضاء صحيحة وأدوات كاملة وجوارح طائعة، ثم ألهمتك الكلام والمقال، وعرفتك المنافع والمضار، وكيفية التصرّف في الأفعال والصنائع والأعمال، وكشفت الحجب عن بصرك، وفتحت عينيك لتنظر إلى ملكوتي، وترى مجاري الليل والنهار والأفلاك الدوارة والكواكب السيارة، وعلمتك حساب الأوقات والأزمان والشهور والأعوام والأيام، وسخرت لك ما في البر والبحر من المعادن والنبات والحيوان تتصرف فيها تصرف الملاك وتتحكم فيها تحكم الأرباب، فلما رأيتك متعدياً جائراً باغياً خائناً طاغياً متجاوزاً الحد والمقدار، عرفتك الحدود والأحكام والقياس والمقدار والإنصاف والحق والصواب والخير والمعروف والسيرة العادلة ليدوم لك الفضل والنعم ويصرف عنك العذاب والنقم، وعرضتك لما هو خير لك وأفضل وأشرف وأعز وأكرم وألذ وأنعم، ثم أنت تظن بي ظنون السوء وتتوهم على غير الحق. يا عبدي إذا تعذر عليك فعل شيء مما أمرتك به فقل: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم كما قالت حملة العرش لما ثقل عليهم حمله، وإذا أصابتك مصيبة فقل: إنا لله وإنا إليه راجعون كما يقول أهل صفوتي ومودتي، وإذا زلت بك القدم في معصيتي فقل ما قال صفيي آدم وزوجته: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وإذا أشكل عليك أمر وأهمك رأي أو أردت رشداً وقولاً صواباً فقل كما قال خليلي إبراهيم: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]. وإذا أصابتك مصيبة فقل كما أعلمتك فيما أنزله عليك من قول يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦] وإذا جرت منك خطيئة فقل كما قال موسىٰ عليه السلام: ﴿هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥] وإذا صرفت عنك معصية فقل كما قال يوسف عليه السلام: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣] وإذا ابتلاك الله ببلية فافعل ما ذكر الله عن داود عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] وإذا رأيت العصاة من خلق الله والخاطئين من عباده ولم تدر ما حكم الله فيهم فقل كما قال عيسىٰ عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ

ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] وإذا استغفرت الله وطلبت عفوه فقل كما قال ويقول محمد ﷺ وأنصاره: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وإذا خفت عواقب الأمور ولم تدر ماذا يختم لك فقل كما يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٨ ـ ٩].

وصية في موعظة: دخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة في يوم حار وبلال في جيشة وعنده الثلج فقال بلال: يا أبا عبد الله كيف ترى بيتنا هذا؟ قال: إن بيتك لطيب والجنة أطيب منه وذكر النار يلهي عنه قال: ما تقول في القدر؟ قال: جيرانك أهل القبور ففكر فيهم فإن فيهم شغلاً عن القدر، قال: ادع لي، قال: وما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا كل يقول إنك ظلمته يرتفع دعاؤهم قبل دعائي لا تظلم ولا تحتاج إلى دعائي.

ومن كلام الحسن البصري: ما لي أرى رجلاً ولا أرى عقولاً أرى أناساً ولا أرى أنيساً دخلوا ثم خرجوا عرفوا ثم أنكروا. ومن كلامه أيضاً رضي الله عنه: عجباً لقوم أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل وحبس أولاهم على أخراهم وهم قعود يلعبون، يا ابن آدم السكين تحد والتنور يسجر والكبش يعلق كفى بالتجارب تأديباً وبتقلب الأيام عظة وبذكر الموت زاجراً عن المعصية، ذهبت الدنيا بحال بالها وبقيت الأيام قلائد في الأعناق، إنكم تسوقون الناس والناس تسوقكم وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون؟ أتنتظرون المعاينة فكان قد.

ومن كلام عمر بن عبد العزيز: إن لكل سفر زاداً لا محالة، فتزوّدوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله من ثوابه وعقابه وترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، فوالله ما يبسط أملاً من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه، وربما كانت بين ذاك خطفات المنايا، فكم رأيتم ورأينا من كان بالدنيا مغتراً وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من آمن من الأهوال يوم القيامة فأما من لا يداوي كلماً إلاَّ أصابه جرح من ناحية أخرى نعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي، لقد عنيتم بأمر لو عنت به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لتشققت، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صائرون إلى إحداهما.

ومن وصاياه في مواعظه رضي الله عنه: إن الله عزّ وجلّ لم يخلقكم عبثاً ولم يدع شيئاً من أموركم سدى إن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم والقضاء بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله عزّ وجلّ، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض، فاشترى قليلاً بكثر وفانياً بباق وخوفاً بأمن، ألا تروا أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين، في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تقبره في صدع من الأرض في بطن صدع ثم تدعوه غير ممهد ولا موسد،

قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب، مرتهناً بعمله فقيراً إلى ما قدم غنياً عمّا ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت، وأيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب ما أعلم عندي، وما يبلغني عن أحد منكم حاجة إلاّ أحببت أن أسدّ من حاجته ما قدرت عليه، وما يبلغني أن أحداً منكم لا يسعه ما عندي إلاّ وددت أن يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا وعيشه، وأيم الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكن سبق من الله كتاب ناطق وسنّة عادلة دلّ فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته، ثم وضع طرف ردائه على وجهه وشهق وبكى الناس.

وصية: وعليك بالاقتداء برسول الله ﷺ في أحواله وأقواله وأفعاله إلاّ ما نص عليه أنه مختص به ممّا لا يجوز لنا أن نفعله أو خاطب به أحداً من الناس أن يفعله ونهى غيره عن ذلك. بزق رجل في النيل بحضور ذي النون المصري فقال: تعست يا بغيض تبزق على نعمة الله وكان ذو النون في ذلك الوقت في مشاهدة النعم الإلهية التي أحوجنا إليها فلذلك حكم عليه حاله فنطق بما نطق به. كان شيخنا أبو مدين وقع بينه وبين أبي الحسن بن الدقاق وكان ابن الدقاق ممّن يغشاه ويحضر مجلسه فانقطع عن حضور مجلسه لأجل ذلك فاستدعاه الشيخ أبو مدين وقال له: يا أبا الحسن ما شأنك انقطعت؟ إن شيطاني خاصم شيطانك ونحن على ودّنا كما كنا ما تغيرنا ولا ندخل أنفسنا بينهما فتذكر أبو الحسن وقبل وصية الشيخ واستغفر الله ورجع إلى حضور مجلسه.

وصية بمكاتبة: اعتل رجل من إخوان ذي النون فكتب إليه أن يدعو له فكتب إليه ذو النون: سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل عنك النعم. واعلم يا أخي أن العلة مجزاة يأنس بها أهل الصفاء والهمم والضياء في الحياة ذكرك للشفاء ومن لم يعد البلاء نعمة فليس من الحكماء ومن لم يأمن الشفيق على نفسه فقد أمن أهل التهمة على أمره فليكن معك يا أخي حياء يمنعك عن الشكوى والسلام: وقال بعضهم: كتبت إليّ تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به حال وأنا من بين خلال موجعات أبكاني منهن أربع: حب عيني للنظر ولساني للفضول وقلبي للرياسة وإجابتي إبليس عدوّ لله فيما يكره الله. وأقلقني منها عين لا تبكي من الذنوب المنتنة وقلب لا يخشع عند نزول الموعظة وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا ومعرفة كلما قلبتها وجدتني بالله أجهل وأضناني منها أني عدمت خير خصال الإيمان الحياء وعدمت خير زاد الآخرة التقوى، وفنيت أيامي بمحبة الدنيا وتضييعي قلباً لا أقتني مثله أبداً وودّعه إنسان، فقال له: قل لأبي يزيد إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة؟ فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة، فقال ذو النون: هنيئاً له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا، وكان العلماء يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث: من أحسن سريرته أحسن الله علانيته، ومن أصلح آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

وكتب رجل إلى عالم: ما الذي أكسبك علمك من ربك وما أفادك في نفسك ودينك؟

فكتب إليه العالم: أثبت العلم الحجة وقطع عمود الشك والشبهة وشغلت أيام عمري بطلبه ولم أدرك منه ما فاتني، فكتب إليه الرجل: العلم نور لصاحبه ودليل على حظه ووسيلة إلى درجات السعداء، فكتب إليه العالم: أبليت إليه في طلبه جد الشباب فأدركني حين علمت الضعف عن العمل به ولو اقتصرت منه على القليل كان لي فيه مرشد إلى السبيل، كان شيخنا أبو عبد الله المجاهد وشيخنا تلميذه أبو عبد الله بن قشوم نائبه في التدريس والإمامة لا يبرح الورق والمداد والقلم معهما يكتبان كل يوم ما قدر لهما من العلم رغبة أن يحشرا غداً عند الله من طلاب العلم.

وصية: دخل رجل على عبد الملك بن مروان ممّن كان يوصف بالفضل والأدب فقال له عبد الملك بن مروان تكلم قال: بما أتكلم وقد علمت أن كل كلام يتكلم به المتكلم وبال عليه إلاّ ما كان لله، فبكى عبد الملك ثم قال: يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن للناس في القيامة جولة لا ينجو من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلاّ من أرضى الله بسخط نفسه، قال: فبكى عبد الملك ثم قال: لا جرم والله لأجعلن هذه الكلمات مثالاً نصب عيني ما عشت أبداً.

وصية مشفق ناصح عند أمير صالح: لما قدم عمر بن هبيرة العراق والياً أرسل إلى الحسن والشعبي فأمر لهما ببيت فكانا فيه شهراً أو نحوه، ثم أن الخصي غدا عليهما ذات يوم فقال: إن الأمير داخل عليكما فجاء عمر متوكئاً على عصا له فسلم ثم جلس معظماً لهما فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إليّ كتباً أعرف أن في إنفاذها الهلك فإن أطعته عصيت وإن عصيته أطعت الله فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجاً؟ فقال الحسن للشعبي: يا أبا عمرو أحب الأمير فتكلم الشعبي بكلام يريد به إبقاء وجه عنده فقال ابن هبيرة: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أيها الأمير قد قال الشعبي ما قد سمعت قال: ما تقول أنت؟ قال: أقول يا عمرو بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالىٰ فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من قصرك إلى ضيق قبرك، يا عمرو بن هبيرة إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله إن أطعته وعصيت الله، يا عمرو بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك فيغلق باب المغفرة دونك، يا عمرو بن هبيرة لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة كانوا عن الدنيا وهي مقبلة أشدّ إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمرو بن هبيرة إني أخوّفك مقاماً خوفكه الله فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] يا عمرو بن هبيرة إن تكن مع الله في طاعته كفاك يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه، فبكى عمرو بن هبيرة وقام بعبرته، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما فأكثر جائزة الحسن وأنقص جائزة الشعبي فخرج الشعبي إلى المسجد فقال: أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفعل فو الذي نفسي بيده ما علم الحسن منه شيئاً فجهلته ولكني أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه. قلت: وكتبت إلى عزّ الدين

كيكاوس سلطان بلاد الروم جواب كتاب كتب به إليّ من أنطالية وكنت مقيماً بملطية: [الطويل]

كَـتَـبْـتُ كـتـابـي والـدُّمُـوعُ تَـسِـيـلُ ... ومـا لـي إلـى مـا أرْتَـضِـيـهِ سَـبـيـلُ
أريـدُ أرى ديـنَ الـنـبـيّ مُـحَـمَّـدٍ ... يُـقـامُ وديـنَ الـمُـبْـطِـلِـيـنَ يَـزُولُ
فـلـم أرَ إلاّ الـزُّورَ يَـعْـلُـو وأهْـلَـهُ ... يَـعـزُّونَ والـدّيـن الـقـويـم ذلـيـلُ
فـيـا عـزّ ديـن الله سَـمْـعـاً لـنـاصـحٍ ... شَـفِـيـقٍ فـنـصـاح الـمـلـوك قـلـيـلُ
وحـاذرْ بـتـأيـيـد الإلـه بـطـانـةً ... تـشـيـرُ بـأمْـرٍ مـا عـلـيـه دلـيـلُ
لـيَـنْـمَـى بـيـتُ الـمـال والـبـيـتُ سـاقـطٌ ... فـجُـدْ وتـوكَّـلْ فـالإلـهُ كَـفِـيـلُ

وصية بمراقبة الألفاظ المسموعة: بلغني أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة أخذ أقطاع أمير كبير كان أقطعه إياها سليمان بن عبد الملك والوليد بن عبد الملك فلما مات عمر بن عبد العزيز وولي يزيد بن عبد الملك جاء الأمير إليه فقال له: إن أخاك سليمان أمير المؤمنين والوليد أقطعاني شيئاً قطعه عني أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فأريد منك أن ترده علي، فقال: لا أفعل، قال: ولم؟ قال: لأن الحق في ما فعل عمر بن عبد العزيز، قال: وبم ذلك؟ قال: لأن أخوي أحسنا إليك وذكرتهما وما دعوت لهما وعمر بن عبد العزيز أساء إليك وذكرته فترضيت عنه فعلمت أن عمر آثر الله على هواه فيك، وأن سليمان بن عبد الملك والوليد آثرا هواهما على حق الله فوالله لا رأيته مني أبداً. وهذا من أحسن ما يحكى من التفاتات ولاة الأمور.

وصية في موعظة: قال سعيد بن سليمان: كنت بمكة وإلى جانبي عبد الله بن عبد العزيز العمري وقد حجّ هارون الرشيد فقال له إنسان: يا أبا عبد الله هوذا أمير المؤمنين يسعى وقد أخلي له المسعى، قال العمري للرجل: لا جزاك الله عني خيراً كلفتني أمراً كنت عنه غنياً ثم قام فتبعته فأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به: يا هارون. فلما نظر إليه قال: لبيك يا عمري، قال: ارق الصفا لما رقيته قال: ارم بطرفك إلى البيت، قال هارون: قد فعلت، قال: كم هم؟ قال: ومن يحصيهم؟ قال: فكم في الناس مثلهم؟ قال: خلق لا يحصيهم إلاّ الله، قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون، قال: فبكى هارون وجلس وجعل يعطونه منديلاً منديلاً للدموع، فقال العمري: وأخرى أقولها، قال: قل يا عم والله إن الرجل ليسرع في ماله فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرع في مال المسلمين؟ ثم مضى وهارون يبكي، قال البغوي: فبلغني أن هارون الرشيد كان يقول: إني لأحب أن أحجّ كل سنة ما يمنعني إلاّ رجل من ولد عمر يسمعني ما أكره.

وصية نبوية في موعظة إلهية: قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ الله تَعالَىٰ: يا ابْنَ آدَمَ كُلُّ يَوْمٍ نَرْزُقُكَ وَأَنْتَ تَحْزَنُ وَيَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عُمُرِكَ وَأَنْتَ تَفْرَحُ أنت فِيما يَكْفِيكَ وَتَطْلُبُ مَا يُطْغِيكَ لا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ وَلا بِكَثِيرٍ تَشْبَعُ**».

وصية: حجّ أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور فبينما هو يطوف بالبيت ليلاً إذ سمع قائلاً

يقول: اللهمّ إنا نشكوا إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع، فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد ثم أرسل إلى الرجل فصلّى ركعتين ثم استلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة فقال له المنصور: ما الذي سمعتك تذكر؟ قال: إن أمنتني يا أمير المؤمنين أعلمتك بالأمور من أصولها وإلاّ اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل، قال: فأنت آمن على نفسك، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وأبواباً من الحديد وحراساً معهم سلاح ثم سجنت نفسك منهم وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها وأمرت أن لا يدخل عليك من الناس إلاّ فلان وفلان ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف إليك ولا أحد إلاّ وله في هذا المال حق، فلما رآك النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا دونك تجني الأموال وتجمعها قالوا: هذا خان الله فما لنا لا نخونه فأتمروا ألا يصل إليك من علم أخبار الناس إلاّ ما أحبوه، ولا يخرج لك عامل إلاّ خونوه عندك وعابوه حتى تسقط منزلته عندك، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم، وكان أوّل من صانعهم عاملك بالهدايا والأموال ليبقوا بذلك عمالك على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو المقدرة والأموال من رعيتك ليصلوا إلى ظلم من دونهم فامتلأت بلاد الله بغياً وفساداً وصار هؤلاء القوم شركاءك وأنت غافل، فإن جاء متظلم حيل بينك وبينه، وإن أراد رفع قضيته إليك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك المتظلم وبلغ بطانتك خيره سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث ويدفعه فإذا جهد وخرج ظهر لك وصرخ بين يديك فضرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره وأنت تنظر فلا تنكر فما بقاء الإسلام على هذا، قال: فبكى المنصور بكاء شديداً وقال: ويحك كيف أحتال لنفسي؟ قال: يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاماً يفزعون إليهم في دينهم ويرضون بهم في دنياهم وهم العلماء وأهل الديانة فاجعلهم بطانتك يرشدوك وشاورهم يسددوك، فقال: قد بعثت إليهم فهربوا مني، فقال: خافوا أن تحملهم على طريقتك ولكن افتح بابك وسهّل حجابك وانصر المظلوم واقمع الظالم وخذ الفيء والصدقات على وجوهها وأنا ضامن عنهم أنهم يأتونك ويساعدونك على صلاح الأمة، ثم أذن بالصلاة فقام يصلي وعاد إلى مجلسه ثم طلب الرجل فلم يجده.

وصايا نبوية: رويناها من حديث الهاشمي يبلغ بها النبي ﷺ أنه قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ أَقبِلُوا عَلَى ما كُلِّفْتُمُوهُ مِنْ إِصْلاحِ آخِرَتِكُمْ وَأَعْرِضُوا عَمَّا ضمنَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ وَلا تَسْتَعْمِلُوا جَوَارِحَ غُذِيَتْ بِنِعْمَتِهِ فِي التَّعَرُّضِ لِسَخَطِهِ بِمَعْصِيَتِهِ وَاجْعَلُوا شُغْلَكُمُ الْتِمَاسَ مَغْفِرَتِهِ وَاصْرِفُوا هِمَمَكُمْ إِلى التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ إِنَّهُ مَنْ بَدَأَ بِنَصِيبِهِ مِنَ الدُّنْيَا فَاتَهُ نَصِيبُهُ مِنَ الآخِرَةِ وَلاَ يُدْرِكُ مِنْهَا ما يُرِيدُ، وَمَنْ بَدَأَ بِنَصِيبِهِ مِنَ الآخِرَةِ وَصَلَ إِلَيْهِ نَصِيبُهُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَدْرَكَ مِنَ الآخِرَةِ ما يُرِيدُ**».

وصية منظومة من ذي علم في الاعتذار: [الوافر]

إذا اعـتـذَرَ الـصَّـديـقُ إلـيـك يَـوْمـاً مـن الـتَّـقـصِـيـرِ عُـذْرَ أخٍ مُـقِـرِّ
فـصُـنْـهُ عـن عـتـابـك واعـفُ عـنـه فـإن الـعَـفْـوَ شـيـمـةُ كـل حُـرِّ

وصايا إلهية: يقول الله تعالىٰ: يا ابن آدم إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كفرتني، أنفق أنفق عليك أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحرّكت بي شفتاه لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، إن خافني في الدنيا لم يخف في الآخرة وإن أمنني في الدنيا لم يأمن في الآخرة، أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي، أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا دعاني، يقول الله لأهون أهل النار عذاباً لو أن لك ما في الأرض من غنى كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلاّ الشرك، الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما أدخلته النار إن هذا دين ارتضيته لنفسي لا يصلحه إلاّ السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه، يا موسى: إنك لن تتقرب إليّ بشيء أحب إليّ من الرضى بقضائي، ولن تعمل عملاً أحفظ لحسناتك من النظر في أمورك، يا موسىٰ: لا تتضرّع إلى أهل الدنيا فأسخط عليك ولا تجد بدينك لدنيا فأغلق أبواب رحمتي، يا موسىٰ: قل للؤمنين التائبين أبشروا وقل للمؤمنين المخبتين اجتنبوا وأحسنوا، أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من رجا غيري لم يعرفني ومن لم يعرفني لم يعبدني ومن لم يعبدني فقد استوجب سخطي ومن خاف غيري حلّت به نقمتي، يا موسىٰ: خف ثلاثة: خفني وخف نفسك وخف من لا يخافني. يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان ولا أبالي. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة، إذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم، يقول الله: ذكرني عبدي، وإذا قال: الحمد لله رب العالمين، يقول الله: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، يقول الله: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: ملك يوم الدين، يقول الله: مجدني عبدي وفوّض إليّ عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، يقول الله: هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، وإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، يقول الله: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال آمين، يقول الله: قد أجبت. الإخلاص سرّ من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي، إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا يعني عينيه لم يكن له جزاء عندي إلاّ الجنة.

قال رسول الله ﷺ: «**يَخرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَحْمِلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ وَيَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ**»، يقول الله: أبي يفترون أم عليّ يجترئون فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيران، قال رسول الله ﷺ: يجاء يوم القيامة بابن آدم كأنه بدج فيوقف بين يدي الله تعالىٰ فيقول الله أعطيتك وخوّلتك وأنعمت عليك فماذا صنعت؟ فيقول: جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان

فارجعني، فيقول: أرني ما قدمت فيقول: يا رب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعني آتك به، فإذا عبد لم يقدّم خيراً فيمضى به إلى النار. يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسدّ فقرك، وإن لا تفعل أملأ يديك شغلاً ولم أسد فقرك. يا ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجو من أملك وقصرت من حرصك وحيلك وابتغيت الزيادة من عملك وإنما تلقى الندم لو قد زلّت بك القدم وأسلمك الأهل والحشم وانصرف عنك الحبيب وأسلمك القريب فلا أنت إلى أهلك عائد ولا في عملك زائد فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة. وقال الله: إنما أتقبل الصلاة ممّن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزّتي وأستحفظه ملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة علماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة. يا موسىٰ إني أعلمك خمس كلمات هن عماد الدين ما لم تعلم أن قد زال ملكي فلا تترك طاعتي، وما لم تعلم أن خزائني نفدت فلا تهتم برزقك، وما لم تعلم أن عدوّك قد مات فلا تأمن فاجئته ولا تدع محاربته، وما لم تعلم أني قد غفرت لك فلا تعب المذنبي، وما لم تدخل جنتي فلا تأمن مكري. قال رسول الله ﷺ: قال موسىٰ: يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعك به، قال: يا موسىٰ قال لا إله إلاّ الله، قال موسىٰ: يا رب كل عبادك يقول هذا، قال قل: لا إله إلاّ الله، قال: لا إله إلاّ أنت إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسىٰ لو أن السموات السبع وعمارهن والأرضين السبع في كفة ولا إلا إلاّ الله في كفة مالت بهن لا إله إلاّ الله، يقول الله لمحمد ﷺ: يا محمد أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلاّ صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد إلاّ سلمت عليه عشراً. وقال الله: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، وللمتجالسين فيّ، والمتباذلين فيّ، والمتزاورين فيّ يقول الله عزّ وجلّ، يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي يا دنيا من خدمك. وقال الله إن عبداً أصححت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أيام لا يفرّ إليّ لمحروم.

وقال رسول الله ﷺ «**إن الله سيخلص رجلاً من أمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له أتنكر من هذا شيئاً أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: فلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندي حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم قال: فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء**».

وقال رسول الله ﷺ: «**يُوقَفُونَ ـ يعني الملائكة ـ بَيْنَ يَدَي الله وَيَشْهَدُونَ ـ يَعْنِي لِلْعَبْدِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ المُخْلِصِ للّهِ ـ فيقولُ الله لَهُمْ: أَنْتُمُ الحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى ما فِي قَلْبِهِ إنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهٰذا العَمَلِ وَأَرَادَ بِهِ غَيْرِي فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي**». وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله**

إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إلى العِبَادِ لِيَقْضِي بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يُدْعَى بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ فَيَقُولُ الله لِلْقَارِيء: أَلَمْ أَعَلِّمْكَ ما أَنْزَلْتُهُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فماذا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قال: كنتُ أقومُ به آناءَ اللَّيلِ وَآناءَ النَّهارِ فيَقُولُ الله لَهُ: كَذَبْتَ وتقولُ الملائكةُ له كذبتَ، ويقولُ الله: إنما قرأتَ لِيقالَ فلانٌ قارىءٌ فقد قيلَ ذلكَ. وَيُؤتى بصاحبِ المَالِ فيقولُ الله لَهُ: أَلَمْ أَوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إلى أحدٍ؟ قال: بَلَى يا ربِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ فيقولُ الله لَهُ: كذبت، وتقولُ له الملائكة: كذبتَ، ويقول الله لَهُ: بل أردت أن يقالَ فلانٌ جَوَادٌ فَقِيلَ ذلكَ. وَيُؤتى بالَّذِي قُتِلَ في سبيلِ الله فيقولُ الله: فيماذا قُتِلْتَ؟ فيقولُ: أَمِرْتُ بالجهادِ في سبيلك فقاتلتُ حتى قُتِلْتُ، فيقول الله له: كذبتَ، وتقول له الملائكةُ: كذبتَ، ويقولُ الله له: بل أردتَ أن يقالَ فلان جَرِيءٌ فقد قِيلَ ذلك. ثم ضَرَبَ رسول الله ﷺ على ركبة أبي هريرة وقال: يا أبا هريرة أولئكَ الثلاثةُ أوَّلُ مَنْ تُسعَّرُ بهمُ النارُ يومَ القيامة» فكان أبو هريرة إذا حدّث بهذاالحديث يغشى عليه. يقول الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]: [الرمل]

كم تَمَنَّيْتُ فأحْسَنْتُ المَقَالْ ... وفعلتُ الخَيْرَ جَهْراً لِيُقَالْ
فإذا واسَيْتُ يوماً سائلاً ... أطْلُبُ الشُّكْرَ عليها لِيُقَالْ
وإذا قَاتَلْتُ يوماً كافراً ... أطْلُبُ الذِّكْرَ عليه لِيُقَالْ
وإذا ما صُمْتُ يوماً صائفاً ... أشتكي الجُوعَ عَشِيّاً ليقالْ
وإذا صليتُ والناسُ معي ... أَتَأَنَّى في صلاتي ليقالْ
وأنا في خُلْوَتي أنْقُرُها ... حيث لا أخْشَى عليها أن يقالْ
عَمَلي عُجْبٌ وصُنْعٌ وريَا ... يا لها من عَثَرَاتٍ لا تُقَالْ
فاهْجُروني واطْرُدُوني عنكمُ ... إن أحمالي وأوزاري ثِقَالْ
نسألُ الله تعالىٰ توبة ... خالص الصدق له لا ليقالْ

وصية اعتبار لأحد الأبرار: بلغني أن عمر بن عبد العزيز شيع جنازة فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليّها تأخرت عنها وتركتها فقال: نعم ناداني القبر من خلفي يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألني ما صنعت بالأحبة؟ قلت: بلى، قال: حرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصصت الدم وأكلت اللحم، قال، ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟ قلت بلى قال: نزعت الكفين من الذراعين والذراعين من العضدين والعضدين من الكتفين والوركين من الفخذين والفخذين من الركبتين والركبتين من الساقين والساقين من القدمين ثم بكا عمر ثم قال: ألا إن الدنيا بقاؤها قليل وعزيزها ذليل وغنيها فقير وشابها يهرم وحيّها يموت فلا يغرّنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها، فالمغرور من اغترّ بها، أين سكانها الذين بنوا مدائنها وشققوا أنهارها وغرسوا أشجارها وأقاموا فيها أياماً يسيرة غرتهم بصحتهم فاغتروا وبنشاطهم فركبوا المعاصي، إنهم

كانو والله في الدنيا مغبوطين بالأموال على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه، ماذا صنع التراب بأبدانهم والرمل بأجسادهم والديدان بعظامهم وأوصالهم؟ كانوا في الدنيا على أسرة ممهدة وفرش منضودة بين خدم يخدمون وأهل يكرمون وجيران يعضدون، فإذا مررت فنادهم إن كنت منادياً ومرّ بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم واسأل غنيهم ما بقي من غناه واسأل فقيرهم ما بقي من فقره، واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون، واسألهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان؟ محت الألوان وأكلت اللحمان وعفرت الوجوه ومحت المحاسن وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء، وأين حجابهم وقبابهم وأين خدمهم وعبيدهم وجمعهم ومكنونهم؟ والله ما فرشوا فراشاً ولا وضعوا هناك متكأ ولا غرسوا لهم شجراً ولا أنزلوهم من اللحد قراراً، أليسوا في منازل الخلوات والفلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الأحبة، فكم من ناعم وناعمة أصبحوا ووجوههم بالية، وأجساد لهم من أعناقهم نائية، وأوصالهم متمزقة، وقد سألت الحدقات على الوجنات وامتلأت الأفواه دماً وصديداً، ودّبت دواب الأرض في أجسادهم ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا والله إلاّ يسيراً حتى عادت العظام رميماً قد فارقوا الحدائق وصاروا بعد السعة إلى المضائق، قد تزوّجت نساؤهم وترددت في الطرق أبناؤهم، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم، فمنهم والله الموسع له في قبره الغض الناضر فيه المتنعم بلذته، يا ساكن القبر غداً ما الذي غرّك من الدنيا هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك، أين دارك الفيحا ونهرك المطرد؟ وأين ثمرتك المحاضرة ينعها؟ وأين رقاق ثيابك؟ وأين طيبك؟ وأين بخورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلاً وهو يرشح عرقاً ويتلمظ عطشاً يتقلب في سكرات الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء وجاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر الأجل ما لا يمتنع منه، هيهات يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله، يا مكفن الميت وحامله، يا مخليه في القبر وراجعاً عنه، ليت شعري كيف كنت على خشونة الثرى؟ ليت شعري بأي خديك تبدى البلى؟ وأي عينيك إذن سالا؟ يا مجاور الهلكات صرت في محل الموتى، ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتيني به من رسالة ربي؟ ثم تمثل: [الطويل]

تُسَرُ بما يَفْنَى وتُشْغَلُ بالمُنَى ... كما اغْتَرَّ باللّذات في النوم حالمُ
نهارُك يا مَغْرُورُ سهو وغَفْلَةٌ ... ولَيْلُكَ نومٌ والرَّدَى لك لازمُ
وتعمل شيئاً سوف تكرهُ غِبَّهُ ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

ثم انصرف فما بقي بعد ذلك إلاّ جمعة، ومات رضي الله عنه. ومن نظمنا في ذلك: [الرمل]

شَابَ فؤادي وشَبَّ الأمَلُ ... ومَضَى العُمْرُ وجاء الأجَلُ
عَسْكَرُ المَوْتَى لنا منتظرٌ ... فإذا صِرْنا إليهم رَحَلوا

ليت شِعْري ليت شِعْري هل دَرَوْا أنَّني بعدهم مشتغلُ
في فنون اللَّهْو أَفْنَى طَرَباً غافلٌ عما له أنتقِلُ

ولنا في هذا المعنى أيضاً: [الكامل]

ضمّتْ لنا آرامُنا الآراما فكأنَّ ذاك العيش كان مَنَامَا
يا واقفين على القُبُورِ تَعَجَّبُوا من قائمين كيف صاروا نِيَامَا
تحت التراب مُوَسّدِين أكُفَهم قد عاينوا الحسنات والأجْرَاما
لا يُوقَظُون فيخبرون بما رَأوْا لا بدّ من يوم تكون قيامَا

ورأيت على قبر أبياتاً وهي على لسان صاحبه: [الخفيف]

أيها الناسُ كان لي أَملُ قَصَّرَ بي عن بلوغه الأجَلُ
فلْيَتَّق الله رَبَّهُ رَجُلٌ أمْكَنَهُ في حياته العَمَلُ
ما أنا وحدي نُقِلْتُ حيث تَرَوْا كُلٌّ إلى مثله سَيَنْتَقِلْ

ورأيت أيضاً مكتوباً على قبر: [الرجز]

يَا مَنْ بدُنْيَاهُ اشْتَغَلْ وغَرَّهُ طُولُ الأَمَلْ
ولَمْ يَزَلْ في غَفْلَةٍ حَتَّى دَنَا منه الأجَلْ
المَوْتُ يأتي بَغْتَةً والقَبْرُ صُنْدُوقُ العَمَلْ

ورأيت مكتوباً على قبر أم ابن البسيلي وكان ابنها من أصدقائي وقد علاه وشيّده وأنفق على بنائه مالاً كثيراً، فكتب شخص من أصحابنا أبياتاً عليه لبعضهم يخبر عن صورة الحال وهي: [الوافر]

أرى أهْلَ القُصُور إذا تُوُفُّوا بَنَوْا تلك المقابر بالصُّخُور
أَبَوْا إلاّ مباهاةً وفَخْراً على الفقراء حتى في القُبُور
فإن يَكُن التَّفَاضُلُ في ذُراها فإن العَدْلَ منها في القُعُور
لَعَمْرُ أَبِيهِمُ لو أبرزوهم لما علموا الغَنِيَّ من الفَقير
ولا عرفوا العَبِيدَ من المَوَالي ولا عرفوا الإناث من الذُّكُور
ولا البَدَنَ المُلبَّسَ ثَوْبَ صُوفٍ ولا البَدَنَ المُنَعَّمَ في الحَرِير
إذا ما مات هذا ثُمَّ هذا فما فَضْلُ الغَنِيِّ على الفَقِير

وكان على قبر مكتوباً بمدينة سلا منقطع التراب بيتان على لسان صاحب القبر: [مجزوء الكامل]

ولقد نَظَرْتَ كما نَظَرْتُ ولقد نَظَرْتُ فما اعْتَبَرْتُ
فانْظُرْ لنفسك سَيِّدي قبل الحصول كما حَصَلْتُ

وصية سنية من ذي همة علية: [البسيط]

لا تَضْرَعَنَّ لمخلُوقٍ على طمَعٍ فإن ذاك مُضِرٌّ منك بالدِّينِ
واسْتَرْزِقِ اللَّهَ رزقاً من خزائنه فإنما هو بَيْنَ الكاف والنُّونِ

وفي هذا المعنى قال أبو حازم الأعرج لعض الخلفاء وقد سأله الخليفة: ما بالك يا أبا حازم؟ فقال: الرضى عن الله والغنى عن الناس: [البسيط]

للناس مالٌ ولي مالان ما لهما ... إذا يُحارِسُ أهلَ المال حُرَّاسُ
مالي الرِّضَى بالذي أصبحتُ أملكُهُ ... وما لي اليأسُ مما يملكُ الناسُ

قال له خاله هشام بن عبد الملك لما ولي البحرين: ما طعامك يا أبا حازم؟ قال: الخبز والزيت، قال: أفلا تسأمهما؟ قال: إذا سأمتهما تركتهما حتى أشتهيتهما.

وصية: إلهية مذكرة ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]: [الطويل]

وما هذه الأيامُ إلاَّ مُعَارة ... فما استطعت من مَعْرُوفِهِ فتَزَوَّدِ
فإنك لا تَدْري بأيةِ بَلْدَةٍ ... تموتُ ولا ما يُحْدِثُ الله في غَدِ
يقولون لا تَبعُدْ ومن يَكُ بُعْدُهُ ... ذراعَينِ من قُرْبِ الأحبَّةِ يَبْعُدِ

وصية من امرأة من ولد حسان بن ثابت: [الطويل]

سَلِ الخَيْرَ أهْلَ الخَيْرِ قُدْماً ولا تَسَلْ ... فَتَى ذَاقَ طَعْمَ العَيْشِ منذ قُرِيبِ

وصية مجنون عاقل قالها عند خليفة غافل: حجّ هارون الرشيد راجلاً من أجل يمينه حين حنث فقعد يستريح في ظلّ ميل فمرّ به بهلول المجنون وكان في الركب فقال له: يا أمير المؤمنين: [مجزوء الوافر]

هَبِ الدُّنْيَا تُوَاتِيكَا ... أليس الموتُ يأتِيكَا
ألا يا طالب الدنيا ... دَع الدُّنْيا لشَانيكا
إلى كم تطلب الدنيا ... وظَلُّ الميل يكفيكا

وصية حكيم في صفة الحميم: قيل لخالد بن صفوان: أيّ الإخوان أحبّ إليك؟ قال: الذي يغفر زلتي ويسدّ خلتي ويقيل علتي. وكتب رجل إلى صديق له: إني وجدت المودة منقطعة ما كانت الحشمة منبسطة وليس يزيل سلطان الحشمة إلاّ المؤانسة، ولا تقع المؤانسة إلاّ بالبرّ والملاطفة. بتنا ليلة عند أبي الحسين بن أبي عمرو بن الطفيل بإشبيلية سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكان كثيراً ما يحتشمني ويلتزم الأدب بحضوري، وبات معنا أبو القاسم الخطيب وأبو بكر بن سام وأبو الحكم بن السراج وكلهم قد منعهم احترام جانبي الإنبساط ولزموا الأدب والسكون، فأردت أعمل الحيلة في مباسطتهم فسألني صاحب المنزل أن يقف على شيء من كلامنا فوجدت طريقاً إلى ما كان في نفسي من مباسطتهم فقلت له: عليك من تصانيفنا بكتاب سميناه الإرشاد في خرق الأدب المعتاد فإن شئت عرضت عليك فصلاً من فصوله فقال لي: أشتهي ذلك، فمددت رجلي في حجره وقلت له: كبسني ففهم عني ما قصدت وفهمت الجماعة فانبسطوا وزال ما كان بهم من الانقباض والوحشة وبتنا بأنعم ليلة في مباسطة دينية. إفصاح بغالب الأحوال ممّن يعدّ من الأبدال: قال الحسن البصري: ما أعطى رجل شيئاً من الدنيا إلاّ قيل له خذه ومثله من الحرص. وقال: أشدّ الناس صراخاً يوم القيامة

رجل سنّ ضلالة فاتبع عليها، ورجل سيىء الملكة، ورجل فارغ استعان بنعم الله على معاصيه.

وصية: يا وليّ راقب إيمانك وأضف إلى حسن صورته زينة العلم فإذا زينته به ظهر بصورة لم يكن عليها من الحسن، فإذا أعجبك فأضف إليه زينة العمل بالعلم فتزيد حسناً إلى حسن، فإذا تعشقت بصورة العمل لما ترى من حسنها ربما أدّاك ذلك إلى أن تحمل النفس فوق طاقتها فزيّن العمل بالرفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، وقد قيل: ما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم، وإذا سبّك إنسان فانظر فيما سبّك به فإن كان ما سبّك به صفة فيك فلا تلمه فما قال إلاّ حقاً وَلِمْ نفسك وأزل عنها تلك الصفة المذمومة واشكره على ما ظهر منه فلقد بالغ في نصحك وإن لم يقصده ولكن الله أنطقه فارع له ذلك، وإن سبّك بما ليس فيك فخذ ذلك منه تذكرة وتحذيراً يحذرك بما ذكره أن تذكره لئلا تتصف به فيما تستقبله من زمانك فقد نصحك على كل حال فإن صدق فيما قال فقل: غفر الله لي ولك وللمسلمين، وإن كذب فيما قال فقل: غفر الله لك فلقد نبهتني على أمر ربما لولا تنبيهك وقعت فيه وأنشده: [الطويل]

هَنِيئاً مَرِيئاً غيرِ داءٍ مُخَامِرٍ ... لِعَزَّةَ من أعْراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ

كانت لي كلمة مسموعة عند بعض الملوك وهو الملك الظاهر صاحب مدينة حلب رحمه الله غازي ابن الملك الناصر لدين الله صلاح الدين يوسف بن أيوب فرفعت إليه من حوائج الناس في مجلس واحد مائة وثمان عشرة حاجة فقضاها كلها وكان منها أين كلمته في رجل أظهر سرّه وقدح في ملكه وكان من جملة بطانته وعزم على قتله وأوصى به نائبه في القلعة بدر الدين أي دمور أن يخفي أمره حتى لا يصل إلي حديثه فوصلني حديثه فلما كلمته في شأنه طرق وقال: حتى أعرف المولى ذنب هذا المذكور وأنه من الذنوب الذي لا تتجاوز الملوك عن مثله فقلت له: يا هذا تخيلت أن لك همة الملوك وأنك سلطان والله ما أعلم أن في العالم ذنباً يقاوم عفوي وأنا واحد من رعيتك، وكيف يقاوم ذنب رجل عفوك في غير حدّ من حدود الله إنك لدنيّ الهمة، فخجل وسرّحه وعفا عنه وقال لي: جزاك الله خيراً من جليس مثلك من يجالس الملوك، وبعد ذلك المجلس ما رفعت إليه حاجة إلاّ سارع في قضائها لفوره من غير توقف كانت ما كانت.

يا وليّي احبس نفسك عن القليل من الذمّ تأمن كثيره فإن النفس فيها لجاجة، إذا نوزعت صدعت وإذا سكت عنها انقمعت. قال الأحنف ابن قيس في هذا المعنى: من لم يصبر على كلمة أسمع كلمات وربّ غيظ قد تجرّعته مخافة ما هو أشدّ منه. يا وليّي والله ما عاقبت أحداً يجب عليّ أدبه في حال غضبي فإذا ذهبت عني حالة الغضب والغيظ ورأيت المصلحة له في الأدب أدّبته، وأما ما يرجع إليّ فأعفو عنه عن طيب نفس وعدم إقامة على دغل وحقد وأبذل جهدي في إيصال خير إليه، وأسارع إلى قضاء حوائجه، وما أدري أني أقرضت أحداً قرضاً وفي نفسي أني أطلبه منه فلا أطلبه وإن جاء به وأرى حاجتي إليه آخذه منه ولا أعلمه، وإن

علمت أنه ضيق على نفسه فيه أنظرته إلى ميسرة، هذا فيما يختص بنفسي، وحكم العيال حكم الجار الأقرب له حق يطلبه أنا مأمور بإيصاله إليه إذا قدرت عليه. يا وليّي أعلم أن الحاكم لا بدّ إذا أرضى أحد الخصمين أن يسخط الآخر وأنت حاكم والخصمان في مجلس قلبك الملك والشيطان فأرض الملك وأسخط الشيطان فإنه يقول للإنسان: اكفر فإذا كفر قال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

واعلم أن الدين أقوى منه وأحصن والعدل أقوى عدة يتخذها الحاكم لقتال من يسخطه من الخصمين فإنه يقاتل هواه فيه ولا سيما إن كان المبطل حميمه وصاحبه، وإذا أردت أن لا تخاف أحداً فلا تخف أحداً تأمن من كل شيء إذا أمن منك كل شيء. مررت في سفري في زمان جاهليتي ومعي والدي وأنا ما بين قرمونة وبلمة من بلاد الأندلس وإذا بقطيع حمر وحش ترعى وكنت مولعاً بصيدها وكان غلماني على بعد مني ففكرت في نفسي وجعلت في قلبي أني لا أوذي واحداً منها بصيد وعندما أبصرها الحصان الذي أنا راكبه هشّ إليها فمسكته عنها ورمحي بيدي إلى أن وصلت إليها ودخلت بينها وربما مرّ سنان الرمح بأسنمة بعضها وهي في المرعى فوالله ما رفعت رؤوسها حتى جزتها ثم أعقبني الغلمان ففرّت الحمر أمامهم وما علمت سبب ذلك إلى أن رجعت إلى هذا الطريق أعني طريق الله فحينئذٍ علمت من نظري في المعاملة ما كان السبب وهو ما ذكرناه فسرى الأمان في نفوسهم الذي كان في نفسي لهم، فكف عن ظلمك واعدل في حكمك ينصرك الحق ويطيعك الخلق وتصفو لك النعم وترتفع عنك التهم، فيطيب عيشك ويسكن جأشك، وملكت القلوب وأمنت محاربة الأعداء وأخفى ودّك في نفسه من أظهر لك العداوة في حسّه لحسد قام به، فهو حبيب في صورة بغيض.

ومن منشور الحكم والوصايا: قال بعضهم: العدل ميزان الباري ولذلك هو مبرّأ من كل زيغ وميل. وقال بعضهم في وصية ملك إذا حسنت سيرته وصلحت سريرته صيّر رعيته جنداً، وإن أوّل العدل أن يبدأ الرجل بنفسه فيلزمها كل خلة زكية وخصلة رضية في مذهب سديد ومكسب حميد، ليسلم عاجلاً ويسعد آجلاً، وإن أوّل الجور أن يعمد إليها فيجنبها الخير ويعوّدها الشرّ، ويكسبها الآثام ويلبسها المذام، ليعظم وزرها ويقبح ذكرها. وقال بعضهم: من بدأ بنفسه فساسها أدرك سياسة الناس، أصلحوا أنفسكم تصلح لكم آخرتكم، أصلح نفسك لنفسك تكن الناس تبعاً لك، أحسن العظات ما بدأت به نفسك وأجريت عليه أمرك، من رضي عن نفسه سخط الناس عليه، من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم، خير الآداب ما حصل لك ثمره وظهر عليك أثره، ومن تعزّز بالله لم يذلّه سلطان، ومن توكل عليه لم يضرّه شيطان، ليكن مرجعك إلى الحق ومنزعك إلى الصدق فالحق أقوى معين والصدق أفضل قرين، ومن لم يرحم الناس منعه الله من رحمته، ومن استطال بسلطانه سلبه الله من قدرته، إن العدل ميزان الله وضعه للخلق ونصبه للحق فلا تخالفه في ميزانه ولا تعارضه في سلطانه، استغن عن الناس بخلتين: قلة الطمع وشدّة الورع، من طال كلامه سئم ومن قلّ احترامه شتم.

ودخلت على بعض الصالحين بسبتة على بحر الرقاق وكان قد جرى بيني وبين السلطان من الكلام ما يوجب وحرّ الصدر ويضع من القدر فوصل إليه الخبر فلما أبصرني قال لي: يا أخي ذل من ليس له ظالم يعضده، وضلّ من ليس له عالم يرشده، يا أخي الرفق الرفق، فقلت له: ما دام رأس المال محفوظاً أعني الدين، فقال: صدقت وسكت عني. لا تحاج من يذهلك خوفه ويملكك سيفه فرب حجة تأتي على مهجة وقرصة تؤدي إلى غصة وإياك واللجاج فإنه يوغر القلوب وينتج الحروب. عيّ تسلم به خير من نطق تندم عليه. واقتصر من الكلام بما يقيم حجتك ويملكك حاجتك، وإياك وفضوله فإنه يزل القدم ويورث الندم، عيّ يزري بك خير من براعة تأتي عليك.

وصية نبوية: قال رسول الله ﷺ لرجل يوصيه: «**أَقْلِلْ مِنَ الشَّهوَاتِ يَسْهُلْ عَلَيكَ الفَقْرُ، وَأَقْلِلْ مِنَ الذُّنُوبِ يَسْهُلْ عَلَيكَ المَوتُ، وَقَدِّمْ مَالَكَ أَمَامَكَ يَسُرَّكَ اللحاقُ بِهِ، واقنعْ بما أُوتِيتَهُ يَخِفّ عليكَ الحسابُ، ولا تتشاغلْ عمّا فُرِضَ عليكَ بما قد ضُمِنَ لك إنه ليس بفائتكَ ما قُسِمَ لكَ، ولستَ بِلاحِقٍ ما زُوِيَ عَنكَ، وَلا تَكُ جَاهِداً فيما يصبحُ نافذاً وَاسْعَ لملكٍ لا زوالَ لهُ في منزلٍ لا انتقالَ عنه**».

ومن الوصايا النبوية أيضاً: قال رسول الله ﷺ: «**ما سَكَنَ حبُّ الدنيا قلبَ عبد إلاّ التاطَ منها بثلاث: شُغْلٍ لا ينفكُّ عناهُ، وَفَقْرٍ لا يُدْرَكُ غناه، وَأَملٍ لا ينال منتهاه، إنَّ الدنيا والآخِرَة طالبتانِ ومطلوبتان، فطالبُ الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكملَ رزقه، وطالبُ الدنيا تطلبه الآخرةُ حتى يأخذَ الموتُ بعنقه، ألا وإنَّ السعيدَ من اختارَ باقيةً يدومُ نعيمها على فانيةٍ لا يَنْفَدُ عذابها، وَقَدِّمْ لما يقدم عليه فيما هو الآن في يديه قبلَ أن يخلفه لمن يسعدُ بإنفاقهِ وَقَدْ شَقِيَ هُوَ بجمعِهِ واحتكارِهِ**».

ومنها أيضاً: قال رسول الله ﷺ: «**كأنَ الموتَ على غيرنا كُتِبَ وَكَأَنَّ الحَقَّ فيها على غيرنا وجَبَ، وَكَأَنَّ الذين نُشَيِّعُ مِنَ الأمواتِ سَفْرٌ، عمّا قليل إلينا راجعون، نُبَوِّئُهُمْ أجداثَهُمْ ونأكلُ تراثهم كأنّا مُخلَّدُونَ بعدهم، نَسِينا كلَّ واعظةٍ وأَمِنّا كلَّ جائحة، طُوبى لمن شغلهُ عَيْبُهُ عن عيوبِ النَّاسِ، طُوبَى لمن أنفقَ مالاً اكتسبهُ من غير مَعْصِيَةٍ، وجالسَ أهلَ الفقه والحكمة وخَالطَ أهلَ الذلّة والمسكنة، طُوبَى لمن ذلّتْ نفسُهُ وحسنت خليقتهُ وطابت سريرتهُ وَعَزَلَ عن الناسِ شَرّهُ، طُوبَى لمن أنفقَ الفَضْلَ مِن مالهِ وأمسكَ الفضلَ من قولهِ وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ ولم تَسْتَهْوِهِ البِدْعَةُ**».

ومن مواعظه ﷺ: قيس بن عاصم المنقري روينا من حديث الهاشمي قال رسول الله ﷺ: «**يا قَيْسُ إنَّ مع العزّ ذلاً، وإنَّ مع الحياة موتاً، وإنَّ مع الدنيا آخرة، وإنَّ لكلِّ شيء حسيباً وعَلَى كلِّ شَيْءٍ رقيباً، وإنَّ لكلِّ حسنةٍ ثواباً ولكلِّ سيئة عقاباً، وإن لكلِّ أجَلٍ كتاباً إنه لا بدّ يا قيسُ مِن قرينٍ يُدْفَنُ معكَ وهو حَيٌّ وتدفنُ معهُ وأنتَ ميتٌ، فإنْ كانَ كريماً أكرمكَ وإن كانَ لئيماً أسلمكَ، ثم لا يحشر إلاّ معكَ ولا تبعث إلاّ معه، ولا تسأل إلاّ عنه، فلا تجعله إلاّ صالحاً، فإنه إن كانَ صالحاً لم تأنسْ إلاّ بهِ وإن كانَ فاحشاً لم تستوحشْ إلاّ منه وَهُوَ فِعْلُكَ**».

ومن وصاياه ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «أيها النَاسُ توبوا إلى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبلَ أن تشغلوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وبينَ رَبِّكُمْ تَسْعَدُوا، وأكثروا الصَّدَقَةَ تُرْزَقُوا، وأمروا بالمعروف تخصبوا، وانْهَوْا عن المنكر تُنْصَرُوا، ويا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ أَكْيَسَكُمْ أكثرُكُمْ للموتِ ذكراً، وأَحزَمَكُمْ أَحْسَنُكُمْ لَهُ استعداداً، ألا وإنَّ مِنْ علاماتِ العَقْلِ التَّجافِيَ عن دار الغرورِ والإنابةَ إلى دارِ الخلود، والتزوّدَ لسكنى القبور والتأهُّبَ ليوم النُّشُورِ».

ومنها أيضاً عنه ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ لَكُمْ معالمَ فانتهوا إلى مَعَالِمِكُمْ، وإنَّ لكم نهايةً فانتهوا إلى نِهَايَتِكُمْ، إنَّ المؤمنَ بين مَخَافَتَيْنِ: بَيْنَ أجلٍ قد مَضَى لا يَدْرِي ما الله صانعٌ فيه، وبينَ أجلٍ قد بقيَ لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فَلْيَأخُذِ العبدُ لِنفسهِ من نفسهِ ومن دنياهُ لآخرتهِ، ومن الشبيبة قبلَ الكِبرِ، ومن الحياة قبلَ الموت، فَوَالَّذِي نفسُ محمدٍ بيده ما بعدَ الموتِ مِنْ مستعتبٍ ولا بعدَ الدنيا دارٌ إلاّ الجنة أو النار».

وممّا ورد عنه ﷺ في خصال الإيمان: ما حدثنا به أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميميّ بالمسجد الأزهر بعين الخيل من مدينة فاس سنة إحدى وتسعين وخمسمائة من لفظه وأنا أسمع وأسنده إلى رسول الله ﷺ معنعناً قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُكمِلُ عَبْدٌ الإيمانَ حَتَّى يَكونَ فِيهِ خَمسُ خِصالٍ: التَّوكلُ على الله وَالتَّفْوِيضُ إلى الله، وَالتَّسليمُ لأَمْرِ الله، وَالرِّضى بِقضاءِ الله، وَالصَّبرِ على بلاءِ الله، إنَّه مَنْ أَحبَّ وَأَبْغَضَ لله وَأَعْطَى لله وَمَنَعَ لله فَقَد اسْتَكْمَلَ الإيمانَ». وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَدناها إماطةُ الأَذى عَنِ الطَّرِيقِ وَأَرْفَعُها قَولُ لا إله إلا الله».

وصية نبوية محمدية: قال رسول الله ﷺ: «لا خَيرَ في العيشِ إلاّ لِعالِمٍ نَاطقٍ أو مُسْتمعٍ واعٍ. يا أيها النَّاسُ إنَّكم في زمان هدنةٍ وإنَّ السَّيْرَ بِكُم سَرِيعٌ، وَقَد رَأَيْتُمُ اللَّيلَ وَالنَّهارَ كَيْفَ يُبْلِيَانِ كُلَّ جديدٍ وَيُقَرِّبانِ كُلَّ بَعيدٍ وَيَأْتِيانِ بكلِّ مَوْعُودٍ، فَقَالَ لَهُ المِقْدادُ: وما الهدنةُ يا رَسُولَ الله؟ فقال ﷺ: دَارُ بلاءٍ وَانْقطاعٍ، فإذا الْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ الأُمورُ كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلِم فَعَلَيْكُمْ بالقرآنِ فَإنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَشَاهِدٌ مُصَدَّقٌ، فَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إلى الجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَه سَاقَهُ إلى النَّارِ، وَهُوَ أَوْضَحُ دَلِيلٍ إلى خَيرِ سَبيلٍ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وإنَّ العَبْدَ عِنْدَ خُروجِ نَفْسِهِ وَحُلُولِ رَمْسِهِ يرى جزاءَ ما أَسْلَفَ وَقِلَّةَ غَنَاءِ مَا خَلَفَ، وَلعَلَّهُ مِنْ باطلٍ جَمَعَهُ وَمِن حَقٍّ مَنَعَهُ».

وصية نبوية بتذكرة: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ العَبْدَ لا يُكْتَبُ فِي المُسْلِمينَ حَتَّى يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ، وَلا يَنَالُ دَرَجَةَ المُؤْمِنِينَ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ وَلا يُعَدُّ مِنَ المُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ ما لا بَأْسَ بِهِ حذَراً ممّا بِهِ البَأْسُ. أَيُّها النَّاسُ إنَّه مَنْ خَافَ البَيَاتَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ فِي السَّيْرِ وَصَلَ، وَإنَّما تَعْرِفونَ عَواقبَ أَعْمالِكُمْ لَوْ قَدْ طُوِيتْ صَحائفُ آجالِكُم، إنَّ نِيَّةَ المُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَنِيَّةُ المُنَافِقِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ».

وصية فيها بشرى للمنقطعين إلى الله: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ انْقَطَعَ إلى الله كَفَاهُ كُلَّ مُؤْنَةٍ فِيها، وَمَنِ انْقطَعَ إلى الدُّنْيا وَكَلَهُ الله إليها، وَمَنْ حَاوَلَ أَمْراً بِمَعْصِيةِ الله كَانَ أَبْعَدَ لَهُ مِمّا

رَجا وأَقْرَبَ مِمّا اتَّقى، وَمَنْ طَلَبَ مَحامِدَ النَّاسِ بِمَعاصِي الله عَادَ حَامِدُه مِنْهُم ذامّاً، وَمَنْ أَرْضى النَّاسَ بِسَخَطِ الله وَكله الله إليهم، وَمَنْ أَرْضى الله بِسَخَطِ النَّاسِ كَفاهُ الله شَرَّهُم، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله كَفاهُ الله ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرتَهُ أَصْلَحَ الله عَلانِيَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لآخِرتِهِ كَفاهُ الله أَمْرَ دُنياهُ».

وصية نبوية خبرية: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ الله عَبْداً تَكَلَّمَ فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ، إنَّ اللِّسانَ أَمْلَكُ شَيْءٍ لِلإِنْسانِ، أَلاَ وَإِنَّ كَلامَ العَبدِ كُلَّهُ عَلَيْهِ إِلاَّ ذِكْراً لِلَّهِ أو أمراً بِمَعْرُوفٍ أو نَهْياً عَنْ مُنكرٍ أو إصلاحاً بَيْنَ مُؤْمِنين، فَقَالَ لَهُ مُعاذُ بْنُ جَبَلٍ: يَا رسولَ الله أَنُؤاخَذُ بِما نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ عَلى مَناخِرِهِمْ في النَّارِ إِلاَّ حصائدَ أَلْسِنَتِهِم؟ فَمَنْ أَرادَ السَّلامَةَ فَلْيَحْفَظْ ما جَرَى بِهِ لِسانُهُ وَلْيَحْرُسْ ما انطوى عَلَيْهِ جِنانُه، وَلْيُحْسِنْ عَمَلَهُ وَلْيُقْصِرْ أَمَلَهُ».

وصية نبوية أيضاً: قال رسول الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا الدُّنْيا فَنِعْمَتْ مَطِيَّةُ المؤمنِ عليها يَبْلُغُ الخَيْرَ وَبِها يَنْجُو مِنَ الشرّ إِذَا قَالَ العَبْدُ لَعَنَ الله الدنيا قَالَتِ الدُّنيا: لَعَنَ الله أَعْصَانا لِرَبِّهِ» قلنا من هنا. قال قتادة رضي الله عنه: ما أنصف أحد الدنيا ذمّت بإساءة المسيء فيها ولم تحمد بإحسان المحسن فيها، وفي عكس هذا يقول بعضهم في الدنيا: [الطويل]

إذا امْتَحَنَ الدُّنْيا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ   لَهُ عَنْ عَدُوٍّ في ثِيابِ صَدِيقِ

هذا إنما يريد الحياة الدنيا التي لا يقصد بها الآخرة وقد ذمّ الله ذلك.

وصية نبوية: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هاذِمِ اللَّذَّاتِ فَإِنَّكم إِنْ ذَكَرتُمُوهُ في ضِيقٍ وَسَّعَهُ عليكُمْ ورَضِيتُم بِهِ فَأُجِرْتُم، وَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ في غِنًى بَغَّضَهُ إليكم فَجُدْتُمْ بِهِ فَأُثِبْتُم إِنَّ المنايا قَاطعاتُ الآمالِ وَاللَّيالي مُدْنِياتُ الآجالِ، وإِنَّ المرءَ بَيْنَ يَوْمَيْنِ: يَوْمٌ قَدْ مَضَى أُحْصِيَ فِيهِ عَمَلُهُ فَخُتِمَ عَلَيْهِ، وَيَوْمٌ قَدْ بَقِيَ لا يَدْرِي لَعَلَّهُ لا يَصِلُ إليه».

وصية بتذكرة: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرِّزقَ مَقْسُومٌ لَنْ يَعْدُوَ امْرُؤٌ ما كُتِبَ لَهُ فَأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ، وَإِنَّ العُمْرَ مَحْدُودٌ لَنْ يُجاوِزَ أَحَدٌ ما قُدِرَ لَهُ، فَبادِرُوا قَبْلَ نَفادِ الأَجَلِ، وَالأعمالُ مُحْصاةٌ لَنْ يُهْمَلَ مِنْها صَغِيرَةٌ وَلا كَبِيرَةٌ، فَأَكْثِرُوا مِنْ صَالحِ العَمَلِ، أَيُّها النَّاسُ إِنَّ في القُنُوعِ لَسِعَةٌ وَإِنَّ فِي الاقْتِصادِ لَبُلْغَةٌ، وَإِنَّ فِي الزُّهْدِ لَراحَةٌ، وَلِكُلِّ عَمَلٍ جزاءٌ وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ».

وصية بذكرى لبيب واعتبار: قال رسول الله ﷺ: «أَما رَأَيْتَ المَأْخُوذِينَ عَلى الغرّةِ المُزْعِجِينَ بَعدَ الطُّمأنينةِ الَّذِينَ أَقامُوا على الشُّبُهاتِ وَجَنَحُوا إلى الشَّهواتِ حَتَّى أَتَتْهُمْ رُسُلُ رَبِّهِم فَلا ما كَانُوا أملوا أَدْرَكُوا وَلا إلى ما فَاتَهم رَجَعُوا، قَدِمُوا عَلى ما عَمِلُوا وَنَدِمُوا على ما خَلَّفُوا، وَلَمْ يُغْنِ النَّدَمُ وقد جَفَّ القَلَمُ، فَرَحِمَ الله امرأً قَدَّمَ خيراً، وَأَنْفَقَ قَصْداً وَقالَ صِدْقاً وَمَلَكَ دواعِي شَهَواتِهِ وَلَمْ تَمْلِكْهُ وَعَصى أَمْرَهُ نَفْسُهُ فَلَمْ تُهْلِكْهُ».

وصية وبيان: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّها الناس: لا تُعْطُوا الحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِها فَتَظْلِمُوها، وَلا تَمْنَعُوها أَهْلَها فَتَظْلِمُوهم، وَلا تُعاقِبُوا ظَالِماً فَيَبْطُلَ فَضْلُكم، وَلا تُراؤوا النَّاسَ فَيَحْبَطَ عملكم، ولا تَمْنَعُوا المَوْجُودَ فيقلّ خَيْرُكم، أَيُّها النَّاسُ: إِنَّ الأَشْياءَ ثَلاثَةٌ: أَمْرٌ اسْتبانَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوه، وَأَمْرٌ اسْتَبانَ غَيُّهُ فَاجْتَنِبُوه، وَأَمْرٌ اختَلَفَ عَلَيْكُم فَرُدُّوه إلى الله، أَيُّها النَّاسُ: أفلا

أُنبئُكم بأَمرَين خَفيفٌ مؤنتهما عَظِيمٌ أَجرُهما لَمْ يُلْقَ اللهَ بِمثْلِهما: الصَّمْتُ وحُسْنُ الخُلُقِ».

وصية نبوية: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما يُؤتى النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ إحْدَى ثلاثٍ: إما مِنْ شُبهةٍ في الدِّينِ ارتكَبُوها، أَوْ شَهْوةٍ لِلذَّةٍ آثروها، أَوْ غَضْبةٍ لِحَمِيَّةٍ أَعْمَلوها، فإذا لاحتْ لكم شُبْهةٌ فاجْلُوها بِاليَقِينِ، وإذا عَرَضَتْ لكم شَهْوَةٌ فاقْمَعُوها بالزُّهْدِ، وإذا عَنَتْ لكم غَضْبَةٌ فادْرؤوها بالعَفْوِ، إنَّه يُنادي مُنادٍ يَوْمَ القِيامَةِ: مَنْ لَهُ أَجرٌ على الله فَلْيَقُمْ فيقومُ العافونَ عنِ النَّاسِ، أَلَمْ تَرَ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

وصية فيها تذكرة غافل: قال رسول الله ﷺ: «يَقولُ الله تعالىٰ: يا ابنَ آدم تُؤتَى كُلَّ يَوْمٍ بِرِزْقِكَ وأَنتَ تَحزَنُ، ويَنقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عُمرِكَ وأَنتَ تَفرَحُ، أَنتَ فيما يَكفِيكَ، وأَنتَ تَطْلُبُ ما يُطْغِيكَ لا بِقليلٍ تَقْنعُ ولا مِنْ كَثِيرٍ تَشْبَعُ».

وصية تحريض على الاتصاف بصفة يحمدها من عباده: قال رسول الله ﷺ وقد قيل له: يا رسول الله من أولياء الله الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]؟ فقال: «الَّذِينَ نَظَرُوا إلى باطِنِ الدُّنيا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إلى ظَاهِرِها، واهتَمُّوا بِآجِلِ الدُّنيا حِينَ اهْتَمَّ النَّاسُ بِعاجِلِها، فأَماتُوا منها ما خَشُوا أن يُمِيتَهم، وتَرَكُوا منها ما عَلِمُوا أَنْ سَيَتْرُكُهُمْ، فما عَرَضَهُمْ مِنْ نَائِلِها عارِضٌ إلاَّ رَفَضُوهُ، ولا خَادَعَهُم مِنْ رِفعَتِها خادِعٌ إلاَّ وَضَعُوهُ، خَلِقَتِ الدُّنيا عِندَهم فما يُجَدِّدُونها، وخَرِبَتْ بَيْنَهُم فما يُعَمِّرُونها، ومَاتَتْ في صُدُورهم فَمَا يُحْيُونَها بَل يَهْدِمُونها فَيَبْنُونَ بها آخِرَتَهُم ويَبِيعُونَها فَيَشْتَرُونَ بها ما يَبْقَى لَهُمْ، ونَظَرُوا إلى أَهْلِها صَرْعَى قد حلّت بهم المثلاتُ فما يَرونَ أماناً دُونَ ما يَرجونَ ولا خَوفاً دُونَ ما يَحْذَرُونَ».

وصية أيضاً نبوية: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما أنتم خَلْفُ مَاضِين وبَقِيَّةُ مُتَقَدِّمين، كانوا أَكْثَرَ مِنكُم بَسْطَةً وأَعْظَمَ سَطْوَةً، أُزْعِجُوا عنها أَسْكَنَ ما كَانُوا إليها وغَدَرَتْ بهم أَوْثَق ما كَانُوا بها فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُم قوةُ عَشِيرةٍ ولا قُبِلَ منهم بَذْلُ فِدْيَةٍ، فَأَرْحِلُوا أَنفُسَكُم بِزادٍ مُبْلِغٍ قَبْلَ أَنْ تُؤاخَذُوا على فَجْأَةٍ وَقَدْ غَفَلْتُم عنِ الاستعدادِ ولا يُغني الندمُ وقد جفّ القلمُ».

وصية بموعظة وذكرى: قال رسول الله ﷺ: «كُنْ في الدّنيا كأنّك غَرِيبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نَفْسَكَ في الموتى، وإذا أَصْبحتَ فَلا تُحَدِّثْها بالمساءِ، وإذَا أَمْسَيْتَ فلا تُحَدِّثْها بالصَّباحِ، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ، ومِنْ شَبَابِكَ لِهَرَمِكَ، ومِنْ فَرَاغِكَ لِشُغْلِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِوَفَاتِكَ، فَإِنَّكَ لا تَدْرِي ما اسْمُكَ غَداً».

وصية نبوية نافعة: قال رسول الله ﷺ: «لا يَشْغَلَنَّكُم دُنْياكُمْ عَنْ آخِرَتِكُم، ولا تُؤْثِروا أَهْوَاءَكم على طَاعةِ رَبِّكم، ولا تَجْعَلُوا إيمانَكُم ذَرِيعةً لِمَعاصِيكُمْ، وحَاسِبُوا أَنْفُسَكُم قَبْلَ أَنْ تُحاسَبُوا، ومَهِّدوا لها قَبْلَ أَن تُعَذَّبُوا، وتَزَوَّدوا للرحيلِ قَبْلَ أن تزعجوا، فإنَّما هو مَوْقِفُ عَدْلٍ واقْتِضَاءُ حَقٍّ وسُؤالٌ عَنْ وَاجِبٍ، ولَقَدْ بَلَغَ في الإِعذارِ مَنْ تَقَدَّمَ في الإِنذارِ».

وصية نبوية خبرية بما ينبغي أن يقبل عليه ويعرض عنه: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها النَّاسُ أقبلوا على ما كُلِّفْتُمُوهُ مِنْ صلاحِ آخِرتِكُمْ وأَعْرِضُوا عمّا ضُمِنَ لَكُم مِنْ أَمْرِ دُنياكم، ولا تَسْتَعْمِلوا جَوارِحاً غُذِيَتْ بِنِعْمَتِهِ في التعرّضِ لِسَخَطِهِ بمَعْصِيتِهِ، واجْعَلُوا شُغْلَكُمْ بِالْتِماسِ

مَغفرَتِه، وَاصْرِفُوا هِمَمَكُم إلى التقرّب إليه بطاعتِهِ، إنه من بَدَأ بنَصِيبِهِ مِنَ الدُّنيا فاتَهُ نَصِيبُهُ مِنَ الآخِرَةِ ولا يُدْرِكُ منها ما يُرِيدُ، وَمَنْ بَدَأَ بنصيبه من الآخِرَةِ وَصَلَ إليه نَصِيبُهُ مِنَ الدُّنيا وَأَدْرَكَ مِنَ الآخِرَةِ ما يُرِيدُ».

وصية نبوية فيما ينبغي أن يترك من الفضول: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَفُضُولَ المَطْعَم فإن فُضُولَ المَطْعَم يَسِمُ القَلْبَ بالقَساوةِ وَيُبْطِىءُ بالجوارح عن الطَّاعَةِ وَيُصِمُّ الهِمَمَ عَنْ سَماعِ المَوْعِظَةِ، وَإِيَّاكم وَفُضُولَ النَّظَر فإنه يَبْذُرُ الهَوَى وَيُولِّدُ الغَفْلَةَ، وَإِيَّاكَ وَاسْتِشْعارَ الطَّمَع فإنه يُشْرِبُ القَلْبَ شِدّةَ الحرصِ وَيَخْتِمُ على القُلُوبِ بِطابعِ حُبِّ الدُّنيا فَهُوَ مِفْتاحُ كُلِّ سَيِّئَةٍ وَسَبَبُ إِحْباطِ كُلِّ حَسَنَةٍ».

وصية نبوية بما يرجى ويتقى: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّما هُوَ خَيرٌ يُرْجَى أو شَرٌّ يُتَّقَى وَبَاطِلٌ عُرِفَ فَاجْتُنِبَ وَحَقٌّ تُيُقِّنَ فَطُلِبَ وَآخِرَةٌ أَظَلَّ إِقْبالُها فَسُعِيَ لها، وَدُنْيا أَزِفَ نَفادُها فأُعْرِضَ عنها، وَكَيْفَ يَعْمَلُ للآخِرَةِ مَنْ لا يَنْقَطِعُ عَنِ الدُّنيا رَغْبَتُهُ ولا تَنْقَضِي فيها شَهْوَتُهُ؟ إِنَّ العَجَبَ كُلَّ العَجَبِ لِمَنْ صَدَّقَ بِدارِ البقاءِ وهو يسعى لِدارِ الفناءِ وَعَرَفَ أَنَّ رِضا الله في طَاعَتِه وَهُوَ يَسْعَى في مُخَالَفَتِهِ».

وصية نبوية: قال رسول الله ﷺ: «حَلُّوا أَنفُسَكُم بِالطَّاعَةِ وَأَلْبِسُوهَا قِناعَ المَخَافَةِ وَاجْعَلُوا آخِرَتَكُم لأَنفُسِكُم وَسَعْيَكُم لِمُسْتَقَرِّكم وَاعْلَمُوا أَنَّكم عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ وَإلى الله صَائِرُونَ، وَلا يُغْنِي عَنكُم هنالك إلاَّ صالِحُ عَمَلٍ قَدَّمْتُمُوهُ أَوْ حُسْنُ ثَوابٍ حِزْتُمُوهُ، إِنَّكم إِنَّما تُقْدِمُونَ على ما قدمتم وَتُجازَونَ على ما أَسْلَفْتُم، ولا تَخْدَعَنَّكُم زَخارِفُ دُنيا دَنِيَّةٍ عَنْ مراتبِ جناتٍ عليَّةٍ، فَكَأَن قَدْ كُشِفَ القِناعُ وَارْتَفَعَ الارْتِيابُ، وَلاقَى كلُّ امْرِىءٍ مستقرَّهُ وَعَرَفَ مَثْواهُ وَمَقِيلَهُ».

وصية نبوية في التحذير عن المكر والخداع: قال رسول الله ﷺ: «لا تَكُونُوا مِمَّن خَدَعَتْهُ العَاجِلَةُ وَغَرَّتْهُ الأمنيةُ وَاسْتَهْوَتْهُ الخِدْعَةُ، فَرَكَنَ إِلى دارٍ سَرِيعَةِ الزَّوالِ وَشِيكَةِ الانتقالِ، إِنَّه لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ في جَنْبِ ما مَضَى إلاَّ كَإِنَاخَةِ رَاكِبٍ، أو صَرِّ حالِبٍ، فَعلامَ تَعْرجونَ وَماذا تَنْتَظِرُونَ؟ فَكَأَنَّكُم وَالله بِمَا قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِنَ الدُّنيا كَأَنْ لَمْ يَكُنْ، وَمَا تَصِيرُونَ إِلَيهِ مِنَ الآخِرَةِ كَأَنْ لَمْ يَزَلْ، فَخُذُوا الأُهْبَةَ لأُزُوفِ النُّقْلَةِ، وَأَعِدُّوا الزَّادَ لِقُرْبِ الرِّحْلَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ عَلَى مَا قَدَّمَ قَادِمٌ وَعَلَى مَا خَلَّفَ نَادِمٌ».

وصية نبوية في ذمّ انبساط الأمل ونسيان الأجل: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ بَسِيطُ الأَمَلِ متقدم حُلُولِ الأَجَلِ وَالمَعادُ مِضْمارُ العَمَلِ، ومُغْتَبِطٌ بِمَا احْتَقَبَ غَانِمٌ وَمُبْتَئِسٌ بِمَا فَاتَهُ مِنَ العَمَلِ نَادِمٌ، أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ وَالبَأْسَ غِنًى وَالقَنَاعَةَ رَاحَةٌ وَالعُزْلَةَ عِبادَةٌ وَالعَمَلَ كَنْزٌ وَالدُّنْيَا مَعْدِنٌ، وَالله مَا يَسُرُّنِي مَا مَضَى مِنْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ بِأَهْدابِ بُرْدِي هٰذَا وَلَما بَقِيَ مِنهَا أَشْبَهُ بِمَا مَضَى مِنَ المَاءِ بالماءِ وَكُلٌّ إِلَى نَفَادٍ وَشِيكٍ وَزَوالٍ قَرِيبٍ، فَبَادِرُوا أَنْتُم فِي مَهَلِ الأَنْفَاسِ وَجِدَّةِ الأَحْلاسِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِالكَظْمِ وَلا يُغْنِي النَّدَمُ».

وصية نبوية وتعريف: قال رسول الله ﷺ: «تَكُونُ أُمَّتِي فِي الدُّنيا عَلَى ثَلاثَةِ أَطْبَاقٍ أَمَّا

الطَّبَقُ الأَوَّلُ فَلا يَرْغَبُونَ فِي جَمْعِ المَالِ وَادِّخَارِهِ وَلاَ يَسْعَوْنَ فِي اقْتِنَائِهِ وَاحْتِكَارِهِ إِنَّما رِضَاهُمْ مِنَ الدُّنْيَا سَدّ جَوْعَةٍ وَسَتْرُ عَورَةٍ وَغِنَاهُمْ فِيهَا مَا بَلَغَ الآخِرَةَ فَأُولَئِكَ الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وَأَمَّا الطَّبَقُ الثَّانِي: فَيُحِبُّونَ جَمْعَ المَالِ مِنْ أَطْيَبِ سَبِيلِهِ وَصَرْفِهِ فِي أَحْسنِ وُجُوهِهِ يَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَهمْ وَيَبرُّونَ به إِخوانَهُمْ وَيُواسُونَ بِهِ فُقَرَاءَهُمْ وَلَعَضُّ أَحَدِهِمْ عَلَى الرّصفِ أَسْهَلُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكْسَبَ دِرهَماً مِنْ غَيرِ حِلّه وَأَنْ يَضَعَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ وَأَن يَمنعَهُ مِنْ حقّهِ أَوْ أَنْ يَكُونَ خَازِناً لَهُ إِلَى حِينِ مَوْتِهِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ إِنْ نُوقشوا عُذِّبوا وَإِنْ عُفِي عَنْهُمْ سَلِمُوا، وأمّا الطَّبقُ الثَّالِثُ: فيُحِبُّونَ جمعَ المَالِ مِمّا حَلَّ وَحَرُمَ وَمَنْعَهُ مِمّا افترِضَ أَوْ وَجَبَ، إِنْ أَنفقوهُ أنفقوهُ إِسْرَافاً وَبِدَاراً، وَإِنْ أَمسَكُوهُ أَمسَكُوهُ بُخلاً واحتِكَاراً، أُولَئِكَ الَّذِينَ مَلَكَتِ الدُّنْيا أَزِمَّةَ قُلُوبِهِمْ حَتَّى أَوْرَدَتْهُمُ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ».

وصية نبوية في التحذير من ضعف اليقين وما أشبه ذلك: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله وَأَنْ تَحْمَدَهُم عَلَى رِزْقِ الله وَأَنْ تَذمّهُم عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ الله، إِنَّ رِزقَ الله لاَ يَجرُّه حِرْصُ حَرِيص وَلا يَرِدّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ، إِنَّ الله تَبَارَكَ اسْمُهُ جَعَلَ الرَّوحَ وَالفَرَحَ فِي الرِّضَى وَاليَقِينِ، وَجَعَلَ الهَمَّ وَالحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسَّخطِ، إِنَّكَ لَمْ تَدَعْ شَيْئاً تَقَرُّباً إِلَى الله إِلاَّ أَجْزَلَ لَكَ الثَّوابَ عَلَيْهِ، فَاجْعَلْ هَمَّكَ وَسَعْيَكَ لِآخِرَةٍ لاَ يَنْفَدُ فِيهَا ثَوابُ المَرْضِي عَنْهُ وَلاَ يَنْقَطِعُ فِيهَا عِقَابُ المَسْخُوطِ عَلَيْهِ».

وصية نبوية تحرض على أخلاق سنية مرضية: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ يُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلاَّ وَقَدْ ذَكَرْتُهُ لَكُمْ، ولاَ شَيْء يُقرِّبُكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلاَّ وَقَدْ دَلَلْتُكُم عَلَيْهِ، إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّه لَنْ يَمُوتَ عَبْدٌ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبوا شَيْئاً مِنْ فَضْلِ الله بِمَعْصِيَتِهِ فَإِنَّهُ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَ الله إِلاَّ بِطَاعَتِهِ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ امرِىءٍ رِزقاً هُو يأتِيهِ لاَ مَحَالَةَ، فَمَنْ رَضِيَ بِهِ بُورِكَ لَهُ فَوسِعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِهِ لَمْ يُبارَكْ لَهُ فِيه وَلَم يَسعْهُ، إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الرَّجُلَ كَمَا يَطْلُبُه أَجَلُهُ».

وصية نبوية مفصلة: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيا دَارُ بَلاءٍ وَمَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَعَنَاءٍ، قَدْ نُزِعَتْ عَنْهَا نُفُوسُ السُّعَدَاءِ، وَانْتُزِعَتْ بِالكُرهِ مِنْ أَيدِي الأَشْقِيَاءِ، وَأَسْعَدُ النَّاسِ بِها أَرْغَبُهُم عَنْهَا وَأَشْقَاهُم بِها أَرْغَبُهم فِيها، هي الغَاشَّةُ لِمَن انْتَصَحَهَا، والمُغْوِيَةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا، وَالخَائِرَةُ لِمَنْ انقادَ لَهَا، وَالفَائِزُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا، وَالهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا، طُوبَى لِعَبْدٍ اتَّقَى فِيهَا رَبَّهُ وَنَاصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوبَتَهُ وَأَخرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفِظَهُ الدُّنيا إلى الآخرة فَيُصْبِحَ فِي بَطْنِ مُوحِشَة غَبْرَاء مُدْلَهِمَّةٍ ظلماً لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزِيدَ فِي حَسَنَةٍ وَلاَ يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ. ثُمَّ يُنْشَرُ فَيُحْشَرُ إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لاَ يَنْفَكُّ عَذَابُهَا».

وصية نبوية في الأهبة للرحلة: قال رسول الله ﷺ: «شَمّروا فَإِنَ الأَمرَ جِدٌّ، وَتَأَهَّبُوا فَإِنَّ الرَّحِيلَ قَرِيبٌ، وَتزودُوا فَإِنَّ السَّفَرَ بَعِيدٌ، وَخففوا أَثْقَالَكُم فَإِنَّ وَرَاءَكُم عَقَبَةً كَؤُودٌ لاَ يَقْطَعُهَا إِلاَّ المُخَفِّفُونَ. أَيُّها النَّاسُ: إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَة أُمُوراً شِدَاداً وَأَهوالاً عِظَاماً وَزَمَاناً صَعْباً، تَتَمَلَّكُ فِيهِ الظَّلَمَةُ وتَتَصَدَّرُ فِيهِ الفَسَقَةُ، فَيُضْطَهَدُ الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيُضَامُ النَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ،

فَأعدوا لِذَلِكَ الإِيمَانَ وَعضُوا عَلَيه بِالنَّواجِذِ، والجؤوا إِلى العَمَلِ الصَّالِحِ، وَأكرِهُوا عَلَيه النُّفُوسَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الضَّراءِ تُفْضُوا إِلى النَّعِيم الدَّائِم».

وصية نبوية وترغيب: قال رسول الله ﷺ: «ارْغَبْ فِيمَا عِنْدَ الله يُحِبّكَ الله، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبّكَ النَّاس، إِنَّ الزَّاهِدَ فِي الدّنيا يَرْبَحُ قَلْبُهُ وَبَدَنُهُ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَة، لِيَجيئَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُمْ حَسَنَاتٌ كَأَمْثَالِ الجِبَالِ فَيُؤمَرُ بِهِم إِلى النَّارِ فَقِيلَ: يَا نَبِيّ الله أَيُصَلُّونَ؟ قَالَ: كَانُوا يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَأْخُذُونَ وَهناً مِنَ اللَّيلِ لَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا لاحَ لَهُمْ شَيْء مِنَ الدُّنيَا وَثَبُوا عَلَيْهِ».

وصية نبوية تحرض على صفات سنية: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّها النَّاسُ إِنَّ هٰذِهِ الدَّارَ دَارُ التِوَاءٍ لاَ دَارُ اسْتِوَاءٍ، ومَنْزِلُ تَرَحٍ لاَ مَنزِلُ فَرَحٍ، فَمَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَفْرَحْ لِرخَاءٍ وَلَمْ يَحْزَنْ لِشَقَاءٍ، أَلاَ وَإِنَّ الله خَلَقَ الدُّنيَا دَارَ بَلْوَى وَالآخِرَةَ دَارَ عُقْبَى، فَجَعَلَ بَلْوَى الدُّنيا لِثَوَابِ الآخِرَةِ سَبَباً وَثَوابَ الآخِرَةِ مِن بَلْوَى الدّنيَا عِوَضاً، فَيَأْخُذُ لِيُعْطِي وَيَبْتَلِي لِيَجْزي، وَإِنها لَسرِيعَةُ الذَّهَابِ وَشِيكَةُ الانْقلاب، فاحْذَرُوا حلاوَةَ رضاعها لمرارَةِ فِطَامِها، واهجُرُوا لذِيذ عاجِلِها لكَرِيهِ آجِلِها، وَلاَ تَسْعَوا فِي عُمْرَانِ دَارٍ قَدْ قَضَى خرَابَها وَلاَ تُواصِلُوهَا وَقَدْ أَرَادَ الله مِنكُمُ اجْتِنَابَهَا، فَتَكُونُوا لِسُخْطِهِ مُتَعَرِّضِينَ وَلِعُقُوبَتِهِ مُسْتَحِقِّينَ».

وصية نبوية بما يرضي الله من الأخلاق: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا الله حَقَّ تقَاتِهِ وَاسْعَوْا فِي مَرْضَاتِه، وَأَيقِنُوا مِنَ الدُّنيا بالفَنَاءِ وَمِنَ الآخِرَةِ بالبَقَاءِ، وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ المَوْت، فَكَأَنَّ الدُّنيا لَمْ تَكُنْ، وكَأَنَّ الآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ. أَيها النَّاسُ إِنَّ مَنْ فِي الدّنيا ضَيفٌ وَمَا فِي يَدِهِ عَارِيَة وَإِنّ الضَّيفَ مُرْتَحِلٌ، وَالعَارِيَةَ مَرْدُودَةٌ، ألا وَإِنَّ الدُّنيا عَرَضٌ حاضرٌ، يَأْكُلُ مِنهَا البرُّ وَالفاجِرُ، وَالآخِرَةُ وَعْدٌ صَادِقٌ يَحْكمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ، فَرَحِمَ الله امْرَأً نَظَرَ لِنَفْسِهِ وَمهّدَ لِرَمْسِهِ، مَا دَامَ رَسَنُهُ مُرْخَى وَحَبْلُهُ عَلَى غَارِبِهِ مُلقَى، قَبْلَ أَنْ يَنفَدَ أَجَلُهُ فَيَنْقَطِعَ عَمَلُهُ».

وصية أيضاً نبوية: قال رسول الله ﷺ: «إِنّ الدّنيا قَد ارْتَحلَتْ مُدْبِرَةً وَالآخِرَة قَدْ تَجَمَّلَتْ مُقْبلَةً، أَلاَ وَإِنَّكُم فِي يَوم عَمَلٍ لَيسَ فِيهِ حِسَابٌ، وَيُوشكُ أَنْ تَكُونُوا فِي يَوْم حِسَابٍ لَيسَ فِيهِ عَمَلٌ، وَإِنَّ الله يُعْطِي الدُّنيا مَنْ يُحبُّ وَيَبْغُضُ، وَلاَ يُعْطِي الآخِرَةَ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ، وَإِنَّ لِلدُّنيَا أَبْنَاء وَللآخِرَةِ أَبْنَاءَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَلاَ تَكُونُوا مِن أَبْنَاءِ الدُّنيَا، إِنَّ شَرَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُم اتِّبَاعُ الهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ، فَاتِّبَاعُ الهَوَى يَصْرِفُ بِقُلُوبِكُمْ عَنِ الحَقِّ، وَطُولُ الأَمَلِ يَصْرِفُ هِمَمَكُمْ إِلَى الدُّنيا وَمَا بَعْدَهُمَا لأَحَدٍ خَيْرٌ مِنْ دُنيَا وَلاَ آخِرَة».

وصية نبوية بموعظة تذكر الموت وتؤذن بالرحيل: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِن بَيْتٍ إِلاَّ وَمَلَكُ المَوتِ يَقِفُ عَلَى بَابِهِ فِي كُلِّ يوم خَمْسَ مَرَّاتٍ، فإِذَا وَجَدَ الإِنْسَانَ قَدْ نَفَدَ أُكُلُهُ وَجَاءَ أَجَلُهُ أَلْقَى عَلَيهِ غَمَّ المَوتِ فَغَشِيَتْهُ كُرَبَاتُه وَغَمرَتْهُ عَكَرَاتُه، فَمَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ النَّاشِرَةُ شَعْرَهَا وَالضَّارِبَةُ وَجْهَهَا وَالبَاكِيَةُ لِشَجْوهَا وَالصَّارِخَةُ بِوَيلِهَا فَيَقُولُ مَلَكُ المَوتِ عَلَيْهِ السَّلام: وَيْلَكُم مِمّ الفَزَعُ وَفِيمَ الجزَعُ؟ مَا أَذْهَبْتُ لِوَاحِدٍ مِنكُم رِزْقاً وَلاَ قَرَّبْتُ لَهُ أَجلاً وَلا أَتَيْتُهُ حَتَّى أُمِرْتُ وَلاَ

قَبَضْتُ رُوحَهُ حَتَّى ٱسْتَأْمَرْتُ، وإِنَّ لِي فِيكُم عَودَةً ثُمّ عَودَةً ثُمّ عَودَةً حَتَّى لاَ أُبْقِي مِنْكُم أَحَداً. قال النبيّ ﷺ: فَوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه لَوْ يَرَونَ مَكَانَهُ وَيَسْمَعُونَ كَلاَمَهُ لَذُهِلُوا عَنْ مَيتِهِم وَلَبَكَوا عَلَى نُفُوسِهِم حَتَّى إِذَا حُمِلَ المَيتُ عَلَى نَعْشِهِ رَفْرَفَ رُوحُه فَوْقَ النَّعْشِ وَهُو يُنَادِي: يَا أَهْلِي وَيَا وَلَدِي لاَ تَلْعَبَنَّ بِكُم الدُّنيا كَمَا لَعِبَتْ بِي جَمَعْتُ المَالَ مِنْ حِلِّهِ وَمِنْ غَيرِ حِلِّهِ ثُمَّ خَلَّفْتُه لِغَيرِي فَالمَهْنَاةُ لَهُ والتَّبِعَةُ عَلَيَّ فَاحْذَرُوا مِثْلَ مَا حَلّ بِي».

وصية من زاهد تحوي على فوائد: روينا عن الشبلي أنه قال في وصيته: إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة فهي الدنيا، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفاً من تراب فإنك منها خلقت وفيها تعود، ومتى ما أردت أن تنظر ما أنت فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء، فمن كان حاله كذا فلا يجوز له أن يتطاول أو يتكبر على من هو مثله. وقال بعضهم: من كانت همته ما يدخله في جوفه فقيمته ما يخرج منه. وكتب إبراهيم بن أدهم إلى أخ له: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله من لا تحل معصيته ولا يرجى غيره ولا يدرك الغنى إلاّ به فإنه من استغنى عزّ وشبع وروى وانتقل عندما أبصر قلبه عمّا أبصرت عيناه من زهرة الدنيا فتركها وجانب شبهها، فارض بالحلال الصافي منها أي ما لا بدّ منه من كسرة يشدّ بها صلبه، وثوب يواري به عورته. وأغلظ ما يجده وأخشنه والسلام. وقال رسول الله ﷺ: «**حَسْبُ ابنِ آدمَ لُقَيمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ**» وروي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جيء إليه قبل الخلافة بحلة بثلاثة ألف درهم فاستحسنها، ثم جيء إليه في خلافته بثوب ليشتريه فيلبسه بثلاثة دراهم فقال: عسى خشن من هذا فإن هذا رقيق. فانظر يا أخي أين هذا من ذاك رضي الله عنه. مثل هذا يلي أمور عباد الله. وكتب ابن السماك إلى أخ له وقد سأله أن يصف له الدنيا: أما بعد فإن الله حفها بالشهوات ثم ملأها آفات مزج حلالها بالرزيات وحرامها بالتبعات فحلالها حساب وحرامها عقاب.

وصية مختار بإجارة من استجار: كتب إلينا أبو حفص عمر بن عبد المجيد من روايته: أن الله تعالىٰ نادي موسىٰ بن عمران: لا تخيب من قصدك، وأجر من استجار بك. قال: فبينما موسىٰ عليه السلام في سياحته إذا بجارح يطرد حمامة فلما رآه الحمام نزل على كتفه مستجيراً به، ونزل الجارح على الكتف الآخر، فلما همّ به الجارح نزل الحمام على كمّه فناداه الجارح بلسان فصيح: يا ابن عمران إني قاصدك فلا تخيبني ولا تحل بيني وبين رزقي، وناداه الحمام: يا ابن عمران إني أنا مستجير بك فأجرني، فقال موسى: ما أسرع ما ابتليت به، ثم مد يده ليقطع من فخذه قطعة للجارح وقاء لهما وحفظاً لما عهد إليه فيهما فقال له: يا ابن عمران أنا رسول ربك أرسلني إليك ليرى صحة ما عهد إليك: [الطويل]

أيا سَامِعاً لَيس السَّمَاعُ بِنَافِعٍ ... إذا أنت لم تَفْعَلْ فما أنت سَامِعُ
إذا كُنْتَ في الدنيا عن الخَيْرِ عاجزاً ... فما أنت في يوم القيامة صَانِعُ

وكان ابن السماك يقول: لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض، وكن اليوم مشغولاً بما أنت عليه مسؤول غداً، وإياك والفضول فإن حسابها يطول: [البسيط]

إني عَلِمْتُ وخَيْرُ العِلْمِ أنْفَعُهُ ... أن الذي هو رِزْقي سوف يَأْتيني
أَسْعَى له فيُعْيِينِي تَطَلُّبُهُ ... ولو قعدتُ أتاني لا يُعَيِّيني

وصية تتضمن علامة باقتراب القيامة: قال علي بن أبي طالب: سئل رسول الله ﷺ عن أشراط الساعة فقال: «**إذا رأيت الناسَ قد ضَيَّعوا الحَقّ، وأماتوا الصلاة، وأكثروا القذف، واستحَلّوا الكذبَ، وأخذوا الرشْوة، وشَيَّدوا البنيانَ، وأعْظَمُوا أرباب الأمْوال، واسْتَعْملُوا السفهاء واستحلّوا الدماء، فصار الجاهل عندهم ظريفاً والعالم ضعيفاً، والظلم فخراً والمساجد طرقاً، وتكثر الشرط، وحليت المصاحف، وطولت المنارات، وخربت القلوب من الدين، وشربت الخمور، وكثر الطلاق وموت الفجأة، وفشا الفجور وقول البهتان، وحلفوا بغير الله، وائتمن الخائن، وخان الأمين، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، فعندها قيام الساعة**» هذا حديث حسن.

وصية بالتأهب للموت بموعظة في رؤيا: كان أمير المؤمنين المنصور ذات ليلة نائماً فانتبه مرعوباً ثم عاود النوم فانتبه كذلك فزعاً مرعوباً ثم راجع النوم فانتبه كذلك فقال: يا ربيع قال الربيع قلت: لبيك يا أمير المؤمنين قال: لقد رأيت في منامي عجباً قال: ما رأيت جعلني الله فداك؟ قال: رأيت كأن أتياً أتاني فهينم بشيء لم أفهمه فانتبهت فزعاً ثم عاودت النوم فعاودني يقول ذلك الشيء ثم عاودني بقوله حتى فهمته وحفظته وهو: [الطويل]

كأني بهذا القَصْرِ قد بَادَ أهْلُهُ ... وعَرَى منه أهْلُهُ ومَنَازِلُهْ
وصار رئيسُ القَوْمِ من بعد بَهْجَةٍ ... إلى جَدَثٍ تُبْنَى عليه جَنَادِلُهْ

وما أحسبني يا ربيع إلاَّ قد حانت وفاتي وحضر أجلي، ومالي غير ربي، قم فاجعل لي غسلاً ففعلت فقام فاغتسل وصلَّى ركعتين وقال: أنا عازم على الحج فهيىء لنا آلة الحج فخرجنا وخرج حتى إذا انتهى إلى الكوفة ونزل النجف فأقام أياماً ثم أمر بالرحيل فتقدمت نوابه وجنده وبقيت أنا وهو بالقصر وشاكريته بالباب فقال لي: يا ربيع جئني بفحمة من المطبخ وقال لي: اخرج وكن مع دابتي إلى أن أخرج فلما خرج وركب رجعت إلى المكان أطلب شيئاً فوجدت قد كتب على الحائط بالفحمة: [مجزوء الرجز]

المَرْءُ يَهْوَى أن يعيش ... وطُولُ عَيْشٍ ما يَضُرُّهْ
تَفْنَى لذاذتُهُ ويبقى ... بعد حُلْوِ العَيْشِ مُرُّهْ
وتُصَرِّفُ الأيامُ حتى ... ما يرى شيئاً يَسُرُّهْ
كم شامتٍ بي إن هلكتُ ... وقائل لله دَرُّهْ

وصية باعتراف عارف في أشرف المواقف: وقف مطرف وبكر بن عبد الله بعرفة والفضيل بن عياض فقال مطرف: اللهم لا تردهم اليوم من أجلي، وقال بكر: ما أشرفه من

موقف وأرضاه لأهله لو لا أني فيهم، ورفع الفضيل رأسه إلى السماء وقد قبض على لحيته وهو يبكي بكاء الثكلى ويقول: واسوأتاه منك وإن عفوت.

تنبيه على الحياء من الله: روينا عن الشيخ عبد الرحمن ابن الأستاذ في كتاب ابن باكويه الشيرازي عن أبي الأديان قال: ما رأيت خائفاً إلاَّ رجلاً واحداً كنت بالموقف فرأيت شاباً مطرقاً منذ وقف الناس إلى أن سقط القرص فقلت: يا هذا أبسط يديك بالدعاء فقال لي: ثم وحشة، فقلت له: هذا يوم العفو من الذنوب، قال: فبسط يده ففي بسطه يديه وقع ميتاً.

وصية نبوية بالصدقة: قال رسول الله ﷺ: «**أَتى سائلٌ امرأةً في فَمِها لُقمَةٌ فَلَفَظَتْها فناوَلَتْها إيَّاهُ فَلَمْ تَلْبَثْ أن رُزِقَتْ غُلاماً فَلَمَّا تَرَعْرَعَ جاءَ ذِئبٌ فاحتَمَلَهُ فخرجت تَعْدُو في أثَرِ الذِّئبِ وَهِيَ تَقُولُ: ابني ابني فأمر الله مَلَكاً الْحَقِ الذئبَ فَخُذ الصَّبِيَّ مِنْ فِيهِ وَقُلْ لأُمِّه: إِنَّ الله يُقرِئكِ السلامَ وَقُلْ: هذه لُقمَةٌ بِلُقمَةٍ**».

وصية بر بحضور مجالس الذكر: قال عمار بن الراهب: رأيت مسكينة الطفاوية في منامي بعد موتها فقلت: مرحباً يا مسكينة مرحباً فقالت: هيهات يا عمار ذهبت المسكنة وجاء الغنى الأكبر، قلت: هيه قالت: ما تسأل عمّن أبيح لها الجنة بحذافيرها تظل فيها حيث تشاء، قال قلت: وبم ذاك؟ قالت: بمجالس الذكر والصبر على الحق، قال عمار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسىٰ بن زادان بالإبلة تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة قال عمار قلت: يا مسكينة فما فعل عيسىٰ بن زادان رحمه الله؟ قال: فضحكت وقالت: [الخفيف]

قد كُسي حُلَّةَ البَهاء وطافت ... بالأباريق حوله الخُدَّامُ
ثم حُلِّي وقيل يا قارىء أقرا ... فلَعَمْري لقد بَراكَ الصِّيَامُ

وصية: ونصيحة كتبت بها إلى السلطان الغالب بأمر الله كيكاؤس صاحب بلاد الروم بلاد يونان رحمه الله جواب كتاب كتب به إلينا سنة تسع وستمائة: بسم الله الرحمن الرحيم، وصل الاهتمام السلطاني الغالب بأمر الله العزي أدام الله عدل سلطانه إلى والده الداعي له محمد بن العربي فتعين عليه الجواب بالوصية الدينية والنصحية السياسية الإلهية على قدر ما يعطيه الوقت ويحتمله الكتاب إلى أن يقدر الاجتماع ويرتفع الحجاب، فقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قَالُوا: لمن يا رسول الله؟ فقال: «**لله وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمينَ وَعامَّتِهِمْ**» وأنت يا هذا بلا شك من أئمة المسلمين وقد قلدك الله هذا الأمر وأقامك نائباً في بلاده ومتحكماً بما توفق إليه في عباده، ووضع لك ميزاناً مستقيماً تقيمه فيهم، وأوضح لك محجة بيضاء تمشي بهم عليها وتدعونهم إليها، على هذا الشرط ولاّك وعليه بايعناك، فإن عدلت فلك ولهم وإن جرت فلهم وعليك، فاحذر أن أراك غداً بين أئمة المسلمين من أخسر الناس ﴿أَعۡمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ـ ١٠٤] ولا يكون شكرك لما أنعم الله به عليك من استواء ملكك بكفران النعم وإظهار المعاصي وتسليط الثواب السوء بقوّة سلطانك على الرعية الضعيفة فإن الله أقوى

منك، فيتحكمون فيهم بالجهالة والأغراض وأنت المسؤول عن ذلك، فيا هذا قد أحسن الله إليك وخلع خلع النيابة عليك، فأنت نائب الله في خلقه وظلّه الممدود في أرضه، فأنصف المظلوم من الظالم، ولا يغرنك أن الله وسع عليك سلطانك وسوى لك البلاد ومهدها مع إقامتك على المخالفة والجور وتعدي الحدود، فإن ذلك الاتساع مع بقائك على مثل هذه إقامتك على المخالفة والجور وتعدي الحدود، فإن ذلك الاتساع مع بقائك على مثل هذه الصفات إمهال من الحق لا إهمال، وما بينك وبين أن تقف على أعمالك إلاّ بلوغ الأجل المسمّى، وتصل إلى الدار التي سافر إليها أباؤك وأجدادك، ولا تكن من النادمين فإن الندم في ذلك الوقت غير نافع، يا هذا ومن أشدّ ما يمرّ على الإسلام والمسلمين وقليل ما هم رفع النواقيس والتظاهر بالكفر وإعلاء كلمة الشرك ببلادك ورفع الشروط التي اشترطها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل الذمة من أنهم لا يحدثون في مدينتهم ولا ما حولهم كنيسة ولا ديراً ولا قليه ولا صومعة راهب، ولا يجددون ما خرب منها، ولا يمنعون كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم، ولا يأوون جاسوساً ولا يكتمون غشاً للمسلمين ولا يعلمون أولادهم القرآن ولا يظهرون شركاً ولا يمنعون ذوي قرباتهم من الإسلام إن أرادوه، وأن يوقروا المسلمين وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس، ولا يتشبهون بالمسلمين في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر، ولا يتسمون بأسماء المسلمين ولا يتكنون بكناهم، ولا يركبون سرجاً ولا يتقلدون سيفاً، وأن لا يتخذوا شيئاً من سلاح، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجروا مقام رؤوسهم وأن يلزموا زيّهم حيث ما كانوا، وأن يشدّوا الزنانير على أوساطهم ولا يظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في طريق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ولا يضربوا بالناقوس إلاّ ضرباً خفياً، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين، ولا يخرجوا سعايين، ولا يرفعوا مع أمواتهم أصواتهم، ولا يظهروا النيران معهم، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، فإن خالفوا شيئاً ممّا شورطوا عليه فلا ذمّة لهم، وقد حلّ للمسلمين منهم ما يحلّ من أهل المعاندة والشقاق، فهذا كتاب الإمام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تُبْنَى كَنِيسَةٌ فِي الإسْلامِ وَلا يُجَدَّدُ ما خَرِبَ مِنْهَا**» فتدبر كتابي ترشد إن شاء الله ما لزمت العمل به والسلام. ثم أوقعت له بشعر عملته في الوقت أخاطبه به وهو: [الطويل]

إذا أنْـتَ أعْـزَزْتَ الـهُـدَى وتَـبِـعْـتَـهُ ... فـأنـت لـهـذا الـدِّيـن عِـزٌّ كـمـا تُـدْعَـى
وإن أنـت لـم تَـحْـفـلْ بـه وأهَـنْـتَـهُ ... فـأنـت مُـذِلُّ الـدِّيـن تَـخْـفُـضُـهُ وَضْـعَـا
فـلا تـأخُـذِ الألـقـابَ زُوراً فـإنـكـم ... لتُسْـأَلُ عنـهـا يـوم يَـجْـمَـعُـكُـمْ جَـمْـعَـا
يـقـال لـعـزّ الـديـن أعْـزَزْتَ دِيـنَـهُ ... ويـسـأل ديـن الله عـن عـزّكـم قَـطْـعـا
فـإن شـهـد الـديـنُ الـعـزيـزُ بـعِـزّكـم ... تَـكُـنْ مـع ديـن الله فـي عـزّهِ شَـفْـعَـا
وإن قـال ديـن الله كـنـت بـمـلـكـه ... ذلـيـلاً وأهـلـي فـي مـيـاديـنـه صَـرْعَـى

وما زلت في سلطانه ذا مهانة　　وفي زَعْمِه بي أنه مُحْسِنٌ صُنْعا
فما حُجَّةُ السلطان إن كان قوله　　كما قلت فلْيَبْكِ لما قلته الدَّمْعَا
وأدِّ من لباب الله إن كنت تَبْتَغي　　تَجَاوُزَهُ عن ذَنْبك الضَّرْبَ والقَرْعَا
عسى جودُه يوماً يجودُ بفتحه　　فيبرزُ عَفْوُ الله يدفعُه دَفْعَا
فيا رَبِّ رِفْقاً بالجميع فيا لها　　إذا اجتمع الخصمان من وَقْعَةٍ شَنْعَا
فأنت إمامُ المُتقين ورأسُهُم　　إذا لم تَزَلْ تَجْبُرُ لدين الهدى صَدْعَا
لكم نائب في الأمر أصبح مُلحداً　　وأضحى لأهل الدين يقطعهم قَطْعا
فما لك لم تَغْلِبْهُ واسمُكَ غالبٌ　　وما لك لم تَعزِلْهُ إذا أثر النَّقْعا
فيا أيها السلطان حَقِّقْ نصيحتي　　لكم وازِعِني منكم لما قلتُه سَمْعا
فإني لكم والله أنْصَحُ ناصحِ　　إذ ودّ الردى عنكم وأمْنَعُهُ مَنْعَا
وأجْلِبُ للسلطان من كل جانبِ　　من الدين والدنيا العوارف والنَّفْعَا

والله ينفعني بوصيتي، ويجازيني على نيتي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وصايا من منثور الحكم وميسور الكلم، ينسب إلى جماعة من العلماء الصالحين: من اكتفى باليسير استغنى عن الكثير، من صحّ دينه صحّ يقينه، من استغنى عن الناس أمن من عوارض الإفلاس، الدين أقوى عصمة والأمن أسنى نعمة، الصبر عند المصائب من أعظم المواهب، عش ما عشت في ظل يقيك وقوت يكفيك، والبخيل حارس نعمة وخازن ورثة، من لزم الطمع عدم الورع، الحسد شرّ عرض والطمع أضرّ غرض، الرضا بالكفاف خير من السعي للأشراف، أفضل الأعمال ما أوجب الشكر وأنفع الأموال ما أعقب الأجر، لا تثق بالدولة فإنها ظل زائل ولا تعتمد على النعمة فإنها ضيف راحل، مالك ما زجى يوميك وتوفر أجره وثوابه عليك، الكريم من كف أذاه والقوي من غلب هواه، من ركب الهوى أدرك العمى، من غالب الحق لان ومن تهاون بالدين هان، المؤمن غرّ كريم والمنافق خب لئيم، إذا ذهب الحياء يحل البلاء، كل إنسان طالب أمنية ومطلوب لمنية، علم لا ينفع كدواء لا ينجع، أحسن العلم ما كان مع العمل، وأحسن الصمت ما كان عن الخطل، اعص الجاهل تسلم وأطع العاقل تغنم، من صبر على شهوته بالغ في مروته، من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتدّ انزعاجه للمصائب، من تمسك بالدين عزّ نصره ومن استظهر بالحق ظهر قهره، من استقصر بقاءه وأجله قصر رجاءه وأمله، لا تبت على غير وصية، وإن كنت من جسمك في حصة ومن عمرك في فسحة، فإن الدهر خائن وما هو كائن كائن، لا تخل نفسك من فكرة تزدك حكمة وتفيدك عصمة، من جعل ملكه خادماً لدينه انقاد له كل سلطان، ومن جعل دينه خادماً لملكه طمع فيه كل إنسان، من سلك سبيل الرشاد بلغ كنه المراد، من لزم العافية سلم ومن قبل النصيحة غنم، قلب تأثّر من صادق مؤثر. حدثنا أحمد بن مسعود بن شداد المقري الموصلي بالموصل سنة إحدى وستمائة وكان ثقة قال: حدثنا أبو جعفر بن القاص قال: حدثنا يوسف بن أبي القاسم الديار بكري، حدثنا جمال الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد القرشيّ

الهكاريّ، حدثنا أبو الحسن الكرخيّ، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الفضل النهاوندي قال: سمعت شيخي جعفر بن محمد الخلدي يقول: كنت مع الجنيد رحمه الله في طريق الحجاز حتى صرنا إلى جبل طور سيناء فصعده الجنيد وصعدنا معه فلما وقفنا في الموضع الذي وقف فيه موسى عليه السلام وقعت علينا هيبة المكان وكان معنا قوال فأشار إليه الجنيد أن يقول شيئاً فقال: [الكامل]

وبَدَا له من بَعْدِ ما انْدَمَلَ الهَوَى ... بَرْقٌ تَألَّقَ مَوْهِناً لَمَعَانُهُ
يبدو كحاشية الرّدا ودونه ... صَعْبُ الذُّرا متمنّعٌ أركَانُهُ
فبدا لينظر كيف لاح فلم يُطقْ ... نظراً إليه وصَدَّهُ سُبْحَانَهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضُلُوعُهُ ... والماءُ ما سمحت به أجْفَانُهُ

قال: فتواجد الجنيد وتواجدنا فلم يدر أحد منا أفي السماء نحن أو في الأرض؟ وكان بالقرب منا دير فيه راهب فنادى: يا أمة محمد بالله أجيبوني فلم يلتفت إليه أحد لطيب الوقت فنادانا الثانية بدين الحنيفية إلاَّ أجبتموني فلم يجبه أحد فنادانا الثالثة بمعبودكم إلاَّ أجبتموني فلم يرد عليه أحد جواباً، فلما فترنا من السماع وهمّ الجنيد بالنزول قلنا له: إن هذا الراهب نادانا وأقسم علينا ولم نرد عليه، فقال الجنيد: ارجعوا بنا إليه لعل الله يهديه إلى الإسلام، فناديناه فنزل إلينا وسلم علينا فقال: أيما منكم الأستاذ؟ فقال الجنيد: هؤلاء كلهم سادات وأستاذون، فقال: لا بدّ أن يكون واحد هو أكبركم، فأشاروا إلى الجنيد فقال: أخبرني عن هذا الذي فعلتموه هو مخصوص في دينكم أو معموم؟ فقال: بل مخصوص، فقال الراهب: لأقوام مخصوصين أو معمومين؟ فقال: بل لأقوام مخصوصين، فقال: بأي نية يقومون؟ فقال: بنية الرجاء والفرح بالله تعالىٰ، فقال: بأي نية تسمعون؟ فقال: بنية السماع من الله تعالىٰ، فقال: بأي نية تصيحون؟ فقال: بنية إجابة العبودية الربوبية لما قال الله تعالىٰ للأرواح: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال: فما هذا الصوت؟ قال: نداء أزلي، فقال: بأي نية تقعدون؟ قال: بنية الخوف من الله تعالىٰ، قال: صدقت. ثم قال الراهب للجنيد: مدّ يدك أنا أشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله وأسلم الراهب وحسن إسلامه، فقال له الجنيد: بم عرفت أني صادق؟ قال: لأني قرأت في الإنجيل المنزل على المسيح ابن مريم خواص أمة محمد ﷺ يلبسون الخرقة ويأكلون الكسرة ويرضون بالبلغة ويقومون في صفاء أوقاتهم بالله يفرحون وإليه يشتاقون وفيه يتواجدون وإليه يرغبون ومنه يرهبون، فبقي الراهب معنا ثلاثة أيام على الإسلام ثم مات رحمه الله.

وصايا في القول: سمعت محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي بمدينة فاس العدل أظن في سنة أربع وتسعين وخمسمائة يقول: تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كأنما رميت عن قوس واحدة، قال كسرى: أنا على رد ما لم أقل أقوى مني على رد ما قلت. وقال ملك الهند: إذا تكلمت بكلمة ملكتني وإن كنت أملكها. وقال قيصر

ملك الروم: لا أندم على ما لم أقل وقد ندمت على ما قلت. وقال ملك الصين: عاقبة ما قد جرى به القول أشدّ من الندم على ترك القول. قال بعض الشعراء: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما شيءٌ عَلِمْتَ مكانَهُ أَحَقُّ بسِجْنٍ من لسان مُذَلَّلِ
على فيك ممّا ليس يَعْنِيكَ قَوْلُهُ بقُفْلٍ شديدٍ حيث ما كنت أَقْفِلِ

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في العبد ولا يكون في سيده، صدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، والتذمّم للجار، ومراعاة حق الصاحب، وصلة الرحم، وقرى الضيف، وأداء الأمانة، ورأسهن الحياء. وقال بعضهم كتمانك سرك يعقبك السلامة، وإفشاؤك سرك يعقبك الندامة، والصبر على كتمان السرّ أيسر من الندم على إفشائه. في الحكمة: ما أقبح بالإنسان أن يخاف على ما في يده اللصوص فيخفيه ويمكن عدوّه من نفسه بإظهاره ما في قلبه من سرّ نفسه أو سرّ أخيه. جاور معي بمكة أظن سنة تسع وتسعين وخمسمائة رجل من أهل تونس يقال له عبد السلام بن السعرية وكانت عنده جارية اشتراها بمصر في الشدّة التي وقعت بمصر سنة سبع وتسعين وخمسمائة فقال لها: يا جارية أوصيك بأمرين: حفظ السرّ والأمانة، فقالت الجارية: ما تحتاج فإني أعلم أن الشخص إذا كان أميناً شارك الناس في أموالهم، وإذا كان حافظاً للسر شاركهم في عقولهم، فاستحسن هذا الجواب منها فسأل عنها فوجدها حرة قد بيعت في غلاء مصر فأعتقها وسرّحها فرجعت إلى أمها وأخواتها.

وقال معاوية رضي الله عنه: ما أفشيت سرّي إلى أحد إلاّ أعقبني طول الندم وشدّة الأسف، ولا أودعته جوانح صدري إلاّ أكسبني مجداً وذكراً وسناً ورفعة، فقيل له: ولا ابن العاص؟ فقال: ولا ابن العاص، لأن عمرو بن العاص كان صاحب رأي معاوية ومشيره ووزيره. وكان يقول: ما كنت كاتمه من عدوّك فلا تظهر عليه صديقك، يريد والله أعلم معاوية بهذا الكلام ما كان ينشدنا في أكثر مجالسه أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمي أستاذي في القراءات بمسجده بقوس الحنية من إشبيلية رحمة الله يوصينا بذلك: [مجزوء الكامل]

احْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً واحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّهْ
فلَرُبَّما هَجَرَ الصديقُ فكان أعْرَفَ بالمَضَرَّهْ

وكان عمي أخو والدي ينشدني كثيراً للسميسر: [المتقارب]

زَمانٌ يَمُرُّ وعَيْشٌ يَمُرُّ ودَهرٌ يكُرُّ بما لا يَسُرُّ
ونَفْسٌ تذوبُ وهَمٌّ يَنُوبُ ودنيا تُنادي بأن ليس حُرُّ

ومن كلام النبوة في الوصية: من كتم سرّه كانت الخيرة في يده. ومن عرّض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أمر أخيك على أحسنه. ولا تظنن بكلمة خرجت منه

سواء. وما كافأت من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله عزّ وجلّ فيه. وعليك بإخوان الصدق فإنهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء.

حكاية تتضمن وصية. حدثني أبو القاسم البجايي بمراكش عن أبي عبد الله الغزال العارف الذي كان بالمرية من أقران أبي مدين وأبي عبد الله الهوازي بتنس وأبي يعزى وأبي شعيب السارية وأبي الفضل اليشكري وأبي النجا وتلك الطبقة، قال أبو عبد الله الغزال: كان يحضر مجلس شيخنا أبي العباس بن العريف الصنهاجي رجل لا يتكلم ولا يسأل ولا يصحب واحداً من الجماعة، فإذا فرغ الشيخ من الكلام خرج فلا نراه قط إلاّ في المجلس خاصة، فوقع في نفسي منه شيء ووقعت منه على هيبة فأحببت أن أتعرف به وأعرف مكانه فتبعته عشية يوم بعد انفصالنا من مجلس الشيخ من حيث لا يشعر بي، فلما كان في بعض سكك المدينة إذا بشخص قد انقض عليه من الهواء برغيف في يده فناوله إياه وانصرف، فجذبته من خلفه فقلت: السلام عليك فعرفني فردّ عليّ السلام فسألته عن ذلك الشخص الذي ناوله الرغيف فتوقف، فلما علم مني أني لا أبرح دون أن يعرفني قال لي: هو ملك الأرزاق يأتي إليّ من عند الله كل يوم بما قدر لي من الرزق حيث كنت من أرض ربي، ولقد لطف الله بي في بدء أمري ودخولي إلى هذا الطريق إذا فرغت نفقتي وبقيت بلا شيء سقط عليّ من الهواء وبين يدي قدر ما أشتري به ما أحتاج إليه من القوت فأنفق منه، فإذا فرغ جاءني مثل ذلك من عند الله لكني ما كنت أري شخصاً، قال تعالىٰ في حق مريم ابنة عمران: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧].

حكاية: حرمة في سلب نعمة: مرَّ زياد بن أمية بالحيرة فنظر إلى دير فقال لخادمه: لمن هذا؟ قال: دير حرقة بنت النعمان بن المنذر، فقال: ميلوا بنا إليه نسمع كلامها، فجاءت فوقفت خلف الباب فكلمها الخادم فقال لها: كلمي الأمير، قالت: أوجز أم أطيل؟ قال: بل أوجزي، قالت: كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحد أعزّ منا فما غربت تلك الشمس حتى رحمنا عدوّنا. قال: فأمر لها بأوساق من شعير، فقالت: أطعمتك يد شبعاء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شبعت، فسرّ زياد بكلامها، فقال لشاعر معه: قيد هذا الكلام لا يدرس يعني أنظمه، فقال: [الطويل]

سَلِ الخَيْرَ أهْلَ الخَيْرِ قُدْماً ولا تَسَلْ ... فَتَى ذَاقَ طَعْمَ الخَيْرِ مُنْذُ قَرِيبِ

ونظمنا نحن في هذا المعنى: [الطويل]

سَلِ الخَيْرَ أهْلَ الخَيْرِ إن كُنْتَ سائلاً ... ولا تَسْأَلِ المَعْرُوفَ من مُحْدَثِ المَالِ
فإنِ اليَدَ الجَوْعَاءَ تَبْخَلُ بالذي ... أصابَتْه من خير على الكاسف البالي
فإن غَلِطَتْ جَادَتْ وتَمْتَنُّ بالذي ... تجودُ به يوماً على الترب الحالي
وإنّ اليَدَ الشَّبْعَاءَ جَادَتْ بما تَجد ... على طِيبِ نَفْسٍ في سُرُورٍ وإقْبَالِ

في الحكمة: ثواب الجود خلفة ومحبة ومكافأة، وثواب البخل حرمان وإتلاف ومذمّة.

وكتب حكيم إلى الإسكندر: اعلم أن الأيام تأتي على كل شيء فتخلفه وتخلق آثاره وتميت الأفعال إلاَّ ما رسخ في قلوب الناس، فأودع قلوبهم محبة أبدية يبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك. وفد علينا ونحن بإشبيلية شيخ شاعر يعرف بالسبيتي من قرطبة رحمه الله وكان صاحب الديوان عندنا زكريا بن سنان أديباً حاذقاً فطناً ولم يكن للسبيتي موضع ينزل فيه فكتب إلى صاحب الديوان: [الوافر]

أَتَحْفَلُ بالفرزدق والكُمَيْتِ … وفي قيد الحيا شعر السُّبَيْتي

يروّعني بشِعْرِهِما أناسٌ … وجَهْلاً رَوَّعُوا حَيّاً بِمَيْتِ

لئن أسْكَنْتَني بيتاً رفيعاً … لتسكنُ من ثنائي ألْفَ بَيْتِ

فوقع له صاحب الديوان بيتاً نزل فيه واعتذر إليه ووصله بنفقة. قيل لبزرجمهر عندما قدم للقتل تكلم بكلام تذكر به فقال: أي شيء أقول إن الكلام كثير، ولكن إن أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل ولنا: [الرمل]

إنما الناسُ حديثٌ كُلُّهُم … فلْتكُنْ خَيْرَ حَدِيثٍ يُسْمَعُ

خاتمة الباب

وهو خاتمة الكتاب

تعويذات مذكورة وأدعية مشهورة: فمن ذلك ما يقال عند الكرب: لا إله إلاّ الله العظيم الحليم، لا إله إلاّ الله رب العرش العظيم، لا إله إلاّ الله رب السموات والأرض رب العرش الكريم ويقال عند دخول المسجد: اللهم افتح لنا أبواب رحمتك. ويقال عند الخروج منه: اللهم إنا نسألك من فضلك. ويقال عند دخول الخلاء: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث. وقد روينا أيضاً أنه يقال: أعوذ بالله من الخبيث المخبث الرجس النجس الشيطان الرجيم. ويقال عند الخروج من الخلاء: غفرانك. ويقال عند الجماع: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. ويقال عند انقضاء الطعام: الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً غير مكف ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا. ويقال عند العطاس: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى. ويقال عند النوم: إذا أخذ الإنسان مضجعه: اللهم: إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبة منك ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلاّ إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، اللهمّ باسمك أحيا وباسمك أموت، سبحانك ربي لك وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين. ويقال عند الاستيقاظ من النوم: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور. وإذا أردت النوم فانو أن تلقى ربك، ولتحب النوم لكون لقاء ربك فيه كما تحب الموت فإنه فيه لقاء ربك، فإنه من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] فالنوم موت أصغر، والذي ينتقل إليه بعد الموت هو الذي ينتقل إليه في النوم الحضرة واحدة وهي البرزخ والصورة واحدة واليقظة مثل البعث يوم القيامة، وإنما جعل الله النوم في الدنيا لأهلها وما نرى فيه من الرؤيا وجعل بعده اليقظة كل ذلك ضرب مثال للموت وما يشاهد فيه للرؤيا والبعث لليقظة، فالقيام من المضاجع كالبعث من القبور سواء. ويقال عند الصباح: أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله وحده لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهمّ إني أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده، وأعوذ بك من شرّ هذا اليوم وشرّ ما بعده. ويقال عند المساء: أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهمّ إني أسألك خير هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شرّ هذه الليلة وشرّ ما بعدها. ويقال عند القيام من كل مجلس: سبحانك

اللهمّ وبحمدك لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك. ويقال عند خاتمة المجالس: اللهمّ أسمعنا خيراً وأطلعنا خيراً ورزقنا الله العافية وأدامها لنا، وجمع الله قلوبنا على التقوى، ووفقنا لما يحبّ ويرضى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] هذا الدعاء سمعته من رسول الله ﷺ في المنام يدعو به بعد فراغ القارىء عليه من كتاب صحيح البخاري، وذلك سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمكة بين باب الحزورة وباب أجياد يقرأه الرجل الصالح محمد بن خالد الصدفي التلمسانيّ وهو الذي كان يقرأ علينا كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي، وسألت رسول الله ﷺ في تلك الرؤيا عن المطلقة بالثلاث في لفظ واحد وهو أن يقول لها: أنت طالق ثلاثاً فقال لي ﷺ: هي ثلاث كما قال لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، فكنت أقول له: يا رسول الله فإن قوماً من أهل العلم يجعلون ذلك طلقة واحدة، فقال ﷺ: هؤلائك حكموا بما وصل إليهم وأصابوا ففهمت من هذا تقرير حكم كل مجتهد وأن كل مجتهد مصيب، فكنت أقول له: يا رسول الله فما أريد في هذه المسألة إلاّ ما تحكم به أنت إذا استفتيت وما لو وقع منك ما كنت تصنع؟ فقال: هي ثلاث كما قال: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠] فرأيت شخصاً قد قدم من آخر الناس ورفع صوته وقال بسوء أدب يخاطب رسول الله ﷺ يقول له: يا هذا بهذا اللفظ لا نحكمك بإمضاء الثلاث ولا بتصويبك حكم أولئك الذين ردّوها إلى واحدة، فاحمرّ وجه رسول الله ﷺ غضباً على ذلك المتكلم ورفع صوته يصيح هي ثلاث كما قال: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠] تستحلون الفروج، فما زال ﷺ يصيح بهذه الكلمات حتى أسمع من كان في الطواف من الناس وذلك المتكلم يذوب ويضمحل حتى ما بقي منه على الأرض شيء فكنت أسأل عنه من هو هذا الذي أغضب رسول الله ﷺ؟ فيقال لي: هو إبليس لعنه الله، واستيقظت وكنت أراه ﷺ في تلك السنة في النوم أيضاً فكنت أقول له: يا رسول الله إن الله يقول في كتابه العزيز: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] والقرء عند العرب من الأضداد يطلقونه ويريدون به الحيض ويطلقونه ويريدون به الطهر وأنت أعرف بما أنزل الله عليك فما أراد الله به هنا الحيض أو الطهر؟ فكان ﷺ يقول لي في الجواب عن ذلك: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء وكلوا ممّا رزقكم الله يكني، فكنت أقول: يا رسول الله فإذن هو الحيض، فيقول لي: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء وكلوا ممّا رزقكم الله، فكنت أقول له: فإذن هو الحيض يا رسول الله، فيقول لي: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء وكلوا ممّا رزقكم الله ثلاث مرات واستيقظت.

ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله من الدعاء: اللهمّ اغفر لي خطاياي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير، اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي من كل خير، واجعل الموت راحة لي من

كل شر، اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ومن العمل ما ترضى، اللهم أبت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من فتنة القبر وعذاب النار ومن فتنة النار وعذاب القبر، ومن شرّ الغنى، ومن شرّ فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والفزع والبخل وأرذل العمر، ومن فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء وشماتة الأعداء ودرك الشقاء، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وضلع الدين وغلبة الرجال، اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة، اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك ومن جميع سخطك، اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق ومن سوء الأخلاق، اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة، اللهم إني أعوذ بك من المرض والجنون والجذام ومن سيِّىء الأسقام، اللهم إني أعوذ بك من شرّ القرين ما ظهر منه وما بطن، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، اللهم إني أعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك لا إله إلاّ أنت أستغفرك، اللهم ربنا وأتوب إليك، اللهم كل ما سألتك فيه ومنه فإني أسألك ذلك كله ولوالدي، وارحمني وأهلي وقرابتي وجيراني ومن حضرني من المسلمين ومن عرفني أو سمع بذكري أو لم يعرفني، ولوالديهم وأبنائهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وذوي رحمهم، وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء والأموات، ومن ظن بي خيراً ومن لم يظن بين خيراً، إنك واهب الخيرات ودافع المضرات، وأنت على كل شيء قدير. اللهم إني قد تصدقت بعرضي ومالي ودمي على عبادك فلا أطالبهم بشيء من ذلك لا في الدنيا ولا في الآخرة وأنت الشاهد علي بذلك، وصلِّ وسلّم على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وسلمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وآته الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد، واجزه عنا وعن أمته خيراً، فلقد بلغ ونصح وبذل جهده في ذلك وما قصر ﷺ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧] ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨] ربنا وابعث فينا وارث رسولك منا يتلو علينا آياتك ويعلمنا الكتاب والحكمة ويزكينا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] آتنا ما وعدتنا بيسر منك في عافية حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢] فلا تجعلنا منهم ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ

أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ﴾ [آل عمران: ١٩٣] وصدقنا وسمعنا بتوفيقك ربنا ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠] ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩] ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨] الحمد لله ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِىۚ﴾ [إبراهيم: ٤٠] ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١] رب ارحم والدي كما ربياني صغيراً ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤] رب اجعلني رضيا ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] ﴿رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥] ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح: ٢٨] ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأنبياء: نوح: ٢٨] ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨] اللهم خذ بأزمة قلوبنا إليك، واجعلنا ممّن توكل في جميع أموره عليك، وعمّنا بالرحمة التي لديك وفي يديك واجعلنا هادين مهدين، غير ضالين ولا مضلين.

انتهى الباب بحمد الله بانتهاء الكتاب على أمكن ما يكون من الإيجاز والاختصار على يدي منشئه، وهو النسخة الثانية من الكتاب بخط يدي، وكان الفراغ من هذا الباب الذي هو خاتمة الكتاب بكرة يوم الأربعاء والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ست وثلاثين وستمائة، وكتب منشئه بخطه محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي وفقه الله.

هذه النسخة سبعة وثلاثون مجلداً وفيها زيادات على النسخة الأولى التي وقفتها على ولدي محمد الكبير الذي أمه فاطمة بنت يونس بن يوسف أمير الحرمين وفقه الله وعلى عقبه وعلى المسلمين بعد ذلك شرقاً وغرباً براً وبحراً، وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المحتويات

تتمة الباب الثامن والخمسين وخمسمائة: في معرفة الأسماء الحسنى التي لربّ العزة ٣
الحميد * حضرة الحمد ٣
المحصي * حضرة الإحصاء ٥
المبدىء * حضرة البدء ٦
المعيد * حضرة الإعادة ٦
المحيي * حضرة الإحياء ٨
المميت * حضرة الموت ٨
الحي * حضرة الحياة ١٠
القيوم * حضرة القيومية ١٠
حضرة الوجدان * وهي حضرة كن ١٢
الواحد الأحد * حضرة التوحيد ١٣
الصمد * حضرة الصمدية ١٥
القادر القدير المقتدر * حضرة الاقتدار ١٧
المقدم * حضرة التقديم ١٩
المؤخر * حضرة التأخر ١٩
الأول * حضرة الأولية ٢٠
الآخر * حضرة الآخر ٢٠
الظاهر * حضرة الظهور ٢٢
الباطن * حضرة البطون ٢٤
التواب * حضرة التوبة وهي الرجوع من المخالفة إلى الموافقة ٢٦
العفو * حضرة العفو ٢٧
الرؤوف * حضرة الرأفة ٢٩
الوالي * حضرة الإمامة ٣٠
الجامع * حضرة الجمع ٣٢
الغني * حضرة الغنى والإغناء ٣٥
المعطي المانع * حضرة العطاء والمنع ٣٧
الضار * حضرة الضرر ٣٩
النافع * حضرة النفع ٤٠
النور * حضرة النور ٤١
الهادي * حضرة الهدي والهدى ٤٣

البديع * حضرة الإبداع ٤٥
الوارث * حضرة الورث ٤٨
الصبور * حضرة الصبر ٤٩
حضرة الحضرات الجامعة للأسماء الحسنى ٥١
الباب التاسع والخمسون وخمسمائة في معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة ٦٢
الشرك الخفي والجلي ٢٢١
لا يشقى من استمسك بالعروة الوثقى ٢٢٤
الخوض في آلائه عماية ٢٢٥
لم يزل في تضليل من عصى الله والرسول ٢٢٦
ولاية النور حبور وولاية الظلمة تبور ٢٢٦
التلف قد يكون في الخلف ٢٢٧
مقت الوقت ٢٢٧
الفرح ترح ٢٢٧
أشد الأمراض الإعراض ٢٢٨
الباب الموفي ستين وخمسمائة في وصية حكمية ينتفع بها المريد السالك
والواصل ومن وقف عليها إن شاء الله تعالىٰ ٢٣٤
خاتمة الكتاب ٣٨٦

DET KONGELIGE BIBLIOTEK
130012697091